(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار ١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ رمضان سنة ١٣٤٤هـ ٢٣ برج الحمل سنة ١٣٠٥ هـ ش ١٣ ابريل سنة ١٩٢٦

فاتحة المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمي العربي خاتم رسل الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، ولعنة الله والملائكة والنبيين ، وجميع عباد الله الصالحين ، على جميع فرق المبتدعين في هذا الدين ، الذين فرقوا كلمة الموحدين ، وأضعفوا جماعة المسلمين ، فكانوا شراً عليهم من جميع فرق المشركين ، ونالوا من الاسلام مالم ينل أحد من أعدائه الكافرين ،

أما بعد فان المنار يبتدئ هديه في مجلده السابع والعشرين ، وقد تجدد في العالم الاسلامي أمر عظيم أي عظيم ، وهو استيلاء الدولة الاسلامية السنية السلفية

الوحيدة على الحجاز ، وتمكنها من مهد الاسلام ، وظهور أمارات أعلام النبوة المصرحة بأن الاسلام سيأرز بين المسجدين (الحرمين الشريفين) كما تأرز الحية في جحرها . ويعتصم من الحجاز معقل الاروية من رأس الجبل فقد صار للاصلاح الاسلامي دولة مسلحة تقاوم البدع التي فتكت بالمسلمين ففرقت كلمتهم ، ومزقت شملهم ، وجعلتهم باتباع شياطين الاهواء أعداء ، بعد أن ألف الله قلوب سلفهم بالقرآن فأصبحوا بنعمته اخوانا

وانا نعرض على قراء المنار أهم شؤون الاسلام الحديثة في فاتحة هذا المجلد كعادتنا كما في سوابقه فنقول :

حال الاسلام والمسلمين في هذا العهد

بالامس خسر الاسلام دولة كانت منذ الاجيال الوسطى من تاريخه أشد دوله بأسا — وهي دولة آل عثمان — وخلفتها دويلة تركية هي أشد دول الارض عداوة له ، واليوم تجدد له دولة جديدة هي أرجى دوله لتجديد هدايته ، واعادة مجده الى شبيبته ، اذا عرف سائر المسلمين كيف يؤيدونها وينصرونها ، ويفيدونها ويفيدون بها ، وهي الدولة العربية السعودية التي قامت في مهد الاسلام ، ويرجى أن تكون مظهر أنباء الرسول عليه الصلاة والسلام

فأين مسلمو هذا الزمان منها ومن الاسلام ؟

اننا نقرأ ما كتب أئمة الدين في خير القرون من انكار البدع والمحدثات التي شوهت الاسلام ، ثم نجد الشكوى من ذلك قد تضاعفت في القرون الوسطى ، ثم تفاقمت وطغى طوفانها في القرون الاخيرة . حتى

صرنا نسمع خطباء المساجد في هذا العصر على جهل اكثرهم وابتداعهم يقولون على منابرهم : لم يبق من الاسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه ، وإن المعروف قد صار منكراً ، والمنكر قد صار معروفا ، — ومن المصائب أن هذه الاقوال تصدق عليهم وعلى أمثالهم من المتصدرين للتعليم والوعظ والارشاد ، فالذي يحذرك من البدع والمنكرات هو من أشد أنصارهما

فرض الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكد أمره ، ولعن تاركي التناهي عن المنكرات التي يفعلها بعضهم في كتبه ، وعلى ألسنة رسله ، لئلا يترك المعروف ، ويفشو المنكر فيصير كالمعروف ، فيختل أمر الفضائل ، ويفسد نظام الآداب ، بل قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه احمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري (رض) واذا كان انكار المنكر بالقلب وحده — وهو كراهته واستقباحه والنفور منه ومن أهله — أضعف الايمان، وكان أقواه وأكمله لا يكون إلا بازالته بالفعل ، فما القول اذاً في الذين لا ينكرونه بقلوبهم لالفتهم له وأنسهم به ؟ وما القول فيمن هم شر منهم وهم الذين مرنوا على المنكر واستحلوه ، واستعذبوه حتى استحلوه ، أو اعتقدوا انه معروف وليس بمنكر ؟

ترك المسلمون تغيير المنكر بالفعل بضعف الخلافة وصيرورتها لقب تشريف ، ثم تركوا انكاره بالقول لفشوه فى الحكام المستبدين ، والزعماء الظالمين ، وضعف الدين فى جماعات المسلمين ، الا قليلا منهم كانوا يظهرون حينا ويختفون احيانا ، ولا يجدون لهم شوكة ولا سلطانا ، حتى ظهر في

أواخر القرن الثاني عشر للهجرة وأول مابعده الاصلاح الوهابي في نجد

قام عالم نجدي اسمه محمد بن عبد الوهاب يدعو إلى التوحيد الخالص وهو عبادة الله تعالى وحده بما شرعه للناس في كتابه وعلى لسان رسوله ، ويأمر بالمعروف من السنن ، وينهى عن المنكرات من المعاصي والبدع .

قاومه الناس وآذوه كما أوذوا من قبله ومن بعده كل داع الى الحق والخير ، وسخر الله من الزعماء الاقوياء من آزره حتى تأيد القول بالفعل ، وكان أول منكر من منكرات الشرك ازيل بالفعل قطع شجرة كانت تعبد في تلك البلاد كذات انواط في الجاهلية ، وشجرة الحنفي وشجرة المنضورة في بلدنا هذا (مصر) فقامت البلاد وقعدت ، وعزم عباد الشجرة على الفتك به ، فحماه زعيم هذا البيت السعودي ومنعه من كل من يريد به سوءاً ، وانتشرت دعوته الاصلاحية بقوة سيوف هذا البيت الكريم في جزيرة العرب حتى استولوا على الحجاز ، وكادوا يجددون للاسلام مجده وحضارته بمثل نهضته الاولى كما صرح بذلك كل من عرف كنه حالهم من الشرقيين والغربيين ، لولا ان تصدت لهم الدولة العثمانية ، فحاربتهم من جهة العراق والحجاز ، ولما عجزت عنهم استعانت عليهم بدولة مصر الفتاة ، فحاربهم محمد علي حتى أخرجهم من الحجاز

ولم تكتف الدولة التركية وأعوانها حتى من العرب بهذه الحرب ، بل اثارت عليهم حرباً شراً منها وأشأم ، وهي حرب الدعاية بالطعن فى عقائدهم وأعمالهم ، وتسمية سنتهم بدعة ، وخيرهم شرا ، وعرفهم نكرا ، بل ايمانهم كفراً — أيضاً ، وكتب المؤلفون في ذلك الكتب والرسائل الكثيرة وأودعوها من فنون الكذب والبهتان ، مالا يخطر إلا في بال الشيطان ،

حتى إن بعض زنادقة العراق ، وملاحدته المجاهرين بالتعطيل والالحاد ، ألف كتابا في الافتراء عليهم تزلفا إلى الوالي التركي والدولة التى كانوا يدهنون لها بوصفها بحماية السنة ، وانما كانت تريد حماية ملكها وسلطانها وقطع الطريق على الامة العربية ، حتى لا تتجدد لها دولة قوية ، وإلا فان بلادها كانت مملوءة بالبدع والضلالات وهي لم تزل منها شيئا ، وكانت تعترف باسلام بقايا طوائف الباطنية حتى الاسماعيلية الذين يعبدون آغاخان المشهور

وقد ألقى رجال السلطان عبد الحميد الاخير الشقاق والعداوة بين آل سعود وآل الرشيد في نجد ، وما زالوا يمدون ابن الرشيد بالسلاح والمال الى أن تمكن من إخراج آل سعود من نجد ، واستولى على الرياض عاصمة إمارتهم ، حتى كان ما كان من نهضة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل المؤيد بنصر الله وتوفيقه ، وإستعادته لنجد ، ثم استيلائه على امارة ابن الرشيد وعلى بلاد الاحساء وكل ما كان بيد الدولة العثمانية من تلك البلاد ، ثم على بلاد عسير ، ثم على المملكة الحجازية برمتها

هذا هو الطور الجديد المرجو للاسلام ، وهذه هي الفرصة السانحة لتجديد هديه ، واعادة مجده ، فهل يضيعها المسلمون كما أضاعوها أول مرة ؟ وما موقف حزب الاصلاح الاسلامي المنتشر فى جميع الاقطار مع هذا الزعيم الشاكي السلاح ، وقد فشل أئمة الاصلاح الذين أجرتهم الرماح ؟

ثم ما موقف الامة العربية معه وهي قدعرفت نفسها. وطفقت تنشد زعيما تجدد تحت لوائه حضارتها ومجدها ؟

ثم ماذا يكون عمل المبتدعة ، وسدنة القبور المعبودة ، والخرافات المختلفة ـ وعمل المتفرنجين واللادينيين من ناحية أخرى ـ في مقاومة الدولة

الجديدة ، والنهضة المتيدة ؟

ان بين مسلمي هذه الايام ومسلمي أول القرن الثالث عشر (الذي طفت فيه الدولة الوهابية الاولى ورسبت) وبين عرب القرنين أيضا وبين الاحوال العامة فيهما فروقا كثيرة نعد منها أهم ما يتعلق به الرجاء من ايجابية وسلبية ونقفي عليه بما يعارض هذا الرجاء من الخوف - فنقول :

آيات الرجاء في الدولة الجديدة

(١) ان الدولة العثمانية التي كانت بالمرصاد للامة العربية تمنعها من كل نهوض قد زالت من الوجود ، والدولة التركية المحضة التي خلفتها لاشأن للاسلام ولا للعرب عندها ، وليس لها أدنى مصلحة أو فائدة من عداوة الدولة السعودية ، بل موادتها ، خير لها من محادتها ،

(٢) ان الدولة المصرية لاتزال تجاهد في سبيل استقلالها ، فلا هي دولة عسكرية مستقلة يغريها حب التوسع في السلطان بفتح الحجاز ونجد ، ولا هي حكومة شخصية استبدادية يتصرف فيها حاكم مطلق بهواه كما كانت في عهد محمد علي فيخشى ان يدعوها الى فتح الحجاز وغيره تلذذاً به ، أو اقتفاء لاثر جده ، ولم تبق آلة جامدة صامتة في أيدي الاجانب يدفعونها الى ماشاؤا بغير معارض ، بل هي دولة أمة عربية مسلمة من مصلحتها التواد مع الدولة الجديدة والاكتفاء منها بتأمين الحرمين الشريفين ليؤدي شعبها مناسكه وزيارته براحة واطمئنان ، بل مصلحتها في التواد والتعاون مع الحجاز ونجد فوق ذلك وليس من غرضنا بيانه هنا

(٣) ان مسلمي هذا العصر أوسع علما بالاسلام ومصلحة المسلمين من أهل ذلك العصر ، فلا تروج فيهم الدعاية الظاهرة البطلان ، التي راجت

منذ قرن ونصف بأكاذيب أحمد زيني دحلان، وأمثاله ومقلديه المميان، أو الطامعين بنوال السلطان، وقد كانت الدعاية التي أذاعها الشريف حسين وأولاده في الطعن في الوهابية وسلطانهم أوسع من كل ماسبقها نشراً، ولكن كان جل تأثيرها الخيبة وخسران ألوف الدنانير انفقت عبثا، وقد كتبنا في ابطالها بضع مقالات نشرناها في جريدة الاهرام ثم في المنار كان لها من حسن التأثير وقوة البرهان: مايصح ان يسمى هدما لما كان بني في قرن ونصف قرن من الافك والبهتان، لا لما بناه دعاة هذا الزمن وحده

(٤) تغير مايسمى «الرأي الاسلامي العام» في الحكم على الوهابية وسلطانهم حتى ان استيلاءهم على الحرمين الشريفين تلقي بالقبول والارتياح في جميع البلاد الاسلامية، ولم يظهر صوت عال في استنكاره وعده مصابا على الاسلام في قطر من الاقطار كما كان يرجو الشريف حسين وأولاده وأعوانهم، وانما سمع تئيم خافت وأنين ضعيف من بعض الروافض وعباد القبور وأنصار الخرافات،

ومن الآيات على ذلك اقبال الالوف الكثيرة من المسلمين على طلب الرخصة بالسفر الى الحجاز، الا دولة العجم الشيعية فقد منعت الحج لسبب خرافي سنعود الى الكلام عليه

ومن الآيات الخاصة ببعض الاقطار الاسلامية بل بأهمها وأعظمها شأنا وقدراً أن صاحب السيادة والمقام الجليل الامام يحيي حميد الدين صاحب اليمن قد هنأ الملك عبد العزيز بن السعود على انتصاره، ووثق روابط المودة والولاء معه، وسيكون له مندوب يمثله في المؤتمر الحجازي القريب

ومن هذه الآيات أيضاً ما كان من روابط المودة بين ملك مصر

ملك الحجاز ، وقد بدأ الاول بارسال منـدوب من قبله ، فى أثناء زمن الحرب ، ثم تلاه الآخر بارسال مندوب يحمل هدايا المودة وعاد الى مكة يحمل جزاءها ، و لذي يوجوه جميع المسلمين، وان كرهته جماعة الملاحدة واللادينيين ، أن يكون التواد ، الولاء بين مصر والحجاز مبنيا على أقوى نواعد الصدق والاخلاص ، وان يكون التعاون المادي والمعنوى بينهما بالقاعد الكمال .

ومن هذه الآيات الخاصة بأرقى الطبقات الدينية فى مصر : ذلك الاحتفال الفخم الجميـل الذي كرّم به أساتذة مدرسـة القضاء الشرعي الحاضرون والسابقون وتلاميذها مندوب الملك عبد العزيز آل السعود فى مصر وهو الشيخ حافظ وهبه المصري الذي كان من تلاميذ هذه المدرسة فقد اشترك فيه وحضره أرقى شيوخ التعليم وكهوله وشبابه فى المدارس العليا وما دونها ، وتبارى فيه مصاقع خطبائهم وفحول شعرائهم فى مدح الملك عبد العزيز آل سعود بالدين والاصلاح ونوط رجاء المسلمين به ـ وهذا محل دلالة الآية على ان أرقى رجال التعليم الدينى واساتذة العربية من اهل السنة بمصر يعتقدون ان هذا الرجل امام مصلح في الاسلام ومجدد لهداية الدين ومجده ـ لا انه مسلم سني فحسب ـ بهذا كانوا يرفعون أصواتهم فى ذلك الاحتفال البهيج المهيب ، وكان جمهور السامعين الـكبير يصفق لهم تصفيق الاعجاب والموالاة ، وسنذكر لهم نموذجا من ذلك في هذا الجزء

(٥) اجابة زعماء المسلمين من أقطار الشرق والغرب لدعوة ملك الحجاز وسلطان نجد الى عقد مؤتمر فى مكة ، حتى ان بعض الوفود التى كانت انتخبت لحضور مؤتمر الخلافة بمصر تحولت الى مؤتمر مكة حتى من كان يمكنهم الجمع بين المؤتمرين ،

(٦) ان قبائل العرب فى سورية وفلسطين والعراق صارت تستجيب لدعوة التدين التي يقوم بها الوهابيون بالاختيار ، وأما قبائل الحجاز فقد بايعت الملك السلطان عبد العزيز آل سعود على السمع والطاعة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والجهاد في سبيل الله ، وقد انبث فيها المطمون المرشدون كما انبثوا من قبل فى عشائر عسير وتهامة ، وسيكون هؤلاء كلهم اخوانا فى الدين صادقين ، ومظهراً لقوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

(٧) ان أولي الدعاية الجنسية العربية في سورية وفلسطين كانوا مختلفين فى الرأي والميل فى مناط الزعامة والقيادة لهذه الامة حتى بعد ظهور الفارس المغوار عبد العزيز آل سعود فى الميدان ، فقد كان بعضهم يفضل زعامة شرفاء مكة على ما كان يظهر على التوالي من ضعفهم وعجزهم وخذلانهم للوطنيين وتفانيهم في الاخلاص للاجانب لانه - كما كانوا يقولون - أولا : ليس في الميدان غيرهم ، ولا حاطتهم بالبلاد السورية فى الحجاز وشرق الاردن والعراق ، ولان ابن سعود بعيد عن البلاد ، ولان خطته دينية لامدنية - ومن هؤلاء كثير من اللادينيين والمفتونين بالتفرنج ، والشرفاء كانوا يرضون كلا منهم بما يهواه ولا سيما فيصل ، فهو لاديني مع اللادينيين واليهود والافرنج ، سني مع السنيين ، شيعي مع الشيعيين -

أما وقد استولى ابن السعود على الحجاز ، واعترفت له الدول العظمى بالاستقلال المطلق ، وظهر خذلان الشرفاء فى كل شيء ، وعلم أنه لادين يهمهم أمره ولا وطن ، فلم يبق لطلاب إحياء مدنية العرب زعيم يتوجهون اليه غير ابن السعود ، ولا يضر غير المتدين وغير المسلم منهم تدينه لانهم ليسوا فى كره

الاسلام كما استاذتهم من ملاحدة الترك ، فاولئك يمقتون الاسلام لانه عربي ، ولو كان لسلفهم دين علم وحكمة وآداب وتشريع يداني الاسلام في فضائله ومزاياه لفخروا فيه على جميع الامم ، وباهوا به جميع الملل ، وكيف وقد ارتأى بعضهم أن تكون صورة الذئب الاغبر شعاراً لهم لان أجدادهم عبدوه وقدسوه في جاهليتهم الاولى ، ورأينا منهم من يفتخر بجنكيزخان ، هلاكوخان ، أعداء البشر ومخربي العمران ؟ فلو اقتدى متفرنجة العرب في مصر وسورية والعراق بهم حق الاقتداء في العصبية القومية لكانوا أجدر بالافتخار بالاسلام ورجاله : محمد خاتم النبيين ، وخلفائه الراشدين ، وأهل بيته الطاهرين ، وأصحابه الهادين المهديين ، وأئمة العلوم الشرعية ، لدينه الحق وملته الحنيفية ، بأشد من افتخارهم بغيرهم من رجال العرب العظماء ، كالملوك ، والامراء ، والقواد والحكماء والادباء ، ففضائل العرب وحضارتهم العليا إسلامية

وقد قال أحد أدباء السور بين الاحرار من المسيحيين لبعض أصحابه اني أعجب لكم كيف تفتخرون بالانتماء الى أحد انبياء اليهود (١) وانتم لا تؤمنون به ، وتتركون الانتماء الى نبيكم العربي والفخر به ؛ ولماذا تعظمون مثل المعري والمتنبي من شعراء قومكم ، والنبي (ص) أعظم منهم فضلا على لغتكم وأمتكم ...

(٨) إن زعماء المسلمين وعقلاءهم من العرب والعجم الراسخين في الدين الاسلامي المبين ، والواقفين على شؤون هذا العصر — ولا سيما الهنود منهم — هم شديدو الغيرة على مهد الاسلام : الحجاز

(١) يعني سيدنا عيسى المسيح عليه السلام

وسياجه من البلاد العربية ، وضمان استقلاله للمسلمين ، وحفظه من عدوان الاستعمار الغربي عليه ، يعلمون أن هذا لا يتم ويدوم الا بوجود دولة اسلامية حربية عزيزة الجانب فيه ، ولم تتحقق هذه الامنية إلا بعقل ابن السعود وسيفه . فهم بما يجب عليهم من صيانة دينهم مدفوعون الى مساعدة هذه الدولة الجديدة على تنظيم قوتها ، وتفجير ينابيع الثروة لها ، ومساعدتها على نشر العلم وإقامة دعائم العمران في الحجاز وسائر جزيرة العرب ، وهؤلاء هم عمدة حزب الاصلاح الاسلامي المعتدل الذي وضع أساسه السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري

فهذه الفروق بين العشر الخامس من القرن الرابع عشر للهجرة النبوية الذي قامت فيه الدولة السعودية الجديدة ، وبين اواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر التي تأسست فيها الدولة السعودية القديمة ـ هي مناط الرجاء في نجاح الدولة الجديدة وفوزها

الغوائل المهددة للتجديد الاسلامي

ولكن تجاه هذه المبشرات الست ثلاث غوائل أو مفاسد مما يفتك بوحدة الاسلام في داخلها ، قد تؤيدها الدسائس الاجنبية التي تهاجمها مما يحيط بها :

الاولى ـــ عصبية غلاة الشيعة

الثانية ـــ جهالة مبتدعة القبوريين وأمثالهم من أهل الدجل والخرافات والبدع

الثالثة ـــ دعاية اللادينية ومفاسد ملاحدة المتفرنجة

الشيعة وأهل السنة

فأما غلاة الشيعة فقد كانوا أشد النقم والدواهي التي أصيب بها الاسلام: هم مبتدعو أكثر البدع المفسدة لتعاليمه ولاهله، هم الذين صدعوا وحدته، وأضعفوا شوكته، وشوهوا جماله ، وانتقصوا كماله ، وجعلوا توحيده وثنية، واخوته عداوة وبغضاء ، وبثوا فيه فتنة عبادة أناس لاجل أنسابهم ، وتقديس أناس بأحسابهم ، وجعل سعادة الدنيا والآخرة بوساطتهم عند الله وتأثيرهم في علمه وإرادته ،على ضد عقيدة القرآن من كون الخالق تعالى لايطرأ على صفاته تأثير من المخلوق ، وكون مناط سعادة البشر هو الايمان الصحيح السالم من خرافات الوثنية المفسدة للعقول ، وتزكية النفس بالعلم وعبادة الله تعالى وحده بما شرعه ، وانه ليس لمخلوق أن يشرع لمثله عبادة بدون وحيه تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ؟

وجميع الفرق التي ارتدت عن الاسلام في القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة فمنهم جميع فرق الباطنية الذين كانوا يلبسون لباس المسلمين ويظهرون التلبس به لتقبل دعايتهم لهدمه بالتأويل ، وكانت طائفة البكداشية المنتشرة في بلاد الترك والارنؤط منهم ، ولما دعا ملاحدة الكماليين الى اللادينية ولبس البرنيطة وإبطال جميع النظم الاسلامية وتفريق جماعاتها كانوا هم أول من أجاب الدعوة بسرور وارتياح . وصرح بعض رؤسائهم بأنهم قد وصلوا الى غايتهم من طريقتهم وهي هدم تعاليم الاسلام والتفصي من أحكامه وسلطانه

كذلك كان غلاة الشيعة مثارا لافظم الكوارث التي هدت قوى

الاسلام، وضعضعت الخلافة العباسية، ودمرت الحضارة العربية، التي كانت زينة الارض وفخار اهلها — وهي كارثة التتار — كما كانوا أولياء وإنصاراً لاعداء المسلمين ايهم أشد عداوة لهم وفتكا بهم لاسلامهم حتى الصليبيين

زالت الاسباب التي دعت زنادقة الفرس الى ماذكر وغلب الاسلام على بلادهم بالفعل فقل من عاد يعاديه لذاته ، بل وجهت العداوة الشيعية الى أهل السنة خاصة، وزال ملك العرب من بلادهم وصار السلطان فيه للترك فانتقل ماكان من عداوتهم للعرب الى الترك على اختلاف طوائفهم ، وكان قد انتشر مذهب السنة فى البلاد الايرانية كلها وضعف التشيع فيها ثم زاد وقوى بتعصب الترك العثمانيين، فهم الذين كانوا سبب تأسيس دولة شيعية تقاتلهم لحماية التشيع وتضطهد السنة ، حتى صارت السنة فى بلاد ايران أضعف من المجوسية، ولم تبق لها دعوة مطلقاً ، بل بث شيعة ايران مذهبهم فى عرب العراق حتى كاد يكون أكثر البدو منهم يقيمون مأتم الامام الحسين عليه السلام، ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما من الله أفضل الرضوان ، ولم يجدوا في بث دعايتهم هذه مقاومة من الدولة العثمانية الجاهلة الغبية ، ولا معارضة لها بمثلها من علماء أهل السنة الى أن ظهرت جماعة لوهابية

الحق أن أهل السنة قد أهملوا فى القرون الاخيرة دعوة غير المسلمين الى الاسلام ، ودعوة المبتدعين فى الاسلام الى السنة، الى أن حرك دعاة النصرانية بعض مسلمي الهند الى ذلك فحملتهم الغيرة والمباراة على تجديد الدعوة الى الاسلام ، وقلما يناظرون من الشيعة فيدعونهم الى السنة كما يدعون هم أهل السنة الى التشيع ، فالشيعة كلهم دعاة الى مذهبهم حتى النساء ،

ولكن اهل السنة فى الهند يعادون الشيعة بالا يميد لسنة، بل بما ينافي الوحدة الاسلامية العامة ، وهذا ماننكره على الفريقين ونسعى لتلافى شره ، وأعني بقولي «نسعى» حزب الاصلاح ذي الانصار فى جميع البلاد الاسلامية

وأما الوهابية فقد شرعوا فى إحياء دعوة الاسلام على مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان عليه السلف الصالح وأئمة الحديث في القرون الثلاثة التي شهد لها الرسول (ص) بالخيرية ، وإنكار البدع واجتناب التأويلات المحدثة حتى مافشا منها في أهل السنة، فعادتهم الشيعة وعادوها في بدء ظهورهم أو في نهضتهم الاولى كما عاداهم جهلة المدعين للسنة تأييداً لسياسة الدولة

وأما معيد هذه النهضة ومجدد دولتها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود فهو على شدة تمسكه بالسنة ونصرها واسع الصدر ، عارف بحاجة الامة العربية والشعوب الاسلامية إلى التعاون والتكافل في هذا العصر ، وقد استولى على بلاد الاحساء التى كانت تحت تصرف الدولة العثمانية وفيها كثير من الشيعة، ولم نسمع أن أحداً منهم شكا منه أو من عماله اضطهاداً أو ظلماً أو محاباة لاهل السنة دونهم وقد عني أشد العناية بالتواد والموالاة بينه وبين الامام يحيى حميد الدين امام الزيدية من الشيعة ، فارتاح إلى ذلك عقلاء المسلمين وأهل الرأي فيهم من أهل مصر والهند وسورية وسائر الاقطار

وقد سعينا لعقد روابط المودة والاتفاق بينه وبين حكومة إيران وشاهها الجديد الهمام كما سعينا مثل هذا السعي من القبل بينه وبين الامام يحيى ، فصادف السعي الثاني ماصادف الاول عنده من الارتياح ،

لانه صادف رأيا في العقل ، وهوى في الفؤاد ، على كونه وقع بعد أن جمع فيصل ملك العراق مؤتمراً من مجتهدي الشيعة في النجف كفروا فيه النجديين ، ونبزوهم بلقب أعداء المسلمين (يعنون أنفسهم)وعلى إرقيام الشيعة في الهند وفي إيران بالتهييج العام عليه على وقومه وزعمهم أنه هدم قبة الحجرة النبوية ، وغير ذلك من الاختلاق الذي عرفوا من بعد أنه من بهتان دعاية الشريف علي اذ أرسلت حكومة طهران وزيرها المفوض بمصر وقنصلها في سورية إلى الحجاز ليكشفا لها كنه الحال في مكة المكرمة وفى المدينة المنورة قبل خضوع الشريف علي واستسلام حامبتي المدينه وجدة — فقابلهما ابن السعود بمكة بالود والاحترام ، وأعطى الوزير المفوض نسخة من منشور الدعوة الى مؤتمر الحجاز لاجل تبليغها لحكومته ونسخة اخرى لايصالها الى أمير افغانستان ، بل منحه من الثقة ماهو فوق ذلك ، ولم تكن دولة آل عثمان على اغماضها في أمر السنة ترى أن تعطي لدولة الشيعة من حق الاشتراك في أمر الحرمين الشريفين شيئا ، وكنا نظن أن الدولة الايرانية الجديدة تقدر هذه العواطف قدرها ، وتعلم أنها أحوج الى مقابلتها بمثلها ، فبلغنا مع الاسف أن استتباب الامر لسلطان نجد في الحجاز ومبايعة أهله له بالملك عليهم قد وقع على دولة الشيعة وزعمائها وقوع الصاعقة ، وأنها منعت رعاياها من اداء فريضة الحج إعلانا لكراهة ملكها الجديد واحتجاجا عليه باقامته للسنة في منع عبادة القبور وهدم المعبود منها ، على حين قد صنع بعض شيعة ايران تمثالا لعلي كرم الله وجهه وهو منكس التماثيل وطامسها ، وهادم الوثنية ومدمرها ،

ندع عصبية غلاة الشيعة تغلي مراجلها في ايران والعراق والهند ،

فهي عاجزة أن تنال من الدولة السنية الحية منالا ، وان تغني عنهم جريدة المقطم الممقوتة عند المسلمين شيئا ، وامتناعهم من اداء فريضة حجة عليهم ، نرجو أن تكون سببا لرجحان رأي المعتدلين بعد سكون العاصفة ، فنعود إلى السعي لجمع الكلمة ،

مقاومة الخرافيين لدولة السنة

وأما جهالة دجاجلة الخرافات والقبوريين من أهل الطرق وأعوانهم من العوام فهي بمعنى عصبية غلاة الشيعة ولكنها أضعف منها كيداً ، وإن كانوا أهلها اكثر عدداً ، وذلك ان اكثر شيوخها جاهلون لا يستطيعون دفع حجة ، ولا تأييد شبهة ، وليس للعوام ادنى فائدة منهم ، وهم ينتمون الى مذاهب السنة التى تحتج بكتب الحديث المشهورة من الصحيحين والسنن والمسانيد المشهورة ، وكلها تؤيد الاصلاح الذي يدعو اليه الوهابية وكذلك أقوال الائمة المجتهدين الذين لا خلاف في جلالتهم عند اهل الطريق

فاذا روى الوهابي لاي مسلم سني حديث أبي الهياج الاسدي عن علي كرم الله وجهه في الامر بهدم القبور وتسويتها بالتراب وعزاه الى سنن الامام الشافعي وصحيح مسلم لا يسعه الا قبوله ، ولا سيما اذ قال له ان الشافعي ذكر في كتابه الام أن الائمة بمكة كانوا يهدمون مايبنى من القبور فيها عملا بهذا الحديث ، وأما الشيعة فلا يقبلونه بشبهة انه من رواية أئمة السنة ، وهل للسنة رواة الا من أهلها ؟ ولسنا نعدمن وصفوا بالتشيع من اصحاب الحديث من غلاة الشيعة الذين كلامنا فيهم بل معنى تشيعهم زيادة حب علي وذريته والعناية بمناقبهم وهذا من روح السنة ، ولكن لا يوجد حافظ من حفاظ السنة يطعن في أبي بكر وعمر وجمهور

الصحابة (رض) أو يبغضهم، وما أبغضهم الروافض لا لأنهم أزالوا دولة الفرس وملة المجوس من إيران

دعاية اللادينيين والدولة الجديدة

بقي من غوائل الاصلاح والعقبات الثلاث في سبيل الدولة الاسلامية الجديدة دعاية اللادينيين، وملاحدة المتفرنجين، وهؤلاء ضد على جميع المتدينين من أهل السنة حقيقة أو ادعاء ومن الشيعة وغيرهم، وهم يحاربون الدين بالشبهات الفلسفية، والآراء العلمية، والنظريات القانونية والاجتماعية وبما يزعمون من معارضته للاصلاحات العصرية، وبما يعزون اليه من الامور الخرافية، ومنهم كثير من كبار رجال الحكومة في مصر وايران، وقد تعدت فتنتهم الى افغانستان، وهم يرجون أن يعملوا في هذه الممالك ماعمل الترك، فهم الخطر الاكبر على الدين واهله، ولكنهم قليلون في الحجاز، ولا وجود لأحد منهم في نجد، فخطرهم على الدولة الجديدة جله في خارجها. وأما خطرهم على مصر وايران ففي صميمها وأحشائها، وليست أفغانستان بمأمن من شرهم

كنا معشر طلاب الاصلاح، وتجديد ما أخلق ورثّ من أمر الاسلام، نعالج جمود المتفقهة، ونكافح بدع أدعياء المتصوفة، ونناضل شبهات الملاحدة، على مالا بد لنا منه من مجاهدة دعاة النصرانية، وكانت الحكومات الاسلامية المتفرنجة مذبذبة تداري الجامدين، وترضي المبتدعين، وتقرب الملحدين، وتعرض عن المصلحين، على أنها كانت أحوج الى هؤلاء لجمع الكلمة، وتحقيق وحدة الامة. ولكن لم يكن أحد من كبار رجال حكومة الاستانة ولا مصر ولا طهران يعقل

ذلك ، وهي الحكومات الكبرى التي ابتليت بالتفرنج ، فلم تهتد السبيل الى اتقاء فتنه ، ولا الى الانتفاع بما تحتاج اليه من فنونه ونظمه

وقد كانت سائر الشعوب الاسلامية وحكوماتها شرا من هذه الحكومات وشعوبها في الجهل والخرافات والبدع ، والحرمان من هداية الدين فقضى عليها الجهل كلها الا ثلاثا : ثنتان عربيتان وهما حكومتا اليمن ونجد ، وواحدة عجمية وهي حكومة الافغان ، كانت هذه الثلاث ومازالت أقرب الى هداية الدين ، وأبعد عن فتن التفرنج وضلالات الملحدين ، ولن يظلان على ما كن عليه كالسفن الشراعية الرواكد على ظهر اليم عند سكون الريح ، فرياح الحوادث في محيط الكون الاعظم لن تدع في هذا العصر بحراً ولا خليجا ساكنا ، فيجب على حزب الاصلاح المعتدل أن يؤيد هذه الدولة الجديدة ويشد أزرها ويساعدها بعلمه ورأيه وسعيه على الجمع بين هداية الدين على طريقة السلف في الصدر الاول ، وعزة الملك وسؤدده بالعدل والعمران على أحدث الفنون والتجارب والصناعات والنظم الحربية والاقتصادية ان يقف موقفه في الوسط بين انصار الدين وطلاب السيادة والاستقلال والحضارة بفنونها ونظمها المجربة ، فبهذا يجذب اليه الخيار من جميع الطبقات في الاقطار الاسلامية فيقضي بهم على من لا خير فيهم من المارقين والخرافيين باتباع خطة حزب الاصلاح الجمالي — فهي الخطة التي تجذب كثيراً منهم الى حظيرة الاصلاح . وسنفصل القول في ذلك تفصيلا ، بما هو اشد عليهم وطأً واقوم قيلا ، واقرب الى الاتفاق والتعاون سبيلا (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

محمد رشيد رضا

نموذج من آراء أساتذة المدارس المصرية

في الوهابيين ومؤسس الدولة السعودية

من قصيدة للاستاذ الشيخ عبد المطلب شاعر البداوة في الحضارة، ألقاها في حفلة مدرسة القضاء الشرعي التي أشرنا اليها في مقالنا الافتتاحي

عادت الى الاسلام دولتـهُ ... وسما له ببلاده بَنْـدُ
وعلى تِهامة من بشاشته ... سَبغ الندى والعيشةُ الرَّغد
نجدٌ تمدُّ الى الحجاز يداً ... ليستْ لغير الله تمتدُّ
هذي كتائبها تجول به ... غَضْبى لدين الله تحتدُّ

ومنها :

فأتته خيلُ اللهِ مُعلمةً ... نجباً تزاءرُ فوقها الأسْدُ
يحملن من نجد غطارفة ... للبأس في زفراتها وقْـدُ
في الفيلق الخضراء يقدُمها ... ملك أشمُّ وكوكب نجد
ينمي السعودَ إلى أرومته ... نسبٌ أغرُّ وطالعٌ سَعدُ
لا يَرْهبُ الموْتَ الزؤامَ ولوْ ... أن السماء لوقعه رَعدُ
فجلا عن الحرمين من خبث الأ ... طماع ما أشرى به الجهدُ
والسيفُ أعدلُ في حكومته ... للعدل فوق ذبابه حدُّ
وحكومةُ الشورى أحقُّ بهم ... منْ أن يحكم فيهم الفرْدُ
عبدَ العزيز لك السلامُ من الا ... سلام والاطراءُ والحمدُ
أرْضيت احمد في شريعته ... شيَّدْتَ منها ماله هَدُّوا
ورَضيتْ قلوبُ المسلمين بما ... قمتْ به ورضاؤها أيْدُ
أنفذت حكم السيف حين قضي ... ورَدَدْتَهُ للسلم إذ رَدُّوا
وعَفوْتَ إذ فاؤا فلا إحن ... فيهم تحكها ولا حقدُ
وكذاك جندُ الله إن نُصروا ... نامَ الهوى واستيقظ الرُّشدُ
فأعِدْ الى الحرمين مجدَهما ... فخماً فما لِسواهما مجدُ
وأعدْ لدين الله جِدَّتهُ ... إن الورى في كيده جَدُّوا

الناس من لا يربيه ويهذبه الا الشدة والبؤس ، كما إن منهم من يربيه ويهذبه الرخاء والنعمة ، وبكل يبتلي الله عباده ويمتحنهم كما قال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال في بني اسرائيل (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) ولكن هؤلاء القوم لم يزدهم البؤس والسوء إلا عتواً وإصراراً على الفسق والظلم فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ، ومسخهم مسخ خلق وبدن فكانوا قردة بالفعل ، أو مسخ خلق ونفس ، فكانوا كالقردة في طيشها وشرهها، وإفسادها لما تصل اليه أيديها. والاول قول الجمهور والثاني قول مجاهد قال: مسخت قلوبهم فلم يوفقوا لفهم الحق

حكم الشرع الشريف في لبس القبعة

بيان أصدره المعهد الديني في الاسكندرية ، ورغب الينا في نشره (١)

دعا بعض الشبان المسلمين في مصر من تلاميذ المدارس إلى التشبه بالأمم الأوربية المسيحية فيما يلبسون على رءوسهم ، وأرادوا حمل أنفسهم وغيرهم على خلع الطرابيش واستبدال القبعات بها ، وأيدهم في ذلك بعض الكتاب في مصر

ولما كان الظن بأولئك وهؤلاء أنهم لم يدعوا إلى مادعوا اليه إلا لجهلهم حظر دينهم له وسوء نسبة مايريدون أن يتردوا ويردوا غيرهم فيه ، وضرر ذلك بالوحدة الوطنية التي تقطعت بها السبل ، ولم يبق لنا طريق إلا هو في إقالة عثرتنا وإنهاضنا من كبوتنا . واصلاح ماأثأت يد الغفلات منا ، أردنا أن نبين لهم منع دينهم لما يدعون اليه ، وأدلة ذلك وحكمة هذا المنع (ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة)

ونحن بما قمنا به من ذلك العمل نؤدي نصحاً لأمة وجب علينا ألا نألو جهداً في نصحها ، وانارة السبيل أمامها ، ونخدم وطناً له دين في أعناقنا ، ونرجو أن نخرج بذلك من رذيلة كتمان العلم التي توعد عليها الله أشد الوعيد بقوله (ان

(١) كذلك كتبت رياسة المعاهد الدينية العليا في الازهر فتوى بهذا المعنى الى ان هذه أفصح قيلا ، وأوضح دليلا

(النهي عن التشبه بالكفار)

إن المتتبع لآي القرآن الكريم والسنة النبوية وماجاء عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين يعتقد ذلك الأصل الذي قدمناه وهو النهي عن التشبه بمن خالفنا في الدين ، فأما القرآن فمنه قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليّ المتقين) وقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وقوله (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) وقوله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله اليك) وقوله (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة واكثر أموالا وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا)

فان قيل ان آي القرآن هذه تنهى عن التشبه بهم فيما كان فعله مفسدة في نفسه من الاعتقادات الباطلة والاستمتاع بالخلاق الخ — وليست نصاً في النهي عن التشبه بهم فيما ليس فعله مفسدة في نفسه وليس يأتيه الفساد إلا من جهة التشبه بهم — قلنا إن السنة انتظمت الأمرين جميعاً والسنة مبينة للكتاب قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم)

(السنة)

روى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع ، وتسليم النصارى الاشارة بالكف » وروى احمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا يوما قبله ويوما بعده »[١] وروى مسلم من خطبة حجة الوداع قوله صلى الله عليه وسلم «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع » وروي في الصحيحين عن رافع بن خديج قال : قلت يارسول الله نالاقو العدو غداً وليس معنا مدى ، أفنذبح بالقصب . فقال « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك ، اما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة » وروى ابو داود في سننه وغيره من حديث الأذان : اهتم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع لها الناس ؟ فقيل له : انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رأوها أذن بعضهم بعضا . فلم يعجبه ذلك ، فذكروا له القنع شبور اليهود — اي البوق — فلم يعجبه ذلك . وقال هو من امر اليهود قال : فذكر له الناقوس ، فقال « هو من فعل النصارى » الخ الحديث

(أقوال الصحابة)

روى الامام احمد ان عمر لما دخل بيت المقدس وأراد الصلاة سأل كعبا اين ترى ان اصلي ؟ قال : ان اخذت عني صليت خلف الصخرة ، فقال عمر : ضاهيت اليهود . لا . ولكن اصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى

(١) هذه رواية ضعيفة وفي الصحيح ما يغني عنها وهو ما رواه مسلم وأبو داود عن ابن عباس قال لما صام رسول الله (ص) عاشوراء أمر بصيامه قالوا يارسول الله انه يوم يعظمه اليهود والنصارى فقال « فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع » وفي رواية « لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع » — ولكنه توفي ولم يبق فداه أبي وأمي وولدي ونفسي

ودُعِي حذيفة بن اليمان إلى وليمة فرأى شيئاً من زي الاعاجم فخرج وقال : من تشبه بقوم فهو منهم [1]. ودخل على أنس بن مالك غلام له قرنان أو قصتان فمسح على رأسه وبرك عليه وقال : احلقوا هذين أو قصوهما فان هذا زي اليهود .

(أقوال الائمة المجتهدين)

علل الأئمة النهي عن كثير من الأشياء بمخالفة الكفار أو مخالفة الأعاجم وهو أكثر من أن يمكن استقصاؤه ، فمن ذلك ان الحنفية كرهوا تأخير المغرب وقالوا لما فيه من التشبه باليهود ، وقالوا ان صام يوم الشك ينوي أنه من رمضان كره لأنه تشبه بأهل الكتاب فانهم زادوا في مدة صومهم ، وقالوا أيضاً لا يجوز الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة للنصوص ولأنه تشبه بالكافرين وقد تكلم اصحاب ابي حنيفة في تكفير من تشبه بالكفار في ملابسهم وأعيادهم

وقال مالك : لا يجوز أن يحرم بالأعجمية ولا يدعو بها ولا يحلف ، وقال : يكره ترك العمل يوم الجمعة كفعل اهل الكتاب يوم السبت والأحد ، وقال بعض أصحاب مالك : من ذبح بطيخة في اعيادهم فكأنما ذبح خنزيرا

وعلل الشافعية النهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، وذكروا في تأخير السحور ان ذلك فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ، وقال الامام احمد : اكره النعل الصرار وهو من زي العجم وكره حلق القفا وقال هو من فعل المجوس وقال : « من تشبه بقوم فهو منهم » [2] وكره تسمية الشهور بالعجمية والأشخاص بالاسماء الفارسية

---

(١) روي هذا اللفظ مرفوعا الى النبي (ص) رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف وابن حبان وصححه وعن الصحابة ما كتبه عمر الى عتبة بن فرقد قائد جيشه في بلاد العجم ومنه : اياكم وزي الاعاجم » وتقدم تفصيله فى فتوى المنار في المسألة من المجلد الماضي ٢٦

(٢) أي على سبيل الاستدلال وهو حديث مرفوع كما تقدم لنا وسيأتي للكاتب

(ماورد من النهي عن التشبه بالكفار في اللباس)

وقد وردت آثار كثيرة تنهى عن التشبه بالكفار في لباسهم فمن ذلك ما يأتي :

روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن التشبه بالاعاجم وقال «من تشبه بقوم فهو منهم» وروى ابو داود [1] من حديث ركانة انه قال سمعت النبي (ص) يقول «فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس» وروي أيضا عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) أو قال قال عمر إذا كان لأحدكم ثوبان فليصل فيهما فأن لم يكن له الا ثوب فليأتزر ولا يشتمل اشتمال اليهود وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عياش بن عباس أن النبي (ص) نهى عن أن يجعل الرجل بأسفل ثيابه حريراً مثل الاعاجم أو يجعل على منكبيه حريراً مثل الاعاجم ، وروى مسلم عن عبد الله بن عمر قال : رأى النبي (ص) عليّ ثوبين معصفرين فقال : ان هذه من ثياب الكفار لا تلبسها

﴿ أقوال الصحابة في التشبه بهم في اللباس ﴾

كتب عمر بن الخطاب الى عامله على أذربيجان عتبة بن فرقد ياعتبة اياك وإيا التنعم وزي أهل الشرك ومما أخذه عمر على أهل : الذمة فيما شرطوه على أنفسهم قولهم أن نلزم زينا حيثما كنا وأن لا نتشبه بالمسلمين في شيء من ملابسهم قلنسوة أو عمامة ورأى عليّ قوما قد سدلوا في الصلاة فقال مالهم كأنهم اليهود خرجوا من فهورهم أي مدراسهم

حكمة الشارع في النهي عن التشبه بالكفار والامر بمخالفتهم في لباسهم

فان قيل قد علمنا حكمة الشارع في النهي عن التشبه بالكفار في عقائدهم وهي انهم كانوا على عقائد باطلة وأخلاق فاسدة فنهى الشارع عن أن نعتقد اعتقادهم ونتخلق بأخلاقهم لما في نفس هذه الاعتقادات وتلك الاخلاق ن

(١) وكذا الترمذي

قبح وفساد ، فما الحكمة في النهي عن التشبه بهم في لباسهم وزيهم وعاداتهم مع ان نفس اللباس والزي ليس فيه فساد ؟ وهل فرق بين لباس ولباس ؟ قلنا ان للشارع في ذلك حكمة وهي انه يريد ان يجعل من المسلمين امة متجانسة متحدة ذات اخلاق وعادات ونزعات وعقائد ومشارب متحدة فلما وفق بينهم في الهدى الباطن اراد ان يوفق بينهم في الهدى الظاهر ليكمل هذا التوافق والاتحاد وان الاتحاد في الزي الظاهر ادعى الى التحاب والتواد والمشاكلة والمجانسة ولذلك يقول علماء الاجتماع ان الاتحاد في العقيدة واللغة والعادة واللباس من مقومات الامة ومن دواعي وحدتها فتكون بينهما وحدة معنوية تجعلها كشخص واحد اذا رمت ترمى عن قوس واحدة واذا لاقت الخطوب لاقتها جميعا

وأخرى وهي أن الشارع اراد ان يجعل للمسلمين زيا مخصوصا ليتمايزوا فيتعارفوا لاول وهلة وباديء الامر ،فيقدم أحدهم للآخر مايقدر عليه من خير، ويدفع عنه مايقدر على دفعه من شر،ويختصه بمعاملته فتكون معاملاتهم ومتاجراتهم بعضهم مع بعض ماامكن ذلك ،وبذلك تكون خيراتهم لهم ومنافعهم منهم واليهم، وقد ادركت ذلك الجمعيات السرية كالماسونية فجعلوا علامة تميز بينهم وبين غيرهم لهذا الغرض

لست أدري كيف يجمع هؤلاء الدعاة الى تغيير زيهم ولباسهم بعد أن أصبح زيا قوميا بين الدعوة الى ذلك وبين الدعوة الى الوطنية التي يتفانون فيها ؟ ليست الوطنية ألفاظا تلاك ، وجملا يملأ الشخص بها ماضغيه ، إنما هي أن يعطف الوطني على أخيه الوطني ، ويختصه بمعونته ومنافعه . وأن يقوم أهل الوطن بالتعاون على جلب الخيرات اليهم ، ودفع المضرات عنهم ، وكيف يسلس لهم ذلك اذا انبهموا فيما سواهم من الأمم المغيرة عليهم ، وغمرتهم هذه السيول الجارفة من الشعوب النازحة اليهم

ألا ان مصر كانت تأكل فاتحيها فتهضمهم وتحيلهم الى عصارة تتحول الى لحم ودم وأعصاب يتقوم بها بدنها ، والآن يسعى أبناؤها ليأكلها غيرها من الشعوب الأخرى ، وتماع فيهم كما تماع القطرة في المحيط

قالوا : ان لبسنا القبعة طريق الى ذلك الحلم اللذيذ ، وهو الوحدة الانسانية العامة ، والوحدة الانسانية أغنية يتغنى بها الدكتور منصور فهمي ومحمد افندي دياب وغيرهما ، ونحن نقول لهؤلاء ان وقت هذه الدعوة لم يحن . ان الأمم تسعى في انماء قوميتها وتقويتها والوحدات القومية والجنسية والدينية هي اسلحة الأمم في الحياة ، وحصونها المنيعة ، ومعاقلها الرفيعة ، فاذا دعوتم الى الاندماج في الانسانية العامة ، والامم على ماذكرنا من تقوية قوميتها ، فلستم تفعلون أكثر من تجريد أمتنا من أسلحتهم وحصونهم ، شتلتهمهم الامم ذوات المعاقل والحصون — اتركونا من نشيد الموت هذا ، وأنشدونا نشيد الحياة ، ووجهوا كل مافي الامة من جهود وتعليم وأخلاق وعادات الى بناء القومية ، والاحتفاظ بما فيها من مقومات — نسائلكم بالله لاتفرقوا وحدتنا ، ولا تحلوا عقدتنا ، ولا تفكوا رابطتنا ، ولا تقولوا إن الأتراك قد سبقونا الى ذلك ، فلسنا مثل الأتراك ولا الاتراك مثلنا — ان الجسم القوي فيه مناعة وحصانة من الامراض . أما الجسم الضعيف فأدنى الأمراض يفتك به ، ويحل ارتباطه وتماسكه (١)

وقالوا أيضاً ان زينا زي أهل الجمود والتأخر ، وتلك القبعة زي أهل المدنية والتقدم ، واننا نتشبه بهم في قبعاتهم لنتقدم ونتمدين كما تقدموا وتمدينوا

لو كان التمدين بخلع لباس ولبس لباس غيره لكان أهل الارض جميعاً متمدينين ، ولكنتم أعجز الامم اذ مكثتم هذا الزمن الطويل في هذه الضعة ، والكمال في متناول ايديكم ، لن يكلفكم اكثر من خلع لباس ولبس لباس غيره

لا ياسادة الشقة بعيده ، والطريق وعثاء شديدة ، والمعالي لا تنال على الدعة والراحة واللعب ، إنما هي منيعة لا ينالها إلا أروع جليد يركب الاهوال أهول من الاهوال ، ويخبط الصخر أصلب من الصخر ، ويلبس الليل اخشن من الليل ويهجم على الاسد في عريسة الأسد ليثا حديد الانياب والبراثن يلاقي ليثا حديد الانياب والبراثن

(١) المنار : كان للترك سلطنة واسعة لم تنل مثلها دولة من دول الارض فخدعها الافرنج برقية العصبيه القوميه حتى أضاعوها وصاروا امارة صغيرة يخشى أن يضيعوها أيضا بهذا الهوس

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والاقدام قتال

ليس التمدن والتقدم بتغيير لباس الرأس ، وإنما هو بتغيير ما في الرأس ، فبدل أن تعمدوا إلى رؤوسكم فتجردوها من لباسها ، اعمدوا إلى ما بداخلها فجردوها من أوهام وخرافات قد عششت وباضت وأفرخت وسدت مسالك الأمور عليكم، وقعدت بكم عن كل خير ، وورطتكم في كل تهلكة ، وجمحت بكم فأوردتكم موارد ماؤها آسن ومرعاها وخيم ، وانزعوا منها خلق الضعف والانحلال الذي قعد بكم عن مجاراة الأمم ومزاحمة الشعوب ، وبطأ بكم عن قوم جدوا فكانوا السابقين الأولين ، وكنتم القاعدين المتخلفين ، وبدل ان تحلوا رؤوسكم بقبعات الأمم الأخرى حلوا ما بداخلها بالعلم والمعرفة ، وزينوها بالفضيلة والخلق الصالح المتين ـ بهذا وحده تتقدمون ـ واقسم لكم انكم مادمتم مجدبي الرؤوس من الفضيلة والعلم ، ان ينفعكم لبس القبعات ولو وضعتم هرماً من قبعات ، قاعدته فوق رؤوسكم وقمته تتصل بعنان السماء

يخيل الي أن اشباحا غير منظورة تتآمر على تمزيق جامعتنا ، وقطع اواصرنا ووشائجنا ، وان هذه الايدي الخفية تخرج لنا بين حين وآخر وشيجة من وشائج الصلة بيننا فتضعها بين شقي مقص حديد ، وانا اذا لنا في ايديهم سيقطعون وشائجنا وشيجة وشيجة ، وسينقضون حبالنا حبلا حبلا ، ويفكون عرانا عروة عروة ، حتى نصبح ولا جامعة تجمعنا ، ارسالا بدداً ككومة من انقاض ، لا اتساق بينها ولا ارتباط

الآن قد بينا حكم الله في تغيير الزي والحكمة الاجتماعية فيه ، وبينا فيه ضرر ذلك لوحدتنا وقوميتنا ، فان كنتم أيها الدعاة مسلمين فأجيبوا داعي الله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ، وان كنتم قد انسلختم عن دينكم فظننا بكم انكم لم تنسلخوا عن وطنيتكم ، فان لم تجيبوا تدينا ، فأجيبوا لداعي المصلحة القومية والوطنية وانكم ان شاء الله فاعلون — الا قد بلغت، اللهم فاشهد .

محمد عرفة

الاسكندرية في ١٠ رمضان سنة ١٣٤٤   استاذ بمعهد الاسكندرية

مكان الاسلام من مسلمي الزمان

والحكم عليهم بنصوص القرآن

هو نص كتاب خاص أرسله الاستاذ رحمه الله تعالى الى أحد خواص العلماء من اعضاء الجمعية السياسية الاسلامية التي كانت تصدر جريدة العروة الوثقى في باريس عقب احتلال الانكليز لمصر . وهو من أجلّ كتبه الدينية الاصلاحية ، بل من أبلغ ما قال أو كتب أئمة الدين ، وعرفاء الصديقين ، من المواعظ والنذر ، والآيات والعبر ، التي تنير البصائر ، وتطهر السرائر ، وتزيّل بين المؤمن والكافر ، وتفرق بين البر والفاجر ، فهي ميزان الايمان ، ومسبار العرفان ، وهذا نصه منقولا من الطبعة الثانية للجزء الثاني من تاريخه رحمه الله

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة

سرني ما نقل اليّ كتابك أنك استجبت لربك فيما دعا اليه عموم خلقه بقوله (قل سيروا في الارض) وانما يستجيب اليه أهل الرغبة فيه ، ولقد حمدت الله أنك لم تجعل سيرك سير الغافلين ، ولم تمر على ما لاقاك مرور الذاهلين ، بل استعملت بصيرتك ونظرت فيما قام لك من أحوال الناس ، لتعلم ماذا أبقت الحوادث فيهم من الاستعداد لقبول الحق ، والميل للرجوع اليه ، وما أظنه ذهب عليك أيام كنت تقلب عين اعتبارك في أطوار أولئك المحجوبين ، ان ماهم فيه لا تختلف عن عواقب المكذبين ، الذين يأمرنا الله بالنظر كيف كان عاقبة أمرهم ، وما أحل الله بدارهم من بوار ، وما ألحق بعمرانهم من دمار ، وما ألصق بذكرهم من عار وشنار ، وكيف يختلف الخال عن الحال ، وانما التكذيب أثر غين يغشي عين القلب ، فيواري عنها وجه الحقيقة ، فتعمه ظلمة أشبه بظلمة الخسوف

تعلو وجه القمر ، فاذا أظلم القلب وهو مستودع السر الذي به كان الانسان إنسانا فقد أظلم الانسان كله ، وذهبت قواه تخبط في أفاعيلها على غير هدي ، وتعسر عليها أن تلزم طريق الحق والصراط المستقيم ، وهذه الحال كما تراها فيمن ينكر الحق بلسانه ، ويكذب الداعي اليه بانكار بيانه . تراها بعينها في هؤلاء المخدوعين الذين يزعمون انهم آمنوا بالله وبرسوله وبكتابه ، ثم هم في أعمالهم وآمالهم أبعد الناس عن سَنَنه وسُنَنه ، وأشدهم التواء على أمره ونهيه ، وقد علمت أن الله لم ينظر إلى قوم يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم ، وإن اليهود لم ينفعهم أن آمنوا بموسى وخلفائه من الانبياء ، وبما جاؤا به من الوحي الالهي إيمانا يحا كي مايدعيه المسلمون في هذه الأوقات : كان اليهود يعرفون موسى نبياً لهم ، والتوراة وكتب الأنبياء هدايات من الله لعقولهم ، كما يعرف المسلمون ذلك في كتاب الله تعالى ، ولكن الله نعى الينا أحوالهم في مزاعمهم فقال (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لايهدي القوم الظالمين) فقد جعل تأويلهم التوراة وصرفهم لألفاظها إلى غير ما أراد الله بها وحيدانهم عن العمل بما دعت اليه تكذيباً بآيات الله ، وجعل نقضهم لما حملوا من أحكامها مروقا منها حيث قال (لم يحملوها) وجعل تصديقهم بها على هذا الوجه بمنزلة احتمال حمار لأسفار فهو في عناء من ثقلها ، على بعد من فائدة ما أودع فيها . أفليس هذا النبأ بعينه يحدث عن احوال المنتحلين اسم الاسلام في هذه الايام ، وأنهم حُملوا القرآن ثم لم يحملوه ، إلى آخر الآية ؟ ألم يكن في ظلم أهل هذا العنوان وجمودهم عن حدود الله ما يستحقون به تسجيل الضلالة عليهم كما سجلت على اليهود في قوله « والله لايهدي القوم الظالمين » ؟ وأشدّ الظلم ظلم النفس ، بعدولها عن سنن الحق . ألا يصدق عليهم أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون؟ الا ينعى حالهم (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) ؟ ألا يحكي جهلهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون) ؟ أي أنهم لايعلمون منه الا أن يتلوه تلاوة بغير فهم ، فان طلبوا شيئاً من المعنى لم يكونوا فيه على بصيرة إن يظنون الا ظناً

اني استلفتك الى أولئك الذين يتناولون مصاحف القرآن الكريم بأيديهم خصوصا في شهر رمضان، ثم يطفقون يلوكونه بألسنتهم ،ويزعمون انهم يتقربون الى الله بترنمهم ، ويصعدون إلى منازل القرب عنده بنغماتهم ورنين أصواتهم ، ويجعلون كل همهم في هز رءوسهم، والتوفيق بين الهزات، وتموج النغمات وماشاكل ذلك من لواحق الصور والهيئات، مما قد يعجب له عرفاء الدين، ويستغرب حدوثه في المسلمين أهل اليقين لبعد النسبة بينه وبين دينهم، والمنافرة الثابتة بينه وبين مقتضى ايمانهم، حتى اذا انصرف أولئك القارئون، والتمسوا من قلوبهم عبرة مما قرأوا، أو عظة مما سمعوا، لم يجدوا من ذلك قليلا ولا كثيرا، بل رجع كل منهم الى هواه، وأوى الى قعيدة نواه، وما كان قد انصرف عن وساوسه، ولا انقطع عما استحكم سلطانه في نفسه من شياطين أهوائه، الا في ظاهر مايرى للناظر. واذا سئل أحدهم عن شيء من معنى ماقرأه التجأ الى الجهل، أو خبط في مضلة من الوهم، واذا قيس عمله الى أحكام مايقرأه، وجدت تباينا كما بين الاسلام والكفر، فبالله الا ما اجبتني هل تجد فرقاً بينهم وبين اليهود فيما قص الله عنهم في قوله (ومنهم أميون) الخ ؟ الا تجد الوصول الى الفرق نزر الوسائل ، متعذر الذرائع ؟ ولو سردت من أحوال اليهود والنصارى والمشركين التي قص الله علينا تحذيراً لنا من التدنس بمثلها ووضعتها مع أحوال المسلمين في كفتي ميزان الا ترجح أحوال المسلمين سوءاً على أحوال أولئك الضالين ؟

أصبح المسلم في هذه الأيام حجة للكافر على كفره، وفتنة له يضل بها عما أقام الحق من أعلامه، فاذا قيل ان الاسلام خير الأديان بل هو دين الله الذي أخذ به الأمم السابقة فضلوا فضربهم بأنواع من عذابه في الدنيا ، واستبقى لهم مالا نهاية له من الشقاء في الآخرة، ظهر فيهم بصور مختلفة، ثم جاء في أكمل صورة ببعثة خاتم الأنبياء ، مستتما لنوره، مكملا لأمره، لتقوم به الحجة وتتضح به المحجة، وأصحب هذا القول بألف دليل كلها أوضح من الشمس ، وأنفى للشك من ضوء البدر لظلام الليل - رأيت علة واحدة تهدم كل مابنى من الأدلة وهي :لو كان الاسلام دينا صحيحا ماوجدنا أهله المستمسكين به (في زعمهم) على مانرى من

فساد الاخلاق وسقوط الهمم وضلال العقول ،هكذا أيها الحبيب أصبحنا فتنة للذين كفروا والله ينبهنا على ماصرنا اليه بتعليمه ايانا كيف ندعوه اذ يقول(ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) وما كان تعليمه الدعاء الا لنتوسل بالعمل الى ما نطالب منه ؛ ثم ندعوه المعونة على مانقصد من موافقة رضاه .فلو فقه المسلم لابتعد جهده عما يجعله فتنة للكافر ، وجعل ورده ليله ونهاره (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) ولكان همه في أن يكون بكماله قذى في عين أعدائه ، لا أن يكون حقيراً في أعينهم ،ضحكة لهم في محافلهم .

ولقد حدث في هذه الأيام الأخيرة أن قسيسا انكليزيا[1] هداه البحث الى شيء من محاسن دين الاسلام فأخذ يبث ماعلم في الجرائد الانكليزية وفي المحافل الدينية في انكلترا ، الا انه يصعب عليه أن يعلن اسلامه ، ويصرح بحقيقة إيمانه لانه يخاف ان تطول اليه أيدي الاعتداء من قومه وهو يدعو الى الاسلام تحت حجاب انه لايخالف المسيحية الحقيقية بل هو متمم لها،وله فيما يدعو اليه شيعة تنمو في لندرا ،وبيننا وبينه مخاطبات لتشجيعه وتقريبه من حقيقة الايمان ، ولا نعلم اليوم ماذا يكون من نهاية أمره ، وله معارضون كثيرون من الانكليز وغيرهم ، واذا تقصيت البحث في جميع حججهم لاتجد في مقدماتها الا مايكون راجعاً الى ماعليه المسلمون الآن من الاخلاق والعوائد والافكار ، وكلما جاء الرجل لهم بشيء من أحكام كتاب الله أو بأثر من آثار المسلمين الاولين ، رأيت أولئك الجاحدين يقابلونه بأحكام يعدها المسلمون من حدود دينهم، ويعولون عليها في أعمالهم، وهي مقصية لهم عن الكمال ،ساقطة بهم عن أدنى مراتب الرجال ،فكلما ردهم الى الله ورسوله ردوه الى أحوال المنتسبين الى هذا الدين القويم ، وهم عاره ، وبهم يهدم مناره، وتخفى آثاره ،لو بقي في أيديهم أمره، غير اني أرى الله سيحول أمر دينه عن هؤلاء الذين لبسوا على أنفسهم،وانقلبوا فتنة لغيرهم ، ثم ينتقم منهم بأيدي الظالمين والصالحين (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ــ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم * ثم لايكونوا أمثالكم) فهنيئا لمن أعد نفسه ، وسبق تعسه ،

(١) هو اسحق طيلر وفي الكتاب بعض مكتوبات الاستاذ له

فشحذ همته، وطهر نيته وقوّم ارادته واستجمع عزيمته ، للقاء ركب الله الذي سيفد عليه، فيكون اما راجلا في مشاته ، أو فارسا من كماته، أو خادما في حاجاته ، أو سيدا في رياساته ، ولا يكون شيئاً من ذلك حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من نفسه وحتى يكون كتاب الله أصدق الشاهدين له لا عليه ، وحاشا كتاب الله أن تشهد الا لمن لبى دعوته، وقبل شهادته ، ونصبه اماما في محراب الوجود يتبعه ببصره ، ويحذوه في سيره ، يقوم اذا قام ويقعد اذا قعد يعظم ماعظم ويحقر ماحقر ويطلق ماأطلق ويقيد ماقيد ، ثم أقام له من زواجره خطيباً على قلبه ، وواعظاً يصدع بأمر ربه، على منبر لبه ، يعلمه اذا جهل ، ويوقظه اذا غفل ، ويذكره اذا ذهل ، ويحثه اذا كسل، ويسرع به اذا أبطأ ، وينهضه اذ تلكأ ، ويستلفته الى الصواب اذا أخطأ ، يهديه اذا تحير ، ولا يعدو به الخير اذا تخير ، يرد جماحه اذا جمح ، ويكف من غربه اذا طمح، حتى يقيمه على الصراط السوي ويصعد به الى المقام العلي، وكيف يستعمر القرآن قلبا تشغله الاهواء الباطلة؟ وتستوكره الرغائب الزائلة . ان القرآن طاهر لا يجاور الا طاهرا ، وقويم يأبي أن يساكن جائرا ، زكي لا يأنس للأرجاس علي يأنف من مقاربة الادناس . فلا عجب اذا استوبل المقام في هذه القلوب المحتشية بالعيوب وتركها وشياطين الوساوس تخبط بها في مخاري الدنيا ومهالك الآخرة .

ياعجبا لمن يدعي الاسلام وهو يعرف من نفسه ان أمراً لوجاءه من أصغر الحكام عليه بلغة غير لغته لما قرت له راحة ، ولا اطمأنت به نفس ، حتى يقف على ترجمته ولا يكتفي بمترجم واحد حتى تكون ثقته به كثقته بنفسه والا راجع ثانيا وثالثا طلباً لدقائق المعاني لا يفوته شيء مما حواه امر آمره فيقع في مخالفته الى غير هواه وكلما عظم مكان الآمر اشتد الحرص على استجلاء مراده ، خشية الوقوع في حداده ، أو مايبعث الظن الى التحرش بعناده ، وقد يكون الامر مما يضره ولا ينفعه، ويخفضه ولا يرفعه، كل ذلك للبعد عن مساخطه والارتياح الى مراضيه — هذا وهو يزعم الاعتقاد بان القابض على ناصية أمره هو الله سبحانه وتعالى وهو المقلب لقلبه والآخذ بعنان إرادته . ثم هذا أمر سام ورد له من علي متعال ، رب الارباب ومخضع الرقاب، قهار السموات والارض ، الذي لا ترد مشيئته ، ولا تخالف إرادته،

الكتاب المجيد يتجلى به في منازل الرحمة، ويستفيض من ديم النعمة، ويقيم به على السعادة أعلاما ، ويضع لاجتناء ثمر الكرامة أحكاما ، ويعد المستجيبين لأمره هذا — وهو القادر على كل شيء — أن يمكن لهم في الأرض ، ويخدمهم أهلها ، ويجعلهم الأعلين فيها ، وأن تكون عزتهم مقرونة بعزة الله ورسوله ، وأن لا يبيد سلطانهم ، ما ثبت إيمانهم ، ولم يَشُبْهُ كفرانهم ، كما قال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)

وليس في المواعيد السماوية أصرح مما وعد الله في كتابه المبين ، ولا أقطع للشبهة منه . ثم زادهم على ذلك نعيما أبديا ، وأوعدهم في المخالفة خزيا دنيويا ، وشقاء سرمديا ، والذين يكفرون ، وسجل عليهم أنهم الفاسقون ، هم الذين تبطرهم النعم فتستنزلهم عن مقامات الشكر . ثم تنتابهم الغفلة فيعدلون عن سبيل الذكر الحكيم ، ومن فسق عن أمره ، أحلّ به غضبه ، وأنفذ فيه عامل انتقامه ، وسلبه ملابس إنعامه ، اما بشقي مثله ، أو وليّ من أهله . ثم ضاعف له العذاب يوم القيامة ، وأخلده فيها مهانا ، إلا أن يتوب فيغفر له ما قد سلف . ويعلم المخدوع أن صاحب هذا الأمر العليّ مطلع على السرائر ، بادية لعلمه صفحات الضمائر . ومع هذا وذاك لا يتفهم أحكامه ، ولا يتبع اعلامه، وينبذه وراء ظهره ، كأن لا علاقة له بنهيه وأمره ، ويمني نفسه أن ينال ما ادَّخر الله لأوليائه إذ قصرت همته عن نيل سعادة الدنيا ليتنعم به في الآخرة ، شهوة تحول دونها أعماله ، وأحلاماً تنافي صدقها أحواله . وما أعجب حال من يزعم الايمان بالله ولا تفني أهواؤه في إرادته ، ولا تضمحل نشزات طبعه لمهابته ، ولا تتضاءل عزائم نفسه لعظمته ، ولا يجعل القسم الأعظم من حياته للسعي في مرضاته ، ولا يبذل من نفسه وماله ما لا يخسره في مآله .

حدثني عن اليائسين من علية (ق) — وأشباههم فهؤلاء لم ييأسوا من الله، حتى ساء به ظنهم ، وما ساء ظنهم حتى انتقض ايمانهم ، فحالهم حال القائلين (ما

وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) ورويت لي عن أهل النفرة سكنة (س) فهؤلاء بقيت فيهم بقية لابدّ أن يؤيدوها بالعمل ، ولا مكمل لما بقي فيهم الا رجوعهم الى الله ورسوله، ولن يرجعوا اليه حتى يكون مزاج وحدتهم وحبل اعتصامهم كتاب الله ، يهزون به هممهم، ويلمون به شعثهم ، ويشهدون الله أنهم نصروه في الأحوال والأعمال ، فينصرهم في مواطن الجلاد ومواقع الجدال

إن كنت وثقت بشيخ الاسلام الذي ذكرته لخذ العهد عليه ، وسق اليه ببعض كتابي هذا أو بكله إن رأيت ذلك ملائما لحاله ، والا فزدني فيه بصيرة فاكتب اليه بما يلهمه الله

وافني بكتبك بما أمكن من السرعة ، ولا تبطىء عليّ بعد الآن والسلام

مسالة صفات الله تعالى وعلوه على خلقه

بين النفي والاثبات

﴿ جواب سؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية ﴾

رحمه الله تعالى

(الوجه الثاني) في تبيين وجوب الاقرار بالاثبات، علو الله على السموات أن يقال: من المعلوم أن الله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة وأن الله أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء وان معرفة مايستحقه لله وما تنزه عنه هو من أجل أمور الدين وأعظم أصوله وأن بيان هذ وتفصيله أولى من كل شيء فكيف يجوز أن يكون هذا الباب لم يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفصله ولم يعلم أمته ما يقولون في هذا الباب ؟ وكيف

يكون الدين قد كمل وقد تركوا على البيضاء ولا يدرون بماذا يعرفون ربهم أبما تقوله النفاة، أو بأقوال أهل الاثبات ؟

(الثالث) أن يقال كل من فيه أدنى محبة للعلم او ادنى محبة للعبادة لابد أن يخطر بقلبه هـذا الباب ويقصد فيـه الحق ومعرفة الخطأ من الصواب، فلا يتصور أن يكون الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين عن هذا لا يسألون عنه، ولا يشتاقون الى معرفته، ولا تطلب قلوبهم الحق منه ، وهم ليـلا ونهارا يتوجهون بقلوبهم اليـه ويدعونه تضرعا وخيفة ورغبا ورهبا، والقلوب مجبولة مفطورة على طلب العلم. فهذا ومعرفة الحق فيه وهي مشتاقة اليه أكثر من شوقها الى كثير من الامور ومع الارادة الجازمة والقدرة يجب حصول المراد وهم قادرون على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وسؤال بعضهم بعضا، وقد سألوه عما هو دون هذا: سألوه هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فأجابهم ، وسأله ابو رزين: أيضحك ربنا ؟ فقال نعم: فقال : لن نعـدم من رب يضحك خيرا. ثم انهم لما سألوه عن الرؤية قال «انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر» فشبه الرؤية بالرؤية. والنفاة لا يقولون يرى كما ترى الشمس والقمر بل قولهم الحقيقي انه لا يرى بحال ومن قال يرى موافقة لاهل الاثبات ومنافقة لهم فسر الرؤية بمزيد علم فلا تكون كرؤية الشمس والقمر

والمقصود هنا انهم لابد أن يسألوا عن ربهم الذي يعبدونه — ان كان ماتقوله الجهمية حقا — واذا سألوه فلا بد أن يجيبهم . ومن المعلوم بالاضطرار أن ماتقوله الجهمية النفاة لم ينقله عنه أحد من أهل التبليغ عنه وانما نقلوا عنه مايوافق قول أهل الاثبات

(الوجه الرابع) ان يقال إما أن يكون الله يحب منا ان نعتقد قول النفاة أو نعتقد قول اهل الاثبات اولا نعتقد واحدا منهما. فان كان مطلوبه منا اعتقاد قول النفاة وهو انه لاداخل العالم ولاخارجه وانه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله ، وأن محمدا لم يعرج به الى الله وانما عرج به الى السموات فقط لا الى الله، فان الملائكة لا تعرج الى الله بل الى ملكوته، وان الله لا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ، وأمثال ذلك وان كانوا يعبرون عن ذلك بعبارات مبتدعة فيها اجمال وابهام وايهام كقولهم ليس بمتحيز ولا جسم ولا جوهر ولا هو في جهة ولا مكان وامثال هذه العبارات التي تفهم منها العامة تنزيه الرب تعالى عن النقائص ، ومقصدهم هم انه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله يعبد ، ولا عرج بالرسول الى الله وانما المقصود انه ان كان الذي يحبه الله لنا ان نعتقد هذا النفي فالصحابة والتابعون افضل منا فقد كانوا يعتقدون هذا النفي والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتقده، واذا كان الله ورسوله يرضاه لنا وهو إما واجب علينا أو مستحب لنا فلا بد أن يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو واجب علينا، ويدنينا الى ماهو مستحب لنا، ولا بد أن يظهر عنه وعن المؤمنين مافيه اثبات لمحبوب الله ومرضاته وما يقرب اليه لاسيما مع قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) لاسيما والجهمية تجعل هذا أصل الدين وهو عندهم التوحيد الذي لا يخالفه الا شقي فكيف لا يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته التوحيد ؟ وكيف لا يكون التوحيد معروفا عند الصحابة والتابعين ؟ والفلاسفة والمعتزلة ومن اتبعهم يسمون مذهب النفاة التوحيد وقد

سمى صاحب المرشدة أصحابه الموحدين اذ عندهم مذهب النفاة هو التوحيد ، واذا كان كذلك كان من المعلوم انه لا بد أن يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد علم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يتكلموا بمذهب النفاة . فعلم أنه ليس بواجب ولا مستحب بل علم أنه ليس من التوحيد الذي شرعه الله تعالى لعباده

وان كان يحب منا مذهب الاثبات وهو الذي أمرنا به فلا بد ايضاً ان يبين ذلك لنا ومعلوم ان في الكتاب والسنة من اثبات العلو والصفات أعظم مما فيهما من اثبات الوضوء والتيمم والصيام وتحريم ذوات المحارم وخبيث المطاعم ونحو ذلك من الشرائع . فعلى قول أهل الاثبات يكون الدين كاملا ، والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا مبينا والتوحيد عند السلف مشهوراً معروفا . والكتاب والسنة يصدق بعضه بعضاً والسلف خير هذه الامة ، وطريقهم أفضل الطرق ، والقرآن كله حق ليس فيه إضلال ، ولا دل على كفر ومحال ، بل هو الشفاء والهدى والنور . وهذه كلها لوازم ملتزمة ونتائج مقبولة فقولهم مؤتلف غير مختلف ومقبول غير مردود

وان كان الذي يحبه الله ألا نثبت ولا ننفي بل نبقى في الجهل البسيط وفي ظلمات بعضها فوق بعض لا نفرق الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال ولا الصدق من الكذب بل نقف بين المثبتة والنفاة موقف الشاكين الحيارى (مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) لا مصدقين ولا مكذبين — لزم من ذلك أن يكون الله يحب منا عدم العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعدم العلم بما يستحقه الله سبحانه وتعالى من الصفات التامات ، وعدم العلم بالحق من الباطل ، ويحب منا الحيرة والشك ،

ومن المعلوم ان الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال وانما يحب الدين والعلم واليقين . وقد ذم الحيرة بقوله تعالى (قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذهدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى : ائتنا . قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين * وأن اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون) وقد أمرنا الله تعالى أن نقول (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » فهو يسأل ربه ان يهديه لما اختلف فيه من الحق ، فكيف يكون محبوب الله عدم الهدى في مسائل الخلاف ؟ وقد قال الله له (وقل رب زدني علما) وما يذكره بعض الناس عنه انه قال « زدني فيك تحيرا » كذب باتفاق أهل العلم بحديثه ، بل هذا سؤال من هو حائر وقد سأل المزيد من الحيرة ولا يجوز لاحد أن يسأل ويدعو بزيد الحيرة اذا كان حائراً بل يسأل الهدى والعلم ، فكيف بمن هو هادي الخلق من الضلال وانما ينقل هذا عن بعض الشيوخ الذين لا يقتدى بهم في مثل هذا إن صح النقل عنه فهذا يلزم عليه امور

(أحدها) ان من قال هذا فعليه ان ينكر على النفاة فانهم ابتدعوا الفاظا ومعاني لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة . وأما المثبتة اذا اقتصروا على النصوص فليس له الانكار عليهم . وهؤلاء الواقفة هم في الباطن

يوافقون النفاة او يقرونهم ، وانما يعارضون المثبتة فعلم انهم أقروا أهل البدعة ، وعادوا أهل السنة

(الثاني) ان يقال عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحب الله ورسوله فهذا القول باطل

(الثالث) ان يقال الشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين غاية ما في الباب أن من لم يكن عنده علم بالنفي ولا الاثبات يسكت

فاما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس للواقف الشاك الحائر ان ينكر على العالم الجازم المستبصر المتبع الرسول العالم بالمنقول والمعقول

(الرابع) ان يقال السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة وقالوا بالاثبات وافصحوا به ، وكلامهم في الاثبات والانكار على النفاة اكثر من ان يمكن اثباته في هذا المكان وكلام الائمة المشاهير مثل مالك والثوري والاوزاعي وابي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابي عبيدة وائمة اصحاب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد موجود كثير لا يحصيه احد

وجواب مالك في ذلك صريح في الاثبات فان السائل قال له يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، وفي لفظ: استواؤه معلوم او معقول، والكيف غير معقول والايمان به واجب ، السؤال عنه بدعة. فقد اخبر رضي الله عنه بأن نفس الاستواء معلوم وان كيفية الاستواء مجهولة وهذا بعينه قول اهل الاثبات

واما النفاة فما يثبتون استواء حتى تجهل كيفيته بل عند هذا القائل الشاك وامثاله ان الاستواء مجهول غير معلوم وان كان الاستواء مجهولا لم يحتج ان يقال الكيف مجهول لاسيما اذا كان الاستواء منفيا فالمنفي المعدوم لا كيفية له حتى يقال هي مجهولة أومعلومة وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء وانه معلوم وان له كيفية لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن. ولهذا بدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية ، فان السؤال انما يكون عن امر معلوم لنا ونحن لانعلم كيفية استوائه وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا يبين ذلك ان المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك انه قال الله في السماء وعلمه في كل مكان حتى ذكر ذلك مكي في كتاب التفسير الذي جمعه من كلام مالك ونقله أبو عمر والطلمنكي وابو عمر بن عبد البر وابن أبي زيد في المختصر وغير واحد ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل هذا الا اثبات.

والقول الذي قاله مالك قاله قبله ربيعة بن عبد الرحمن شيخه كما رواه عنه سفيان بن عيينة وقال عبد العزيز بن عبد الله ابن ابى سلمة الماجشوني كلاما طويلا يقرر مذهب الاثبات ويرد على النفاة وقد ذكرناه في غير هذا الموضع

وكلام المالكية فى ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم وكلام ائمة المالكية وقدمائهم في الاثبات كثير مشهور لان علماءهم حكوا اجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه . وابن أبي زيد انما ذكر ماذكره سائر أئمة السنة ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن ابي زيد في هذا وهو انما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين لانه عند أئمة السنة من الاعتقادات التى يلقنها كل أحد . ولم يرد على ابن ابي زيد في هذا

الا من كان من اتباع الجهمية النفاة لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ولا أنه مخالف للكتاب والسنة ،ولكن زعم من خالف ابن ابي زيد وامثاله انما خالفه مخالف للعقل (١) وقالوا إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن الكلام الذي يعرف فيه مايجوز على الله ومالا يجوز. والذي أنكروا على ابن أبي زيد وامثاله من المتأخرين تلقوا هذا الانكار عن متأخري الاشعرية كابي المعالي وأتباعه وهؤلاء تلقوا هذا الانكار عن الاصول التي شركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية ، فالجهمية من المعتزلة وغيرهم هم أصل هذا الانكار

وسلف الامة وأئمتها متفقون على الاثبات ، رادون على الواقفة والنفاة ،مثل مارواه البيهقي وغيره عن الاوزاعي قال : كنا — والتابعون متوافرون — نقول: ان الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته

وقال أبو مطيع البلخي في كتاب الفقه الاكبر سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض ، قال: كفر ،لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموانه ، فقلت انه يقول على العرش ولكن لاأدري العرش في السماء أو في الارض ، فقال انه إذا أنكر أنه في السماء كفر،لانه تعالى في أعلى عليين، وانه يُدعى من أعلى لا من اسفل . قال عبد الله بن نافع كان مالك بن انس يقول : الله في السماء وعلمه كل مكان . وقال معدان : سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم) قال علمه . وقال حماد بن زيد فيما ثبت عنه من غير وجه رواه ابن ابي حاتم والبخاري وعبد الله بن احمد وغيرهم :انما يدور كلام الجهمية على ان يقولوا ليس في السماء شيء . وقال علي بن الحسن بن شقيق قلت

(١) كذا في الاصل وفي هامشه الظاهر : إنما خالفه لمخالفته العقل

لعبد الله بن المبارك بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . قلت بحد ؟ قال : بحد لا يعلمه غيره ، وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه ، وهو نظر صحيح ثابت عن احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغير واحد من الائمة . وقال رجل لعبد الله بن المبارك يا ابا عبدالرحمن قد خفت الله من كثرة ما ادعو على الجهمية . قال لا تخف فانهم يزعمون ان إلهك الذي في السماء ليس بشيء . وقال جرير بن عبدالحميد . كلام الجهمية اوله شهد وآخره سم ، وانما يحاولون ان يقولوا ليس في السماء إله . رواه ابن ابي حاتم ورواه هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبدالرحمن بن مهدي قال : ان الجهمية ارادوا أن ينفوا ان يكون الله كلم موسى بن عمران ، وان يكون على العرش ، ارى ان يستتابوا فان تابوا والا ضربت اعناقهم . وقال يزيد بن هارون من زعم ان الله على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي . وقال سعيد بن عامر الضبعي — وذكر عنده الجهمية فقال — هم شر قول من اليهود والنصارى ، قد اجمع اهل الاديان مع المسلمين ان الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء . وقال عباد بن العوام الواسطي قال : كلمت بشر المريسي واصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى ان يقولوا ليس في السماء شيء ، ارى ان لا يناكحوا ولا يوارثوا . وهذا كثير من كلامهم

(للكلام بقية)

الصحة

تأليف ترجمة



زعيم الهندوس الاكبر الاستاذ الشيخ عبد الرزاق

مهاتما غاندى المليح آبادى

الباب الرابع

الماء

الماء يلي الهواء في المكانة والمنفعة . فالانسان يستطيع أن يعيش بدونه بضعة أيام . ولا بد له منه على كل حال . ويمكنه أن يعيش بدون غذاء مدة أكثر من المدة التي يستطيع أن يعيشها بدون الماء . إن نسبة الماء الى غيره في أغذيتنا أكثر من ٧٠ في المائة ، وهو يوجد بمثل هذا المقدار في الجسم الانساني ، واذا حرم منه ينقص ثقله كثيراً

ولكنا مع شدة حاجتنا الى الماء قلما نبالي بالمحافظة على نقائه ونظافته . إن الطاعون والهيضة وغيرهما من الأوبئة الجارفة تنشأ من فساد الهواء والماء وكذلك يتولد مرض الحصاة (النواة) في المثانة من شرب الماء القذر

يفسد الماء بسببين : فهو إما أن يكون في مكان مفسد له ، وإما أن نفسده نحن بأنفسنا . فأما الماء المجتمع في المكان القذر فيجب الحذر من شربه ، ونحن نحترز منه فعلا ، ولكنا لا نشمئز من شرب الماء الذي أفسدناه نحن بأيدينا . فماء الأنهار الذي يعد أصلح المياه للشرب نفسده بالقاء أنواع الأقذار فيه ، وكذلك نغتسل ونغسل الأثواب الوسخة فيه . يجب أن نحذر كل الحذر من شرب الماء الذي يغتسل فيه الناس . ويجب أن نخصص الجهة العليا من النهر للشرب وحده ، ونترك الجهة السفلى للاغتسال وغسل الأشياء الوسخة . أما

البلاد التي لا يتبع فيها هذا النظام فقد تعوّد كثير من الناس هناك عادة حسنة وهي أنهم يحفرون حفرة في الرمل على طرف النهر ويأخذون منها الماء لشربهم وهذا الماء يكون نظيفاً جداً ، لأنه يصفو وينظف برشحه من غربال (مصفاة) الرمل

ان شرب ماء الآبار يحدث ضرراً كبيراً اذا لم تكن البئر مبنية بناء محكمًا . فتقاطر الماء الوسخ من فوقه ، وسقوط الطيور والهوام وتعفنها فيه ، واتخاذ الطيور أوكارها في داخله ، كل ذلك يفسد ماءه . وكذلك قد تتسرب اليه الوساخات والرطوبات من باطن الأرض فتفسده وتجعله غير صالح للشرب ، فيجب علينا أن نحترس كثيراً في شرب ماء الآبار

وكذلك خزن المياه في الأحواض الوسخة المكشوفة تفسده ، فللمحافظة على نقائه يجب تنظيف الأحواض حيناً بعد حين وتغطيتها ، ويجب أن نراعي ونلاحظ الأحواض والآبار هل هي في حالة حسنة أم لا ؟ ومن المؤسفات أن قليلا من الناس يراعي طهارة الماء مراعاة تامة

وأحسن طريقة لازالة كل مايطرأ على الماء من الفساد هي أن يغلى جيداً ويصفى بعد برده في قماش سميك نظيف الى اناء آخر بكل احتياط . لاتنتهي وظيفتنا عند هذا الحد ، بل علينا واجب آخر أكبر من هذا الواجب وهو أن نراعي صحة أبناء جنسنا أيضاً فنجتنب كل ما من شأنه إفساد الماء الذي يشربه الناس بنحو الاغتسال أو غسل الملابس في موارد العامة للشرب خاصة ، أو قضاء الحاجة والبول على شواطىء الأنهار ، وكذلك إحراق الموتى هنالك وإلقاء رمادها في الماء (١)

مهما يفعل من العناية والاحتياط فان المحافظة التامة على طهارة الماء في غاية العسر لأنه قد يذوب فيه الملح أو يسقط الحشيش وغيره من الأشياء التي اذا بقيت في الماء تعفنت وأفسدته . إن ماء المطر أطهر المياه وأنظفها بلا ريب . ولكنه أيضاً يفسد في أكثر الأحيان قبل وصوله الينا لاختلاطه بالذرات الموجودة في الفضاء . ان الماء النقي له تأثير حسن جداً في الجسم ، ولذلك

(١) هو ما يفعله قوم المؤلف في الهند تعبداً

يهيء الأطباء الماء المقطر لمرضاهم . فالذين يشكون الامساك أكثرهم يشفون بشرب الماء المقطر. لقد جاء في كتاب حديث في (الماء المقطر وطرق استعماله) أن جميع الأمراض يمكن معالجتها بشرب الماء المقطر بطريقة مخصوصة . نعم ان هذا القول لايخلو من المبالغة ، ولكن مما لاريب فيه أن الماء الطاهر من جميع المفسدات يؤثر تأثيراً عظيما جداً في الجسم

لايعرف كثير من الناس أن الماء على نوعين : خفيف وثقيل . فالماء الثقيل هو الذي قد امتزجت فيه بعض الأملاح ! ولذلك لايرغو فيه الصابون كثيراً ، ولا ينضج معه الطعام بسهولة ، ويكون طعمه مالحا ، وطعم الماء الخفيف حلو عذب ،أو على الأقل بدون طعم . ويرى بعض الناس أن شرب الماء الثقيل أولى من شرب الماء الخفيف . ولكن التجارب أثبتت أن الماء الثقيل يضعف قوة الهضم . ولذلك يبدو لنا أن شرب الماء الخفيف بالجملة أحسن وأسلم . إن ماء المطر أصلح أنواع المياه الخفيفة للشرب اذا سلم من الفساد . ان الماء الثقيل اذا أغلي جيداً وترك على النار نحو نصف ساعة من الزمن يعود خفيفاً ، ويصح شربه بعد تقطيره

كثيراً ماسئلت الأطباء هذا السؤال : متي ينبغي شرب الماء ، وما مقدار مايشرب منه ؟ والجواب الوحيد هو أنه لاينبغي لانسان أن يشرب الماء الا اذا عطش ، ولا يشرب الا المقدار الذي يزيل عطشه ، ولا بأس من شربه أثناء الأكل وبعده مباشرة ، ولكن لا ينبغي اساغة اللقم به . ان بشاعة اللقمة واستعصاءها على البلع ، معناه أنها لم تمضغ جيداً أو أن المعدة ليست في حاجة اليها

لاضرورة بل لا حاجة الى شرب الماء في كل وقت، فان في مواد غذائنا مقداراً كبيراً من الماء كما تقدم ، ونحن نزيده في أثناء الطبخ ، فاذن لماذا نحن نعطش ؟ ان الذين لايستعملون في أطعمتهم البهارات والتوابل والبصل وغيرها من الأشياء التي توجب العطش الصناعي قلما يحتاجون الى شرب الماء ، والذين يعطشون كثيراً لابد أن يكونوا مصابين ببعض الأمراض

قد نرغب في شرب الماء من أي نوع كان . وما ذلك الا لأننا نرى بعض

الناس يفعلون ذلك بلا مبالاة فنقلدهم نحن أيضاً . لقد فصلنا جواب هذه المسئلة في باب الهواء

ان في الدم نفسه قوة تقتل كثيراً من الجراثيم السامة التي تدخل فيه ، ولكن يجب تنظيفه واصلاحه مثل ما يصلح حد السيف بالشحذ كلما تثلم بالاستعمال، اذا كنا نشرب الماء الفاسد فلا ينبغي أن نتعجب ان وجدنا دمنا قد تسمم على ممر الايام

الباب الخامس

الغذاء

ان الماء والهواء والحبوب كل هذه الثلاثة داخلة في غذائنا ، ولكنا نعد الحبوب وحدها هو الغذاء ، مع أن الهواء هو أول غذاء لنا ، لأننا لا يمكننا أن نعيش بدونه . ثم يليه الماء الذي هو أهم من الحبوب . وقد أوجدته الطبيعة بكمية كبيرة فنجده بسهولة خلافا للحبوب التي هي في الدرجة الثالثة من غذائنا

لا يمكن وضع القوانين المنضبطة بكل دقة في مسئلة الغذاء . وأي نوع من الغذاء ينبغي استعماله ؟ كم يكون مقداره ؟ وفي أي الأوقات ؟ هذه المسئلة قد اختلف فيها الاطباء اختلافا كبيراً . ان عوائد الناس في البلاد المختلفة متباينة جداً ، حتى ان الغذاء الواحد قد يحدث تأثيرات مختلفة في فردين مختلفين . فعلى ذلك لا يمكن تحديد الغذاء والبت في الأسئلة السابقة . فانه يوجد على الكرة الارضية قوم يأكلون لحوم البشر ، فلحم البشر غذاء لهم . وآخرون يقتاتون بالقاذورات فهي غذاء لهم . ويعيش أقوام على اللبن فهو غذاء لهم ، ويعيش غيرهم على الثمار فهي غذاء لهم

ولكن مع تعذر تحديد الغذاء تحديداً تاما يجب أن نتدبر في المسئلة بكل اهتمام . لا حاجة الى التذكير بأن الجسم لا بقاء له بدون الغذاء ، ولذلك نركب الصعاب ونتحمل المصائب في تحصيله . ثم انه مما لا ريب فيه أن ٩٩ في المائة من الرجال والنساء يأكلون للذة البطن واللسان فقط ، فهم لا يتوقعون أثناء الاكل

للتأمل فى النتائج التي تتبعه بعد تناوله ، ويشرب كثير من الناس المسهلات ويتعاطون الحبوب الهاضمة ليتمكنوا من الاكثار من الاكل ثانية وكذلك يوجد أناس يشحنون بطونهم فوق طاقتهم ثم يستفرغون ما أكلوا ليتمكنوا من الاكل مثل المقدار الاول

ومن الناس من يكثر من الأكل حتى لا يجوع إياما عديدة ، وقد وجد أناس ماتوا لأنهم أكلوا فوق طاقتهم : أقول كل هذا على تجربتي الشخصية . وإني كلما أتفكر في حياتي الماضية أضحك على كثير من أعمالي ولا أتمالك من الاستحياء من بعضها . فقد كنت في تلك الايام المظلمة أشرب الشاي صباحاً ، ثم أتناول الفطور بعده بساعتين أو ثلاث ، ثم أتغدى الساعة الواحدة ، ثم أشرب الشاي ثانية : ثم أجلس للعشاء بين السادسة والسابعة : ولا تسأل عن تعاستي وسوء حالتي في تلك الأيام فقد كانت تستدعي العطف والرحمة : فكان حشو جسمي الكثير من الشحم وقوارير الأدوية لا تبرح يدي . وكنت أكثر من شرب المسهلات وأستعمل الأدوية المقوية لأتمكن من الأكل الكثير وأما قواي العقلية والجسدية فكانت في حالة يرثى لها . فما كنت أملك ثلث نشاطي ومقدرتي على العمل التي أجدها الآن ، مع أني كنت اذ ذاك فى عنفوان شبابي . لاريب أن مثل هذه الحالة تعسة حقاً وإننا لو نتدبر فى الأمر بجدّ وتروّ نجزم بأنها حالة رذلة آثمة مستحقة لكل مقت وتقبيح .

إن الانسان لم يخلق للأكل ولا ينبغي له أن يعيش للأكل . إن وظيفته الحق هي أن يعرف خالقه ويعبده حق عبادته وانما الاكل لتقوية الجسم ليقوم بهذه العبادة لاغير . حتى ان الملاحدة أيضاً يسلمون أننا لا نأكل الا لحفظ الصحة وكل مازاد على ذلك فلا حاجة اليه مطلقاً

انظر الى الطيور والحيوانات تجد أنها لا تأكل لمجرد التمتع باللذة فهي لا تملأ بطونها ملأ ولا تقبل الأكل الا اذا جاعت ولا تأكل إلا القدر الذي يزول به ألم الجوع وتقتصر عليه ثم هي لا تجاوز الغذاء الذي هيئته لها الطبيعة بأيديها فلا تطبخ طعامها ، ولا تغير طعمه بطرق صناعية . فهل يمكن ياترى أن يكون الانسان وحده قد خلق ليعبد لذته ؟ وهل يمكن أن يكون هو وحده قد قدر

عليه الشقاء بالأمراض دائما ؟ إن الحيوانات التي تعيش وتحيا حياة حرة طبيعية لايموت منها أحد بسبب الجوع ، ولا يوجد بينها التمييز بين الفقير والغني — بين الذين يأكلون مرات عديدة في اليوم ، والذين لايجدون الطعام ولا مرة واحدة في يومهم — إن هذا التفاوت والتمايز لا يوجد إلا في البشر وحدهم . ومع ذلك نحن نعدّ أنفسنا أفضل وأعلى من الحيوانات ! لاريب إن الذين يقضون أعمارهم في عبادة بطونهم لأحط من الطيور والبهائم !

إن التدبر العميق يثبت لنا أن جميع الذنوب مثل الكذب والغش والسرقة إنما هي نتائج لازمة لعبوديتنا للذة ، والذي يستطيع أن يملك زمام لذته يستطيع أن يملك بسهولة مشاعره الاخرى . إن كنا نكذب أو نسرق أو نزني تسقط منزلتنا من أعين المجتمع الانساني . ولكن ماأعجب مانرى من أن الناس لايبدون أي اشمئزاز أو تحقير لأولئك الذين يتدينون للذة بطونهم بلا خجل ولا استحياء كأن هذا الاثم لا علاقة له بالاخلاق مطلقاً ! وما ذلك الا لأن أحسن الناس وأكبرهم أيضاً يعبدون لذاتهم

إن جميع المتمدينين يجتنبون مصاحبة الكذابين واللصوص والزناة ، ولكنهم أنفسهم يأكلون فوق كل حد ، ولا يعدون ذلك ذنباً أصلا ! إن الخضوع للذة لا يعد فينا ذنباً لاننا جميعاً نرتكبه ، كما أن اللصوصية لا تعدّ جناية في قرية اللصوص ! وأقبح من كل هذا أننا عوضاً من أن نستحي من هذه العادة نفتخر ونتباهى بها . فنرى عبادة اللذة في الاعراس والافراح والاعياد كوظيفة مقدسة واجبة علينا ، حتى في المآتم لانخجل من القيام بهذا العار الفظيع ! واذا جاءنا ضيف بادرنا الى شحن بطنه بالحلاوى ، واذا لم نقم لاصحابنا وأقاربنا المآدب أولم نشترك في ولائمهم وضيافاتهم كل حين نبوء بسخطهم ، ونكون عرضة لملامتهم ، وإن دعونا أصحابنا الى مائدتنا ثم قصرنا في شحن بطونهم بالاطعمة الثمينة فاننا بلا ريب نعد من البخلاء ! وأما أيام المواسم والاعياد فنرى اعداد الطعام اللذيذ الشهي فيها واجباً كبيراً علينا . لا ريب أن القضية قد انعكست الآن فأصبح الاثم الكبير في الحقيقة محمدة وحسنة في عرفنا . نحن قد زعمنا في مسئلة

الا كل مزاعم باطلة وجعلناها حقائق ، فهي التي لاتسمح لنا بأن نفهم عبوديتنا وبهيميتنا . كيف نخلص أنفسنا من هذه الحالة المحزنة المقلقة ؟ اني أخاف ان توغلت في الجواب أن أخرج من موضوع الصحة ، ولذلك أقف عند القول بأنه يجب على الافراد وعلى الجماعات سواء أن يقفوا جميعاً أمام هذه المسئلة المهمة وقفة المتدبر ، ويتأملوا فيها من الوجهةالصحية فقط

ولننظرفي المسئلة من وجهة أخرى : نحن نشاهد بأعيننا أمراً واقعاًلامشاحة فيه ، وهو أن الطبيعة قد هيئت بنفسها لجميع المخلوقات — سواء فيها الانسان والحيوان والطير والحشرات — غذاء وافراً يكفي لحياتها وبقائها ، هذه هي سنة الطبيعة الابدية ، ان في مملكة الطبيعة لايغفل أحد ، ولا ينسى أحد وظيفته ، ولا يأخذه في أدائها كسل ولا ملل ، ان الشغل كله يؤدّى فيها بغاية الاتقان وفى الوقت المحدّد له بلا تأخير لمحة من البصر ، اننا لو نسعى سعياً صحيحاً دائما فى جعل حياتنا مطابقة لسنن الطبيعة الابدية الثابتة لرأينا بلا شك أنه لايوجد انسان فى هذه المعمورة الواسعة يموت جوعا ، وذلك لان الطبيعة تهيء دائما غذاء وافراً يكفي لتغذية جميع المخلوقات . ومن هنا تعلم أن الذي يأخذ من الغذاء أكثر من نصيبه الاعتيادي، يحرم الآخر من سهمه الشرعي ، أليس هذا الامر واقعاً ؟ أليست مطابخ الملوك والامراء والاغنياء عامة تعدّ من الاطعمة أضعاف حاجتهم وحاجة أتباعهم ؟ هكذا هم يغتصبون غذاء كثيراً من نصيب الفقراء فهل يتعجب بعد هذا ان مات بعض الفقراء جوعا ؟ ان كان هذا صحيحاً (وقد اعترف بهذا الامر الواقع كثير من المفكرين) فمعناه أن كل ماناً كله أكثر من حاجتنا الضرورية ليس الا اختلاساً من بطون الفقراء ، ان كل ماناً كله لمجرد الاستمتاع والالتذاذ لابدّ من أن يهدّد صحتنا بالخطر

بعد هذه التوطئة يمكننا أن نتدبر في الغذاء الاصلح للانسان

حديث عن الجامعة الاحمدية *

المشهورة في بلادنا باسم القاديانية

تمهيد

اتفق لي في السنة الأولى من سني الحرب العامة وأنا في القدس أن تعرفت بشاب هندي اسمه (زين العابدين) من خيرة من عرفت من الشبان علماً وفضلا ، وأدبا وأخلاقا ، وحمية لدينه ، ودفاعا عن يقينه . وقد استحكمت بيني وبينه وشائج الودّ والثقة . وكذلك كان شأنه مع كل من عرفه ، ووقف على جميل سجاياه . وكان يقول انه انما جاء سورية لأجل درس اللغة العربية وتحصيل ملكة الكتابة فيها . وأن جمعيته في الهند البالغ عددها خمسمائة ألف نفس هي التي أوفدته على نفقتها لهذا الغرض . وأن الحرب قد حالت بينه وبين الرجوع إلى بلاده . ثم انقضت الحرب فأوطن دمشق فنذرت به السلطة الانكليزية فساقته إلى مصر وحاكمته بحجة أنه كان يشتغل في أثناء الحرب ضد المصلحة البريطانية . ثم تبرأ وعاد الى بلاده (بنجاب) وجعل يكاتبني حتى زار دمشق في صيف سنة ١٩٢٤ الميرزا بشير الدين زعيم الفرقة الاحمدية الملقب بخليفة المسيح الموعود ومعه كتاب من الصديق (زين العابدين) يخبرني فيه بقدوم الميرزا ويوصيني بحسن استقباله . ففهمت اذ ذاك أن زين العابدين هو من أتباع مسيح البنجاب بل هو (الماكينة) المحركة في ذلك الدولاب . كما فهمت أنه يتولى كتابة السرّ في المسيحية الموعودة ويقوم بشؤون التربية والتعليم في تلك الجامعة الجديدة

ثم كان من أمر (الميرزا بشير الدين) مع أهل دمشق وهياجهم عليه ما كان فغادر الرجل دمشق إلى لندرة لشهود مؤتمر الأديان العام فيها . وفي صيف السنة التالية أي سنة ١٩٢٥ جاء زين العابدين نفسه إلى دمشق ، فرحبت به ، ولم آل جهداً في معاتبته ، ثم لم يكن يضمني واياه مجلس إلا جاء فيه ذكر فرقتهم،

*) للاستاذ الكاتب الشهير صاحب الامضاء

وغريب دعوتهم ، فكنا تارة نجادله ، وطوراً نهازله ، وآونة نعجب منه ، وأحياناً نتافح عنه ، وشدّ ماتمنيت عليه لو تفرغ نحلتهم في قالب إصلاحي جدي ، غير القالب الذي أفرغوها فيه ، فيكون لها من حسن الأثر في التربية العامة ما كان للطرائق الصوفية الحكيمة ، فكان تارة يصغي إلى قولي ويرتاح اليه ، وطوراً يخالفني إلى فكر يريغ مني الموافقة عليه .

أما القصد من مجيئه مع رفيق له من علماء فرقتهم إلى دمشق — فهو أنه يريد إزالة سوء التفاهم الذي كان وقع بين أفاضلها وبين زعيم الفرقة الميرزا (بشير الدين) ويكشف الغموض والابهام عن بعض تعابير وأقوال كانوا يسمعونها منه فيسيئون بها وبه الظن . مع أنها تنطبق في زعمه على تعاليم الاسلام وتلتحم بنصوصه . وقد باشر (زين العابدين) بالفعل وظيفته هذه ونشر بهذا المعنى مقالات في بعض الصحف ، وناظر نفراً من العلماء والشبان ، وكتب رسالة وطبعها في دمشق تتضمن بعض تلك المناظرات ، ثم رأى أن يضع كتابا آخر يكون أغزر مادة وأجمع للفائدة فألفه وسماه (حياة المسيح ووفاته) بالغ نحو (٢١٥) صفحة وقد طبعه في دمشق ووزعه على أصدقائه ومعارفه ، وأهدى منه إلى بعض المشهورين من العلماء والصحافيين ، وقد زارني في داري وقدم إليَّ نسخة منه ، وكلفني بلهجة الصديق المحب أن أكتب كلمة تنشر وتؤثر عنه ، فكتبت هذه الكلمة ، وقد رأيتها خير كلمة تعبر عن الحقيقة ، ويعاتب بها الصديق صديقه ، واخترت (مجلة المنار) لتنشر فيها ، ويكون الصديق الأبرُّ السيد رشيد حكماً ومهيمناً عليها ، وهذه هي الكلمة :

كتاب حياة المسيح ووفاته

طالعت كتابك ياصديقي (زين العابدين) في موضوع (حياة المسيح وموته) بعد أن كلفتني مطالعته وابداء رأيي فيه ، فهاأنا ذا أذكر لك ماكان يجول في نفسي وأنا أتصفحه ، وقد أعرضت في كلمتي هذه عن الاستشهاد بالنصوص الدينية وسرد ماقالوه في تأويلها ، كما أني لم أنازعك فيما ذكرت أنت وأولت من هذا

القبيل — لأنني صرت أعتقد أن إصلاح أمرنا والتوفيق بين فرقنا — معشر المسلمين — عن طريق تلك النصوص وتأويلها أصبح عقيما لا يفيد . فانا أرجح الاصلاح والتوفيق من طريق (المحاكمات) العقلية والاجتماعية والتاريخية ، ثم الاعتبار بحوادث الزمان ، والرجوع إلى نواميس العمران ، فأقول :

إن صاحب دعوتكم (غلام أحمد) يذهب الى أن السيد عيسى عليه السلام أنزل عن الصليب وفيه رمق ثم تداوى وشفي وساح في الارض حتى بلغ كشمير ودفن ثمة فليس هو الآن حيا في السماء بجسده كما يعتقد المسلمون والنصارى . وبالضرورة أنه سوف لا ينزل من السماء في آخر الزمان وانما يقوم من بين المسلمين رجل على سمته وهديه فيلمّ شعث الأمة الاسلامية ويجمع فرقها بعد الشتات وقد ذهب (غلام احمد) إلى أن هذا هو معنى ماورد من نزول السيد عيسى عليه السلام ثم أول جميع النصوص وأرجعها الى هذا المعنى

قد يوجد في أحرار المسلمين المتعلمين اليوم من يقول بما قال به (غلام احمد) بشأن موت المسيح موتا حقيقيا ويؤول الآثار الدالة على نزوله ولكن ليس قولهم هذا من قبيل المتابعة لغلام احمد ومذهبه الموحى اليه به ، وانما هذه الموافقة له جاءت من كون حياة عيسى وصعوده الى السماء ثم نزوله في آخر الزمان هي كسائر العقائد من نوعها التي اعتمد جمهور علمائنا رضي الله عنهم ظاهرها إيمانا بشمول القدرة الالهية .وقد غلب هذا الاعتقاد فيما كان من هذا النوع من مسائل الكلام وشاع حتى دون فى كتب العقائد الاسلامية وان كان يوجد فى علماء الاسلام المتقدمين من يذهب إلى غير ماعليه الجمهور فيؤول ظاهر الآيات ويرجعها الى معان توائم العقل وتكون أظهر التحاما مع النواميس الطبيعية وأمثلة ذلك كثيرة منها:

(١) الكوثر الذي أعطي للنبي صلى الله عليه وسلم في الجنة : المشهور انه نهر جار ، وهناك من يعتقد انه الخير الكثير .

(٢) مسخ الذين اعتدوا في السبت قردة : المشهور أنهم مسخوا حقيقة، وهناك من يقول : إنه مسخ قلوب وأخلاق .

(٣) كرسي الله وعرشه : المشهور انه جسم مادي في أعلى السماوات ،

وهناك من يعتقد له معنى مجازياً كالعظمة والسلطة .

(٤) النفخ في الصور : المشهور أنه بوق حقيقي ينفخ فيه يوم القيامة، وهناك من يعتقد انه كناية عن اعلان الأمر وإشهاره

(٥) وزن الأعمال يوم القيامة : المشهور انه وزن حقيقي بميزان ذي لسان وكفتين . وهناك من يعتقد ان المراد بالوزن القضاء العادل ، وقال الطبري انه قول مجاهد

إلى غير ذلك من المسائل ، ومن جملتها مسألة حياة عيسى بجسده العنصري في السماء ونزوله منها ، وما دام ابن عباس يقول (كما في تفسير الطبري) ان المراد بقوله تعالى (متوفيك) مميتك لاجرم أن يوجد في المسلمين من يقول بموته اتباعاً لابن عباس لا اتباعاً لوحي (غلام أحمد) إذ أن المسألة مسألة فهم في الدين فهي لاتحتاج الى عناء دعوى الوحي أو نزول ملك من أجلها

غير ان الواحد من هؤلاء المخالفين للجمهور لا يصرح بما يذهب اليه في أمثال ماذكرنا أمام الناس خشية تشنيعهم عليه ، فهو يدع الناس في غفلاتهم ويعتقد هو أمراً ان كان يخالفهم فيه فربما كان موافقا لبعض علماء السلف أو لعلماء المعتزلة الذين هم من أهل قبلتنا ، وليسوا بخارجين عن ملتنا

أما حضرة (غلام أحمد) فقد وجد من بيئة الهند وعقلية سكانها ومن ذلك الوسط المشبع بالحرية الفكرية التي أيدتها السلطة الانكليزية — ما ساعده على الجهر برأيه في موت المسيح، لاسيما أن (غلام أحمد) في صدد ادعاء الوحي لنفسه وانه هو المسيح الموعود ليتوصل بذلك إلى افحام أعدائه المبشرين (؟)

فعيسى إذاً ميت على مايُفهم من قول ابن عباس وهو مااستند عليه غلام أحمد في دعوته ، وربما ذهب مذهبه طائفة من أحرار علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين كما قلنا

أما ان عيسى كان موته قبل أن يُصلب أو وهو على الصليب أو أنزل عن الصليب حياً ثم مات في فلسطين أو في الهند ؟ وفي أي مكان دُفن ؟ فكل هذا لم ينص عليه القرآن بصراحة ، فيبقى بحثا تاريخيا ولكل إنسان أن يذهب فيه

مذهبا يراه صوابا حسب الأدلة التي تتوفر لديه ويقتنع بها

بقي أن يقال : إن هناك آثاراً وأحاديث تدل على ان عيسى سوف ينزل (أي يظهر) فى آخر الزمان فبالطبع تكون هذه الاحاديث مؤولة بأحد طرق التأويل عندالطائفة التي تقول بموته ، ومن هذه التأويل التي تتبادر إلى ذهن كل من له وقوف على العلوم الاسلامية — التأويل الذي ذهب اليه (غلام أحمد) من ظهور رجل من المسلمين فى آخر الزمان يكون على سمت المسيح وهديه فينهض بالمسلمين بعد خمولهم وذهاب ريحهم

ولا ريب أن الأعلق بمصلحة المسلمين أن لا يقال : إن عيسى الذي سيظهر في آخر الزمان هو شخص واحد يقوم في زمان واحد ومكان واحد بل القول الصواب فى ذلك ماقاله (غلام أحمد) نفسه ونقله عنه صديقنا زين العابدين فى كتاب (حياة المسيح ووفاته) صفحة ٢١١ وهذا هو نص قوله بحرفه :

« وأنا كذلك لا أقول إن مقام العيسوية خُتم بي وانطوى ولا يأتي مسيح بعدي . كلا بل اني لأؤمن وأقول مرة بعد أخرى إنه بالامكان أن يجيء أكثر من عشرة آلاف مسيح »

وعلى هذا فالمسحاء الذين يظهرون فى آخر الزمان لهداية الناس كثيرون فى اعتقاد (غلام أحمد) واعتقاده هذا يتفق مع مذهب أهل السنة من انه تعالى (يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها) بناء على أثر وارد فى هذا المعنى

لكن غلام احمد يتسامح فيسمي كل من يقوم فى آخر الزمان للهداية العامة (مسيحاً ومهدياً) كما يسميه (مجدداً) أما أهل السنة فيسمونه (مجدداً) فقط ويحتفظون بلقب (عيسى) و (المهدي) للمجدد الاخير . ويوشك أن نتفق ونجعل الخلاف بيننا وبين (غلام احمد) لفظيا لو لم نره يعود فيخالفنا ويزداد فى التسامح والتساهل فيسمي المجدد (نبياً ورسولا) كما يسميه (مسيحاً ومهدياً) اذاً تكون دائرة التجديد والعيسوية أوسع مما كنا نظن . فالآن وبعد الآن يقوم وسيقوم وسوف يقوم في المسلمين (مجددون ومسحاء ومهديون ورسل وأنبياء)

— ألفاظ مختلفة والمعنى واحد — رجال من المسلمين يظهرون في أوقات متعددة وأمكنة متباينة لهداية المسلمين .

في هذه الدائرة الواسعة وجد (غلام أحمد) لنفسه متبوءاً حسنا فتبوأه . أعطى نفسه كل هذه الحلى والألقاب ، فهو يسمي نفسه في كتبه (نبياً ورسولا) من دون جمجمة ولا تقية . بل الاغرب ان صاحبنا (زين العابدين) لا يذكر اسمه إلا مشفوعاً بالصلاة والسلام عليه ، كما يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم .

ويمكن أن يقال : ماذا يضركم التسامح في إطلاق الألفاظ ؟ فاذا كان (غلام أحمد) يطلق على كل مجدد يظهر في الاسلام اسم (نبي ورسول) كما يطلق عليه اسم (مهدي) و (عيسى) فلنسلم له هذه التسمية تفادياً من النزاع حول الألفاظ . وكل ما في الأمر أننا نسمي المجدد مجدداً فقط . وهو يتسامح كل التسامح ، فيسميه (نبياً ورسولا) ويبني تسامحه هذا على التوسع في أصل المعنى اللغوي للنبوة والرسالة

فنقول في الجواب : نعم ، ولكن (غلام احمد) لايكتفي بما مر ، بل يعود فيفرط إفراطا آخر ، ويزعم أن ذلك المجدد المهدي المسيح النبي الرسول — يتلقى وحياً من الله — وهو بالطبع يريد كل مجدد لا المجدد الذي قام بقاديان وحده . إذ لايتصور أن يبشر بالمجددين ويسميهم أنبياء ومرسلين . ثم يقول : إنهم لايوحى اليهم ، وإنما يوحى اليه هو وحده خاصة

وبعد جدال وحوار طويلين مع (غلام احمد) في مفهوم كلمة (الوحي) الذي يكون لهؤلاء المجددين لغة واصطلاحا — نعود ونقول له : سلمنا بما قلت ولكن

(١) هل هذا الوحي الذي تتلقاه أنت وزملاؤك يكون بتكليم ملك وبصوت مسموع كما كان يوحى الى الأنبياء المذكورين في القرآن ، وخاصة محمداً صلى الله عليه وسلم ؟ فان قال (غلام احمد) إن وحي هؤلاء المجددين المتأخرين ليس بتكليم ملك ، وإنما هو محض إلهام ، ومجرد شعور نفسي ، نسلم له ، ونتفق معه أونكاد نتفق . وإن قال : إن وحينا تتلقاه بواسطة ملك وبصوت مسموع منه فنسأله

(٢) هل إن هذا الوحي (مطلقاً سواء ادعيته إلهاما أو كلاما مسموعا)

هو وحي معصوم لايتطرق اليـه خطأ ولا وهم ، أو أنه قد يخطيء وقد يصيب ؟ فان قال: إنه غير معصوم ، قد يخطيء وقد يصيب ، سلمنا ورضينا وقلنا : هانحن قد اتفقنا أو كدنا. وإن قال: ان وحيه ووحي اخوانه وحي معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ اذا قال ذلك نبلت ونقطع عن الكلام. ثم نعود ونتشدد ونسأله :

(٣) هل وحيكم المعصوم هذا توجبون اتباعه على كل من يبلغه أمره ، أو أن المسلم في وسعه أن يتبعه ، وفي وسعه أن يرفضه ؟ فان قال : في وسـعه أن يتبعه ، وفي وسعه أن يرفضـه ، عاد الينا الأمل بحسن التفاهم ، وان قال : بل يجب على كل مسلم بلغه وحينا أن يؤمن به والا استحق عقابا أخرويا . اذا قال ذلك يعود اليأس فيخامرنا ونرى هوّة واسعة بيننا وبين الرجل ، وبعد سكوت طويل ، وهجر جميل ، نرجع الى (غلام احمد) ثانية فنسأله سؤالا قد يكون جوابه قد فهم مما سبق ، غير أننا نعود اليه زيادة في الاستيثاق والتثبت :

(٤) هـل تستبد أنت وتستعلي على سائر اخوانك المجـددين ، والانبياء المتأخرين ، فتدعي أنك وحدك الذي يجب الايمان به ، واتباع وحيه، وأن الآخرين لا يجب اتباعهم ولا الايمـان بهم ؟ ان قال : نعم أنا وحدي الذي يجب عليكم اتباعه ، ودعناه وانصرفنا بسلام . وان قال : لا ، بل عليكم أن تتبعوا جميع أولئك المسحاء والمهديين المتأخرين

اذا قال ذلك ختمنا الحديث معـه بقولنا : ان المجددين الذين اعترفت بمنصب التجديد (أو بمقام العيسوية كما هي عبارته) وقد ظهروا في عصور مختلفة من تاريخ الاسلام لم نسـمع احدهم ادّعى بأنه يوحى اليه وحياً معصوما ، وأنه يجب على الناس اتباعه ، مع أنهم و (غلام احمد) سواء في المرتبة والمقام ، فلماذا هذا (الامتياز) ؟ دعنا من المجددين المتقدمين ، فان (غلام احمد) قد يقول : ان زمانهم لم يكن آخر الزمان الذي يظهر فيه المسحا المجددون حسبما يفهم من الآثار الدينيـة ، فلم يكن أولئك سوى مجـددين (بسيطين) وليسوا مسحاء موعودين . أجل وماذا يقول في الزعماء الذين قاموا في هذه الأزمنة المتأخرة باسم الهداية العامة ، وقد استنار بهم واهتدى بهديهم خلق كثيرون كالشيخ

محمد بن عبد الوهاب المجدّد في جزيرة العرب ، والسيد احمد السنوسي وابنه المهدي [1] المجددين في قارة أفريقيا والحرمين الشريفين ، وكالسيد جمال الدين الافغاني، وتلميذه الاستاذ الامام اللذين يعتقد مريدوهما أنهما مجددا هذا العصر وغير هؤلاء ممن قام بارشاد وهداية انتفع بها الكثيرون ، ونرى أتباعهم يتفانون في حبهم ، والاعتراف ببلائهم ، وحسن خدمتهم للاسلام ، ويذهب كل منهم الى أن صاحبه هو المجدد الحقيقي المعني فيما ورد من الآثار ؟ نعم ان احداً من هؤلاء المجددين المعاصرين لم يدّع وحياً ولا مهدوية ولا (مقام عيسوية) ولكن لو فرضنا أن أحدهم ادعى هذه الدعوى ، وأيد دعواه بظهور أثر الاصلاح والخير في أتباعه ، وأن له كرامات يسردها له مريدوه (كما يفعل غلام احمد وأتباعه) لو ادعى ذلك فماذا تقول له ؟ وهذا (غلام احمد) نفسه قد بشر بهم ان لم يكن بأعيانهم وأشخاصهم فبمنصبهم (ومقامهم العيسوي) ونحن الآن انما نتكلم عن طبيعة هذا (المقام العيسوي) الذى نحله (غلام احمد) لنفسه ولغيره من المجددين عفواً

لاجرم أن قيام (غلام احمد) بهذه الدعوة ، وما يتوقع من قيام غيره بمثل دعوته يجعل الامة الاسلامية ترتكس — وهي في القرن العشرين — في ظلمات أشبه بظلمات القرون الوسطى . بينا نرى الامم الاخرى تسبح من العلم في أنوار، وتتحصن من العزة والقوّة بأسوار

تنهض الامم الحية في هذا العصر بنبوغ الكثيرين من أبنائها نهضة عمادها الاسباب المعهودة في النهضات التي يعبرون عنها بكلمة (رينسانس) Renaissance وتاريخ هذه النهضات في كل أمة وتطوّراتها ، والعوامل المؤثرة فيها ، مما يدرس للطلاب في المدارس لتقتدي به الأمم المقصرة ، والشعوب المتأخرة ، وقد استفاد من هذه القدوة عدد ليس بقليل من أمم الأرض في الشرق والغرب ، فهي تنهض نهضتها وتلمّ شعثها وتتبوأ مكانها من طريق الاصلاح السياسي والاجتماعي ، ونحن وحدنا معشر المسلمين يحاول قوم منا النهوض إلى مستوى تلك الأمم من طريق ملتو وعر ، من طريق روحاني سماوي ، من طريق نمشي فيه القهقرى ، من

(١) السنوسي الكبير والد المهدي اسمه محمد علي لا أحمد

طريق يؤدي بطبيعته إلى الخلاف والنزاع وتمزيق الشمل والتفرقة بين المسلمين. هذه هي نتيجة دعوى المهدوية الروحانية في عصرنا الحاضر . ومن ينكرها وهي بارزة للعيان ، في كل زمان ومكان ، ولا ينس التماري بمتمهدي السودان .

لماذا لا نصلح اجتماعنا من طريق العلم ، وإصلاح الاخلاق ، وتنوير الافكار ، فتنهض الامة نهضة مشتركة ، كما نهضت حمامات كليلة ودمنة مذ تعاونت على الشبكة؟ أليس هذا الطريق هو الأجدر بنا أن نسلكه بدل ذلك الطريق الملتوي الذي يريد غلام (أحمد) سوق الناس فيه ؟

إذا كانت هذه الدعوى (دعوى الاصلاح الروحاني) تليق بالقرون الماضية بحسب السنن الالهية في استصلاح أهل تلك القرون ، أتراها تروج اليوم وقد اختلفت العقول والافكار ، وتبدل كل شيء حتى كاد يتبدل الليل والنهار ؟

الأمم تتقدم إلى الامام في ثقافتها وعقليتها ونحن نرجع إلى الوراء مئات من السنين

أليس السبيل المطروق الذي سارت فيه أمم العصر للوصول إلى غايتها من العزة والمدنيـة — هو الاصلاح الداخلي وتقوية الوحدة الوطنيـة ونشر العلوم الصحيحة المؤسسة على التجربة والامتحان ، وتقويم التربيتين السياسية والعائلية ؟

هذا هو الطريق الأقوم ، في انهاض الأمم ، التي زالت عن أبصارها غشاوات الوهم ، أما تلك التي مازالت مرتكسة في مهامه الجهالة فربما راجت لديها دعوى الوحي والعصمة والاستمداد من عالم الغيب ، بل يغلو دعاتها إلى أسمى مرتقى من الدعاوي والمزاعم كدعوى البهائيين في زعيمهم الذي اخترعوا له اسم (بهيّ الابهي) وهي مرتبة ربما كانت فوق النبوة والرسالة

ان الخلافة العظمى على خطورة أمرها بين عقائد الاسلام أصبحت الامم الاسلاميـة الناهضة ما تأبى انتحاله خشية أن يسيطر عليها الأجنبي بواسطته ، فما بالك بدعوى المهدوية أو العيسوية التي هي من تقاليد الاسلام لا من عقائده ؟ فان السيطرة الأجنبية إذا تمكنت من قياد مدعيها أمكنها بسهولة أن تبسط سلطانها على الطائفة التي تخضع له ، وتؤمن به

طرق النهضات العصرية التي أشرنا اليها آنفاً وحّد بين أبناء الأمة بخلاف

التجديد من طريق دعوى المهدوية والوحي السماوي فانه أصبح يفرق شمل الامة التي تظهر فيها هذه الدعوى بحيث يجعل كل فرقة في حيز خاص بها ، وبذلك تستفيد الدولة المستعمرة التي تطمع أن يطول أمد استيلائها على تلك الامة

ومايدرينا أن تكون دعوى (غلام أحمد) مما يروق لحكام الهند البريطانيين ويرونه مساعداً على تفريق كلمة المسلمين وفصم عروة وحدتهم ، فيؤدي ذلك بالطبع الى رسوخ قدمهم في البلاد ، ودوام سيطرتهم عليها

ومن لطيف المصادفات اننا قرأنا في الصحف ونحن نكتب هذا المقال خبر ذلك الهندي الوثني الشاب (كريشنا مورتي) الذي ادعى انه (المسيح المنتظر) وقد روّج دعواه هذه جماعة من الأوربيين والأميركين وأنشأوا له معبداً في مدراس ، وعقدوا له فيه مؤتمراً عاما في شهر كانون الأول من سنة ١٩٢٥ شهده نحو عشرين ألفا من الأوربيين والأميركين ، وسيطوفون بمسيحهم هذا أقطار الارض مبشرين ومنذرين ، فلعل السياسة الانكليزية هي التي مهدت الطريق لظهور هذا المسيح الجديد بين وثني الهند فتستفيد من ورائه تفتيت الكتلة الوثنية التي تعب (غاندي) في تكوينها ، كما أنها استفادت من ظهور (غلام أحمد) تمزيق الوحدة الاسلامية التي تسعى الجمعيات لاسيما جمعية الخلافة في تكوينها

هذا ماأردت أن أحدثك به ياصديقي (زين العابدين) ولو كنت من اولئك الجهلة الجامدين ، والاغبياء الجلجلوتيين ، لاعرضت عن خطابك ، ولما أطلت النفس في لومك وعتابك ، ولكنك ذلك العالم الفطن المتنور الذي لا ينسى أنه عاهدني وعاهدته على خدمة القرآن ونصرة تعاليمه ، وما عاهدته يعلم الله على ذلك إلا وأنا أريد أن أخدم القرآن من طريقه المعهود ، لا من طريق المسيح الموعود ، فحقق ظني أيها الاخ بك ، ودع كلمتي هذه تتغلغل إلى موضع الانصاف من نفسك . والسلام

دمشق

المغربي

(المنار) الحق أقول :إن الكاتب قد أطال النّفَس في لوم صديقه وعتابه كما قال ، بل كان شأنه معه في هذا المقال ، كما كان شأنهم معه في ذلك الحوار والجدال ، الذي وصفه بقوله : فكنا تارة نجادله ،وطوراً نهازله ، وآونة نعجب منه ، وأحيانا ننافح عنه . وما حمله على ذلك فيما يظهر إلا ظنه أن صديقه زين العابدين مخلص في دعواه انه هو وأهل نحلته يريدون الاصلاح للمسلمين ، وانه يرجى أن يرجع إلى الحق إذا دعي اليه بالرفق واللين ، وأقيم عليه مالا يمارى فيه من الحجج والبراهين ، فان صدق ظنه اعترفنا باننا كنا في سوء ظننا بجميع القاديانية من المخطئين ، وآمنا بأن أسلوب صديقنا (المغربي) أفضل أساليب المناظرين

كان (غلام أحمد القادياني) يهدي اليَّ كتبه في حياته وكنت أرد عليها ، وأظهر له وللناس بعض ما دونه من الجهل فيها ، وقد ظننت أولا أنه من اولئك الممسوسين ، الذين يتخيلون فيخالون ،ويتمنون فيعتقدون ،فيدعون المهدوية تارة والنبوة أخرى ولا يخلو زمان منهم ،وقد رأينا بعضهم وسمعنا أخبار بعض . وهم من طبقات مختلفة في تربيتها ومعارفها وصفاتها .وربما كان (الباب) منهم لا البهاء ، ولا ولده عباس ذو الكيد والدهاء ،الذي لقب نفسه بعبد البهاء ، ولولا أدب الشرع لبالغت في التجوز فسميته خالق البهاء

وقد ترجح عندي أن القادياني على هوسه وغروره دجال لم يكن يعتقد ما ادعاه ، وانما قصارى هوسه أنه ظن أنه يمكنه أن يقنع كثيراً من الناس بأن بعض كلامه وحي من الله ،وانه بلغ حد الاعجاز ، وقد كان يتعمد خدمة الانكليز بما أشار اليه الكاتب وبزعمه ان فرضية الجهاد قد نسخت على لسانه ،بل كان يدعو الى الاخلاص في الخضوع للانكليز والرضا بسلطانهم ، فهو مفسد في الدين وفي السياسة معا . وله في اطراء الحكومة البريطانية والدعوة الى اخلاص المسلمين لها كلام كثير كله نفاق ، ومنه زعمه ان ملكة الانكليز تفضل الاسلام وترجحه وتساعد على نشره ، كما صرح به في كتابه (حمامة البشرى) وغيره ،

ومن قرأ نظمه ونثره يعلم انه كان قد عني أشد العناية بدراسة اللغة العربية بنفسه ولم يتلقها عن جهابذة علماء فنونها وآدابها ، وأنه سلك اليها المنهج اللاحب

ولكنه لم يصل الى الغاية ، وانه حفظ المعلقات السبع وغيرها من أشعار العرب الخلص والمولدين ، وحفظ مقامات الحريري كلها أو كثيراً منها : وعني بالنظم والنثر ، مع تكلف التزام السجع ، ولما رأى ان النظم والنثر بالعربية دانا له وسهلا عليه على قلة من اشتهر بهما من علماء الهند وأدبائها الذين مارسوا علومها وفنونها في المدارس سنين كثيرة ـ ظن لجهله بفساد ماينظم وينثر انه مؤيد بالالهام ، وبالغ من الفصاحة والبلاغة حد الاعجاز ، وانه يمكنه أن يدعي الوحي ويتحدى علماء الهند بما يكتبه ، فادعى انه هو المهدي المنتظر عند الشيعة والجماهير من سائر المسلمين . وانه هو المسيح الموعود الذي ينتظر المسلمون ظهوره أو نزوله قبيل قيام الساعة ، والذي ينتظره النصارى أيضاً ـ وكذا اليهود ـ ومن أكبر معجزاته أن القمر قد خسف تصديقا له ! !

ألف كتاباً سماه (اعجاز احمدي) وله قصائد اعجازية ايضا وكلها من سخف القول وسقطه، وقد رددنا عليها في عدة مجلدات من المنار في عهده ومن بعده، ولا نعود الى نشر شيء منها ولا سيما نظمه الذي لا يستقيم له وزن ولا يلتزم فيه اعراب وانما نذكر الآن اننا لما رددنا عليه اول مرة كبر عليه الأمر فألف كتابا في الرد على (المنار) سماه (الهدى والتبصرة لمن يرى) هذى فيه هذيان المصروعين ، وتهافت تهافت المعتوهين ، وتناقض تناقض المخبولين، وتوعد توعد القادرين ، او من له ميثاق بالنصر المبين ، من رب العالمين .

قال في (ص ٨ و ٩) بعد ان ذكر ارساله كتاب الاعجاز اليَّ

«ثم لما بلغ كتابي صاحب المنار ، وبلغه معه بعض المكاتيب للاستفسار ، ما اجتنى من ثمرة ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى الكلم والايذاء بالاقلام، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الانام ، وطفق يؤذي ويزوي غير وانٍ في الازراء والالتطام، ولا لاوٍ الى الكرم والاكرام، كما

هو سيرة الكرام، وعمد الي أن يؤلمني ويفضحني في أعين العوام كالا نعام ، فسقط من المنار المنيع وألقى وجوده في الآلام ، ووطئني كالحصى ، واستوقد نار الفتن وحضى ، وقال ما قال وماأمعن كأولي النهى ، وأخلد الى الأرض وما استشرف كأهل التقى، وخرّ بعد ماعلا،وان الخرور شيء عظيم فمابال الذي من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ، أم له في البراعة يد طولى ، سيُهزم فلا يُرى ، نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى »

فقوله « وخرّ بعد ماعلا — إلى قوله — سيُهزم فلا يُرى » وعيد لصاحب المنار بانتقام من الله تعالى لا يبقي له في الوجود عيناً ولا أثراً ، وان الله تعالى هو الذي أنبأه بذلك فيما يوحيه اليه ، فهو لاشك ولا مراء فيه ! !

ولكن نِعم الله الظاهرة والباطنة مازالت تتوالى على صاحب المنار ، وان هذا الدجال هو الذي انهزم وزال من الوجود ، ولم تقر عينه ولا نعم سمعه بمكروه أصاب صاحب المنار ، ولما مات كتبت مذكراً بهذا الوعيد ، وقلت لو انني أُصبت في عهده بسوء ولو مما يصاب به كل الناس لعدّه معجزة له أكبر من خسوف القمر ، وأشد بهاءً من نوره إذا انجلى وأسفر ، ولكان أتباعه يملأون مواضغهم وصحفهم وكتبهم تنويهاً بهذه المعجزة !

فعلينا نحن أن نستدل بما ذكر من خذلان له ، وتكذيب ما ادعى انه نبأ منه، على كذبه في دعواه الوحي والمسيحية ، وهذه الدلالة أقوى من تلك لو وقعت الشبهة ، لأن المصائب تقع على جميع الناس ، وأقوال الدجالين لا تمنع وقوع ما سبقت به الأقدار ، ولكن تخلُّف الوحي الالهي الذي يؤيد الله به أنبياءه ورسله محال ، ولو كان جائزاً لما قامت حجة الله على خلقه بارسالهم (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

سوانح و بوارح (*)

حضارة الاسلام

لا تعُـد بي إلى ربوع الخيام بل أنخها عنـد القصور الفخام
عند صرح الحمرا وفسطاط مصر عند نادي الفيحا ودار السلام
وقفـة يا مطيُّ قرب ثراها لأُحـيي عظام أهـل عظام
لأُحيي الأرواح والعهد قد حـل مـداه عناصر الأجسام
نحن منهم وسوف تجمعنا في ساحة الموت جامعات الرَّغام
ما شذذنا بالخلق عنهم ولكن بشـذوذ الأخلاق والأفهام
هم أباحوا ولوج باب اجتهاد هو نبراس دين خير الأنام
كان نور الهـدى لكل إمام سار بالقوم في طريق الأمام
فانبرينا نقضي على ذلك الفضل بأحمى سهم وأردى حسام
سهم حبِّ الاخمام عن قول حق وحسام الابهام والايهام
وسددنا الأبواب في كل وجه غير وجـه التقليد والالهام
فالمنايا نصـيب كل اجتهاد والأماني تئن تحت الرَّجام
والبلايا لناهض والرزايا لفهـيم والويل للمقـدام
والعطايا لجامـد والتحايا لخمـول والخير للمتعامي
آهْ واحسرة السـلام على ما قد مضى من حضارة الاسلام
ذهب الراشدون والشرع باك لذهاب الأئمـة الأعلام
وتولى على الجديدين عهـد حال دون الاحكام في الأحكام
فبدا الدين كالعروس بأهدام ولا بزة ولا هنـداء
وتبـدَّت للشامتـين ثغور باسمات باللوم والايـلام
أيها اللائمون مهـلا وعـدلا نحن لا الدين باب هذا الملام

---

*) من نظم الاديب البيروتي المشهور السيد عبد الرحيم مصطفى قليلات

نحن لا الدين — وهو بدرٌ تمام سر هـذا الاعتام والاظـلام
قد تعاف الأنعام سوقا وإنا بعـــمانا نساق كالأنعام
وتعاف الأرسان هذي ونرضى بخطام الشـقا وذلّ اللجام
حسبنا عارُ ماجرى من خلاف حسبنا عيب مامضى من خصام
لا صـديق للخلق ياخلق إلا صادق القول صادق الأحلام
فأصيخوا وليت لي من أداة غير هذي الطروس والأقلام
أجود وقد قضت شرعة الدهـ ـر على الجامدين بالاعـدام
نقض هذي الأحكام حان فهيًّا نتهـيـيًّا للنقـض والابرام
بالتاخي نحيا وبالودّ نهـنا ونـنال المرام بعـد المرام
« إن في الدين فسحة »هكذا قا ل نـبيّ الأعراب والأعجام
« يسروا لا تعسروا »كلُّ يسر هو للصالحات أقوى قـوام
« بشروا لا تنفروا » فلقول الـ ـعرف فعلٌ يُزري بفعل المدام
واعملوا مثلما الفرنج بجـدٍّ وثباتٍ وهمـةٍ واهـتمام
راقبوهم وراقبوا كيف سادوا باحتمال الصـعاب والاقدام
وافهموا كيف أنهـم آخذونا بسـنام ومقـود وزمام
أسمَعوا الـكائنات شرقا وغربا واستمعنا للهـو والأنغـام
أظهرو المعجزات برّاً وبحراً وظهـرنا بالعجز والانقسام
سبحوا في الفضاء طولا وعرضاً وسـبحنا في عالم الأوهام
بضليع التحصيل سادوا وسدنا قبـل فكّ الحروف والأرقام
هم لأوطانهم غيوث واسـنا في سماء الأوطان غـير جهام
كـرم الدين بالتساهل فيـه والمداراة مصـدر الاكـرام
والتآخي مقـام كل مقـال والتراضي مقال كل مقـام
فخذوا شارة السماح شـعاراً إنمـا السـمح زينـة الأقوام
وا كتساب القلوب باللين شرط في مجاراة حكمـة الأيام
لا تحـلوا الحرام ، لا بارك الله بمن يسـتحل أي حرام

ما بأسيافنا القصار الدوامي قد غدا مجدنا طويل الدوام
بل بعدل وحكمة واتحاد واقتصاد وألفة ووئام
وصلاة طهورة الورد تنهى عن شرور الفحشاء والآثام
هي للعبد صحة ونشاط وهي لله طاعة باحترام
وصيام اللسان والقلب والجو ف عفافا وفهم سرّ الصيام
فلئن لم نصم عن الشر قطعاً غير مجد صيامنا عن طعام
وزكاة تأتي على عوز المسـ ـكين فينا وشقوة الأيتام
لودرى «الاشتراك» مافي جداها من جزيل الاحسان والانعام
وبنو «البلشفيك» لو عرفوا ما «للصعاليك» من زكاة العام
لرموا «بالنظام» واتخذوها لحياة «الرفاق» خير نظام
أين أعياننا الكرام وأين الـ بر منهم وأين جود الكرام
أين أهل السخا ومن هو فيهم دافع الفقر والطوى والأوام
أين أهل الحجى ومن هو منهم ناصر الحق رافع الآلام
قيدوا سعينا وناموا ولا من حسنات لهم سوى في المنام
واذا حاول الفكاك حميم هددوه وصحبه بالحمام
ورموه بالكفر آناً وبالالـ حاد حيناً ، وتارة بالذام
ولو ان الطبيب أغضى لقالوا فيه مس الشيطان والسرسام
راقب الله يا موارب واعلم أن علم القلوب للعلام
أنا أشكو سقمي الى الله لكن أنت والله أصل هذا السقام
ما هيامي الا بربي وقومي ولساني أفخر به من هيام
أمتي ، ملتي ، بلادي وضادي هنّ قصدي وقصد كل همام
كنت «عبد الرحيم» قبل غرامي وأنا اليوم عبد هذا الغرام
أنا عند الانساب ذاك العظاميّ وعند الالقاب ذاك العصامي
حسنيّ الصفات جدّاً وجدّاً عربيّ الاخوال والاعمام
ليس لي في البلاد خصم وأخصا م بلادي دون الورى أخصامي

ليس لي في القضاء حكم ولا لي … أي رأي في قصة الادغام
ولادغام آل عيسى بآل الـ … ـمصطفى كل خاطري وذمامي
ان في ذا السبيل سهل مسيري … ان في ذا الحديث حلو كلامي
ان في ذا التمام خير تمام … ان في ذا الختام حسن الختام
فسلام على الشفيعين مني … وسلام على محب السلام

أحوال العالم الاسلامي

فتنة ملاحدة الترك في سورية ومصر

(ودُّوا لوْ تكفرونَ كما كفَرُوا فتكونون سواء، فلا تَتَّخذُوا منهم أولياء)

يودّ ملاحدة الكاليين من الترك لو يقتدي بهم مسلمو العرب في العراق وسورية ومصر ، ومسلمو العجم من سائر الترك والتتار والافغان والفرس ، فيتركون الاسلام مثلهم ، ويجعلونهم أئمة في اللادينية لهم ، ويظن أولئك الملاحدة أنهم ينالون بكفرهم من الزعامة في الشرق مالم تنل مثله الدوله العثمانية باسلامها التي يحتقرونها لأجله ، ويحاولون اخفاء ذكرها وذكره ، وتشويه تاريخها وتاريخه ، وهم يبثون الدعوة إلى الالحاد ، ويجرؤن الزنادقة والمرتابين على ترك الاسلام واحتقار تشريعه وآدابه ، ولبس قلانس الافرنج (البرانيط) لأنها الزيّ العام لهم ، والمميزة بين المسلمين وبينهم ، ولأنها مانعة من سجود لا بسها في الصلاة

وقد علمنا والاسف والعجب يملأ القلب أن بعض السوريين والمصريين الذين لا يزالون يحتقرون أنفسهم ويفضلون الترك على قومهم ، ، يميلون إلى تقليدهم في ذلك ، لأنهم مثلهم في الكفر والتعطيل وعدم الشعور بالرابطة الدينية ، ودونهم في النعرة القومية والعصبية الجنسية ، ولو كان لهم كرامة دينية أو قومية لشعروا بكليهما أو بكل منهما أنهم أشرف من الترك وأولى بأن يكونوا قدوة لهم ، فهم أكرم عنصراً وأجل أثراً في الدين والحضارة سواء كانوا من العرب أو من قدماء المصريين .

على أن هؤلاء الملاحدة قلما يثبت لهم نسب صحيح في الشعب التركي الذي

صار عريقاً في الاسلام ، بل هم أوشاب منهم الروسي والرومي والبلقاني واليهودي الاصل ، وقد سلطوا على إفساد هذا الشعب بدعاية العصبية الجنسية ، ومحاولة جعله كأرقى الشعوب الأوربية علماً وحضارة بقوتهم العسكرية ، وترجمتهم للقوانين الأوربية ولبسهم البرنيطة الافرنجية ، وهذا جهل فاضح ، وخبث واضح ، فإن أحوال الامم وأطوارها لاتتبدل بتقليد غيرها في قوانينه وأزيائه ، مع مخالفته لها في تاريخه وتربيته وعقائده ، كما هو معلوم عند علماء الاجتماع

وقد روى لنا الثقات الخبيرون منا ومن الأوربيين أن السواد الاعظم من الترك يمقتون هؤلاء الكماليين ، أشد مما كانوا يمقتون اخوانهم الاتحاديين ، وأنهم يتربصون بهم الدوائر ، بل أكد لنا بعض الذين عاشوا في الاستانة أو الاناضول عدة سنين أن جمهور الشعب التركي كان يتمنى منذ خرج الشريف حسين على الدولة لو تجددت للعرب دولة تنقذهم من الكفر وتستولى على بلادهم ، بل قالوا إنهم صاروا يفضلون أية دولة أوربية على حكومتهم الحاضرة ،

أفليس من العجب أن يكون هذا شعور الترك في وطنهم ، ثم يوجد في سورية من يمتهن نفسه بتقليد ملاحدة الكماليين ، ويطلب التجنس بجنسيتهم الجديدة المذبذبة التي لاثبات لها ولا استقرار ، ويتخلى لأجلها عن دين القرآن ، وهداية الاسلام ، وأشرف لغات الأنام ؟ ؟ (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب . وما الله بغافل عما تعملون)

(آراء الانكليز في العالم الاسلامي)

جاء في برقية من لندن الى الأهرام فى ١٠ ابريل ما ترجمته :

نشرت جريدة (الدايلي نيوز) اليوم مقالا لمكاتب تكلم فيه عن إمكان تأسيس جمعية أمم إسلامية ثم قال :

« إذا تألفت هذه الجمعية فان الاقطاب الذين يسيطرون عليها هم من أعظم الرجال الذين عرفهم العالم فى هذا العصر جرأة وإقداماً وشهرة ، ولا بدّ أن

تقلب الحركات التي يديرونها الآن بين شعوبهم وجه العالم الاسلامى فى خلال ربع القرن المقبل ، ولو لم تتمكن من تأليف جمعية أمم

إن العالم الاسلامي في الوقت الحاضر هو في طور انقلاب عظيم يشبه الطور الذي مرت فيه أوربا عند ماتلاشت الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وخلفت بعدها شعوبا رغب كل منها أولا في الانفصال عن الآخر . فاذا استطاع أولئك الرجال أن يؤلفوا جمعية أمم إسلامية ، ويقيموا منها سداً في وجه السيطرة الاوربية ، فقد تتقوّض أركان الحضارة الغربية »

وهنا تكلم الكاتب عن زعماء العالم الاسلامي وقال « إن عبد الكريم أحد الاقطاب في أقوى حركة موجودة على وجه البسيطة الآن ، وهي الحركة التي التى تقوم بها الامم المحكومة المطالبة بحقها في تقرير مصيرها . على أن الادارة الاستعمارية البالغة منتهى القوة والمقدرة في الجزائر وتونس وطرابلس قد جعلت الحركة القومية في هذه البلدان في منتهى الضعف

وزغلول باشا أول حاكم حكم مصر بعد حصولها على نظام ذاتي بعد ماتغلب الفرس على الفراعنة منذ ٢٤٠٠ سنة ، وهو أول رئيس وزارة منتخب في بلد إسلامي ديموقراطي في التاريخ كله . وقد شهدت بنفسي جماهير غفيرة من الطلبة المسلمين تتدفق كالسيل العرم في شوارع القاهرة ، وتسير إلى منزل زغلول باشا وأصواتها تشق كبد الفضاء بالهتاف له . إن هؤلاء الفتيان ليسوا سوى زبد يعوم على بحار الحركات القومية الزاخرة في العالم الاسلامي . وليس زغلول باشا ومصر سوى نور ضئيل بازاء نيران مصطفى كمال باشا والحركة القومية التركية

ويمثل مصطفى كمال باشا في تركية اللادينية دور موسوليني في إيطالية ، ولكنه مكروه من ابن سعود العاهل العربي العظيم الذي يسير في طليعة الحركة القومية العربية ، وهو زعيمها الحربي . ولعله أقدر وأقوى شخصية ظهرت في العرب منذ عهد النبي الهاشمي ، وهو في الوقت ذاته صديق حميم لبريطانيا

وأما إيران فانها آخر معقل للفتور الذي أصاب العالم الاسلامي ، ولكن الشاه رضا خان يبث فيها الآن روحا قومية جديدة

وفي الهند ثمانية وستون مليونا من المسلمين تقتسمهم حركتان لا يمكن التوفيق بينهما ، فهم يتمسكون بالمبدأ القومي ، فلا بدّ لهم من أن يكونوا هنوداً ، وهم مسلمون ، ولذلك يعدون من ضمن العالم الاسلامي

« وفي جزائر الهند الشرقية الهولاندية ٣٥ مليونا من المسلمين ، يرسلون كل سنة عشرين الفا من الحجاج إلى مكة ، ويعودون منها أعظم تمسكا بالاسلام فالحركة الاسلامية في جاوى تعدّ والحالة هذه من أعظم الحركات حماسة في العالم الاسلامي

فاذا وضعنا هذه الحقائق أمامنا وتأملنا فيها استخرجنا منها ما يأتي :

١ — إن الحركة القومية في العالم الاسلامي قد تفوّقت لأول مرة في التاريخ على رابطة الاخاء في بيت الاسلام ، وانتثرت كنانة مشروع الجامعة الاسلامية القديمة ، وظهرت منها سهام الحركات القومية

٢ — لم يظهر حتى الآن أي دليل على التحالف بين هذه الحركات ، فلا مصطفى كمال باشا ولا الملك ابن سعود يقبل أن يكون الملك فؤاد خليفة

٣ — إذا حاولت الدول الغربية أن تسيطر على هذه الأمم وتستغلها فاننا نسوقها الى تأليف عصبة ضد العالم المسيحي في الغرب

فيجب على سياسة الغرب وتجارته أن يتخليا عن كل رغبة في السيطرة ، ويقبلا موقف التعاون بكل ارتياح واخلاص . ونحن في حاجة ماسة الى مساعدة هذه الشعوب واعداد زعمائها لحكمها حكما ذاتياً سلمياً

ولا شك أن الجامعات الاميركانية في القاهرة والاستانة وأزمير وبيروت قد خطت الخطوات العظمى حتى الآن في هذا السبيل . وفي الكليات والمدارس الانكليزية في فلسطين ومصر والعراق وايران نحو خمسة آلاف طالب قد يخرج منهم زعماء في العالم الاسلامي ، فهم يتعلمون الآن ، ويرقون مواهبهم الطبيعية ، وسيكونون جسراً بين العالم الاسلامي الجديد والعالم المسيحي الجديد » اهـ فليتأمل

﴿ الاحتفال بعيد المقتطف الخمسيني ﴾

جاءنا من سكرتيرة لجنة الاحتفال ما يأتي :

حضرة العلامة صاحب مجلة « المنار » المفضال

أتشرف أن أقدم مع هذا بيان تأليف لجنة مركزية في آخر يونيه سنة ١٩٢٥ للاحتفال بيوبيل المقتطف الذهبي ، والنداء الذي وجهته اللجنة إلى الأدباء والشعراء والعلماء ليشتركوا في هذا اليوبيل . وقد نشرنا هذه الدعوة في مختلف الأقطار الشرقية كفلسطين وشرق الاردن وشبه جزيرة العرب وسورية ولبنان والعراق والجزائر والمغرب الاقصى وتركيا وبلاد الفرس والهند وفي الأقطار الاوربية والامريكية ، فلبى أهل العلم والفضل هذه الدعوة من كل جانب ووافونا بما جادت به القرائح شعراً ونثراً ، مع رسائل الثناء العظيم على هذا المشروع ، والشكر للقائمين به وشدّ أزره ، وقد نوّهت به بعض الصحف التركية والفارسية والهندية والفرنسية والألمانية والايطالية ، علاوة على الصحف العربية العديدة . وكان لدعوتنا ، عدا تلك النفثات التي ستجمع في كتاب « الذكرى » لليوبيل النتائج التالية :

أولا — اكتتاب عام اشتركت فيه الجالية السورية اللبنانية في أمريكا الجنوبية لتقديم هبة تذكارية ، وقد وصلت هذه الهدية ، وهي تمثال فاخر من البرنز ، مقام على قاعدة من المرمر ، وعليها لوحة من الذهب الابريز ، نقش عليها بيتان من الشعر باسم الذين أهدوا الهدية

ثانياً — اكتتاب أهالي حاصبيا في البرازيل لتقديم دواتين وقلمين من الذهب لصاحبي المقتطف

ثالثاً — اشتراك الجامعة الامريكية ببيروت اشتراكا رسمياً في هذا اليوبيل وقرارها أن تقيم احتفالا حافلا في منتداها في نفس اليوم الذي يقام فيه الاحتفال بالقاهرة

رابعاً - اشتراك جمعيات متخرجي الجامعة المذكورة في مختلف الاقطار للاحتفاء باليوبيل كل منها بالطريقة المتيسرة لها

خامساً - اشتراك أهل طرابلس الشام برآسة صاحب مجلة « المباحث » اشتراكا فعلياً ، فيقيمون حفلة في مدينتهم في اليوم الذي يقام فيه الاحتفال في القاهرة

أما الاحتفال في القاهرة فسيقام بعد رمضان المكرم وسيعلن عن الموعد فيما بعد

هذا وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فؤاد الأول أيده الله فشمل هذا اليوبيل برعايته السامية

فالرجاء ياسيدي أن تفسحوا في صحيفتكم الغراء مكانا لهذه التفاصيل بعد نشر نداء اللجنة ليشترك معنا أهل العلم والفضل في مصر ، خدمة للنهضة العلمية الجديدة ، وتقريراً لجهود العاملين

وتقبلوا خالص الشكر سلفاً مع عواطف الاكرام سكرتيرة اللجنة

القاهرة ٢٤ مارس سنة ١٩٢٦ « ميّ »

ترون من النشرة التي مع هذا أن قد تألفت في مصر جماعة للاحتفاء باليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف تقديراً لآثارها العلمية مدة نصف قرن . واختارت من بين أعضائها لجنة تنفيذية لبث الدعوة وتنظيم العمل . واللجنة تودّ أن يشترك في هذا الاحتفاء أبناء العربية في أقطار الارض جميعاً ، لاعتقادها أن ذلك من رغبات أنفسهم

واذا كان الاشتراك بالحضور فعلا غير متيسر للجميع . فاللجنة تدعو العلماء والادباء والشعراء والجمعيات والمعاهد ، والأندية العلمية والأدبية ، والنقابات الصحافية ، وأصحاب المجلات والصحف عامة الى الاشتراك في هذا الاحتفاء بما يتيسر الاشتراك به من الحضور بالفعل ، أو بارسال ما تجود به القرائح من شعر أو نثر يناسب المقام . وسيجمع المختار مما سيرسل ويلقى في الاحتفال في كتاب يكون ذكرى هذا اليوبيل الذهبي

وترجو اللجنة أن يتفضل كلّ بارسال بحثه أو قصيدته باسم (الآنسة ميّ

زياده سكرتيرة لجنة الاحتفال بيوبيل المقتطف ، مكتبة المنار شارع زين العابدين رقم ٦٣ بمصر) على أن يصل قبل ٢٠ أبريل ١٩٢٦ ، لكي يتسنى للجنة أن تودعه في كتاب الذكرى

الرئيس

مصر ٢٦ يونيه (حزيران) سنة ١٩٢٥

محمد توفيق رفعت

اللجنة التنفيذية

الرئيس : حضرة صاحب المعالي محمد توفيق رفعت باشا وزير المعارف المصرية العمومية سابقاً (ووزير الاوقاف الآن)

الاعضاء

صاحب السعادة احمد لطفي السيد بك مدير الجامعة المصرية
صاحب السعادة احمد شوقي بك
صاحب الفضيلة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ورئيس المؤتمر السوري
صاحب الفضيلة السيد مصطفى عبد الرازق المفتش بوزارة الحقانية
الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة
صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا مدير عموم حسابات السودان
السكرتيرة : الآنسة مي زياده

(المنار) كانت الآنسة مي زيادة المشهورة في عالمي الأدب العربي والغربي صاحبة السبق الى هذه العناية بتكريم العلم والعلماء فدعت إلى دار والدها طائفة من أهل العلم العصري واقترحت عليهم السعي للاحتفال بمرور خمسين سنة على مجلة المقتطف الشهيرة فأجمعوا على القبول وانتخبوا لجنة منهم لتنفيذ ذلك . وسيكون الاحتفال بمصر في مساء ٣٠ ابريل الحال ، وسنعود إلى الكلام عليه إن شاء الله تعالى

تقريظ المطبوعات الجديدة

مرآة الحرمين الشريفين

أو الرحلات الحجازية ، والحج ومشاعره الدينية

كتاب نفيس، متقن الصنع، تأليفاً وترصيفاً، وترتيبا وتنسيقا ، وطبعاً وورقا وحروفاً ، وضعه اللواء إبراهيم رفعت باشا المصري الذي تولى قيادة حرس المحمل المصري مرة ، وتولى إمارة الحج المصري ثلاث مرات في ثلاثة مواسم عني فيها بكل مايعنى به من يريد أن يؤلف كتابا في شئون الحج والحجاز لم يسبق إلى مثله ، فتم له هذا في سفرين كبيرين . وقد وصفه الاستاذ الشيخ محمدعبدالعزيز الخولي المدرس في مدرسة القضاء الشرعي بتقريظ قال فيه مانصه :

فبينما تراه قد رسم جدّة ومنازلها ومعاهدها ومساجدها ومرساها ورجالها وذوي الشأن فيها . إذ تراه قدّم لك من مناظر الطريق بين جدّة ومكة صوراً مختلفة ورسوما متغايرة ،فاذا ماوصل بك الى مكة رأيت المسجد الحرام بأروقته وأساطينه ، تتوسطه الكعبة، تحيط بها المقامات ، والناس حولها يصلون أفذاذا وجماعات، وترى أمثلة عديدة لفن العمارة العربية ، أضف الى ذلك جوامعها ومستشفياتها، وثكناتها ودور حكومتها، وأشكال أهلها

فاذا ماخرج بك إلى عرفة تراه قد رسم الجبال والأودية والجمرات والمشاعر والناس حولها خشع يدعون ، فاذا ماانتهى من الحج وواجباته ويمم المدينة المنورة أخذ من مناظر طريقها كما فعل في سابقتها، وسلك مثل ذلك في الطرق المختلفة ، والمسجد النبوي ، والجوامع الأثرية ، والمشاهد المختلفة بالمدينة ، ولا يمرُّ بمكان إلا وصفه وذكر نبذة من تاريخه ، ولا بئر إلا سبر غورها ، وعرفك بمائها ، حلواً مراً ، قلا وكثرا ، ولا بعقبة إلا دقق في وصفها ، مبينا لك أحسن السبل لاجتيازها ، شارحا ذلك بالخرط الجغرافية التي لم يسبق إلى وضعها ، ولم يدع في الحج صغيرة ولا كبيرة إلا تكلم فيها

ففي الكتاب حجة الوداع التي حجها الرسول (صلى الله عليه وسلم) سنة عشر مفصلة أحسن التفصيل ومشفوعة بخريتة فيها بيان الطريق الذي سلكه الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأماكن التي مر بها ، وفيه الكلام على أحكام الحج في المذاهب الأربعة بالتفصيل الواسع والجداول المجملة والصور الشارحة وفيه قسم في حكمة الحج قلما تظفر بها في كتب أخرى (١)

ولما كانت مكة في جزيرة العرب وكان المسلمون يفدون اليها من كل الاقطار دعاه ذلك الى كتابة فصل جغرافي موجز في بلاد العرب وأقسامها وشفعه بفصل تاريخي مجمل يبين فيه كيف بدأ الاسلام وكيف انتشر وتكلم على دوله والبلاد التي سار فيها والتي لاتزال مقراً له بحيث أعطيناك تاريخا موجزاً للدول الاسلامية وحال المسلمين من يوم أن وجدوا الى وقتنا هذا .

وتكلم في الكتاب على الحج وإمارته قديما وحديثا وعلى المحمل والكسوة كلاما مسهبا تتخلله الصور الأنيقة والمناظر البهيجة . فتراه ذكر المحامل وأنواعها وتاريخها وأشكالها ونفقاتها والدول التي تقوم بارسالها وكذلك تكلم في الكسوتين كسوة الكعبة وكسوة الحجرة النبوية

ومما يدل على عناية المؤلف الشديدة انه تمكن من إحضار صورة اشهاد كتب في منتصف القرن العاشر الهجري يتضمن ذكر القرى المصرية التي وقفت على كسوة الكعبة والحجرة النبوية، وتراه ذكر مايجب على كل موظف في ركب المحمل وذكر ميزانية المحمل مفصلة بابا بابا ، ونوعا نوعا ، وأجمل ميزانيته في نحو أربعين سنة، وكلما دخل في موضع أشبع الكلام فيه فتراه لما ذكر مكة تكلم على مواقعها وجبالها وشوارعها وأقسامها ومبانيها ومستشفياتها وتكاياها ودار خديجة بها ودار الأرقم التي كان يتجمع فيها المسلمون في مفتتح الدعوة الاسلامية وتكلم على السيول في مكة وآثارها وذكر سكانها وجنسهم واخلاقهم ولغتهم ودينهم وعادتهم، ووصف جوها وتجارتها ونقودها ومياهها وعين زبيدة بها وأمراءها منذ الفتح الاسلامي الى يومنا هذا . وكذلك فعل في المدينة والبلاد الهامة (؟)

(١) هو منقول من رحلة صاحب المنار المنشورة في المنار

وحسبك من الكتاب أن فيه ماينيف على أربعمائة صورة وعشرين خريطة كل طوابعها (أكاشيهاتها) مصنوعة في ألمانية وانجلترة وهو يحتوي على نحو ١٠٠٠ صفحة يزينها حسن الورق وجمال الطباعة ولا غرو فانه مطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية اه

(المنار) ومن مزايا الكتاب التنبيه والتذكير بما يجهله الجمهور من الامور المبتدعة والقبور والمشاهد المزورة كقبر أمنا حواء في جدة وقبر أم النبي (ص) في مكة، وبدع تعظيم القبور وغير ذلك

وثمنه الكتاب بالتجليد الجميل جنيه مصري وأجرة البريد ٥ قروش في القطر المصري و١٥ في الخارج وهو يطلب من مؤلفه ومن مكتبة المنار بمصر

﴿ نهاية الارب . في فنون الادب ﴾

هذا الكتاب من أعظم كتب الأدب وأوسعها مادة ، وأفصحها عبارة ، وهو تصنيف الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة ٧٣٢ . وهذه الفنون التي اختارها خمسة يحتوي كل فن منها على خمسة أقسام يدخل كل قسم في عدة أبواب ، فلم يدع شيئاً من هذا العالم إلا وأدخله فيها كالسموات والأرض وما فيهما وما بينهما والانسان من ذكر وأنثى ، وأعضاء كل منهما وصفاتها ، وأحوالها ، وشؤونهما كالكلام بأنواعه ، والحب والعشق ، والاخلاق المحمودة والمذمومة ، والخمر والغناء والشعر ، والملك والخلافة والقضاء ... وما قيل في ذلك كله من نظم ونثر

شرعت مطبعة دار الكتب المصريه في طبع هذا الكتاب الكبير منذ سنة ١٣٤٢ بحروفها الممتازة على جميع حروف المطابع العربية في العالم على ورق جيد وقد صدر منه خمسة أجزاء كاملة القطع متوسطة الحجم ، الجزء الأول منها كله في الفن الاول وصفحاته أربعمائة ونيف ، والأربعة التي بعدها لايبلغ شيء منها ٤٠٠ صفحة ولم يستوف فيها الفن الثاني كله . وثمن الجزء من هذه الخمسة ١٥ قرشا وأجرة البريد في القطر المصري ٣ قروش و٦ خارجه وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥ هـ

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ شوال سنة ١٣٤٤ هـ　٢١ برج الثور سنة ١٣٠٥ هـ ش　١٣ مايو سنة ١٩٢٦

مسالة صفات الله تعالى وعلوه على خلقه

بين النفي والاثبات

{ جواب [١] سؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية }
رحمه الله تعالى

وهكذا ذكر أهل الكلام الذين ينقلون مقالات الناس مقالة أهل السنة وأهل الحديث ، كما ذكره ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ، ومقالات الاسلاميين ، فذكر فيه أقوال الخوارج والرافضة والمعتزلة والمرجئة وغيرهم . ثم قال : ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث وجملة قولهم : الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا — الى أن قال — وأن الله على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى « لما

(١) تابع ما نشر فى العدد الماضي ص ٣٩

خلقت بيدي » وأقروا أن لله علما كما قال (أنزله بعلمه وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وقالوا : إنه لا يكون في الارض خير ولا شر الا ما شاء الله ، وأن الاشياء تكون بمشيئة الله ، كما قال (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) الى أن قال : ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل « إن الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فاغفر له» كما جاء في الحديث

ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وذكر أشياء كثيرة ، الى أن قال . فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه ، وبكل ماذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب

قال الاشعري ايضا في مسئلة الاستواء : قال اهل السنة واصحاب الحديث ليس بجسم، ولا يشبه الاشياء، وانه على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا نتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول استوى بلا كيف ، وانه له يدين بلا كيف كما قال تعالى (لما خلقت بيدي) — وان الله ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث . قال : وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى . وقال الاشعري ايضا في كتاب الابانة في اصول الديانة في باب الاستواء ان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل : نقول له إن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى وقال اليه يصعد الكلم الطيب وقال بل رفعه الله اليه وقال حكاية عن فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب

السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا) كذب فرعون موسى فى قوله ان الله فوق السموات وقال الله تعالى (أأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) فالسموات فوقها العرش وكل ماعلا فهو سماء وليس اذا قال (أأمنتم من السماء) يعني جميع السموات وانما اراد العرش الذي هو اعلا السموات الا ترى انه ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نورا ولم يرد انه يملأ السموات جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى استوى استولى وملك وقهر وأن الله في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش والاخلية فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز ان يقال هو مستو على الاشياء كلها وعلى الحشوش والاخلية فبطل ان يكون معني الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام فى الاشياء كلها ، وقد نقل هذا عن الاشعري غير واحد من ائمة اصحابه كابن فورك والحافظ بن عساكر فى كتابه الذى جمعه فى تبيين كذب المفتري فيما ينسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعرى ، وذكر اعتقاده الذي ذكره في الابانة وقوله فيه فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحلولية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي به نقول ، وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه

صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ، ولما خالف فيه مجانبون لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين ورحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ماتقدم وغيره جمل كبيرة أوردت فى غير هذا الموضع ، وقال أبو بكر الاجرى فى كتاب الشريعة الذى يذهب اليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ماخلق فى السموات العلى وجميع مافى سبع أرضين يرفع اليه أفعال العباد ، فان قال قائل: أي شيء معنى قوله (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) الاية قيل له علمه والله على عرشه وعلمه محيط بهم كذا فسره أهل العلم والاية يدل أولها وآخرها انه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلمين

والقول الذي قاله الشيخ محمد بن أبى زيد وانه فوق عرشه المجيد بذاته وهو فى كل مكان بعلمه قد تأوله بعض المبطلين بان رفع المجيد ومراده أن الله هو المجيد بذاته وهذا مع أنه جهل واضح فانه بمنزلة ان يقال الرحمن بذاته والرحيم بذاته والعزيز بذاته

وقد صرح ابن أبي زيد فى المختصر بان الله فى سمائه دون ارضه هذا لفظه والذي قاله ابن ابى زيد مازالت تقوله أئمة أهل السنة فى جميع الطوائف

وقد ذكر ابو عمرو الطلمنكي الامام في كتابه الذي سماه الوصول الى معرفة الاصول : أن اهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه وكذلك ذكره عثمان بن ابي شيبة حافظ الكوفة في طبقة البخاري ونحوه ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة وكذلك ذكره يحي ابن عمار السجستاني الامام في رسالته المشهورة في السنة التي كتبها الى ملك بلاده وكذلك ذكر ابو نصر السجزي الحافظ في كتاب الابانة له قال: وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد ابن زيد وابن المبارك وفضيل ابن عياض واحمد واسحاق متفقون على ان الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان وكذلك ذكر شيخ الاسلام الانصاري وأبو العباس الطرقي والشيخ عبد القادر ومن لا يحصى عدده إلا الله من أئمة الاسلام وشيوخه

وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني صاحب حلية الاولياء وغير ذلك من الصفات المشهورة في الاعتقاد الذي جمعه : طريقنا طريق السلف المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الامة قال وما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام أحدث الاشياء من غير شيء وأن القرآن كلام الله وسائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق وأن القرآن من جميع الجهات مقروءاً ومتلوا ومحفوظاً ومسموعا وملفوظاً كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق وان الواقفة من اللفظية من الجهمية، وان من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر وذكر أشياء الى أن قال وان الاحاديث

التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وان الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لايحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه فى سمائه من دون أرضه وذكر سائر اعتقادات السلف واجماعهم على ذلك وقال يحي ابن عمان في رسالته لا نقول كما قالت الجهمية انه مداخل الا مكنة وممازج كل شيء ولا نعلم اين هو بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وهو معنى قوله(وهو معكم اينما كنتم) وقال الشيخ العارف معمر بن أحمد شيخ الصوفية في هذا المصر أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة واجمع ماكان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين فذكر أشياء من الوصية الى أن قال فيها وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تأويل والاستواء معقول والكيف مجهول وأنه مستو على عرشه بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلاحلول ولا ممازجة ولا ملاصقة وأنه عز وجل بصير سميع عليم خبير يتكلم ويرضي ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء بلا كيف ولا تأويل ومن انكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وقال الامام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري فى كتاب الرسالة فى السنة : ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون ان الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الامة وأعيان سلف الامة لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته قال: وأما امامنا ابو عبدالله الشافعي احتج فى كتابه المبسوط فى مسألة اعتاق الرقبة المؤمنة فى الكفارة

وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة ، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتاقه اياها فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا ؟ فقال لها « اين ربك فاشارت الى السماء ، فقال اعتقها فانها مؤمنة » فحكم بايمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية »

وقال الحافظ ابو بكر البيهقي باب القول في الاستواء

قال الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ثم استوى على العرش ، وهو القاهر فوق عباده يخافون ربهم من فوقهم ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (ءأمنتم من في السماء) وأراد من فوق السماء كما قال (ولاصلبنكم في جذوع النخل) يعني على جذوع النخل وقال (فسيحوا في الارض) أي على الارض ، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الاية أمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الايات قال : وفيما كتبنا من الايات دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل مكان وقوله (وهو معكم أينما كنتم) انما أراد بعلمه لا بذاته

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال وهذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة قال وهذا أشهر عند الخاصة والعامة وأعرف من أن يحتاج الى أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم وقال أبو عمر أيضا : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم قالوا في

تأويل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله

***

وقال شيخ الاسلام المسؤول أيده الله: فهذا ماتلقاه الخلف عن السلف إذ لم ينقل عنهم غير ذلك إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الايات الفرقانية والاحاديث النبوية فنسال الله العظيم أن يختم لنا بخير ولسائر المسلمين وأن لايزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا بمنه وكرمه انه أرحم الراحمين

والحمد لله وحده

فتاوى لابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) وقال رحمه الله ورضي عنه فى رجل تزوج بنتا بكرا بالغا ودخل بها فوجدها بكرا ثم انها ولدت ولدا بعض مضي ستة أشهر بعد دخوله بها فهل يلحق به الولد أم لا وأن الزوج حاف بالطلاق منها أن الولد ولده من صلبه فهل يقع به الطلاق أم لا والولد ابنا سويا كامل الخلقة وعمر سنين افتونا مأجورين

أجاب رضي عنه الحمد لله. اذا ولدته لاكثر من ستة اشهر من حين دخل بها ولو بلحظة لحقه الولد باتفاق الائمة ومثل هذه القصة وقعت فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستدل الصحابة على إمكان كون الولد يولد لستة اشهر بقوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا

مع قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فاذا كان مدة الرضاع من الثلاثين حولين يكون الحمل ستة اشهر فجمع في الآية اقل الحمل وتمام الرضاع ولو لم يستلحقه فكيف إذا استلحقه وأقر به بل لو استلحق مجهول النسب وقال انه ابني لحقه باتفاق المسلمين اذا كان ذلك ممكنا ولم يدفع به أنه ابنه كان بارا في يمينه ولا حنث عليه والله اعلم

***

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)(مسألة في الفقر والتصوف) صورتها. ماتقول الفقهاء رضى الله عنهم في رجل يقول ان الفقر لم يتعبد به ، ولم نؤمر به ، ولا جسم له ، ولا معنى وأنه غير سبيل موصل الى رضى الله تعالى والى رضى رسوله وانما تعبدنا بمتابعة أمر الله واجتناب نهيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن أصل كل شيء العلم والتعبد العمل به، والتقوى والورع عن المحارم ، والفقر المسمى على لسان الطائفة والاكابر هو الزهد في الدنيا ، والزهد في الدنيا يفيده العلم الشرعي فيكون الزهد في الدنيا العمل بالعلم وهذا هو الفقر ، فاذاً الفقر فرع من فروع العلم ، والامر على هذا. وما ثم طريق أوصل من العلم ، والعمل بالعلم على ماصح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول ان الفقر المسمى المعروف عند أكثر أهل الزي المشروع في هذه الاعصار من الزي والالفاظ والاصطلاح المعتادة غير مرضي لله ولا لرسوله، فهل الامر كما قال ،أو غير ذلك افتونا مأجورين

نسخة جواب الشيخ تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه الحمد لله

أصل هذه المسألة أن الالفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة علينا أن نتبع مادلت عليه مثل لفظ الايمان والبر والتقوى والصدق والعدل ، والاحسان والصبر ، والشكر والتوكل والخوف والرجاء والحب لله والطاعة لله وللرسول وبر الوالدين والوفاء بالعهد ونحو ذلك مما يتضمن ذكر ماأحبه الله ورسوله من القلب والبدن . فهذه الامور التي يحبها الله ورسوله هي الطريق الموصل الى الله مع ترك مانهى الله عنه ورسوله كالكفر والنفاق والكذب والاثم والعدوان والظلم والجزع والهلع والشرك والبخل والجبن وقسوة القلب والغدر وقطيعة الرحم ونحو ذلك فعلى كل مسلم أن ينظر فيما أمر الله به ورسوله فيفعله وما نهى الله عنه ورسوله فيتركه . هذا هو طريق الله وسبيله ودينه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا الصراط المستقيم يشتمل على علم وعمل ، علم شرعي وعمل شرعي فمن علم ولم يعمل بعلمه كان فاجراً ومن عمل بغير العلم كان ضالا وقد امرنا سبحانه أن نقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال النبي صلى الله عليه وسلم « اليهود المغضوب عليهم والنصارى ضالون » وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يعملوا به والنصارى عبدوا الله بغير علم . ولهذا كان السلف يقولون احذر فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون وكانوا يقولون من فسد من العلماء ففيه شبه باليهود . ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصارى فمن دعا الى العلم دون العمل المأمور به كان مضلا وأضل منهما من سلك في العلم طريق أهل البدع فيتبع أموراً تخالف الكتاب والسنة يظنها علوما

وهي جهالات . وكذلك من سلك في العبادة طريق أهل البدع فيعمل اعمالا تخالف الاعمال المشروعة يظنها عبادات وهي ضلالات فهذا وهذا كثير في المنحرف المنتسب الى فقه أو فقر، يجتمع فيه انه يدعو الى العلم دون العمل . والعمل دون العلم . ويكون مايدعو اليه فيه بدع تخالف الشريعة . وطريق الله لاتتم الا بعلم وعمل يكون كلاهما موافق الشريعة

فالسالك طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة ان لم يسلك بعلم يوافق الشريعة ، والا كان ضالا عن الطريق ، وكان مايفسده أكثر مما يصلحه . والسالك من الفقه والعلم والنظر والكلام ان لم يتابع الشريعة ويعمل بعلمه والا كان فاجرا ، ضالا عن الطريق . فهذا هو الاصل الذي يجب اعتماده على كل مسلم

وأما التعصب لامر من الامور بلا هدى من الله فهو من عمل الجاهلية ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . ولا ريب أن لفظ الفقر في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا يريدون به نفس طريق الله ، وفعل ما أمر به ، وترك مانهى عنه والاخلاق المحمودة ولا نحو ذلك ، بل الفقر عندهم ضد الغنى . والفقراء هم الذين ذكرهم الله في قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) وفي قوله (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله) وفي قوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) والغني هو الذي لايحل له أخذ الزكاة ، أو الذي يجب عليه الزكاة ، أو ما يشبه هذا . لكن لما كان الفقر مظنة الزهد طوعا أو كرها . اذ من العصمة أن لاتقدر . وصار المتأخرون كثيرا مايقرنون بالفقر معنى الزهد ، والزهد قديكون

مع الغني ، وقد يكون مع الفقر . ففي الانبياء والسابقين الاولين ممن هو زاهد مع غناه كثير

والزهد المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة . وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع ، بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع . وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك بلفظ الصوفي ، لان لبس الصوف يكثر في الزهاد . ومن قال ان الصوفي نسبة الى الصفة أو الصفاء أو الصف الاول او صوفة بن مر بن اد بن طابخة أو صوفة القفا فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى . لكن من الناس من قد لحوا الفرق في بعض الامور دون بعض بحيث يفرق بين المؤمن والكافر ، ولا يفرق بين البر والفاجر ، أو يفرق بين بعض الابرار وبين بعض الفجار ، ولا يفرق بين آخرين اتباعا لظنه وما يهواه ، فيكون ناقص الايمان بحسب ما سوى بين الابرار والفجار ، ويكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق بحسب مافرق به بين أوليائه وأعدائه

ومن أقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر وكان من القدرية كالمعتزلة ونحوهم الذين هم مجوس هذه الامة فهؤلاء يشبهون المجوس وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضا فهو من اتباع ابليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه فهذا التقسيم من القول والاعتقاد وكذلك هم في الاحوال والافعال فالصواب منها حالة المؤمن الذي يتقي الله فيفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على مايصيبه من المقدور فهو عند

الامر والدين والشريعة ويستعين بالله على ذلك كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) واذا أذنب استغفر وتاب لايحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات ولا يرى المخلوق حجة على رب الكائنات بل يؤمن بالقدر ولا يحتج به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار أن يقول العبد (اللهم انت ربي لااله الا انت خلقتني وأناعبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ماصنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لايغفر الذنوب الا انت » فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات ويعلم انه هو هداه ويسره لليسرى ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها كما قال بعضهم اطعتك بفضلك والمنة لك وعصيتك بعلمك والحجة لك فاسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي الا ماغفرت لي

وفي الحديث الصحيح الالهي « ياعبادي انما هي اعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضع. وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في الطاعة حسب الاستطاعة لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما يوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر. واخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ماليس عند أولئك لكنهم لايلتزمون امر الله ورسوله واتباع شريعته وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه والذين من قبلهم يريدون ان يعبدوه ولا يستعينوه والمؤمن يعبده ويستعينه

(للكلام بقية)

دعاية الالحاد في مصر

ليس الالحاد بجديد في مصر وإنما الجديد هو الدعوة اليه وتأليف الجمعيات لبثه وهدم الاسلام ، وتأليف الكتب في الطعن على اعلام حكمائه المتقدمين الذين يعلي الافرنج قدرهم كالغزالي وابن خلدون، والتنويه بمن اتهموا بالكفر والالحاد كالمعري والاشادة بأدب من اشتهر بالفسق والخلاعة كأبي نواس وقد كنا ذكرنا منذ بضع عشرة سنة خبر تأليف أول جمعية الحادية من اعضائها معمم من خريجي الازهر ثم إنهم خلعوا العذار وجهروا بدعايتهم في دروس مدرسة الجامعة المصرية ومحاضراتها وفي جريدة السياسة ناشرة هذه الدعاية ومؤيدة جمعيتها وافرادها حتى إنها بعد مناصرتها الشيخ علي عبد الرازق المجاهر باللادينية اخترعت من عهد قريب معنى جديداً زعمت أنه هو الذي يحل محل الدين في التكوين المعنوي للأمم والشعوب وضم الملايين منهم الى جامعة واحدة ـ وهو ما يعبرون عنه بالثقافة القومية

وإذ كان لمصر مكانة ممتازة في العالم الاسلامي الذي يضم بين رجويه (طرفيه) اكثر من ثلثمائة مليون مسلم ـ واذ كان سبب هذه المكانة الراسخة من زهاء ألف عام الجامع الازهر الذي يتلقى العلوم الدينية والفنون العربية فيه الوف كثيرة من الاقطار الاسلامية العديدة ، ثم ما عززذلك في هذا العصر عصر المطابع من اصدار مصر للالوف من المطبوعات العربية من دينية اسلامية وأدبية وفنية الى مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها عربيها وعجميها

واذ كان هؤلاء الملاحدة من المصريين يدعون الى الوطنية بالمعنى الاجتماعي العصري وهو تمايز الاقوام والشعوب وتكونها بأوطان محدودة تضمها دون ماهو أوسع من ذلك من الجوامع والمقومات كالدين واللغة ، حتى إنهم ليعدون المسلم فيها وهي اسلامية — ويعدون العربي فيها — وهي عربية بل لها المكانة التي أشرنا اليها في العالمين الاسلامي والعربي — يعدونهما من الأجانب الذين لاتجمعهم بالمصري وشيجة ، ولا يمتنون اليه بوسيلة ، فالشريف الحجازي أو السوري والوثني الصيني أو المنشوري عندهم سواء، ولكن يمتاز عليهما لابس البرنيطة الافرنجي

وإذ فطنوا في هذه الأيام لما في وطنيتهم ولا دينيتهم من الخسارة لأدبية والسياسية على مصر انشأت جريدتهم (السياسه) تعدهم وتمنيهم بأن ثقافتها الالحادية الجديدة طفقت تتبوأ مباءة تلك الزعامة الدينية من أنفس الشعوب الشرقية عامة ، والسورية خاصة إذ شعرت هذه الشعوب بان الدين صار الأدنى والأضعف من جوامع الاقوام ، وروابط الامم — وأن مدرسة الجامعة المصرية (الالحادية) وهي المظهر الاعلى للثقافة الجديدة قد خلفت الأزهر المتوفى غير مأسوف عليه وورثت مكانته المعنوية — كما أن جرائد مصر اللادينية ومطبوعاتها الحديثة قد خلفت مطبوعات المطبعة الأميرية وسائر المطابع العربية التي تصدر الكتب الدينية (ولم تعرض الجريدة لمسألة الكتب الحديثة والكتب القديمة)

لقد صدقت جريدة السياسة — وقلما كانت صادقة — فيما صورته من التنازع بين الجمعة الازهرية الدينية والجامعة المصرية الالحادية ، فهذا امر يعرفه البصيرون وإن غفل عنه الاكثرون ، وأول من صرح به في مجلسنا من غير المسلمين شاب اسرائيلي ذكي سمعنا نتكلم في مسألة كتاب الشيخ علي عبد الرازق عقب ظهوره وكونه ينصر فيه دعاية الالحاد الجديدة . فقال ليست المسألة مسأله كتاب ألفه شيخ مسلم في محاربة الاسلام فلو كان هذا كل ماتشكون منه لهان خطبه ، ولكنما المسألة كل المسألة هي التنازع بين الجامعة المصرية وجامعة الازهر فاذا غلبت الثانية بقيت هذه البلاد اسلامية ، وإذا انتصرت الاولى لحقت مصر بالبلاد التركية وانقضى عصر الاسلام فيها

قلت إن الالحاد ليس بجديد في مصر وإنما الجديد هو الدعوة اليه . . . وأقول أيضا إن مدرسة الجامعة المصرية ليست هي المدرسة التي بذرت بذور الكفر والاباحة في هذا القطر بل بُذرت هذه البذور في المدارس العصرية منذ وجدت في مصر — وكذا الدولة العثمانية — وإنما الجامعة المصرية هي دوحتها ، التي ظهرت فيها ثمرتها ، اذ برز دكاترتها عمي البصائر والابصار إحداهما أو كلتيهما يبارزون الدين والفضيلة الحرب جهراً بدون تقية ولا احتراس

من قرأ اللائحتين اللتين كتبهما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في اصلاح

التربية والتعليم في المدارس العثمانية والمصرية يجده قد اثبت فيهما أن طلابها يخرجون منها وليس لهم دين يهتدون به ، ولا ملة يعتصمون بعروتها وقد بين هذا في غيرهما من مقالاته ورسائله الاصلاحية ، وحكم حكما فاصلا بأن هذا التعليم الناقص الذي لا يقترن بتربية دينية صحيحة خطر على الامة وعلى الدولة ، ومضيعة لما كانت تعتز به الدولة من منصب الخلافة . ـ وكذلك كان

هـذا والاستاذ الامام وأستاذه حكيم الاسلام هما أول من وضع في مصر أساس النهضة الوطنية بالحزب الوطني الذي أسساه في عهد اسماعيل باشا ورفعا قواعده بالعمل ، ولكن وطنيتها الحكيمة الصادقة غير وطنية دكاترة الجامعة المصرية ومحرري جريدة السياسة ، تلك وطنية تتفق هي وهداية الدين ، وهذه وطنية لا يبقى معها وطن ، ولا دين ، ولا فضيلة

لما كان الاستاذ الامام منفياً في بيروت رأى في بعض الجرائد المصرية طعناً في بطرس باشا غالي زعيم القبط الأكبر ، وفي القبط أنفسهم كان سببه استقالة شفيق بك منصور النابغة المسلم المشهور من خدمة القضاء المصرى ذاهبة إلى أن بطرس باشا وكيل وزارة الحقانية هو الذي ألجأه إلى الاستقالة بتعصبه وتحامله عليه — فرد الاستاذ على هذه الجرائد رداً حكيما محكماً دافع فيه عن بطرس باشا وأنكر أشد الانكار ادخال اختلاف الدين في هذه المسائل ، وإدخال الشقاق بين أبناء الوطن فيما لا علاقة للدين به . وقد ظفرنا بهذه المقالة في أثناء اشتغالنا بالطبعة الثانية لجزء منشآت الاستاذ التي تمت في هذا الشهر فليراجعها من شاء أن يرى كيف تكون الوطنية الصحيحة ، وكيف يهدي اليها زعماؤها الصادقون

*

أما بعد فان ماتوقعناه في فاتحة الجزء الأول من هذا المجلد (السابع والعشرين) للمنار من خطر الدعاية الالحادية على نهضة الاصلاح الاسلامي ، ودولتها الجديدة مبني على الخوف من تمكن اللادينيين في مصر من جعل الأمة المصرية والدولة المصرية عدواً للدولة الحجازية النجدية بدسائس الأجانب ،

وأعوان الاجانب من غير المسلمين ، بل بغفلة رجال الدين وجهلهم بحال العصر وضعفهم أمام رجال الدنيا — وبقابلية العوام لتأثير الملاحدة باتيانهم من ناحية البدع والخرافات التي تصدت جريدة المقطم لتأييدها والدفاع عنها ، ووصفها بالتقديس (!!) ولماذا لم ينصر أصحاب المقطم تقاليد نصرانيتهم المقدسة عند آبائهم وأجدادهم ، بل خذلوها باسم الاصلاح ؟

أثارت جريدة السياسة سحابة خلاف بين حكومتي الحجاز ومصر فى مسألة المحمل وركب المحمل وحرسه قالت ما معناه : ان ملك الحجاز ابن السعود يمنع تقاليد المحمل الموروثة ، فلا يسمح لعسكر مسلح مع موسيقى عسكرية تعزف له بدخول مكة وسائر أماكن النسك الخ ، فكثر الخوض فى ذلك ، وتحدث الناس بتوقع منع الحكومة المصرية للحج أو للمحمل . ولما يرسل مع ركبه عادة من الاموال والأرزاق التي هي من حقوق أهل الحرمين فى مصر ، وتطوعت جريدة المقطم بمقالات تتوسل بها إلى تقوية عزيمة الحكومة على منع الحج اقتداء بحكومة إيران التي كان قنصلها في سورية هو الذي وسوس في أذن الحكومة عقب عودته من مكة في هذا الشهر بأن ملك الحجاز يريد كذا ويأبى كذا ، وهو الذي لقن جريدة المقطم ما أذاعته وكبرته ، وظنت أنه بتكبيرها وإرجافها سيحمل الحكومة على اقتراف جريمة الموسم الماضي كما بسطنا الكلام فيه في مقال نشر في جريدة كوكب الشرق الوطنية .

فتنة دبَّر مكيدتها شيعي متفرنج يغلب على الظن أنه من اللادينيين ، ان لم يكن من البهائيين ، وأذاعتها جريدة دعاة الالحاد وأرجفت بها جريدة المقطم بما يوهم قارئيها ان الشعوب الاسلامية وحكوماتها قد أجمعت على المنع والامتناع من أداء فريضة الحج ، فلا ينقص اجماعها الا ما يتوقع يوماً بعد يوم من اتفاق مصر معها — فتنة هذا شأنها وتلك صفة مثيريها كان المعقول أن تقيم قيامة علماء الأزهر وأذكياء طلابه للدفاع عن ركن الاسلام ومجاهدة قطاع طريقه، ولكنها — والشكوى الى الله — لم تحرك منهم ساكنا ، ولم تنطق ساكتا ، فاذا كانوا يصدقون على أنفسهم ما قلناه من رأي الناس فيهم يوم دَعَوْا الى مؤتمر الخلافة من أنهم

لا يتحركون الا اذا حُرِّكوا ولا ينطقون الا اذا أنطقوا ، فما بال خريجي مدرسة القضاء الشرعي وهم أفطن لهذه الدسائس وأجدر بنضال رماتها ، وما بال قدماء أساتذة دار العلوم الذين غلبتهم دعاية الجامعة المصرية على طلبتها فألقوا بعمائمهم وجببهم احتقارا لها وبراءة من جامعة الازهر التي هي منبت أساتهم ، والاساس لبناء مدرستهم ؟

انني كلمت بعض كبار علماء الازهر الاذكياء في هذه المسألة كعادتي في أمثالها ، فجادلني في بعض جزئياتها ، جدالهم المعهود في جزئيات الكتب التي يتدارسونها ، واقفاً موقف المؤيد للحكومة المصرية فيما قيل من خلافها مع ملك الحجاز ، لم يستطع أن يدافع عن مسألة موسيقى حرس المحمل لما في كتب فقه المذاهب المشهورة من تحريم جميع المعازف إلا مااستثني من دف العرس وطبل الحرب ونفيره — والاستثناء معيار العموم — ولم يتناول هذه المعازف الجديدة التي اخترعت بعد عصر الاجتهاد عندهم ، وفيها أنواع من المزامير وهي محرمة بنص المذهب أو المذاهب فهو لايجادل فيها ، ولو تكلم معي فيها بالدليل لألفاني معتقداً أن الموسيقى العسكرية كلها في معنى طبل الحرب الذي استثني لأجله من المعازف المحرمة وهو أنها تثير الشجاعة والاقدام ، دون طرب الشهوة الذي ربما يبعث على ارتكاب الآثام .

اقتصر الاستاذ على الاحتجاج للحكومة فيما تصر عليه من دخول حرس المحمل مكة وغيرها من أماكن النسك بأسلحتها ، ولم يجد له علة تصح شرعا إلا حماية الحجاج المصريين من الاعتداء على دمائهم وأموالهم لأن ماتدعيه حكومة الحجاز من تأمين البلاد لم يصح عند الحكومة المصرية ، فلا بد لها أن تأخذ بالاحتياط ولو في هذه السنة

قلت لكن الحكومة المصرية لاتدعي هذه الدعوى وحرسها لايمشي مع الحجاج بين جدة ومكة ، بل تألفت في هذا العام شركة مصرية لنقل الحجاج بالسيارات (الاوتوموبيلات) فهل يمكن أن يسير الجيش مع هذه السيارات لحراستها ؟ ؟

بمثل هذا الجدل في الجزئيات يصرف الازهريون عن النظر في الموضوع الكلي والاحاطة بأطرافه للتمكن من صحة الحكم فيه ، وهذه الخطة يتلاقى في مدرسة القضاء ضررها بتكليف طلابها درس بعض المسائل (من الأصول كالاجتهاد والتقليد ، أو الفروع كالطلاق والوقف) والنظر في أدلتها ووجوه الترجيح بينها ولو عرضت مسألة الحج التي نحن بصدد الكلام الاستطرادي فيها على من اعتاد هذه الخطة لكان أول ماتتوجه اليه نفسه وجوب السعي لاحباط كل عمل يقصد به منع اداء فريضة الدين وإقامة ركن الاسلام

غرضنا من هذا الاستطراد ضرب المثل لضعف الجامعة الأزهرية فيما يجب عليها من صد هجمات ملاحدة الجامعة المصرية وكتاب جريدة السياسة على عقائد الاسلام وآدابه وتشريعه ، وشكل حكومته ، فانهم أضر من دعاة النصرانية الذين يرد الاكثرون كلامهم بتهمة العداوة الدينية — ويأخذون كلام هؤلاء بالقبول لانتفاء التهمة — فهم ضعفاء العزيمة ضعفاء الحجة ، إنما مبلغ أكثرهم من العلم أن ينقلوا من بعض كتب الفقه المتداولة نصوصاً ينشرونها ، ويوجبون على الناس اتباعها ، عقلوها أم لم يعقلوها ، بناء على أنها هي المعتمدة في المذهب أو المذاهب ، أو الاجماع : هذا حلال وهذا حرام ، هذا كفر وهذا إيمان ، فمن خالف فسق أو ارتد عن الاسلام ، وهم يرون الكثير من الناس يأبونها ، ومنهم من يرد عليها ويهزأ بها ، ثم لاينقص لأحد من هؤلاء في قومه قدر ، ولا يعامل معاملة المرتدين في حياة ولا موت ، وآخر مارأيناه في ذلك فتوى المفتي الاكبر وشيخ الجامع الأزهر في حكم لبس البرنيطة

لهذا ترى هؤلاء الملاحدة موقنين بأنهم هم المنصورون ، وأن رجال الجامعة الأزهرية والمعاهد الدينية هم المهزومون المخذولون ، وأنهم سيفعلون في هذا القطر ، مافعله الكماليون في بلاد الترك ، فاتحاد الاسباب يؤذن باتحاد المسببات والنتائج لاتتخلف عن المنتج من المقدمات .

هنا وجه الخطر على مصر من تعاليم الالحاد التي يقصدها الأجانب الذين غرسوا فسيلها ، ومهدوا الأرض لنموها ، وجنوا بوا كير ثمراتها ، بل أصبحوا

أصحاب التصرف الأعلى فيها ، وانما يفيضون على تلاميذهم وربائبهم أجور خدمتهم منها ، ومن ورائهم جمعيات سرية ، ودسائس خفية ، ومرغبات إباحية ، ومطامع بلشفية ، فماذا بقي للاسلام تجاه ذلك كله ؟

غير انه لاتزال طائفة من شبان الأزهر العلماء موضع الرجاء لمالهم من الدراية بعلوم العصر والقدرة على التحرير والولوع بالاصلاح مايستطيعون به أن يعيدوا مجده ويحفظوا مكانته

يقال بقي ان سواد الشعب الأعظم في هذا القطر على الاسلام-وهو أعظم قوة - وتقول إن الشعب التركي كذلك ، ويقال ان الدستور المصري مصرح بأن دين الدولة الاسلام ، وتقول إن دستور الجمهورية التركية التي تهدم الاسلام فيه مثل هذا النص ، فلابد للانتفاع من قوة أكثر الشعب ، ومن قوة الدستور من نظام يديره زعماء يرجعون بالاسلام الى أصله الذي كان عليه في الصدر الأول قبل حدوث الفتن ، وابتداع البدع ، وبيان ما هو دين ثابت بالنص القطعي رواية ودلالة أو باجماع السلف ، وما دون ذلك من الاحكام الظنية التي هي محل الاجتهاد - ومن الرجوع في تعليمه وتعلمه الى الاستقلال ، والاجتهاد في الاستدلال ، وتأييده والدفاع عنه بما تقتضيه حالة هذا العصر وما عليه أهله من علم وعرفان ، وبيان ماهو الحق من موافقته لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، ولا يتم هذا الا بثورة دينية على هذا الازهر وسائر المعاهد الدينية لا تبقي ولا تذر من نظمه وعاداته ومناهجه وكتبه شيئاً الا بدلت به ما هو خير منه

كلمت في هذا كبراء الشيوخ في هذا العام مراراً وأنذرتهم ماحل باخوانهم الترك انذارا فلم يماروا بالنذر ، ولكن تعلل بعضهم بالقدر ، وانما القدر حجة عليهم لا لهم ، والحق انهم لا يقدرون على العمل ولا يمكن لغيرهم أن يعمل معهم ، وقد شاهدنا بأعيننا ما كان من مجاهدة الاستاذ الامام فيهم ، وأنى لمصر مثل الاستاذ الامام أو من يقرب منه في علمه وحكمته ، وعقله وبصيرته ، وهمته وعزيمته

بل سبق لي مثل هذا الحكم عليهم بالعجز منذ تسع وعشرين سنة لا عليهم خاصة ، بل على علماء هذا العصر الدينيين كافة ، أي على جمهورهم وجماعاتهم ،

لا على كل فرد منهم كيف وقد كان فيهم الاستاذ الامام بمصر ، وأفراد على مذهبه ومشربه في كل قطر ؟

ذلك بانني كتبت في السنة الاولى من المنار الذي صدر العدد الاول منه في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ مقالات فى بيان ضعف المسلمين وأسبابه ، وفى الاصلاح الذي يجدد مجده ويعيد هدايته ، أنحيت فيها باللائمة على الزعماء المسئولين من الخلفاء والسلاطين والعلماء ومشايخ طرق الصوفية ، ومن أشد تلك المقالات لهجة وأنهضها حجة ماكان عنوانها (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) فكتب اليّ أحد المجاورين في رواق الشوام كتاباً غفلا من الامضاء يستنكر فيه وضع شيء من تبعة ضعف المسلمين وسوء حالهم على العلماء ويعتذر عنهم بما وسعه الاعتذار ، فاجبته بما ظهر لي بعد ذلك انه لم يقنعه ، اذ زارني جماعة من مجاوري هذا الزمان في العيد وجرى ذكر المسألة فناضل أحدهم عن العلماء وأطال في انتحال الاعذار ، وانتهى الحوار بقيام الحجة عليه واقراره بها وبأنه صاحب ذلك الكتاب الانكاري وذكر مالا أنكر من حسن نيته واخلاصه فيه

بعد هذا قلت له ان للعلماء لديّ عذرا لو أوردته عليّ لما استطعت لهردا ، ولا حاولت له نقضا ، قال أبعد هذا كله تقول إن لهم عذراً صحيحا ؟ بالله ماهذا العذر ؟ قلت هو الجهل ! قال : الجهل ؟ قلت : الجهل وإنما عنيت الجهل بتاريخ الاسلام كيف انتشرت دعوته ، وقبلت هدايته ، وسادت حكومته ، ودونت علومه ، وزهت حضارته ، ثم كيف طرأت عليه البدع ، وكيف كاد له العجم ، وكيف رجع القهقرى ، فتفرق أهله شيعا ، وصارت دولته دولا ، ثم كيف كان جهاد الافرنج له بالسيف والنار ، ثم بالسياسة ثم بالعلم ، وهو أشد جهادهم خطراً ، فانه هو الذي جعل المسلمين يخرّبون بيوتهم بايديهم — لو عرف علماء الاسلام هذا التاريخ وهو يتوقف على معرفة تاريخ خصومهم لعرفوا كيف يكون المخرج من هذه المآزق . . .

(والثاني) التقليد الذي اجمع السلف على تسميته جهلا ، دع تحريم الله إياه في كتابه وذمه لأهله ، وقف عند عجز علماء التقليد في هذا العصر عن إقامة

الحجة على كون الاسلام هو دين الله الحق . . . . وعن الدفاع عنه ، ورد الشبهات الحديثة التي يوردها عليه الطاعنون ، وعجزهم عن جعل شريعته كافية لما استحدث البشر من فنون الحرب ومناهج السياسة والنظم المالية والشؤون المعاشية ، هذا العجز الذي كان سبب ترك حكومة هذه البلاد الاسلامية لتشريعه واتباع التشريع الافرنجي المدني والجزائي (العقوبات) وسبب ذبذبة الترك في ذلك الى أن نبذت حكومتهم شريعته برمتها ، وصارت اكبر أعدائها وأشدهم وطأة عليها ،

ارفع صوتي بأنه لا ينقذ الاسلام في مصر من مثل هذه العاقبة إلا قلب نظام التربية والتعليم في الازهر وملحقاته بعد أن خصص لها من أموال أوقاف المسلمين المبالغ الكافية لادارة جامعة من أعظم الجامعات تحيي علوم الدين وعلوم الدنيا وفنونها مع التربية الدينية ، وتمكنها من تأسيس مدارس تغني البلاد عن مدارس دعاة النصرانية الذين يفسدون على اولاد المسلمين دينهم وقوميتهم ، وإلا وجب نزع هذه الاموال منهم ، والمطالب بذلك من بيده بذل هذا المال

إنني لم اكتب هذا إلا وأنا معتقد وجوب بيانه بعد أن نصحت بالقول فلم يفد ولم يسمع ، وإنني اعتقد أنني أشد غيرة على هؤلاء الناس من أنفسهم ، واضن بكرامتهم وشرفهم من أبنائهم ، وإنني لأتميز غيظا كلما قرأت طعنا فيهم من هؤلاء الملاحدة الاباحيين عبيد الشهوات ، واشهد أن رؤساءهم الحاضرين لم يكونوا من خصوم الاستاذ الامام ، بل فضيلة المفتي والاستاذ المدير من تلاميذه والاستاذ الأكبر كان موادا له

ولو كانوا قائمين بما يجب من خدمة الدين لكان عدد الملاحدة والاباحيين قليلا ، ولكان ضرر هذا القليل في الامة أقل ، فاني أعلم أن منهم الحسن النية ، والمخلص في طلب العزة والرفعة للامة ، والذين لو وجدوا من جماعة الدين اصلاحا لرضوا أن يكونوا اعوانا لهم وأنصارا ، وسابين هذا في مقال آخر من هذا البحث أثبت فيه أن سوء حال رجال الدين ، فتنة للكافرين ، وحجة للملحدين (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ، ربنا إنك انت العزيز الحكيم)

الالحاد في الجامعة المصرية

الدكتور طه حسين المتخرج من الجامعة المصرية والمدرس بها ألقى محاضرات فيها وجمعها في كتاب سماه «الشعر الجاهلي» وقد طعن فيه على الاسلام والقرآن ، فأهاج الرأي العام ، وتناول كتابه الأدباء والكتاب ، بالرد والتفنيد وقد كلف فضيلة شيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية لجنة من علماء الازهر بالنظر في الكتاب ووضع تقرير عنه فقامت بذلك ورفعت لفضيلته التقرير الآتي وهذا نصه كما جاء في مقطم يوم الأحد ٢٦ شوال سنة ١٣٤٤

كتاب الشعر الجاهلي

رأي لجنة العلماء فيه

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر
السلام عليكم ورحمة الله

وبعد فقد اجتمعت اللجنة المؤلفة بأمر فضيلتكم من الموقعين عليه لفحص كتاب طه حسين المسمى « في الشعر الجاهلي » بمناسبة ماقيل عنه من تكذيب القرآن الكريم واطلعت على الكتاب وهذا مانرفعه إلى فضيلتكم عنه بعد فحصه واستقراء مافيه

يقع الكتاب في ١٨٣ صفحة وموضوعه انكار الشعر الجاهلي وأنه منتحل بعد الاسلام لأسباب زعمها — وقال انه بنى بحثه على التجرد من كل شيء حتى من دينه وقوميته عملا بمذهب (ديكارت) الفرنسي . والكتاب كله مملوء بروح الالحاد والزندقة ، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مبثوثة فيه ، لايجوز بحال أن تلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية مايتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم ، والموجب للخلف ، والشقاق في الأمة ، واثارة فتنة عنيفة دينية ضد دين الدولة ودين الأمة

وترى اللجنة أنه اذا لم تكافح هذه الروح الالحادية في التعليم ، ويقتلع

هذا الشر من أصله ، وتطهر دور التعليم من (اللادينية) التي يعمل بعض الافراد على نشرها بتدبير وأحكام تحت ستار حرية الرأي اختل النظام وفشت الفوضى واضطرب حبل الأمن لان الدين هو أساس الطمأنينة والنظام

الكتاب وضع في ظاهره لانكار الشعر الجاهلي ، ولكن المتأمل قليلا يجده دعامة من دعائم الكفر ، ومعولا لهدم الاديان ، وكأنه ماوضع إلا ليأتي عليها من أصولها وبخاصة الدين الاسلامي ، فانه تذرع بهذا البحث إلى انكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر قبل الاسلام مما يرجع اليه في فهم القرآن والحديث . هذا مايرمي اليه الكتاب في جملته ، ولنذكر نبذاً منه بعضها كفر صريح ، وبعضها يرمي إلى الالحاد والزندقة فنقول :

قال في صفحة ٢٦ مانصه (للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل ابن ابراهيم إلى مكة)

انكر المؤلف بهذا هجرة[1] سيدنا ابراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام وقال : إن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لاثبات وجودهما التاريخي وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى في سورة ابراهيم حكاية عنه عليه الصلاة والسلام (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام، رب انهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعني فانه مني، ومن عصاني فانك غفور رحيم * ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي ذرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقال في الصفحة نفسها (ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة — يريد قصة الهجرة — نوعاً من الحيلة لاثبات الصلة بين اليهود

(١) عبارة المخذول نص في إنكار ابراهيم واسماعيل أنفسهما فضلا عن هجرتهما فلماذا ذكر التقرير انكاره لهجرتهما فقط و يسكت عن انكاره لوجودهما. هذا وانكار ابراهيم واسماعيل مصادمة صريحة للكتب السماوية والشرائع الالهية وللتواتر والتاريخ

والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى)

وهو في هذا النص يصرح بأن القرآن اختلق هـذه الصلة بين اسماعيـل والعرب ليحتال على جلب اليهود وتأليفهم ، ولينسب العرب إلى أصـل ماجد زوراً وبهتاناً لأسباب سياسية أو دينية ، وهـذا من منتهى الفجور والفحش ، والطعن على القرآن الكريم في اثباته أبوة ابراهيم للعرب في قوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم ، الآية)

وقال فى صفحة ٢٧ (وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الاسطورة — الهجرة المذكورة — في القرن السابع للمسيح إلى أن قال فى صفحة ٢٨ اذاً فليس مايمنع قريشاً من أن تقبل هذه الاسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس اسماعيل وابراهيم كما قبلت روما قبل ذلك ، ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى صنعتها لها اليونان تثبت أن روما متصلة باينياس بن بريام صاحب طرواده ، أمر هذه القصة اذاً واضح فهي حديثة العهد قبل الاسلام ، واستغلها الاسلام لسبب ديني ، وقبلتها مكة لسبب ديني ، وسياسي أيضاً . واذاً فيستطيع التاريخ الادبي واللغوي ألا يحفل بها عند مايريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصحى) وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) الآية سورة البقرة . ولقوله تعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيـل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) إلى غير ذلك من الآيات التي في هـذا الموضوع وهو فوق تكذيبه للقرآن يقول إن فيه تدليساً واحتيالا لأسباب سياسية ودينية من أجلها اختلق هذه الاخبار — بهذا وأمثاله يقرر المؤلف أن القرآن لايوثق باخباره ولا بما فيه من التاريخ

وكم يترك هذا الكفر الفاحش في عقول الطلبة من أثر سيء؟ وهدم لعقائدهم ودينهم ، وماذا بقي في القرآن من ثقة وحرمة في نفوسهم بعد هذا التكذيب

وقال في صفحة ٣٣ (وهناك شيء بعيد الاثر لو أن لدينا أو لدى غيرنا من الوقت مايمكننا من استقصائه أو تفصيل القول فيه ، وهو أن القرآن الذي تلي بلغة واحدة ، ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها ، لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته ، وتعددت اللهجات فيه ، وتباينت تبايناً كثيراً إلى أن قال : انما نشير إلى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل ويسيغه النقل، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التى لم تستطع أن تغير حناجرها ، وألسنتها ، وشفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبي وعشيرته من قريش فقرأته كما كانت تتكلم) إلى آخر ماقال

وهذا تصريح منه بأن القراءات لم تكن منقولة كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هي من اختلاف لهجات القبائل ، فالسبع المتواترة ليست عنده واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم في أصول الدين أن السبع متواترة ، وأن طريقها الوحي فمنكرها كافر

وعدا ماسردناه توجد صحائف عديدة فيها مغامز مؤلمة منها ماقاله في صفحة ٨١ (وشاعت في العرب أثناء ظهور الاسلام وبعده فكرة أن الاسلام يجدد دين ابراهيم) وفي الصفحة التي قبلها (أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا للإسلام أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبي ، وأن خلاصة الدين الاسلامي وصفوته هي خلاصة الدين الحق الذي أوحاه الله الى الانبياء من قبل) وهو في هذا يكذب قوله تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقوله تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الموضوع ، ومنها غير ذلك كثير مما هو مبثوث في الكتاب

ولا ريب في أن هذا هو عين ماكان يطعن به المشركون على القرآن في مبدأ أمره قال تعالى في سورة الفرقان (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)

فاللجنة ترفع إلى فضيلتكم ماوصلت اليه على سرعة من الوقت مما سطره المؤلف من الكفر الصريح ، وتترك ماينطوي في ثناياه من الالحاد والزندقة مما لايخفى على الناظر

نرفعه مطالبين فضيلتكم والحكومة بوضع حد لهذه الفوضى الالحادية خصوصاً التي تنبث فى التعليم لهدم الدين بمعول الزندقة كل يوم فما نفرغ من حادثة إلا ونستقبل حوادث لاتدع المؤمن مطمئناً على دينه

نطالب فضيلتكم والحكومة بذلك حرصاً على أبناء الدولة أن يتفشى هذا الداء فيهم وهم رجال المستقبل ، وسيكون بيدهم الحل والعقد في مهام الأمور

ونحن لانفهم كيف تصرف أموال المسلمين وأوقافهم على تعليم نتيجته هذا الالحاد الذي يبثه هذا الداعي ويتقاضى عليه مرتباً ضخما من هذه الاموال

وهل بهذه الطريقة وعلى هذا النحو تخدم وزارة المعارف أبناء الأمة ورجال الغد وتبني صرح التعليم والتربية ؟

نسأل الله أن يوفقكم لما فيه المصلحة والسلام

٢٦ شوال سنة ١٣٤٤

الامضاءات

محمود الديناري . عبد المعطي الشرشمي . محمد عبد السلام القباني . عبدربه مفتاح . عبد الحكم عطا . محمد هلالي الايباري . عبد الرحمن المحلاوي . محمد علي سلامه

بلاغ عام

﴿ قد نشر منذ عام ، وأشارت اليه جريدة ام القرى ولم تنشره وهو وثيقة رسمية وحجة قطعية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى كافة من يراه من اخواننا المسلمين من أهل مكة وأهل نجد كبيرهم وصغيرهم سلمهم الله تعالى وهداهم ، ووفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا وإياهم من صالحي عبيده واوليائه ، آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فلا يخفاكم مامنّ الله به علينا وعليكم من نعمة الاسلام قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال تعالى آمراً عباده بما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور) وقال صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليوشكن أن يعمكم الله بعقابه » والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا تحصى .فاذا كان الناس هم المحتاجين الى ربهم وهو صاحب المنة والفضل بما انعم به علينا من نعمة الاسلام وجعلنا من أهله فالواجب علينا الاجتهاد فيما يرضي الله والقيام بامره والاتباع لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد اوجب علينا فرائض الاسلام الخمس وهي شهادة أن لا إله إلا الله وحقيقة ذلك النفي والاثبات ف (لا إله) نافية جميع مايعبد من دون الله سواء كان المعبود نبيا مرسلا أو ملكا مقربا ودالة على التبرؤ من الشرك واهله بالافعال والاقوال و(إلا الله) تثبت العبادة لله ومعنى ذلك أن تكون عبداً مطيعا لله تطيعه فيما أمرك به، وتجتنب مانهاك عنه.وشهادة أن

محمداً رسول الله حقيقتها ومعناها أن تقتدي به وتتبع سنته بفعل ما أمرك به، واجتناب ما نهاك عنه ، وأن يكون الله ورسوله أحب اليك من نفسك وأهلك ومالك

(الركن الثاني) إقامة الصلاة لانها اكبر أركان الاسلام بعد الشهادتين فمن حفظها فقد حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . والثالث والرابع والخامس إيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام

فارجو أن يوفقنا الله واخواننا المسلمين لاقامة أركان الاسلام جميعها مع الاخلاص بالعمل والنية الصالحة . ومن المعلوم أنه لادين ولا اسلام إلا بالعمل باركان الاسلام وأدائها على الوجه المشروع . وإن من جماع الامر النصح لله ولرسوله ولدينه ولأئمة المسلمين وعامتهم بكل مكان وكل زمان وعلى الأخص في هذا الحرم الشريف . والذي اوصيكم به ونفسي بتقوى الله والمسارعة الى ذلك والاجتهاد فيما يحبه الله ويرضاه ، وأن تفكروا فيما خلقتم له وفي مآلكم بعد انقضاء آجالكم فانه لاشيء بعد ذلك إلا جنة أو نار . والعاقل منا ومنكم من فكر وسعى فيما يرضى ربه وينجيه من عذابه

إن أول وصيتي لكم — اخواننا أهل مكة — وأن على علمائكم الالتفات الى أمر الله ومعرفة حقيقة التوحيد والاجتهاد بما يزيل البدع والضلالات ، وتبيين الحق لعباد الله الفقراء اليه فان تعليم الناس وتبيين الحق من الباطل من أهم الاشياء التي يجب على العلماء القيام بها فاذا فعلوا مايجب عليهم فقد برئوا من عهدتهم . وإن من أهم مايجب عليهم بيانه للناس حقيقة التوحيد والعمل به وترك ماينافيه من الشرك والضلال والبدع . ثم حض الناس على إقامة شرائع الاسلام مثل الصلاة والمحافظة عليها ، ومعرفة اركانها وواجباتها ومفسداتها وكذلك غيرها من اركان الاسلام وأن ينهوا الناس ويزجروهم عن الاعمال الخبيثة من قول وفعل واعتقاد وعن جميع المنكرات التي تحرمها الشريعة وإني اطلب الى العلماء أن لايكتموا شيئا مما في نفوسهم فيما يتعلق بامر العقيدة التي تفاوضنا وإياهم فيها وأقروها فما كان موافقا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيجب علينا جميعا العمل به لأن دين الله واحد ونحن جميعا عبيد لله، واكرم الخلق على الله من اتقاه قال

تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وما كان مخالفاً للكتاب والسنة فالساكت عنه على خطر

إنه لاعذر بعد اليوم لأحد بالسكوت واكرر عليكم مرة ثانية انه من رأى منكم منكراً يخالف الكتاب والسنة من قول أو عمل فليراجع فيه العلماء الموجودين في مكة وهم الشيخ عبد الرحمن بن داود والشيخ محمد الشاوي ومن لم يستطع مراجعتهما فليبين لي الأمر ولكم على أمان الله وعهده أن انفذ مايقتضيه الحق وما اثبتته الشريعة من نفي واثبات على نفسي واسرتي وعلى العلماء والعوام .

واما أنتم - يا اهل نجد علماءكم وعامتكم والمسؤول في هذا هم الذين ذكروا اعلاه الشيخ عبد الرحمن والشيخ محمد -

فالواجب عليكم أن تتناصحوا فيما بينكم وتناصحوا اخوانكم جيران البيت الحرام وتشفقوا عليهم كشفقتكم على انفسكم وأولادكم وأن تسألوا الله لمهتديهم الثبات ولجاهلهم الهداية ، وأن يكون نصحكم لهم كنصحكم لانفسكم وأحبابكم بالرفق واللين والشفقة وأن تستروا عليهم كما تسترون على أنفسكم واحبابكم وان لاتجسسوا عليهم وأن لاتظنوا بهم ظن سوء فمن خدعكم بالله فانخدعوا له ، فان كان صادقا فالحمد لله ، وان كان غير ذلك فليس لنا إلا الظاهر وحسابه على الله

فعليكم أيها العلماء القيام بالوظيفة التي الزمنا الله وإياكم بها ، وأنتم أيها العامة عليكم أن ترتدعوا عما نهاكم الله عنه ، ثم عمانهيناكم عنه

أيها العلماء أن الامر قد جعلناه في ذمتكم فعليكم أن تقوموا بالواجب على الوجه المشروع وأن تواسوا اخوانكم أهل بيت الله الحرام وجيرانه بأنفسكم من النصيحة بالقول والفعل وأن تأخذوا على يد السفيه من كافة أهل نجد وتمنعوهم من الاعتداء بالقول والفعل اذ ليس لأحد منهم رخصة في ذلك وإنما على الموظفين أن يقوموا بوظائفهم حسبما يطلب منهم كما سنبينه

ان الذي آمركم به أيها العلماء هو أن تجتمعوا مع إخوانكم من أهل البلد الحرام وترتبوا أناساً ترتضونهم في أمر دينهم ودنياهم توزعونهم في الأحياء والاسواق حتى اذا رأوا من أحد كلاما أو عملا يخالف المشروع من شرك أو بدعة أو فسوق أقبلوا عليه ونصحوه بلين ورأفة فان قبل منهم المخطئ

واستغفر وتاب فالحمد لله وهو المطلوب وإن تردد في ذلك وتعنت يأخذونه باللين والهون اليكم حيث تقيمون عليه بعد ذلك مايجب سواء بنصيحة أو بأدب وهذا هو الأمر الأول الذي يجب على الموظفين القيام به (ثانيا) عليهم أن يحضوا الناس على صلاة الجماعة وأن لايتأخر أحد عن ادائها في المساجد فمن تأخر لأول مرة نصحوه فان تكرر منه ذلك رفعوا الامر اليكم حيث تنفذون فيه الامر المشروع (الثالث) ان يراقبوا كافة أهل نجد ويمنعوهم من الاعتداء بالالفاظ كقول جاهل: يامشرك أو يا كافر أو يافاسق وكذلك يمنعونهم من الاعتداء باليد وغيرها فمن اعتدى يؤدبونه فان عاند حملوه اليكم لتنفذوا فيه من العقوبة مايستحقه عمله أما عامة أهل مكة (أولا) ترك مايخالف الشرع من كلام شرك ودعوة غير الله واستغاثة بغير الله وتوسلات مبتدعة وزيارات القبور أو غيرها بقصد التبرك بها أو طلب شيء منها لانه لايجوز الطلب من غير الله أما الزيارة المشروعة فلا بأس بها ولكن الحال التي كانت عليها القباب من قبل فدفعاً لشبهة ورداً لحجة جاهل لا نرى زيارتها ولو أننا نبرأ الى الله من تحريم زيارة القبور على الوجه المشروع ولكن مراعاة قاعدة من قواعد الشرع المشهورة وهي « أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح »

(ثانيا) عليكم بالمحافظة على الصلاة والمبادرة لادائها مع الجماعة وترك الأعمال الى انقضاء الصلاة

(ثالثا) عليكم ترك التكلم بالكلام الخبيث الذي ينهى عنه الاسلام

(رابعاً) عليكم بالامتناع عن جميع الشبهات التي تحرمها الشريعة الاسلامية من قول وعمل مثل المسكرات أو جنسها والابتعاد عن مواقف الفساد والبعد عن البغي والمحرمات وترك الربا في جميع مظاهره وعلى الاجمال أن تجتنبوا جميع ماحرمته الشريعة الاسلامية فمن اجتنب ذلك فهو اخونا ونحن اخوانه ومن ترك شيئاً من المأمور به أو فعل شيئاً من المنهي عنه فلا يأمنن العتب ولايلومن إلا نفسه ونبرأ الى الله أن نفعل به فعلا من تلقاء أنفسنا نرد أمره الى الشريعة المطهرة وننفذ ماأمرت به فيه

وأما أنتم ياعامة أهل نجد فليشتغل كل بعمله ولايتعرض لمالا يعنيه وأنهاكم

ثم أنهاكم عن الكلام الفاحش كأن يلعن أحدكم أحداً أو يتكلم بقول يامشرك يا كافر يافاسق ياخبيث أو يرفع يده على أحد بضرب أو غيره فالفاعل لذلك هو مني في حرج أولا ثانيا (اذا) ثبت عندي أنه تكلم بهذا الكلام أوضرب بيده ولو كان منكرا المنكر فاني مجبر على تأديبه واصابته بما يضره فان ادعى المنكر أنه أنكر عملا بحديث « من رأى منكراً فليغيره » فهذا صحيح ونقره على ذلك ولكن يشترط أن يكون الانكار على وجهه المشروع إذ يشترط فيه اولا أن يكون المنكر متحققاً من أن الشيء الذي ينكره منكر بالنص ثانياً أن يكون عليما بما يأمر به عليما بما ينهى عنه حليما فيما ينهى عنه رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه فاذا كملت هذه الخصال الأربع فلينه برفق ونصيحة وستر فان أطاعه المأمور فالحمد لله وأن أبي او عاند فلا يتكلم معه بكلام فحش ولا يتجاوز عليه برفع يده أو غيرها بل يخبر بذلك الموظفين بالاسواق وهم ينظرون في شأن المخالف ويرجعونه الى العلماء . فمن تجاوز فقد عصى الأمر وجنى على نفسه واستحق التأديب

وعلى ذلك فقد برئت الذمة بما كلفنا به العلماء وأمرنا به الرعية فمن رأى ذلك صوابا موافقاً للكتاب والسنة فليجتهد في ذلك ونسأل الله لنا وله الهداية والثبات على ذلك . ومن انكر شيئاً في هذا أو رأى فيه شيئا يخالف الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح فليراجعنا فيه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

وقد أمرت الامير خالداً أن ينفذ مايقرره العلماء وأن يكون خادما للشريعة ويقيم الأمر على المخالف سواء كان من أهل مكة أو أهل نجد. وبهذا برئت ذمتي وتعلق الأمر في رقاب العلماء أي علماء مكة وعلماء نجد واكون معذورا امام من جنى على نفسه وخالف الأمر من اهل مكة المكرمة أو من أهل نجد والرجاء بالله أن يجعلنا واخواننا المسلمين من القائمين على النهج القويم والسائرين على الصراط المستقيم ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٠ شوال سنة ١٣٤٣ عبد العزيز بن عبد الرحمن

الفيصل آل سعود

مذكرة

مقدمة الى مؤتمر الخلافة العام في مصر القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وأتمروا بينكم بمعروف)

أيها الاخوة الكرام ، الذين اجتمعوا لخدمة الاسلام ، بالنظر في مسألة الخلافة التي هي أهم المسائل الدينية الدنيوية ، ان أخاكم هذا قد درس هذه المسألة من جميع وجوهها الشرعية والتاريخية والسياسية ، وألف فيها كتابا حافلا يشتمل على جل ما يلزم لمن يريد درس المسألة والاحاطة بوجوهها ، ثم كتب بعد ذلك مقالات أخرى فيها عقب إلغاء الحكومة الجمهورية التركية للخلافة العثمانية

ثم انه انتظم في عقد مجلس إدارة مؤتمركم هذا الذي قرر دعوتكم إلى هذا الاجتماع ووضع النظام له ، وكان عضواً في لجانه الفرعية ، وهو يعرض عليكم رأيه فيما يراه أهم مسائل البرنامج الذي وضعه مجلس الادارة معبراً عن هذا الاهم بما يجب على المسلمين عمله والسعي له إذا رأى المؤتمر أن نصب إمام عدل مستجمع للشروط الشرعية على الوجه الشرعي الذي هو مبايعة أهل الحل والعقد من المسلمين الموصوفين بالصفات المقررة في موضعها من كتب الشرع لا يتيسر الآن

أيها الاخوة الكرام

انني قبل بيان رأيي فيما أذكر أقول كلمة وجيزة في رأي سمعته من كثير من الباحثين والمفكرين وهو : انه إذا تعذر نصب الخليفة الشرعي الذي هو الامام الحق الذي تجب طاعته بمجرد مبايعته الشرعية على جميع المسلمين ملوكهم وأمرائهم ودهمائهم ويعد الخارج عن أمره في غير معصية الله تعالى عاصياً يجب على المسلمين قتاله إذا كان ذا شوكة — فالواجب في هذه الحالة نصب خليفة مستجمع للممكن

من الصفات والشروط المطلوبة شرعا لخلفاء دولة آل عثمان التي كان أكثر المسلمين يعترفون بها ، عملا بقاعدة : الميسور لا يسقط بالمعسور ، وقياساً على ماأجازه بعض الفقهاء من تولية القاضي المقلد (الذي يعبرون عنه بالجاهل) عند فقد العالم المجتهد، ويحتجون لذلك بما ورد في الصحيح أن «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » ووجوب اعتزال المسلم لجميع فرق المسلمين إذا لم يكن لهم إمام وجماعة ولو بعضه بأصل شجرة حتى يموت على ذلك

وإنني أشير إلى أهم ماكنت أقوله لهؤلاء (وتجدون له تفصيلا في كتابي الخلافة أو الامامة العظمى) وهو :

(١) ان لبعض الشعوب الاسلامية إماماً مبايعاً وجماعته يدعون أن بيعته شرعية لا ينقصها شيء من الشروط الشرعية ، ولبعض آخر إماماً يدعون أنه هو الذي يقيم الحق والعدل والسنة دون غيره وان لم يكن مستجمعاً لجميع ما ذكر العلماء من الشروط ، ولكن سائر الشعوب الاسلامية لا تقر لهؤلاء ولا لأولئك بامامتهم فما الفائدة من مبايعة إمام آخر لا يمكن ادعاء استجماعه للشروط ، ولا أن بيعته هي الصحيحة دون غيرها ؟ وهل تكون هذه البيعة إلا مزيداً في التفرق والشقاق ؟

(٢) كما توجد شعوب تدعي وجود الخلافة فيها يوجد أفراد يدعون الخلافة ببيعة توجب على جميع المسلمين اتباعهم ، وان كان المعتدون قد فصلوهم بالقوة من شعوبهم، وهم محمد وحيد افندي التركي السلطان الأخير من آل عثمان[1] وعبد المجيد افندي التركي الذي سُمي خليفة بدون خلافة ولا سلطنة ثم طُرد من قصره ومن بلاد شعبه ، والشريف حسين بن علي الذي كان أميراً لمكة ثم صار ملكا للحجاز ، ثم بايعه بالخلافة فريق كبير من أهل فلسطين وسورية بالاختيار ، ثم أهل الحجاز بالاضطرار ، فماذا استفاد المسلمون من هذه البيعات ؟ وهل من الحكمة أن يعود فريق آخر منهم الى مثلها ؟

(٣) ان خلافة سلاطين بني عثمان لم تكن خلافة شرعية صحيحة بحيث يعد الواحد منهم امام المسلمين الحق كما اعترفوا هم بذلك ، وانما كانت خلافة

(١) بعد تقديم هذه المذكرة للطبع نشرت الجرائد المصرية خبر وفاته رحمه الله تعالى

تغلب يطاع أمر خلفائها شرعاً فيما لا يخالف الشرع لحفظ النظام واقامة الأحكام واتقاء الفتنة وسفك الدما ، وقد نقل الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ان المتغلبين على الحكم بالقوة حكمهم حكم البغاة الخارجين على الامام، فاذا وجد الامام الحق وجب عليه قتالهم واكراههم على طاعته اذا قدر ، وانما كان أكثر المسلمين في غير بلادهم يعترف بخلافتهم لاعتزاز المسلمين بدولتهم التي صارت الدولة الاسلامية الوحيدة التي تعترف جميع دول الأرض بها وتحسب حسابا لجيشها . فكان اعترافا سياسياً وجدانياً ، أشدُّ المسلمين تعصباً له ، وعطفاً عليه ، هم المستذلون باستيلاء الاجانب عليهم . وكانوا يتناقلون أنهم ورثوا الخلافة ارثاً شرعياً بنزول آخر الخلفاء العباسيين لهم عنها ، ومن أدلة عامتهم عليها وجود الآثار النبوية عندهم وحفظهم للحرمين الشريفين . فمجموعة مزاياهم لاتوجد في حكومة اسلامية ولا شعب اسلامي . والمهم منها هو القوة العسكرية المنظمة مع الاستقلال المعترف به من جميع دول الأرض . على أن هذا كله لم يخرج خلافتهم من حكم التغلب الى حكم الامامة الحق، ولم ينالوا بها ماكانوا يرجون فى الحرب العامة عند ماأعلنوا الجهاد الشرعي

فتبين بهذه الأمور أن نصب خليفة غير مستجمع للشروط الشرعية ببيعة صحيحة شرعية لايكون اقامة للشرع ، ولا وسيلة لجمع كلمة المسلمين على امام واحد ، ولا لاعتراف اكثر شعوبهم به ، وانتفاعهم بما عسى أن يوضع من نظام لخلافته — وبعد هذا التمهيد أعود إلى أصل الموضوع فأقول :

من المعلوم بالقطع أن ذهاب الأصل يتبعه الفرع ، وأن لا بقاء للثمرة إلا ببقاء الشجرة ، فاضاعة المسلمين لنظام الامامة العظمى، وتفريطهم في منصب خلافة النبوة ، أضاع عليهم ماأوجبه الشرع بهذا النظام وجعله ثمرة له : من حراسة الدين ، وعزة الملة والدعوة ، ووحدة الأمة ، وحفظ مصالحها الدينية والدنيوية ، وكل مايشكوه عقلاؤهم ودهماؤهم منه في أمورهم العامة من مصالح ضائعة ، ومفاسد ذائعة ، وفرائض متروكة ، ومحرمات مستباحة ، فهو من فروع ذلك الأصل ؛ ولا سبيل إلى اقامة تلك المصالح ، ودرء هاتيك المفاسد ، إلا باعادة منصب الخلافة النبوية

على وجهه الشرعي الصحيح الذي اجمع عليه سلف الأمة ، فاذا تعذر ذلك الآن فما الذي يجب على زعماء المسلمين الذين يعنون بمصلحتهم العامة من اتخاذ الوسائل له والتمهيدات لاقامته ، والذي يطالب هذا المؤتمر بتقريره والسعي لتنفيذه ؟ الذي أراه انه يجب السعي الى إيجاد الوسائل الثلاث الآتية :

(١) أهل الحلّ والعقد

قد ناط الشرع الاسلامي أمر الحكم والسلطان بالأمة ، وجعل اجماعها حجة ، وضمن لها أن لاتجتمع على ضلاله ، وانما يمثل ارادة الأمة ويعبر عن اجماعها الكلي أو الأغلبي زعماؤها الذين هم محلّ ثقتها ، وأهل الحل والعقد في شؤونها ، الذين تتبع جماعتهم في جملة المصالح العامة ، وتُتبع الافراد أو الهيئات الخاصة منهم في كل نوع منها ، كعلماء الدين في الأحكام الدينية ، وقواد الجيوش في الأمور العسكرية ، والاطباء في الاحتياطات الصحية ، وأولي الرأي والتجارب والمعرفة في المصالح السياسية والادارية ، والفنيين البارعين في الأعمال الفنية ، الخ ويعتبر في كل فريق من هؤلاء وغيرهم الغيرة على الأمة ، والصدق والاخلاص في خدمتها بحيث يكون موثوقا به عند الجمهور منها

وقد صرح أعلام الملة من علماء الأصول والفروع بأن مدار انعقاد الخلافة على بيعة أهل الحل والعقد في الأمة فهم الذين ينصبون الامام ، وهم الذين لهم الحق في خلعه عند وجود المقتضي وانتفاء المانع الراجح ، فأول مايجب على أهل العلم بمصلحة الأمة ذوي الغيرة والرأي من أعضاء مؤتمر الخلافة وغيرهم هو البحث عن أهل الحل والعقد في كل شعب من شعوب المسلمين حيث وجدوا ، والسعي لايجادهم حيث فقدوا ، ووضع نظام للتعارف والتعاون بينهم ، وإعلام الجاهلين منهم بما أوجبه الله عليهم ، فان أكثر زعماء القبائل البدوية و كثير من البلاد القريبة من البداوة قد استحوذ عليهم الجهل المطبق ، فهم لايعرفون مصلحة قبائلهم وبلادهم في دينهم ودنياهم فضلا عن مصالح الملة العامة ، بل أقول إن أكثر زعماء البلاد الحضرية لايعرفون أحكام الخلافة الاسلامية ومزاياها التي تفضل بها سائر أنظمة الحكم في شعوب الحضارة .

(٢) النظام الذي يوضع لمعرفة من يوجد من أهل الحل والعقد وأين يوجدون ومن هم ؟ ولايجاد جماعة منهم بالوسائل العصرية المعروفة في تأليف الاحزاب والجمعيات والنقابات .

فانه لايمكن إيجاد خلافة عامة تعترف بها جميع الشعوب الاسلامية أو أكثرها إلا بوجود جماعة أهل الحل والعقد في جميعها أو أكثرها ، وتعارف هذه الجماعات أو أكثرها وتواطئهم (أولا) على نظام للخلافة يناسب حال هذا الزمان (وثانياً) على المكان الذي يختار لنصب الخليفة فيه (وثالثاً وأخيراً) على الشخص الذي يختار للخلافة ثم تبايعه تلك الجماعات

اذا ابتدأ المسلمون بالسعي لهذا عقب انفضاض المؤتمر ، فمن الجائز أن يتم النجاح في آحاد من السنين ، وليس من الكثير أن يحتاج الى عشرات السنين ، ولا يجوز لهم اليأس اذا لم يتم لهم في العشرات ، فان ماهدم في عدة قرون لا يسهل اعادة بنائه في أقل منها إلا بتوفيق من الله تعالى

(٣) نظام الخلافة المناسب لهذا العصر

يجب أن يراعى في هذا النظام :

(أولا) ألا يستطيع الخليفة أن يستبد بالامر إذا زينت له نفسه ذلك

(ثانياً) أن يكون مستجمعاً للشروط الشرعية حتى لايكون لأحد زعماء المسلمين عذر في رفض بيعته ، أو استحلال عصيانه ، وذلك بانشاء مدرسة يتخرج فيها الخلفاء والمجتهدون المستجمعون لصفات أهل الحل والعقد شرعا ولشروط القضاء الشرعي

(ثالثا) أن تبنى الاحكام ونظم الدولة في مملكة الخلافة على التشريع الاسلامي بنصوص الكتاب والسنة القطعية الجامعة بين العدل والرحمة والمساواة الصحيحة وبالاجتهاد في غير القطعي الذي مداره على درء المفاسد ، ومراعاة المصالح ، واليسر ورفع الحرج ، واباحة

الضرورات للمحظورات ، مع تقديرها بقدرها ، وغير ذلك من القواعد العامة الصالحة لكل زمان ومكان

(رابعاً) أن يكتفى من الشعوب الاسلامية غير الحرة المستقلة في امرها، ولا القادرة على اتباع سلطان الخلافة في أحكامها ، بأن تكون مرتبطة بمقام الخلافة في شؤونها الدينية كدعاية الاسلام الدينية المحضة ، والدفاع عنه ، وصيانته من الالحاد والتعطيل ، ومن البدع والخرافات، وفي منهاج التعليم الديني ، وخطب الجمعة والاعياد ، وغير ذلك من التعاون على البرّ والتقوى واعمال الخير البريئة من السياسة وشبهاتها

(خامساً) اتقاء كل مايعد عدوانا على حكومات هذه الشعوب أو حجة صحيحة لها تحملها على اضطهاد رعيتها ، وقطع الصلة الروحية المعنوية بينها وبين إمام دينها الاعظم

وإنني مستعد لتأليف رسالة أو كتاب في تفصيل هذه المسائل اذا قررها المؤتمر لأجل عرضها على المؤتمر الثاني الذي ينعقد بعده ، واختم كلامي باقتراح عقد مؤتمر آخر لذلك يعين مكانه بأصوات الشعوب والاقطار التي يتألف المؤتمر من رجالها ، بحيث يكون لأهل كل قطر صوت واحد في ذلك ، وأحمد الله على توفيق الامة لعقد هذا المؤتمر واسأله تعالى أن يوفقها في مستقبلها الى خير منه ، وصلى الله وسلم على محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، وخلفائه الراشدين ، وصحابته المرشدين وسائر الخلفاء وأئمة العلم العاملين ، والسلام على جماعة المؤتمرين

من أخيهم

محمد رشيد رضا

منشيء المنار الاسلامي

الصحة



تأليف
زعيم الهندوس الاكبر
مهاتما غاندى

ترجمة
الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادى

بحث فى الاغذية والاشربة

ينبغي لنا قبل الخوض فى هذه المسألة أن نعرف الاغذية التي تضر بصحتنا فيجب علينا اجتنابها ، نحن نطلق كلمة (الغذاء) على كل ما يدخل الجسم من طريق الفم — حتى الخمر والحشيش والافيون والتبغ والشاي والقهوة والكاكاو والبهارات والعوقات . اني موقن بأن جميع هذه الاشياء مضرة بالصحة ويجب تركها بتاتاً ، وقد علمت ذلك بتجربتي الشخصية وبتجارب الآخرين

ان الخمر والحشيش والافيون قد قبحتها جميع الاديان بلسان واحد ؛ ولكن مع ذلك نرى عدد المجتنبين لها قليلا بالنسبة إلى المتهافتين عليها ؛ ان الخمر قد أهلكت بيوتاً وأسراً بأهلها ، والسكير ينال جزاءه في صحته ، وهو يعرف بنفسه أنه ينسى فى سكره الفرق حتى بين أمه وزوجته وابنته ! ان حياته تصبح ثقلا محضاً عليه ، والسكارى كثيراً ما يوجدون ملقين في المراحيض ومجاري المياه الوسخة وإن الناس الصحاح الحواس أيضاً يصبحون آلات صماء عاجزة عند ما يتعوَّدون الشرب ، بل إن قوام العقلية تضعف فلا تؤدي وظيفتها حتى فى حالة الصحو يقول بعض الناس: ان الخمر غير مضرة اذا استعملت كالدواء ، ولكن حتى الاطباء الاوربيون قد أخذوا الآن يتحوّلون عن هذا الرأي فى أكثر الاحوال ، يقول بعض حماة الخمر: بأنه اذا كان يجوز استعمالها كالدواء بلا مضرة ، فكذلك يجوز استعمالها كالسكر أيضاً ولكنهم ينسون أن كثيراً من السموم كذلك تستعمل كالدواء ، فهل نتصوّر أن نستعملها كالغذاء ؟ قد تنفع الخمر بعض النفع فى بعض

الامراض ، ولكن مع ذلك لا ينبغي لانسان مفكر عاقل أن يرضى باستعمالها حتى كالدواء في حال من الاحوال ، وان كان لا بد له من ذلك فالاجدر به أن يفدي بجسمه الفاني على أن يرضى باستعمال شيء قد جلب الخراب والهلاك على الملايين من البشر ، أن من حسن الحظ أنه لا يزال يوجد في الهند الى هذا الزمن ألوف مؤلفة من الرجال والنساء لم يتناولوا ولا قطرة واحدة من الخمر قط ، ان هؤلاء الناس يفضلون الموت على أن يأكلوا أو يشربوا ما يحترزون منه مهما أمرتهم الاطباء بذلك

أما الافيون فليس أقل ضرراً من الخمر ويجب اجتنابه كما يجب اجتناب الخمر ، ألا نعتبر بأمة عظيمة قوية كأمة الصين قد أصبحت عاجزة عن حفظ استقلالها بسبب افتتانها بفتنة الافيون المميتة ؟ أولا نرى الاغنياء وأصحاب الاملاك في بلادنا نفسها قد ضيعوا أملاكهم مفتونين بهذه الفتنة العمياء ؟

إن فتنة الدخان كذلك قد نسجت ثوبها السميك على عقول البشر نسجا محكما ، حتى انه يحتاج لخرقه الى سعي جيل أو أكثر . فالشباب والشيوخ قد وقعوا في هذه الفتنة العمياء على سواء ، حتى ان أفاضل الناس لا يترددون في استعمال التبغ . والتدخين يكاد أن يصير طبعاً ثانياً لنا ، ويزداد كل يوم انتشاراً ورواجا — قليل من الناس يعلمون الدسائس المتنوعة التي يستعملها صناع السجاير لايقاعنا في شراك الدخان أكثر فأكثر ، فهم يرشون التبغ بحامض الافيون وغيره من الحوامض المعطرة لكي نعاني أشد المصاعب في تحرير نفوسنا من قبضته اذا أردنا ذلك ، وهم كذلك ينفقون الالوف من الجنيهات في الاعلانات ، وقد أسس كثير من الشركات الاوربية للسجاير المطابع ، وأعدت لها الصور المتحركة واليانصيب ، وأخذت في تفريق الجوائز ، كل ذلك للترغيب فيه . والحاصل أنها تصب المال صبا كالماء لنشر دعوتها ونيل بغيتها ، بل النساء أيضاً قد أخذن الآن في التدخين ، وقد نظمت القصائد في مدح التبغ ، ومجدته الشعراء ، ورفعت شأنه ، ووصفته « بالصديق الحميم للفقراء ! »

إن مضار التدخين كثيرة جداً لا يتيسر عدها للبيان ، والمدخن يصبح عبداً

خاضعاً للتبغ الى درجة يفقد فيها كل شعور الحياء والخجل ، فهو لا يزال ينفخ الدخان العفن حتى في بيوت الاجانب ! لقد أثبتت التجارب العامة بأن المدخنين كثيراً ما يقدمون على ارتكاب الجنايات على اختلاف أنواعها للحصول على الدخان . فالصبيان يسرقون الدراهم من أكياس والديهم ، والمسجونون في السجون يدبرون الحيل لاستراق السجاير ، ويبدون مهارة في إخفائها : إن المدخن يستطيع البقاء بدون أكل حيناً من الزمن ، ولكنه يرى نفسه عاجزاً عن الصبر بدون دخانه ! لقد وجدت الجنود في ميادين الحروب تفقد كل مقدرة على الحرب في أحرج الاوقات اذا حرمت من السجاير التي قد اعتادتها !

إن المرحوم الكونت (ليون تولوستوي) الروسي قصّ علينا الحكاية الآتية: رجل أراد لسبب ما قتل زوجته فاستل مديته وهمَّ بالجناية ، ولكنه أحسّ حالا بالندامة والاسف فأعرض عنه وجلس للتدخين فلم يلبث أن غشي مشاعره تأثير التبغ فقام من فوره مرة أخرى ومضى في جريمته ! فاستدل الحكيم بهذه الحكاية على أن الدخان أشد تأثيراً على المخ من الخمر ، وأكبر خطراً منها

ثم إن المبالغ التي تنفق على السجاير والسيجار Cigar كبيرة جداً وقد أعرف بنفسي أناساً ينفقون على السجار ٧٥ روبية في كل شهر!

إن التدخين يوجب انحطاطا كبيراً في قوة الهضم ، فالمدخن لا يشعر بالميل الى الغذاء ولاجل أن يجعله مرغوبا فيه نوعا ما يستعمل فيه البهارات ويستعمل معه المربيات واللعوقات بكثرة ، ثم ان نفسه يتعفن ويظهر في بعض الحالات على وجهه البثور والنفطات ، وتسود الاسنان واللثة ، بل يقع كثير منهم بسبب هذه العادة الخبيثة في أمراض خطرة ، إن دخان التبغ يعفن الهواء ويفسده فتضرر بسببه الصحة العامة ضرراً كبيراً ، وإني لا أستطيع أن أفهم كيف يتجرأ أولئك الذين يقبحون الخمر على حماية الدخان ، وإني لا أتردد في القول بأن الذي لايجتنب التبغ في جميع أشكاله لايمكن أن يكون صحيحاً كامل الصحة .

ان استعمال المسكرات مثل الخمر وغيرها لا يؤدي الى انحطاط القوى الجسمية والعقلية وخسارة المال فحسب ، بل كذلك يضعف الاخلاق ويقضي على كل قوة ضابطة للنفس

نحن نقدم الشاي أو القهوة حتى لأولئك الذين يزوروننا بغتة . وان الدعوات للشاي أصبحت الآن يومية . قد زاد رواج الشاي في الهند من عهد اللورد كرزون ازدياداً عظيما ، وكذلك زاد بترغيبه تتاجه بسرعة حتى أصبح استعماله الآن عاما في كل بيت تقريباً ، لقد عمت هذه الأشياء الى درجة كبيرة ، حتى أصبح المرضى كذلك يشربون الشاي والكاكاو ويعدونها من الغذاء المقوي

اني أؤكد بكل قوة أن الشاي والكاكاو والقهوة كل هذه المنبهات مضرة مفسدة للصحة على سواء لأنها تحتوى على نوع من السم ، مع علمي بأنه لا يوافقني في ذلك الا القليل من الناس ، أما الشاي والقهوة فان لم يخلط معها اللبن والسكر فليس فيها أية مادة مغذية ، ولقد ثبت بالتجارب المتوالية الكثيرة أنه لا يوجد في شيء من هذه الأشياء ما من شأنه اصلاح الدم البتة ، وقد كنا الى قبل سنوات نشرب الشاي والقهوة في مواضع خاصة ولكن قد أصبحت الآن هذه العادة عامة لازمة .

ان من حسن الحظ ان الكاكاو وان كان يستعمل في بيوت الأغنياء بكل حرية الا أن غلاءه قد حال دون انتشاره بين العامة كانتشار الشاي والقهوة ،

ان الشاي والكاكاو والقهوة كلها رديئة لكونها تحتوي على مواد مضعفة لقوى الهضم ، وان أردت أن تختبر ذلك بنفسك فيمكنك أن تعلمه من هذا الأمر الواقع ، وهو ان الذين تعودوها مرة (١) يصعب عليهم أن يعيشوا بعد ذلك بدونها : لقد جربت ذلك بنفسي في أيامي الماضية ، أيام كنت أستعمل الشاي ، فكنت إن لم أشربه في ساعته المعينة أحس بالكسل والارتخاء في الأعضاء .

---

(١) ان المرة الواحدة لا تؤثر هذا التأثير الا في بعض الاشخاص ، فكان يكفي ان يقول : تعودوها . فنصدق على مثله من باب قول بعض الفقهاء العادة تثبت بالمرة . وأنا اقول ان المرة الواحدة التي جربت بها دخان التبغ في الصغر هي التي صدتني عن الثانية . وأما الشاى والقهوة فان شربهما مراراً كثيرة فى كل سنة لم يجعله عادة يصعب علي أن أعيش بدونهما فقد تمر أشهر كثيرة لا أشربهما فيها وسبب ذلك اني أشربهما تداويا أو تغذيا في الاكثر لا لاجل تأثيرهما في العصب من غير توقيت الا مايكون من شرب الشاي مع طعام الصباح في غير أيام الصيف ، وقلما أشربه في الصيف

قد اجتمعت مرة ٤٠٠ امرأة وصبي في حفلة ، وكان قد قرر القائمون بها أن لايقدموا الشاي للمدعوين ، فماذا كانت حالة هذه النسوة اللاتى كن متعودات على الشاي في الساعة الرابعة مساء ؟ إنهن بادرن حالا إلى إعلام أصحاب الحفلة بأننا ان لم نتناول شاينا المعتاد نمرض ونعجز عن الحركة ! فاضطروا هم الى نسخ عزمهم ، وأمروا بتحضير الشاي ، وكان التأخير القليل الذي حصل أثناء التحضير قد أحدث صخباً كبيرا ، وفتورا عاما في النسوة ، ولم يعدن الى رشدهن الا بعد ان شربن الشاي !

ليست هذه الحكاية وضعية فكاهية ، بل واقعة قد وقعت وأنا أشهد بصحتها ، وكذلك رأيت حادثة أخرى مثلها وهي : ان احدي النساء فقدت جميع قواها الهاضمية بسبب الشاي وأصبحت فريسة لصداع شديد مزمن ، ولكنها منذ الساعة التي تابت فيها عن استعمال الشاي ، أخذت صحتها تتحسن شيئا فشيئا ، ان طبيباً من أطباء بلدية Battersea في انكلترا قد صرح بعد تحقيق دقيق بأن فساد القوى العقلية لألوف من نساء تلك الجهة انما هو نتيجة لانتشار الشاي فيها انتشاراً عظيما . وقد شاهدت أناساً كثيرين قد فقدوا صحتهم بسبب الشاي.

وقد قال شاعر هندي في وصف القهوة « إنها تزيل البلغم والنفاخ ، ولكنها مع ذلك تضعف الرجولية ، وترقق المني ، وترقق الدم، ففيها نفعان وثلاث مضرات »

ليظهر أن الشاعر قد صدق ، فان للقهوة بعض التأثير في البلغم والنفاخ ولكنها في الوقت نفسه تضعف الجسم بالقضاء على المادة المنوية الضرورية ، وترقق الدم فتجعله كالمصل. ونحن نقترح على الذين يدافعون عن القهوة بنفعها في البلغم والنفاخ استعمال سائل الزنجبيل الذي هو أنفع لهم منها لهذا الغرض . ومن جهة أخرى لا ينبغي أن ننسى أن أثم القهوة أكبر من نفعها . فاذا كان شيء يفسد المادة المنوية ويسمم الدم افلا يجب اجتنابه البتة ؟

أما الكاكاو فهو كذلك مضر كالقهوة ، بل كالشاي . لأنه يحتوي على سم يضعف احساس الجلد .

ان الذين يسلمون بقوة الملاحظات الأخلاقية في هذه الأشياء يجب أن

يتذكروا دائماً أن الشاي والقهوة والكاكاو كلها انما ينتجها في الاكثر تعب العمال تحت شروط « التعهد » الذي ليس هو إلا اسم حسن للعبودية . اننا لو ندري بأعيننا تلك المعاملة القاسية التي يعامل بها العمال في بساتين الكاكاو لانعود الى استعماله أبداً . وكذلك لو كنا نحقق الطرق التي تعالج بها جميع أطعمتنا بالتدقيق لكنا نترك ٩٠ في المائة منها بلا ريب

انه يمكن تحضير بدل غير مضر بل صحي للقهوة (والشاي والكاكاو) أيضاً بكل سهولة ، ولا يستطيع حتى الذين ألفوا شرب القهوة كثيراً أن يجدوا فيه مايفرقون به بين طعم القهوة وبينه : يوضع قمح جيد منتقى في مرجل فوق النار فيقلى حتى يحمر احمراراً ويضرب إلى السواد ، فينزل عند ذلك ويسحق كالبن ثم اذا أردت أن تشربه فخذ من المسحوق ملعقة وضعها في الفنجان وصب من فوقه ماءاً فاتراً ، وإن وضعته على النار مدة دقيقة فأحسن ، وتزيد فيه اللبن والسكر إن شئت ، فاذا شربته تجد شراباً لذيذاً أرخص وأصح من القهوة . وأما الذين لايريدون أن يتعبوا أنفسهم في اعداد هذا المسحوق فلهم أن يطلبوه [1] من« Satiagraha Ashram Ahmedabad »

الغذاء

يمكن تقسيم النوع البشري من جهة الغذاء ثلاثة أقسام كبيرة :

(فالقسم الاول) وهو أعظمها الذين يقتاتون بالنباتات وحدها ، لرغبتهم فيها وتفضيلها أو لعجزهم عن الحصول على غيرها . ويدخل في هذا القسم معظم الهند وكثير من أهل أوربة والصين واليابان . ويجتنب اللحم عدد قليل من هذا القسم لأسباب دينية ، والباقي يرحب به إن وجده . ويدخل في هذا القسم المضطر الطليان والايرلنديون وأكثر الاسكوش ، وفلاحو الروس المساكين ، وجميع

(١) المنار : يوجد بعض الازهار الخالية من مثل المواد السامة التي توجد في الشاي والقهوة ولا تخلو من تفريح كالزيزفون وهي هاضمة و بعضها أنفع من القهوة للصدر وهي كثيرة ومنها البابونج المشهور

أهالي الصين واليابان تقريباً . فقوام غذاء الطليان المكرونا ، وأهل ايرلندا البطاطس ، وأهل اسكاتلندا دقيق الذرة ، وأهل الصين واليابان الرز

(والقسم الثاني) الذين يعيشون بالاغذية المخلوطة . ويدخل فيه أكثر أهالي انكلترا والطبقة الغنية من الصين واليابان ومسلمو الهند ، وكذلك الأغنياء من الهندوس الذين لا يرون بأساً دينياً بأكل اللحم . وهذا القسم كذلك كبير وإن كان أقل من القسم الأول .

(القسم الثالث) سكان المناطق الباردة غير المتمدنين الذين يعيشون على اللحم وحده . وعددهم ليس بكثير ، بل هم أيضاً يضيفون إلى غذائهم النباتات كلما ازدادوا اتصالا بالأمم الاوربية المتمدنة . فعلم من ذلك أن الانسان يعيش على ثلاثة أقسام من الغذاء . ومن الواجب علينا أن نبحث في الغذاء الأصلح لنا

. إن التحقيق الدقيق في الجسم الانساني ينتهي بنا إلى الجزم بأن الفطرة البشرية تقتضي أن يعيش الانسان على غذاء الثمار وحده . لأن هنالك علاقة قريبة جداً بين أعضاء الجسم الانساني وأعضاء الحيوانات التي تعيش على الثمار[1] فالقرد مثلا وهو أشبه بالانسان في شكله وتركيب بنيته ،ولاسيما أسنانه ومعدته يقتات بالثمار وحدها . على حين نرى الحيوانات التي تأكل اللحم كالأسد والنمر مثلا تختلف هيئة أعضائها عن الانسان كل الاختلاف . كذلك يوجد بعض الاشتراك بين أعضاء الانسان وبين الحيوانات التي تأكل النباتات كالبقرة ولكن امعاءها أكبر من امعائه ، ومخالفته لها في التركيب

فمن هذا استنتج كثير من العلماء أن الانسان لم يخلق ليعيش على اللحم ولا على النباتات ، بل على الجذور والثمار .

وقد وجد العلماء بالتجارب أن الثمار تحتوي على جميع تلك المواد التي يحتاج اليها الانسان في غذائه . فالموز والبرتقال والتمر والعنب والتفاح واللوز والجوز والفول السوداني ، والجوز الهندي كل هذه الفواكه تحتوي على مقدار كبير من

(١) المنار : يريد بالثمار مايشمل الحبوب والفاكهة وكذا البقول أي الاغذية النباتية والثمر في أصل اللغة الحمل الذي يخرجه الشجر وجمعه ثمار

المواد الغذائية . وقد قال كثير من العلماء بأن الانسان لايحتاج بطبعه إلى معالجة الطعام بالطبخ . وحجتهم في ذلك أنه مثل سائر الحيوانات يستطيع أن يعيش بكل سهولة على الغذاء الذي تنضجه حرارة الشمس . ثم هم يقولون إن أكثر المواد الغذائية تهلك أثناء الطبخ ، وأن الاشياء التي لاتؤكل نيئة لايمكن أن تكون قد خلقت لغذائنا .

فان كان هـذا الرأي حقاً فانا عبثاً نضيع كثيراً من وقتنا الثمين في طبخ طعامنا ان كنا نستطيع أن نقتصر على الغذاء غير المطبوخ فنقتصد وقتاً كثيراً وقوة كثيرة ، ومالا كثيراً ، وننفقها جميعاً في الامور النافعة .

لا ريب أن أكثر الناس يضحكون من ذلك ويسخرون من كل من يظن أن الانسان سوف يتعود الطعام غيرالمطبوخ لانهم لايتصورونه يقبل هذا أبداً . ولكننا لانبحث الآن فيما يقبله الانسان ومالا يقبلونه نبحث فيما يجب ان يفعلوه . فاننا إذا علمنا أحسن أنواع الطعام استطعنا بعد ذلك أن نقرب عملنا للمثل الأعلى شيئاً فشيئاً . نقول إن الثمار والفواكه أحسن الأغذية ولانؤمل أن جميع الناس يأخذون قولنا قضية مسلمة ويقبلون على أكلها وحدها . بل انما نقصد بذلك أنهم « إن » تعودوا هذا الغذاء فانه يكون أحسن لهم وأنفع

يوجد في انكلترا كثير من الناس قد اقتصروا على الثمار وحدها ودونوا نتائج تجاربهم إن هؤلاء الناس ما اتخذوا هـذا الغذاء لأسباب دينية بل من الوجهة الصحية فقط .

وقد ألف دكتور ألماني اسمهJust كتابا ضخما في الموضوع ، اثبت فيه قيمة غذاء الثمار بكثير من الدلائل والشهادات . وكذلك قد عالج كثيراً من الامراض بوصف هذا الغذاء مصحوبا بالمعيشة في الهواء الطلق . وقد توسع في كلامه حتى قال إن أهالي كل قطر يمكنهم ان يجدوا جميع المواد المغذية لهم في ثمار قطرهم نفسه

استسمح القراء في أن أثبت هنا تجربتي الشخصية في المسئلة . اني أعيش منذ ستة أشهر على الثمار وحدها تاركا حتي الحليب واللبن الحامض . إن طعامي

الآن يحتوي على الموز والفول السوداني والتمر وزيت الزيتون مصحوبا ببعض الفواكه الحامضة كالليمون . وليس في وسعي أن أقول إن تجربتي قد نجحت تماما . لان مدة ستة أشهر أقل بكثير من ان تصلح للحكم النهائي في مثل هذه المسألة المهمة ، مسألة تغيير الغذاء الانساني . وكل مايمكنني أن أقول هو أني قدرت ان أبقى صحيحا بينما أصيب الآخرون بأمراض ، وأن قواي الجسمية ، العقلية لاقوى الآن من ذي قبل فاستطيع الاشتغال بالشغل العقلي أكثر من قبل مع ثبات وعزم أكثر . وقد جربت غذاء الثمار في كثير من المرضى مع نجاح كبير مطرد متشابه . وسأذكر بعض هذه التجارب في فصل الامراض . وهنا اقتصر في الكلام على القول بان تجربتي الشخصية وكذلك مطالعتي في الموضوع قد زادتني رسوخا في اعتقادي بأن غذاء الثمار أحسن غذاء للانسان

واني كما اعترفت آنفالا أتصور لحظة بأن الناس بمجرد قراءتهم هذا الكتب يكبون على هذا الغذاء بل لااستبعد أن كل ماأكتبه لايؤثر أدنى تأثير حتى على واحد من القراء . ولكنى أعتقد بأنه مفروض علي أن أقدم الى الناس كل كل ماأعتقده حقا حسب علمي ومعرفتي .

وعلى كل حال فمن أراد أن يجرب هذا الغذاء يجب عليه أن يتدرج فيه بكل انتباه وتحذر لينال أحسن النتائج . يجب عليه أن يطالع قبل البدء في العمل جميع فصول هذا الكتاب بامعان ويذعن لقواعد الأصول الاساسية التي بينت فيه . ورجائي من القراء ان لايستعجلوا في حكمهم النهائي حتى يفرغوا من سماع كل ما أريد أن أقوله لهم .

ان الغذاء النباتي أحسن غذاء بعد غذاء الثمار . نحن نطلق كلمة النبات على جميع أنواع الخضراوات والحبوب وكذلك على اللبن . ان النباتات ليست مغذية كالثمار لأنها تفقد جزءا من قوتها أثناء الطبخ ولا بد من طبخها لأنه يتعذر أكلها نية . لنرى الآن أحسن النباتات وأجودها وأصلحها للغذاء .

ان القمح أحسن أنواع الحبوب . فالانسان يقدر ان يعيش عليه وحده دون غيره ، لأنه يحتوي على القدر المناسب من جميع المواد المغذية . وكذلك

يمكن تحضير كثير من المأكولات منه وكلها يمكن هضمها بسهولة . إن الأغذية المحضرة التي تباع عند الكيميين للاطفال يصنع معظمها من القمح . ومثله الدخن والذرة ويمكن صنع الكعك والخبز منهما أيضا ولكنهما أقل درجة من القمح في قيمتهما الغذائية . لنرى الآن أحسن شكل لاستعمال القمح . ان الدقيق الابيض المطحون في الطاحونات الذي يباع في أسواقنا غير نافع لخلوه من كل مادة مغذية . وقد قال دكتور انكليزي إن كلبا كان يطعم من هذا الدقيق وحده فمات بعد زمن بينما الكلاب الأخرى التي كانت تأكل من دقيق أحسن منه قد عاشت صحيحة صحة تامة . إن أقبال الناس عامة بهذه الرغبة الشديدة على خبز هذا الدقيق ليس الا لأنهم يأكلون للاستمتاع ولا يبالون بالصحة مطلقاً . ان هذا النوع من الخبز لايكون له أي طعام ولا تبقى فيه أي مادة من المواد الغذائية . ثم فوق هذا لاتكون خبزته لينة بل كثيرا ماتتصلب حتى يتعذر كسرها باليد . ان أحسن دقيق هو ذلك الذي يطحن من القمح النظيف في الرحى ذات الاسنان في البيت . فيستعمل بدون التصفية المزيدة . ويكون خبزه حلواً جداً وليناً للغاية : وهو يبقى أكثر مما يبقى دقيق الطاحونة لأنه يحتوي على المواد الغذائية أكثر منه ويمكن استعماله في كمية أقل منه .

إن الأرغفة التي تباع في الاسواق لافائدة منها أصلا فهي قد تكون بيضاء جميلة . لكنها دائماً مغشوش مافيها . وأقبح مافيها أنها تصنع من العجين المخمر الذي قال عنه كثير من الناس بعد التجربة أنه مضر بالصحة . ثم أنها فوق هذا تصنع في الأفران المطلية بالشحم ، وهذا هو مما لايوافق عواطف الهندوس والمسلمين على السواء . إن شحن البطن بهذه الأرغفة من السوق عوضا من خبز الخبز الجيد في البيت لدليل كبير على الكسل

ولاستعمال القمح طريقة سهلة غير هذه الطريقة . وهي أن يجرش القمح ثم يطبخ ويخلط عليه اللبن والسكر . ان هذا يهيئ طعاماً لذيذاً صحيحاً

ان الرز غذاء غير نافع بالمرة . ومما يرتاب فيه هو هل يمكن للانسان أن

يعيش بالرز وحـده بدون أن يزيد معه الاشياء المغذية كالعدس واللبن ،خلافا للقمح الذي يمكن الاقتصار عليه وحده حين يغليه في الماء

نحن نأكل البقول لطعمها فقط وبما أنها تحتوي على المواد الملينة المسهلة فهي تساعد في تنظيف الدم الى حدما . ولكنها مع ذلك ليست الا الحشيش في شكل آخر وعسرة جداً في الهضم . أما الذين يكثرون استعمالها فتضعف أبدانهم ويشكون في أكثر الاحيان سوء الهضم ويبحثون دائما عن العقاقير والمسحوقات الهاضمة . فعلى هذا ان كان لابد من استعمالها فيجب الاعتدال فيه .

إن أنواع العدس كلها عسرة الهضم وكل ما فيها من الجودة هو أن الذين يأكلونها لايجوعون وقتا طويلا ولكنهم في الأكثر يصابون بسوء الهضم . نعم ربما يستطيع هضمها الذين يشتغلون بالاشغال المتعبة ، بل ربما يستفيدون منها بعض الفائدة . ولكن نحن الذين نعيش عيشة الجلوس والكسل يجب أن نحترس كثيراً في أكله .

إن الكاتب الانكليزي الشهير الدكتور هيج hig يقول لنا على أساس التجارب المتوالية بأن أنواع العدس كلها مضرة بالصحة لانها تولد في الجسم الايسيد acid الذي يسبب أمراضاً مختلفة ويجلب الشيخوخة قبل أوانها . ولا حاجة إلى سوق دلائله هنا ، فاني متأكد بصحة تجربتي الشخصية . وعلى كل حال فالذين لايستطيعون ، أو لا يريدون الاجتناب التام عن العدس يجب عليهم ان يأكلوه باحتراس كبير .

إن البهارات والتوابل شائعة في الهند شيوعاً عظيما ، خلافا لسائر العالم ، حتى إن السود من افريقيا ينفرون من توابلنا ، ويرفضون أن يأكلوا طعامنا المخلوط بالبهارات والبيض لانهم اذا أكلوا التوابل تفسد معدهم، وتظهر البثور على وجوههم ، كما أني وجدت ذلك بتجربتي الشخصية . والحقيقة أن التوابل ليست لذيذة في ذاتها في حال من الاحوال ، ولكننا قد ألفناها من زمن طويل فيروق لنا طعمها ورائحتها . وهي مهما تكن لذيذة فان من الخطأ الفاحش كما قد قررنا آنفاً ، أن نرغب بكل شيء لمجرد طعمه ولذته .

لماذا انتشرت هذه البهارات والتوابل بيننا هذا الانتشار الكبير ؟ لاشك أن السبب الوحيد هو الاستعانة بها على هضم الطعام لنستطيع الاكثار من الاكل، إن في الفلفل والكزبرة والكمون وغيرها من التوابل قوة كاذبة للاعانة على الهضم وايجاد نوع من الجوع الكاذب . ولكن من الخطأ أن يظن المرء من هذا بأن الطعام كله قد انهضم وتحلل في الجسم . ان الذين يكثرون أكل التوابل يصابون أحياناً بفقر الدم وكذلك بالاسهال . اني أعرف رجلا قد مات في عنفوان شبابه لاكثاره من أكل الفلفل الاحمر كثرة زائدة . ولذلك يتحتم اجتناب جميع أنواع التوابل بلا استثناء .

كل ماقيل في البهارات يقال في الملح ! قد يغضب كثير من الناس لهذا القول . ولكنه حقيقة قد ثبتت بالتجربة . إن هناك في انكلترا مذهباً يجزم بأن الملح أضر بالصحة من أكثر البهارات . ثم اننا في الحقيقة لانحتاج إلى الملح الخارجي لأنه يوجد منه قدر كاف في تركيب النباتات التي نأكلها . ان أمنا الطبيعة قد أودعت فيها من الملح القدر الكافي الضروري لبقاء صحتنا . أما الملح الزائد الذي نستعمله فوق ذلك فلا فائدة فيه أصلا . بل يخرج كله من الجسم في صورة العرق أو بأشكال أخرى . وليس جزء من أجزائه يعمل عملا نافعاً في الجسم على مايظهره حتى إنه قال أحد الكتاب بأن الملح يسمم الدم ، وأن الذي لايأكل الملح مطلقاً يظل دمه نظيفاً إلى حد أنه لايؤثر عليه سم الثعبان اذا لدغه . لانعرف هل هذا حقيقة أم لا ؟ ولكننا تيقنا بالتجربة بأن المصابين بالبواسير وضيق النفس اذا تركوا الملح بتاتاً يستفيدون فائدة ظاهرة . ثم اني مارأيت ولا واحداً من الناس تضرر بسبب تركه الملح ، وقد تركته بنفسي من سنتين فلم أتضرر بذلك ، بل قد استفدت من بعض الجهات فانا لاأشرب الآن الماء بكثرة مثل ماكنت افعل أولا ، وأراني انشط وأقوي من ذي قبل . ان سبب هجراني الملح كان عجيباً جداً ، وكان ذلك لمرض شخص [1] قد أمره

(١) قد سألنا مهاتما غاندي عن هذا « الشخص » فاخبرنا انه زوجته وحكى لنا حكاية مرضها وقد سردناها في مقدمتنا على هذا الكتاب (المترجم)

الطبيب بترك الملح فتركه مكرهاً فخف مرضه ، ولكنه لم يزل تماماً لأنه عاد إلى الملح مع أنه لو هجره بتاتاً لشفي على ما اعتقد

ان الذين يتركون الملح ، يتركون معه النباتات والعدس أيضاً ، نعم هذا أمر صعب جداً كما قد علمت بالتجارب الكثيرة . واني متأكد بأن الخضروات والعدس لا يمكن هضمها تماماً بدون الملح ، وليس معناه أن الملح يصلح قوة الهضم في نفس الأمر ، بل انما يبدأ بفعل ذلك كما يبدأ الفلفل ، وهو مع ذلك يجر إلى النتائج السيئة في الآخر . لاشك أن الذي يترك الملح بتاتاً يشعر بفتور واسترخاء بضعة أيام ، ولكنه إن ظل ثابتاً في ارادته يستفيد فائدة كبيرة جداً .

وهاأنا ذا أتجرأ الآن على عدّ اللبن أيضاً من الاشياء التي يجب تركها ! أقول ذلك عن تجربتي الشخصية التي لا احتياج الى سردها هنا بتفاصيلها . ان الفكرة العامة بين الهندوس عن قيمة اللبن ، فكرة دينية [1] باطلة ، ولكنها قد رسخت أصولها في النفوس حتى إنه ربما كان عبثاً أن نتفكر في قلعها . ولكني كما قد صرحت أكثر من مرة بأني لا أنتظر من قرائي أنهم يقبلون جميع أفكاري بل لا أعتقد أن جميع الذين يوافقونني فيها عقلياً يعملون بها عملياً . ولكن مع ذلك أرى أنه واجب علي أن أقول ما أعتقده حقاً تاركا لقرائي الحكم .قال كثير من الاطباء إن اللبن يسبب نوعاً من الحمى ، وقد ألفت كتب كثيرة في تأييد هذا الرأي . ان جراثيم الأمراض التي تعيش في الهواء تمتزج بسرعة وسهولة في اللبن فتدخله وتسممه . وكذلك تصعب جداً المحافظة على اللبن طاهراً نظيفاً . وقد وضعت في افريقيا الجنوبية قوانين متقنة في شأن الملابن مبينة طرق غلي اللبن والمحافظة عليه ، وكيفية تنظيف الاواني وغير ذلك . فما دام اللبن يتطلب هذا التعب الكبير ، والاحتياط الشديد ، فلا ريب أنه يجب التفكر ملياً في مسألة استعماله كمادة من المواد الغذائية .

(١) الهندوس يقدسون البقر و يقدسون لبنها (المترجم)

رجال الدين في أمريكا

يعارضون عقد معاهدة مع امة غير مسيحية

﴿ لتعتبر جريدة السياسة ، وجمعية الملاحدة بمصر ﴾

صرح السناتور بوراه رئيس لجنة العلائق الاجنبية في مجلس الامة الامريكي بعدم موافقته على طلب المائة والعشرة من أساقفة الكنيسة الابسكوبالية الذين اقترحوا على المجلس رفض معاهدة لوزان قائلين : إن الرأي الأمريكي العام معارض لاستئناف علائق ولائية مع امة غير مسيحية : وقد كتب السناتور بوراه الى الاسقف « مانين » كبير أساقفة الكنيسة المشار اليها كتابا تولت جريدة « البيان » الامريكية الغراء تعريبه فيما يلي :

« أعترف مع الشكر بوصول الاحتجاج المذيل بتوقيعك وتواقيع ١٠٩ أساقفة آخرين ضد الموافقة على معاهدة لوزان التي حسبما اعتقد سوف تطرح للبحث والنظر قريباً وأنا أشعر بوجوب بذل الجهد لجعل إجازتها أمراً مقرراً ومعلوم أن هنالك أسبابا عديدة مهمة توجب إجازة تلك المعاهدة حسبما يبدو لي. ولكني لو كنت طالبا آراء الا خرين في شأنها لكان من الواجب علي ابداء مزيد الاحترام لآراء الامريكيين المقيمين في تركيا ولهم فيها مصالح مختلفة قبل غيرهم . فهم بجملتهم حسبما علمت يشيرون بوجوب إجازة تلك المعاهدة

« إن مصالحنا الدينية والتهذيبية والتجارية كلها متحدة ومجمعة على إجازة معاهدة مع تركيا علما منهم بأنها ضرورية لحمايتهم ، وما أورده من هذا القبيل هو من البراهين التي لاترد ولا تدفع . ولست أرى من الحكمة أو العدل على جانب الحكومة أن تهمل هؤلاء الناس وما لهم من المصالح المختلفة بدون معاهدة تحميهم ، أو بدون علائق ودية ، ومعاملات ولائية تتولد كما لايخفى عن مثل تلك المعاهدة وتتأيد بها

« ومما هو جدير بالذكر بهذه المناسبة أن كل الدول العظمى في العالم قد عقدن معاهدات مع تركيا ، والمعاهدة الامريكية التي هي الآن رهن النظر سوف تعمل على حماية مصالحنا الدينية والتهذيبية والتجارية اسوة ببقية الدول الاخرى ، فلا يكون مجال للقول بأن مصالح الولايات المتحدة غير محمية ، أو غير حاصلة على العناية التي نالتها مصالح الامم الاخرى . ويكون من الحماقة أن نقف وحدنا و نأبى عقد معاهدة لأننا لم نحصل على شروط أفضل من التي حصلت عليها بقية الامم فاذا فعلنا ذلك نعرض مصالحنا في كل تركيا للأخطار

« وإذا قيل أن من الواجب الحصول على معاهدة أفضل من هذه . أقول ان هذه المعاهدة هي أفضل مانستطيع الحصول عليه في هذا الحين . فاذا نقدناها الآن تكون حسبما اعتقد وسيلة للحصول على أحسن منها في المستقبل . وأما قطع العلائق بالكلية فلا يكون منه نفع . ذلك فضلا عن أن كل مااحتوته هذه المعاهدة موافق لنا ، مؤيد لمصالحنا . وفي رأيي أننا في قبولنا هذه المعاهدة لانوافق على الماضي ، ولا نجازف بالمستقبل

وفي احتجاجكم تقولون بعدم استئناف علاقتنا الولائية مع دولة غير مسيحية وغير تائبة ؟ فأنا ياحضرة الاسقف مانين استحسن أن تعمد حكومتنا الى إيجاد هذه العلائق الولائية مع كل الدول وكل الشعوب ، لانه برفضنا العلائق الولائية مع جميع الشعوب التي ترفض المسيحية . لا تكون حكومتنا تجري على خطة غير معقولة فقط . بل حسبما اعتقد أنها تكون تهمل الغرض العظيم من مفاد المسيحية في الشئون الدولية ، ألا وهو ايجاد علائق ولائية ليس فقط مع الدول المسيحية الاخرى ، بل بالاحرى مع غير المسيحية منها وذلك لكي تدنيها الينا بحيث تماس مع التعاليم المسيحية

« ثم هل يمكننا القيام بخدم فعلية لاتباعنا في تركيا ، أو هل نتوقع التمكن من التأثير على تكييف السياسة على انموذج انساني أو سياق ديني في ذلك الاقليم الخصوصي من العالم اذا نحن قطعنا العلائق مع ذلك الشعب وابتعدنا عن كل مايسهل لنا سبل التأثير النافع على شؤونه ، وانت تلفت نظري أيضا الى المذابح

التركية . فكانا نعرف هذه الامور جيداً ، ونأسف لوقوعها ، ونرغب في ازالتها أو تلطيفها في المستقبل على قدر الامكان ، ولكن كيف يتسنى ذلك لنا . بل كيف نتمكن من ايجاد تأثير انساني فعال لبلوغ ذلك القصد ؟

« أنا لااعرف سوى طريقتين وهما اما قوة السلاح -وهو امر أرفضه بتاتا- أو التواصل الى ذلك عن طريق الصداقة والموالاة والنفوذ الأدبي . ثم هل افهم من كتابكم مع المائة والتسعة أساقفة انكم ترغبون في انشاء وطن قومي للأرمن في تركيا وحماية ذلك الوطن بقوة السلاح؟ وهل تريدون من الحكومة الامريكية استخدام الجيش والاسطول لايجاد ماترومونه من الصلاح والعدالة ؟ اريد أن اعتقد بأنكم لستم راغبين في شيء من ذلك . فالطريقة الوحيدة اذن هي ايجاد علائق ودية بالمعاهده تخولنا حق البحث واستخدام وسائل الاقناع والزعامة الأدبية في ذلك السبيل

« أما قطع المعاهدات والعلائق السياسية الولائية فانه يعرض أتباعنا هناك للخطر الكبير ويضر بمصالحهم فلا نعود قادرين على مساعدتهم بغير القليل الذي نتمكن من القيام به حينا بعد آخر وعند سنوح الفرص . ولست أعتقد بأن التركي قد تغير عما كان عليه بالكلية أو انقلب بطنا لظهر بين ليلة وضحاها ذلك لأن الشعوب لاتتغير كذلك . ولكننا نخطيء كثيراً اذا أنكرنا التقدم والرقي وغير ذلك من التطورات التي طرأت على تركيا والبادية في سائر أنحائها اليوم

ان الشعوب والدول تنزع عنها خصالها وتقاليدها ببطء كما يدل على ذلك المظهر المخيف البادي في اعمال الدول المسيحية التي من يوم تعلمت تلك الامثولة القاسية في الحرب العامة لاتزال مصممة على استخدام القوة بل لاتزال تخصص الملايين بعد الملايين لكي تبتدع وسائل قتالة وأدوات مدمرة تبغي بها إهلاك الشعوب المسيحية الاخرى وتدمير عمرانها، وغير خاف أن الحرب العامة لم تكن بوجه من الوجوه أفضل ما يمكن ايجاده من الامثولات النافعة لغير المسيحيين من شعوب العالم (بل بالحري كانت أمثولة رديئة)

« واعيد ماقد سبقت فقلته وهو اني أظن أن من باب الحكمة والدراية على

جانبنا أن نسعى في ايجاد علائق ولائيــة وتجارية مع كل الحكومات والشعوب وبعملنا هذا لست أقول اننا نكون موافقين على شكل تلك الحكومات أو على نظرياتهم من حيث طريقة تمدينهم أو مايفهمونه من حيث واجباتهم الاجتماعية وعلائقهم أو استحسان تاريخهم الماضي . بل أظن اننا في الجري على هذه الخطة نكون نسعى في ايجاد الأساس الحقيقي الوحيد للسلام : ووضع الدعائم التي على مثلها يجب أن يشيد بناء السلم المشمخر الذرى

وازيد على ذلك ماأعرفه من انه لاتوجد طريقة اخرى ـ ماعدا طريقة القوة القاهرة ـ بها نتمكن من الاحتفاظ بمهابتنا ومقامنا الدولي والاحتفاظ بقوتنا بين الامم حسبما ينبغي . فخلنا اذن نستخدم الطرق الفعالة الوحيدة العاملة للسلام المؤيدة للأشياء التي بها نتمكن في المستقبل من تغيير مانريد تغييره

تنبيه واستدراك

وقع في ص ١١٩ وآخر س ٦ كلمة خريجي الازهر وهو غلط وصوابهـا متخرج في الازهر

وسقط من ص ١٢٥ س ١٨ بعـد كلمة ما هو خير منه هـذه الجملة (إلا كتب الحديث فهذه الكتب يزادفيها ولاينقص منها)

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ　٢١ برج الجوزاء سنة ١٣٠٥ هـ ش ١١ يونية سنة ١٩٢٦

علماء مصر يؤيدون مذهب السلف الصالح

فتوى

صاحبي الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية

في زيارة القبور والموسيقى وشرب الدخان

أرسل صاحب الجلالة عبد العزيز بن سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها برقيــة إلى الحكومة المصرية يبسط فيها القول في حكم الشرع في المسائل الثلاثة المتقدمة وغيرها بسبب ماأذاعه دعاة السوء والتفرقة بين شعوب المسلمين من أن حكومة جلالتــه في الحجاز ستمنع كذا وكذا فسألت الحكومة المصرية حكومة جلالته عما يريد أن يتخذه من الاجراءات مما يتعلق بالحجاج والمحمل على الاخص فورد عليها جواب جلالته بالبرق وهذا ملخصه كمانشرته جرائد القاهرة قالت :

أما البرقية فطويلة وقد استهل الملك ابن السعود برقيته بشكر الحكومة المصرية وجلالة ملك مصر وامتداحهما على مابذلوه من المساعدة للحجاز وأهله ثم قال إنهم (أي حكومة مصر وملكها) ذخر الاسلام ولذلك فانه يرجو أن يكونوا عونا له في إقامة ما أمر به كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم

وتكلم عن حالة الأمن واستتبابه في البلاد الحجازية وعدم وجود مايخشى منه على سلامة الحجاج وذكر انه يقابل المحمل وركب المحمل على الرحب والسعة ويرحب بهم الترحيب اللائق بمقامهم وبمصر وبأهل مصر وبملك مصر ويسمح بدخول البعثات الطبية كلها

وذكر أنهم لا يتعرضون لعقائد الناس ولا يتدخلون في معتقداتهم ولكنهم يمنعون مالا يقره الدين . وقال انهم لايمنعون أحداً من زيارة القبور ولكنهم لا يسمحون بالغلو في ذلك مثل التمسح وتقبيل العتبة والحوائط فان الطواف لا يكون إلا ببيت الله الحرام فقط (أي الكعبة) وقد نهي الأئمة والسلف الصالح عن الطواف بالقبور

وتكلم عن الموسيقى والدخان، وذكر انه يلفت نظر الحكومة المصرية إلى ماسيذكره في شأنهما ويرجو الموافقة عليه حفظاً لأواصر الصداقة والود .

وقال عن الموسيقى انها ولو كانت سلية للجند ومنظمة لسيرهم فانها تلهي عن ذكر الله في البلاد التي أوجدها الله لذكره . وقال انه يقبل مجيئها لغاية جدة فقط لأن فريقاً كبيراً من أهل نجد وغيرهم يعدها من الملاهي التي لا يصح استعمالها لاسيما في أوقات العبادة

وقال عن الدخان انه شجرة خبيثة : يجب أن تطهر منها البلاد المقدسة التي لايحرق فيها إلا العود والند والمسك . وذكر أنه منع شرب الدخان جهراً اه

ولما وصل الكتاب إلى وزارة الداخلية المصرية أحالته على صاحبي الفضيلة شيخ الجامع الازهر والمفتي لان ذلك من شأنهما فكان جوابهما مانصه :

علم ماجاء بخطاب سعادتكم رقم ١٠ مايو سنة ١٩٢٦ نمرة ٩١ ادارة المرافق له صورة من التلغراف المرسل من حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد لحضرة صاحب الدوله وزير الداخلية بمصر المطلوب به الافادة عما تقضي به الشريعة الغراء فيما اشتملت عليه صورة التلغراف من الموضوعات والافادة أيضاً عما يتبع في اقامة الحج أولا في هذا العام مع ماذكره حضرة صاحب الجلالة الملك ابن السعود

وبالنظر فيه وجدنا أن مايصلح موضعاً للاستفتاء هو ماجاء بالوجهين السادس والسابع مما يتعلق بزيارة القبور، والموسيقى، والدخان على الوجه المذكور بتلك الصورة

فاما مايتعلق بزيارة القبور فنقول: انها مندوب اليها شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » وكان صلى الله عليه وسلم يزور قبور المسلمين ببقيع الغرقد ويقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لي ولكم العافية » وكان يزور شهداء أحد على رأس كل حول ويقول « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ونقل محشي امداد الفتاح عن القهستاني مانصه: قال في الاحياء: والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا وجه الميت وأن يسلم (ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه) وبين الفقهاء جملة مايكره عند زيارة القبور ثم أجملوا ذلك بقولهم (وكذا

كل مالم يعهد من غير فعل السنة) وهي قاعدة كلية ينبغي تطبيقها على أي فعل لم يعهد في السنة ، وقد مثلوا له بالمس والتقبيل ، ومعلوم أنه لم يعهد من فعل السنة الطواف بغير الكعبة

وأما مايتعلق بشرب الدخان فنقول : انه لم يكن موجوداً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد خلفائه الراشدين ولا الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا في زمن الأئمة المجتهدين ، وانما حدث في القرون الاخيرة واختلف العلماء فيه اختلافا كثيراً،فمنهم من قال بحرمته عملا بحديث أحمد المروي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » وقال « انه إن لم يكن مسكراً كان مفتراً » وجنحوا مع هذا إلى نهي وليّ الامر عنه، والقواعد الفقهية تقتضي أن ولي الامر لو نهى عن مباح لمصلحة دينية حرم — ومنهم من ذهب إلى أنه مكروه نظراً لما فيه من الضرر الظاهر للابدان واضاعة الاموال — ومنهم من لايرى انه مفتر فقال باباحته أخذاً بالقاعدة العامة وهي أن الاصل في الاشياء الاباحة أو التوقف . ورد على من قال بالحرمة أو الكراهة بأنهما حكمان شرعيان لايثبتان إلا بدليل ولم يوجد . والذي يظهر أن أعدل الاقوال هو القول بالكراهة فينبغي تركه وعدم الاصرار على تعاطيه ، فان الاصرار على الصغائر يقلبها كبائر

وأما الموسيقى فحكمها من جهة الايقاع والاستماع حكم اللهو واللعب والعبث وهو الكراهة التحريمية، فان فقهاءنا نصوا على كراهة كل لهو كالرقص والسخرية والتصفيق ، وضرب الاوتار من الطنبور والبربط والرباب والقانون والمزمار والصنج والبوق فانها كلها مكروهة تحريماً، ولم يستثن من ذلك إلا ضرب الدف في الاعراس والاعياد الدينية، والاملاعبة الرجل زوجه وتأديبه لفرسه ومناضلته بقوسه

هذا ونرى أن تأخذ حكومتنا السنية حرسها الله تعالى بتسهيل أمر الحج على المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله

مفتي الديار المصرية	شيخ الجامع الازهر
امضاء (عبد الرحمن قراعة)	ختم (محمد ابو الفضل)

علاقة الاحياء بالاموات (١)

نحن معشر المسلمين اليوم نزور أمواتنا زيارة غير شرعية ، ونطلب منهم مالا يجوز طلبه إلا من الله، نعم إن هذا لايفعله خاصتنا وعلماؤنا وأهل الفضل فينا ، ولكن يفعله عامة المسلمين الذين هم اخواننا من رجال ونساء ،وهؤلاء العامة هم ثلث الامة الاسلامية على أقل تقدير فهل يجوز لولاة امورها وخاصة علمائها أن يروا مائة مليون مسلم ومسلمة على غير الحق والهدى في هذه الزيارة ثم يهملوهم من الوعظ والارشاد ؟

ألسنا نراهم يطلبون من الأموات أن ينفعوهم ويضروا غيرهم ؟ ألا يطلبون منهم العافيـة والرزق وأن يشفي مريضهم ويقهر عدوهم ويردّ ضائعهم مما لا يصح طلبه إلا من الله تعالى ؟ تقول: وهل يفعل المسلمون ذلك ؟ أقول نعم زر السيد البدوي في طنطا ، وأبا العباس المرسي في الاسكندرية ، والجيلاني فى بغداد ، وعبد السلام بن مشيش في مراكش تعلم صحة قولي

مع أن السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا يزورون الأموات ويدعون لهم ولا يكلفونهم قط ماليس من وظائفهم . وهذا نبينا وقرة أعيننا وبرد أكبادنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يطلب من جده اسماعيل ولا من جده الأكبر ابراهيم الخليل مطلباً ما . وإنما كان يطلب من الخالق الحي سبحانه وتعالى مباشرة من دون واسطة. أفبعد ماأدبنا ربنا بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) مقال لقائل؟ ومثله قوله صلى الله عليـه وسلم « إذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول (السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك يا أبتي) ثم يدعو الله وينصرف وهكذا كل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

(١) تلا هذه المحاضرة منشئها الاستاذ المغربي فى قاعة المحاضرات في كلية الصلاحية الاسلامية بالقدس على هيأة ادارتها وطائفة من أساتذتها والجم الغفير من طلبتها وذلك فى سنة ١٣٣٤ هـ

إن مطالب الانسان قسمان : قسم من أمور الدنيا جعل الله البشر أنفسهم سببا في الحصول عليه فيطلب من البشر : كأن تحتاج الى قرض فتطلبه من صديقك الغني أو وظيفة فتطلبها من الوالي ، وناظر الداخلية ، أو زوجة فتطلبها من وليها الشرعى في نظير مهر فاذا لم تطلب هذه المطالب من أربابها ، ولم تتوسل اليها بأسبابها وإنما تركت الاسباب جانبا وطلبتها من الله فضلا عن الاموات لم يقبل الله ذلك منك لأنك خالفت أمره ودابرت سننه التي بني حركة الكائنات عليها .

وقسم من المطالب الدنيوية لم يجعل الله له أسبابا تدخل تحت مقدور البشر فهذه المطالب إنما تطلب من الله مباشرة خالق الكل ومفيض الخير على الكل

وهذه المطالب كتيسير أسباب الرزق والعافية والتوفيق للخير وكممارسة الفضائل، والصرف عن الشر ومفارقة الرذائل ، وجعل عمرنا طويلا ، وحياتنا طيبة ، وتخفيف سكرات الموت ، ودخول الجنة ، وتبوأ أعلى درجاتها ، وأن يرزقني أولادا ويجعلهم سعداء في الدارين ، وأن يكف عنا شر الاشرار الخ فكل هذا مما لا يصلح طلبه إلا من الخالق الحي ، فما المعنى لطلبه إذن من المخلوق الميت المحتاج الى رحمة من الله والى (دعوة) منك

أصبح الناشؤن اليوم بعد أن درسوا العلوم العصرية الفلسفية يشكون والعياذ بالله تعالى في الخالق الذي :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فكيف يمكننا أن نقنعهم بعبادة مالا يُعد ولا يحصى من الأولياء الأموات؟ لو كان الأولياء محصورين في عدد مثلا لهان الأمر وقلنا للمسلمين الزموا هؤلاء ، ولكن في كل قطر بل في كل بلد بل في كل قرية عدد كبير من هؤلاء الآلهة الصغار ؟ وعلى كل مسلم أن يعتقد فيهم كما يعتقد في خالقه تقريباً

والمسلمون اليوم مخالطون بالاوربيين الأحرار في أفكارهم وآرائهم ، بل إن كثيرين من الأحرار غير الاوربيين يعيشون بيننا وبعضهم من اخواننا وأبنائنا وأفلاذ أكبادنا فتكليفهم عبادة أولياء مخلوقين لايدخلون تحت حصر وقولنا لهم

إن هذا دين يرضاه الله لنا: تكليف لا يقبلونه وربما أدى الأمر أخيراً الى شكهم في الله نفسه تعالى الله وتقدست صفاته وأسماؤه

فلا جرم أنا إذا اجتهدنا في إثبات الألوهية على أسلوب مقنع نكون خدمنا ديننا الاسلامي خدمة عظيمة . ولندع الآن تكليفهم عبادة الأولياء فقد كثروا وتراكموا ، والأثقال إذا تراكمت على ظهر الدابة بحيث لم تعد تقدر على حملها تساقطت بنفسها ، وأرى أن مزاعمنا في هؤلاء الأولياء الكثيرين زادت على طاقتنا فلم تعد تطيق حملها ظهورنا

لما كنت نزيل القطر المصري ذهبت من القاهرة إلى مدينة طنطا لزيارة (السيد البدوي) رضي الله عنه . وقد رأيت من جماهير الزائرين ما أنكرته واستبشعته، فرجعت إلى القاهرة وكتبت في المؤيد مقالا بهذا الموضوع منكراً محذراً . وبعد أيام ذهبت الى دار المرحوم (أحمد بك الحسيني) وكان عنده جماعة من علماء الأزهر ، فجرى ذكر زيارتي للبدوي وما كتبته في المؤيد بشأنها فأيدني قوم وخذلني اخرون ، وكان أشدهم حملة عليّ وتقبيحاً لقولي أستاذ يقال له (الشيخ مدوخ) وهو شيخ مبارك طيب القلب سليم النية أحسن الله جزاءه ، فقلت له : ياحضرة (الشيخ مدوخ) انما أريد فيما كتبته في المؤيد تصحيح عقائد اخواننا العامة فلا يشركوا مع الله أحداً ولا يصبح ديننا بسببهم مضغة في أفواه الافرنج فيقولوا عنا اننا وثنيون ونعبد آلهة كثيرة فلا يعود يسهل علينا بعد ذلك نشر ديننا في العالم، بل إن طعنهم فينا على هذه الصورة يغري بنا دولهم فيستولوا علينا ويمحونا من العالم بداعي اننا فاسدون مفسدون . أنت واخوانك العلماء تعرفون كيف تزورون الزيارة الشرعيـة ، ولكن لا تكونون ناجين من التبعة فتهملوا تعليم اخوانكم العامة المساكين وارشادهم ، ألستم أنتم ورثة الأنبياء قد ورثتم محمدا (صلى الله عليه وسلم) في تعليم أمته الدين؟ وان محمداً (صلى الله عليه وسلم) لبث في مكة قبل الهجرة نحو عشر سنوات يعلّم الناس فقط ان لا يدعوا مع الله أحدا . فليقض كل واحد منكم سنة واحدة على الاقل في تعليم المسلمين الزيارة الشرعية فلا يدعوا مع الله أحداً

علومهم أن زيارة الأموات والأولياء لأجل الاتعاظ والاعتبار فيرجعوا عن الشرور ، ولأجل تذكر مناقب الولي العظيم فيقتدوا بها ، هذا هو المقصود من زيارة الميت في الشرع ، فكيف ساغ لزائري قبر السيد البدوي أن يطلبوا منه مالا يطلب الا من الله ولعمري ان صنيعهم هذا لا يرضي الله ولا السيد البدوي نفسه

فاغتاظ مولانا (الشيخ مدوخ) وقال بحدة إني أخاف عليك ياهـذا أن يبطش بك السيد البدوي . فعجبت لقوله ، وعجبت الحاضرين قائلا : أصحيح أن السيد يبطش بشخص لم يعمل إلا ما كان هو نفسه في حياته يعمله من وعظ العامة وإرشادهم وحملهـم على التمسك بآداب الدين وفضائل الاسلام ؟ فتأثر الحاضرون من قولي . ثم انفضّ المجلس وذهبت إلى بيتي ، وأويت إلى فراشي ونفسي تهجس بما كان من الحديث بيني وبين « الشيخ مدوخ » وقوله لي إن السيد سوف يبطش بي . ثم نمت فرأيت فيما يرى النائم كأني في دار السيد أحمد بك الحسيني وعنده خلق كثيرون وفي صـدر المجلس شيخ جليـل كأنما القمر يتلألأ في وجهه . قيل لي إنه السيـد احمد البدوي . فخطر ببالي للحال (الشيخ مدوخ) وأنه لا بد أن يكون حكي له خبري معه ، وكان الأمر كما قدرت فان السيد ماوقع نظره عليّ حتى تبسم وهزّ رأسه كالمعاتب اللائم . فأسرعت اليه وانكببت على يديه أشمهما وأقبلهما . وجعلت أحلف بالله وبجده صلى الله عليه وسلم[1] إني لم أتفوه بكلمة تمس مقامه الكريم (وأن الشيخ مدوخ) بلغه خلاف الحقيقة وأن حضرات علماء الازهر الذين كانوا حاضرين في المجلس مثل الشيخ بخيت والشيخ البيجرمي والشيخ سليمان العبد يشهدون بصحة قولي . ثم قلت له باخلاص واحترام: لا أظنك أيها السيد ترضى أن ينزلك عامة المسلمين منزلة الرب إلهك . اني ياسيدي أحبك ولكن أحب الحـق أكثر منك . وأحترمك ولكن أحترم ديني أشد من احترامي لك . أزور قبرك وأذكر مناقبك وأتعظ بموتك ، وأقرأ الفاتحة وأبعث

(١) الحلف بغير الله منهي عنه بقول رسول الله (ص) « من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله » رواه النسائي عن ابن عمر

بثوابها هدية إلى روحك الطاهرة (١) ولكن لا اطلب منك نفعاً في مقابل هذه الهدية التي أرسلتها اليك لأن اعطاء الهدية بمقابل مخالف للآداب الاسلامية ، والسجايا العربية .

انك ياسيدي لو سمعت من زائريك استغاثاتهم، وابتهالاتهم، وتكاليفهم لك بتفريج كرباتهم وقضاء حاجاتهم . مقتهم وعذرتني ، انهم ياسيدي يعتقدون في أحجار قبرك وفي الأستار الملقاة على ضريحك تأثير الحب والبغض، والشفاء والمرض ، والغنى والفقر ، والنفع والضر .

فتغير وجه السيد وجعل يلحظ (الشيخ مدوخ) شزراً ، فانبسطت أنا حينئذ بعد الانقباض وتفتحت في الكلام فقلت : إن عبدالله بن سبأ اعتقد في جدك أمير المؤمنين سيدنا علي بن ابي طالب أن فيه شائبة ألوهية فنفاه إلى مصر ثم إلى المدائن ، فما كنت أنت صانعاً في هؤلاء الذين يعتقدون فيك مايعتقدون في الرب معبودك ؟ ؟ ؟ فقطب السيد وزوى حاجبيه وقال : لو أطلقت يدي فيهم لنفذت عليهم حكم الشرع ، ثم التفت السيد رضي الله عنه إلى السادة العلماء وقال لهم محيياً: كيف تسربت هذه الضلالات إلى العامة وأنتم فيهم ؟ ثم كيف تغافلتم عنهم حتى خرجوا في الاعتقاد فينا وفي زيارتنا عن حدود السنة وآداب الشريعة ؟ كيف تلاهيتم عنهم فجعلوا ينسبون إليّ من الأعمال مالا يصح ويعملون في مولدي من الآثام مالا يجوز ؟ لماذا لم تفهموهم أن طريقتنا نحن معاشر الأولياء هي الكتاب والسنة ، وأن الذى يرضينا منهم انما هو العمل بأحكام الشريعة كما كنا نحن نعمل في حياتنا .

ثم التفت السيد البدوى إلى شاب حسن الطلعة قاعد في طرف المجلس وقال له قم يابني فاقرأ على الحاضرين ماألقيته عليك وعلى رفاقك المريدين في هذا الصباح

فقلت لمن بجانبي ومن هذا الشاب ؟ قال هو عبد العال أكبر تلامذة السيد البدوى . فأخرج الشاب من جيبه كراسة فقلب فيها ثم قرأ بصوت جهورى مايلي:

(١) هذا ليس من السنة فانه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعله أو يأمر به بل هو من البدع الحدثة التي كان يجدر بالكاتب انكارها كغيرها اه مصححه

« ياعبد العال أشفق على اليتيم ، واكس العريان ، واطعم الجيعان ، واكرم الغريب ، والضيفان عسى أن تكون عندالله من المقبولين »

« ياعبد العال أحسنكم خلقاً أكثركم إيماناً بالله تعالى ، وإن الخلق السيء يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل »

« ياعبد العال : هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة ، والصدق والصفاء وحسن الوفا ، وحمل الاذى ، وحفظ العهود »

« ياعبد العال لاتشمت بمصيبة أحد من خلق الله ، ولا تنطق بغيبة ولانميمة ولا تؤذ من يؤذيك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء اليك ، واعط من حرمك »

« ياعبد العال أتدرى من هو الفقير الصادق ؟هو الذى لا يسأل أحداً . ويعمل بالكتاب والسنة »

« ياعبد العال : إن شروط طريقتنا أن لا يكذب المتبع لها ، ولا يأتي بفاحشة وأن يكون غاض البصر عن محارم الله ، طاهر الذيل عفيف النفس ، خائفاً من الله ، عاملا بكتاب الله ، ملازماً للذكر ، دائم الفكر »

« ياعبد العال من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة في الدنيا ولا في الآخرة »

ثم سكت عبد العال وجلس : فالتفت السيد إلى الحاضرين وقال هذه هي طريقتنا ياقوم وهذه هي آدابنا وهذا مانريد من احبابنا ومريدينا أن يقولوه ويفعلوه فمن أين جاؤا في حقنا بهذه الغرائب والعجائب ؟ وكيف انزلونا منزلة الرب خالقنا ؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

عندها نهض (الشيخ مدوخ) وقال بتأثر وانفعال : يا أيها السيد إن المسلمين الذين يزورونكم إنما يستشفعون بكم إلى ربكم ويتبركون تبركاً بلثم أحجار ضريحكم ويدعون الله تعالى ثم ينصرفون وليس في فعلهم مايخالف الشرع ولا آداب السنة ولاهو مما يسمي عبادة .

فالتفت السيد إلى كأنه يستفهم مني عما قاله (الشيخ مدوخ) فقلت له ياسيدي يمكنني أن أرد علي الشيخ مدوخ بأن العامة الذين يزورون قبور الانبياء

والأولياء نسمعهم بآذاننا يدعونهم بأسمائهم قائلين افعلوا كذا واصنعوا كذا . وقد روى الامام أحمد بن حنبل في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال« الدعاء عبادة »وفي رواية « الدعاء مخ العبادة » والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة يمكن أن نحتج بها على الشيخ مدوخ ولكن هو أيضاً يمكنه أن يرد علينا مؤولا تلك الاحاديث . ومفرغاً لها في القالب الذي يريده. فتحتدم بيننا نار الجدال على غير طائل وربما أدي الأمر أخيراً الى المراء والمماحكة والمهاترة وهذا لايليق بمجلسك الكريم . فان استحسنت ذهبنا جميعاً إلى طنطا فنزور المقام الاحمدي وترى بعيني رأسك مايفعله المسلمون حول قبرك . فقال لقد أحسنت بالرأي أحسن الله اليك بالجنة، وصلنا إلى طنطا ودخلنا المقام الاحمدي ومعنا (الشيخ مدوخ) فاذا رجل فلاح هرم متمسك بأستار القبر وهو يبكي ويستغيث ويقول ياسيدي ويناجي أحجار القبر بكلام غير مفهوم .فأشار إليّ السيد أن اسأله عن قصته فسألته فدفعني في صدري وقال اذهب عني ياشيخ . فعدت اليه وتلطفت له في السؤال ففهمت منه أن جاره حرق بيدره وذبح بقرته فهو يطلب من السيد اما الانتقام من الظالم أو التعويض عليه ببيدر آخر وبقرة أخرى . فاربد وجه السيد عند سماع كلام الفلاح وسكت على مضض . ورأينا رجلا آخر من الزائرين يحك ظهره بقفص قبر السيد فقال : انه وقع على ظهره وهو يسقي زرعه بالشادوف فجاء يستشفى بقفص السيد .

وهناك امرأة تعول وتذرف الدموع الغزار وتهتف بالسيد . وتطلب منه أن يهلك ضرتها ويجعل زوجها يطلقها ويحبها هي ويرزقها غلاماً ذكراً من أهل الحياة . ورأينا رجلا كهلا ببنطلون اسود . وجاكيت سوداء وطربوش يدعو بالقرب من السيد ويلح الحاحاً منكراً .فاذا هو من موظفي الحكومة وقد أحالوه على المعاش فهو يطلب أن ينظر السيد في حاله ومستقبل عياله. عندها ضاق صدر السيد البدوي ولم يعد يطيق الصبر على ماسمع من هذا اللغط والهذيان والتفت الى (الشيخ مدوخ) قائلا ماهذه المطالب ؟وما هذه التكاليف ؟وماهذه الزيارة

التي تقول انها شرعية ؟ وهل نحن الاولياء المستغرقين في جلال ربنا فارغوا القلب لقضاء كل هذه الابانات والحاجات ؟ أليس الله الحي الذي بيده مفاتيح الخير والشر والنفع والضر بأقرب الى هؤلاء الشاكين من حبل الوريد ؟ فسكت (الشيخ مدوخ) وعليه علائم الحيرة والارتباك والخجل

وبينا نحن نسمع كلام الشاكين ودعاء الملحين إذا برجل معمم آخذ بتلابيب رجل آخر يظهر من قيافته أنه غريب وهما يتنازعان ويتدافعان فسأل السيد ما خبرهما ؟ فقيل له ان الاول المعمم مزوّر يعلم الناس الزيارة ويأخذ منهم أجرة وهذا الغريب يقول له : إنه يعرف آداب الزيارة فهو يريد أن يزور بنفسه من دون معلم وانه لايستحل أن يؤدي دراهم تلقي في (صندوق الزيارة) الموضوع في جانب المقام فقامت قيامة السيد (رضي الله عنه) وغضب غضباً شديداً وقال ياسبحان الله . كل هذا يجري على مراقدنا . وفوق رؤسنا ؟ الى هذا الحد بلغ الامر بالمسلمين أن يتخذوا قبورنا حوانيت للتجارة وأجسامنا بضاعة للاستغلال ؟ فوق اتخاذهم لها أوثانا ؟ نحن كنا في الحياة الدنيا نعادى المال ولا نجعل أجسامنا تتمتع به أكلاً ولبساً وادخاراً أفيجوز أن تجعل أجسامنا عدوة المال شباكا للمال ، ووسيلة من وسائل جمع الحطام ؟ ؟

ثم تراءت لنا من بعيد صحيفة ملقاة في داخل القفص المعدني الذي فيه قبر السيد فاقتربنا منه وتناولنا الصحيفة واذا فيها قصيدة [1] غراء بامضاء مفتي مصر (الشيخ بكري الصدفي) يشكو إلى السيد البدوى من شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني ويستعديه عليه ويطلب منه أن يعجل في عزله من وظيفة مشيخة الأزهر وهي مذيلة بامضاء رافعها حضرة مفتي مصر المومأ اليه وهذه هي القصيدة مع مقدمتها :

---

(١) هي القصيدة التي أشار إليها الاستاذ صاحب المنار في تعليقه على فعال (الطريقة التيجانية) في الجزء العاشر سنة ١٣٤٤ منه فقد قال أخبرني الثقة أن أحد كبار علماء الازهر نظم قصيدة يشكو فيها للسيد البدوي سعاية بعض أعدائه لاغضاب أمير البلاد عليه ويطلب منه إنقاذه من شر هذه السعاية وارضاء قلب الامير عليه

« التجاء واستنجاد برجل الفتوة طويل النجاد ، وإمام الأولياء ، وسراج الاصفياء ، الغوث الأوحد سيدي وولي نعمتي البدوي احمد دامت إمداداته ، وعمت في الدارين بركاته

آمين آمين لاارضى بواحدة حتى أضم اليها ألف آمينا »

***

أيرضيك ياغوث الورى وامامهم غبينة أهل الحق والحق ظاهر
تعدى لئيم القوم واشتد بغيه وجاء بكل الحقد وهو يجاهر
أتى بالمعاصي معلنًا ، وهو يدعي مكانة دين قيم ، وهو فاجر
وساعده حزب على شكله سعوا بكل فساد أوضحتـه الكبائر
فضلوا جميعا عن طريق رشادنا وأزهرنا منهم غدا وهو صاغر
فجئنا حماكم نرفع الأمر سيدى ونطلب دين الله ، والله ناصر
وأنتم إمام الأولياء ولا مرا وأنت غياث الملتجى وهو حائر
إذا كان يا مولاي أزهر ديننا تدور عليه في الضلال الدوائر
فأين يكون الدين ياسيد الورى وأين يكون العدل والعدل عاطر
فها قد بسطنا بعض شأن نريده وثم امور قد حوتها الضمائر
فمنها دخول في البقا وهداية لأقوم طرق الله وهي المفاخر
وصحة جسم للذين أحبهم كذلك لي في العز والعمر وافر
ونصر على الأعدا وجاه مؤبد وفوز مبين دائمًا يتقاطر
وتيسير ما أرجوه في كل مطلب وسكنى جنان الخلد حيث الاكابر
ورؤية خير الخلق جهرا بسرعة فها قد مضى عمرى وقل التناصر
فقل ياطويل الباع هاقد أجبتكم بكل الذي ترجون والله جابر
وصل على المختار ربي مسلما كذا آله ماقام بالذكر ذاكر

كتبه عبد الاحسان الواقف بالباب الراجي سرعة الجواب

بكرى محمد عاشور الصدفي

فجعل السيد البدوى يقرأها وجميع بدنه يرتجف من التأثر والانفعال والتفت الى (الشيخ مدوخ) فلم يره لانه كان قد تسلل لواذا حين رأى الورقة ملقاة في داخل القفص وكأنه كان يعلم أن سماحة المفتي هو الذى أرسل من ألقاها ثمة

عندهاضاق صدر السيد من هذه المناظر المحزنة ، والاعمال الممقوتة فتنفس الصعداء وقال : وأين ولاة امور المسلمين وعلماء الاسلام العقلاء وذووا الغيرة على الدين ؟ لماذا لا يصلحون هذه الشؤون ، ويجتهدون في تقويم اعوجاج العامة ويربون أولادهم تربية اسلامية قبل أن يتلقحوا من آبائهم بلقاح هذه المنكرات والآثام؟ فماهذه الغفلة ؟ وما هذا الاهمال ؟ فقلت ياسيدى إن كثيرين من المسلمين لاسيما محبيك ومحبي اخوانك أهل الله المقربين ينتظرون منكم أنتم اصلاح أحوال الامة الاسلامية وجمع ماانتشر من أمرها

قال منا نحن ؟ قلت نعم !

قال منا نحن ؟ قلت نعم !

قال وكيف ذلك ؟ قلت انهم يعتقدون أن الابدال والانجاب والاقطاب وسائر أهل الله لهم مجالس باطنيــة ، واجتماعات برزخية ينظرون فيها في امور المسلمين وما يطرأ عليهم من الحوادث فيذللون صعابها ويحلون مشكلاتها ثم ان أهل الظاهر بعد ذلك — وهم الحكام والامراء والسلاطين — ينفذون ماابرمتم وقررتم في عالم الغيب

فبهت السيد لما سمع مني هذا الكلام وكاد يغشى عليه من شـدة الغيظ والحنق ثم قال : ويحكم ومن أخبركم أننا ندبر أموركم ونعمل في مصالحكم ونحن في مراقدنا ؟ وأية سـنة ، أو قرآن ، أو شريعة أتت بذلك ؟ أما قال جـدى المصطفى (صلى الله عليه وسلم) « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له بخير » هـذا هو عملنا الذى يصلح أن ينسب الينا بعد الموت بشهادة النبي الصادق فكيف تنتظرون منا أن نعمل في تدبير ممالككم ، ونشتغل في قيادة جيوشكم ؟ ؟

ثم نظر إلي نظر المرتاب في قولي فقلت كلا أيها السيـد لاتظنني مغاليًا .

فان أهل مراكش كانوا يعتمدون في دفع الفرنسيس على روحانية سيدى (عبد السلام بن مشيش) وأهل بخارى كانوا يثقون كل الوثوق بوليهم المعروف بـ(منلا غوث الله) ومنه كانوا يستمدون المعونة في دفع غائلة الروس . قال ثم بعد ذلك صار ماذا ؟ قلت إن الروس تغلبوا على بخارى ودمجوها في مستعمراتهـم . أما مراكش فلا نعلم ماذا يكون من حالتها إلا بعد انفضاض مؤتمر الجزيرة المنعقد في هذه الايام من أجل النظر في مشكلتها وتحديد مناطق نفوذ الدول الافرنجية فيها

عندها سمعت السيد يتلو قوله تعالى (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ثم تنهد تنهداً عميقاً وقال :

ياسبحان الله إن أعظم حادثة طرأت على المسلمين في صدر الاسلام هي حادثة الردة ، وما سمعنا أن أبا بكر وعمر وسائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين انتظروا حل مشكلها من حضرة نبينا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وهو في قبره الشريف ، ولم يطلبوا المدد والمعونة من شهداء بدر ، ولا شهداء أحد وهم أفضل الخلق أجمعين ، بعد الانبياء والعشرة المبشرين ، وانما رجع سيدنا ابو بكر والصحابة في حل مشكلة الردة إلى الله الحي الباقي وإلى العمل بالقرآن والشريعة فاتحدوا وأجمعوا أمرهم ، ثم أقاموا حكم الله في المرتدين فانطفأت فتنتهم ، وانحلت مشكلتهم ، وكذلك السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) لم ترجع في وقعة الجمل وحل مشكلة الخلافة إلى زوجها (صلى الله عليه وسلم) ولا إلى أبيها ابي بكر بعد موتهما وهما أفضل الخلق أجمعين . وانما رجعت إلى اجتهادها وعزيمتها وشدة عصبية الجيش الذى معها . وكذلك سيدنا علي بن ابي طالب لم يرجع فيما عرض له من الأمر الا الى القرآن والشريعة ومنعة المسلمين وحميتهم .

هذا ما كان يفعله صحابة رسول الله صلى الله عليهم وسلم فيما كان يطرأ عليهم من الخطب الجسيم ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ثم لم أنشب أن استيقظت من نومي وعدت الى أشغال يومي

دمشق الشام المغربي

مقدمة

مجموعة مقالات

(الوهابيون والحجاز)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، الذي أكمل الله تعالى ببعثته الدين ، وما أرسله الا رحمة للعالمين ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الهداة المهديين ، ومن تبعهم في هُدَى الله وهَدْي رسوله الى يوم الدين

أما بعد فقد علم من سنة الله تعالى في خلقه ، مصداقا لما بينه الله تعالى في كتابه ان هداية الرسل الامم تكون على أكملها فيمن اتبعهم في عصرهم والأعصر التالية له ، وكلما تراخى الزمان ، ظهر الفسق والعصيان ، ونجمت قرون البدع ، وفشا التحريف والتأويل ، وكثر ما يكرهه الله سبحانه من القال والقيل ،

وقد قص الله علينا في كتابه من أخبار الأمم مع رسلهم عامة وأخبار أقربهم منا في الزمن وهم اليهود والنصارى خاصة مافيه العبرة والذكرى لنتقي التهوك[1] فيما تهوكوا فيه قبل أن يقع ، ولنكون على بصيرة من ديننافيه اذاوقع ، وقد علم سبحانه وأعلم رسوله أنه واقع لامحالة لأن سنن الله تعالى مطردة لاتبديل لهاولا تحويل ، وهو صلوات الله وسلامه عليه قد أعلمنا بذلك لنكون على بصيرة من أمرنا فيه ، ولا يلتبس علينا الحق بالباطل كما التبس عليهم ، فقال « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة

وقع ذلك كله حتى عم البلاد الاسلامية ، والاكثرون من المسلمين يجهلون ذلك فهم لا يشعرون أنهم غيروا وبدلوا ، وحرفوا وأوّلوا ، وأحدثوا وابتدعوا ،

(١) التحير والتهور الوقوع في الشيء بغير مبالاة . اه قاموس

وفسقوا عن امر ربهم ، وأن ما نزل بهم من الذل ، وضياع الملك ، واستيلاء الاجانب على اكثر بلادهم ، عقوبة من الله تعالى على ابتداعهم وفسقهم ، كسنته فيمن قبلهم ، قال الله تعالى في أوائل سورة الاسراء (وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً * عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً)

وان كثيراً منهم ليعلمون هذا بالاجمال حتى ان خطباء مساجدهم ليقولون من أعلى منابرهم : لم يبق من الاسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه . وأمثال هذا القول ـ ثم لا يحمل هذا العلم ولا هذا التصريح به على عمل ، ولا على ترك زائل ، بل هم يعادون كل من دعا إلى السنة ، ويصرون على ما ألفوا من البدع الدينية ، لأنها دخلت عليهم من باب الدين ، وفتنوا بمن عمل بها ممن يلبسون لباس الصالحين ، حتى انهم إذا اعترفوا بأنها بدع قالوا ، انها بدع حسنة ، خلافا لقول رسولهم (ص) « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وخلافا لقول الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) وجهلا بكون البدعة التي تنقسم الى حسنة وسيئة لا تكون في التشريع الديني والزيادة في العبادات أو التصرف فيها بجعل ما ليس بشعار شعاراً ، وانما تكون فيما وراء ذلك من الامور الموكولة الى اجتهاد الناس من الاعمال والمصالح الدينية والدنيوية كابتداع آلات للقتال تزيد في قوة الأمة على حفظ دينها ودنياها الذي يدخل في عموم قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وكتعبيد الطرق وتسهيل سبل المواصلات للمنافع الدينية والدنيوية المشروعة ولا سيما طريق الحج بانشاء السكك الحديدية وأمثالها ، وكتأليف الكتب المفيدة في ضبط لغة الدين (العربية) وغيرها من العلوم الشرعية ، أو الفنون العملية النافعة

ومما خص الله تعالى به هذه الامة المحمدية أن الكتاب المنزل لهدايتهم من عند الله تعالى قد نقل بالتواتر القطعي حفظا في الصدور وكتابة في المصاحف ، فلم يضع ولن يضيع منه كلمة ولا حرف واحد ، ولم يتغير ولن يتغير منه لفظ واحد ، وان السنة المحمدية وسيرة سلف الأمة الصالح قد رويتا بالأسانيد ودونتا في الكتب بعناية يسهل معها التمييز بين الصحيح وغيره متناً وسنداً، ولولا هذا وذاك لضاع ديننا كما ضاعت أديان من قبلنا ، حتى أقرب الناس منا تاريخاً ، فقد طرأ على كتبهم التحريف بالزيادة والنقصان والتغيير ، وفقدت أصولها التي كتبت في عهد من أوحيت اليهم وليس لشيء منها أسانيد متصلة بهم

ومما خص الله به هذه الامة أيضا أنها لا تجتمع على ضلالة وانه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وان الله تعالى يبعث منها مجددين لأمر الدين ، كما ورد في الاخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة ثبتت صحة معانيها بالفعل . وقد كان انتفاع جماهير المسلمين بهؤلاء المجددين المصلحين يختلف باختلاف أحوالهم وأحوال أهل عصورهم في العلم والعمل ، والقوة والضعف في رسوخ التقاليد والبدع ،

وكان من أجلّهم في القرون الوسطى قدراً ، وأنبههم ذكرا ، شيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى فقد آتاه الله من المواهب ماينذر أن يجتمع لأحد من البشر : سرعة الحفظ وعدم النسيان وقوة الاستحضار ، وقوة الاستنباط وقوة الاستدلال ، حفظ القرآن وما روي من تفسيره من الاحاديث المرفوعة أقوال الصحابة والتابعين ، حفظ كتب السنة وأقوال رجال الجرح والتعديل في أسانيدها ، حفظ ما يُروى عن الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار من الآثار في العقائد والآداب الدينية والأحكام الشرعية ، نظر في كتب المذاهب المدونة وأدلتها ، فكان يستحضر ذلك كله عند التأليف أو الافتاء ، قرأ كتب الملل والنحل ، ومقالات فرق الاسلام وكتب المنطق والفلسفة والكلام والتصوُّف ثم تصدى بذلك كله للرد على النصارى وأهل البدع ، وألف في ذلك المصنفات الدالة على سعة اطلاعه وقوة حجته ، ووجه جلّ عنايته لنصر السنة وترجيح مذهب السلف على كل ماخالفه من أقوال المتكلمين والمتصوفة حتى المنسوبين

إلى السنة منهم فلم يدع بدعة ولا قوة تخالف الكتاب والسنة ، ولا سيرة السلف الصالح إلا وبين بطلانها وضلال أهلها ، مميزاً بين الحق والباطل ، والايمان والكفر ، والهداية والضلالة ، والطاعة والمعصية ، ولم يقتصر في ذلك على تصنيف الرسائل والكتب الممتعة ، والفتاوي المفصلة ، بل كان يأمر بالمعرف وينهى عن المنكر ، ويناظر المخالفين ، ويستتيب المبتدعة والفاسقين ، لا يحابي حياً ولا ميتاً لكبر شهرته ، ولا لكثرة أتباعه ، ولا لضخامة ألقابه ، وكان مع هذا كله من أعبد العباد ، وأفراد الزهاد ، وقد حلّ من المشكلات ، وكشف من الشبهات وفند من التأويلات ، ماعجز عن مثله فحول العلماء ، وضلّ به كثير من المتكلمين والصوفية والفقهاء .

وقد تلقى عنه وتخرج به كثير من العلماء المحققين في علوم الشرع كلها أشهرهم وأقربهم منه العلامة ابن القيم صاحب التصانيف التي نالت من القبول فوق ما ناله كتاب عند الجمهور لأسباب أهمها لين عبارته ، وخفة وطأته على المخالفين ولا سيما بعض أكابر المتكلمين والصوفية

هذا وقد شهد لشيخ الاسلام أكابر العلماء المنصفين ولا سيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا به لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته وإيذائه وصده عن نصر السنة وإحياء مذهب السلف الصالح بعض كبار العلماء الرسميين ، المقربين من الملوك والسلاطين ، المفتونين بتأويلات المتكلمين والجامدين على أقوال أمثالهم من مقتهة المقلدين ، حتى كان أقوى ما آخذوه به تفسير الآيات والاحاديث الصحيحة الواردة في صفات الله تعالى وعلوه على خلقه بما فسرها به علماء السلف حتى أئمة المذاهب المتبعة ، وطلبوا من السلطان استتابته من قراءة هذه الآيات والاحاديث على الناس ! ! فأوذى وحبس في هذه السبيل بما هو معروف في كتب التاريخ ، وظل أخلاق أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كتبه إلى أن أحياها الله تعالى في بلاد نجد بظهور المجدد الداعي الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ؛ —

ثم في نهضة الاصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرهما من البلاد الاسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر ، فان كتبه صارت تطبع وتلاقي من الرواج والانتشار عند أولي الاستقلال في الفهم ، والاهتداء بالعلم مالا يلاقي غيرها في موضوعها إلا كتب تلميذه ووارث هديه ابن القيم رحمهما الله تعالى

وكان الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجدداً للاسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية ، وانما كان نجاحه سريعاً بتأييد آل سعود له ومنعهم إياه ممن يريده بسوء ، وما كان آل سعود أقوى شيوخ عشائر نجد وأمرائها ، ولكن الله نصرهم بنصر دينه ، فكان من امرهم ما كان من فوز وفلاح ، ثم من بلاء وامتحان ثم ما كان من رد الله الكرة لهم في هذه الايام ، ذلك بأن أمراء مكة المفسدين في الارض ، الملحدين في الحرم ، قد تصدوا لمقاومة دعوة الاصلاح والتجديد الوهابية من بدء ظهورها ، فأذاعوا في العالم الاسلامي كله أنها دعوة كفر وابتداع وعداوة للمسلمين والاسلام ، وكان مقامهم بمكة المكرمة مسهلا لهم ذلك وصدقهم أكثر الناس الذين هم أتباع كل ناعق ، وسعوا لحمل الدولة العثمانية على قتال آل سعود وهي استعانت على ذلك بالدولة المصرية العلوية الجديدة ، ولسنا بصدد بيان الماضي هنا، وانما نحن بصدد بيان عاقبة أمرهم وأمر أمراء مكة المعروفين بالشرفاء

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادها أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل مالهم من السلطان في جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ، ثم ظهر لها أن مصلحتها تقضي بالاتفاق مع آل السعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ماكان بيد الدولة منها ففعلت ذلك ، وعلم بذلك أنها لم تكن تعاديهم لسبب ديني كما كان يظن الجاهلون

وأما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فظلوا على ضلالهم في الطعن على دين الوهابية وافتراء الاكاذيب عليهم ، وكان أشدهم اسرافا في الطعن وفي عداوة آل سعود الأمير حسين بن علي ، ولما خلص أمر الحكم في الحجاز له وحده

بتقلص ظل الدولة العثمانية عنه واعتراف الانكليز واحلافهم بالملك له عليه ظنَّ أن الفرصة قد سمحت له ومكنته من الاستيلاء على نجد وجعلها تابعة لملكه الوهمي فما زال يكيد ويدس الدسائس لآل سعود حتى آل تحرشه بهم ، وإلحاده في الحرم إلى زحف السلطان عبد العزيز آل سعود على الحجاز وإنقاذه من هذا الطاغوت الذي لقب نفسه بالمنقذ ومن أولاده المفسدين

كان هذا الزحف مغريا لدعاة الملك حسين في مصر بتجديد الطعن في الوهابية ومنبهاً لأذهان الناس ، ومرغباً لها في البحث عنهم ، ومعرفة كنه حالهم وحال حسين معهم ، فرأينا أن من الواجب علينا أن نبين لهم ماعندنا من العلم بذلك في جريدة يومية واسعة الانتشار ، فانشأنا بضع مقالات نشرناها في جريدة الاهرام اليومية وفي مجلة المنار ، كان لهامن حسن الوقع والتأثير ، ووقوف الجماهير على حقيقة أمر الوهابية فوق ماكان ينتظر ، فعلموا أن هؤلاء النجديين المنبوزين بلقب الوهابية سنيون مستمسكون بمذهب السلف في العقائد ، وبمذهب الامام احمد بن حنبل في الفروع ، وأنهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعاً ، وأبعدهم عن الابتداع وارتكاب المعاصي ، ولهذا كان نصر الله تعالى لسلطانهم على الشرفاء عظيما ، ولولا معرفة حالهم لكان استيلاؤهم على الحرمين الشريفين خطباً أليما .

ولقد كان هذا النصر المبين ، مصداقا لقول الله تعالى (والعاقبة للمتقين) ولقوله (وكان حقًا علينا نصر المؤمنين) كما كان سرور المسلمين المستنيرين به دليلا على أن الاستعداد للاصلاح الاسلامي الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقوى مما كان في عهد النهضة الأولى للوهابية

على أنه لايزال للوهابية خصوم من أهل البدع والخرافات ، ومن المنهمكين في المعاصي والشهوات في مدن الحجاز ، لأن حكومتهم منعت النوعين كليهما ، ولم يكن لهؤلاء حجج فيما مضى الا الافتراء عليهم ، وكان كثير من الناس يصدقونهم فيهم لأنهم لم يعرفوا حقيقة حالهم ، لأنهم يعيشون بمعزل ، وقل أن

يسافر أحد إلى بلادهم ، أما وقد أصبحوا في الحجاز فسيرام الألوف من جميع الشعوب الاسلامية في كل عام ، ويستغنون عن التعريف بهم ، ومن الشهادة لهم

وقد رأيت أن أطبع طائفة من مقالات (الوهابيون والحجاز) في رسالة مستقلة لأنها تعد فصلا من فصول هذا الانقلاب التاريخي في الحجاز بل في الاسلام ، ليطلع عليها بعض من لم يقرأها في الاهرام ولا في المنار ، ففعلت وعلى الله توكلت ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً)

محمد رشيد رضا

منشيء المنار

مسالة صفات الله تعالى وعلوه على خلقه

بين النفي والاثبات

﴿ جواب [1] سؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية ﴾

رحمه الله تعالى

(والقسم الرابع) شر الاقسام وهو من لايعبده ولا يستعينه فلاهو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني، وانقسامهم الى هذه الاقسام هو فيما يكون قبل القدر من توكل واستعانة ونحو ذلك وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك فهم في التقوى وهي طاعة الامر الديني والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني أربعة أقسام

(أحدها) أهل التقوى والصبر، وهم الذين أنعم الله عليهم أهل السعادة

(١) تابع لما نشر فى العدد الماضي ص١٠٦

في الدنيا والآخرة (والثاني) الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر مثل الذين يمتثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن اذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه وظهر هلعه (والثالث) قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام، والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الاذى التي لا يصبر عليها كثير من الناس، وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الاذى والالام وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الارض وفسادا من طلاب الرياسة والعلو على الخلق، ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك يصبرون على أنواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر

وأما القسم الرابع فهو شر الاقسام لا يتقون اذا قدروا ولا يصبرون اذا ابتلوا بل هم كما قال الله تعالى (إن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) فهؤلاء تجدهم من اظلم الناس واجبرهم اذا قدروا، ومن أذل الناس واجزعهم اذا قهروا، ان قهرتهم ذلوا لك ونافقوك وحابوك واسترحموك ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب

والذل وتعظيم المسؤل ، ولئن قهروك كانوا من أظلم الناس وأقسام قلبا وأقلهم رحمة وأحسانا وعفوا ، كما قدجربه المسلمون في كل من كان عن حقايق الايمان أبعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم في وكثير من امورهم وان كان متظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم فالاعتبار بالحقائق فان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار واعمالهم كان شبيها لهم من هذا الوجه ،وكان مامعه من الاسلام او مايظهره منه بمنزلة مامعهم من الاسلام وما يظهرونه منه؛ بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظهرين للاسلام من هو أعظم ردة وأولى بالاخلاق الجاهلية وابعد عن الاخلاق الاسلامية من التتار. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في خطبته «خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» واذ كان خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد (ص) فكل من كان الى ذلك أقرب وهو به أشبه كان الى الكمال أقرب وهو به أحق، ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه أضعف كان عن الكمال أبعد وبالباطل أحق ، والكامل هو من كان لله أطوع ، وعلى ما يصيبه أصبر، فكلما كان اتبع لما يأمر الله به ورسوله واعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه ، وصبر على ما قدره وقضاه كان أكمل وأفضل ، وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك، وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعاً في غير موضع من كتابه ، وبين أنه ينتصر به العبد على عدوه من الكفار المحاربين والمعاهدين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة ، قال الله تعالى (بلى ان تصبروا

وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين) وقال الله تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون * ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور * ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال اخوة يوسف له (انك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقد قرن الصبر بالاعمال الصالحة عموما وخصوصا فقال تعالى (واتبع ما يوحي اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) وفي اتباع ما أوحي اليه: التقوى كلها تصديقا لخبر الله وطاعة لامره ، وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ، واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) وقال تعالى (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة

ان الله مع الصابرين) فهذه مواضع قرن فيها الصلاة والصبر وقرن بين الرحمة والصبر في مثل قوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فان القسمة أيضا رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كأهل القوة والقسوة ، ومنهم من يرحم ولا يصبر كأهل الضعف واللين مثل كثير من النساء ومن يشبههن ، ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كأهل القسوة والهلع ، والمحمود هو الذي يصبر ويرحم كما قال الفقهاء في صفة المتولي : ينبغي أن يكون قويا من غير عنف ، لينا من غير ضعف ، فبصبره يقوى وبلينه يرحم ، وبالصبر ينصر العبد فان النصر مع الصبر وبالرحمة يرحمه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « انما يرحم الله من عباده الرحماء » وقال « من لم يرحم لا يُرحم » وقال « لا تنزع الرحمة إلا من شقي ، الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » والله أعلم انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

في شروط عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه التي شرطها على أهل الذمة لما قدم الشام وشارطهم بمحضر من المهاجرين والانصار ، وعليها العمل عند أئمة المسلمين لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » لان هذا صار

اجماعا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين لا يجتمعون على ضلالة على ما نقلوه وفهموه من كتاب الله وسنة رسوله ، وهذه الشروط مروية من وجوه مختصرة ومبسوطة

منها مارواه سفيان الثوري عن مسروق بن عبد الرحمن بن عتبة قال: كتب عمر حين صالح نصارى الشام كتابا وشرط عليهم فيه أن لا يحدثوا في مدنهم ولا ماحولها ديراً ولا صومعة ولا كنيسة ولا قلاية لراهب ، ولا يجددوا ماخرب ، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعموهم ، ولا يؤوا جاسوساً ولا يكتموا غش المسلمين ولا يعلموا أولادهم القرآن ولا يظهروا شركا ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الاسلام ان أرادوه ، وأن يوقروا المسلمين وأن يقوموا لهم من مجالسهم ان أرادوا الجلوس ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، ولا يتكنوا بكناهم ولا يركبوا سرجا ولا يتقلدوا سيفا ولا يتخذوا شيئا من سلاح ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ولا يبيعوا الخمور ، وان يجزوا مقادم رؤوسهم وان يلزموا زيهم حيثما كانوا ،وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليبا ولا شيئا من كتبهم في شيء من طرق المسلمين ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا بالناقوس الاضربا خفيا ولا يرفعوا أصواتهم بقراءتهم في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا شعانين، ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، فان خالفوا شيئا مما اشترط عليهم فلا ذمة لهم ، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق

وأما ما يرويه بعض العامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من آذى ذميا فقد آذاني » فهذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يروه أحد من أهل العلم وكيف ذلك وأذاهم قد يكون بحق وقد يكون بغير حق بل قد قال الله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) فكيف يحرم أذى الكفار مطلقا وأي ذنب أعظم من الكفر ، ولكن في سنن أبي داود عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله لم يأذن لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب الا باذن ، ولا ضرب أبشارهم ، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم » وكان عمر بن الخطاب يقول : أذلوهم ولا تظلموهم

وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة » وفي سنن أبي داود عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية ، ولا تصلح قبلتان بأرض » وهذه من الشروط قد ذكرها أئمة العلماء من أهل المذاهب المتنوعة وغيرها في كتبهم واعتمدوها فقد ذكروا أن على الامام أن يلزم أهل الذمة بالتمييز عن المسلمين في لباسهم ، وشعورهم ، وكنيتهم ، وركوبهم بأن يلبسوا ثوبا يخالف ثياب المسلمين كالعسلي ، والازرق ، والاصفر ، والادكن ويشدوا الخرق في قلانسهم وعمائمهم والزنانير فوق ثيابهم ، وقد أطلق طائفة من العلماء انهم يؤخذون باللبس وشد الزنانير جميعا ، ومنهم من قال هذا يجب اذا شرط عليهم ، وقد تقدم اشتراط عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك

عليهم جميعا حيث قال: ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا غيرها من عمامة ولا نعلين الى أن قال : ويلزمهم بذلك حيثما كانوا ويشدوا الزنانير على أوساطهم

وهذه الشروط يجددها عليهم من يوفقه الله تعالى من ولاة أمور المسلمين كما جدد عمر بن عبد العزيز في خلافته وبالغ في اتباع سنة عمر ابن الخطاب حيث كان من العلم والعدل والقيام بالكتاب والسنة بمنزلة ميزه الله بها عن غيره من الائمة ، وجددها هارون الرشيد وجعفر المتوكل وغيرهما وأمروا بهدم الكنائس التي ينبغي هدمها كالكنائس التي بالديار المصريه كلها ففي وجوب هدمها قولان ولا نزاع في جواز هدم ماكان بأرض العنوة اذا فتحت ولو أقرت بأيديهم لكونهم أهل الوطن كما أقرهم المسلمون على كنائس بالشام ومصر ثم ظهرت شعائر المسلمين فيما بعد في تلك البقعة بحيث بنيت فيها المساجد فلا يجتمع شعائر الكفر مع شعائر الاسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يجتمع قبلتان بأرض » ولهذا شرط عليهم عمر والمسلمون ان لا يظهروا شعائر دينهم

وأيضا فلا نزاع بين المسلمين ان أرض المسلمين لا يجوز أن تحبس على الديارات والصوامع ولا يصح الوقف عليها بل لو وقفها ذمي وتحاكم الينا لم يحكم بصحة الوقف فكيف تحبس أموال المسلمين على معابد الكفار التي يشرك فيها بالرحمن ويسب الله ورسوله فيها أقبح سب وكان من سبب إحداث هذه الكنائس وهذه الاحباس عليها شيئان أحدهما ان بني عبيد الله القداح الذين كان ظاهرهم الرفض وباطنهم النفاق يستوزرون تارة يهوديا وتارة نصرانيا واجتلب ذلك النصراني خلقا كثيرا وبنى كنائس كثيرة

والثاني استيلاء الكتاب من النصارى على أموال المسلمين فيدلسون فيها على المسلمين مايشاؤن والله أعلم قاله أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة فيمن يفعل من المسلمين مثل طعام النصارى في النيروز ويفعل سائر المواسم مثل الغطاس ، والميلاد ، وخميس العدس ، وسبت النور ، ومن يبيعهم شيئاً يستعينون به على أعيادهم أيجوز للمسلمين أن يفعلوا شيئا من ذلك أم لا ؟

الجواب الحمد لله . لايحل للمسلمين ان يتشبهوا بهم في شيء مما يختص باعيادهم لامن طعام ، ولا لباس ، ولا اغتسال ، ولا ايقاد نيران ولاتبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك ولا يحل فعل وليمة ولا الاهداء ولاالبيع بما يستعان به على ذلك لاجل ذلك ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الاعياد ولا إظهار زينة ، وبالجملة ليس لهم أن يخصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الايام لايخصه المسلمون بشيء من خصائصه، وأما اذ أصابه المسلمون قصدا فقد كره ذلك طوائف من السلف والخلف وأما تخصيصه بما تقدم ذكره فلا نزاع فيه بين العلماء بل قد ذهب طائفة من العلماء الى كفر من يفعل هذه الامور لما فيهامن تعظيم شعائر الكفر . وقال طائفة منهم من ذبح نطيحة يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيراً وقال عبد الله بن عمرو بن العاص من تأسى ببلاد الاعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتي يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة

وفى سنن أبي داود عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينحر إبلا ببوانة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني نذرت ان أنحر إبلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «هل كان فيها من وثن يعبد من دون الله من أوثان الجاهلية؟» قال لا قال «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قال لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » فلم يأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يوفي بنذره مع ان الاصل في الوفاء أن يكون واجبا حتى أخبره انه لم يكن بها عيد من أعياد الكفار وقال « لا وفاء لنذر في معصية الله » فاذا كان الذبح بمكان كان فيه عيدهم معصية فكيف بمشاركتهم في نفس العيد، بل قد شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والصحابة وسائر أئمة المسلمين ان لا يظهر أعيادهم في دار المسلمين وانما يعملونه سرا في مساكنهم فكيف اذا اظهرها المسلمون حتى قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : لا تتعلموا رطانة الاعاجم ولا تدخلوا على المشركين فى كنائسهم يوم عيدهم فان السخط ينزل عليهم ، واذا كان الداخل لفرجة او غيرها نهى عن ذلك لان السخط ينزل عليهم فكيف بمن يفعل مايسخط الله به عليهم مما هي من شعائر دينهم ؟ وقد قال غير واحد من السلف فى قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) قالوا أعياد الكفار فاذا كان هذا فى شهودها من غير فعل فكيف بالافعال التي هي من خصائصها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فى المسند والسنن انه قال « من تشبه بقوم فهو منهم» وفى لفظ «ليس منا من تشبه بغيرنا» وهو حديث جيد فاذا كان هذا فى التشبه بهم وان كان فى العادات فكيف التشبه بهم فيما

هو أبلغ من ذلك. وقد كره جمهور الائمة اما كراهة تحريم أو كراهة تنزيه أكل ماذبحوه لاعيادهم وقرابينهم ادخالا له فيما أهل به لغير الله وماذبح على النصب، وكذلك نهوا عن معاونتهم على أعيادهم باهداء أو مبايعة وقالوا: انه لايحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم لالحما، ولا دما، ولا ثوبا، ولا يعارون دابة ولا يعاونون على شيء من دينهم لان ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم، وينبغي للسلاطين ان ينهوا المسلمين عن ذلك لان الله تعالى يقول (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ثم أن المسلم لايحل له أن يعينهم على شرب الخمور بعصرها أو نحو ذلك فكيف على ماهو من شعائر الكفر، واذا كان لا يحل له أن يعينهم هو فكيف اذا كان هو الفاعل لذلك. والله أعلم

قاله

أحمد بن تيمية

تمت

الصحة

تأليف
زعيم الهندوس الاكبر
مهاتما غاندى



ترجمة
الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادى

ثم فوق هذا يتوقف نقاء اللبن وعدمه على علف البقرة وحالتها الصحيـة . وقد حقق الاطباء بأن الذين يشربون لبن البقرة المسلولة يقعون بأنفسهم فريسة لهذا الداء الوبيل : ومن الصعب جـداً العثور على بقرة صحيحة . وعلى هـذا فاللبن النظيف تام النظافة ربما لانعثر عليه الا بعـد عناء شـديد ، لأنه كثيراً مايفسد في نفس منبعه . كل واحد يعلم أن الطفـل الذي يرضع لبن أمه المريضة قد يصاب بمرضها . وكثيراً مانرى الاطباء يعطون الدواء للامهات اذا أصيب أطفالهن بمرض . وذلك لأن تأثيره يصل الى الطفل من طريق ثدي أمه وهكذا تماماً تتوقف صحة الرجل الذي يشرب لبن البقرة على صحتهـا . فاذا كان شرب اللبن محاطاً بمثل هذا الخطر الـكبير أفليس من الحكمة تركه بتاتاً . سيما إن كنا نجد أشياء كثيرة تقوم مقامه ؟ فهذا زيت الزيتون مثلا يؤدي هـذه الوظيفة إلى حد ، واللوز الحلو بدل قوي جـداً للبن اذا وضع في الماء الساخن وأزيل قشره ، ثم سحق جيداً ومرس ومزج مزجا ، فهو يهيء شرابا محتويا على جميع مزايا اللبن وسالماً في الوقت نفسه من جميع مضاره .

لنتدبر في المسئلة من جهة سنن الطبيعة : ان العجـل لايرضع لبن أمه حتى تظهر أسنانه ، فاذا ظهرت حجر اللبن واكتفى بالعلف . هذا يدل دلالة واضحة بأن الطبيعة تطلب من الانسان أيضاً أن يكون كذلك . فهي ماأرادت منا أن نشرب اللبن حتى بعد أن نجتاز سن الطفولية . يجب علينا أن نتعود المعيشة على الثمار مثل التفاح واللوز ، أو على خبز القمح اذا ظهرت أسناننا . وينبغي أن لاتبرح من فكر القاريء الفوائد الاقتصادية التي نجنيها بتركنا اللبن . وكذلك لااحتياج

إلى أي أكل من المأكولات التي تصنع من اللبن . فعرق الليمون الحامض بدل جيد للبن الحامض . أما السمن فألوف مؤلفة من اليهود حتى الآن يستعملون مكانه الزيت .

أما اللحم فقد أثبت الفحص الدقيق فى الهيكل الانساني أنه ليس بغذاء طبيعي للانسان . والدكتور هيج hig والدكتور كنجز فورد Kingsford قد أظهرا بكل وضاحة مضاره فى جسمنا. فأثبتا أن الآسيد الذي يولده العدس في الجسم يولده اللحم أيضاً . وكذلك يسبب الامراض فى الاسنان والروماتزم فى الجسم ويحرك الاميال الرديئة — كالغضب — التي قد قررنا أنها ليست إلا صوراً للأمراض . وقد أخذ بعض آكلي اللحوم يهجرونها ويعودون إلى الغذاء النباتي البحت ويحثون عليه ، الامر الذي له معنى كبير يستحق التأمل فيه .

أما الذين يقتصرون على اللحم وحده فحالتهم من الرداءة بحيث لاتحوجنا إلى البحث فيهم حتى انا لو نراها مرة بأعيننا لن نأكل اللحم أبداً . ان الذين يقتصرون على اللحم لايمكن أن يقال عنهم إنهم أصحاء البنية . ولذلك تراهم بمجرد تقدمهم وتعلمهم القليل يقللون من أكله ويرغبون في النباتات .

فنتج من كل ذلك أن عدد الذين يعيشون على الثمار وحدها قليل جداً . ومن السهل جداً المعيشة على الغذاء المركب من الثمار والقمح وزيت الزيتون ، الغذاء الذي يساعد مساعدة كبيرة في تقوية الصحة. إن الموز له المقام الاول في الفواكه ولكن التمر والعنب والبرقوق والبرتقال وأمثالها من الثمار كلها مغذية تماماً ويمكن تناولها مع الخبز . ان الخبز لا يفسد طعمه اذا بل بزيت الزيتون ، ثم إن هذا الغذاء لايحتاج فيه إلى الملح والفلفل واللبن والسكر ، وتحضيره سهل جداً ورخيص . إن أكل السكر وحده حماقة . والاكثار من الحلويات يضعف الاسنان ويضر بالصحة . ان المأكولات الجيدة التي يمكن صنعها من البر والثمار جامعة بين الصحة واللذة .

أما المسئلة الاخرى وهي البحث في كمية الغذاء وأوقاته يومياً فلأنها مهمة جداً نخصص لها بابا مستقلا .

الباب السادس

ماهو المقدار الذي يتناول من الغذاء

وكم مرة يجب أن نأكل ؟ —

بين الاطباء اختلاف كبير في مقدار الغذاء الذي يجب أن يتناوله الانسان فقال دكتور يجب أن يأكل أكثر ما يستطيع أكله . ثم ذكر مقادير الاطعمة المختلفة التي يمكن أن تؤكل . وقال دكتور آخر إن غذاء العمال يجب أن يختلف في مقداره ونوعه عن غذاء المشتغلين بالاعمال العقلية ويعارضهما دكتور ثالث بقوله إن الأمير والفلاح وكل الناس يجب ان يأكلو مقداراً واحداً من الطعام إن مالا يصح النزاع فيه هو أن الضعيف لا يمكنه أن يتناول المقدار الذي يتناوله القوي . وكذلك غذاء النساء يكون اقل من الرجال ومثلهن الصبيان والشيوخ يأكلون أقل من الشباب ، وقد توسع كاتب حتى قال لو نمضغ الطعام جيداً بحيث تمتزج كل ذرة منه باللعاب ، فعند ذلك لانحتاج الي أكثر من أوقيتين أوأربع أوقيات من الغذاء . قال الدكتور هذا القول بعد أن جرب تجارب لاتحصى وقد بيعت نسخ كتابه ألوفا مؤلفة . فظهر من كل ذلك ان البت في تعيين مقدار الغذاء ليس من الحكمة في شيء

إن أكثر الاطباء يسلمون بأن تسعين في المائة من الناس يأكلون أكثر من حاجتهم . لاريب ان هذه حقيقة واقعة يمكن مشاهدتها كل يوم وان لم يعلن عنها الاطباء . ان الصحة لاتتقهقر من « قلة الاكل » بل من الضرورى جدا المحافظة عليها تقليل مقدار الاكل الذى نأكله .

وإن من المهم جدا ، كما قلنا آنفا ، مضغ الطعام جيدا لنستفيد المواد الغذائية الكثيرة من طعام قليل . إن المجربين من الناس قد بينوا بأن براز الذى يأكل طعاماً نافعاً غير كثير يكون قليل المقدار متماسكا بعضه ببعض ولينا ذا لون قاتم وخالياً من كل رائحة خبيثة . فالذى ليس برازه هكذا ليعلم انه يكثر من طعام

غير تام ولا يمضغ كما ينبغي . وكذلك الذي يشكو الارق أوينـام نوماً متقطعاً مقلقاً بالأحلام أو يجد صباحاً على لسانه العـاب متجمدا فهو كذلك يرتكب جناية الاكثار من الأكل . وإن كان يقوم في الليل مرات عديدة للتبول فمعناه أنه أكثر في الليل من أكل الاشياء السائلة الرقيقة . فبهذه وغيرها من التجارب يستطيع كل انسان أن يعرف بالضبط المقدار الذي يحتاج اليه من الغذاء. يصاب كثير من الناس بعفونة في نفسهم ، فهذه العفونة دليل على أن طعامهم لم ينهضم تمـاماً .ثم إن كثرة الأكل تسبب أكثر الاحيان ظهور البثور على الوجـه وفي داخل الأنف وتولد الريح في بطون كثير من الناس .إن أصل هذه المصـائب كلها ، بكلام صريح ، هو اننا قد جعلنا بطوننا مزبلة ، فنحن نحمل هذه المزبلة معنا في كل مكان .كلما نتفكر في الأمر نجد لانتمالك من استقباح عملنا هـذا استقباحاً شديدا ولا سبيل الى التخلص من جناية كثرة الاكل إلا بأن نعاهد أنفسنا عهدا أكيداً بأن لا نشترك في العزائم والولائم على إختلاف انواعها . نعم يجب الاعتناء بالضيوف ولـكن ذلك لايخرجن بنا من حدود قوانين الصحـة . هل خطر في بالنادرة أن ندعو أصحابنا لينظفوا أسنانهم معنا أو ليشربوا كوبة من الماء عندنا ؟ أليس الاكل شديد العلاقة بالصحة مثل هذه الاشياء ؟ فلماذا نحن نحدث لأجله كل هذه الضجة الـكبيرة ؟ لقد أصبحنا نهمين بالعادة حتى أن لساننا لايزال يتوق الى ألوان كثيرة جدا من الطعوم في كل حين .فلذلك نرى من واجباتنا المقدسة أن نملأ بطون ضيوفنا بأطعمة لذيذة ونمني أنفسنا بأنهم أيضاً سيفعلون ذلك معنا في نوبتهم ! إننا لوطلبنا من صديق لنا أن يشم فمنا بعد ساعة من الأكل ، ثم هو يخبرنا بشعوره الحقيقي بلامحـاباة ، فلاشك اننا نستر وجهنا من شدة الحياء والخجل ! ولـكن قد تجرد بعض النـاس من الحياء بتاتاً فلا يستحيون من أن يشربو بعد الأكل مباشرة مسهلا ليستطيعوا الاكثار من الأكل أو أنهم يستفرغون كل ما أكلوه ليعودوا حالا الى المائدة ثانية !

وبما أننا جميعاً حتى أفاضلنا يرتكبون جناية كثرة الأكل على سواء لذلك قد قرر أجدادنا العقلاء الصوم علينا أحياناً كثيرة كفريضة دينية . لاشك أن الصوم

مرة في كل أسبوعين نافع جداً للصحة . إن كثيراً من المتمسكين بالدين من الهندوس يقتصرون على أكلة واحدة في اليوم طول فصل المطر . هذا حسن جداً ومبني على أحسن الاصول الصحية . وذلك لأن القوى الهاضمة تضعف عندما يكون الهواء رطباً والسماء مغيمة ولذلك يجب تقليل مقدار الغذاء .

والآن نبحث في عدد المرات التي ينبغي أن نأكل فيها . إن الملايين من الهنود قد تعودوا على الأكل مرتين كل يوم . والذين يشتغلون بالاعمال الشاقة يأكلون ثلاث مرات ، أما عادة الأكل أربع مرات فقد دخلت بلادنا بعد قدوم الادوية الافرنجية اليها . لقد تأسست أخيراً في انكلترا وأمريكا جمعيات مختلفة تنصح الناس بأن يقتصروا على الأكل مرتين وتمنعهم من الفطور صباحا مبكراً .وذلك لأن نومنا في الليل يؤدى بنفسه وظيفة الفطور . فيجب بمجرد الانتباه صباحا أن يستعد الانسان للشغل عوضاً من الأكل ، ثم يتغذى بعد ثلاث ساعات فقط . ان الذين يتمسكون بهذا الرأى لا يأكلون في اليوم الا مرتين ولا يشربون خلالها حتى الشاى . ان دكتوراً محنكا اسمه دوى Devvai قد ألف كتابا جليلا فى الصوم وأثبت فيه فوائد ترك الفطور . وأنا كذلك أستطيع أن أؤكد بناء على تجربتي الشخصية ثماني سنوات بأنه لا حاجة الى الأكل أكثر من مرتين للذى جاوز الشباب واستكمل جسمه كل نموه .

الباب السابع

— الرياضة —

ان الرياضة ضرورية جداً للانسان كضرورة الهواء والماء والغذاء ،فالذى لا يواظب عليها لا يمكن أن يكون صحيحاً . نحن لا نقصد «بالرياضة» مجرد التمشي أو الألعاب كالصولجان وكرة القدم ، بل ندخل في الكلمة جميع الاشغال الجسمية والعقلية . الرياضة ضرورية كضرورة الغذاء للجسم ، فالمخ يضعف لعدم الرياضة مثل ما يضعف الجسم سواء بسواء .وضعف العقل نوع من المرض بلا ريب .

فالمصارع الماهر في المصارعة لايعتبر « صحيحاً » بالحقيقة الا اذا كان عقله كذلك قويا كجسمه . وكما قد بين أن المخ القوي في الجسم القوي ، هذه القاعدة وحدها تؤسس صحة حقيقية .

ماهي اذن الرياضات التي يحافظ بها على قوة الجسم والعقل معاً ؟ ان الطبيعة قد قدرت ذلك بطريقة تمكننا من أن نريض الرياضة الجسمية والرياضة العقلية في وقت واحد . أن الاكثرية الكبيرة من البشر تعيش بالعمل في المزارع . فالفلاح مضطر أن يقوم بالرياضة البدنية المتعبة على كل حال لأنه لابد له من أن يشتغل من ٨ الى ١٠ ساعات بل أكثر من ذلك أيضاً ليحصل على قوته ولباسه . ثم العمل الجسمي الشاق المتعب يستحيل القيام به الا اذا كان المخ فى حالة حسنة . والفلاح يكون مخه كذلك ، فهو لابد له من معرفة التفاصيل الكثيرة للزراعة ، وكذلك لابد من أن يكون له علم وافر بالارض وأنواعها والفصول وتقلباتها ، بل ربما بحركات الشمس والقمر والنجوم وسيرها حتى انه قد يغلب أعلم الناس فى هذه الامور . ثم هو يعرف حالة الوسط المحيط به كماينبغي فيستطيع أن يعرف الجهات بمجرد النظر إلى الكواكب فى الليل ، ويتنبأ بأمور كثيرة جداً بمطار الطيور ومسير البهائم ، فيعرف مثلا أن المطر على وشك السقوط اذا رأى نوعا خاصاً من الطيور قد اجتمع وأخذ يضج ويصيح . والحاصل أنه يعرف من الارض والسماء القدر الضروري لعمله . وكذلك يعلم شيئاً من علم الدين ليتمكن من القيام بعباداته وتربية أولاده . وهذا العلم هو يحصله بطريقة طبيعية لأنه يعيش تحت السماء الواسعة والفضاء الفسيح فيعرف بسهولة عظمة الله تعالى.

أجل الناس كلهم لايمكن أن يصيروا فلاحين ، ولا كتب هذا الفصل لدعوتهم اليه ، بل انما نذكر لهم معيشة الفلاح لأننا نعتقد أن حياته هي الحياة الطبيعية للانسان . فكلما نزداد بعداً عن هذه الحياة الطبيعية نصاب فى صحتنا بالمصائب ، وقد علمنا من حياة الفلاح أنه يجب علينا العمل على الاقل ثماني ساعات كل يوم ، ويدخل فيه العمل العقلي كذلك .

أما التجار وغيرهم من الذين يعيشون عيشة القعود فلاشك أنهم يعملون العمل

العقلي إلى حد ما، ولكن شغلهم ضيق النطاق وأقل بكثير من أن يسمى «رياضة»

ولأجل هؤلاء الناس قد اخترع عقلاء الغرب الالعاب كالصولجان وكرة القدم وغيرها من الالعاب الخفيفة التي تلعب فى الحفلات واجتماعات الاعياد . أما الشغل العقلي فقالوا بقراءة الكتب التي لاتحتاج الى اجهاد الفكر . لاريب أن هـذه الالعاب تريض الجسم ، ولكن هل هي نافعة للمخ أيضاً ؟ كم من المهرة المبرزين فى كرة القـدم والصولجان يملكون قوي عقلية عاليـة ؟ كم نرى آثار الاستعداد العقلي لأولئك الامراء من الهنود الذين امتازوا كاللاعبين ؟ ثم من جهة أخرى كم نرى من العلماء الكبار من يهتمون بهـذه الالعاب ؟ يمكننا أن نتأكد بتجربتنا بأنه قلما يوجد بين اللاعبين من يملك القوى العقلية. الانكليز مغرمون ومشهورون بالالعاب ،ولكن شاعرهم Kipling يذم الحالة الذهنية للاعبين ذما شديداً

أما نحن الهنود فقـد سلكنا طريقاً مناقضاً هـذا الطريق تماما ، فرجالنا يشتغلون بالاشغال الشاقة العقلية ولكن قلما يتريضون ، بل لايتريضون مطلقاً . فيضعفون بسبب هذه الاشغال فيقعون فريسة لأمراض مختلفة ، ويودعون الدنيا إلى الابد عنـد ماتأمل منهم أن تنتفع بعملهم . لاينبغي أن يكون عملنا جسمياً محضاً ولا عقلياً محضاً ، ولا لمجرد تمضية الوقت والتسلية . ان المثل الاعلى في الرياضة هو تلك الرياضة التي تقوي الجسم والعقل على سواء . وهي وحدها تهب الانسان صحة حقيقية ، ومثل الانسان الصحي هو « الفلاح »

ولكن الذي ليس بفلاح ماذا ينبغي له أن يفعل ؟ الرياضة بالالعاب كالصولجان غير كافية ولذلك ينبغي إيجاد رياضة أخرى . ان أحسن الرياضات لرجل اعتيادي هو أن تكون له حديقة صغيرة قرب بيته فيشتغل فيها بضع ساعات كل يوم

قد يقول بعض الناس « ولكن ماذا نفعـل نحن الذين لانملك حتى البيت الذي نسكنه ؟ » ان هذا السؤال حماقة . لأن صاحب البيت مهما كان أجنبياً عنا لايمنعنا من أن نصلح أرضه بالحفر والزراعة فنصلحها ونفرح اذا تصورنا أننا قد ساعدناه في تنظيف أرضه واصلاحها . أما الذين لايجدون الوقت لمثـل هـذه الرياضة أو لايحبونها فيمكنهم أن يواظبوا على المشي الذي هو أحسن الرياضات

بعد تلك الرياضة . وقد صدق من قال انها « ملكة الرياضات » إن السبب الحقيقي في كون صحة الرهبان الهنود حسنة جداً هو أنهم يمشون في طول البلاد وعرضها على أقدامهم ، إن الكاتب الاميركي الكبير تورو Thoreau قال أشياء كثيرة مهمة في رياضة المشي فقال « ان كتابة أولئك الذين يعيشون دائماً في البيوت ولا يخرجون منها أبداً في الهواء الطلق ، تكون ضعيفة كأجسامهم » وقد ذكر تجربته الشخصية قائلا « ان أحسن مؤلفاتي كلها هي التي ألفتها في الزمن الذي كنت أمشي فيه كثيراً » ولقد كان مشاء كثيراً حتى إنه مشي اربع أو خمس ساعات كل يوم كان شيئاً اعتادياً عنده ! لنكن مغرمين بالرياضة حتى لا نستطيع البقاء بدونها في حال من الاحوال . يصعب علينا أن نفهم شدة ضعف شغلنا الدماغي وخفته اذا لم تصحبه الرياضة البدنية المتعبة . إن المشي يحرك جميع أجزاء الجسم ويقوي دورة الدم ، وذلك لأن الهواء النقي يدخل بقوة في الرئة عند ما نمشي بسرعة . ثم هنالك مسرات عظيمة جداً تقدمها الينا الطبيعة ومناظرها اذا خرجنا إلى الميادين والحقول ، تلك المسرة التي تأتينا من التدبر في جمال الطبيعة

أما المشي في الازقة والشوارع أو في طريق واحد كل يوم فلا فائدة منه أصلا يجب أن نخرج إلى الميادين والغابات وهنالك نجد لذة الطبيعة . ان المشي ميلا أو ميلين ليس بمشي لأن مشي عشرة أو اثنى عشر ميلا ضروري للرياضة . والذين لا يستطيعون ذلك كل يوم فليفعلوه أيام الاحاد أيام العطلة . ذهب رجل كان يشكو سوء الهضم إلى طبيب فنصحه الطبيب بمشي قليل كل يوم ، ولكنه اعتذر قائلا هيهات أن أمشي فاني ضعيف جداً . فأخذه الطبيب في عربته وخرج به للنزهة . فلما أبعد عن العمران قليلا أسقط سوطه فاضطر المريض أن ينزل تأدبا ليأتي به . ولكن الطبيب ساق عربته بدون أن تنتظر . فأخذ المسكين يصيح ويجري وراء العربة ! ولما اطمئن الطبيب بأن المريض قد مشى مشياً كافياً حمله في العربة قائلا « ان هذه حيلة دبرتها لتضطر إلى المشي » وبما أن المريض أخذ يشعر بالجوع من ذلك الوقت عرف نصيحة الطبيب ونسي حكاية السوط . ثم رجع إلى بيته وأكل الطعام برغبة وشهية . فليجرب الذين يشكون سوء الهضم وماشا كله من الامراض المشي بأنفسهم ، فانهم يعرفون قيمة الرياضة حالا .

أفحكم الجاهلية يبغون

ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟

اللهم لطفاً ورحمة بنا وبدينك الذي عاد غريباً كما بدا

ماذا دهى الاسلام والمسلمين من عظائم النكبات وصواعق المهلكات حتى انقلب الحق باطلا ، والباطل حقا ، وأصبح المنكر معرفًا ، والمعروف منكراً وغدا الهدى ضلالا ، والضلال هدى :

وأي نكبة أعظم ، وصاعقة من أفتك أن تجتمع بالكاظمية من بلاد العراق جماعة من علماء الشيعة ثم يقررون وينشرون على العالم أن ازالة المنكر مصيبة على الاسلام ، ونكبة على المسلمين ، وأن تقويض دعائم الباطل ، وهدم أبنية الضلال وتطهير البلاد الحجازية المقدسة من آثار الجاهلية الأولى عدوان ولطمة للاسلام كان يخشاها .

ماهذا ؟ أتبدلت الأرض غير الأرض ، والناس غير الناس ، والعقول غير العقول ، وصار الأمر بالناس ، واتباعهم للهوى ، وفتنتهم بالبدع وتماديهم في العدوان على الدين وتشويهه والاصاخة الى صوت الباطل الى هذا الحد الذي لا يتصور بعده غاية والذي أفسد على المسلمين حياتهم الدنيوية ، والدينية ؟ حسبي الله ونعم الوكيل

ماذا يقول أولئك المعولون الصارخون ؟ أيقولون إن أمكنة أسست على غير هدي الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهدى أصحابه رضي الله عنهم أمكنة خير وبركة ؟ وفوق ذلك يسمونها مقدسة ؟ وأدهى من ذلك يسمون من لا يقول بها ولا يسمع قول الشيطان فيها ضالا مارقاً ؟

يالله من هول ذلك ! أفيقوا ياقوم من هذه الغفلة التي هي أعظم مايبغي الشيطان منا ، وزِنوا قولكم قبل أن تقولوه واعرفوا موضعه من الدين قبل أن تذيعوه فانكم والله لو وزنتم قولكم وعرفتم موضعه لوجدتموه منكراً من القول وزورا وأي زور ومنكر أعظم من قول يصادم بل يناقض بل يهدم قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم الذي أجمع المسلمون خلفا عن سلف على صحته : من قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة رضي الله عنها — يحذر ماصنعوا ولولا ذلك لأبرزت قبره » أخرجه البخاري ومسلم . وقال العلماء في شرحهم لهذا الحديث في هذا نهي شديد صريح عن بناء القباب على القبور واتخاذ المساجد عليها وعندها . حتى عد ابن حجر الهيتمي بناء هذه القباب من الكبائر العظيمة التي يجب على علماء المسلمين وأمرائهم هدمها وازالتها ـ قال: حتى قبة امامنا الشافعي رضي الله عنه لذلك الحديث اه

ومن قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه احمد واصحاب السنن . أي الذين يوقدون عليها الشموع ونحوها . ومن قوله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » رواه البخاري . وإلا فليخبرنا أولئك الباكون الصارخون عن حيلة نخرج بها من هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة ونستمع لقولهم ونعمل به دونها

ثم ماذا يقولون في إجماع كل فقهاء المذاهب المعتبرة على حرمة البناء على القبور وتجصيصها . قال الامام الشوكاني في رسالته (شرح الصدور بتحريم رفع القبور)

اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم واولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم الى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاعلها ولم يخالف احد في ذلك من المسلمين أجمعين : ثم ساق أحاديث دالة على هذا ثم قال :وإذا تقرر لك هذا علمت أن رفع القبور ووضع القباب والمساجد مثلها: قد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعليها ،تارة كما تقدم ،وتارة دعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية ، وتارة نهى عن ذلك وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى ، وتارة قال « لاتتخذوا قبري وثناً » وتارة قال « لاتتخذوا قبري عيداً » أي موسما يجتمعون فيه كما صار يفعله كثير من عباد القبور يجعلون لمن يعتقدونه من الأموات أو قاتا معلومة (الموالد) يجتمعون عند قبورهم ويعكفون عليها كما يعرف ذلك كل أحد من الناس اه كلام الشوكاني

ثم هذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه روى عنه مسلم في صحيحه أنه قال لأبي الهياج الأسدي « أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجد قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته » وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع عن الارض عن القدر المشروع واجبة متحتمة فهل فعل علي رضي الله عنه يعد نكبة على الاسلام والمسلمين؟ ويستحق قيامة أولئك الذين يدعون أنهم شيعة علي كرم الله وجهه والتفاني في حبه بهذا الصريخ والعويل؟

ثم ما الذي تفهمونه من نهي الرسول صلى الله عليه وسلم في بدء الاسلام عن زيارة القبور ولم يبح لهم زيارتها إلا بعد ما تمكن الايمان في قلوبهم وتبينوا حقيقة التوحيد وأنها لا تتفق وتعظيم هذه القبور والعكوف عندها ولفظ ذلك « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الدار الآخرة » وفي قوله تذكركم الدار الآخرة أتم دلالة على أن زيارة القبور لا تجوز إلا إذا كانت للتذكر فقط أما اذا كانت للتبرك والطواف والتقبيل فهي على أصلها من التحريم الاول : أليس في هذا النهي ثم الاباحة بهذا القيد مايدل أوضح دلالة عند عدم الهوى والعصبية على أن فتنة الشرك مادخلت على العرب وغيرهم إلا من باب تعظيم قبور صالحيهم؟ كما جاء ذلك في صريح القرآن وفي أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره مما يطول به المقال وهو أوضح من أن نحتاج الى تسطيره هنا

ثم تعالوا حدثونا ان كنتم تريدون النصفة والدين الحق ، هل فعل ذلك أبو بكر أو عمر أو علي أو عثمان أو أحد غير أولئك من الصحابة رضوان الله عنهم؟ اللهم لا . هل بنى الحسن أو الحسين رضي الله عنهما لابيهما قبة من هذه القباب؟ اللهم لا . هل بنى أحد من أولاد الحسن أو الحسين كعلي زين العابدين أو جعفر الصادق أو محمد الباقر رضي الله عنهم شيئاً من هذه القباب؟ اللهم لا . ثم هؤلاء الائمة الاربعة ومن اليهم من فحول علماء السلف رضي الله عنهم هل يقدر واحد منكم أن يأتي لنا ونكون له من أعظم الشاكرين — بكلمة واحدة عنهم تشير الى ذلك وإباحته فضلا عن التصريح؟ إنكم لاتجدون في التاريخ ولا الدين إلا أن أول من أظهر ذلك وابتدعه دولة بني بويه في أول القرن الرابع . وليس أحد يعتقد أن فعل

ملوك هذه الدولة حجة في الدين

فلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة تقتدون، ولا يسلم من اقتدى بهم من طعنكم وتشنيعكم فماذا بعد ذلك تقول لكم إلا ان هذه مشاقة لله ولرسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين والله تعالى يقول (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)

ياقوم هذا دين الله الذي نعلمه ويعلمه المسلمون من كتاب الله وسنة رسوله ومذاهب العلماء نعلنه وندعو الناس جميعاً الى التمسك به . وإن كان عندكم غير هذا فهاتوه مؤيداً بالحجة من قول الله وقول رسوله يشكر الله لكم عملكم وتكونوا قد أسديتم الى الناس معروفاً ببيان دين قد خفي عليهم . وأما إن كنتم تبغون غير هذا من غير أن تأتوا بدليل أو حجة صادقة ولاتؤيدونه إلا بالهوى والعادة وقول الآباء والاجداد وغير ذلك مما هو الحجة الوحيدة للمبتدعين فهذا أمر آخر لانرضاه لكم ولا لأحد من هذه الامة التي نسأل الله لها الهداية والتوفيق في القول والعمل

ثم اعلموا ياقوم أن المؤمنين الذين ملأ الله قلوبهم بنور الايمان وحب الله ورسوله وتعظيمهما وتوقيرهما لايقدمون قول أحد ولا فعله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولافعله ولا يتخذون من قول أحد ولا فعله حجة على دين الله بل لله الحجة البالغة وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة .

ماهلك السالفون من الأمم إلا بتقديم أقوال الناس على قول الله ورسله وكانوا إذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا : فاحذروا ذلك كل الحذر واتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون . وفقنا الله لما فيه صلاح ديننا ودنيانا

محمد حامد الفقي

من علماء الازهر وإمام مسجد شركس

رأي في الجديد و مدعى التجديد

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي كما نشر في عكاظ بتصرف قليل

لسنا نتحرج أن ننبه هنا الى أصل هذا الجديد الذي يزعمونه ويتشدقون به . فكل فاسق وكل ملحد و كل مقلد أحد هذين وكل متهوس باحدى هذه العلل الثلاث هو مجدد اذا جرى في انتحال الأدب العربي وتعاطيه مجرى التكذيب والرد والنقيصة والزراية عليه وعلى أهله والخبط مابين أصوله وفروعه على ان لا يستخرج من بحثه إلا ما يخالف اجماعاً أو يعيب فضيلة ، أو ينقض من دين ، أو ينقض أصلا عربياً جزلا بسخافة أفرنجية ركيكة ، أو يحقر معنى من هذه المعاني التي ينظمها الجامدون انصار القديم من القرآن فنازلا . وبالجملة فالتجديد أن تكون لصاً من لصوص الكتب الاوربية ثم لاتكون ذا دين أو لا يكون فيك من الدين إلا اسمك الذي ضرب عليك فلا حيلة لك فيه ولا تستطيع أن تستدرك منه إلا في أولادك المساكين ، ثم لا حاجة للجديد بالحادك أو زيغك الا اذا طبعت بأحدهما أو كليهما مسائل التاريخ الاسلامي والادب العربي ، وأفسدت الخالص بالممزوج ، وحقرت الناس والمعاني وكنت حراً طليقاً من قيود السماء والارض اذا صدرت أو وردت فتقول على قدر عقلك ، ثم تفعل على قدر زيغك . ثم تزيغ على قدر ما أنت قادر

أما ان بحثت وقايست وتعقلت وكنت أذكى الناس وأبلغ الناس ثم كنت لا تستخرج من التاريخ والادب ألا مايزينها ويزيدها ويكشف عن أسرارها وحقائقها الصحيحة ولم تكن لص كتب أوربية ومذاهب أوربية فالويل لك . فما أنت إلا قديم وما أنت الا نفس حجرية ولو قدسك المسلمون تقديس الكعبة وحجرها ، وان العصر لفي غنى عنك وعن كتبك وآرائك لان خمسة أو ستة أو خمسين أو ستين هم العصر وهم الامة وهم من التاريخ المترامي الى المستقبل كالقطار فيه ما فيه من عربات تحمل من العروض على أجناسها وأنواعها ، ومن الناس

على درجاتهم وطبقاتهم . ولكن الخمسة أو الستة وحدهم عربة الآلات والبخار وفحم نيوكاستل .

بلى أيها المجددون غير أنه ليس على الارض معصوم من الخطأ وغير أننا نعرف أن غلطة العالم تدل على علمه كما يدل صوابه ، وأن شبهة الجاهل تدل على جهله كما يدل خطأه اذ كان الاول متحرزاً يتوقى جهده وكان الثاني متحمقاً يسترسل جهده فعلى قدر قوة الشبهة وضعفها ، وبحسب نوع الغلطة وشكلها، يعرف نوع الفكر وتتبين حالة العقل. وبهذين تعرف صفة النفس وبالنفس لا بغيرها يقوم التاريخ الانساني

ولو أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان معه خمسمائة ألف من امثال « أدعياء التجديد » أفيردون عليه مارداً عربي واحد قلبه روح سيفه ؟ أرأيتم الآن أيها الفضلاء جداً ... أن الامم في غنى عنكم وأن حاجتنا كل الحاجة انما هي الى ايمانها وقديمها ، وانكم لا تنزلون منها ومن تاريخها وأسباب تاريخها الا منزله المزورة في المعنى الصريح من المعنى الصريح . وان مثلكم كمثل حادثة تاريخية عظيمة أخذت ما أخذت من الناس وتركت ما تركت فيهم حتى اذا مضت لسبيلها وصارت حديثاً في الاحاديث جاء رجل متسكع متلكم فاحتسى الف كأس من الخمر ، وأحرق ألف دخينة من التبغ ، وأضرم النار وروح النار على دماغه ليخرج من دماغه رواية تمثيلية في تلك الحادثة يزخرفها بالكذب ويزينها بالفلسفة ويزيدها بالتحليل والمنطق ، ويجملها بالخيال والشعر ؟ ثم لا تكون مع هذا كله في جنب الأصل إلا ملهاة وهزؤاً وسخرية ليس فيها إلا حسام لا يقطع ، وبطل لا يمنع ، ونار لا تحرق ، وبحر لا يغرق ؟ أتظنون أن التجديد لا يقوم الا بالهدم ، وهل يبلغ ما أنتم فيه من الحماقة وضعف البصر بعواقب الأمور ، وأسرار الاشياء ، أن تقولوا إن البناء الجديد لا يقوم إلا بعد هدم القديم وإزاحة أنقاضه ، واقرار الجديد في موضعه . أهو بناء من الطوب والحجارة والأخشاب ترفعون هذا وتضعون هذا . أم هو بناء بالكلام على أرض من الورق . فكل من جاء ليبني بنى ، وكل من جاء ليهدم هدم ؟ أفلا تعلمون أن القديم لا يهدم البتة لأنه هو الذي يبدع الجديد وينشئه ، فان هدم في أمة من الامم زال الجديد بزواله ، ولم يبق

من الامة إلا بقايا لا تستمسك على حادثة ، ولا تقر على صدمة ، وإن سنة الكون في الجديد أنه ترميم في بعض نواحي القديم ، وتهذيب في بعضها ، وزخرف في بعضها الآخر . وإلا لوجب أن يتجدد التركيب الانساني ، والتركيب العقلي . وهو مالم يقع ولن يقع منه شيء .

فالشأن في الجديد أن تتصل المادة الجديدة بالقديم فاذاهو هو . ولكن ببعض الزيادة ، أو بعض الزينة ، أو ببعض القوة ، وكل ذلك لاحداث بعض المنفعة

فالرجل المجدد لا يوجد نفسه أيها الفضلاء جداً ، وما هو من الهوان على الكون ، ونواميسه وعلله بحيث يقول سأكون فيكون . ولو أن كل أسود في مطعم ، أو حانة كأسود بني عبس لفسدت الأرض ، ولم يبق للشجاعة تاريخ يحفظ ، ولو أن كل لون أحمر يقول أنا الورد لما بقي للورد معنى الا أن يكون خجلا في وجه الدنيا ...

المجدد أيها الفضلاء جداً لا تخرجه للأمة إلا أقوى عناصر القديم متى اجتمعت فيه صحيحة متظاهرة يمد بعضها بعضاً . فان من انتهى إلى غاية من الغايات كان هو الحري أن يستشرف لما بعدها ، وأن يأتي بما لا يستطيع من دونه، ولكن الشرط أن يكون قد بلغ هذه الغاية وما يبلغها إلا اذا كان تهيأ بوسائلها ، ولن تأتي لي هذه الوسائل على أتمها وأكلها إلا اذا شاءت الحكمة الالهية أن تنقح شيئاً في أساليب الحياة ونظام القديم .

فالذي يحصل من كل ماتقدم أن لا جديد الا حيث تبدع الحكمة شيئاً ، ثم تتصل نواميس الحياة النفسية بهذا الشيء ، فاذا هي تفعل به مااقتضته الحكمة مما نسميه هدماً أو بناء . فأنت اذا كنت مجدداً في اللغة مثلا ، وكانت فيك العناصر الكافية لاجتماع قوة من قوى الناموس العام ، فلا بد أن تبدع شيئاً غير موجود لا يستطيعه غيرك كما تستطيعه أنت ، فاذا أبدعت وأحدثت رأيت القديم نفسه هو الدليل على أنك جددت ، فكنت بشهادته مجدداً وهي شهادة كما ترى لا تنالها بأنك محرر صحيفة ، أو مترجم مجلة ، أو ملخص من بعض آراء الفلاسفة ، بل من حياة عصرك وطبيعته ، وقوانين وجوده إذ تكون زيادة في العنصر وآية في الطبيعة ، وكلمة جديدة في قوانين الأمة . اه

مذكرات (*)

مؤتمر الخلافة الاسلامية

محضر الجلسة الاولى

يوم الخميس أول ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية

١٣ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية

اجتمع المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر في دار المعاهد الدينية التابعة للجامع الأزهر الشريف في الحلمية الجديدة بمدينة القاهرة ، الساعة الحادية عشرة صباحا يوم الخميس أول ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية (١٣ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية) برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، الشيخ محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر الشريف ورئيس المؤتمر ، وحضور حضرات أصحاب الفضيلة والسيادة والسعادة والعزة :

الشيخ محمد مصطفى المراغي	رئيس المحكمة الشرعية العليا	من مصر
« عبد الرحمن قراعة	مفتي الديار المصرية	«
« أحمد هارون	وكيل الجامع الازهر والمدير العام للمعاهد الدينية	«
« حسين والي	السكرتير العام لمجلس الازهر الأعلى والمعاهد الدينية	«
« محمد فراج المنياوي	« الخاص لشيخ الجامع الازهر ورئيس مجلسه الأعلى	«
السيد الادريسي السنوسي	أمير برقة وطرابلس	من طرابلس الغرب

*) منقول عن (محاضر) مؤتمر الخلافة التي نشرتها سكرتارية المؤتمر

أحمد شنيوي السويحلي بك	حاكم مصراطة سابقا	من طرابلس الغرب
التهامي قليصة بك	رئيس مالية مصراطة سابقا «	« «
الشيخ عمر الميساوي	مفتي الخمس سابقا	«
« محمد الصالحي التونسي	العضو في مجلس الأمة الكبير	في تونس
السيد محمد الصديق	من أكابر العلماء والأشراف	من مراكش
أحمد بهار الدين أفندي	مندوب جمعية الخلافة	بجنوب أفريقية
أبو بكر جمال الدين أفندي	« الجمعية الاسلامية	«
الدكتور الحاج عبد الله أحمد	« جزر الهند الشرقية	
الدكتور الحاج عبد الكريم أمر الله	« «	«
السيد حسن العطاس	« سلطنة جوهور	
عناية الله خان المشرقي	رئيس دار العلوم	بالهند
السيد الميرغني الادريسي	من أمراء تهامة اليمن	
الشيخ عبد الرحمن بن علي	من قضاة اليمن سابقا وأعيانها	
الشريف يحيى عدنان باشا	من أكابر أشراف الحجاز	
الشيخ خليل الخالدي	رئيس محكمة الاستئناف الشرعية	من فلسطين
« أسعد الشقيري	« مجلس التدقيقات الشرعية بالآستانة سابقا	«
« اسماعيل الخطيب	المحامي الشرعي بفلسطين	
عارف باشا الدجاني	من كبار أعيان فلسطين	
الشيخ حسن أبو السعود	من فضلاء فلسطين	
محمد مراد افندي	مفتي حيفا	من فلسطين
جمال الحسيني بك	سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس الفلسطيني	«
الشيخ عيسى منون	مندوب المجلس الاسلامي الأعلى بفلسطين	
عطاء الله الخطيب افندي	مدير أوقاف بغداد	من العراق
الأستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي	الأستاذ في كلية آل البيت ببغداد	«

يعقوب شنكوفيتش افندي المفتي الأكبر لجمهورية بولونيا من أعضاء المؤتمر بأوربا

وتولى أعمال السكرتارية محمد قدري افندي نائب السكرتير العام حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسين والي وساعده في ذلك : على أحمد عزت افندى ، أحمدعبد القادر افندى ، محمد شكرى رجب افندى ، محمد عبدالرازق افندى ، أحمدوهبي الحريري افندي ، محمدالمهدي أفندي ، و كلهم من موظفي المعاهدالدينية

وأعلن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر رئيس المؤتمر افتتاح المؤتمر (باسم الله الرحمن الرحيم)

ثم تلا القاريء الشهير الشيخ سليمان محرز سورة الفتح

وبعد ذلك ناول حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الرئيس خطبة الافتتاح لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد فراج المنياوي سكرتيره الخاص فتلاها نيابة عنه ونصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم أفتتح المؤتمر)

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، نحمده أن جمع بيننا وبينكم في سبيل الله على بعد الأقطار وطول الأسفار ، ونشكره أن جعلنا مستمسكين بحبله الذي لا ينفصم ، رغباً في الوحدة والائتلاف ، ورهباً من الفرقة والاختلاف ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ارسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا النور الذي أنزل معه ، وجمعوا الكلمة ، ووحدوا الوجهة

أيها السادة

نشكركم شكراً يكافيء ما أقدمتم عليه من عمل للاسلام وما تحملتم من مشاق كثيرة في اجابة الدعوة ، لقد فارقتم في سبيل الله دياركم آمّين مصر مجيبين داعي الله

نشكركم شكراً يكافيء عظمة الايمان الذي في قلوبكم وقد أقمتم الحجج العملية على محبتكم لله ورسوله والمؤمنين ، وسيكتب التاريخ لكم ولشعوبكم عمل عظماء الرجال

لقد قام بكم هذا المؤتمر العظيم وهو أول مؤتمر إسلامي عام ، فليقم بكم ان شاء الله تعالى بناء الوحدة ، ولتوثق بكم عروة الألفة عن فكر رشيد ، ورأي سديد .

أيها السادة

كان لزوال الخلافة ما تعلمون من الوقع الشديد في انفس الشعوب الاسلامية

ولقد تجاوبت أصواتهم من الأرجاء البعيدة ، والنواحي المختلفة يتلمسون سبيلا إلى الرشاد ، ويتطلبون عقد مؤتمر إسلامي عام ينظر في الأمر من ناحية الدين ، فنظر العلماء في ذلك نظرة خالصة لله تعالى ، واجتمعوا اجتماعاً تاريخياً ، وقرروا عقد المؤتمر على ما علمتم قياماً بواجبهم الديني

وقد أشير في أسباب هذا القرار الى أن مركز الخلافة في نظر الدين الاسلامي ونظر جميع المسلمين له من الاهمية مالا يعدله شيء آخر . لما يترتب عليه من اعلاء شأن الدين وأهله ، ومن توحيد كلمة المسلمين وربطهم برباط قوي متين . فوجب على المسلمين أن يفكروا في نظام الخلافة على قواعد توافق أحكام الدين الاسلامي ، ولا تجافي النظم الاسلامية التي رضيها المسلمون نظما لحكمهم . غير أن الضجة التي ترتبت على زوال الخلافة جعلت العالم الاسلامي في اضطراب لا يتمكن المسلمون معه من البت في هذه النظم وتكوين رأي ناضج فيها إلا بعد الهدوء ، وبعد الامعان والروية ، وبعد معرفة وجهات النظر في مختلف الجهات

فاعملوا للاسلام مايحفظه ، وما يخلد لكم الذكر الجميل ، مستعينين بالله مخلصين له الدين . (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ونرى من الواجب علينا أن نشكر للأمم الاخرى احترامهم لشؤوننا الخاصة.

ونسأل الله جل شأنه أن يهيء لنا من أمرنا رشداً ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

ثم استأذن صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ أسعد الشقيري وارتقى منبر الخطابة وألقى كلمة في تأثير الدعوة إلى المؤتمر ، وقال انها دعوة مباركة ، وقد لقيت آذانا سامعة ، وقلوبا واعية . ونفى غير ذلك مما كان يقوله بعض الظانين .

ثم قال : إن المادة (الحادية عشرة) من النظام الداخلي للمؤتمر وضعت الخطب التي تلقى في المؤتمر تحت نظر لجنة ، وكثير منا قد يخطب ارتجالا . فاقترح تعديل المادة واستثناء الخطب .

فاستأذن صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي في الكلام وقال :

إن الغرض من هذه المادة أن الخطب التي تكون مكتوبة تعرض على اللجنة للنظر فيها وتوزيعها على الجلسات كما يناسب موضوعاتها حتى تكون مهمة المؤتمر سهلة .

وأما الخطب الارتجالية والمناقشات اللفظية التي تدور عادة بين المتفاهمين فحضرات الأعضاء أحرار فيها بعد اذن الرئيس كما في النظام الداخلي المؤتمر فاكتفي الأستاذ الشقيري واقتنع بهذا .

ثم ألقى صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي كلمة حيا فيها الحاضرين بما يناسب المقام وشكر لهم اجابتهم الدعوة . ودعا الله سبحانه وتعالى أن يوفق المؤتمرين لما فيه خير المسلمين .

ثم قال حضرة الأستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي :

أهذا النظام الذي وضع ليجري عليه المؤتمر في أعماله غير قابل للتعديل أم قابل له ؟ فربما يكون فيه ماهو محتاج للتعديل :

فقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الرئيس :

لقد وضع هذا النظام بعد استقصاء وبحث كثيرين .

واستأذن صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي في الكلام وقال :

إن هذا النظام وضعه المجلس الاداري للمؤتمر وهو مؤلف من جمع كثير فيه الخبيرون بنظم المجالس النيابية الحديثة ، واذا رأيتم أن فيه ماقد يحتاج إلى تعديل فلا مانع من تقديم اقتراح بالطريقة النظامية .

فاقتنع حضرة الاستاذ الثعالبي افندي بذلك .

ثم استأذن صاحب الفضيلة الاستاذ الشقيري وقال :

أن كثيراً كتبوا يقولون : قد يتوهم بعض الناس أن العواصم التي فيها تأثير أجنبي لايمكن الكلام فيها بالحرية التامة ، ولكن المسلمين أحرار فيما يقولون : فالبلاد الاسلامية التي فيها حاكم مسلم تقوم فيها الجمعة والجماعة والأحكام الدينية فالمحافظة على الدين موجودة بحمد الله في كل قطر اسلامي .

وقد كتبت بعض الجرائد أن هذا المؤتمر ربما أخل بالمناسبات بين أمراء المسلمين ، وهذا مردود .

فطلب صاحب الفضيلة الاستاذ عطاء الله الخطيب افندي من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس تطبيق المادة الحادية عشرة من النظام الداخلي للمؤتمر القاضية بأن هذه الجلسة انما هي لخطبة الافتتاح والتعارف ، وتأليف لجنة النظر في الخطب والاقتراحات والابحاث .

فتقبل ذلك الأستاذ الشقيري وقال : لم أتكلم إلا باذن .

ثم استأذن فضيلة الاستاذ الشيخ فراج المنياوي وارتقى منبر الخطابة وألقى كلمة بين فيها أنه ليس لعلماء مصر غاية إلا أداء واجبهم الديني . وأن للمؤتمر الحرية التامة فيما يبحث وفيما يقرر . وشكر لحضرات أعضاء المؤتمر تفضلهم باجابة الدعوة . وذكر لهم أن أمر المسلمين بين أيديهم دون سواهم ، حاثًا على الوحدة الاسلامية .

ثم طلب حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس الشروع في تأليف لجنة من حضرات أعضاء المؤتمر للنظر في الخطب والاقتراحات والابحاث قبل عرضها على المؤتمر

فاقترح حضرة جمال الحسيني بك الاستراحة ربع ساعة .فوافق المؤتمر على ذلك

ثم عاد المؤتمر الى الاجتماع ، وأخذت الآراء على أعضاء اللجنة وهل يكون انتخابهم سريًا . فكانت أغلبية الآراء أن عدد أعضائها بعدد الشعوب الاسلامية الممثلة في المؤتمر وبالانتخاب السري . وأنه اذا جاء مندوبون من شعوب أخرى غير الموجودين الآن ، فلمندوبي كل شعب الحق في انتخاب عضو لهذه اللجنة

وعلى ذلك تم انتخاب أعضاء هذه اللجنة

وأعلنت نتيجة الانتخاب فكانت كما يأتي :

حضرات أصحاب الفضيلة والسعادة

١ — الشيخ حسين والي من مصر
٢ — « محمد الصالحي التونسي « تونس
٣ — السيد محمد الصديق « مراكش

٤ — الشيخ احمد بهار الدين افندي	من جنوب افريقية
٥ — يعقوب شنكوفتش افندي	« بولونيا
٦ — عناية الله خان المشرقي	« الهند
٧ — السيد حسن العطاس	« سلطنة جوهور
٨ — الشيخ خليل الخالدى	« فلسطين
٩ — عبد العزيز الثعالبي افندى	« العراق
١٠— الشريف يحيي عدنان باشا	« الحجاز
١١— الشيخ عبد الرحمن بن علي	« اليمن
١٢— الشيخ الميرغني الادريسي	« تهامة
١٣— الشيخ عمر الميساوى	« طرابلس الغرب

ثم أعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس انتهاء الجلسة اذ كانت الساعة الواحدة بعد الظهر على أن يجتمع المؤتمر الساعة الرابعة بعد ظهر يوم السبت المقبل ٣ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ (١٥ مايو سنة ١٩٢٦)

نائب السكرتير العام — رئيس المؤتمر

امضاء (محمد قدرى) — ختم (محمد أبو الفضل)

﴿ محضر الجلسة الثانية ﴾

يوم السبت ٣ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجريه

١٥ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية

(اجتمع المؤتمر في الساعة الرابعة والنصف مساء برياسة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر . وحضور من حضروا الجلسة الأولى وزاد عليهم :)

السيد محمد علي البيلاوي نقيب السادة الأشراف بالديار المصرية

السيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية بالديار المصرية

الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام شيخ معهد الاسكندرية بمصر

الشيخ عبد الغني محمود شيخ معهد طنطا «

الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ معهد أسيوط بمصر
الشيخ إبراهيم الجبالي شيخ معهد الزقازيق «
الشيخ عبد المجيد اللبان المفتش بالمعاهد الدينية «

ولم يحضر حضرة السيد الميرغني الادريسي لعذر والشيخ إسمعيل الخطيب المحامي الشرعي

وتولى أعمال السكرتارية من كانوا في الجلسة الأولى

وأعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الرئيس افتتاح الجلسة وأذن بتلاوة محضر الجلسة الماضية. فتلاه علي أحمد عزت أفندي من السكرتيرين المساعدين

ولم يحصل من حضرات الأعضاء اعتراض على صيغته فاعتبر موافقًا عليه .

ثم تليت برقية من أحد أعضاء لجنة الخلافة بجنوب أفريقية فيها رجاء النجاح للمؤتمر

ثم حصلت مناقشة حول تلاوة برقية وردت من مكتب الاستعلامات السوري فيها إنكار لتصرف الفرنسيين في دمشق . اشترك فيها حضرات أصحاب الفضيلة والسيادة والعزة الأساتذة : جمال الدين الحسيني ، والشيخ حسين والي ، والشيخ محمد فراج المنياوي ، والشيخ أسعد الشقيري ، والشيخ محمد الصالحي التونسي ، ومحمد مراد أفندي ، والسيد محمد البيلاوي ، وحسن أبي السعود أفندي ، وعبد العزيز الثعالبي أفندي .

ثم وافق المؤتمر بالأغلبية على تلاوتها فتليت

ثم اقترح حضرة الاستاذ جمال الحسيني بك من مندوبي فلسطين ان يصدر المؤتمر احتجاجا على ذلك وأن يحيل هذا الاقتراح الى لجنة الاقتراحات

فحصلت مناقشة في ذلك اشترك فيها حضرات أصحاب الفضيلة والعزة الأساتذة : عبد العزيز الثعالبي أفندي ، والشيخ محمد فراج المنياوي ، ومحمد مراد أفندي ، والشيخ إبراهيم الجبالي ، والشيخ حسين والي وجمال الحسيني بك ، والشيخ عبد الرحمن قراعة :

ثم وافق المؤتمر على احالة الاقتراح الى هذه اللجنة

ثم استأذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ حسن أبي السعود أفندى وقال :

ان هناك مادتين من مواد النظام الداخلي للمؤتمر . احداهما المادة الثانية التي تذكر أن يكون للرئيس وكيل يعينه المجلس الادارى للمؤتمر ويقوم باعمال الرئيس حال غيابه . ورأيي أن يفصل في مسألة الوكيل الآن قبل الخوض في أعمال المؤتمر . والاخرى المادة الثانية والعشرون التي تقول « عند أخذ الآراء في المسائل المبينة في البرنامج وفي الاقتراحات العلمية تعتبر أغلبية آراء الحاضرين . وإذا تساوت يرجح الجانب الذى فيه الرئيس » وطلب الاستاذ أخذ الرأى على المسألة الاولى . هل يبقى انتخاب وكيل الرئيس للمجلس الادارى للمؤتمر أو يجعل هذا الحق للمؤتمرين جميعاً

فاستأذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي الديار المصرية وقال: ان صاحب الحق في انتخاب الوكيل هو المجلس الادارى للمؤتمر.

ثم استأذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي وقال : اذا كان لابد من الكلام في هذا فليقدم اقتراح به وليحول الى لجنة الاقتراحات.

فاكتفى حضرة الاستاذ حسن أبي السعود أفندى بهذا ثم قرأ المادة الثانية والعشرين السابقة الذكر واقترح أن تكون الآراء بعدد الشعوب الممثلة في المؤتمر فيكون لكل شعب صوت واحد .

ثم استأذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ عطاء الله الخطيب أفندي واقترح تلاوة مواد النظام الداخلي للمؤتمر مادة مادة وأخذ الرأى فيها

فحصلت مناقشة في الاقتراحين اشترك فيها حضرتا صاحبي الفضيلة الاستاذين الشيخ حسين والي ، وعطاء الله الخطيب أفندي ، وحضرة صاحب السعادة عارف الدجاني باشا

ثم وافق المؤتمر على أن يحول الاقتراحان الى لجنة الاقتراحات

ثم قال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الرئيس : لننظر الآن في أعمال المؤتمر المبينة في برنامجه وتعيين عدد جلساته وتوزيع الاعمال على الجلسات وفقا للمادة الثانية عشرة من النظام الداخلي للمؤتمر

فحصلت مناقشة حول ذلك اشترك فيها حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة

عبد العزيز الثعالبي أفندي ، والشيخ حسين والي ، والشيخ الاحمدي الظواهري وعطاء الله الخطيب أفندي ، والشيخ أسعد الشقيري

ثم اقترح حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والى تألف لجنتين واحدة علمية لبحث المسائل الثلاث الاولى من برنامج المؤتمر والثانية لبحث المسائل الثلاث الاخرى منه .

فوافق المؤتمر على هاتين اللجنتين

ثم اقترح حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ أسعد الشقيري أن تكون اللجنة الاولى مؤلفة من عشرة أعضاء

واقترح حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري أن يضم الى أعضائها شيخ الحنابلة بالديار المصرية

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي لامانع من ضم فضيلته الى اللجنة وان لم يكن من أعضاء المؤتمر .

واقترح أن تكون اللجنة مؤلفة من تسعة أعضاء ثلاثة من كل مذهب والعاشر شيخ السادة الحنابلة

وقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندي :أرى أن يكون شيخ السادة الحنابلة مستشارا .

فوافق المؤتمر على ذلك

ثم رفعت الجلسة للاستراحة وصلاة المغرب إذ كانت الساعة السادسة والثلث مساء

وهنا استأذن صاحب السمو الأمير السيد إدريس السنوسي حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس في الانصراف فأذن لسموه

ثم عادت الجلسة الى الانعقاد الساعة السابعة مساء . فأمر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس بأخذ الآراء فيما ذكر

فأخذت الآراء بطريق الانتخاب السري لتأليف اللجنة التي تبحث المسائل الثلاث الاولى من برنامج المؤتمر وهي

١ — بيان حقيقة الخلافة وشروط الخليفة فى الاسلام

٢ — الخلافة واجبة في الاسلام

٣ — بم تنعقد الخلافة ؟

ثم أعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الرئيس النتيجة فكان الذين نالوا أغلبية الأصوات حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة :

الشيخ عبد الرحمن قراعة	من مصر	
الشيخ خليل الخالدي	« فلسطين	حنفية
الشيخ احمد هارون	« مصر	
الشيخ عبد الغني محمود	« مصر	
السيد محمد البيلاوي	« مصر	مالكية
الاستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي	« العراق	
الشيخ محمد الاحمدي الظواهري	« مصر	
الشيخ حسين والي	« مصر	شافعية
الشيخ حسن أبي السعود	« فلسطين	

ووافق المؤتمر على أن يضم الى هذه اللجنة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد سبيع الذهبي شيخ السادة الحنابلة بالديار المصرية بصفة مستشار .

ثم قال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة إن صحتي وأعمالي لا تساعدني على العمل مع اللجنة

فلم يقبل المؤتمر من فضيلته ذلك ورجاه العدول عن اعتذاره فقبل أن يكون معها في بعض الاحيان

ثم أخذت الآراء بطريق الانتخاب السرى أيضاً لتأليف اللجنة التي تبحث المسائل الثلاث الاخيرة من برنامج المؤتمر وهي : —

١ — هل يمكن الآن إيجاد الخلافة المستجمعة للشروط الشرعية

٢ — إذا لم يكن من الميسور إيجاد هذه الخلافة فما الذى يجب أن يعمل

٣ — اذا قرر المؤتمر وجوب نصب خليفة فما الذى يتخذ لتنفيذ ذلك على

أن يراعى في انتخاب هذه اللجنة أن يكون لكل شعب عضو واحد فيها لم يسبق انتخابه في لجنة بحث الخطب والاقتراحات اذا لم يوجد غيره من شعبه في . المؤتمر

وأعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس النتيجة فكانت أن اللجنة تؤلف من حضرات أصحاب الفضيلة والسيادة والسعادة الاساتذة

١ — الشيخ محمد مصطفى المراغي	من مصر
٢ — الشيخ عطا الله الخطيب أفندي	« العراق
٣ — أبو بكر جمال الدين أفندي	« جنوب أفريقية
٤ - الشيخ محمد الصالحي التونسي	« تونس
٥ — السيد محمد الصديق	« مراكش
٦ — يعقوب شنكوفتش أفندي	« بولونيا
٧ — عناية الله خان المشرقي	« الهند
٨ — الشريف يحيى عندنان باشا	« الحجاز
٩ — السيد الميرغني الادريسي(١)	« اليمن
١٠ — محمد مراد افندى	« فلسطين
١١ — الدكتور الحاج عبد الله احمد	« جزر الهند الشرقية
١٢ — سمو السيد الادريسي السنوسي	أمير برقة وطرابلس

ثم اعتذر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي عن العمل في اللجنة بعذر قبله المؤتمر فكان من يلي فضيلته فى أغلبية الاصوات حضرة صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكرى فانتخب بدله

ثم اقترح حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي أن يكون اجتماع اللجان الثلاث من الغد في الساعة التاسعة صباحا لتبحث كل لجنة فيما حول

---

(١) ويقصر على هذه اللجنة ويكتفي بحضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن علي في لجنة الخطب والاقتراحات

اليها ثم ترفع رأيها الى رياسة المؤتمر لتعرض ما تراه على المؤتمر في جلسة تعقد الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الثلاثاء المقبل

فوافق المؤتمر على ذلك

ثم استأذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسن أبي السعود في تلاوة برقية من نائب رئيس اللجنة التنفيذية بفسلطين تشير الى اتحاد فلسطين وعقد مؤتمر لذلك في وقت قريب . فأذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الا كبر الرئيس في تلاوتها فتلاها

ثم أعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الا كبر الرئيس انتهاء الجلسة اذا كانت الساعة الثامنة والنصف على أن يجتمع المؤتمر الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الثلاثاء المقبل

نائب السكرتير العام	رئيس المؤتمر
امضاء (محمد قدري)	ختم (محمد أبو الفضل)

﴿ محضر الجلسة الثالثة ﴾

يوم الثلاثاء ٦ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية

(١٨ مايو سنة ١٩٢٦) ميلادية

(اجتمع المؤتمر في الساعة الخامسة برياسة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ورئيس المؤتمر وحضور من حضروا الجلسة الثانية وزاد عليهم الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا وأحمد تيمور باشا عضو مجلس الشيوخ ووحيد الأيوبي بك من الأعيان والشيخ محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل والشيخ عبد الله سراج قاضي قضاة الحجاز سابقاً)

ولم يحضر حضرة السيد الميرغني الادريسي لعذر

وتولى أعمال السكرتارية من كانوا في الجلسة الثانية

وأعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الرئيس افتتاح الجلسة ، ثم أذن بتلاوة محضر الجلسة الماضية المنعقدة يوم السبت ٣ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية (١٤ مايو سنة ١٩٢٦) ميلادية

فتلاه علي أحمد عزت افندي من السكرتيرين المساعدين ولم يعترض عليه فاعتبر موافقا عليه ،

ثم قال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : أذكر أن حضرة السكرتير قال : يكون اليوم الأول بعد انتهاء عمل اللجان وهو يوم الثلاثاء ٦ ذي القعدة (أي هذا اليوم) لنظر تقرير لجنة الاقتراحات واليوم الثاني لنظر تقرير اللجنة العلمية واليوم الثالث لنظر تقرير اللجنة الثالثة ، ولكننا رأينا أن عمل لجنة الاقتراحات لم يذكر في جدول أعمال اليوم

فقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسين والي : اني لما اقترحت على المؤتمر تأليف لجنتين الأولى للمسائل العلمية والثانية للمسائل الثلاث الاخيرة من برنامج المؤتمر قلت (ولعل حضرات الأعضاء يذكرون) أن عمل هاتين اللجنتين مع عمل لجنة الاقتراحات يقدم الى الرياسة يوم الثلاثاء والرياسة بعد ذلك تقدم للمؤتمر تقرير لجنة الاقتراحات أو تؤخره وتقدم عليه غيره

فمسألة التقديم أو التأخير يرجع تقديرها إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر رئيس المؤتمر

وقدرأت رياسة المؤتمر في جلسة اليوم تقديم المسألة العلمية لأنها أمر جوهرى مقصود بالذات من عمل المؤتمر ولجنة الاقتراحات لم تحدث شيئا جديداً يخالف النظام الداخلي للمؤتمر ، وللمؤتمر كال الحرية في ابداء رأيه فيما يعرض عليه وأرجو أن يكون بيننا حسن التفاهم حتى يمكن النظر في الغرض

فقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : أنا متفق مع الأستاذ ولكني اقول كيف يمكننا أن ننظر في أعمال اللجنتين اللجنة العلمية واللجنة الثالثة وتؤخذ لآ راء فيهما إذا كان تقرير لجنة الاقتراحات لم يعرض بعد وهو مشتمل على الاقتراح المقدم في شأن اخذ الآ راء

فقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسين والي : اسمح لي أن أقول ان لجنة الاقتراحات لم تحدث شيئا جديداً يخالف النظام الذي وُضع للمؤتمر كما أشرت إلى ذلك من قبل وإن النظام الداخلي للمؤتمر لموضوع باحكام ودقة ،

والأمر بيننا سهل جداً وان الذي تنظرون فيه الآن هو عمل علمي محض وليس له دخل في أمور سياسية ، ولقد نزل المؤتمر على هذا النظام وقد أرسلناه إلى حضرات أعضاء المؤتمر قبل البدء في العمل ، وقد جرينا عليه إلى الآن فرجائي من اخواني أن يقبلوه ولو مؤقتا حتى يأتي وقت يدعو إلى تعديل فيه

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي : المسائل المعروضة على المؤتمر مسائل علمية والعلم مشاع بين الجميع وليس من حق أمة دون أخرى ، فليس جزء من العلم لفلسطين وجزء منه للعراق وجزء منه لجنوب أفريقية ، بل هو عام بين الجميع فاذا وصلنا إلى مسألة من المسائل يكون التصويت فيها من حق كل أمة فلا بأس من أن نراعي ذلك ، أما المعروض الآن فليس فيه ما يتعلق بحقوق الأمم ، وعلى هذا فلا معنى لأن تثار مسألة التصويت

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي : ان توزيع عمل اللجان على الأيام لم يجر فيه كلام والذي يتكلم فيه جمال بك من المكملات ولا ننظر فيها حتى ننظر في المقصد الأصلي فالمعقول أن نبدأ بالمقصود الأصلي ، وأما مسألة التصويت هل تكون بحسب أصوات الحاضرين أو حسب الجهات الاسلامية فأقول :إننا لا نزال أمام مسائل علمية لا فرق فيها بين أن تكون في جانبي أو جانبك ولا دخل لتمثيل الأمم فيها

وقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : ان هناك عملا للجنة الاقتراحات ونريد أن نسمع قرارها وانا أقول بوجوب بيان كيفية أخذ الأصوات

فقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي : ننظر إلى أصوات الحاضرين فقد أكون أنا وأنت ممثلين لبلد واحد ولكل منا رأي

وقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : هذا الكلام قلناه في جلسة سابقة وحوّل إلى اللجنة ونريد أن نسمع كلام اللجنة فيه

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ عطاء الله الخطيب افندى : أرى ان النزاع قد طال ، وكثر القيل والقال ، وقد طلبت قبل هذا واقترحت أن ينظر المؤتمر في النظام الداخلي مادة مادة ، ومن جملة الأسباب عدم ذكر مادة واضحة في النظام تحسم مسألة التصويت

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي : موجود في النظام مادة في هذا الموضوع وهي المادة (٢٢) من النظام الداخلي للمؤتمر ثم قرأ المادة وهي « عند أخذ الآراء في المسائل المبينة في البرامج وفي الاقتراحات العلمية تعتبر أغلبية آراء الحاضرين وإذا تساوت يرجح الجانب الذي فيه الرئيس »

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عطاء الله الخطيب افندي : الآن يفهم أن التصويت يجري بشكلين ففي المسائل العلمية يكون بشكل وفي غيرها يكون بشكل آخر ، وهذا يقتضي وضع مادة جديدة فيها ان المسائل العلمية يجري فيها التصويت بحسب الأشخاص كما تقولون ، وغير العلمية يكون التصويت فيها بحسب الأمم ، وأنا ما رأيت أن عملا يجري فيه التصويت على شكلين

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي : نحن جرينا في هذا المؤتمر على أغلبية آراء الحاضرين ولم نخالف ذلك إلى الآن

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي : رأى المؤتمر في تشكيل اللجان أن تمثل جميع الشعوب ورأيي في اجتماعه من أول الامر أن تؤخذ الأصوات باعتبار عدد الحاضرين

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي : الامر واضح فاذا قلنا اننا نريد أن نعين خليفة من فلسطين أو العراق فليكن بعدد أصوات الامم ، وإذا قلنا انه يشترط في الخليفة أن يكون عادلا حراً إلى آخر شرائطه فلم أر معنى لأخذ الاصوات بحسب الامم

فقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : الكلام الآن يشعر بأن النظام سيجري بأشكال

فقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي : لا أرى داعياً لهذا التشاد

نحن الآن معروض علينا مسألةعلمية فلنبت فيها ثم بعد ذلك إذا عرضت علينا مسائل أخرى فعندئذ نعطي فيها رأينا ، فلماذا نستعجل الشيء قبل أوانه

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمدحبيب العبيدي : يجب أن أعلم هل وافقت هيئةالمؤتمر الموقر على هذا النظام الداخلي حتى يتخذه بعضنا حجة على الآخر ، أنا لم أتشرف بالحضور إلا في هذه الجلسة فان كانت هيئة المؤتمر وافقت على هذا النظام فتعتبر مواده حجة وإلا فلا

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسن أبي السعود : أنا طلبت تعديل هذه المواد وكذلك عطاء الله الخطيب افندي وقلنا انها لا تعتبر مالم يوافق عليها المؤتمر

وقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي : المسألة المعروضة مسألة فرعية علمية وبعد الفراغ منها ننظر

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد فراج المنياوى : لقد أردتم في الجلسة الماضية بعض الاصلاح في النظام الداخلي فقال فضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي ان كان هناك ملاحظات على النضام فلتعرض على لجنة الاقتراحات وأنتهى الامر بان أحيلت المسألة الى اللجنة فعلينا أن نترك لها الامر حتى يعرض قرارها على المؤتمر بعد المسائل الجوهرية . وهذه هي الجلسة الثالثة ولم نعمل في النقط الجوهرية الى هذه اللحظة شيئاً وانتم أغير على المصلحة

وقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : متى يعرض ياسيدي قرار اللجنة

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد فراج المنياوي : المسائل الهامة التي يهم حضراتكم النظر فيها هي المسائل المبينة في برنامج المؤتمر وهي المعروضة الآن .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمدحبيب العبيدي : أيكون عملنا فوضى . لقد سمي بالنظام الداخلي لأجل أن يجري الكلام في هذا المؤتمر على مقتضاه : فلأجل ذلك يجب أولا أن يوافق عليه المؤتمر

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد فراج المنياوي : قيل

في الجلسة الماضية إن هذا النظام قد وضعه المجلس الاداري للمؤتمر ، وجرينا عليه إلى الآن .

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد حبيب العبيدي: ماحضرت في الجلسة الماضية ولا التي قبلها وأنا اسأل هل وافق المؤتمر على هذا النظام أو لا؟

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ اسماعيل الخطيب : من المعلوم أن الوزارات في غيبة المجالس النيابية تضع قوانين مخصوصة لأوقات مخصوصة فاذا اجتمع المجلس النيابي تعرض عليه هذه القوانين فاما أن يوافق عليها أولا يوافق والمجلس الاداري للمؤتمر وضع هذا النظام فيعمل به إلى حين أخذ رأي المؤتمر فيه ، وهو إلى الآن معمول به حتى يوافق عليه المؤتمر

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد حبيب العبيدى : اذا كان المؤتمر لم يوافق عليه إلى الآن فلا أعترف به ، اذاً هو قانون مؤقت فمتى ينتهي أمره ؟

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ اسماعيل الخطيب : ينتهي أمره بموافقة أعضاء المؤتمر عليه .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة: إن الاقتراحات حولت إلى لجنة وسيرفع اليكم تقريرها ولا بدّ أن تنظروا فيه ونحن الآن نقدم الأهم على المهم فأمامنا أمر جوهرى وهو ما اجتمع المؤتمر لأجله ، فاذا فرغنا منه نطلب بالحاح من سكرتارية المؤتمر أن تقدم لنا تقرير لجنة الاقتراحات

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس انتهاء المناقشة وأمر بتلاوة تقرير اللجنة العلمية

وهنا أعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس انتهاء المناقشة وأمر بتلاوة تقرير اللجنة العلمية .

فتلا حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى مقرر اللجنة العلمية المؤلفة لبحث المسائل الثلاث الأولى من برنامج المؤتمر تقرير هذه اللجنة وهذا نصه :

﴿ تقرير ﴾

(اللجنة التي ألفها المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر في جلسته المنعقدة يوم السبت ٣ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية (١٥ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية) لبحث المسائل الثلاث الأولى من برنامج المؤتمر من حضرات أصحاب الفضيلة والسيادة الاساتذة

الشيخ عبد الرحمن قراعة
« خليل الخالدي — حنفية
« أحمد هارون

الشيخ عبد الغنى محمود
السيد محمد علي البيلاوى — مالكية
عبد العزيز الثعالبي افندي

الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى
« حسين والي — شافعية
« حسن أبي السعود

وحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد سبيع الذهبي الحنبلي عضواً استشارياً

انعقدت اللجنة في يوم الاحد والاثنين والثلاثاء ٤ و٥ و٦ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ (١٦ و١٧ و١٨ مايو سنة ١٩٢٦) وبحثت المسائل الثلاث مسألة مسألة وهي :

١ — بيان حقيقة الخلافة وشروط الخليفة في الاسلام
٢ — الخلافة واجبة في الاسلام
٣ — بم تنعقد الخلافة

وبعد المباحثة ومراجعة الكتب المعول عليها قررت ما يأتي بيانه

وقد رأت عدم الاطالة بذكر الادلة والمآخذ رعاية للزمن ولأن غالب ذلك معروف مبسوط في الكتب المشهورة : —

المسألة الاولى

(بيان حقيقة الخلافة وشروط الخليفة في الاسلام)

ا — حقيقة الخلافة — هي رياسة عامة للدين والدنيا وحفظ حوزة الملة نيابة عن صاحب الشريعة صلى الله عليه و سلم . فلا بد في تحقيقها من الجمع بين الرياستين الرياسة الدينية والرياسة الدنيوية ، وفصل أحدهما عن الاخرى أو تقييد الخلافة باحداهما دون الاخرى مخرج للخلافة عن معناها الحقيقي ونقض لأصل عقد الخلافة بين الامة والخليفة ، ولا يتصور وجودها بدون احداهما . ولا يصح القول أيضاً بأن مبايعة الامة الخليفة من باب الوكالة وللموكل ان يقيد الوكيل لأن هذا قياس مع الفارق . فليس من حقيقة الوكالة شرعا أن تكون عامة ، بل يصح أن تكون عامة ويصح أن تكون خاصة بخلاف الخلافة ، فان حقيقتها أن تكون عامة لاغير . وكما أن حقيقة الخلافة تمنع من قصر الخلافة على احدى الرياستين كذلك تمنع من امكان القول بجواز تعدد الخلفاء لأن عموم الرياسة المأخوذ في مفهومها لا يتفق مع التعدد ولأن من أوائل مقاصد الدين توحيد الامة الاسلامية ورعاية مصالحها المشتركة واعتبار المسلمين في سائر أقطار الارض كالجسم الواحد الذي لا يكون له إلا قلب واحد ينبعث منه دم الحياة إلى سائر الاعضاء.

ب — شروط الخليفة في الاسلام — اتفقت المذاهب الاربعة على اشتراط الاسلام ، والبلوغ والعقل ، والحرية والذكورة ، والقدرة على اقامة الحدود وتنفيذ الاحكام ، وحماية بيضة المسلمين ، وسلامة السمع والبصر والنطق ، وأن يكون ذا رأى وبصارة بتدبير المصالح العامة للمسلمين .

وأما الاجتهاد فالجمهور على اشتراطه . ويرى بعضهم صحة الاستغناء عنه باستفتاء العلماء . وكذا القرشية فقد نقل ابن خلدون أن الجمهور على اشتراطها أيضا . وأن كثيراً من المحققين ومنهم أبو بكر الباقلاني على خلاف ذلك كما أن الجمهور على اشتراط العدالة أيضا

وقد اتفق العلماء على أن محل رعاية ماوقع الاختلاف فيه من هذه الشروط انما هو حالة الاقتدار والاختيار لاحالة العجز والاضطرار .

المسألة الثانية

(الخلافة واجبة في الاسلام)

الامامة (الخلافة) واجبة في الاسلام وقد استدل لهذا في شرح العقائد بقوله صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » ولأحمد والطبراني « ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» أخرجاه من حديث معاوية . ولمسلم في صحيحه عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » ولأن الامة قد جعلت أهم المهمات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم نصب الامام على مافي الصحيحين من حديث سقيفة بني ساعدة وكذا بعد موت كل امام ، ولأن كثيراً من الواجبات الشرعية يتوقف عليه كتنفيذ الاحكام وإقامة الحدود ، وسد الثغور ، وتجهيز الجيوش ، وقسمة الغنائم ، وقهر المتغلبة والمتلصصة ، وقطاع الطرق ، وقطع المنازعات الواقعة بين العباد ، وقبول الشهادات القائمة على الحقوق ، ونحو ذلك من الامور التي لايتولاها آحاد الامة

المسألة الثالثة

﴿ بم تنعقد الخلافة ﴾

اتفق العلماء على أن لانعقاد الخلافة ثلاث طرائق

الطريقة الاولى — النص من الامام السابق

الطريقة الثانية — بيعة أهل الحل والعقد من المسلمين .وأهل الحل والعقد هم الذين يطاعون في الناس من العلماء والامراء والوجوه

وأهل الرأي والتدبير. ولابد عند جمهور العلماء من أن يكونوا عدولا . ولابد عند الحنفية في طريقي النص والمبايعة من نفاذ حكم من نص عليه أو بويع فان لم ينفذ حكمه في الناس لعجزه لم يصر إماماً .

الطريقة الثالثة ـ التغلب والقهر من شخص مسلم وان لم تتحقق فيه الشروط الاخرى)

وبعد الفراغ من تلاوة هذا التقرير

اقترح حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عطا الله الخطيب افندي إمهال المؤتمر يوماً ليتمكن حضرات الاعضاء من نظر التقرير في سعة وابداء آرائهم فيه

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ احمد هارون . هذه مسائل علمية نقلية محضة وهي معروفة عند العلماء ولا تقبل شيئاً من المناقشة ولا أرى وجهاً لاعطاء مهلة لدرسها

وقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي . لا يشك شاك في أن مسألة الخلافة من أهم المسائل ، ورأيت فيها من الصعوبة بمكان عظيم . فأقترح تأجيل المؤتمر سنة حتى تقتل هذه المسألة بحثاً . وان البحث الفقهي في هذه المسألة غير كاف . فللظروف أحكام وللامكنة أحكام . وتأثر النظم الاسلامية ببعض السياسات الاجنبية له حكم آخر

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري نحن لم نرد فيما اجتمعنا لنظره من المسائل العلمية أن نكون مجتهدين لنحدث آراء جديدة ومذاهب جديدة في الاسلام . ان بحثنا ينحصر فيما تقول المذاهب المعتبرة في الاسلام . أما التطبيق فلكم أن تقولوا : إن هذا ليس من اختصاصنا

وقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي : لا أريد مذهباً جديداً أو القول بالاجتهاد انما أقول ذلك مستفتياً . فان كنتم تنقلون مسائل غير قابلة للتطبيق في هذا العصر فماذا يكون الحكم

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري ان فتح باب تطبيق الأحكام الشرعية في عصر دون عصر خطر على الاسلام . نحن

نعرف أن تطبيق أحكام الدين العامة شيء واحد أما مراعاة أحكام الازمنة في احداث شروط جديدة فلا نقول بها

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ أسعد الشقيري . كنت في الجلسة الماضية قد أشرت الى أمر هام وهو أن هذه المسألة يجب أن ندعها الى المجتهدين الذين لهم الترجيح ويقدرون على الاستنباط ولكن المؤتمر أخذ هذه المسألة على عهدته ثقة بنفسه . والاعتماد على النفس في عصرنا هذا مزية مقبولة ممدوحة وقد جاءتنا اليوم اللجنة العلمية بهذا التقرير لتبدي رأيها فيه واننا في جميع بلادنا لنا عقيدة ثابتة هي أن سادتنا وأئمتنا الاطهار علماء الديار المصرية فيهم من هو المجتهد في المذهب وفيهم المستنبط . واذا كانت اللجنة استندت الى كلام ابن خلدون في مسألة النسب فهل الديار المصرية ليس فيها من هو أعلى درجة في الترجيح والاستنباط ؟

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد حبيب العبيدي . هل ضاقت بنا كتب الدين حتى نرجع الى كتب التاريخ ونأخذ عن ابن خلدون ؟

فطلب حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ أسعد الشقيري ألا يقاطعه أحد وقال كانت ديارنا كلها تنتقدنا في مسألة التصوير الشمسي فلما ظهرت رسالة فضيلة مفتي مصر السابق وهو الجالس هنا، وذكر فيها أن الصورة الشمسية ليست صورة مخترعة بل هي صورة حفظت بوساطة الآلات امتنع اعتراض الناس علينا . فعلمنا ان الاستاذ مؤلف الرسالة هو من أهل الاجتهاد في المذهب ومن أهل الاستنباط . ان مؤتمركم هذا أيها السادة المصريون اذا قرر شيئاً فانه سيصل الى العلماء والفلاسفة والملوك والنظار والعوام في اقطار المسلمين ، فالمسلمون اليوم يريدون منكم ايضاحاً وتفصيلا . ان شروط الخليفة استنبطتها الطبقات التي قبلكم استنباطاً وان في شروط الخليفة أحاديث منها ما صححه العلماء ومنها ما جعلوه موضوعا وذلك في كتب متفرقة منثورة، وأنتم تقولون ان هذا في المدونات العلمية ونحن نسلم لكم ولكن لا يمكن أن نحكم على جميع طبقات المسلمين أنهم يعلمونه كما تعلمونه ، فيجب أن نكتب هذه المواد مادة مادة بشكل خاص فربما

عرض على ملوك المسلمين وأمرائهم وأهل الحل والعقد وربما باحثكم فيه علماء تونس أو علماء سورية أو علماء العراق أو علماء فارس . فنحن لا نطالبكم باحداث شرائط جديدة ، وانما نطالبكم ببيان هذه المسائل التي أجتهدت فيها الطبقات القديمة قبلكم ، فهل هي مسائل عقائد أو هي مسائل ظنية استنبطها من كانوا قبلكم وجعلوها شروطاً . وهل اذا أنكر الشروط أو بعضها رجل يخرج بذلك عن الدين . نريد منكم خبراء مقتدرين يضعون نظاماً محكما ذا مواد مفصلة حتى اذا نشر في البلاد الاسلامية كان لنا أن نرفع رؤسنا بكم ولا يفهم من كلامي هذا اني أحتقر اللجنة أو المؤتمر وكلكم من أكابر القوم أن أكابر السياسيين الذين يجتمعون في المؤتمرات ينتخبون الخبراء الماليين والعسكريين ولا يطعن ذلك في كفاءتهم. ثم هنا مسألة أدعوكم الى التفكير فيها وهي أن تجمعوا هذه المسائل مع المسائل السياسية الاخرى بدقة تامة فان ورائكم أمراء وزعماء وملوكا فاحذروا من أن يكون عملكم محل انتقاد فان هذا لا ينتهي فى نصف ساعة أو بجواب مقرر

فأستأذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي وقال: يافضيلة الرئيس ان اللجنة العلمية التي نظرت في هذه المسائل الثلاث ليست مؤلفة من علماء مصر وحدهم وانما هي لجنة انتخبها المؤتمر نفسه من بين حضرات اعضائه وفيها علماء من الجهات الممثلة في المؤتمر فلماذا يخاطب فضيلة الاستاذ الشيخ الشقيري علماء مصر فقط ، على أن عمل اللجنة واضح في الشريعة

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ الشقيري . انما أخاطب المتخصصين

وهنا استأذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي في الكلام أيضاً وأراد أن يتكلم

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة. انما الكلام الآن لمقرر اللجنة

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي انما أتكلم كعضو في المؤتمر واللجنة . ولكل عضو حق الكلام بالاذن وفضيلة المقرر له الكلام من قبل ومن بعد وقد استأذنت فضيلة الرئيس فأذن والمسألة سهلة فليتكلم فضيلة المقرر

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري : إن الاستاذ الشيخ الشقيري يثني على علماء مصر فجزاه الله ألف خير عنهم ، وان علماء مصر مازالوا ولن يزالوا شافعية وحنفية ومالكية وحنابلة على هذه المذاهب ومايبنغي لنا غير هذا فمهمتنا أن نبين هذه الشروط فاذا كان فيها لبس اوخفاء فليذكر موضعه لايضاحه . ان وظيفتنا علمية وما على اللجنة الا أن تعد المؤتمر . فان اكتفى بما أعدته فيها وإن رأى غموضاً أوابهاما فللمؤتمر أن يستوضح مايريده. وما وظيفة المقرر الا رفع اللبس والا فما كان هنالك من حاجة لتوزيع التقرير على المؤتمر كفتوى شرعية لاتحتمل المناقشة . يقول فضيلة الاستاذ الشقيري يجب أن نجتهد وأن نطبق فأي مسألة يريد أن نجتهد فيها ونطبقها ؟ ليست مهمتنا أن نقول هذا الشرط متحقق عند فلان دون فلان . وانما هذه مهمة اللجنة الاخرى التي تقول هذا ممكن أوغير ممكن . أما نحن فوظيفتنا ان نبين ما هي الشروط الشرعية على حسب المذاهب . فان كان لدى الاستاذ اعتراض على أي شرط من هذه الشروط فليتفضل بذكره

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ أسعد الشقيرى : اليوم اذا سألك سائل وقال ان من ضمن هذه الشروط النسب وما الاسباب التى جعلت من قبلنا يعرضون عنه

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى : قلنا إن الجمهور على أن يكون الخليفة قرشياً . وقلنا إن بعضهم قال إن هذا ليس بشرط ومنهم أبو بكر الباقلانى الذي نقل عنه ابن خلدون . ونحن بسطنا المسألة وقلنا انها لاتحتاج الى ابتداع منا وأنا لا أقول خذوا بمذهب الشافعية أو بمذهب غيرهم وإلا أثرت خلافا بين المذاهب الاخرى وكل له وجهة نظر صحيحة فاذا رأيتم ان نأخذ بقول لأن المصلحة فيه فلا مانع . ونحن نتجافى كل التجافى عن الخلافات المذهبية التي فرقت المسلمين

فقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي : هذه مسألة عملية ولا يحمل عليها المسلمون

(للكلام بقية)

محاربة البغاء

تقرير

رفعه فضيلة الاستاذ أبي العيون إلى أصحاب الدولة رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشيوخ ، ورئيس مجلس النواب. خاص بالغاء البغاء الرسمي

حضرة صاحب الدوله الرئيس

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد . فاني أبرقت إلى دولتكم اقتراحاً بتاريخ يوم الاثنين ٣ ذى الحجة سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ١٤ يونيه سنة ١٩٢٦ م . بشأن البغاء الرسمي ، سألتكم فيه بحرمة الدين والوطن أن تعملوا على إلغائه أسوة بالممالك المتمدينة . كامريكا ، وانجلترا ، وألمانيا

واليوم يادولة الرئيس نرفع اليكم تقريراً كمذكرة إيضاحية للبرقية السالفة الذكر مثبتين في ذلك التقرير بعض البيانات التي جعلتنا ننتهز الفرصة الحالية لرجائكم في العمل على الغاء البغاء الرسمي واليكم نصها :

ا — ان دستور الدولة المصرية اعتبر الاسلام دين الدولة الرسمي ، ولم يك وضع ذلك في الدستور عبثاً ، بل له شأنه وقيمته واعتباره في حياة الدولة وتقاليدها ، ومظاهرها العامة التي لها بالدين صلة وارتباط . وإن مشروعية الدعارة وتنظيمها لا يتفق ودين الدولة الرسمي . ذلك لأن الاسلام يحرم الزنا وتشريعه وتنظيمه ويأمر بجلد الزاني والزانية ورجمها . ولقد كان ذلك من الاسلام رأفة ورحمة بالمجتمع الانساني . وحرصاً منه على حفظ النفس والعقل والمال وهي أهم أغراض التشريع الاسلامي والزنا يهدم هذه الاغراض من أساسها

ب — ان قسم اللوائح والرخص بحث رسمية البغاء من جميع نواحيها . وأثبت بعد استقرار المباحث الخاصة والعامة في الدولة المصرية وغيرها أنه من المتعذر

تنفيذ قوانين وأنظمة البغاء ، بل أن نظامه أصبح مؤذياً أدبياً وصحياً . وساق على ذلك أدلة تكفي لاقناع من يطلع عليها ، وأخيراً نصح وزارة الداخلية بالغاء الدعارة الرسمية ، وانقاذ البلاد من خطرها المدام .

ج — إن مصلحة الصحة وافقت بمكاتبة رسمية قسم اللوائح والرخص على الغائه وأشارت الى النظام الذى يتبع عقب الالغاء

د — أن كثيراً من الممالك المتمدينة كانكلترا وألمانيا ونروج تجاهلته ، أو حرمته وراقبت آثاره . ولا سيما امريكا فانها حرمته بتاتاً وعقدت كل ولاياتها مؤتمراً للأمراض التناسلية ووضعت قراراً حاسما في ذلك . ويتلخص في جملة واحدة وهي : « أن المؤتمر يعتقد بعد دراسة واسعة أن العلاقات التناسلية الغير الشرعية قلت كميتها بعد ايجاد نظام منع البغاء الرسمي »

هـ ـ ان الدول التي تجاهلت البغاء أو حرمته لم يكن الباعث لها على ذلك احترام الدين أو الآداب أو الرأي العام فقط . بل ظهر ان الاعتراف به رسميا (١) مفسد للأخلاق (٢) مسبب للامراض (٣) مسهل لجريمة الاسترقاق (٤) مروج لتجارة الرقيق الابيض (٥) معطل للزيجة

و ـ ان التقارير الطبية أجمعت على ان تشريع البغاء وتنظيمه من اشد الاخطار وأفدحها في ذيوع البغاء ، وانتشار الامراض السرية ، وفوضى العلاقات التناسلية

(١) كتب الدكتور تسيكالاس مندوب الجمعية الدولية لالغاء الاعتراف رسمياً بالبغاء رسالة للمسيو جراهام مدير الصحة العمومية المصرية يحثه فيها على السعي لالغاء لائحة العاهرات حين اريد تعديلها سنة ١٩٠٥ م قائلا (انها خطأ فاحش من الوجهة الصحية ، وظلم من الوجهة الاجتماعية ، وفظاعة من الوجهة الادبية وجريمة من الوجهة القضائية)

(٢) وقال الدكتور شان فلوري سان استلستين الذي كان متوليا عملية الكشف بمدينة لاهاي (ان الكشف على العاهرات لا يمكن أن يؤدي الا الى نفع قليل بعزل بعض المريضات عن الاختلاط بالرجال اذ كم من مريضة تفلت من يد الطبيب لكمون دائها ، او لانها تخفي علامات مرضها) وقال (ومن هذا يتضح

مقدار المضار التي تسببها الحكومات باعترافها بالبغاء رسمياً ، اذ ان اعتراف الحكومات بالبغاء رسميا يكون كعقد منها تجاه الجماهير تتعهد لهم به أنها كفيلة بمنع الامراض بمراقبة العاهرات والكشف عليهن طبيا ، وتكون كذلك حرضت عدداً من الرجال على الزنا ، ولولا هذا الوهم الذي توهموه ، ولولا مادخل في نفوسهم من الاطمئنان على صحتهم ما كانوا اقدموا على الزنا ، وبهذا تكون الحكومة قد جعلت من الناس زناة ، ومن الاصحاء ضعفاء تسممت اجسامهم بالامراض

٣ — وكتب الدكتور فخري تقريراً مسهباً بحث فيه مسألة البغاء والامراض التناسلية بحثاً دقيقاً . ثم رفعه الى جميع الهيئات والمقامات والصحف . ونظرة واحدة فى التقرير تبعث القارىء على الاسف الشديد . والحزن العميق لما وصلت اليه حالة البلاد من جراء البغاء السري والجهري وما كان لهما من اثر سيء في حالتنا الخلقية والصحية والاقتصادية

ز — إن مواطن البغاء جعلت مأوى لتهريب المواد المحظورة بقانون سنة ١٩٢٥ واصبحت تلك المواطن فوق كونها مواخير للدعارة فهي (غرز) للحشيش والافيون والكوكائين والمورين وغيرها من المواد السامة والعقاقير الضارة

وبعد فاننا أوردنا في هذا التقرير برؤس مسائل لم نرد أن نتوسع فيها خشية الأملال والسآمة . وبعد ذلك لانري مبرراً لبقاء العهر في البلاد . وأننا نرجو ونلح في الرجاء على دولتكم أن يقدر مجلسكم الموقر فظاعة رسمية الدعارة وأن يعمل على الغائها بكل سرعة ممكنة رحمة بابناء هذه الامة المسكينة . وانقاذها من القلق والفوضى

والله سبحانه وتعالى يتولانا جميعاً . ويوفقنا للعمل الصالح وصالح العمل
وتفضلوا ياصاحب الدولة بقبول اجلالي لشخصكم الكريم

المخلص

محمود أبو العيون

مفتش الجامع الازهر والمعاهد الدينية

جواب الاستاذ الامام

عن كتاب لبعض علماء الشام

كتب الى بعض علماء الشام (١) جوابا عن كتاب هنأه فيه بمنصب الافتاء وهو من ألطف كتبه وفيه من الشكوى من سوء حال قومه ولا سيما الجامدين الرسميين ومن التحدث بالنعمة ماليس في غيره

انصفني قومك اذ سروا بتناولي منصب الافتاء ، ولعل ذلك لشعورهم بأنني أغير الناس على دين الله ،وأضراهم بالدفاع عن حماه ، وأدراهم بوجوه الفرص عند سنوحها ، وأحذقهم في انتهازها ،لابلاغ الحق أمله ، أو يبلغ الكتاب أجله، على أنهم مني بحيث لايفسد نفوسهم الحسد ، ولا يتقاذف باهوائهم اللدد،وكل ذي دين يشتهي أن يرى لدينه مثل ماأحث اليه عزيمتي ، واخلص في العمل لتحقيقه نيتي ،خصوصاً ان كفي فيه القتال ،ولم يكاف بشد رحال ،ولا بذل أموال

أما قومي فابعدهم عني، أشدهم قربا مني، وما أبعد الانصاف منهم ، يظنون بي الظنون ، بل يتربصون بي ريب المنون ، تسرعا منهم في الأحكام، وذهاباً مع الاوهام ،وولعاً بكثرة الكلام ،وتلذذاً بلوك الملام، أقول فلا يسمعون ،وأدعو فلا يستجيبون، واعمل فلا يهتدون، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون ، واضع أيديهم عليها فلا يحسون ، بل يفرون الى حيث يهلكون ، شأنهم الصياح والعويل ، والصخب والتهويل، حتى اذا جاء حين العمل ، صدق فيهم قول القائل في مثلهم

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

واقول: ولا من الخير

وانما مثلي فيهم مثل أخ جهله اخوته ، او أب عقته ذريته،أو ابن لم يحن عليه ابواه وعمومته مع حاجة الجميع اليه ، وقيام عمدهم عليه ، يهدمون منافعهم بايذائه ولوشاؤا لاستبقوها باستبقائه، وهو يسعى ويدأب، ليطعم من يلهو ويلعب ،على أني

(١) هو أرجح انه الشيخ جمال الدين القاسمي رحمهما الله تعالى

أحمد الله على الصبر، وسعة الصدر، اذا ضاق الأمر، وقوة العزم، وثبات الحلم، وإن كنت في خوف من حلول الاجل، قبل بلوغ الامل، خصوصاً عند ما أرى أن العمل في أرض ميتة لو ذابت عليها السماء مطراً لما انبتت زرعا، ولا أطلعت شجراً، أفزع لذكرى ذلك وأجزع، ويكاد قلبي يتقطع، ثم ارجع الى الله فاعلم انه مع الصابرين، وأنه لا يضيع أجر العاملين، فيثلج صدري، وأمضي في جهادي الدائم، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً

ممن اشتكي ؟ لو أن ما ألقى كان من لغط العامة ولقلقة الجاهلين لهان الامر وتيسر المخرج . ولكن البلاء كل البلاء أن اشد الناس عداوة لا نفسهم هم أولئك المعلمون الذين يبعدون عن الدين، مدعين انهم دعاته، ويمزقون احشاءه زاعمين انهم حماته، وما منهم إلا أحد شخصين: شخص ركب هواه فاعماه، فهو يرى الحق باطلا، والصواب خطأ، وآخر غرته دنياه، وأضله جشعه، فران على قلبه ما يكسب، وامتنع عليه معرفة الصدق من كثرة ما يكذب، ولم يعد للحق الى قلبه سبيل

ليتني كنت أشكو الى الله جهل العالمين، وحمق المعلمين، في مثل الجاهلية التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لمحو أحكامها، وإزالة أيامها، تلك جاهلية كان الضلال فيها بعيداً، ولكن كان فهم القوم حديداً، لذلك عند ما لاح لهم ضوء الهدى ابصروه، وعند ما قرع اسماعهم صوت الداعي اجابوه، كان القرآن يصدع أفئدتهم، فيلين من شدتهم، ويفل من شرتهم، ويفجر من صخر القسوة ينابيع الحنان والرحمة، وما كان أهل العناد فيهم إلا قليلا، عرفوا الحق فانكروه، وطائفة كانوا يفرون منه خوف أن يعرفوه، ولو سمعوا، لفهموا، ثم لم يجدوا بداً من أن ينصروه، وإن الجحود مع الفهم، كاليقين في العلم، كلاهما قليل في بني آدم .

أما اليوم فانما أشكو من قلة الفهم، وضعف العقل، واختلال نظام الادراك، وفساد الشعور عند الخاصة، فلا تجذبهم فصاحة، ولا تبلغ منهم بلاغة، وغاية ما يطلبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، وأن يوصفوا بالعلم وإن لم يعقلوا، وأن تقضى حاجاتهم اذا سألوا، وان ترفع مكاناتهم وان تنزلوا، وان استعداد السامع للفهم يستدر

المقال ، ويسدد الفكر للنضال في الجدال أما عيشك فيمن لايفهم ، فانه ينضب منك ينبوع الكلام ، ويطمس عين الفكر ، ويزهق روح العقل

جعلني الشيخ عبد الرزاق البيطار ثالث الرجلين [1] وما أنا في شيء من أمرهما ، الا نزر من الهمة ، وكثير من معرفة قدرهما

الحمد لله لا أحصي ثناء عليه ، وأشكره وأشكر نعمة مرجعها اليه ، وأذكر من نعمه أكبر نعمة أمدني بها ، وأكرمني بأسبابها ، إحسانه إليّ ، بعطف قلب الاستاذ عليّ ، وتقريبي من فؤاده ، وإحلالي مكانا من وداده ، كرمت نفس الاستاذ فكرم فيه مثالي ، وكانت سجاياه فتخيل منها كالي . نسب إليّ الشيخ الجليل شؤونا كلها من مرائره ، وألبسني من الاوصاف ثوبا نسجته يد مظاهره . جعل لي السيد من حسن ظنه معينا . وأفادني بثقته ركنا ركينا ، وسندا أمينا . فأسأل الله تحقيق ظنونه ، وأن يمدني دائما بدقائق فنونه ، وأن ينصرني بولائه ، وأن يسلكني في عقد أوليائه ، والسلام

أمر القادياني قد فصل

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي المدير لمجلة المنار ، سلمه الله الغفار ، السلام عليكم ، رأيت العدد الأول من المجلد السابع والعشرين من مجلة المنار وأنا بمكة المكرمة في شهر ذي القعدة ، فنظرت فيها تحت عنوان : الجامعة القاديانية . ماذكر ،

غلام أحمد القادياني المدعي للمسيحية الموعودة ، والمهدوية المعهودة ، نشأ في البنجاب قريبا من وطني أمرتسر فأنا جاره « وصاحب البيت أدرى بمافيه » صرفت حصة من عمري في تحقيق أمر القادياني ، باحثته وجادلته حتى صار

(١) يريد شيخي الاسلام ابن تيمية وابن القيم

أمرنا إلى أن دعا الله انه من كان منا كاذباً عندك فأمته قبل الصادق وأشاع إعلانا هنديا (هذا تعريبه)

(الفيصلة الأخيرة بيني وبين المولوي ثناء الله بسم الله الرحمن الرحيم)
(يستنبئونك أحق هو ؟ قل : إيْ وربي انه لحق) بحضرة المولوي ثناء الله)
(السلام على من اتبع الهدى ، ان سلسلة تكذيبي جارية في جريدتكم (أهل)
(الحديث) مذ مدة طويلة أنتم تشهرون فيها أني كاذب دجال مفسد مفتر ،)
(ودعواي للمسيحية الموعودة كذب وافتراء على الله ، اني أوذيت منكم إيذاءً)
(وصبرت عليه صبراً جميلا ، لكن لما كنت مأموراً بتبليغ الحق من الله وأنتم)
(تصدون الناس عني فأنا أدعو الله قائل : يا مالكي البصير القدير العليم الخبير تعلم)
(ما في نفسي ان كان دعواي للمسيحية الموعودة افتراء مني وأنا في نظرك مفسد)
(كذاب، والافتراء في الليل والنهار شغلي فيا مالكي أنا أدعوك بالتضرع والالحاح)
(أن تميتني قبل المولوي ثناء الله ، واجعله وجماعته مسرورين بموتي ، يا مرسلي أنا)
(أدعوك آخذاً بحظيرة القدس لك أن تفصل بيني وبين المولوي ثناء الله انه من كان)
(مفسداً في نظرك كاذبا عندك فتوفه قبل الصادق منا (ربنا افتح بيننا وبين قومنا)
(بالحق وأنت خير الفاتحين) الراقم عبد الله الصمد ، مرزا غلام أحمد المسيح الموعود)
(عافاه الله وأيد عزه ، ربيع الأول سنة ١٣٢٥)

أيها الناظرون ان المدعي قد مات منذ سنين ودُفن في قاديان وأنا بحمد الله حي إلى الآن ، فهل بقي شيء يريب أحدا في أمر القادياني ؟ لا والله قد فصل فحصحص الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال ، فاعتبروا يا أولي الأبصار

ها أنا ذا الخادم لدين الله

أبو الوفاء ثناء الله المدعو بفاتح قاديان الهندي الامرتسري

ماضي الازهر وحاضره ومستقبله

— ٥ —

ذكرنا في المقالة الثانية من هذا البحث جملة مطالب الأزهريين وما قبلته الحكومة منها وذكرنا في الثالثة والرابعة تفسير الازهريين لمطالبهم تلك ووعدنا بالتعليق عليها . ثم أمسكنا عن اتمام هذا البحث بضعة أشهر لما طرأ على مسألة الأزهر من التقلب والخلاف بين الحكومة ومشيخته ، وماطرأ في العالم الاسلامي من الاطوار العامة من نبذ الحكومة التركية للشرع الاسلامي وتأثيره في قوة سير الالحاد واللادينية في مصر من جهة – ومن الرجاء في قوة الدين من جهة أخرى بانتصار النجديين في الحجاز على حكومته السابقة الجائرة المفسدة ، ونعود الآن الى اتمام البحث في حال الازهر وحاضره ثم نبني عليه في مجلد المنار السابع والعشرين الكلام في مستقبله ان شاء الله تعالى فنقول :

إن جل مطالب الازهريين من الحكومة منافع مادية وإدارية يتوقف عليها جعل هذا المعهد العلمي الاسلامي كالعضو الرئيسي العامل في بنية الامة والدولة ولكن لن يكون بها كذلك إلا بالاصلاح العلمي والتهذيبي الذي يشعر الأمة والحكومة معاً بالحاجة اليه وتوقف ارتقاء البلاد على عمل المتخرجين فيه ، وليس في مطالب أهله ولا في شرحها ولا فيما كتبوا في الصحف من المقالات انتصاراً لما أدنى بيان لأركان هذا الاصلاح ، ولكن في بعضها إشارة الى بعض المسائل الاصلاحية بالاجمال كطلب ارسال بعثات من الازهريين الى المدارس الأوربية الجامعة وهو المطلب السابع مما تقدم في المقالة الرابعة ، وكذلك انتقاء الكتب وتعديل البرامج بما يناسب حاجة العصر الحاضر والتقدم العلمي الحالي ، وهو المطلب الثاني عشر منها وهو الاخير كما تقدم. قد يكون تنفيذ هذين المطلبين ركنا من أركان الاصلاح العلمي وقد يكون من أكبر المفاسد القاضية على هذا المعهد ، فقد تعلم بعض متخرجي الازهر وحملة شهادة العالمية ومن دونهم في مدارس أوربية فعادوا الى مصر يفسدون ولا يصلحون ، وهم من دعاة الحكومة اللادينية والالحاد في البلاد وانما تكون العلوم العصرية إصلاحاً عظيما بما سنبينه بعد في الكلام على مستقبل الازهر

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار
١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ ٢٠ برج السرطان سنة ١٣٠٥ هش ١٠ يوليه سنة ١٩٢٦

الارشاد

ماضي المسلمين وحاضرهم ، الارشاد وماله من التأثير والمكانة في الحياة الاسلامية ــ الصفات التي يجب أن تتوفر في المرشد ـــ أدلة وجوب الارشاد من الكتاب والسنة ـــ من يصلح للارشاد ـ أشهر طرق الارشاد الخطابة ـ الدرس ــ التمثيل ــ الاسوة الصالحة ـــ الكتابة ــ كيف يتكون المرشدون

كلما فكرت في أمر المسلمين وما كان لهم من عز وما أصبحوا فيه من ذل وما عرف لهم من الملك الواسع، وعنهم من العدل الشامل، وماصاروا اليه من كلمة متفرقة وممالك ملتهمة وبلاد مستعمرة ـ كلما جد بي التفكير في ذلك حضرتني كلمة « الارشاد » وملكت علي نفسي واستولت على فكري وكيف لا تكون كذلك وبها قامت هذه الملة، وانتشرت هذه الشرعة، وتكون بها الملك الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها . فمحمد عبد الله ورسوله (ص) لم تكن له الجيوش المؤلفة، ولا الأساطيل القوية، ولا الغواصات الماخرة، ولا الطيارات السابحة ولكن بين جنبيه نفس طاهرة وروح مكملة حركت لسانه بالدعوة إلى الحق وإرشاد الخلق والأخذبهم عن اللمم، إلى السبيل الأمم ففعلت نفسه بنفوسهم وروحه بأرواحهم مالا تفعله القوى القاهرة ، فانها إن حركت الأجساد الى حيث يريد المستعبدون الظالمون، فانها لاتحرك القلوب نحو الغاصبين المستبدين بل ربما أيقظت نائمهم ، واجدت خاملهم ، وبعثت ساكنهم الى حيث يناويء الغاصب ويقهر الغالب ويرد الكائد ثم يختط لنفسه من طرق السعادة وسبل العزة مايمكن له في الارض، ويستعيد به الملك الغابر والمجد السالف وسيطرة الأولين وعزة المؤمنين : قام سيدنا محمد (ص) لاحول له ولا قوة إلا الدعوة إلى الخير ينطق بها قلبه قبل أن ينطق لسانه ويظهر أثرها في عمله وخلقه قبل أن تنتظم في كلمه فكان الناس يسمعون مع صوته وحي قلبه ، ويرون في خلقه وفعله أسوة حسنة وقدوة صالحة فكل عضو من أعضائه داعية وكل حاسة من حواس سامعيه مشغولة بدعوته منصرفة عن غيره فكيف لا يسيرها حيث يحب ويسخرها حيث يود ولا يحب إلا الخير ولا يود للناس إلا ما انطوت عليه نفسه وجبلت عليه روحه من معالى

الأمور، ومكارم الأخلاق، وكبار الآمال . وكذلك صحب رسول الله (ص) والتابعون لهم باحسان كانوا داعين بعملهم وقيلهم إلى هذا الدين فاستطاعوا أن ينشروه في قلوب الملايين من البشر قبل أن ينشروا سلطانه في معظم المعمور من الأرض إذ ذاك :

وكما كان بهذه الكلمة قيام الامم، وبناء الدول كان بتركها وإهمالها دك هذا البناء الشامخ الذي بناه على أساس الحق والعدل آباؤنا السابقون، وسلفنا الصالحون وبعثرة هذا الملك العريض الذي توطن (سرة) الكرة الأرضية وخير ما فيها من بلاد فهي كلمة من فهمها حق فهمها، وقام بحقوقها وحفظ عليها حرمتها كانت له أكبر عون على آمال يريد تحقيقها وأماني يود حصولها . ومن ضيعها وحقر شأنها ونكث عهدها لم تؤاته على آماله بل سلبت منه ما كان جمعه وهدمت ما كان أقامه

وإذ كانت هذه مكانة الارشاد كان من الواجب علينا أن نعالج موضوعه ونلم بابحاثه حتى نحرك آلاف العلماء ليقوموا بواجب النصح ويؤدوا العمل الذي كتب الله عليهم أن يؤدوه، وأخذ عليهم الميثاق أن يبينوه ولا يكتموه . وحتى يعرف الذين قصدوا للارشاد ـ ولم يحسنوا ـ الطريق السوي الذي يصلون منه إلى النفوس فيحركونها نحو مايحبون، أو يكوّنونها كما يبغون ـ وقد رأيت أن أقسم الموضوع إلى أربعة أقسام :

الأول ـ في وجوب الارشاد

الثاني ـ في بيان من يصلح للارشاد

الثالث ـ في طرق الارشاد

الرابع ـ كيف يتكون المرشدون

١ وجوب الارشاد

قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقال تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)

وقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) وقال (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون) وقال (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون) وقال تعالى(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله. إن الله عزيز حكيم) وقال (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) وقال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)وقال(قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) وقال تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدرى رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان »

وروى الشيخان عن تميم الدارى عن النبي (ص) قال« الدين النصيحة» قاله ثلاثا . قال : قلنا لمن يارسول الله قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم :

وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال «مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي ذكرنا كثيراً منها وإن كان

المتروك أكثر لتبين لحضرات العلماء الذين يعيشون لانفسهم دون أمتهم ودينهم أن واجب الارشاد ليس دون الصلوات والزكوات والفرائض المحتمة في الدين المعروفة بين جمهور المسلمين . فهل رأيت من الحث في القرآن على الصيام الذي هو ركن من أركان الاسلام مثل ما رأيت من الحث على الارشاد ووجوب التذكير والعظة والانذار بسوء العاقبة لمن قعد عن القيام بهذا الواجب الذي من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والذي من أجله أنزل كتبه بين خلقه يستضيئون بنورها إذا اظلمت عليهم المقاصد والتوت طرق الحق وضل الناس المحجة . وهل مدح الله العلماء بما مدحهم به في القرآن إلا لأنهم ورثة الانبياء ، يبلغون الشرائع للناس ويرشدونهم الى طرق الفلاح والنجاح، يرشدونهم إلى أسباب السعادة والعزة في هذه الدار (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) وفي الدار الآخرة (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)

٢ من يصلح للارشاد

ما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، وما خرج من القلب وصل الى القلوب فحرك دم الاصلاح فيها فحرك الاعضاء الى الخير والعمل الصالح حركها الى حيث السعادة للنفس والعشيرة والخلق فالنفس الطيبة لا تصدر إلا طيبا . النفس المكملة تستطيع أن تكمل غيرها والنفس الناقصة أولى بها أن تتدارك عيوبها ثم تتطلع بعد ذلك لاصلاح غيرها ولا يمكن أن يعطي الشيء فاقده بل ينفق كل امريء من وجده. إذا أردنا أن نعرف المثل الاعلى للمرشدين فعلينا بالانبياء والمرسلين فمن صفاتهم نتعرف صفات المرشدين ومن طرقهم نتبين طرق المصلحين (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) المرشد شخص كملت نفسه وتهذب خلقه ورشد عقله عامل بما علم واقف عند ما رسمه له الشارع لا يلتوي عنه يمنة أو يسرة ملء قلبه بخشية الله فلا يفعل ما يفعل ولا يترك ما يذر خشية من الناس أو من قانون وضعي نطبق عليه نصوصه بل يفعل

الخير ويترك الشر لانه يرى سلطان الله محيطا به من كل جانب، ويرى عين الله تبصره كل حين. تبصره وهو على ملأ من الناس قد غمره نور الشمس، وتبصره وهو في زوايا بيته في الظلام الدامس، والليل الحالك يحب مايقربه الى ربه ويبغض كل مايبعده عن سبيله يرى أن كتاب الله إمامه فلا يحكم بغير مايحكم، ولايقول غير مايقول يجعله سلوته في غدواته وروحاته، وفي أوقات فراغه يعكف عليه يتعلم منه الحكمة ويتبصر منه طرق الهداية وموارد الرشاد . يأتسي بالرسول (ص) في أعماله وأخلاقه وعقائده وآدابه

المرشد شخص بصير با حوال الناس خبير بأمورهم ليس خباولا مغفلا يضحك عليه ويسخر منه ، عليم بالطريق الذي يسوسهم منه ويأخذ بهم الى حيث عزهم ومجدهم وعلوهم وسعدهم المرشد شخص جعل الصبر عدته ، وتحمل الأذى في سبيل الحق خلته فما يصيبه من الآلام وما ينتابه من النائبات يتقبله بقلب ثابت وجأش رابط بل يستعذب المر في سبيل الدعوة ويستسهل الصعب في سبيل اعلاء كلمة الله كلما طعن بطعنة أو قذف بسبة تأسى بالانبياء قبله وقال : هذا سيد الرسل رمي بالسحر والجنون والافتراء على الله ومس الشيطان وأوذي في سبيل الله أشد الايذاء فما كان يقول الا (اللهم أغفر لقومي فأنهم لا يعلمون) ثم يقول لنفسه ان مرتبة الأرشاد من المراتب العالية التي لاتنال الا بالجد والصبر على المشاق، ويتمثل قول الله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)

المرشد لا يعرف اليأس اليه سبيلا، وكيف يتسرب اليأس إلى نفسه وما عليه إلا البلاغ المبين ، فان عمل الناس بما دعا فتلك البغية ، وان أعرضوا عنه فانما عليه البلاغ وعلى الله الحساب ، اذا خاطبه ضعيف الايمان وقال له مثبطا من عزمه : وماذا تبلغ كلمتك من نفوس الناس ، وماذا عسى أن يكون أثرها فيهم ؟ حكى له قول الله في قوم من بني اسرائيل قالوا مثل مقالته (وإذ قالت أمة منهم لمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ؟ قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون)

المرشد شخص يعرف القرآن جد المعرفة ، ويعرف أعمال الرسول (ص)

وهديه في صلاته وزكاته وصيامه وحجه ومعاشرته لأهله وقومه وجهاده في سبيل نشر الدين

المرشد سياسي حكيم يأتي الناس من جهة مايعرفون ليصل بهم إلى ماينكرون من حيث لا يشعرون فيسقيهم الدواء في كوب الشراب العذب مضيفا اليه من المواد مايغطي مرارته ، يدعوهم إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن ، فلا يشتد في موضع اللين ، ولا يلين في موضع الشدة ولا يمنع الشر بالقوة إذا كانت الكلمة البالغة كافية

يعظهم بالقول الرقيق ، والأسلوب العذب الذي لا يعلو على أفهامهم، ويجري في مجاري حديثهم .

المرشد النابه يستطيع ان يعظ كل صنف من الناس وإن كانوا حكاماً ظالمين وعتاة جبارين وان كانوا ممن ينفرون منه اذا رأوه ، ويهرولون عنه اذا لاقوه ، فهو بحيلته ودهائه يستطيع أن يرد شاردهم ، ويكبح جماحهم الى حيث يسمعون عظته البليغة ، وقولته الساحرة الفاعلة في النفوس ما لا تفعله السيوف

ولو أردنا أن نسوق لذلك الأمثال لكان من ذلك مؤلف ضخم وحسبنا في ذلك سيرة الرسول (ص) ففيها زاد المرشدين ، وعدة الداعين

﴿ ٣ — طرق الارشاد ﴾

طرق الارشاد كثيرة ولكن نجتزىء بمشهورها عن استقصائها فنقول : أشهر طرقه الخطابة والدرس والتمثيل والأسوة الصالحة والكتابة .

أما الخطابة فهي أشد هذه الطرق أثراً في النفوس إذا كانت صادرة من قلوب مخلصة طاهرة طيبة، وكان لصاحبها من طلاقة اللسان مايحسن التعبير به عما يكنه الفؤاد . وكان الخطيب مراعياً مقتضيات الأحوال فيخطب في الحوادث النازلة ، والوقائع الجديدة ، ولا يسلك مايسلكه خطباؤنا في هذا العصر ينهون عن جرائم كانت في سالف الأيام ولم يكن لها وجود بين الناس بل لا يعرفون اسمها إلا من طريق الخطباء ، ويأمرون الناس بما هم به قائمون بدل أن يأمروهم

عما هم فيه مقصرون ، وينهوهم عما هم له مجترحون ، نرى خطباءنا يخطبون بما يعلو على الأذهان ، ولا يفهمه إلا العلماء ، ويكثرون من المجازات والاستعارات والمحسنات ، وإن كان في ذلك إضاعة المعنى ، والتعمية في المغزى ، وكان جديراً بهم أن يخاطبوا الناس بما يعقلون ، ويتخيروا من الألفاظ ما يعرفون ، فليس الغرض من الخطابة امتحان الخطيب ومعرفة بلاغته ، وانما الغرض إيصال المعاني إلى القلوب ، فكل طريق يصل بالخطيب الى هذه الغاية عليه أن يسلكه، ولو كانت عبارته أقرب إلى العامية منها إلى العربية الفصحى ، وليت هذه الخطب من صنع الخطباء ولكن أكثرها من صنع القدماء ، على أني لا أحبذ في الخطيب أن يخطب من حفظه أو من ورق في يده ولكن أحب له أن يرتجل ، وأن يأخذ من حال الحاضرين ما يجعله موضوع خطابته ، فان رأى منكراً أو بدعة ولو في أثناء الخطابة تحول بكلامه نحوها كما كان يفعل رسول الله (ص)

ولا أقصد بالخطابة خطابة الجمع فحسب بل ما يشمل ذلك ويشمل إلقاء المحاضرات في الجامعات والمنتديات بل الخطابة على الجماهير في الميادين العامة ، والمتنزهات الجامعة ، فان قصر الخطابة على ما يكون يوم الجمع في المساجد ضئيل الأثر، قليل النفع فان من يحضرون المساجد قليل بالنسبة لمن يغيبون ؟ ثم أكثر الحاضرين نفوسهم عارفة للدين ولكن أولئك الذين لا يعرفون بيوت الله أولى بالعظة والتذكرة وربما كان فيهم نفوس متقبلة ، وأرواح مستعدة

وحبذا لو عينت وزارة الأوقاف مرشدين في الميادين والمتنزهات والمنتديات والمجتمعات وأمرت وزارة الداخلية الجنود بأن يحافظوا على النظام ويسهلوا للواعظين القيام بهذه المهنة ولقد فكرت وزارة الاوقاف في اصلاح الخطابة فطلبت الى المربين والمرشدين والواعظين والكاتبين أن يوافوها بخطب تناسب العصر وتقتلع من النفوس جراثيم الامراض الخلقية ، فتقدم اليها أولئك بما جادت به القرائح، ولا ندري ماصنعت بهذه الخطب التي وعدت المتفوقين فيها بمكافأة على أن هذه الطريقة في الاصلاح قليلة الفائدة فان الخطيب إذا كانت نفسه مصدر خطابته وكانت زكية طيبة اجتمع كلامه وحاله وقلبه في التأثير على السامعين فكان لثلاثتها

من التأثير ماليس لكلمات يلوكها بلسانه ، لاصلة بينها وبين قلبه ، بل ربما كان جاهلا معناها ، غير واقف على مغزاها ، فلا جرم كان ماصاغه أفيد في العظة مما صاغه غيره لعالم غير عالمه

وأما الوعظ من طريق الدرس فله في نفوس الطلبة آثار حسنة خصوصاً ان كانوا صغاراً لم تتلوث نفوسهم بعد بل كانت على الفطرة التي فطروا عليها ، فان المدرس الماهر يستطيع أن يصوغ هذه النفوس فى القالب الذى يحب ، واذا عرفنا طول عشرة التلميذ لمعلمه أدركنا أن كلمات المعلم ربما سكنت القلوب ساعة تخرج لسابق المعرفة وطول التجربة ، واذا كان المدرسون أكثر الفئات الصالحة للوعظ علمنا أن واجبهم في الدعوة عظيم، ولاسيما أنهم يصاحبون الطالب بضع سنين ، فلو أن مدرسي المدارس الأولية والابتدائية والثانوية والعالية والمعاهد الدينية عنوا ببث الاخلاق الفاضلة والعقائد الحقة في نفوس المتعلمين لغيروا هذه النفوس في الزمن اليسير إلى ماهو خير وأصلح ، وكل مدرس يستطيع أن يقوم ببث ذلك ، ولو لم يكن العلم الذي يدرسه من علوم الدين أو الاخلاق فان الطلبة أوقاتا يسأمون فيها العلم المحتم، وتتعطش نفوسهم لمسائل الخارجية ، فلو أن نفس المعلم عنيت بالارشاد ماصدها عن غرضها صاد ، وليس في هذا تقصير في القيام بالواجب ، فان تكوين الاخلاق والآداب أولى من حشو الأدمغة بالمسائل العلمية ، وماذا تنتفع من علم شخص فسدت أخلاقه وآدابه وعاث فى الارض فساداً ، فليتق الله حضرات المعلمين وليعلموا أن الله أودعهم ودائع وأوجب عليهم رعايتها والقيام بحقها فهم رعاتها وكل راع مسئول عن رعيته ،

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر حضرات المدرسين الذين عينتهم وزارة الأوقاف للوعظ والتذكير بأن يتخيروا المواضيع التي تناسب العامة وتليق بالجمهور كشرح آية أو حديث بعبارة سهلة يكثر فيها ضرب الأمثال بالمعهود لهم ولا يعمدوا الى المسائل الفقهية العويصة فيشرحوها للعامة فان ذلك مضلة لاهداية ، ولقد سمعت مرة مدرسا يفسر للعامة (الٓمٓ) ويذكر مافيها من وجوه الاعراب ومختلف الاقوال ، والحمد لله ان لم يكن أمامه إلا شخصان وأظن أنهما لم يجلسا

اليه لسماع عظته وانما جلسا اليه خشية أن لا يجد المدرس من يسمع لقوله . ورأيت يعلم الناس الصلاة فيقول فرائضها كذا وواجباتها ثمان وسبعون وسننها ثلاثون فهلا ترى — أرشدك الله — أن هذا منفر لا داعية، ومعسر على الناس لا ميسر والله يقول (وما جعل عليكم في الدين من حرج) (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ويقول النبي (ص) « يسروا ولا تعسروا » وكان خيراً لهذا المدرس أن يشرح الصلاة ببيان صفتها بقوله وعمله فان تلك سنة الرسول (ص) وتلك الخطة المناسبة لأفهام الجمهور

ولقد وزعت وزارة الاوقاف على مدرسيها وخطبائها كتاب (مفتاح الخطابة والوعظ) الذي هو آيات بينات وأحاديث صحيحة فلأن يدرسوا للناس هذا الكتاب أولى من درسهم كتب الفقه والكلام فان أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد (ص)

وأما التمثيل فلا بأس به لو خلا من الغرام والعشق والغيد الحسان ، ولكن يظهر أن ذلك من لوازمه في عصرنا وأنه لا تنفق سوقه الا بهذه المحسنات ، لهذا كان من رأينا أن اثمه أكبر من نفعه وشره فوق خيره سيما اذا علمنا ان أكثر الطبقات التي تقوم به من الطبقات المنحطة الذين تلوثت نفوسهم بالفسق والفجور، وعقولهم بالمخدرات والخمور، فاقفال هذه الدور خير من فتحها وحبذا لو فعلت الحكومة ذلك ، وجعلها في النهي عن المنكر أكبر الأعمال ،فان عليها منه بقدر ما لها من السلطان وسلطانها أكبر سلطان وان الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن

وأما الأسوة الصالحة فهي الداعي الصامت الذي يؤثر بصمته كما يؤثر المتكلم بكلمه بل ربما كان الصمت أشد بلاغة من المنطق ، يدعوك بعض الناس الى الخير بكلامه وربما كان عمله على خلاف ما دعا اليه فمثل هذا لا يرجى من وراء وعظه خير وانما الخير في كلام تعززه أعمال ، وفي مثل هذا يقول الله (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟) ويقول (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)

يقول علماء الأخلاق إن البيئة والوسط الذي يعيش فيه الانسان له تأثير

كبير في تكوين أخلاقه ، فان كان صالحاً كان كل ماحواه صالحاً، وإن كان فاسداً انتشر الفساد منه إلى كل ماجاوره ، وما يقولون حق وذلك لأن أعمال المجتمع الطيب تسري في نفوس الأفراد من غير أن يشعروا وكذلك الفرد الصالح يؤثر فيمن حوله بالصلاح ، ولذلك آمن كثير من الناس بالرسول (ص) بمجرد أن عرفوا حاله وخلقه فكان منها أكبر شاهد على صدقه ويقول الله في حقه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. وذكر الله كثيراً) ويقول في ابراهيم (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه) فاذا كان بعض الناس يعييه الكلام والموعظة باللسان فليحسن خلقه وعمله ، فان ذلك إرشاد ودعوة وقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أما الكتابة فانها وان كانت أندى صوتا وأبعد مدى لأنها تسمع القريبين والبعيدين والاجيال الحاضرة والقابلة آثرها دون أثر الخطابة فان الحال فيها يساعد اللسان وربما فهم السامعون من الحال فوق مايفهمون من المقال

والكتابة التي تعتبر من طرق الارشاد هي الكتابة الخطابية التي يقصد فيها تحريك أوتار القلوب والتأثير في الأعصاب الحساسة ومثالها الأعلى القرآن فان طريقته خطابية ولكن مبناها الحق والواقع دون التصور والخيال . أما الكتابة العلمية فصلتها بالأخلاق ضعيفة وان كانت علاقتها بالعقول وثيقة وتكوين الأخلاق يجب أن تنمي فيه نحو المشاعر والعواطف ، دون الأفكار والعقول

وقد أصبحت إذاعة الكتابة ميسرة فالمطابع انتشرت في كل مكان والجرائد والمجلات ذاعت في أقطار المعمورة فما على الكاتب إلا أن يكتب على نحو مارسمنا فاذا بكتابتـه قد عبرت الفيافي والبحار ودوى صوتها في الآفاق وتلقفها ملايين البشر متلمسين خير مافيها ، والواعظ الحازم يستطيع أن يبلغ الناس من طرق كثيرة ربما عرف منها ماجهلناه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

محمد عبد العزيز الخولى

(لها بقية) مدرس بقسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعي

الصحة

تأليف | ترجمة
زعيم الهندوس الاكبر | الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
مهاتما غاندى | المليح آبادى



الباب الثامن

— اللباس —

للباس أيضاً علاقة بالصحة إلى حد خاص . إن الاوربيات لها أفكار غريبة في الحسن وهي التي تسوقهن إلى جعل ملابسهن في شكل يضغط على الصدر والأرجل ، وذلك يحدث أمراضاً مختلفة . إن أقدام الصينيات يضغط عليها الى أن تكون أصغر من أقدام أطفالنا الصغار ، وهذا ماجعل صحتهن غير جيدة . فهذان المثالان يثبتان تأثير هيئة اللباس في الصحة ، ولكن اختيار اللباس ليس دائما في ايدينا لاننا مكرهون على تقليد اسلافنا . قد نسي الناس الغرض الاساسي من اللباس فجعلوه كعنوان لدين صاحبه ووطنه وجنسه وصنعته . إذن يصعب البحث في مسألة اللباس من الوجهة الصحية فقط مع ان هذا البحث كما لايخفى ينفعنا قطعاً . نطلق كلمة « اللباس » على الأحذية والحلي وماشا كلها ايضا .

ما الغرض الاساسي من اللباس ؟ ان الانسان فى حالته الاولى ما كان يلبس لباسا ما : كان يمشي عاريا ويترك كل جسده مكشوفا تقريباً فكان جلده متينا قويا يقدر على تحمل حمارة (١) الصيف، وصبارة الشتاء، ووابل الامطار و كما قد

(١) حمارة بفتح الحاء وتشديد الراء شدة الحر ، وصبارة بفتح الصاد وتشديد الراء شدة البرد

اسلفنا اننا لانتنفس الهواء من المناخر فقط بل من مسام الجلد التى لاتعد ولا تحصى أيضا. فاذا غطينا الجلد بالأقمشة منعناه من اداء وظيفته الطبيعية ولكن شاعت عادة اللبس لما أخذ أهالى البلاد البـاردة يكسلون يوماً فيوماً فأخذوا يحسون بالضرورة لتغطية أجسادهم لأنهم ماعادوا بعد ذلك يتحملون البرد « ثم أصبحت هذه العادة للزينة لابمجرد الضرورة » ثم أصبح اللباس عنواناً على الوطن والجنس وغيرهما .

إن الطبيعة نفسها قد أعدت كسوة جليلة لنا في جلدنا . وما يتخيل من أن الجسم العاري يظهر غير جميل فوهم باطل .إن كنا نغطي حتى الاعضاء العامة من جسدنا فمعناه أننا نشعر بالخجل أن يراها الناس في حالتها الطبيعية. أي أننا نجد الخطأ في ترتيب الطبيعة فنصلحه .إننا كلما ازددنا غنى وثروة بالغنا في زيادة الأغطية والملابس طلباً للزينة حتى خرجنا في ذلك عن الحد وصرنا نطري جمالنا وحسن منظرنا ! مع أنها لولم تعمنا حماقة التمسك بالعوائد النميمة لرأينا بلاشك أن الجسم العاري أجمل على الاطلاق من الجسم المكسوّ بالألبسة وذلك لأنه يجد صحته التامة في عراه. واللباس ينقص جماله الطبيعي . ثم إن الانسان لم يكتف باللباس بل أخذ يستعمل الحلي كذلك . إن هذا جنون محض . يصعب جداً أن نفهم كيف يزيد الحلي ذرة من الجمال الطبيعي للجسم . ولـكن النساء قد تجاوزن جميع حدود الادراك والحياء والأدب في هذا الشأن . فلا يستحين من أن يتحلين بالخلاخل الثقيلة التي تقيد أرجلهن وتمنعها من الحركة بسهولة.وإن يثقبن انوفهن وآذانهن بطريقة بشعة ليلبسن الخزم فيها والاقراط ويشوهن سواعدهن وأصابعهن بالأسورة والخواتم من انواع مختلفة . إن هذه الزينات لاخير فيهـا إلا انها تزيد تراكم الدنس على الجسم ، ولا سيا في الأنف والأذن فلا تسأل عن وساختهما . نحن مخطئون جداً في زعمنا أن هذه الأوساخ تجلب الجمـال فنضيع المال في سبيلها بل لانتردد في جعل نفوسنا عرضة لتعديات اللصوص

ليس هنالك حد للآلام التي نقاسيها في تسلية نفوسنا بالافكار الجنونية من الغرور

والكبر الذى زرعناه فى قلوبنا ! إن النساء قد بلغ جنونهن وضلالهن الى حد أنهن لا يرضين باخراج القرط من الأذن حتى وإن مرضت الأذن وكذلك لا ترضى بخلع الاساور وإن انتفخت اليد وأصيبت بألم شديد . بل إنهن لا يرضين بنقل خاتم واحد من الاصبع المتقيحة لأنهن يزعمن بأن الحسن يصاب بنقص وسوء إن فعلن ذلك ! [1]

الاصلاح التام فى اللباس ليس بسهل . ولكن يمكن بكل سهولة أن نترك استعمال الحلي والملابس الزائدة عن الحاجة بتاتاً . يصح أن نبقي بضع أشياء للمحافظة على التقاليد ونخلع الباقى خلعاً . ان اولئك الذين لم يبتلوا بالوهم الباطل وهو جعل اللباس زينة ، يمكنهم أن يدخلوا التغييرات الكثيرة في ملابسهم وينالوا بذلك صحة جيدة

لقد راجت في الأيام الاخيرة فكرة توهم الناس أن اللباس الافرنجي ضروري للمحافظة على الحشمة والهيبة . ليس هذا مكان البحث في تفاصيل هذا الأمر بل تكفي الاشارة الى ان اللباس الافرنجي قد يكون صالحا جداً للبلاد الباردة الاوربية ، ولكنه غير موافق للهند . ان اللباس الهندي وحده يمكن أن يكون صالحاً للهنود سواء الهندوس و المسلمين . ان لباسنا لكونه واسعاً ومفتوحاً لا يحول دون وصول الهواء الى أبداننا ثم إنه لبياضه لا يجذب اشعة الشمس خلافاً للباس الأسود الذى يكون ادفأ وأحر منه لان أشعة الشمس تجتمع فيه، وتنتقل منه الى الجسم

قد راجت العمامة فينا كثيراً ، ولكن مع ذلك ينبغي ان نجتهد في ان نبقي الرأس مكشوفاً أكثر مايمكن من الزمن. وأما تربية الشعر وتمشيطه وتسريحه وتفريقه من وسطه وغير ذلك مما يفعله الناس فهمجية بعينها [2] ان التراب والغبار

---

(١) المنار : ان غلو نساء الهند في كثرة الحلي قبيح جداً وضار وبعيد عن أذواق الشعوب الراقية كلها وأما أصل اللباس والزينة فهو فطري في غريزة البشر ومما يمتازون به سائر الحيوانات وقد غلا الكاتب غلواً فاحشا في انكارهما وفيهما أراد مجاراة الطبيعة فوقف عند الحيواني المحض ونسي الانساني (٢) بل هو مدنية وحضارة عالية بشرط مراعاة النظافة وكثرة الغسل

وكذلك الصئبان تكثر في الشعر وإن ظهرت البثور في الرأس فلا يمكن معالجته كما ينبغي اذا كان الشعر كثيراً . فتربية الذين يستعملون العمائم للشعر ليست الا حماقة صريحة

ان الارجل سماسرة الامراض . فاقدام الذين يلبسون الاحذية الافرنجية تتوسخ وتعرق عرقا متعفنا ، وقدتكون العفونة شديدة على أصحاب حاسة الشم الصحيحة حتى انهم ليصعب عليهم انيقفوا بجنب رجل من هؤلاء عند خلع نعله أو جواربه ! ان الاسماء العامة للحذاء في لساننا مثل « محافظ القدم » « وعدو الشوك » تدل على أن النعل ينبغي استعماله عند المشي على أرض ذات أشواك أوعلى أرض باردة أو حارة جداً . وإن التغطية يجب أن تكون لبواطن الاقدام دونظهورها ، وهذا الغرض يتحقق تماماً بالقبقاب [1] ان بعض الذين تعودوا لبس الاحذية الافرنجية يشكون أحيانا الصداع أوالوجع فىالرجل أو الضعف في الجسم ، ليجربو المشي حفاة فانهم يدركون حالا فائدة ترك الاقدام حرة ، وبعيدة عن العرق بتعرضها للهواء

الباب التاسع

— الزواج (*) —

اني أرجو القراء ولاسيما الذين قرأوا هذا الكتاب بتأمل أن يخصوا هذا الفصل بتأمل أكثر ، ويتفكروا في الاصول التي احتوى عليها بترو وامعان . بقيت عدة أبواب من الكتاب ستاتي وهي وإن كانت كذلك نافعة إلا أنه ليس

(١) لكن القبقاب لايصلح في كل مكان وعند مزاولة كل عمل والنعال الحجازية خير منه من البلاد الحارة

*) المنار : ليعلم قارىء هذا الفصل أن المؤلف قد بالغ في التضييق فى الحياة الزوجية ولكن مبالغته لاتبلغ معشار مبالغة جميع الامم واسرافها الشديد في هذه الشهوة لذاتها . وأعدل الاقوال فيها قول فقهائنا انما الانسان اذا وجد الداعية اليها من نفسه بغير تفكر ولا تكلف فان مواتاتها تكون نافعة غير ضارة

منها باب يبلغ أهمية هذا الباب . واني كما أسلفت لم أدع شيئاً من محتويات هذا الكتاب لم أجربه بنفسي ولم أره حقاً وحقيقة ولاسيما هذا الباب

ان الصحة مفاتيح كثيرة وكل منها ضروري جداً فى مكانه . ولكن هنالك مفتاحاً هو أعظم المفاتيح وسيدها على الاطلاق وهو « التجرد » . لاريب أن الهواء النقي والماء النقي والطعام الجيد ـ كل ذلك يساعد فى الصحة . ولكن كيف يمكن أن نكون أصحاء إن كنا نضيع كل الصحة التي حصلناها ؟ كيف نحفظ أنفسنا من الافلاس ان كنا نضيع جميع المال الذي ادخرناه ؟ إن مما لاريب فيه هو أن الرجال والنساء لايمكن أن يكونوا أصحاء أقوياء الا اذا راعوا « التجرد » الحقيقي .

ماذا نقصد « بالتجرد » ؟ نقصد به أنه يجب أن يجتنب الرجال والنساء التمتع أي لايتلامسوا لفكرة حيوانية ، بل لايتخيلوا ذلك حتى في أحلامهم . يجب أن تكون نظراتهم بينهم خالية من جميع الاميال الشهوانية الحيوانية . يجب أن نحافظ على القوة التي وهبنا الله اياها بضبط قوى النفس جيداً وأن نحولها إلى الجد والعمل والقوة ، لا الى الجسم فقط ، بل الى المخ والروح كذلك .

ولكن ما الحالة التي نشاهدها واقعة حولنا ؟ نرى الرجال والنساء ، الشيوخ والشباب ، بدون استثناء ، قد وقعوا في شبكة الشهوة فعموا بها وصموا وفقدوا كل تمييز بين الخير والشر ! لقد رأيت بنفسي حتى الصبيان والبنات يتعاملون بينهم كالرجال المجانين بجنون الشهوة المهلكة

ولست أزكي نفسي فقد فعلت ذلك مسوقا بهذا المؤثر نفسه الذي لايمكن أن يؤدي إلى غير هذه النتيجة السيئة . نحن نضيع فى دقيقة واحدة طلباً للذة وقتية جميع ماخزناه من القوة الحيوية . فاذا أفقنا من الجنون والحق وجدنا أنفسنا في شقاء وتعاسة ! وأحسسنا بكل أسف وخزي فى الصباح التالي بالتعب والضعف ووجدنا المخ يرفض اداء وظيفته ! فعند ذلك نجري وراء معالجة الشر الذي جلبناه على أنفسنا بأيدينا بتعاطي جميع أنواع « الادوية المقوية للاعصاب » ونسلم أنفسنا إلى رحمة الاطباء ليرتقوا مافتق من صحتنا ، ويعيدوا لنا القدرة على

التمتع ثانية ! هكذا تمضي الايام والشهور والسنون حتى تقبل علينا الشيخوخة بآلامها وأوصابها ، فنجد أنفسنا قد ضيعنا رأس مالنا كله ، ضيعنا الرجولية والعقل على سواء، وأصبحنا صفر الكف بائسين تعسين !

على أن قانون الطبيعة يقضي عكس ذلك تماما . فكلما ازداد عمرنا ينبغي أن نزداد في قوتنا الذهنية . نزداد قدرة على نقل ثمار علمنا وتجاربنا المجتمعة إلى بني جلدتنا من البشر ، هكذا تكون بالحقيقة حالة الذين يتمسكون بالتجرد الحقيقي ، فهم لا يبالون الموت ولا ينسون الله تعالى حتى في موتهم ولا يدخلون في شكاوى باطلة ، هم يموتون والتبسم فوق شفاههم ! ويقابلون يوم الجزاء بكل جرأة ! هم الرجال والنساء حقاً ! وفيهم وحدهم يصح أن يقال أنهم قد حافظوا على صحتهم .

يصعب علينا أن نفهم أن ترك التجرد هو الاساس الحقيقي لجميع المعايب كالكبر والغضب ، والخوف والحسد ، ان كان مخنا ليس في قبضتنا وإن كنا ننتهك قوانين الصحة مرة أو مرتين كل يوم فنحن أكثر حمقاً حتى من الاطفال الصغار ، فأي اثم عسانا لا نرتكبه قصداً منا أو بغير قصد ؟ وكيف يمكن لنا أن نقف وقفة لنتأمل في نتائج أعمالنا مهما كانت دنيئة آثمة ؟

لك أن تسأل من الذي وجد متجرداً تجرداً حقيقياً ؟ ان كان يجب أن يصير جميع الناس متجردين فهلا تهلك الانسانية وتفنى الدنيا كلها ؟ نحن لا نتعرض للوجهة الدينية في المسألة ، بل نقتصر في البحث على وجهتها الدنيوية فقط . ان هذه الاسئلة في رأيي ليست إلا دلائل على ضعفنا وخورنا لاننا لا نملك القوة الارادية لمراعاة التجرد ، ولذلك نتعلل بأعذار باطلة للتملص من وظيفتنا ، ان نوع المتجردين الحقيقيين لا ينعدم بحال من الاحوال ، بل هم موجودون في كل زمان وإن كنا لا نعرف أشخاصهم . يشتغل ألوف من العمال أشغالا شاقة ويحفرون أعماق الارض باحثين عن معدن الماس ، وفي الآخر ربما يجدون قبضة كف منه تحت الصخور المتراكمة بعضها فوق بعض . فاذا كان البحث عن حجر من الاحجار الكريمة يتطلب هذا التعب الكبير فكم تكون المشقة عظيمة فى اكتشاف ماس « التجرد » الذي هو أثمن بكثير من كل ماس ؟ وإن كان يلزم من مراقبة التجرد

هلاك الدنيا ، فلماذا نحزن نحن ؟ هل نحن الذين خلقنا الخلق فتهمنا مستقبل الدنيا هذا الاهتمام الكبير ؟ إن الذي خلقها لهو الذى يدبر دوامها وبقاءها وليس مما يعنينا أن نبحث عن الناس الآخرين ، هل هم متمسكون بالتجرد أم لا ؟ أفنحن اذا اتخذنا مهنة التجارة أو المحاماة أو الطب تفكر يوما فى مستقبل الدنيا ان أصبح جميع الناس مثلنا تجاراً أو محامين أو اطباء ؟ ان المتجرد الحقيقي يجد بنفسه جوابا لهذه الاسئلة اذا طال عهده بالتجرد .

ولكن كيف يفعل الذين أحاطت بهم الأمور الدنيوية من كل جهة؟ وماذا يفعل الذين لهم أولاد ؟ قد بينا أحسن حل لجميع هذه المشاكل آنفاً . يجب أن نضع نصب أعيننا هذا المثل الأعلى (التجرد) ونجتهد في التقرب منه أكثر ما نستطيع . لما نمرن الاطفال على الخط تقدم اليهم أحسن نماذج الخط ليجتهدوا في تقليدها بأكثر ما يستطيعون . هكذا تماماً يجب ان نجتهد لهذا المثل الاعلى حتى نفوز في آخر الامر بفهمه والوصول اليه، إذاً ماذا نفعل ان كنا متزوجين؟ ان قانون الطبيعة يقضي بأن لايخرج الزوجان من حدود التجرد إلا اذا شعرا شعوراً قويا بالحاجة الى الولد

إن الذين يراعون هذا القانون فيخرجون من التجرد مرة كل أربع أو خمس سنوات لا يعدون من عباد الشهوة ، ولا هم يضيعون كل ماخزنوه من القوة الحيوية ، ولكن وآأسفاه ! ماأقل الرجال والنساء الذين يخضعون للشهوة الزوجية طلبًا للنسل فقط ؟

ان الاكثرية الساحقة من البشر لا تباشر الشهوة الحيوانية الا لارضاء اميالهم الشهوانيــة ، اما الاولاد فيولدون كنتيجة غير مقصودة لهم . نحن اذا جننا بالشهوة فلا نفكر مطلقافي نتائج عملنا. والرجال يلامون أكثر من النساء في هذا الامر . لأنهم هم الذين يعمون بالشهوة الى درجة لا يبالون بحالة أزواجهم فيكرهونهن على امتثال أمرهم وإن كن ضعيفات البنية أو غير قادرات على الحمل

ان الغربيين قد تعدوا حتى على حقوق الأدب أيضاً . فهم يتمتعون بشهواتهم ويخترعون طرقا للتخلص من مسئولية الأبوة والامومة . قد ألف كثير من

الكتب في هذا الموضوع ونفقت سوق التجارة القانونية لايجاد الطرق المانعة للحمل وأما نحن معشر الهنود فان كنا بعيدين الى الآن من هذا الاثم غير اننا أيضاً لا نتردد في أن نحمل نسائنا حمل الامومة الثقيل ولا نبالي بأن يولد أولادنا نحاف البنية ، فاقدي الرجولية ، ضعاف العقل . بل كلما يولد لنا ولد نكاد أن نطير فرحاً ونشكر الخالق على ذلك . وهكذا نسعى في أن نغش أنفسنا ونخفي حمق اعمالنا عن اعيننا . ألا يجب علينا عوضا من أن نعد ذلك دليلا على رضاء الله ولطفه بنا دليلا على غضبه وسخطه علينا بجعله إيانا نلد أولاداً فجاراً ، عجزة ، سفلة، نحاف البنية ، ضعاف العقل ؟ هل من الكياسة أن نفرح بولادة الأولاد للبنات والصبيان[1] أليس ذلك لعنة من الله عوضاً من أن يكون رحمة؟ نحن كلنا نعلم بان ظهور الثمر قبل أوانه يضعف الشجرة ولذلك نسعى بجميع الوسائل في تأخير موعده ، ولكنا ننشد أناشيد الحمد « لاله الزواج » ونحمد الخالق سبحانه اذا ولد الولد من صبي وبنت ، صغيرين ؟ هل يوجد شيء أبشع من هذا الامر ؟ هل نظن أن الدنيا تبتهج بازدحام هذا الجم الغفير من هؤلاء الاطفال الضعاف البنية والقوى الذين يكثرون كثرة زائدة في الهند وغيرها من البلدان ؟ لا ريب اننا في هذا الأمر لأحط حتى من البهائم فالثور والبقرة لا يقتربان الا لتوليد العجل فقط . يجب على الزوجين ان يبقيا متباعدين من وقت الحمل الى أن يترك الطفل ثدي أمه ويريا ذلك واجبا عليهما ولكننا لا نراعي هذا الواجب المقدس بل نبقى متمتعين مسرورين ناسين حتى محبة ولدنا وزوجنا . ان هذا الداء العضال يضعف عقولنا ويقودنا الى القبر قبل أوانه بعد أن يجعل وجودنا في الدنيا تعاسة وشقاء . يجب على المتزوجين أن يعلموا الوظيفة الصحية للزواج فلا يخرقوا قانون التجرد إلا بقصد أن يلدوا ولداً لدوام النوع

ولكن مراعاة هذا القانون صعبة جداً في حالتنا الحاضرة .فغذاؤنا وطرق معيشتنا وحديثنا العام ومحيطنا ، كل هذه الامور تنبه وتساعد على إثارة الشهوة

(١) يريد بالبنات والصبيان الذين لم تكمل قوتهم كالذين يتزوجون عقب البلوغ أي في الخامسة عشرة أو مايقرب منها

فينا ، فالشهوة تجري في عروقنا وأعضائنا الرئيسية كالسم فتنخرها . قد يشك بعض الناس في إمكان تحرير نفوسنا من هذا الحمل الثقيل . إن هذا الكتاب لم يؤلف لأمثال هؤلاء المرتابين ضعيفي الارادة . بل إنما ألف لأولئك الذين يريدون أن يتأملوا في الامر بجد، ويملكون جراءة الاقدام على اصلاح أنفسهم. قد يتأذى الذين هم مطمئنون بحالتهم الحاضرة المهينة من قراءة هذا الكتاب ولكني أرجو أن يؤدى بعض الخدمة لاولئك الذين يتذمرون من حالتهم التعسة

فينتج من كل هذا أن الذين لم يتزوجوا بعد ، يجب أن يجتهدوا في البقاء غير متزوجين وإن كانوا لا يستطيعون البقاء فليؤخروا الزواج ما استطاعوا . ليعاهد الشباب أنفسهم بأن لا يتزوجوا إلا في سن ٢٥ أو ٣٠ من العمر . ليس من موضوعنا الآن أن نبين جميع الفوائد المتنوعة الكثيرة التي تنال من التجرد فوق الفوائد الصحية ، بيد ان الذين يريدون أن ينتفعوا بها ينالونها حتما من هذا الطريق

إن رجائي من الآباء والأمهات الذين يقرأون هذه الصفحات ان لا يعلقوا في أعناق اولادهم حجراً ثقيلا بتزويجهم في عهد صباهم . بل عليهم أن يراعوا مصلحة أبنائهم أيضاً لا مصلحتهم فقط . ليرموا جانبا جميع أفكار الحق التي جلبها لهم حب الفخار الكاذب ، فيتركوا التشبث بجميع هذه الاعمال الباطلة المضرة . وإن كانوا مخلصين حقا لاطفالهم فليسعوا جهدهم في تحسين صحتهم البدنية والعقلية والاخلاقية . وأى عداء منهم أكبر وأفظع من أن يكرهوهم على الولوج في الحياة الزوجية مع جميع مسئولياتها المريعة، والهموم الكثيرة في سن هم لا يزالون فيه صبيانا بكل معنى الكلمة ؟

ثم إن القانون الصحي الصحيح يطالب كل رجل يفقد زوجته وكل امرأة تفقد زوجها أن يبقيا عزابا طول العمر . إن هناك اختلافا بين الاطباء في هل يحتاج الشباب من الرجال والنساء أن يفسحوا المجال لخروج مادتهم المنويه ، فبعضهم يوجب ذلك وبعضهم يمنع منه . ولكن هذا لا يجوز لنا الاستمتاع بشهوتنا . إني أستطيع أن أؤكد بدون أدنى تردد بحسب تجربتي الشخصية

وتجارب الاخرين بان الاستمتاع بالشهوة غير ضروري للمحافظة على الصحة فحسب بل أنه مضر بنا جداً . ان القوة البدنية والعقلية التي خزنت في مدة طويلة تذهب كلها بمجرد خروج المادة المنوية ويحتاج لاسترجاع هذه القوة الضائعة الى مدة طويلة ثم ليس هناك أي ضمان يضمن لنا رجوعها كاملة : ان المرآة المكسرة مهما رممتها وجعلتها تؤدي وظيفتها فهي لاتزال مرآة مكسرة

وكما قد بينا قبل أن حياتنا لا بقاء لها بدون الهواء النقي والماء النقي والطعام النقي الجيد والافكار النظيفة ، كذلك العلاقة بين أسلوب معيشتنا وصحتنا قوية جداً . فلانكون أصحاء تماما إلا اذا جعلنا معيشتنا طاهرة بريئة . فالرجل المجد الذي يتوب من ذنوبه الماضية ويعيش عيشة رضية يقتطف فيها ثمار سيرته الحسنة . ان الذين يقومون « بالتجرد » ولو لزمن محدود يرون بأعينهم كيف يترقى جسمهم وعقلهم في النشاط والقوة بسرعة . ثم هم لا يرضون بعد ذلك ان يتنازلوا عن هذه الخزينة الثمينة مهما دفع لهم فيها من الثمن الغالي . لقد كنت أرتكب بنفسي هذه الجناية حتى بعد علمي التام بقيمة التجرد . ولاشك أني قد دفعت لافراطي وتفريطي ثمنا غاليا ، انا أخجل وآسف جداً كلما قارنت بين حالتي اثناء ارتكابي تلك الجناية وحالتي بعدها . غير أني أحمد الله قد تعلمت بعد جنايات الماضي المحافظة على هذه الخزينة الكبيرة . وأنا ممتلىء رجاء وثقة بالتوفيق الالهي بأني لا أزال أحافظ عليها في المستقبل أيضاً ولن أتنازل عنها في حال من الاحوال حتى يأتيني اليقين ! وذلك بأني قد جربت بنفسي فوائد التجرد التي تفوق الحصر . لقد زوجت في أيام الصبا ، وأصبحت والدا لاولاد بينما أنا لم أتجاوز المرحلة الاولى من الشباب . ولما تنبهت لحقيقة حالي وجدت نفسي قد سقطت في هوة عميقة من الانحطاط . وأني لاعدني قد جوزيت جزاء كبيراً على كتابة هذه الصفحات ان وجد ولو واحد من القراء يعتبر بخطيئاتي وتجاربي ويستفيد منها . يقول كثير من الناس وأنا اعتقد بأني ممتلىء الآن قوة وهمة ونشاطا ، وان دماغي ليس بضعيف في حال من الاحوال

نعم لا أنكر أن جسمي وكذلك دماغي لايزال مصابابيعض الامراض ولكني مع ذلك إن قورنت بأصحابي فانا أعد نفسي صحيحا تماما وقويا ، ومادمت قد وصلت الي هذه الدرجة حتى بعد التمتع بالشهوة عشرين سنة كاملة ، فكيف تكون صحتي لولم أخرق قوانين الصحة وأبقيت نفسي طاهرة نظيفة في تلك السنين الماضية الطويلة السوداء ؟ أنا اعتقد كل الاعتقاد بأني لو عشت عيشة « التجرد » من أول عمري لكنت أقوى وأنشط بالفمرة مماانا الآن ولامكنني أن أنفق كل قوتي ونشاطي في خدمة وطني ونفسي أكثر من الان فاذا كان الرجل الاعتيادي مثلي يتأكد ذلك فما أعظم وأعجب تلك القوة — الجسمانية والعقلية والاخلاقية — التي يجود بها علينا « التجرد » الحقيقي

مادام قانون التجرد دقيقا الى هذه الدرجة فماذا ينبغي أن نقول في أولئك الذين يرتكبون إثم التمتع بالشهوة على طرق غير مشروعة ؟ إن الشر الذي يتبع العهارة والبغاء لعظيم جداً ومسألة حيوية في الدين والاخلاق . ولا يمكن إلغاؤها حقا من البحث في رسالة صغيرة مثل هذه . ولذلك نقتصر هنا على الاشارة الى أن تلك الألوف المؤلفة الذين يرتكبون هذه الآثام يصابون بالزهري وغيره من الامراض التي لا يليق ذكرها . ان القانون الالهي الصارم يعاقب بكل عدل وسرور هؤلاء الاباحيين التعساء بحياء مملوئة بانواع من العذاب والاتعاب التي ليس لها حد . فامدهم القصير من الحياة يضيع في عبودية لشهوة مخزية وبحث خاسر عن دواء ينجيهم من عذابهم الاليم ! لو بطلت الدعارة لبطل على الاقل نصف شغل الاطباء. ان الامراض التناسلية تكاد أن تقوض أركان الانسانية وتوقع النوع الانساني فى شدة وارتباك عظيم ، حتى اضطر أحسن الاطباء الى الاعتراف بانه مادام الفسق والتهتك موجوداً فلا يرجى أي أمل للنوع الانساني في السعادة والهناء . إن أدوية هذه الامراض سامة جداً حتى انها وان نفعت بادي الرأي نفعاً وقتيا فانها تسبب امراضا اخرى كثيرة أشد إيذاء وعذابا وتتسلسل بالوراثة في الاحفاد والاعقاب

نحن نشير الآن بالاختصار الى الطريقة التي ينبغي اتباعها للمتزوجين لمراعاة

التجرد . لاتكفي مراعاة قوانين الصحة المتعلقة بالهواء والماء والغذاء . . . بل يجب كذلك على الرجل ان يجتنب النوم مع زوجته في فراش واحد . ان قليلا من التدبر يدلنا على أن فكرة التخلي بين الرجل والمرأة انما هي فكرة للتمتع الشهواني . فيجب عليهما ان يناما متباعدين في الليل ، وينهمكا في الاعمال الحسنة طول النهار ، ويزاولا قراءة الكتب التي تملأ دماغيهما بافكار عالية ، ويتفكرا في حياة الناس الكبار ، ويعيشا متيقنين بان التمتع الشهواني أساس لجميع الامراض ، وأن تولدت فيهما رغبة التمتع فليغتسلا بالماء البارد الذي يبرد حرارة الشهوة ويزيلها ، فتنتقل الشهوة الى نشاط قوي حقيقي . أجل . ان هذا صعب عمله ولكننا ماخلقنا في هذه الدنيا الا لنصارع المصارع والمشكلات والشهوات ونغلبها . والذي لايريد أن يفعل ذلك فانه لن يفوز بالبركات العالية في الصحة الحقيقية

ساعة مع جلالة الملك

عبد العزيز بن السعود

بقلم الاستاذ أمين بك الرافعي ونشرت بالسياسة

قال الاستاذ بعد وصف القصر وتقديم القهوة والشاي —

أخذ جلالته يتحدث الينا في مختلف الشئون وهو جهوري الصوت يهش في وجوه المتحدثين معه وينتقل بسرعة من موضوع الى آخر ، يستدل في أقواله بالآيات الكريمة والاعمال النبوية ، والابيات الشعرية واذا ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم قرنه بالصلاة والتسليم ولو تكرر ذلك عدة مرات

بدأ جلالة الملك حديثه باظهار ارتياحه لاتجاه افكار المسلمين الى ايجاد رابطة تربطهم، وانه قد سر كل السرور من اجتماع الوفود في مكة المكرمة ،ومن التعرف بهم ثم انتقل الى الكلام في شئون الدين فقال: إن أساس سعادة المسلمين قائمة

على التمسك بدينهم لان هذا الدين ضمن لهم سعادة الدارين والقرآن الكريم فيه كل مايريده من يقصد الوصول الى السعادة ، فهو قد حثنا على التعليم وحثنا على الجهاد وحثنا على تدبير شؤوننا الدنيوية المختلفة ونحن نحمد الله على ماتفضل به علينا من نعمة التمسك بالدين فنحن كلنا نحرص على الدين كل الحرص ونضحي في سبيل ذلك كل مانملك ونفديه بأرواحنا وأنفسنا ودمائنا .

إن خصومنا يشنعون علينا ويشيعون عنا أموراً غير حقيقية ويسموننا باسماء لاحقيقه لها . انهم يسموننا بالوهابيين ويزعمون أن لنا مذهبا هو الوهابية في حين أن هذا غير صحيح اذ اننا مسلمون لانعرف في أصول الدين غير الكتاب والسنة ونقلد سيدي أحمد بن حنبل في الفروع وكل مايقال غير ذلك لايقصد به سوى التشهير بنا .

ثم استمر جلالته يتكلم عن فضائل الاسلام وضرورة تمسك المسلمين بهذه الفضائل والعمل على توحيد كلمتهم

وبعد أن أتم الكلام في هذا الموضوع قلنا لجلالته إن المسلمين كانوا يبحثون منذ زمن بعيد عن وسيلة لتوثيق رابطتهم فلما ظهرت فكرة المؤتمر الاسلامي ارتاح لها زعماء المسلمين وهرعوا لتنفيذها ولما كان جلالته هو صاحب تلك الفكرة والداعي الى تحقيقها فهو جدير بشكر العالم الاسلامي والذي نرجوه الآن هو أن يكون المؤتمر هو الطريق العملي الموصل لما ينشده كل مسلم في جميع انحاء العالم في رفعة شأن المسلمين واصلاح امورهم وتوطيد كلمتهم وتسهيل طرق الحج وتنظيم شؤونه والنهوض بالحجاز والاراضي المقدسة .

فأجابنا جلالته بأن هذه هي امنيته . ثم اردف ذلك بقوله . إننا ماحضرنا الى هذه البلاد تحت تأثير مطامع ذاتية أو تعلقا بالملك والملكية وانما جئنا لتنقذ حرم الله المقدس من الأذى الذي لحقه ولحق أهله . إن في الحجاز ثلاثة أقسام من الناس ، فقسم ينتسب اليه دون أن يكون من أهله ، وقسم من أبنائه ولكنهم يفسدون أمره وهم الأمراء والبادية ، وقسم آخر يريدون الخير له ولكنهم لايستطيعون الى ذلك سبيلا .

ولقد جئنا لنعمل لخير الحجاز والحجازيين ونحن قد جعلنا نفسنا فداء للاسلام والمسلمين نتنزل عن كل شيء مما نملكه ولكننا لا نسلم في شيئين مطلقاً (الاول) كتاب الله وسنة رسوله فنحن نعض عليهما بالنواجذ . (الثاني) شرف عربيتنا فنحن نتمسك به ونذود عنه لانه اساس مجدنا وسر حياتنا .

ثم انتقل الحديث الى حالة المسلمين اليوم فقلنا لجلالته ان النكبات التي انتابت العالم الاسلامي في الازمنة الغابرة والتي لاتزال تنتابه في العصور الحاضرة يجب أن تكون درسا نتعلم منه كيف نزيل كل خلاف فيما بيننا

فاجابنا جلالته قائلا ان هذا حق فان عدونا الحقيقي فينا وليس أجنبيا عنا ونحن لانخاف من الاوربيين وانما نخاف من أنفسنا فاذا خلصت نيتنا نحو أنفسنا وطهرنا قلوبنا من ادران العداء اصبحنا أقوياء وأمنا على أنفسنا ولكن اذا دامت الشحناء فيما بيننا فان هؤلاء الذين يتسببون في الشحناء يجعلون سبيلا لتدخل اصبع الاجنبي ، فالاجنبي لايقوى على التدخل بنفسه وانما هو يستعين بمن يساعدونه منا

ثم تحدثنا مع جلالته في الامن العام فقال جلالته ان من فضل الله مانشاهده من توطيد الامن في كل الجهات وها أنا قد غادرت نجداً وليس فيها الآن أحد من أبنائي فهم قد حضروا لأداء فريضة الحج وكذلك سيدي الوالد ولم أترك هناك سوى شخص من اتباعي خولته أن يفصل فيما عساه يعرض عليه من الشؤون إذ احتاج الأمر لذلك فالحالة تدعو للاطمئنان التام .

وفي خلال الحديث الذي دار بيننا وبين جلالته عرض عليه كاتبه الخاص ثلاث أوراق قرأ ورقتين منهما وأعطى تعليمات شفوية بشأنهما . أما الورقة الثالثة فانه ختمها بخاتم يحمله في خنصر يده اليسرى بعد أن غمسه في ختامة صغيرة .

ولما مضى على حديث جلالته أكثر من ساعة من الزمن استأذنا في الانصراف شاكرين لجلالته مالقيناه من حسن ترحيبه وما سمعنامن جميل حديثه .

أمين الرافعي

مكة المكرمة في ٢ ذي الحجة (١٣ يونيه)

الوهابية والعقيدة الدينية للنجديين

حديث مع رئيس القضاة في مكة

مذهب أهل نجد ـ التوحيد العلمي والعملي ـ التوسل والوسيلة ـ زيارة القبور بناء القبور والبناء عليها ـ شارع المسعى والحرم ـ المرأة والحجاب ـ حاشية

يتطلع الكثيرون إلى معرفة العقيدة الدينية للنجديين وحقيقة مذهبهم ، لان الآراء تضاربت في هذا الموضوع تضاربا كثيراً ، فرأيت أن استقي الحقيقة من موردها الاصلي ، فلم أجد سوى التحدث إلى رجل كبير من رجالهم ، وعالم فاضل من علمائهم هو فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله ابن بليهد شيخ الاسلام ورئيس القضاة في مكة .

عرفت فضيلته في المؤتمر الاسلامي فوجدت فيه عالمًا متقد الذكاء ، واسع الاطلاع ، صافي الذهن ، يعرف كيف يحل المعضلات ، ويوفق بين الآراء المختلفة ويقر الصلح محل الخصام . وقد بعثت لكم في رسالة سابقة موقفه في مشكلة زيارة القبور ، ومن أجل هذا اعتقدت انه ضالتي المنشودة ، فطلبت اليه أن يجيبني إلى ما سألقيه عليه من الاسئلة في موضوع العقيدة الدينية للنجديين . فأظهر ارتياحا كبيراً لهذا الامر وحدد لي ميعاداً في الساعة الثانية عشرة (على الحساب العربي) صباحا من يوم الجمعة أول ذي الحجة فقصدت إلى داره وهناك قابلني بما هو معهود فيه من كرم الاخلاق والبشاشة والظرف وما لبثنا ان بدأنا الحديث كما يلي :

العقيدة الدينية للنجديين

سألته : ان الاقوال والآراء متضاربة فيما يتعلق بمذهب الوهابية والوهابيين فريق يقول أن هذا المذهب ليس سوى مذهب سيدي احمد بن حنبل ، وفريق لا يقول ذلك ويزعم انه مذهب خامس ، وفريق يدعي انه خليط من مذهب ابن حنبل ومن أحكام دينية أخرى فما هي الحقيقة في كل ذلك ؟

الجواب : أهل نجد هم جميعهم على مذهب الامام احمد بن حنبل فهم سلفية العقيدة (نسبة إلى السلف) حنابلة المذهب . أما تسميتهم بالوهابيين وتسمية مذهبهم بالوهابية فليست من عملهم وانما هي من عمل خصومهم الذين أرادوا تنفير الناس منهم بايهامهم الناس أن هذا مذهب جديد يخالف المذاهب الاربعة

أما محمد بن عبدالوهاب الذي كان اسمه من أسباب تسمية النجديين بالوهابيين فهو عالم من علماء نجد اتصل بدولة آل سعود فصار له قبول عندهم .

وقواعد التوحيد لدينا مبسوطة في كتب المذهب ، ففيما يتعلق بالتوحيد العلمي نقبل آيات الصفات وأحاديث الصفات على صورتها الحقيقية بغير أن نتعرض لها بتأويل .

فاستواء الله على العرش (الرحمن على العرش استوى) مثلا لانؤوله بأنه الاستيلاء أو القهر كما يرى البعض وانما نسلم به كما هو عاملين بمذهب الأئمة الذي لخصه الامام مالك في قوله « الاستواء معقول والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة »

فالكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات فهو ممنوع

وكما انه سبحانه وتعالى لاتشبه ذاته بذوات المخلوقين فكذلك صفاته لاتشبه بصفات المخلوقين .

أما فيما يتعلق بالتوحيد العملي فمذهبنا أن العبادة حق لله تعالى دون سواه فلا يجوز صرف شيء منها لغيره كائناً من كان ، لا لملك ولا لنبي ولا لولي ولا لغيرهم

فمن سوّى بين الله تعالى وبين أحد من المخلوقين في أي نوع من أنواع العبادات كان عمله شركا

***

سألناه . وماذا ترون في التوسل بالاولياء والانبياء ؟

فاجاب : إن التوسل مبتدع وليس شركا

وأهل نجد يمنعون ذلك ويعتبرونه منكراً .

وأما الوسيلة بالعبادات وهل تصل إلى الميت أو لاتصل ففيه كلام ، لان

العبادات ثلاثة أنواع : بدنية ومالية ومركبة منهما . فالعبادة البدنيـة كالصلاة والتلاوة والذكر والدعاء فيها خلاف بالنسبة للصلاة إذ يقول البعض إن صلاة الغير لا تصل إلى الميت.

ونقول نحن إنها تصل عملا بعبارة بعض فقهاء الحنابلة : « كل قربة فعلها العبد وأهدى ثوابها للميت توصل اليه » أما التلاوة والذكر والدعاء فانها تصل وأما العبادة المالية كالصدقة فانها تصل والعبادة المركبة منهما كالحج فانها تصل

زيارة القبور

سألناه عن زيارة القبور فأجاب

هذه الزيارة ثلاثة أقسام

أولا : زيارة شرعية وهي التي يقصد منهـا تذكر الآخرة والاحسان إلى الميت بالدعاء له واحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة ومثل هذه الزيارة سنة

ثانيًا : الزيارة البدعية والقصد منها عبادة الله عنـد القبور بالصلاة ونحوها بحيث يعتقد أن العبادة عندها مزية على العبادة في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله

ثالثًا : الزيارة الشركية والقصد منها دعاء الموتى لقضاء الحاجات وتفريج الكربات

بناء القبور والبناء على القبور

سألناه عن القبور وبنائها وما يبنى عليها ؟

فأجاب : بناء القبور نفسها لا يجوز رفعها أكثر من شبر ، واختلف العلماء أن يكون مسطحًا أو مسنما ، ولا يجوز تجصيصها ولا الكتابة عليها وإنمـا يجوز وضع حجر عليها لتمييزها ، أما البناء على القبور فانه ممنوع منعًا باتًا لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه . وإذا أقيم فوق القبر مسجد فلا تجوز الصلاة فيه .

ومن أجل ذلك كان قبر النبي عليـه الصلاة والسلام ليس داخلا في الحرم النبوي . وإنما هو موجود في بيت عائشة . ومن المعروف أن النبي عليه الصلاة والسلام عند اعتكافه لم يكن يدخل بيت عائشة ، بل كان يعتكف في المسجد نفسه

سألناه وهل ترضون عن الحالة الحاضرة في شارع المسعى من حيث كونه قذراً ومملوءاً بدكاكين الباعة وبالكلاب الضالة ؟؟

فأجابنا أن شارع المسعى كان عرضه واسعاً في الاصل فمازال الناس يغتصبون أراضيه شيئاً فشيئاً حتى ضاق وصار عرضه إلى هذا المقدار الموجود الآن ، فيجب إزالة هذا الاغتصاب وإزالة دكاكين الباعة منه ومنع دخول الكلاب فيه حتى يصبح خاصاً بالسعي وسنعرض هذا الامر على المؤتمر الاسلامي .

سألناه وهل ترضون عن حالة الحرم المقدس من حيث نوم الحجاج فيه بملابسهم القذرة ومأكولاتهم المتعفنة الفاسدة

فاجاب : إن الواجب منع اتخاذ الحرم محلا لتناول الطعام : أما النوم فاننا لانمنعه إلا اذا ترتب عليه مفسده

وكان الاستاذ الشيخ حافظ وهبه قد جاء في هذه اللحظة وحضر الحديث في هذه المسألة فقال لفضيلة قاضي القضاة « ولكن نوم الحجاج في موسم الحج بالحرم قد ترتب عليه ضرر »

فاجاب فضيلة القاضي « اذن يمكن منع النوم في أثناء موسم الحج دفعاً للضرر المترتب عليه »

المرأة والحجاب

وهنا كان الحديث قد انتهى فاستطرد فضيلة محدثنا من ذلك إلى اطلاعنا على أسئلة وردت عليه من بيروت ليجيب عنها وكان منها سؤال خاص بالمرأة وحجابها فطلبنا اليه أن ننقل السؤال والجواب عليه لأنه يتعلق بمسألة هي مثار الجدل في مصر . وهذا ملخص السؤال

ما رأيكم في رفع الحجاب وكشف المرأة وجهها وكفيها في الطرقات والمجتمعات العامة

وهذا نص ما أجاب به

ان ذلك ممنوع خشية الفتنة لقوله تعالى : (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)

ولحديث عائشة قالت : كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات فاذا حاذونا سدلت أحدنا جلبابها من رأسها على وجهها. وإذا كان هذا في حالة الاحرام ففي غيرها أولى

وإلى هنا انتهى الحديث فشكرنا فضيلة القاضي وطلبنا اليه أن يسمح لنا بنشر أقواله فأذن لنا بعد اطلاعه عليها

حاشية — قد يصادف الانسان فى مكة بعض النجديين المتعصبين فيرى منهم عجبا فمن ذلك انني تقابلت مع أحدهم قبل مقابلة الاستاذ الشيخ عبد الله ابن بليهد فأردت أن أتحدث معه في موضوع العقيدة الدينية للنجديين ووجهت اليه سؤالا في هذا الصدد فأجاب بنفور :

« لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا . فقلت ان السؤال يستوجب بيانا ، فأجابني بهذا الجواب الغريب « اني رجل جاهل لا أعرف شيئا »

ثم أراد ان يهاجمني بعد ذلك فقال لي « هل أنت أجنبي عن مكة ؟ » أجبت « نعم » فقال « لماذا تحلق ذقنك ولا ترسلها ؟ » أجبته « هذه مسألة تعنيني وليس هذا موضوع الحديث »

ثم استأنفت سؤاله وقلت له « ماذا ترون في التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام ؟ »

فأجابني قائلا « لا يدعى الا الله ولا يسأل الا الله » فأردت أن أدون هذا الرد في ورقة لدي و بعد أن دونته قال لي : ماذا صنعت ؟ أجبته « كتبت رأيك » فقال : اطلعني على هذه الورقة ، فأطلعته عليها ، فقال : اعطني قلمك فناولته اياه فوضعه في فمه ثم أخذ يمحو به تلك العبارة المكتوبة ، ثم رد الورقة والقلم فقلت له لا داعي للكتابة ولنقتصر على الكلام ووجهت اليه سؤالا عن زيارة القبور فأجاب بكل أدب « أليس لك عقل ؟ ألم أقل لك اني رجل جاهل لا أعرف شيئا ؟ » فقلت له : لقد حصل لنا الشرف ، ثم أردت أن لا تنتهي هذه الفكاهة دون أن أعرف صاحبها فسألت محدثي عن اسمه الكريم فاجاب « اني اخ من الاخوة المسلمين » فقلت له هذه صفة يشترك فيها كل المسلمين واني أريد معرفة اسمك ، فاجاب « لا أقول شيئا أكثر مما قلت » وأخذ يغط في نومه ... وانتهى الحديث بسلام واكتفى صاحبنا بالخشونة والسب بينما بعض أمثاله يضربون ، فقد سمعت من غير واحد من المصريين انهم نالوا نصيبا قليلا من الضرب لان مجديا متعصبا سمعهم يقولون « أنا في جاه رسول الله » ولله في خلقه شؤون

أمين الرافعي

مذكرات موءتمر الخلافة الاسلامية (*)

﴿ باقي محضر الجلسة الثالثة ﴾

تابع لما نشر في الجزء الماضي

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري : نحن في بيان الشروط ولسنا في استفتاء والشروط هي ماذكرها الفقهاء في كتبهم نحن ذكرنا رواية ابن خلدون وهو فقيه من الفقهاء ولم نأخذ برأيه

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة : الموضوع المعروض الآن جزء من البرنامج وهناك تقرير آخر لباقي المسائل والبحث انما يكون بعد تلاوة التقرير الآخر فليتل التقرير الآخر

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت : تعلمون أن مسألة الخلافة بحسب أصلها مسألة فقهية من فروع الفقه ولكن لما اختلف فيها قوم خارجون عن السنة والجماعة وكثر فيها القال والقيل أخذ المتكلمون على عهدتهم الكلام فيها بحثاً طويلا وألفوا فيها كتباً خاصة كامام الحرمين وغيره فالمسألة ليست مسألة مذهبية يختلف فيها الحنفي والشافعي وانما هي مسألة كلامية. فعندما يتكلم الباقلاني يتكلم باعتبار انه من علماء الكلام بحسب مايرى ، وانما الفقهاء تكلموا فيها قليلا اعتماداً على ما تكلم به المتكلمون : فهل يقول أحد منكم بعد ذلك إن الخليفة يكون غير مسلم أو يكون رقيقاً ليس بحر أو يكون صبيا أو يكون أعمى أو يكون عاجزاً عن ادارة الاحكام وحفظ بيضة الاسلام بجيشه ومعنى هذا ألا يكون جبانا . ان الله تعالى قال في كتابه العزيز لنبيه صلى الله عليه وسلم (هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين) والنبي ماحارب الا بعد ان صار له عدد عديد من الجيش وقبل ذلك ما كان يفرض عليه الجهاد وما شرع له الجهاد الا بالتدريج

(*) منقول عن (محاضر) مؤتمر الخلافة التي نشرتها سكرتارية المؤتمر

وشرع في أول الأمر أن يقاتل من قاتله وبعد ذلك شرع أن يقاتل من قاتله ويبدأ بالقتال : وذلك كله بالتبع للقوة فليس في استطاعة الخليفة أن يجاهد إلا بامته فهذه الشروط اذا لاينازع فيها أحد فهي مما أجمع عليه. بقيت الشروط التى اختلفوا فيها ومنها الاجتهاد فوجب في الامام وكذلك القاضي أن يكون مجتهداً وعلى ذلك كان السلف الصالح وقد استمر القضاء في مصر يتولاه المجتهدون الى أن تضعضع الأمر فعهد في ذلك الى غير المجتهدين . وجوزوا أن يعمل برأي المفتى في القضاء وألا يكون الامام مجتهداً وأن يكتفى برأي العلماء

فقال حضرة الأستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندي : من الذي ألغى الاجتهاد

فقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت : حصل خلاف هل يتجزأ الاجتهاد أو لا يتجزأ والذي يتجزأ يختص ببعض المسائل والفروع وقد كان بعض الصحابة يرجع الى بعض فيما لم يبلغ فيه مرتبة الاجتهاد المطلق . وأما مجتهد المذهب فهو القادر على استخراج المسائل الفرعية من قواعدها التي وضعها العلماء وكذلك مجتهد الفتوى . هذا هو الأصل وقد تعذر الآن بمعنى ذلك أنه لا يمكن لمجتهد اليوم أن يستنبط غير ما استنبط المتقدمون أو يخرج عما قالوه ودونوه في كتبهم

فقال حضرة الأستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندي: ماقول الأستاذ في :يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا (١)

فقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت : لقد حدث حادث السكورتاه والحوالات المالية وتكلم في ذلك المتأخرون بالقياس على ما قاله المتقدمون ولا يخرج عن المذاهب التي كانت في الزمن الماضي .

ومن شروط الامام أن يكون عدلا فاذا وجدنا عدلا شجاعا لا يعدل عنه واذا لم نجد من يجمع بين الشرطين فالشجاعة هي المطلوب به للدفاع عن الأمة. ومن الشروط أيضاً القرشية وقد اختلفوا فيها وتكلموا في قول النبي صلى الله عليه وسلم (الأئمة من قريش) فقالوا هل حصر الأئمة في قريش لأنهم كانوا أصحاب عصبية في ذلك الوقت

(١) المنار : هذه الكلمة مروية عن الامام عمر بن عبد العزيز

فالمناط العصبية ؟ (١) واذا كان الباقلاني قد تكلم في ذلك فبصفته متكلما لافقيها

وهنا رفعت الجلسة لصلاة المغرب اذ كانت الساعة السابعة مساء

ثم أعيد انعقاد الجلسة الساعة السابعة والنصف

***

فأخذ حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت يكمل كلامه وقال :

إن هذا التقرير بالاختصار اشتمل على مسائل ثلاث . وإن حقيقة الخلافة على الوجه المذكور في التقرير لاخلاف فيها وهي مسألة مفروغ منها . وهل يستطيع أحد أن يقول ان الخلافة ليست هي الرياسة العامة كما في التقرير ؟ طبعا لاينازع في ذلك أحد . فلا معنى لأن يكون ذلك موضع بحث ويجب أن يقبله الجميع . ولا يمكن أن تقول إن الخلافة روحية فقط كما قال الملحدون فانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض . فالشروط المجمع عليها هي أن يكون الخليفة مسلماً حراً ذكراً شجاعا بصيراً وليس لأحد أن يناقش في ذلك الاجماع . وأن من الشروط المختلف فيها الاجتهاد والنسب والعدالة وأن الذين خالفوا في القرشية اعتمدوا على أن حديث (الأئمة من قريش) قابل للتأويل . وقد قال بعض العلماء إن العدالة لاتتحقق في الواقع ونفس الأمر . والضرورات تبيح المحظورات . وتعلمون أن شرعنا جاء بمراعاة مصالح العباد . ومن هنا أمكن القياس في المسائل لأن النصوص قواعد معللة وهذا يمكن من مراعاة المصلحة . ولكم أن تنظروا ذلك في جلسة أخرى يكون موضوع البحث فيها المسائل التي وقع فيها الخلاف وأعود فأقول اذا بحثنا في القرشية فما الذي يتبع في اثبات النسب أبالطريقة التي كان يتبعها السلف أم بغير ذلك واذا كان هناك قرشي فهل توجد فيه الشجاعة والعلم أى الفهم .

على أن الاسلام والشجاعة والعلم انما ينظر اليها عند التنفيذ والتطبيق وليس كلامنا الآن في ذلك وإنما هو في بيان الشروط . وأما البيعه فمبينة في كتاب

(١) المنار : هذا الرأي اخترعه ابن خلدون بعد اجماع خير القرون على اشتراط القرشية فلا يقيد بخلافه ولا بخلاف الباقلاني قبله

الأحكام السلطانية وكذلك أهل الحل والعقد

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد هارون . لا نفصل في التقرير الأول الآن ونريد أن يتلى التقرير الثاني ثم يؤخذ الرأي .

فقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسين والي : هذا تقرير وذاك تقرير آخر وقد حصلت مناقشات كثيرة فاذا استحسنتم فليرجأ النظر الى الغد :

فقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندي : أطلب أن يضم التقرير الأول الى التقرير الثاني وبعد تلاوتهما يؤخذ الرأي .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصالحي التونسي إن المؤتمر الشريف الذى حضرنا اليه أعطى لنا برنامجا وألف لما في البرنامج لجنتين لجنة علمية تنظر في المسائل الثلاث الأولى من البرنامج ولجنة تنظر في المسائل الثلاث الاخيرة منه . وفي اللجنة العلمية المنتخبة علماء أجلاء ثلاثة من كل مذهب من المذاهب الثلاثة ومستشار حنبلي وقد وثق المؤتمر بهم في هذا وقدموا تقريرا شافيا كافيا استندوا فيه الي مادون في المذاهب الأربعة وشرحوا المسائل أتم شرح ولخصوا المسائل المختلف فيها فلم يبق محل للمناقشة ويلزم الاقتراع الآن على هذا التقرير فان كانت هناك ملاحظات فلتبين

فقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمد مراد افندي . إننا آثرنا بحث الاجتهاد وأمضينا فيه وقتا طويلا نحن في حاجة الى أن نمضيه فيما بين أيدينا وما زال هذ البحث مثاراً لنزاع العلماء وأمامنا الآن تقريران نريد قراءتهما وبعد ذلك نبحث فيهما مادة مادة أو يعطي حضرات الأعضاء مهلة لدرسهما ثم تعقد جلسة في الغد .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد فراج المنياوي : ألف المؤتمر لجنتين لعملين وخص كل لجنة منهما بعمل فيحسن أن نأخذ الرأي في التقرير الأول .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حبيب العبيدي : ليس من الحكمة الخوض في موضوع قبل أن يكون أمام الخائض فيه نبراس ، والسرعة

والاتقان لايجتمعان، أما أعضاء اللجنة العلمية فقد درسوا ما كتبوه . وأما الذين لم يكونوا في هذه اللجنة فانهم يحتاجون الى النظر والتدقيق . وكذلك درس أعضاء اللجنة الثالثة ما كتبوه في تقريرهم فهم مستغنون عن النظر ثانيا . ولا كذلك الذين لم يكونوا معهم في اللجنة وقراءة التقريرين في هذه السويعة بعد هذه المتاعب في المناقشات مما يسمى سرعة لايحتمل معها الاتقان ولا سيا هذا الموضوع الخطير .

وهنا طلب كثيرون من حضرات الأعضاء أن يتكلموا فأقفل حضرة صاحب الفضيلة الرئيس باب المناقشة وأعلن انتهاء الجلسة اذ كانت الساعة الثامنة مساء على أن يجتمع المؤتمر الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر الغد ؟

نائب السكرتير العام	رئيس المؤتمر
امضاء (محمد قدري)	ختم (محمد أبوالفضل)

(محضر الجلسة الرابعة)

يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية
١٩ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية

اجتمع المؤتمر فى الساعة الخامسة برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر ورئيس المؤتمر . وحضور من حضروا الجلسة الثالثة وزاد عليهم الشيخ اسماعيل الخطيب المحامي الشرعي بفلسطين . والشيخ عيسى منون مندوب بالمجلس الاسلامي الأعلى بفلسطين . والشيخ عبد القادر الخطيب مفتش الأوقاف بسورية ولبنان .

ولم يحضر السيد الميرغني الادريسي لعذر . والسيد عبد الحميد البكري.

وتولى أعمال السكرتارية من كانوا في الجلسة الثالثة

وأعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس افتتاح الجلسة وأذن بتلاوة محضر الجلسة الماضية المنعقدة يوم الثلاثاء ٦ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجريه (١٨ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية) فتلاه علي أحمد عزت افندي من السكرتيرين المساعدين .

ولما وصل فيه الى عبارة (ولا يمكن أن تقول ان الخلافة روحية فقط كما قال الملحدون) الواردة في كلام حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت اعترض على كلمة (الملحدين) حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندى وقال:

هل قال فضيلة الاستاذ الشيخ بخيت هذه الكلمة

فقال الاستاذ نعم قلتها

فقال حضرة الاستاذ عبدالعزيز الثعالبي افندى : ليس بيننا ملاحدة وطلب حذف هذه الكلمة من المحضر

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت . إن الملاحدة موجودون قديماً وحديثاً

فقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك : هذه الكلمة ليس فيها أي طعن شخصي ، بل فيها رد على الذين يحاربون ديننا

فقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي : الذين يحاربون الدين الاسلامي موجودون في كل مكان .

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت : ان الذين قالوا ان الخلافة روحية فقط ملحدون

فقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي افندي : هل تخصيص أحكام الخلافة أو شروطها يعتبر إلحاداً

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت : نعم لأن شطر الخلافة شطرين والغاء أحد الشطرين إلحاد

فقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك : هذه فتوى من مولانا الاستاذ الشيخ بخيت المفتي السابق يجب أن نجلها ونحترمها كل الاحترام

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي : أرجو من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ بخيت أن يتسامح في هذه الكلمة فانه صاحب الحق في ذلك وفي كلامه الباقي مايشير إلى المخالف وقد يكون ذلك كافياً

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس . لاداعي لتضييع الوقت في هذا فليؤخذ الرأي

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ اسماعيل الخطيب : لارأي بعد الفتوى

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري : ليست المسألة فيما أرى الآن مسألة بحث وسيخرج بنا هذا عن الموضوع والمفهوم أن لكل واحد ملء الحرية في كل مايقول ، ولا يعتبر هذا القول إلا لصاحبه فقط

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب : يسأل أولا فضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت هل هو مصمم على بقاء هذه الكلمة

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت : أنا مصمم على بقائها

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري : أريد أن أقول أن المسألة في المحضر حكاية محضة لما دار ومهمة السكرتارية أن تدون كل مايقال صوابا كان أو خطأ فلا معنى لأخذ الرأي على ابقائها أو حذفها

وقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك : نحن موافقون و نؤيد الفتوى

ثم تابع السكرتير المساعد تلاوة بقية المحضر حتى فرغ منه

***

فقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : سبق لنا أن طلبنا دعوة أرباب الصحف لحضور جلسات المؤتمر فرأي الاكتفاء بما يرسل اليهم من السكرتارية ولكنني أرى مكاتب المقطم موجوداً خارج هذا المؤتمر فأرى أن يؤذن لغيره من مكاتبي الصحف بالحضور

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن أبي السعود : إن المؤتمر حر في مسألة الصحافة فلماذا يؤذن لاحدى الصحف دون الصحف الاخرى

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي .

اننا لم نأذن لأحد من مكاتبي الصحف أن يحضر

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة : جرى

بالأمس كلام من فضيلة الاستاذ الشيخ محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل بشأن النظام الداخلي هل للمؤتمر أن يعدله أو ينظر فيه ، ودار كلام مني حول ذلك ، ولم يثبت ذلك في المحضر

فقال حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد علي الببلاوي : السكرتارية وتمنة على كل مايدور من الكلام

وقال محمد قدري افندي نائب السكرتير العام حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسين والي : إن ذلك واردفي المحضر وقد تلي على حضراتكم بالنص الآتي:

(ثم قال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : قدمت اقتراحات في الجلسة الماضية في موضوع كيفية أخذ الاراء وعلنيـة الجلسات ، ونريد أن نعلم رأي اللجنة فيها وما يقرره المؤتمر بشأنهـا قبـل النظر في الاعمال الاخرى فلم لم يكتب ذلك في جدول الاعمال . فحصلت مناقشة طويلة حول ذلك اشترك فيها حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ حسين والي ، والشيخ محمـد مصطفى المراغي ، والشيخ ابراهيم الجبالي ، وعطاء الله الخطيب افندي . وعبدالعزيزالثعالبي افندي . والشيخ محمد العبيدي . والشيخ محمد فراج المنياوي . والشيخ اسماعيل الخطيب . والشيخ عبـد الرحمن قراعة . انتهت بتقديم النظر في تقرير اللجنـة العلمية كما في جدول الاعمال) .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حبيب العبيدي : قد أجمل ذلك في المحضر اجمالا وكنا نريد التفصيل

فقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ حسين والي : أذكر أن هذه المسألة تكلم فيها قبل هذا جمال الحسيني بك وحصلت فيها المناقشة ، وذكر ذلك على وجه التفصيل وسبق أن قلنا له إن لجنة الاقتراحات نظرت في ذلك ولم تحدث شيئاً جديداً معدلا لنظام المؤتمر وسيعرض تقريرها عليه

أما وقد أعيد فيها الكلام فقد أثبت ذلك عند الاعادة بصفة اجمالية

فقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : لماذا ذكر في المحضر بحث علمي برمته وحصل الاطناب فيه والتزم الاختصار في غيره ؟ إن في المحضر نقصاً

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حبيب العبيدى : ليس فى هذا المحضر اشارة إلى مسألة النظام الداخلي فكيف تجمع الآراء فى مسألة اللاحقة وغيرها.

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسين والي : قلنا انه سبق الكلام فى هذا تفصيلاً وقلنا إن الاقتراحات قدمت إلى لجنتها ، وقلنا إن اللجنة لم تعدل فى النظام الداخلي ، ولم تقرر مسألة حضور مكاتبي الصحف . ولما اعترض جمال الحسيني بك بأن تقرير لجنة الاقتراحات لم يعرض على المؤتمر حصلت مناقشة اشترك فيها جمع من حضرات الاعضاء كما أشير إلى ذلك فى المحضر اجمالا . فاذا كان هذا لم يكف على أنه معقول فما على السكرتارية إلا أن تثبت ماأردتم اثباته .

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حبيب العبيدى • قلت بالأمس إن كان النظام الداخلي قد وافق عليه المؤتمر فأنا قابل له ولم يذكر ذلك فى المحضر

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسين والي : قلنا غير مرة يكفي الاجمال فى هذا كما ذكر فى صدر المحضر لسبق التفصيل . وإن رأيتم التفصيل فلا مانع من أن يستدرك فى المحضر بدل الاجمال .

وقال حضرة صاحب العزة وحيد الايوبي بك : ماالمانع من أن يذكر فى المحضر كل شيء يقال بالتفصيل .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة : اكتبوا إن في المحضر نقصاً فيما دار من المناقشة بيني وبين حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حبيب العبيدي

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان : أرى أن يقال يتدارك ماحصل ولا يقال إن فى المحضر نقصاً ، وإن المحاضر فى المجالس النيابية قد يحصل فيها استدراك

فقال حضرة صاحب الفيضلة الشيخ حسين والى : السكرتارية مكلفة أن تكتب محضراً لامضبطة بمقتضى النظام الداخلي للمؤتمر . والمضبطة يكتب فيها كل مايقال . والمحضر يكتب فيه مجمل مافي المضبطة . فاذا كانت الكتابة على

صورة ملخصة فهي المحضر بعينه وهو المطلوب وفق النظام الداخلي للمؤتمر
واذا كان هناك تفصيل في بعض المواضع دون بعض فذلك زيادة على المطلوب
والمحل الأصلي لذلك انما هو المضبطة . هذا هو العرف الجاري في مثل ذلك
على أن الموضوع الذي أثير الكلام فيه الآن ذكر تفصيلياً فيما سبق . فليس
في المحضر نقص ، ولا سهو ، ولا غلط . وأكرر قولي أن هذه المسائل التي
تكلم فيها جمال الحسيني بك وغيره من حضرات الأعضاء حصل الكلام فيها
قبل هذا وأخذت حقها من المناقشة وانتهى الأمر بأن أحيلت الى لجنة
الاقتراحات . وقد نظرتها اللجنة وأصدرت فيها قراراتها بما لايخالف النظام
الداخلي للمؤتمر وسيعرض ذلك عليه . وسبق أن قلنا أننا كتبنا في جدول
الاعمال ماهو المقصود وقدمنا الأهم على المهم . فقدمنا النظر في التقرير العلمي
ثم النظر في تقرير اللجنة الثالثة .وقد زدت على ذلك أن قلت ان لجنة الاقتراحات
لم تحدث شيئاً جديداً في مواد النظام الداخلي . فلو أنصف حضرات اخواني
الأعضاء لوجدوا أن الاشارة الاجمالية كافية بعد ذلك التفصيل السابق .
على أن المضبطة التي يكتب فيها كل مايقال بالحرف الواحد موجودة في
السكرتارية . ولو اردتم أن ينقل مافيها الى المحضر فلا عمل إلا ضم بعض الكلمات
الى بعض وإثبات ذلك في المحضر . انكم اذا أردتم تفصيلا أكثر مما في
المحضر فنحن لانأبى ذلك وان كان زائداً على مافي النظام الداخلي للمؤتمر .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد فراج المنياوي : عقد المؤتمر
ثلاث جلسات وهذه هي الرابعة ولم نعمل شيئاً ونحن مااجتمعنا لأجل أن
نتحدث في الامور الثانوية ولكن لنقدم للمسلمين عملا نافعا . فأرجو أن
يسود بيننا حسن التفاهم . اما أن يقف بعضنا لبعض بحسن نية أو بغير ذلك
فهذا مما يجب أن نترفع عنه . يجب أن نتعاون ياإخواني على البر والتقوى وأن
نقدم للمسلمين عملا جديدا . ويجب الآن أن يوافق على تقرير اللجنة العلمية
(ضجة ومقاطعة) اسمحوا لي ان أتكلم ان الذي أريده من حضراتكم أن
توافقوا على تقرير اللجنة العلمية لأن الاحكام الفقهية وإن كانت ظنية فان

المجتهد فيها لم يخرج عن كونه نظر في الدليل الشرعي وانتهى به اجتهاده الى حكم من الاحكام . ذلك الحكم وان كان ظنيا فهو حكم الله بالنسبة للمجتهد . فليس من حقنا أن نقول نقبل هذا الحكم أو نرده . وانما يتعين علينا أن نقبله . ان هذه الهيأة فيها من عنده قوة الترجيح ولكن ليس فينا من عنده قوة الاجتهاد فيقول هذا مقبول وهذا مردود . فأقترح الموافقة على تقرير اللجنة العلمية ثم ينظر في التقرير الآخر ولحضرتكم الرأي الأكبر

ثم قرر المؤتمر ان يكتب التفصيل مكان الاجمال في محضر الجلسة الماضية

وبعد ذلك قال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك : هناك مسائل أولية اردت أن أبحث فيها من الجلسة الأولى . نحن نقول يجب أن ندعو ممثلا لنقابة الصحافة ولم توافقوا . فلماذا نرى مندوبا عن جريدة المقطم يحضر خارج المؤتمر؟ نريد أن نبحث فكيف جاز لشخص لاعلاقة له في المؤتمر أن يحضر بدون اذن مع احترامي لشخصه واحترامي لجريدته .

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسين والي : لم يحصل منا اذن لمكاتب صحيفة مطلقا

وقال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الأحمدي الظواهري : الآن وقد علمنا ان أخبار المؤتمر تنشر محرفة وبشيء ربما أثار ثائرة في وجه المؤتمر وحرف وجهة النظر ارى خيراً من هذا أن يدعى أهل الصحافة جميعاً لحضور المؤتمر من الجلسة الآتية

وقال حضر صاحب العزة وحيد الأيوبي بك . نحن نؤيد هذا الرأي ونطلب مندوبا واحدا عن نقابة الصحافة

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حبيب العبيدي : لأن تنشر قرارات المؤتمر بوساطة مندوبي الصحف خير من أن تنشر الجرائد أخبارنا محرفة

وقال حضرة صاحب السماحة السيد محمد البيلاوي : أنا أوافق الاستاذ وأظن أن مسألة انتخاب نائب عن الصحافة انتهت وسيحضر من الغد وأطلب أخذ الرأي على ذلك .

فأخذت الآراء فكانت النتيجة موافقة المؤتمر بالاغلبية على انتداب مندوب عن نقابة الصحافة

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الصالحي التونسي : أطلب أن تكون مناقشاتنا بشكل نظامي بحيث لانخرج من موضوع إلى موضوع فجأة : إن موضوعنا التكلم فى التقرير العلمي فهل لأحد الأعضاء ملاحظة عليه؟ اننا بين أحد أمرين إما الموافقة على التقرير العلمي وأما تأخير الموافقة الى أن يعرض تقرير اللجنة المؤلفة لبحث النصف الثاني من البرنامج فليس من المناسب ترك هذا الموضوع والدخول في موضوع اقتراح قدم فى أول جلسة للمؤتمر وأحيل الى لجنة الاقتراحات وقررت فيه قرارها وسيعرض تقريرها وللمعارض وقتئذ أن يعارض

احتجاج المؤتمر على الفظائع في سورية

وقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك . نريد أن نعرف الفرق بين البحث السياسي وغير السياسي نحن لانريد أن نبحث شيئاً سياسياً هنا لقد وردت علينا برقية عن حوادث دمشق الشام وهي رابعة البلاد المقدسة جاء فيها أن مساجدها تهدم على رءوس المصلين والمدرسين فيها . وهذا مؤتمر اسلامي عام اتعدون ذلك من المسائل السياسية او الدينية

وقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك : أنا موافق على أن يحتج المؤتمر على ماهو واقع فى دمشق واذا لم نحتج على هذا العمل يكون ذلك عاراً علينا . ان هؤلاء أرسلوا الى المؤتمر يستنجدونه ويستصرخونه فيجب ان نلبي استصراخهم ونحتج بشدة على ماهو واقع ليس على اخواننا المسلمين فقط بل على المسلمين وغيرهم

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد فراج المنياوى : ان المؤتمر ألف لجنة لنظر الاقتراحات

فقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك : اللجنة ماهي الاجزء

من المؤتمرين ولا وجود للجنة عند وجود المؤتمر . لقد كتبت الصحف عن هذا الاعتداء . وأرى واجبا على مؤتمر الخلافة أن يكون هذا الاحتجاج من أول أعماله : ومن العار سكوتنا وان هذا لادخل له في السياسة على الاطلاق بل هذا يتألم من فظائع وقعت ويجب أن نظهر التألم لكل الناس

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم الجبالي : هذا حسن ولكن لنا مقصد أصلي لم نمض فيه خطوة : أبعد هذا نصرف كثيرا من الوقت في مثل ذلك

فقال حضرة صاحب العزة وحيد الايوبي بك أخجل كثيراً اذا لم نحتج على هذا

وقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندي : هذا الاحتجاج كان واجبا عمله من أول الأمر ولقد تأخر الاحتجاج عن وقته فنحن باحتجاجنا الآن نكون قد تداركنا ما أهملناه .

وقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك : هذا من أول واجبات مؤتمر الخلافة ونحن نعمل لبناء الخلافة

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد هارون : لقد جاءنا تلغراف بهذا المعنى . وهل تحققنا هذا الأمر ؟ يجب أن نتحقق أولا .

وقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك ليس لنا أن نكذب الخبر : وكل هذه الفظائع قد نشرتها الصحف واطلع عليها الجمهور .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان : أرى أن ابداء الأسف حق من حقوق الأفراد وحقوق الجماعات لافرق بين فرد وفرد وبين جماعة وجماعة . ونحن قوم مسلمون نحمل بين جوانحنا ايمانا صادقا وعطفاً على اخواننا في مشارق الارض ومغاربها . وهذا الأمر الذي حصل وجاءتكم به البرقية أمر وحشي لايليق انسان أن ينزله بحيوان أعجم فضلا عن إنسان مثله . ولهذا اقترح أن تقرروا أسفكم وأن تعلنوه على صفحات الجرائد مقرونا باحتجاجكم الشديد على الذين ارتكبوا هذه الفظائع . وأن تقرروا ذلك باسم الدين خارجاً عن كل صبغة سياسية

وقال حضرة صاحب العزة جمال الحسيني بك المسألة دينية محضة

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الصالحي التونسي : أقول ان ماوصلنا اليه أخيراً وطلب بشأنه الموافقة هو اقتراح خارج عن الموضوع الذي نحن بصدد النظر فيه . وأطلب أن يكون كل عمل في وقته فنحن بصدد الكلام في التقرير العلمي وما راعني إلا خروجنا عن هذه الوجهة

وقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندي : هذا قد وقع ولا محل للاستغراب

فقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك : الاحتجاج تأخر وكان يجب عمله على أثر قراءة التلغراف فيجب أن نتدارك ماأهملناه

صفة أخذ الآراء في المؤتمر

ثم أمر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الرئيس بأخذ الآراء فكانت النتيجة موافقة المؤتمر بالأغلبية على الاحتجاج على ذلك

ثم قال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة : فلتؤخذ الآراء على التقرير الأول

وقال صاحب الفضيلة الشيخ محمد حبيب العبيدي : لم أعرف للآن كيفية أخذ الآراء .

وقال حضرة صاحب الفضيلة عطاء الله الخطيب أفندى : لم يستقر الرأي على كيفية التصويت وهي لاتزال على حالها من الابهام

وقال حضرة صاحب العزة وحيد الأيوبي بك . نترك هذا البحث الآن

وقال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندي : يؤخذ الرأي على التصويت هل يكون باعتبار عدد الاصوات أو بحسب البلدان .

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسين والي : كيف ذلك وأمامنا التقرير العلمي والعلم شائع لايختص به شعب دون شعب والنظام الداخلي للمؤتمر يقول العبرة بآراء الحاضرين . ولم تغير لجنة الاقتراحات منه شيئا كما قلنا ذلك مرارا

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة : أمامنا النظر

لمصلحة الاسلام مادامت وجهتنا واحدة . فاذا قلنا ننظر لمصلحة مصر أو لمصلحة العراق مثلا فهنالك يكون الكلام في مسألة البلدان . أما وقد قلنا النظر لمصلحه الاسلام فلا معنى لأن ننظر لمصلحة البلدان

وقال حضرة عبد العزيز الثعالبي أفندي : علينا واجب هو أن نتفق مع المسلمين على أساس معين ولا يكون عملنا مبنيا على مصلحة الأفراد وأنا ملتزم قبول الفتاوى الشرعية . فاذا صوت لكم فأنا ألزم به من أرسلني اليكم .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأحمدي الظواهرى : اذا جاء وقت ننظر فيه للتطبيق فيكون الرأى بمراعاة الأقطار لاأقول الأقطار الحاضرة فقط بل جميع الأقطار . أما اذا لم نصل الى التطبيق وكنا نتكلم علميا فالعلم حق مشاع للجميع وهذا مانسير فيه للنهاية . فاما أن يوافق المؤتمر أو تؤخذ الأصوات .

فأمر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الرئيس بأخذ الآراء

فكانت النتيجة موافقة المؤتمر بالاجماع ـ ما عدا حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حبيب العبيدى ـ على أن تؤخذ الآراء بعدد الحاضرين في المسائل العلمية وعند التطبيق تؤخذ الآراء بعدد الشعوب

ثم أمر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الرئيس بأخذ الآراء فى تقرير اللجنة العلمية المؤلفة لبحث المسائل الثلاث الأولى عن برنامج المؤتمر الذى تلى في الجلسة الماضية فكانت النتيجة موافقة المؤتمر عليه

ثم استأذن حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عطاء الله الخطيب مقرر اللجنة المؤلفة لبحث المسائل الثلاث الأخيرة من برنامج المؤتمر وتلا تقرير هذه اللجنة

وبمناسبة ماجاء فيه من غياب حضرة الدكتور الحاج عبد الله أحمد أحد أعضاء اللجنة قال فضيلة المقرر إنه أثناء المذاكرة حضر ووقع القرار

وهذا نص تقرير اللجنة : —

(سيأتي)

كتاب الموجز في الاجتماع

بحث علمي ديني للاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

عضو المجمع العلمي بدمشق والمؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة

ما أشد حاجة الأمم التي تتخبط في ديجور الجهل ، أو ترسف في قيود الذل، إلى علم الاجتماع الذي يهديها إلى سنن الله تعالى في الوجود ، ودرس أسرار تقدم الممالك والشعوب ، واتقاء أسباب الفشل والهبوط ،

استنبط العرب (رحمهم الله تعالى) أيام حضارتهم من الكتاب الكريم علوما وفنونا كثيرة ، وجعلوها ذات أصول راسخة ، وقواعد محكمة ، فلو رزق علم الاجتماع عندهم من العناية والتدقيق حظ هاتيك العلوم ، وجرى ملوكهم وأولو الأمر فيهم في تسيير دفة الملك والسياسة على مقتضى تلك الاسس الثابتة ، والسنن الكونية التي لاتقبل التبديل ولا التحويل ، لما علقت بأصول مدنيتهم تلك الشوائب والأوضار ، وأفضت بملكهم وعظمتهم إلى الزوال .

تلوت كتاب (الموجز) في علم الاجتماع لمؤلفه العالم الضليم ، والكاتب البليغ، عارف بك النكدي — أستاذ علم الاجتماع في معهد الحقوق وأحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق — فألفيته من أجود كتبنا العربية الحديثة ، وكم يود الغيور على ملته وأمته أن يكون هذا العلم في جملة العلوم المتداولة بين طلاب العلوم الدينية ، فان مباحثه ليست بأدق من مباحث أصول الفقه التي يتلقونها ، ولا بأقل فائدة وعائدة منها ، واذا كان علم الأصول يتعلق باستنباط الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية على قاعدة جلب المصالح اللامة ودرء المفاسد عنها ، فان علم الاجتماع يبحث عن سنن الله تعالى في حياة الامم وموتها ، والمحافظة على مقومات الأمة ومشخصاتها التي تكون لها بها شخصية خاصة ووجود مستقل بين الأمم ، وأنى يتيسر لأمة مغلوبة على أمرها ، . مستعبدة لغيرها ، أن تحافظ على دينها، وتحتفظ بمصالحها ، وتدرأ المفاسد عنها ؟

(ابن خلدون وعلم الاجتماع)

ذكر المؤلف الكريم أن للعلامة الشهير ابن خلدون سابقة فضل في استنباط هذا العلم ، وأورد عنه أنه قد « شرح أحوال العمران والتمدن ، وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ، وذكر أولية الأجيال والدول ، وتعاصر الامم الأول ، وأسباب التعرف والحول ، وما يعرض في العمران من دولة وملة ، وعزة وذلة ، وكثرة وقلة ، وعلم وصناعة ، وكسب وإضاعة ، وأحوال متقلبة مشاعة ، وتعرض للعصبية وسلطانها ، والاقليم ونفوذه ، والوراثة وتأثيرها ، وتبدل الاخلاق والعادات ، وما لذلك من العلل والاسباب (ثم قال) واذا كان ابن خلدون لم يجعل علم الاجتماع الذي كان يسميه « العمران البشري » وأحياناً « الاجتماع الانساني » علماً ذا قواعد ثابتة فلا يقدح ذلك فيه ما دام الناس لا يزالون إلى يومنا هذا وهم في شك من هذا العلم ، وأصحابه في تردد من أمرهم . وحسب الرجل أنه أدرك العوامل الاجتماعية من اقتصادية وطبيعية ونفسية قبل أن يدركها غيره من الغربيين بمئات السنين ، فاذا لم يكن ابن خلدون مؤسس هذا العلم فهو لاريب مهيء أسبابه اهـ

أقول : لاشك أن الامام ابن خلدون قد استقى ما أورده في مقدمته من ذلك المعين الذي لا ينضب وهو الكتاب الكريم الذي أشار (قبل ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن تقريباً) في كثير من آيه إلى السنن الالهية الثابتة في الافراد والامم ، ومنه ما يسمى عندهم سنة الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح ، واليه الاشارة بمثل قوله عز اسمه (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وقوله (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

ولولا أن الكلام في علم الاجتماع من حيث هو علم لا من حيث هو دين لأفضنا في ذكر الآيات الكريمة التي يمكن أن يكون ما أورده الفاضل النكدي عن ابن خلدون عناوين لها ، وفصوله الممتعة مفسرة لها ، مفصلة لمجملها .

الغرض من كتابة هذه الكلمة

غرضي من هذه الكلمة التي أكتبها عن كتاب (الموجز)النفيس استنهاض الهمم إلى الاستفادة من هذا العلم ، وايقاظ شعور من هم في غفلة عنه من رجال الدين إلى سبر غوره ، والتقاط درره ، فانه على الأكثر حجةلهم ، ينفي عن دينهم كثيراً من المطاعن والشبه ، ويكفيهم مؤونة الرد والدفاع من عند أنفسهم ، وإني مورد بعض الجمل الجميلة من هذا (الموجز) الجليل ، ليكون قولي مؤيداً بالدليل

بطلان مذهب دروين

قال في بطلان مذهب دروين — القائل بتولد نوع من نوع آخر أخس منه عن طريق التحول (أي كتولد الانسان من القرد !!) — معربا عن كاترفاج نبذة مما جاء في كتابه (الجنس الانساني) ص ٧١ : « ومن أراد أن يستشهد بما هو كائن ، وأن لا يبني حكماً على شيء غير ماهومعلوم ، استحال عليه أن يقول بتولد نوع من نوع آخر عن طريق التحول ، ومن قال بهذا فقد قال بشيء مجهول وجاء بالممكن يحله محل الثابت بالتجربة ، وبعد أن أفاض كاترفاج في هذا البحث وضرب له الامثال قال : وجملة القول أن (دروين) ومريديه من أجل أن يقروا التحول من العنصر إلى النوع خلافا لكل معارفنا المثبتة ، ينبذون ماأثبتته التجربة والملاحظة ، ليحلوا محلها حادثاً ممكناً ومجهولا . قال مؤلف الموجز : لقد أتينا بهذه الكلمة بياناً لمذهب دروين الذي كثر أشياعه والمعجبون به ، وهو مذهب لا يصح الركون اليه ، لأنه — كما قال كاترفاج — لا يستند على أساس ثابت ، وانما هو قائم على الاحتمال والامكان . ومهما يكن من الأمر فان أصل الانسان مسألة دقيقة غامضة ، اذا لم يؤخذ فيها بما ذهب اليه دروين فليس هناك رأي اخر يعتمد كل الاعتماد عليه ، لتقادم العهد ، وفقدان الادلة الصحيحة » أه

وأقول (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) وأقدم والبحث عن مادتهما الاصلية لتعرفها أشد وأبعد، وإلى هذا كله الاشارة بقوله عز شأنه (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضداً)

وحدة أصل الانسان ، أو الانسان الاول

قال في(ص ٧١) واذا نحن وازنا بين هذين الرأيين (كون الناس يرجعون إلى أصل واحد أو أصول مختلفة) وما جاء في حق كل منهما من البراهين التي أدلي بها إلى يومنا هذا ، كنا أميل إلى القائلين بوحدة أصل الانسان ، لأن الفرق مابين أشد الاجناس الانسانية بعداً بعضها عن بعض ، ليس بالشيء الذي يذكر في جنب الفوارق بين أصناف النوع الواحد من الحيوان والنبات اه

أقول : ماذكره هو الظاهر المتبادر من قوله سبحانه (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساءاً)

﴿ وظيفة المرأة في الحياة ﴾

شغلت المرأة عالمي الكتابة والخطابة في كثير من الاقطار وقتا طويلا ، ولولا حب الخروج بها عن أصل فطرتها ودائرة عملها ، لما أشكل على الكثيرين أمرها ، ولما أكثروا من الكتابة والخطابة في شأنها ، فان وظائفها الطبيعية الأربع التي تتنقل فيها ولاتخرج عنها — وهي الحمل ، والولادة ،والرضاع، وتربية الاطفال ، — دع تدبير المنزل ، — هذه الوظائف الطبيعية لاتدع لها مجالاً لمشاركة الرجل في عمله الخارجي ، وانها تهدم من كيان الاسرة ، وتفسد من شؤون المستقبل ، بمقدار ما تهمل من وظيفتها المنزلية ، واليك شذرات من (الموجز) في الموضوع :

« لقد قلنا إن للنساء على الرجال سلطانا لايغالب ، فاذا هن أجلسن على مقاعد النيابة والاحكام ، وشاركن في السياسة ، ففوضت اليهن السلطة ، فقد زاد سلطانهن المعنوي سلطانا سياسيا ، فأصبح لهن الامر كله ، ووقعت السلطة العملية في يد اضعف الجنسين عملا ، وتراكمت المصالح العامة في عهدة أعجزهما قدرة على حفظها ، فأين الفائدة بعد ذلك ، بل أين المساواة ؟

(وقال) : وقد شاءت هذه الطبيعة أن لايجتمع الرجل والمرأة مجتمعاً لامبالاة معه ، وكيف يريان سبيلا إلى المباحثة في شئون الدولة الخطيرة ، والعيون مع كل

خطرة بارقة من الامل تذهب بالقضية بين سمع الأرض وبصرها[1]

(وقال) : إن المبالغة في المساواة بين الرجل والمرأة كان من شأنه أن أفسد كثيراً من نظام الاسرة ، فقد أدى ذلك إلى تعدد الطلاق في امريكا تعدداً هائلا ، حتى جاء في بعض الاحصاءات أن الطلاق بين المتزوجين واحد في الثمانية ، وسبب ذلك الغلو في المساواة ، وكون المرأة أصبحت في غنى عن زوجها ، لاتبالي أي حياة تحيا ، وهل مصير هذا إلى غير تفسخ الروابط الاجتماعية ، ثم الفوضى المطلقة ، والرجوع بالانسانيه أجيالا بعيدة الى الوراء ؟ :

وقد أفاض حضرته في هذا الموضوع ، وأتى بالكثير الطيب ، وذكر أن علم منافع الاعضاء يثبت بين الجنسين الفوارق الطبيعية التي تستلزم الفوارق النفسية والفكرية أيضاً (قال) وما دامت الطبيعة أسقطت عن المرأة مشاق الأعمال وصعابها ، فلم لاتستفيد المرأة من ذلك ، وعلام تريد أن تحشر نفسها في مأزق حرج ، فتدخل في خطة صعبة يتمنى الرجل لو كان له مخرج منها اهـ

أقول : وإلى هذه الفوارق بين الرجل والمرأة ، التي خصصت كل منهما بعمل ، يشير قوله جل اسمه (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)

ومما أثبته الفاضل (العارف) مستنداً فيه إلى علم الاجتماع ورجال الاشتراع يظهر جلياً أن الرجل بما وهبه الحكيم العليم من المواهب الطبيعية هو المكلف بالتوفر على عمله الخارجي ، والقيام على عيله (عائلته من زوج وولد) بالنفقة وحسن التربية والمعاملة ، وهو المستفاد من قوله عز وجل (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم)

وقد اقتصر الاستاذ النكدي في بحثه هذا على ضرر اشتغال النساء في القضايا العامة كالمجالس النيابية لأنه — كما أفادنا حضرته مشافهة — يتكلم من الوجهة الاجتماعية والسياسية ويقاس عليها اشتغالهن في القضايا الشخصية كالمحاماة

(١) نقلنا هذا البحث عما كتبه (موريس بلوك) في معجم (السياسة والاجتماع) وهو قد اعتمد ايضا في قسم مما كتبه على (بول بواتوا)

والهندسة والدخول في المعامل فان في هذا من فساد نظام الاسرة مافي ذاك

ولم يذكر اضرار التفنن في التبرج والتفرنج وقتل الوقت في المسارح والمراقص ، لأن هذا محله بحث (تفسخ الهيئة الاجتماعية) من الجزء الثاني الذي وعد بنشره ، وسنراه قريباً إن شاء الله تعالى .

حكمة تعدد الزوجات

(قال) أما الحقيقة في تعدد الزوجات فهو يرجع في الأقاليم الحارة إلى مؤثرات طبيعية غير فوارق اللدات ، وإلى عوامل القتال والحروب ، وما تجره من فقدان الرجال في القبائل ، التي لاتطفأ نار الشر بينها ، والرغبة في تكثير النسل ، والتقوي بأحلاف من العمومة والخؤولة ، ولرخص دينية بنيت على هذه الاسباب الاجتماعية كلها أو بعضها اه

اقول : لايخفى أن الحروب في الأمم والشعوب ، أشد منها في القبائل اهلاكا وتدميرا ، واكثر أخذاً وتقتيلا ، فهذه الحرب العامة قد أزهقت قواها البرية والبحرية والجوية ملايين البشر ، وتركت ملايين من النساء والاطفال بلارجال ، اذا فحكمة تعدد الزوجات في امم الحضارة أظهر منها في امم البداوة ، وقدأدركت ألمانيا أثناء الحرب العظمى هذا النقص الفادح فاضطرت الى التصريح بضرورة التعدد .

أرأيت كيف جاء علم الاجتماع وأحداث الزمان ، مؤيداً للقرآن ، اعلمت كيف انطبقت أصوله على تعاليم الاسلام ؟

ما خالف الشرع من علم الاجتماع

رب معترض يقول : إنك ذكرت من القضايا الاجتماعية ماهو حجة لذويك وتركت ماهو حجة عليهم ، وعلم الاجتماع لايعرف المحاباة ، وقد قال في (الموجز) ص ١٠٩ :

(١) « فكل حق للرجال في حرمة أو مال يجب أن يكون للمرأة مثله ، ولا عليها ولا عليه أن يزيد حقها في هذه الأمور على حقه »وظاهر هذا معارض

لنص (للذكر مثل حظ الانثيين) وفي بحث أدوار العقوبة وأنواعها « الدور الاول انتقام ، والثاني قصاص ، والثالث تأديب وإصلاح » :

(٢) رأوا أن القود على اطلاقه ، وجرح الجارح ، وقطع السارق ، كان لها ألم وانقضت . فتحولت العقوبة إلى واسطة يراد بها التأديب والاصلاح » وهذا ينافي قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) الآية

وفي بحث أطوار العقوبة الثلاثة :

(٣) خرج العقاب عندئذ ـ أى عند إذ ترقت الأوضاع الاجتماعية ، وتألفت السلطة المنظمة الخ ـ عن أن يكون حقا شخصيا أو إلهيًا الى حق عام »

وفي بحث النوع الثاني من أشكال الحكم (الشكل التيوقراطي): وهو الحكم الذي يستمد نفوذه وقوته من الله ، والقائمون بهذا الحكم باسم الله يحكمون ، وباسمه يتكلمون .

(٤) حتى إنهم ليعزلون أنفسهم من الله في منزلة الوزراء (قال) ومن الحكومات التيوقراطية : حكومة القضاة في اليهود ، والخلافة في الاسلام ، والممالك والامبراطوريات الغربية التي كان يعتقد أصحابها أنهم يستمدون قوتهم من الله ثم عد الحكم الديموقراطي خير الاحكام وأصحها وعلل ذلك بقوله : لانه يستمد قوته وسلطانه من الامة ، وهي وحدها صاحبة الحق في الحكم اهـ

(٥) وقال (ص ١٨٦) : وكما أنه لاسبيل إلى وضع شرع دفعة واحدة . فكذلك لاسبيل إلى أن يختم عليه بعد وضعه فيقال : هذا هو الشرع الذي يصلح لكل جيل في كل زمن »

(٦) وفي (ص ٧٢) : وعلى رجال العلم ألا يتقيدوا في ما يذهبون اليه بشيء من عوامل الدين والسياسة ، بل بما توحيه اليهم معارفهم وبما توصلهم اليه مساعيهم »

تمهيد للجواب

أقول [illegible] : كلامنا هذا هدم القواعد الثابتة القطعية من علم الاجتماع بالنصوص الدينية فان في ذلك مايحمل الاجتماعيين على التمسك بقواعدهم والبراءة مما خالفها ، وفيما أورده (الموجز) عن حجة الاسلام الغزالى عبرة وعظة ، ولا نلغي

إيضاحكم النصوص بهذه المقررات الاجتماعية التي تخالفها في الظاهر (لا في الواقع على ماسيأتي) لأن هذا يشعر بان النصوص لاتمشي مع العلم ، ولا تبقى مع الزمن وينتج عن ذلك نفور المتدينين من اقتباس العلوم والفنون ، وإيثار الجهل عليها ، لا بل تدعوهم حميتهم لمحاربتها باسم الدين دفاعاً عنه ، وتأييداً له ، ! ! والحق أن القواعد السماوية الصحيحة ، كالقضايا العقلية والطبيعية الصريحة ، لم تبن إلا على أمتن الأسس ، وأرسخ القواعد ، ولم تجيء إلا لتقرير الحقائق وتثبيتها ، وكيف يمكن أن يكون بينهما تناقض - والذي أنزل الوحي ، وخلق العقل ، وأوجد الطبيعة هو واحد جلت حكمته ؟ إذاً فما على رجال الدين والدنيا الغيورين إلا أن يعنوا بالتوفيق بينهما ، وعليهم ألا يطرحوا أحدهما في سبيل الآخر ، فان هذا أبقى لدينهم ودنياهم ، واحفظ لمصالح البشر من الضياع والحرمان ، وأدعى أن يستفيد ألوف المتدينين من كتب العلوم والفنون النافعة

وها أناذا أسعى في الجمع والتوفيق بين ما اختلف ظاهره من نصوص الكتاب ومسائل الاجتماع ، خدمة للأمرين معاً ، وترغيباً للمسلمين في الاقبال على هذا العلم النافع (أي الاجتماع) الذي يوقظ شعورهم ويستفز هممهم ، للمحافظة على الارث الموجود ، واسترداد المفقود ، بالطرق القانونية ، والسنن الكونية ، التي سطت بها الامم القوية على الأمم المستضعفة ، وجردتها مما يبعث فيها روح الحياة الحرة

إن من يعتمد النظرة الأولى في حكمه يحسب أن ما أوردناه عن الموجز كنموذج لمخالفة الاجتماع لظاهر الشرع ، مخالفا له فى الواقع ونفس الأمر ، ولكن الذي يمعن النظر يرى لذلك أسبابا إذ روعيت بانصاف ، حل الوفاق محل الخلاف ٠

(الاول) أن الحق المعطى للمرأة في الاسلام مبني على الطريقة الاجتماعية المثلى ، والسنة الطبيعية العادلة كما سيأتي .

(الثاني) عدم المنافاة بين حكمين وإثبات أن لهما جهة واحدة ، وان ظن بادي الرأي اختلافهما كما سترى

(الثالث) بيان المراد ، يدفع الايراد ، ويثبت الحكم على الوجه الصحيح

أجوبة الاسئلة المتقدمة

(الاول : بحث المرأة)

إن الاسلام قد راعى طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة ، ولم يدعها الى عمل الرجل الذي جعل كافلا لها . وقد أوردنا عن الموجز في ذلك مافيه مقنع . أماقوله فكل حق للرجال ، في حرمة أو مال ، ينبغي أن يكون للمرأة مثله ، ولا عليهاولا عليه أن يزيد حقها في هذه الأمور على حقه ، فيجاب عنه من وجهين :

(١) أن هذا مبني على الغلوفي المساواة بين الرجل والمرأة في عامة الشؤون والحقوق[1] وقد نقلنا عن (الموجز) نفسه رد هذا القول ، لما ينبني عليه من فساد نظام الاسر ، وأن مصالح الحياة الخارجية يجب أن تكون بيد الرجل وحده ، إذاً فتسويتها به في المال - مع أنه هو المكلف أن يكون قواما عليها وعلى ولده بمقتضى عمله الطبيعي - يعد ظلما بينا ، ينشأ عنه خلل اجتماعي ، وهو وقوع الثروة فى يد أقل النوعين حاجة اليها .

(٢) أن الاسلام وإن جعل للذكر في الميراث مثل حظ الانثيين ، فان المرأة في هذه القسمة هي الراجحة الرابحة ، لان الرجل هو المكلف بالانفاق طبعاً وشرعا كما قدمنا ، فلو أخذ ميراثه الفين مثلا ، وأخذت هي الفا ، عادلها من نصيبه الف بطريق النفقة العادله ، واحتفظت هي بنصيبها لنفسها ، فكان لها بالنتيجة الفان وكان له الف واحد ، فاصبح للمرأة مثل حظ الذكرين ، فاي حيف بعد هذا وقع على المرأة ، وأي ربح أصابه الرجل في هذا الاقتسام ، وهل هضمت المرأة حقها في شرعة الاسلام ؟

نعم هنالك أمور استثنائية تضطرها إلى العمل الخارجي أو الاكتساب كان تكون أيما ولها صغار لا مال لهم ولا كافل ممن تلزمهم نفقتهم من آل الرجل فالاسلام قد أباح لها ماللرجل من موارد الكسب ، وجعل نصيبها منها مساوياً

---

[1] (١) المنار : بل فيه خروج من المساواة الى تفضيل المرأة كما صرح به في قوله : ولا عليها ولا عليه الخ

لنصيبه - وجملة القول أن المرأة في الاسلام لا تشكو ظلما ولا هضما ، وهي جارية فيه على مقتضى النواميس الكونية كما قدمنا .

الثاني والثالث الحقوق والعقوبات

إن تقسيم العقوبة الى أدوار انتقام وقصاص واصلاح ، والحق إلى شخصي والهي وعام ، هو تقسيم تاريخي ، وأمور اعتبارية ، لاحقائق ثابتة متغايرة ، فانه لامنافاة بين كون العقوبة حقا شخصياً وآلهيا وعاما ، وإنما يختلف التعبير باختلاف الاعتبار ، فالحق شخصي من جهة قرابة صاحب الحق وذويه ، وإلهي من حيث أن الله تعالى هو الذي قسم الحقوق على قاعدة العدل والاحسان وشرع القصاص رحمة بالعباد وذريعة لحسم مادة الفساد ، وحق عام من حيث وحدة الأمة وتضامنها وان ماشرع في مصلحتها ، فهي المكلفة بتنفيذ الحكم بواسطة حكومتها .

والانتقام قد يراد به التأديب ، والقصاص تكون غايته الحياة الطيبة والاصلاح ، فلو أن أمة (كالامة العثمانية مثلا) كان لها حريتها واستقلالها ، وسعة ملكها ، وعظمة سلطانها ثم خالفت في سيرها سنن الاجتماع ، وأدارت رحى ملكها على غير قطب الشورى والاشتراع ، وراحت تسوس الرعية بما يملي عليها الهوى والظلم ، ثم طال عليها الامد ، فهبت فيها أعاصير الفتن ، وذاق بعضها بأس بعض ، فسطت عليها أمم قوية فسلبتها حريتها واستقلالها ، وجعلت ممالكها بينها نهبا مقسما قلنا لو أن أمة أصيبت بمثل ذلك فاتعظت بما اصابها ، وهبت تجاهد في سبيل حقها المغصوب ، واعزاز شأن وطنها المحبوب ، اذاً لصح أن يقال إن ما أصابها كان انتقاما من ذنوبها ، وقصاصاً أوجزاءاً على عملها ، وتعذيبها كان موقظا لشعور أفرادها ، وسببا لصلاحها ورشادها ، وداعياً إلى تضامنها واتحادها ، والانتقام من الامم التي تطغى باذاقتها العذاب بآية كونية ، او بأيدي أمة أو أمم عاتية قوية ، هو سنة من سنن الله تعالى في الوجود ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، والشواهد على ذلك من تاريخ الامم القديمة والحديثة كثيرة .

وما يقال في الامم يقال في الافراد ، فان القتل والقطع والجلد يراد منها صلاح الفرد والمحافظة على المجموع ، وكم من نقمة أورثت نعمة ، وان تعجب

فعجب أن يرى في حد القاتل والزاني والسارق سبة وعار على المجتمع ، وأن لا يرى الخطب أوجع ، والخزي على المجتمع أشد ، بما تصنعه هذه الامم المادية ـ دعية قوانين العدل والاصلاح !! ـ من قتل الشعوب الآمنة في عقر دارها وسلبها كل ماتملك ، وافسادها نظام الاسر والبيوت ، بل المجتمع كله .

والعجب كل العجب ممن يكبر أمر المسبب ، ويغفل عن السبب ، أو ينكر القصاص العادل ولا يعظم الذنب ،

الفظاعة ليست في قصاص البريء الذي يتعلق به الحق الشخصي والحق الآلهي والحق العام ، ولكنه في الجريمة التي أفضت إلى القصاص الذي أخذ المجرم بذنبه ، وكان فيه حياة الباقي ، وإذعان القرابتين للحكم ، وازالة الوغر والضغن وكف الاذى والعدوان .

وهل كانت دولة (الخلافة العثمانية) مصيبة في إبطالها أحكام الشريعة ، والاستعاضة عنها بتلك القوانين التأديبية التي لم تكن إلا باعثا قويا على زيادة الاجرام ، وارتكاب الآثام والفساد العام ، الذي عم المحكومين ومنفذي الاحكام ؟ ألم تكن تلك الكلمة الخاطئة : « اضرب واجرح لاتخف ، هي حبسة وزوج اكتاف » هي المثل السائر على ألسنة مجرمي العوام ؟ والمشجع على ارتكاب الجرائم في تلك الايام ؟ وهب أن في سجون الغرب من ضروب التربية والاصلاح مايجعل الشقي سعيدا ، فهل كانت سجون الشرق يوم اختيرت لها قوانين الغرب مستوفية وسائل التهذيب ؟ وكيف عنينا بالغايات قبل التماس الوسائل ؟ ثم ألا تختلف الاحكام ، باختلاف الاقوام ؟ وهل اتحدت عقلية الشرق والغرب ونفسيتهما فتكون ذرائع الاصلاح فيهما واحدة ؟

فقول (الموجز) : رأوا أن القود على اطلاقه وجرح الجارح وقطع السارق كان لها أيام وانقضت . أقول (فيه) إنهاما انقضت ولن تنقضي ، ولا تزال الامة التي تعمل بها كنجد واليمن أسعد حظا وأهنأ عيشا وأقل جرائم من غيرها ، وسعادتهم في بلادهم تنبني على أصلين (الاول) التربية الدينية التي هي أقوى مهذب للنفس وزاجر عن الشر (والثاني) اعتقاد أن كلا مأخوذ بذنبه ، وأن كل من يقوم على

مايحدثه به نفسه من قتل أو جرح ينفذ فيه مثله في الحال .

ونحن نسأل الله تعالى أن يحمي الجزيرة العربية من آفات المدنية الحديثة ، ونفثات سمومها القاتلة ، وأعظمها فتكاً في الافراد والامم ، وتقويضاً لدعائم الاجتماع والعمران ، هو ماأباحته قوانينها المهذبة (!) العادلة (!!) من الميسر والربا والزنا والخمور ، وإن شئت قلت : سلب الاموال ، واهلاك المساكين والعيال ، وتضييع الأنساب ، وافساد العقول .

واليك ماقاله الاستاذ النكدي في محاضرته (القضاء في الاسلام) التي طبعها من بعد رسالة مستقلة قال (ص ٩٩ ج ١ محاضرات المجمع) :

«جاء هذا القضاء بكثير من الاصول والاحكام التي يزعم أكثرنا أنها كانت مجهولة لولا القوانين الحديثة . وكتب تحت عنوان (الادعاء العام) مانصه :

«فوض القانون إلى المدعي العام أن يتتبع الجرائم فيقيم الدعوى على فاعلها وأن يدافع عن الحق العام ، ويخاصم كل من يعبث به (إلى أن قال) وهذه الخطة لم يغفل الشرع أمرها . وقد سماها الاصوليون (حقوق الله) وعرفوها بأنها ما تعلق نفعه بالعامة ويجب على ولي الامر إقامتها ، مثل جزاء السارق ، وقاطع الطريق واللص وغيرهم من أهل الفسق والفجور » ثم نقل عن كتاب السياسة الالهية لشيخ الاسلام ابن تيمية مايؤيد ذلك

وقال ص ١٠٣ منه : (ادغام العقاب) :

لما ارتقت الهيأة الاجتماعيـة ورقت [١] قوانينها فكان [٢] من وراء ذلك أن جعلت العقاب اصلاحا وتأديباً ، لا انتقاما وتعذيباً ، وجاءت المادة (٢٩٩) من أصول المحاكمة الجزائية تقول في شقها الثاني : اذا ارتكب المتهم عدة جنايات وجنحات معاً فتحكم [٣] بالجزاء المعين للاشـد عقوبة ، ومثـل ذلك ماقاله أبو يوسف في كتاب الخراج به»

وإن لم يكن القاذف ضرب للاول حتى قذف آخر فانه يضرب لهما جميعاً حداً

(له بقيه)

---

(١) المنار . الصواب رقيت لان رقي من باب علم وورد رقا الطائر يرقو
(٢) الصواب كان (٣) الصواب يحكم – بالبناء للمفعول

الالفة والاتحاد أساس مجد الاسلام

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

أصيب المسلمون بالخلاف زمنًا طويلا ، فذاقوا الأمرّين من جراء تفرقهم، وحرموا ما كان لهم من حول وما حصلوا عليه من عز ومنعة — منوا بالتفرق أحقابا من الدهر فضاع مجدهم ، واضمحلت قواهم ، وتمكن الاجنبي من الفتك بهم والاستيلاء على بلادهم، فاسترق أموالهم ، وضرب الرق عليهم ، شأن القوي إذا استولى على ضعيف والمغلوب اذا ظفر به الغالب . ولو أن ذلك الاجنبي وقف عند ذلك الحد لهان الخطب وسهل المصاب ، ولكنه صار حربا عوانًا على دينهم، وعقبه كؤداً في سبيل رقيهم في معارفهم ، فعطل شعائرهم ، وحال بينهم وبين إقامة حدودهم

نعم أباح لهم مالا ينفعهم إذا هم أقاموه ، ولا يضره اذا حافظوا عليه، ليري بسطاء العقول أنه لا يتعرض لاحد في امور دينه ، بل يترك الامم حرة في تقاليدها الدينية ، وعاداتها الشرعية . أباح لهم من المواسم ما أحدثه الفاطميون باسم الدين في أيام سلطانهم ليقيموا من الحفلات في ليال من السنة ماشاء الله أن يقيموا ، ويحيوا من الموالد للمشهورين بالصلاح ماطوعت لهم أنفسهم، ليقنع صغار العقول من اقامة الدين بهذه المظاهر وهي ليست من الدين في نقير ولا قطمير ، بل هي المعاول التي تقوض بها أركانه ، ويهدم بها بنيانه ،فتذهب بالفضيلة بعد ذهابها بالثروة ، وتقضي على التوحيد الخالص بعد قضائها على العفة والكرامة

ترى في هذه الحفلات أحاديث ينسبها القصاصون لرسول الله (ص) وهي عليه مكذوبة ، وتشريع لا يتفق ومكانة هذا الدين ، ولا يتناسب مع عظمة هذه الملة المحمدية، مما بغض الراغبين في الدين من الدخول فيه ، وبعض المنتسبين اليه من المقام عليه

تجد في الموالد قرابين لغير الله تذبح ، واستغاثات لغير الله من الصالحين

ترفع، وفوق ذلك تجد بكاء عند القبور وعويلا وشكايات لا تكون الا لله وحده، وتضرعات لاتنبغي الا لمن بيده ملكوت كل شيء ، وبعد هذا وذاك تجد ملحمة يشترك فيها الشبان والنساء في اماكن اللهو وبيوت الدعارة والفسوق مما يجريء الشبان على محاربة الله تعالى ويحول بينهم وبين الفضيلة ، ويذهب بالبقية الباقية من طهارة الخلق وشرف النفس

ولو انك حاولت ان تقيم حدا من حدود الله لتطهير البلاد من رجس الفسق وعبث الفساد ، لرميت بالوحشية والهمجيه ، وانك غير صالح لأن تعيش في هذا العصر الذي تمدنت فيه الأمم ، ورقيت فيه الشعوب، وأقمت عليك حربا عوانا. وأول من يشعل عليك نار هذه الحرب من تسمم من شبان المسلمين بمدنية الغرب الكاذبة وتشبع بروحهم الخبيثة

ذلك مايتمشدق به الأجنبي والمعني به المستعمر من اطلاق سراح المسلمين في أمور دينهم ، وشعائر ملتهم . وذلك ماجره على المسلمين تفرقهم وغفلتهم وأوقعهم فيه نزاعهم وتدابرهم . وقد فطن المسلمون لآثار ذلك التفرق واحسوا عاقبة النزاع وشؤم الانحلال ففطنوا لذلك بعد أن تفاقم الامر ، وتوالت المصائب فأخذوا يتعرفون حكمة الله في شريعته وماتنطوي عليه تعاليمه ، عرفوا ان الله تعالى ماشرع الجمع والجماعات الا لتكون مدعاة للوحدة، وذريعة لاجتماع الكلمة، ليأخذ قويهم بيد ضعيفهم ، ويتصل أميرهم بمأمورهم. ولم يرد ان يقف تعارف المسلمين عند ذلك الحد بل أراد أن يتعرف شماليهم بجنوبيهم وغربيهم بشرقيهم وعربيهم بعجميهم فشرع لهم الحج الأكبر ليجتمع فيه المسلمون على اختلاف لغاتهم وتباين نزعاتهم ومشاربهم فيفكروا في الطرق التي تعيد اليهم مجدهم وتحيي لهم شريعتهم وتعود عليهم بالخير في دينهم ودنياهم

ولقد كان أول مظهر من مظاهر هذا الاحساس ذلك المؤتمر الاسلامي الذي دعا الى عقده بمكة المكرمة المصلح الكبير ملك الحجاز عبد العزيز آل سعود لينظر فيما يتطلبه الحجاز من إصلاح وما يحتاج اليه من مساعدة

وقد وفق الله شعوب المسلمين لاجابة دعوته فأرسلوا من الوفود من

بمثلهم ، ونظر المؤتمر في أمور (مهمة) وله قرارات ذات شأن خطير ، ونرجو أن يكون فاتحة خير للحجاج خاصة ولشعوب المسلمين عامة كما نرجو أن يوفق المفكرون منهم لازالة ذلك الخلاف الطفيف الذي رأيناه في عامنا هذا حتى يتحدوا في عقائدهم ونزعاتهم ، وبذلك تتفق كلمتهم وتتألف قلوبهم ويكونون أعوانا على الخير أنصارا للاصلاح ﴿ محمد العدوي

الجماعة الاسلامية في برلين

ونداؤها العام وبلاغاتها

كنا سمعنا أن بعض المسلمين المقيمين في برلين قد أسسوا جمعية بهذا الاسم رئيسها والداعي اليها الاستاذ محمد عبد الجبار الهندي ، وسمعنا أن غرض هذه الجمعية الدفاع عن الاسلام ونشر تعاليمه وآدابه في العالم الأوربي ، وقد كتب الينا بعض المسلمين المقيمين في برلين كتابا يطعن فيه بهذه الجمعية طعنا شديداً ويحذرنا من وفد لها أرسلته الى الحجاز وغيره من البلاد الاسلامية لبث دعوتها ثم قيل لنا إن هذا الكاتب كان من أعضاء الجمعية وخرج أو أخرج منها لخلاف شجر بينه وبين بعض مؤسسيها .

ثم لم نلبث أن تلقينا في البريد صحائف منها مبدوءة بنداء عام منها موجه الى جميع المسلمين شرحت فيه مبدأها وغايتها ووجه الحاجة اليها - يليه (حفلة مأتم) في انكار العدوان على المسلمين في الشام وريف مراكش وقد عقدت الجماعة لذلك احتفالا حضره زهاء اربعمائة نسمة والقيت فيه الخطب وختم بالدعوة الى الجهاد في سبيل الله للنجاة من حكم الشيطان!! - يليه خطاب عنوانه (صيحة الجهاد - الله اكبر) وموضوعه يعلم من عنوانه يليه بلاغان نذكرهما بنصهما ، ثم نعلق على الموضوع كله بما نراه من النصيحة لهذه الجماعة وللامة الاسلامية كافة

﴿ البلاغ الاول ﴾

حزب الله

عقد الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

ان المؤمنين من جماعة المسلمين التي تزيد على ثلاثمائة مليون مسلم يتعاقدون على مايأتي ويقسمون أن لا يسكنوا قبل أن تتحقق جميع نقاط هذا العقد فهم يطلبون واثقين من حقهم الثابت :

أولا ـ استقلال جماعة المسلمين التام بتحرير جميع البلاد التي كلها أو اكثريتها مسلمون من النفوذ الأجنبي

ثانياً ـ تشكيل حكومات اسلامية في عموم البلاد الاسلامية

ثالثاً ـ جمع كافة تلك الحكومات الاسلامية ضمن وحدة اسلامية بامامة الخليفة المنتخب شرعياً

ويجب للوصول الى الغاية المعينة في عقد الاسلام المتقدم ولكيلا تسقط الخلافة في الهوة التي سقطت فيها من قبل عصوراً عديدة فسببت سقوط المسلمين وتشتيت جماعتهم : (أولا) أن تتحد كافة جمعيات الاستقلال الاسلامية ضمن حزب الله (العامة الاسلامية الخضراء) الذي يوحد مساعي تلك الجمعيات المنفردة الى حركة عامة مشتركة (ثانياً) ريثما تتمكن جماعة المسلمين المحررة والمتحدة من انتخاب خليفة لرسول الله انتخابا شرعياً يتولى امارة حزب الله باسم ممهد الخلافة رجل ينتخب في مؤتمر اسلامي عام ويدعو المسلمين الى اقامة الخلافة الحقة .

حزب الله

« طبع هذا النداء بالالمانية ووزع فى حفلة المأتم الكبرى التي أقامتها الجماعة الاسلامية في برلين في ١٤ ـ ٩ ـ ١٢٩٦ ـ ١٩٢٥ لشهداء بلاد الشام والمغرب الاقصى »

﴿ البلاغ الثاني ﴾

حزب الله

بلاغ اليوم

المولد

(بمناسبة المولد النبوي والحفلة التي اقامتها الجماعة الاسلامية فى برلين

فى ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٤٤ ــ ١٢٩٦

ان حزب الله يناديكم أيها المسلمون بذكرى ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٤٤ (اشهر القبلة سنة ١٢٩٦ من فتح مكة) ذلك اليوم المقدس الذى عمت الرحمة فيه العالم بمولد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعوكم أن تبذلوا جهدكم لتعميم هذه الرحمة مرة ثانية في العالم اجمع لأن الله تعالى يقول : (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم [1] وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمون من قبل وفي هذا ليكون الرسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .)

ويجب على كل مسلم لتنفيذ أمر الله هذا أن ينضم الى جماعة المسلمين المحلية ويدفع زكاته الى بيت المال فيها بانتظام لنتمكن من القيام بأمور المسلمين كما يجب. ويجب على جماعات المسلمين المحلية ان تتحد الى اقضية وولايات واقطار ويجب على جماعات الاقطار أخيراً الانضمام الى جماعة المسلمين المركزية العالمية ليتم بناء الخلافة الحقة وتعم رحمة الله العالم وتعيش الامة وترقى بسلام

ان من لا يتبع هذا البلاغ لا يخلص لله ولرسوله

ايها الاخوان اعقلوا وأدوا ما عليكم كما امر الله

اللهم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم

---

(١) في البلاغ اصطفاكم وهو غلط

(نصيحة المنار)

إنه ليحزننا أن يخيب في هذه الجماعة أملنا الذي أملناه عند ماسمعنا خبر تأسيسها بما ثبت لنا من هذا النداء والبلاغات من غرورها وتغريرها بالمسلمين لأجل جمع المال الكثير لتنفيذ هذه الدعوى الخادعة دعوى إعلان الجهاد المقدس على الدول المستعمرة لبلاد المسلمين في الشرق والغرب ، وتحرير هذه البلاد ، وإقامة خلافة النبوة على وجهها الشرعي وحكم الاسلام كما أنزله الله تعالى

أهذا العمل العظيم ، تقوم به جمعية في برلين ، تؤلف من شذاذ المسلمين ؟ ماهذا الغرور والتغرير ؟

أمثل هذا العمل العظيم ـ ولا مثل له في عظمته ـ يكون جهريا ويعلن في أوربة ثم في بلاد المشرق قبل أن تعد له عدته من تسليح الشعوب الاسلامية التي يدعوها محمد عبد الجبار الهندي لقتال بريطانية العظمى وفرنسة وإيطالية وهولندة في وقت واحد (؟؟)

قد سبق لي الاجتماع بالاخوين الهنديين محمد عبد الجبار مؤسس هذه الجمعية في برلين وأخيه عبد الستار في بيروت سنة ١٣٢٦ هـ الموافق لسنة ١٩٠٨ م وجرى بيني وبين الاول مذاكرات في الاسلام والمسلمين كانت باعثا لاعجابي باستقلال فكره ، وكبر همته ، وبعد آماله ، ولاستغراب شذوذه في بعض المسائل الدينية وفهم بعض آيات القرآن ، وللتفكر في عاقبة هذا الشذوذ ، وما يلازمه من طموح وغرور، وهو مانرى عاقبته في هذه الجمعية

عبد الجبار الهندي الخطيب الجدل الطماح الجريء يؤلف جمعية في برلين من وسط أوربة لأقامة دين الاسلام كما أنزله الله أو كما يفهمه هو بتحرير جميع بلاد المسلمين المستعمرة !! وبتأليف حكومات اسلامية مستقلة في جميع البلاد الاسلامية ثم جمع هذه الحكومات وتوحيدها باعادة منصب الخلافة العظمى سيرتها الاولى ، ويطالب مسلمي الأرض بان يرسلوا اليه زكاة أموالهم المفروضة عليهم لتمكن جمعيته بها من القيام بما انتدبت له من العمل العظيم

ولكن ارسال المسلمين زكاة أموالهم إلى بلاد بعيدة غير اسلامية وأعطاءها لجمعية سياسية فيها مخالف لنص القرآن ، وما أجمع عليه المسلمون من أحكام الزكاة، فكيف تتوسل جمعية الاستاذ عبد الجبار الهندي إلى إقامة الاسلام بهدم أركان الاسلام

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها) الآية ، فمصارف الصدقات الشرعيــة هي ، الثمانية المنصوصة في الآية الكريمة ، والاصل فيما كان منها للفقراء والمساكين أن تؤخذ من أغنياء كل بلد فتصرف إلى فقرائه كما نص في حديث معاذ في الصحيحين وغيره ، وقد خرج بعض الائمة بعدم جواز نقل الزكاة من بلد إلى آخر وقيده بعضهم بمسافة القصر

وما كان في سبيل الله وسائر المصارف العامة فالأمر فيه إلى الامام الاعظم خليفة الرسول (ص) - فبأي حق شرعي تطالب جمعية برلين المسلمين بان يرسلوا اليها زكاة أموالهم ؟

وكيف فات الأستاذ وأركان جمعيته أن طلب الاموال الكثيرة لعمل مجهول متعذر على مدعيه مظنة للظنه، ومجلبة للتهمة ؟ ولو كان من التبرع الذي يجوز لصاحبه أن يضعه حيث شاء مالم يكن في معصية فكيف يطلب الملايين بوجه مخالف للشرع

إنه ليحزننا أن نرى هؤلاء الذين يدعون الدعاوى الكبيرة في سبيل الاصلاح الاسلامي لايتقيدون بشرع ولا عقل كأنهم يعتمدون في نجاح أعمالهم على العوام الذين تستهوي أفئدتهم الدعاوي العريضة والمبالغات بل الاغراق والغلو الذي يسخر منه العقلاء ، كدعوى غلام أحمد القادياني الهندي أنه هو المسيح الذي ينتظره السواد الأعظم من اليهود والنصارى والمسلمين وأنه يوحى اليه ، وادعاء خلفائه أن الوحي متسلسل فيهم، والنبوة موروثة عندهم ، كادعاء بهاء الله البابي الفارسي للألوهية ، وادعاء عبد الجبار الهندي الآن أنه سيقيم الخلافة الاسلامية وأنه سيقاتل الدول الاستعمارية الكبرى ، ويخرجهم من أرض سورية والعراق ومصر وتونس والجزائر ومراكش وجاه والهند والصين ، ولايتصور ذو عقل ورشد دخول هذه الدعوى في قدرة هذه الجمعية البرلينية ، أو أية جمعية سياسية، وانما الذي يتبادر الى الذهن أن غرض الجمعية جمع المال وابتغاء الثروة الواسعة

فان كنا مخطئين في رأينا هذا وكان لزعماء هذه الجمعية برنامج معقول . وخطة ممكنة الحصول ، فليبينوها لنا ، واننا قبل ذلك ننصح لهم بالكف عن مطالبة المسلمين بارسال زكاة أموالهم اليهم وننصح للمسلمين بان لا يرسلوا اليهم شيئا من الزكاة المفروضة ونعلمهم بان الفريضة لا تسقط بارسالها الى هذه الجمعية

استدراك

(على شروط عمر (رض) على أهل الذمة)

نشرت ادارة المنار في الجزء الثالث الذي قبل هذا الجزء ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية في مسألة شروط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) على أهل الذمة في الشام ، وكنت في إبان طبع هذا الجزء في مكة ، ولم تكن هذه الشروط مما أريد نشره في المنار من آثار شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ، وانما أتحرّى نشر رسائله وفتاواه التي يحتاج اليها المسلمون في هذا العصر للاهتداء بها ، والعمل بما يحققه من أحكام الشرع في النوازل والاحوال الواقعة التي جاء فيها بما لم يأت به غيره من الشرح والدلائل ، وليست مسألة معاملة أهل الذمة في أثناء الفتح والسياسة الحربية منها في شيء لأننا لسنا فاتحين ، وانما يفتح خصومنا بلادنا ، ويعاملوننا بالظلم والقسوة اللذين لم يكن عمر رضي الله عنه ليرضى بمثلهما ، رناهيك بما هو واقع في سورية الآن من التخريب والتدمير ، وتقتيل غير المقاتلين من النساء والاطفال والشيوخ .

وقد استغربت من هذه الاثارة عن شيخ الاسلام قوله : وأما مايرويه بعض العامة عن النبي (ص) أنه قال « من آذى ذمياً فقد آذاني » فهذا كذب على رسول الله (ص) لم يروه أحد من أهل العلم

استغربت هذا لأن الحديث مروي بلفظ قريب من هذا اللفظ وهو ما أخرجه الخطيب البغدادي من حديث ابن مسعود مرفوعا إلى النبي (ص) « من آذى ذمياً فانا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وقد أورده السيوطي في الجامع الصغير وأشار إلى حسنه . ولولا ميل شيخ الاسلام إلى

التشديد على المخالفين في أصل الدين أو في المذاهب المخالفة لما كان عليه السلف الصالح لما اقتصر على إنكار الحديث باللفظ الذي ذكر ، وسكت عن اللفظ الآخر المرويّ بمعناه ، على أنه يجوز أن يكون قد نسيه عند ما كتب هذه المسألة وهو أقرب من عدم اطلاعه عليه .

وأما انكاره اطلاق تحريم الايذاء بأن منه مايكون بحق كالقصاص فهو يرد على مثله في حديث « من آذى مسلما فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس . والجواب عنها وعن أمثالها تقييد الايذاء بما علم من ضرورات الشرع وهو كونه بغير حق .

هذا وان بعض العلماء لايعدون عمل عمر في مثل هذا (رض) حجة شرعية كما هو الاصل في عمل الصحابي ، ولا يوجبون اتباعه ، وبعض ماروي عنه من تلك الاعمال مروي بأسانيد ضعيفة . قال الشوكاني في بحث ماضربه من العشور على أهل الكتاب وغيرهم :

« وفعل عمر وإن لم يكن حجة لكنه قد عمل الناس به قاطبة فهو اجماع سكوتي ، ويمكن أن يقال لايسلم الاجماع على ذلك والاصل تحريم أموال أهل الذمة حتى يقوم دليل والحديث محتمل اه والمراد حديث العشور على أهل الكتاب

ومما ضعفوه من تلك الروايات ماأخرجه البيهقي من طريق حزام بن معاوية قال كتب الينا عمر : أدبوا الخيل ولا يرفع بين ظهرانيكم الصليب ، ولا تجاوركم الخنازير . ومثله ما رواه البيهقي عن ابن عباس : كل مصر مصره المسلمون لا تبني فيه بيعة ، ولا كنيسة ، ولا يضرب فيه ناقوس ، ولا يباع فيه لحم خنزير . وفي اسناده حنش وهو ضعيف .

وجملة القول إن سياسة عمر العسكرية والمالية والادارية كانت سياسة فتح عسكري وعدل ديني ، واجتهاد مبني على أساس المصلحة العامة ، وهي تختلف باختلاف الازمنة والاحوال . وليست من أمور العبادات التي يوقف فيها عند نصوص الشارع بقدر الاستطاعه ، ولا يجب على ولاة الامور التقيد بها في كل زمان ، بل يتبع في كل عصر وفي كل حال مافيه المصلحة مع مراعاة النصوص القطعية

العامة من وجوب الوفاء بعهود المعاهدين ما وفوا بعهودهم معنا ، وتحريم الظلم ، والخيانة والغدر ، ونحو ذلك من فضائل السياسة الاسلامية التي تجردت منها السياسة الأوربية المبينة على الغدر ،والافك ، والخيانة، واستحلال جميع الرذائل في سبيل المنافع السياسيه والاستعمارية

استدراك آخر

على اهداء العبادات أو ثوابها الى الموتى

تقدم في حديث أمين بك الرافعي مع الشيخ عبد الله بن بليهد رئيس القضاة بمكة المكرمة قول هذا ان النجديين يعتقدون أن جميع العبادات التي تهدى الى الموتى تصل اليهم يعني ثوابها . وهذه المسألة خلافية بين علماء الحنابلة وغيرهم من فقهاء المذاهب وأهل الحديث المستقلين ، ووصول الثواب أو العمل أو انتفاع الانسان بعمل غيره خلاف نص قوله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) وخلاف القياس المعقول ، وقد يخصص بما ورد في السنة من استثناء دعاء الولد لوالديه أوحجه وصومه عنه ، بل يصح أن يقال أن هذا الاخير ليس استثناء لما ورد من أن الولد من كسب أبيه أي وأمه ، وقد فصلنا هذه المسألة تفصيلا واسعا في تفسير قوله تعالى (ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) من آخر سورة الانعام ، وقد نعود الى نقل أقوال الفقهاء فيها عند الحاجة

تقريظ المطبوعات الحديثة

سبل السلام

من الكتب القيمة التي أخرجتها المطابع في هذا العام كتاب (سبل السلام ، شرح بلوغ المرام، من جمع أدلة الاحكام) فقد قام بطبعه جماعة من العلماء الذين يهمهم نشر السنة وأعنوا بتصحيحه جد العناية ، وأحسن ما نصف به الكتاب ذلك التعريف الذي وضعه له في صدر الجزء الأول مصححه صديقنا الشيخ محمد

عبد العزيز الخولي المدرس بقسم التخصص في مدرسة القضاء الشرعي فنثبت هنا مجمل ما قال في ذلك التعريف وهو : —

(بلوغ المرام) كتاب جمع فيه الحافظ ابن حجر كل الاحاديث التي استنبط الفقهاء منها الاحكام الفقهية مبينا عقب كل منها من خرجه من أئمة الحديث كالبخاري ومسلم موضحا درجة الحديث مرتبا له على أبواب الفقه ، وضم إلى ذلك فى آخر الكتاب قسما مهما في الآداب والاخلاق والذكر والدعاء :

فجاء محمد بن اسمعيل الامير اليمني الصنعاني وشرح ذلك الكتاب وذكر مايدل عليه الحديث من الاحكام الفقهية ومن قال بها من كبار المجتهدين صحابة وتابعين وأئمة المذاهب (رضوان الله عليهم أجمعين) ومن خالفها مبينا نوع المخالفة ودليلها ثم يقضي بينهم بالحق الذي يؤيده الكتاب والسنة غير متحيز إلى مذهب من المذاهب عملا بقوله تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) . فمقتضى الايمان أن نحكم رسول الله (ص) في كل خلاف بين المسلمين وخاصة الفقهاء المشرعين الذين يرسون لنا أحكام العبادات والمعاملات ، ولا يكفي مجرد التحكيم بل لابد معه من الاذعان النفسي وتنفيذ الحكم كما أمر العليم الحكيم الذي صرح في الآية الثانية بأن من قدم حكم غيره على حكمه وحكم رسوله فقد عصى الله ورسوله وضل ضلالا مبينا ، وكان واجبا على علماء المسلمين وأولي المكانة فيهم فى العالم الاسلامي كله وخصوصا مصر التي هي قطب رحى البلاد الاسلامية والتي فيها الأزهر كعبة الرواد للعلوم الاسلامية ـ كان الواجب عليهم أن يعرضوا آراء الفقهاء على كتاب الله وسنة رسوله فما كان قريبا منهما أو يوافق صريحهما أخذ ، وما كان بخلاف ذلك ترك . وليس في ذلك غمط للمذاهب ـ جزى الله أهلها خير الجزاء ـ ولكن في ذلك إحقاق الحق وترك التقدم بين يدي الله ورسوله امتثالا لقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا

بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) إنهم ان فعلوا ذلك وحدوا بين المسلمين فى العبادات فكان مظهرهم فيها واحداً ، ووحدوا بينهم فى المعاملات فاستطاع المشرعون أن يضعوا القوانين المدنية والجنائية من هذه الشريعة الحكيمة الصادرة عن علم الله المحيط بأمراض النفوس والجماعات وما تداوى به :

الدين الآن ليس له وجود إلا بين المشتغلين به فلا هو فى النفوس ولا هو في المحاكم ألاهم إلا بقايا يلتهمها الزمان شيئا فشيئا ـ فجدير بالعلماء ان يفكروا طويل التفكير فى السبيل الذى يصلون منه إلى إحلال الدين فى القلوب والعمل به فى محاكم المسلمين . وإن هذا الكتاب ـ سبل السلام ـ الذى محص صحيح الآراء من سقيمها وزنها بميزان الكتاب والسنة خطوة في هـذا السبيل نتقدم به الى كل مسلم غيور على دينه محب أن تكون له الكلمة

والكتاب لم يخل من عثرات لكنها قليلة ولكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة ، والعصمة لله وحده . ومع ذلك لم تفتنا هذه العثرات بل نبهنا عليها وبينا صريح الحق فيها فجاء الكتاب بحمد الله فيما نعتقد من خيرة كتب الأحكام التي ينبغي العكوف على تعلمها وتعرف مافيها .

الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام وشرحها كثيرة وكتابنا هذا وسط فيها خيار منها، فانه يقصد المحز ويطبق المفصل فيأتي بالسمين دون الغث، ويعرض عن ذكر الخلافات التى لا ترتكز على دليل، ويقتصد في بيان الطعون التي في الأسانيد فجاء من أجل هذا كتابا وسطا في اربع مجلدات ـ

ولقد عانينا في تصحيحه مشقات كبيرة فان النسخة التى طبعنا منها فيها خطأ كثير اضطرنا إلى الرجوع الى الأصول التى منها استمد الكتاب وأصله. وكنا نراجع الأصل أيضا على كتاب (فتح العلام) الذي طبع في المطبعة الأميرية والذي هو نسخة ثانية من سبل السلام سميت باسم جديد . ولم تخل من التحريف والخطأ كأصلها سبل السلام ـ وان من حسنات مدرسة القضاء الشرعي أن قررت دراسة هـذا الكتاب في أحاديث الأحكام لطلبة التخصيص فيها

فكانت تلك حسنة في الدين الى حسناتها في خدمة القضاء :

وفي الختام ندعو المفكرين من المسلمين الى أن يقوموا بواجبهم نحو الدين (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه « سبل السلام » ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)

والكتاب أربعة أجزاء صفحات الأول ٢٩٠ والثاني ٣٠٤ والثالث ٣٦٨ والرابع ٣١٢ عدا فهارسه الواسعة التي حوت كل مسألة فى الكتاب وترجمة مؤلف المتن ومؤلف الشرح - والكتاب مطبوع على ورق أبيض ناعم ولكنه أصناف ثلاثة عادي وجيد وممتاز وثمن الصنف الأول ٥٠ قرشا والثاني ٦٠ والثالث ١٠٠ عدا أجرة البريد - ويباع في مكتبة المنار ويطلب من مصححه الشيخ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

(تجريد التوحيد المفيد) رسالة مفيدة من تصنيفات الشيخ تقي الدين أحمد ابن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ بين فيها حقيقة التوحيد ولبابه والتفريق بينه وبين قشره - وهو نوعان - توحيد الألوهية - وتوحيد الربوبية - وشرك الأمم بنوعيه - ومسألة القبور والنهي عن اتخاذها مساجد، وزيارتها الشركية، والشرعية وعدم جواز الخضوع والتأله لغير الله، والاستعانة بغير الله، وأفضل العبادة وطرق الناس في منفعة العبادة، وأول بدعة ظهرت في الاسلام، وقد طبعها الشيخ محمد منير الدمشقي في مطبعة الشرق على ورق جيد سنة ١٣٤٣ هـ وذيلها بكلام للمحقق ابن القيم في حلق الشعر وكونه يكون عبادة ويكون شركا ويكون عادة، وصفحاتها كلها ٤٨ صفحة —

فنحن نحث المسلمين على قراءتها ونشرها فان الألوف الكثيرة منهم لا يعرفون حقيقة التوحيد ولا يفرقون بينه وبين الشرك بل يطعنون في الموحدين ويسمونهم وهابية !!

(مجموعة النشاشيبي) أهدى الينا الكتاب من هذه المجموعة النفيسة عقب طبعه سنة ١٣٤١ فرأيناه ثم ضل عنا حتى اهتدينا اليه بعد البحث عنه وغيرنا بعده النشاشيبي صاحب المجموعة هو أديب فلسطين بل أديب العصر (إسعاف

النشاشيبي) وهذا الكتاب مما اختاره من الكلام العربي البليغ ليستظهر النشء في المدارس (وغيرها) فيكون خير مادة له في إحكام ملكة الفصاحه والبلاغة العربية ، وفيه ٢١ آية من كلام الله عز وجل في كتابه القرآن المعجز للبشر هي من قواعد الاجتماع وسنن الله في سيرة نوع الانسان ـ و ٣٠ حديثا نبويا في الاخلاق والآداب ـ و٩٦ مثلا من أمثال العرب ـ و١٢٤ حكمة من حكمهم و١٢٢ مقطوعة من مختار الشعر

وقد أحسنت ادارة المعارف الفلسطينيه بنشرها هذه المجموعة في مدارسها لتستظهر منها الصفوف العالية والثانوية مايليق بكل منها . وقد طبع الكتاب الاول الذي وصفناه في المطبعة السلفية طبعاً جيداً مضبوطاً اكثر الكلام فيه بالشكل فنحث جميع طلاب الآداب العربية الكلامية والنفسية على استظهار جميع هذا الكتاب أو اكثره ، وتقيم بمثله الحجة على ملاحدة المتفرنجين بمصر الذين يهدمون بدعاية التجديد آداب أمتهم ولغتها، كما يهدمون تشريعها ودينها ليكونوا كاباحيي الفرنج وان فقدوا بذلك كل مايفخر به الافرنج من آداب لغاتهم وتشريعهم ودينهم !!

(الأدب العصري في العراق) كتاب تاريخي أدبي انتقادي ، يحتوى تراجم أدباء العراق ورسومهم ونخبة من آثارهم بين منثور ومنظوم)

مؤلف الكتاب (رفائيل بطي) وناشره (نعمان الاعظمي) صاحب المكتبة العربية ببغداد ، وكلاهما من أدبائها ، وقد طبع الجزء الأول منه في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١ ثم لم نر مابعده ، وفى قسم المنظوم وهذا الكلام على شعر سبعة من أشهر شعرائهم المعاصرين مع تراجم ستة منهم وهم، جميل صدقى الزهاوي وخيرى الهنداوي ، ورضا الشبيبي ، وعبد المحسن الكاظمي ، وكاظم الدجيلي ، ومعروف الرصافي ، وأجلت ترجمة سابعهم (حبيب العبيدى) إلى قسم المنثور وقد بلغت صفحات هذا الجزء ٢٢٢ فنحث طلاب الأدب العصري على اقتنائه

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ المحرم سنة ١٣٤٥هـ ١٦ برج الاسد سنة ١٣٠٥ هش ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٦

فتاوى المنار

﴿حكم صلاة مكشوف الرأس﴾

(س ١) من صاحب الامضاء في بيروت (تأخر سهواً)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة مفتي الانام السيد محمد افندي رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

هل تجوز صلاة الرجل المسلم وهو حاسر الرأس أي مكشوفه بلاحرمة ولا كراهة ولو لغير ضرورة ولا عذر مطلقاً أم لا ، تفضلوا بالجواب

السائل

عبد الحفيظ ابراهيم اللادقي

(ج) نعم تجوز صلاة حاسر الرأس اذا كان رجلا لأنه لايشترط في صحة الصلاة من اللباس إلا مايستر العورة والرأس عورة من المرأة دون الرجل . ولكن يستحب أن يكون المصلي في أكمل اللباس اللائق به ومنه غطاء الرأس بعمامة ، أو قلنسوة ، أو كمة (طاقية أو عرقية) ، ونحو ذلك مما اعتاد لبسه كالطربوش ، فكشف الرأس لغير عذر مكروه ولا سيما في صلاة الفريضة ، ولا سيما مع الجماعة . فاذانوى به التشبه بغير المسلمين كان حراما لانه تشبه فيمتعلقات أمر ديني . وأماالتشبه بهم في الامور الدينية المحضة الخاصة بهم كأن يفعل فعلا يعده به من يراه منهم ، فقدصرح الفقهاء بأنه ارتداد عن الاسلام

﴿ ملك سليمان ودعاؤه بطلبه وتسخير الريح له ﴾

(س ٢) من صاحب الامضاء في بور تسعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

بور تسعيد في ٣٠ رجب سنة ١٣٤٤ و١٣ فبراير سنة ١٩٢٦

حضرة صاحب الفضل والفضيلة الاستاذ المحقق الشيخ محمد رشيد رضا حفظه الله آمين

سلامي عليكم وتحية مباركة زكية وبعد ، سيدي : لقد بدا لي توجيه سؤالي الآتي إلى جنابكم بعد أن عجز الكثيرون عن الاجابة عنه ، واني أرجو وأؤمل أن يكون الجواب تفصيلياً

إن سليمان نبي الله عليه السلام قال (رب اغفر لي وهب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي) الخ : ماجاء بالآيات الكريمات فما هو المراد بالملك في الآية ، وما هو المراد بقوله لاحد . هل المراد بأحد أحد الانبياء أم الكلام عام ، واذا كانت الدعوة قد أجيبت فما هو الملك الذي كان له ، وهل المراد به فتح البلاد من مطلع الشمس إلى مغربها ، واذا كان ذلك كذلك فماهي الادلة التاريخية التي تؤيده ، وما الذي حمله على أن يطلب هذا الطلب مع أن المتبادر إلى الذهن أن الانبياء يحبون الزهد في الدنيا ، وإن كان الجمع بين الملك والنبوة جائزا . وهل سخرت له الرياح معجزة أو كان يسبح في الهواء كما يسبح الناس اليوم ؟ وانما لكل زمن استعداده فيكون هو أول من امتطى ظهر الرياح ، وما هي القوى التي أعطيت له حتى استطاع تسخير الشياطين والجن بلا رؤيتها ،وما هو المراد بقوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وما هو الفرق بين سليمان ابن داود نبي الله وبين ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم؟أرجوالافادة عن ذلك فقد تعبنا شديداً فلم نجد من يدلنا على الحقيقة سواكم وأنا منتظر الرد بفارغ الصبر ، ولكم مني يامولاي مزيد الشكر، ومن الله تعالى جزيل الاجر، وتفضلوا ياسيدي بقبول وافر التحيات والتسليمات خادمكم

محمود محمد النهري

(ج) لا نستطيع الآن أن نجيب جوابا تفصيلياً عن هذه الاسئلة لأن هذا يقتضي تأليف رسالة أو كتاب نحن إلى غيره أحوج . وأقول بالاجمال أن الذي ورد في تفسير فتون سليمان عليه السلام في الكتب الصحيحة أنه حلف ليطوفن ليلة على أربعين امرأة من نسائه ، وفي رواية سبعين امرأة تأتي كل واحدة بغلام يقاتل في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله ، وقد ذكره ملك بأن يقول فلم يقل، فحملت امرأة واحدة من أولئك النساء ووضعت غلاما مشوها هو نصف غلام فالقي على كرسيه ليعتبر بعجزه فاعتبر وتاب وأناب إلى ربه وطلب منه أن يغفر له، ويهب له ملكا لا ينبغي لاحد من بعده . وكلمة أحد هنا نكرة في سياق النفي تفيد العموم . وطلب عظمة الملك ليس منكراً لان سليمان عليه السلام لا يريد به إلا ما يقوم به الحق وحكم الشرع الالهي والاصلاح بين الناس، فاستجاب الله تعالى له بما بينه بقوله (فسخرنا له الريح) إلى آخر الآيات . ولم يرد في الاحاديث الصحيحة بيان لتسخير الريح وجريانها بأمره حيث أصاب ، وانما ورد في التاريخ أنه كان له أسطول في البحر الابيض المتوسط وأسطول في بحر الهند يستعملهما في تجارته الواسعة وجلب الذهب والفضة وغيرهما مما استعمله في بناء هيكل العبادة لله تعالى ، فيحتمل أن يكون معنى تسخيرها له أنها كانت تكون عاصفة في غير الوقت الذي يسافر فيه أسطوله ، ثم تكون رخاء في الوقت الذي يسير فيه ، وذلك من آياته الخاصة به عليه السلام . ويحتمل أن الله سخرها له في أمور خاصة به لم يطلع عليها الناس مما هو من آيات الانبياء عليهم السلام غير المقرونة بالتحدي . ولذلك لم تذكر في قصة من سفر الملوك ولا في غيره من تواريخهم وفي الروايات الاسرائيلية المنقولة عن مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه غرائب وعجائب فيما أوتيه سليمان ألصقت بالقرآن وصدقها الكثيرون وتناقلوها من غير عزوها كلها اليهما وإلى أمثالهما . وأما تسخير الشياطين فقد ورد في حديث أبي هريرة المرفوع عند الشيخين وغيرهما أن النبي (ص) تراءى له شيطان يريد الوسوسة له فأمكنه الله تعالى منه ، وأنه لولا دعوة سليمان لامسكه وربطه بسارية المسجد – أي في حال تشكله الجسدي – ليلعب به صبيان المدينة فهذا الحديث يرد تأويل من تأول تسخير الشياطين له بشياطين الانس وهم

عتاتهم الذين كان يستخدمهم في قطع الحجارة الكبيرة ونحت التماثيل وغير ذلك للمباني العظيمة التي بناها ، وأعظمها الهيكل المشهور ،على ان في القرآن تصريحاً بذكر الجن فى موضع الشياطين . والاسرائيليات في هذا كثيرة أيضاً . ولم يفتح سليمان الشرق والغرب ، بل كان ملكه ممتداً من حدود نهر الفرات الى تخوم مصر

وأما ذو القرنين فهو رجل ضرب به الله تعالى مثلا لما هو مبين في قصته من سورة الكهف فسخر له أسباب السياحة في مشرق شمس الارض ومغربها من العمران الذي كان في عصره .ومن الاعمال العظيمة الفنية كالسد ، فتسخير تلك الاسباب المجهولة عندنا لذي القرنين يشبه تسخير الريح والشياطين لسليمان ، وتسخير الجبال والطير لوالده ترجع صوته حين كان يسبح الله تعالى بتلاوة الزبور بصوته الشجي الندي وإلانة الحديد له ينسج منه الدروع، ولكن أعمال ذي القرنين كلها كانت بالاسباب المعروفة وان أوتي منها مالم يؤت غيره، وما أوتي داودوسليمان كان كله أو بعضه من الآيات الالهية التي لا تنال بالكسب

ومن الناس من يظن أن كل تسخير من هذا القبيل يجب أن يكون من الخوارق التي يغير الله تعالى بها سننه في الخلق وليس كذلك . فهوسبحانه تعالى يمن على عباده بتسخير منافع الكون الطبيعية والصناعية لهم كقوله في سورة ابراهيم عليه السلام (١٤ : ٣٢ وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار ٣٣ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار) ولهذا أمثال

هذا وإننا ننصح لأخينا السائل ولكل من يطلع على جوابنا هذا بأن يقفوا في مثل هذه الآيات المنزلة فيما أعطاه الله من المواهب لسليمان عليه السلام عند نصها ، ولا يتقيدوا بشيء مما في كتب التفسير عن الصحابة والتابعين فمن دونهم في تفسيرها وإن صح سندها، مالم تكن مرفوعة إلى النبي (ص) فان جل الروايات في بني اسرائيل وأنبيائهم وفي خلق السموات والارض مأخوذة عن رواة الاسرائيليات ، وكان من أمثلهم عندهم كعب الاحبار ووهب بن منبه ونحن نوقن بكذب أكثر ماروي عنهما من ذلك واذا قلنا فيه كله لانكون مغالين . وقد قال الامام أحمد

ولا يغرن أحداً قول المخرجين للتفسير المأثور : عن ابن عباس (رض) وعن مجاهد وقتادة وفلان وفلان. وعدم ذكر مثل كعب ووهب وغيرهما في السند ، فان هؤلاء كثيراً ما كانوا يقولون مايسمعونه منهما من غير ذكر السماع منهما إذ لم يكونوا يذكرونه على سبيل الرواية ، بل على أنه معنى للآية .

روى عبد الرزاق وابن المنذر عن ابن عباس (رض) قال أربع آيات من كتاب الله لم أدر ماهي حتى سألت عنهن كعب الأحبار، وذكر منها قوم تبع وجواب كعب المخترع له ولا محل لذكره هنا – قال :وسألته عن قوله (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) قال الشيطان أخذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه فقذف به في البحر فوقع في بطن سمكة فانطلق سليمان اذ تصدق عليه بتلك السمكة فاشتواها فأ كلها فاذا فيها خاتمه فرجع اليه ملكه . وهذا الجواب من اكاذيب كعب التي كان يغش بها الصحابة والتابعين لاغترارهم بعبادته وكلامه المنمق الذي يرويه عن التوراة وغيرها من كتب بني اسرائيل ويفسر بها آيات القرآن في أخبارهم وفي أصل الخليقة . فهو كأمثاله التي لا تحصى لا أصل له في شيء من تلك الكتب، وهو مخالف لنص حديث الصحيحين الذي أشرنا اليه في تفسير (ولقد فتنا سليمان)ولكن ابن عباس أخذه بالتسليم إذ لم يكن قد بلغه الحديث المرفوع فيما يظهر ، وأنا لا آمن أن يكون بعض أحاديث أبي هريرة المرفوعة الغريبة المتون التي لم يصرح فيها بالسماع مما رواه عن كعب الاحبار فقد صرحوا أنه روى عنه .
وقد قال الزركشي في التفسير المرفوع انه الطراز المعلم « ولكن يجب الحذر من الضعيف » والموضوع فانه كثير .ولهذا قال الامام أحمد : ثلاثة كتب لا أصل لها : المغازي والملاحم والتفسير. قال المحققون من أصحابه : مراده ان الغالب أنه ليس لها أسانيد صحيحة متصلة الخ أقوال وقد غلط من جعل أقوال الصحابة في هذا الباب من قبيل المرفوع بعلة انه لا يعرف بالرأي .وفاتهم أنه من رواية الاسرائيليات، فلا يعد كأحكام الدين والحلال والحرام

ثم أقول إن الروايات المتعددة عن سليمان أن ملكه كان بسر في خاتمه وأن الشيطان أخذ خاتمه فصار يتصرف في الانس والجن والطير كما كان يتصرف

سليمان ، حتى كان يأتي نساءه (!) الخ خرافة فيها مفاسد كثيرة ، وأنها وأمثالها معارضة بل منقوضة ومردودة ومضروب بها وجوه مختلقيها وأقفيتهم بقوله تعالى (فسخرنا له الريح) الخ ، فالله تعالى يخبرنا بانه استجاب دعاءه فسخر له الريح والشياطين ولو كان ملكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده منوطا بسر في خاتمه يمكن أن تسخر للشياطين إذا هم حملوا ذلك الخاتم لم يكن خصوصية لسليمان نفسه جزاء إنابته واستجابة لدعائه كما صرح به القرآن ، وهل هـذا الا مما كانت تتلوه الشياطين على ملك سليمان وتعزوه اليه من مختلقات السحر ، ولو أنه من الخرافات والكفر ، (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وروجوا كفرهم وفتنوا به بعض المؤمنين بعزوه إلى سليمان وخاتمه السري ، ذي الطلسم السحري ، ولا يزال شياطين الانس وسحرتهم على هذا إلى اليوم !!

هذا مانراه في الجواب الاجمالي وإذا احيانا الله تعالى ومنّ علينا بالوصول الى تفسير قصة سليمان عليه السلام من سورة النمل فاننا نحرر هذا المقام بالتفصيل وليس لدينا من الوقت الآن مايسمح لنا بالمراجعة ولا بالتفكر فيه حتى اننا ذكرنا الحديثين المرفوعين بمعناهما ولم نراجع نص لفظهما

شركة التأمين وصندوق التوفير في البريد

(س ٣) من صاحب الامضاء فى أسوان

أسوان في ٥ — ٨ — ١٩٢٦

أستاذي الاكبر الشيخ محمد رشيد رضا دام

بعد مايلزم لسمو مقامكم من جليل التحية الدينية نلتمس أن تتكرموا بتحقيق مطلبنا الآتى :

قد علمنا أن حضرة الاستاذ الحكيم ، والفاضل الاكبر ، الامام الشيخ محمد عبده تغمده الله برحمته وواسع رضوانه ، أفتى بحل وجواز العقد الذي يحصل مع بنك السيكورتا من جانب المسلمين ، وأنه لو هلك مال المسلم في دار الاسلام بأي سبب من أسباب الهلاك ، يحل له ليأخذ من البنك ماتعهد به من المال في

مقابل مايدفعه المسلم في كل سنة مما يتم الاتفاق عليه . كما يحل له أيضاً وضع أمواله بصندوق توفير البوستة وتشغيله . وقد اشتهر أن فضيلة الأستاذ الامام رحمه الله قد أفتى بجواز ذلك كله ، وبما أن فضيلتكم موضع أسرار وحكم حضرة الأستاذ الامام ، فلنا وطيد الأمل أن تتفضلوا باجابة طلبنا هذا باسرع ما يمكن خصوصاً وأن الاستاذ الشيخ محمد بخيت قد أجاب من أفتاه من المقيمين بولاية الاناضول بحرمة ذلك وأفاض في هذا الحكم . وبما أن الاستاذ الامام لايقول حكماً متعلقاً بأصول الشريعة أو بمبادىء النظر الصحيح الا اذا كان مبنياً على قواطع الادلة ومتانة البرهان الصحيح الذي تطمئن اليه النفس ويرضى به العقل فلا جرم أنه يجب على كل من له ذرة من العقل الصحيح الا يتمسك إلا بقوله وتفضلوا ختاما بقبول فائق احترامي

كاتبه

تلميذكم عبد الله حسن محمد الحاج حسن

من طلبة العلم باسوان : وعضو المجلس الحسبي بالمركز

(ج) أما عقد الضمان الذى أشرتم اليه إشارة غير صريحة فليس فيه ذكر لبنك السيكورتاه ، وإننا نعيد نص السؤال الذي رفع الى الاستاذ الامام ونص جوابه عنه نقلا عن ص ٩٢٨ و ٩٢٩ من مجلد المنار السادس — وقد كانت شركة التأمين على الحياة طبعتها لتحتج بالفتوى على كون عملها مشروعا فلينظر وهذا نصها —:

حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية

ما قولكم دام فضلكم فى شخص يريد أن يتعاقد مع جماعة (١) على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط معينة ليعملوا فيه بالتجارة واشترط معهم أنه إذا قام بما ذكر وانتهى أمد الاتفاق المعين بانتهاء الاقساط المعينة وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حياً فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الارباح واذا

(١) نشرت شركة الجرِيشام في مصر هذه الفتوى في كراس طبعته في بيان موضوعها وأعمالها وزادت في السؤال هنا أي عند ذكر لفظ جماعة (شركة الجريشام مثلا) ووضعت الزيادة هكذا بين قوسين الاشارة أنها لم تكن في الصورة التي قدمت للمفتي وأجاب عنها

مات في أثناء تلك المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية في ماله ان يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الارباح فهل مثل هذا التعاقد الذي يكون مفيداً لاربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا ؟ نرجوكم التكرم بالافادة أفندم :

﴿ الجواب ﴾

الحمد لله وحده

لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزاً شرعاً ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الاقساط والعمل في المال وحصول الربح أن يأخذ لو كان حياً ما يكون له من المال مع ما خصه من الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح والله أعلم اه

وقد كان بعض المتفقهة في تونس استشكل الفتوى من حيث محاولة تلك الشركة احتجاجها بها فرد عليه أحد علماء جامع الزيتونة الاعلام بمقال نفيس نشرناه في المجلد السابع (ص ٣٨٤ — ٣٨٨ منه) ومهما يكن الحكم في أصل العقد الذي يتعاقده المسلم مع الاجانب فلورثته أن يأخذوا ماتعطيهم إياه الشركة من المال الذي أخذته من مورثهم ومن ربحه أيضاً لأن أخذ أموال الاجانب التابعين لغير دار الاسلام وغير الملتزمين لأحكامه جائز اذا كان برضاهم لا بخيانة ولا بسرقة وأما شركة التأمين على البضائع التجارية فقد أفتينا بجواز عملها نحن وغيرنا كما يرى في المنار (ص٥٨٨ م ٨)

وأما صندوق التوفير في ادارة البريد المصري فقد أقر نظامه لجنة من علماء المذاهب في الازهر وكتبوا بذلك كتابة عرضتها الحكومة في ذلك الوقت على مفتي الديار المصرية الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فافتى به وجرى العمل به ، وقد بينا ذلك بالتفصيل في ص ٢٨ من مجلد المنار السابع

قاعدة جليله

فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة

مثل قصر الصلاة والفطر في شهر رمضان وغير ذلك

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه.

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(أما بعد) فهذه قاعدة في الاحكام التي تختلف بالسفر والاقامة مثل قصر الصلاة والفطر في شهر رمضان ونحو ذلك ، وأكثر الفقهاء من أصحاب الشافعي واحمد وغيرهم جعلوها نوعين نوعاً يختص بالسفر الطويل وهو القصر والفطر ، ونوعا يقع فى الطويل والقصير كالتيمم والصلاة على الراحلة ، وأكل الميتة هو من هذا القسم ، وأما المسح على الخفين والجمع بين الصلاتين فمن الاول ، وفي ذلك نزاع

والكلام في مقامين (أحدهما) الفرق بين السفر الطويل والقصير فيقال:

المقام الاول

﴿ الفرق بين السفر الطويل والقصير ﴾

هذا الفرق لا أصل له في كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بل الاحكام التى علقها الله بالسفر علقها به مطلقا كقوله تعالى فى آية الطهارة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط) وقوله تعالى في آية الصيام (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) وقوله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة »[١] وقول عائشة : فرضت الصلاة ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيدت في صلاة الحضر . وقول عمر: صلاة الاضحى ركعتان وصلاة الفطر ركعتان وصلاة السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان ، تمام غير قصر على لسان نبيكم . وقوله صلى الله عليه وسلم « يمسح المقيم يوما وليلة والمسافر ثلاثة أيام ولياليهن » وقول صفوان بن عسال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا سفراً أو مسافرين أن لا ننزع خفافنا ثلاثة ايام ولياليهن إلا من جنابة ولكن من غائط أو بول أو نوم[٢] وقول النبي صلى الله

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن الاربعة بسند صحيح (٢) رواه الشافعي واحمد والنسائي والترمذي وابن خزيمة وصححاه وغيرهم وحكي الترمذي عن البخاري انه حديث حسن وأورده المجد ابن تيمية جد المؤلف في المنتقى بلفظ أمرنا - يعني النبي (ص) - أن نمسح على الخفين اذا نحن أدخلناهما على طهر ثلاثا اذا سافرنا،ويوما وليلة اذا أقمنا . ولا نخلعهما من غائط ولا بول ولا نوم ولا نخلعهما الا من جنابة . رواه احمد وابن خزيمة وقال الخطابي صحيح الإسناد وحديث عائشة وعمر الموقوفان لهما حكم المرفوع وهما في الصحيح .

عليه وسلم « اذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم [1] » وقوله صلى الله عليه وسلم « السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليتعجل الرجوع الى اهله » [2]

فهذه النصوص وغيرها من نصوص الكتاب والسنة ليس فيها تفريق بين سفر طويل وسفر قصير فمن فرق بين هذا وهذا فقد فرق بين ماجمع الله بينه فرقا لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وهذا الذي ذكر من تعليق الشارع الحكم بمسمى الاسم المطلق وتفريق بعض الناس بين نوع ونوع من غير دلالة شرعية له نظائر (منها) أن الشارع علق الطهارة بمسمى الماء في قوله (فلم تجدوا ماءاً فتيمموا صعيداً طيبا) ولم يفرق بين ماء وماء ولم يجعل الماء نوعين طاهراً وطهورا (ومنها) ان الشارع علق المسح بمسمى الخف ولم يفرق بين خف وخف فيدخل في ذلك المفتوق والمخروق وغيرهما من غير تحديد ولم يشترط أيضاً أن يثبت بنفسه (ومن ذلك) انه أثبت الرجعة في مسمى الطلاق بعد الدخول ولم يقسم طلاق المدخول بها الى طلاق بائن ورجعي (ومن ذلك) انه أثبت الطلقة الثالثة بعد طلقتين وافتداء والافتداء الفرقة بعوض وجعلها موجبة للبينونة بغير طلاق يحسب من الثلاث . وهذا الحكم معلق بهذا المسمى لم يفرق فيه بين لفظ ولفظ (ومن ذلك) انه علق الكفارة بمسمى أيمان المسلمين في قوله تعالى (ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وقوله (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) ولم يفرق بين يمين ويمين من أيمان المسلمين ، فجعل

(١) رواه أحمد والبخاري (٢) رواه أحمد والشيخان وابن ماجه

أيمان المسلمين المنعقدة تنقسم الى مكفرة وغير مكفرة مخالف لذلك (ومن ذلك) انه علق التحريم بمسمى الخمر وبين أن الخمر هي المسكر في قوله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » ولم يفرق بين مسكر ومسكر (ومن ذلك) انه علق الحكم بمسمى الاقامة كما علقه بمسمى السفر ولم يفرق بين مقيم ومقيم ، فجعل المقيم نوعين نوعا تجب عليه الجمعة بغيره ولا تنعقد به، ونوعا تنعقد به لا أصل له

بل الواجب أن هذه الاحكام لما علقها الشارع بمسمى السفر فهي تتعلق بكل سفر سواء كان ذلك السفر طويلا أو قصيراً، ولكن ثم أمور ليست من خصائص السفر بل تشرع في السفر والحضر فان المضطر الى أكل الميتة لم يخص الله حكمه بسفر لكن الضرورة اكثر ما تقع به في السفر فهذا لا فرق فيه بين الحضر والسفر الطويل والقصير فلا يجعل هذا معلقاً بالسفر

وأما الجمع بين الصلاتين فهل يجوز في السفر القصير ؟ فيه وجهان في مذهب أحمد أحدهما لا يجوز كمذهب الشافعي قياساً على القصر والثاني يجوز كقول مالك لان ذلك شرع في الحضر للمرض والمطر فصار كأكل الميتة انما علته الحاجة لا السفر وهذا هو الصواب ، فان الجمع بين الصلاتين ليس معلقا بالسفر وانما يجوز للحاجة بخلاف القصر

وأما الصلاة على الراحلة فقد ثبت في الصحيح بل استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي على راحلته في السفر أيّ وجه توجهت به ويوتر عليها غير انه لا يصلي عليها المكتوبة. وهل يسوغ ذلك في الحضر ؟ فيه قولان في مذهب احمد وغيره فاذا جوز في الحضر ففي القصر أولى وأما اذا منع في الحضر فالفرق بينه وبين القصر والفطر يحتاج الى دليل .

المقام الثاني

﴿ حد السفر الذي علق الشارع به الفطر والقصر ﴾

وهذا مما اضطرب الناس فيه ، قيل: ثلاثة ايام وقيل: يومين قاصدين (؟) وقيل :أقل من ذلك حتى قيل: ميل ·والذين حددوا ذلك بالمسافة منهم من قال : ثمانية وأربعون ميلا ،وقيل: ستة واربعون ،وقيل: خمسة وأربعون، وقيل أربعون ،وهذه أقوال عن مالك ، وقد قال أبو محمد المقدسي لا أعلم لما ذهب اليه الائمة وجها. وهو كما قال رحمه الله فان التحديد بذلك ليس ثابتا بنص ولا اجماع ولا قياس وعامة هؤلاء يفرقون بين السفر الطويل والقصير ويجعلون ذلك حداً للسفر الطويل ومنهم من لا يسمى سفراً إلا مابلغ هذا الحد وما دون ذلك لا يسميه سفرا فالذين قالوا :ثلاثة ايام احتجوا بقوله « يمسح المسافر ثلاثة ايام ولياليهن » وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال « لا تسافر امرأة مسيرة ثلاثة ايام إلا ومعها ذو محرم » وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال « مسيرة يومين » وثبت في الصحيح « مسيرة يوم » وفي السنن « بريداً » فدل على ان ذلك كله سفر واذنه له فى المسح ثلاثة ايام انما هو تجويز لمن سافر ذلك وهو لا يقتضي ان ذلك أقل السفر ، كما أذن للمقيم أن يمسح يوما وليلة وهو لا يقتضي ان ذلك أقل الاقامة، والذين قالوا: يومين اعتمدوا على قول ابن عمر وابن عباس والخلاف فى ذلك مشهور عن الصحابة حتى ابن عمر وابن عباس وما روي « يا أهل مكة لا تقصروا فى أقل من اربعة برد من مكة الى عسفان » انما هو من قول ابن عباس ورواية ابن خزيمة وغيره له مرفوعا الى النبي صلى الله عليه

وسلم باطل بلا شك عند أئمة أهل الحديث وكيف يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة بالتحديد وانما اقام بعد الهجرة زمنا يسيرا وهو بالمدينة لا يحد لاهلها حداً كما حده لاهل مكة وما بال التحديد يكون لاهل مكة دون غيرهم من المسلمين

وأيضا فالتحديد بالاميال والفراسخ يحتاج الى معرفة مقدار مساحة الارض وهذا أمر لا يعلمه الا خاصة الناس ومن ذكره فانما يخبر به عن غيره تقليداً وليس هو مما يقطع به والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقدر الارض بمساحة أصلا فكيف يقدر الشارع لامته حدا لم يجر به له ذكر في كلامه وهو مبعوث الى جميع الناس فلا بد أن يكون مقدار السفر معلوما علما عاما ، وذرع الارض مما لا يمكن بل هو إما متعذر وأما متعسر ،لانه اذا امكن الملوك ونحوهم مسح طريق فانما يمسحونه على خط مستو أو خطوط منحنية انحناء مضبوطا ومعلوم أن المسافرين قد يعرفون غير تلك الطريق وقد يسلكون غيرها وقد يكون في المسافة صعود وقد يطول سفر بعضهم لبطء حركته و يقصر سفر بعضهم لسرعة حركته والسبب الموجب هو نفس السفر لا نفس مساحة الارض

والموجود في كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في تقدير الارض بالازمنة كقوله في الحوض « طوله شهر وعرضه شهر » وقوله « بين السماء والارض خمسمائة سنة »[1] وفي حديث آخر « إحدى أو اثنتان

(١) هذا الحديث لا يصح قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الاحياء رواه الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب (قال) ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصر عن أبي ذر ورجاله ثقات الا انه لا يعرف لابي نصر سماع

أو ثلاث وسبعون سنة » فقيل الاول بالسير المعتاد سير الابل والاقدام والثاني سير البريد فانه في العادة يقطع بقدر المعتاد سبع مرات، وكذلك الصحابة يقولون يوم تام ويومان ولهذا قال من حده بثمانية وأربعين ميلا مسيرة يومين قاصدين بسير الابل والاقدام لكن هذا لا دليل عليه

واذا كان كذلك فنقول كل اسم ليس له حد في اللغة ولا في الشرع فالمرجع فيه الى العرف فما كان سفرا في عرف الناس فهو السفر الذي علق به الشارع الحكم وذلك مثل سفر أهل مكة الى عرفة فان هذه المسافة بريد وهذا سفر ثبت فيه جواز القصر والجمع بالسنة ، والبريد هو نصف يوم سير الابل والاقدام وهو ربع مسافة يومين وليلتين وهو الذي قد يسمي مسافة (١) وهو الذي يمكن الذاهب اليها أن يرجع من يومه وأما مادون هذه المسافة إن مسافة القصر محدودة بالمساحة فقد قيل يقصر في ميل . وروي عن ابن عمر انه قال لو سافرت ميلا لقصرت قال ابن حزم لم نجد أحداً يقصر فى أقل من ميل ووجد ابن عمر وغيره يقصرون فى هذا القدر ، ولم يحد الشارع في السفر حدا فقلنا

من أبي ذر انتهى . وأقول الحسن هو البصري الزاهد الفقيه التابعي المشهور قالوا كان يرسل كثيراً و يدلس فيروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز و يقول حدثنا وخطبنا يعني قومه . وهذا الحديث من مراسيله التي قالوا انها كالريح . وأبو نصر راوي الحديث الثاني قال البزار مخرجه أحسبه حميد بن هلال ولم يسمع من أبي ذر كما قال البزار مخرج الحديث عنه و ينبغي أن يعتد بمراسيله من يحتج بالمراسيل كالحسن لان ابن سيرين قال : كان أربعة يصدقون كل من حدثهم ولا يبالون ممن يسمعون الحسن وأبو العالية وحميد بن هلال وداود بن أبي هند . ذكر هذا الدارقطني فى سننه وسقط من بعض نسخها اسم الاخير كما فى تهذيب التهذيب

(١) بهامش الاصل : لعله مسافة الغدو ورواحه

بذلك اتباعا للسنة مطلقة ولم نجد أحداً يقصر بما دون الميل ولكن هو على أصله وليس هذا اجماعا فاذا كان ظاهر النص يتناول مادون ذلك لم يضره أن لا يعرف أحداً ذهب اليه كعادته في أمثاله وايضاً فليس في قول ابن عمر أنه لا يقصر في أقل من ذلك وأيضا فقد ثبت عن ابن عمر انه كان لا يقصر في يوم أو يومين فإما ان تتعارض أقواله او تحمل على اختلاف الاحوال والكلام في مقامين .   (للبحث بقية)

كتاب الموجز في الاجتماع

بحث علمي ديني للاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

عضو المجمع العلمي بدمشق والمؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة

﴿ تابع لما نشر في ج ٤ ص ٢٩٥ ﴾

الرابع

[مبحث الخلافة الاسلامية]

(الحكم في الاسلام أهو ثيوقراطي أو ديموقراطي ؟)

عد حضرة المؤلف الخلافة في الاسلام من النوع الثيوقراطي (قال) وهو الحكم الذي يستمد نفوذه وقوته من الله ، والقائمون بهذا الحكم باسم الله يحكمون وباسمه يتكلمون ، حتى إنهم لينزلون أنفسهم من الله في منزلة الوزراء. أه

أقول : يبدو للانسان ازاء هذه الكلمة آراء ووجوه :

(١) ان الحكم في الخلافة الاسلامية لله وحده على قاعدة العدل والمساواة بين الناس في الحقوق ، لافرق في ذلك بين الصعاليك والملوك ، قال تعالى :(إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما)

وقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) وقال (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي لا يحملنكم بغض قوم لكم أو بغضكم لهم على ألا تقيموا سنة العدل فيهم ، ثم أمرهم بالعدل الكامل الشامل للمسلمين وغيرهم على اختلاف طبقاتهم بقوله (اعدلوا) وحذف المعمول يؤذن بالعموم .

ومن هذا النوع قصة المخزومية التي أوردها المؤلف في كتابه عن الصحيحين وأنها لما سرقت أهم قريشاً أمرها ، وقال الرسول (ص) معاتبا أسامة الذي استشفع لها « أتشفع في حد من حدود الله ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فهذه الخلافة هي المثل الأعلى في حكومات الأرض ، وهي التي جرى عليها الخلفاء الراشدون من بعد ، وسأنقل عن الأستاذ المؤلف تفضيلها على كل حكومة أخرى .

(٢) لا نعرف أحداً من خلفاء المسلمين الراسخين يدعي لنفسه هذه الرتبة (ينزل نفسه منزلة الوزير من الله) أو يزعم أنه مؤيد بالعصمة ، كما هو شأن رجال هذا النوع من الحكم ، ولا نعرف فى الاسلام أقل حق يمتاز به أكبر خليفة عن أصغر واحد من الرعية ، وليس الامام الا حافظاً ومنفذاً للاحكام العادلة المأخوذة أو المستنبطة من النصوص الشرعية العامة ، تحت مراقبة أولي الأمر ، وهم أهل الحل والعقد والشورى في الاسلام ، ويبقى له هذا الأمر ، وتجب طاعته فيه ، واعانته عليه مدة استقامته كما أمر ، فاذا اعوج وجب تقويمه بالكلام أو بحد الحسام يؤيد ذلك قول عمر (رض) ان رأيتم فيّ اعوجاجاً فقوموني بألسنتكم قالوا بل نقومك بسيوفنا . فاذا لم يرجع الى الحق وجب خلعه ، مالم تترتب على ذلك مفسدة اكبر من مفسدة بقائه .

(٣) الظاهر أن المؤلف يعرض بالحكومة الاسلامية في دور التقهقر والخذلان أيام تغلغل نفوذ الاعاجم — الذين لم يرسخوا في الاسلام رسوخ أهله العرب فيه في البلدان الاسلامية باستعمال الملوك اياهم ، وفشت أخلاقهم في المسلمين ، فتعطلت أحكام الخلافة ، وعادت اسما بلا مسمى ، و لفظا بلا معنى ، وطفق المتملقون

والمستجدون من الشعراء ، يكيلون المدح لمن سموهم خلفاء المسلمين جزافا ، وانتهى الأمر باجتياح التتار بلاد المسلمين ، والقضاء على الخلافة الاسلامية العربية .

(٤) فتن كثير من الناس بما صنع الترك الكماليون من القضاء على الدولة التي كانت تنتحل اسم الخلافه واستبدال حكومة جمهورية لادينية بها ، وظنوا كما ظن زعماء الترك أن هذه الفعلة الشنعاء هي التي أورثتهم استقلالهم ، وان الاسلام هو الذي كان عثرة في سبيلهم ، وموغراً لصدور الأوربيين عليهم ، فلما وضعوا القبعة على رءوسهم وعملوا بقوانين أهلها ، زال تعصب الغربيين عنهم ، وصاروا يعاملونهم معاملة أنفسهم ، لأنهم صاروا أمة متمدنة فى نظرهم !!

والجواب من وجوه :

(الاول) : إن رئيس الجمهورية قد صرح بانهم لم ينالوا استقلالهم إلا بالقوة الحربية التي استخدموها في الدفاع عن حوزتهم . واسترداد ملكهم

(الثاني) إن المعروف أنهم انتصروا باسم الدين لا الالحاد ، وهم أثناء الحرب قد أزالوا المنكرات من بلادهم بأيديهم كالمواخير العامة والحانات وغيرهما .

(الثالث) ان الافرنج لايبغضون من الاسلام حروفه ، وانما يبغضون منه مايوجبه على أهله من الأخذ باسباب النصر ، والتماس وسائل القوة والعزة والثروة والسيادة في الارض (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * وعدا لله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) فهذه الوسائل والمقاصد يحاربها الغرب الطامع المستعبد حيثما وجدت ، وتحت أي عنوان استترت أو ظهرت ، سواء أكان اسلاما أم إلحاداً ، صلاحاً أم فساداً ، وهم الآن اذا جاملوا الكماليين فلقوتهم وبأسهم ، لا لكفرهم او فسقهم .

(الرابع) إن عمل الجمهورية على كونه فعلة شنيعة في الاسلام — مناقض للقواعد الاجتماعية ، مخالف للسنن الكونية ، بل هو ضربة قاضية على الحكومة الديموقراطية ، ذاك بانه ليس مستمداً من روح الأمة بل هو مخالف لعقيدتها وتربية دهمائها ، وقد أوقد عملها في شعبها الآمن المتدين نار الثورة ، وأثار عليها حفائظ الانتقام ، وفتح باباً لدس الدسائس الأجنبية في بلادها ، فهي تضعف

باقتتالها من حيث تطلب القوة ، وتنقسم على نفسها من حيث تريد الوحدة !!

(الخامس) إنها لو أرادت أن تتمتع وتعيش - كشعب أوربي - بالقوة والثروة والوحدة والنظام لما رأت في الاسلام ما يعارض ذلك ، بل الاسلام قد سبقها وسبق أوربة بمئات السنين اليه ، وجرى ملوك العدول أيام حضارتهم عليه . ولكنها أرادت أن تعيش كأشد شعب أوربي إيغالا في المفاسد ، وتفننا في الرذائل ، كاستباحة الابضاع والاموال وغيرهما ، وهذه من آفات المدنية المادية ، ومقطعات روابط الهيأة الاجتماعية ، وهي ما تنزهت عنه مدنية الاسلام ، وامتازت به حضارته الاخلاقية - التي أساسها العدل والفضيلة - على سائر المدنيات التي تبيح الظلم والرذائل

(السادس) إن الله تعالى قيض للاسلام حماة ودعاة في الشرق والغرب ، وتجددت دعوته بقوة في جزيرة العرب ، وبدأ ينقشع عن محياه ما تكاثف عليه من غيوم البدع والأوهام ، وما علق به من شبه الماديين وأعداء الاسلام ، فمن مرقوا منه بفتنة تفرنج أو شبهة إلحاد ، عوضنا المولى عنهم ، بمن هم خير منهم .

[الحكومة الاسلامية ديموقراطية]

وبعد هذا كله أقول إن الخلافة في الاسلام هي روح الديموقراطية الحرة ، لأنها تستمد قوانينها من كتاب الله الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ومن سنة النبي الكريم التي تبين للناس ما نزل اليهم من ربهم

ومن مميزات هذه الحكومة الاسلامية على سائر الحكومات النيابية المدنية أن قوانينها مبنية على النصفة والعدل ، « لا ضرر ولا ضرار » بخلاف هذه القوانين التي تبيح كثيراً من الضرر بالنفس والعقل والعرض والمال

ومن مميزاتها الرجوع عند تنازع أولي الحل والعقد الى كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وهما الاصلان اللذان تسلم الامة لحكمها تسليما ، والقول في كل قضية لمن كان أصح دليلها ، وأهدى سبيلا ، وأدنى في حكمه الى

المصلحة العامة ، بخلاف المجالس القانونية التي كثيراً ما تحكم الاكثرية فيها بما تملي عليها المصلحة الخاصة أو الهوى ، وتخالف الحق الصريح مخالفةظاهرة ، فلا هي معتقدة بصحة حكمها ، ولا الاقلية المنصفة مقتنعة بفسادرأيها ، ولكنها تكون مغلوبة للاكثرية

قال الاستاذ الامام فى كتاب الاسلام والنصرانية : « ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (كراتيك) أي سلطان إلهي، فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله ، وله حق الاثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة ، لا بالبيعة، وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة ، بل بمقتضى الايمان (إلى أن قال)

« يقولون إن لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني ، أفلا يكون للقاضي أو المفتي أو شيخ الاسلام ؟ وأقول ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الاحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الاسلامي » اه

وقال عالم الاسلام السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار الاغر في كتابه (الخلافة أو الامامة العظمى) ص ٩١ : ان صحفنا العربية تصرح في هذا العهد آنا بعد آخر بان أحدث أصول التشريع هو أنه حق للأمة ، ويظن هؤلاء الذين يكتبون هذا، وأكثر من يقرءون كلامهم أن هذا الاصل من وضع الافرنج ، وأن الاسلام لا تشريع فيه للبشر ، لان شريعته مستمدة من القرآن ، والاحكام المدنية والسياسية فيه قليلة محدودة ، ومن السنة ، - والزيادة فيها على ما فى القرآن قليلة ، ومناسبة لحال المسلمين في أول الاسلام ، دون سائر الازمنة ولا سيما زماننا هذا ، وأن الاجماع والاجتهاد - على استنادهما الى الكتاب والسنة قد انقطعا ، وأقفلت أبوابهما باعتراف جماهير علماء السنة في جميع الاقطار الاسلامية ، وأن هذا هو السبب في تقهقر الحكومات الاسلامية المتمسكة بالشريعة الدينية ، واضطرار الحكومتين المدنيتين الوحيدتين التركية والمصرية الى استبدال بعض القوانين الافرنجية بالشريعة الاسلامية تقليداً ثم تشريعاً !! » ثم بين منشأ هذا الغلط

العظيم ، وساق أدلة الاشتراع في الاسلام بنحو ثلاث صحائف (ثم قال) :

« فتبين بهذا ان للاشتراع المدني والجنائي والسياسي والعسكري دلائل كثيرة منهـا قواعد الضرورات ونفي الحرج ، ومنع الضرر والضرار ، فلو لم ينص في القرآن على ان أمور المؤمنين العامة شورى بينهم ، ولو لم يوجب طاعة أولي الامر بالتبع لطاعة الله وطاعة الرسول ، ولو لم يفرض على الامة رد هذه الامور اليهم ويفوض اليهم أمر استنباط أحكامها ، ولو لم يقر النبي (ص) معاذاً على الاجتهاد والرأي فيما يعرض عليه من القضايا والاحكام ، التي لا نص عليها في كتاب الله ولم تمض فيها سنة من رسوله ـ لو لم يرد هذا كله وما في معناه ـ لكفت الضرورة أصلا شرعياً للاستنباط الذي يسمى في عرف هذا العصر بالتشريع . ووراء هذا وذاك عمل الامة في صدر الاسلام ، وخير القرون ، وكذا ما بعدها من القرون الوسطى التي خرجت فيها الخلافة الكافلة للأمور العامة عن منهج العلم الاستقلالي فزالا معاً لتلازمهما اه »

ومن أراد تحقيق كون حكومة الخلافة في الاسلام أعدل حكومات الارض وأفضلها فعليه بمراجعة كتاب الخلافة أو الامامة العظمى الذي أثرنا عنه هـذه الكلمة ، وكتاب (نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم ، لمؤلفه العلامة الخليل السيد محمد الخضر التونسي ، فانهما من خير ما أخرج للناس في هذا العصر .

الخامس

مبحث الدين والعلم

قال صاحب (الموجز) ص ٧٢ : وعلى رجال العلم ألا يتقيدوا فيما يذهبون اليـه بشيء من عوامل الدين والسياسة ، بل بما توحيـه اليهم معارفهم ، وبمـا توصلهم اليه مساعيهم ، اه

أقول : لايخفى أن دين الحق لايصادم العلم الصحيح ، ولا يمنع أهـله من الاستفادة من نتائج قرائحهم ، وثمرات معارفهم ، بل يدعو إلى الاستزادة من العلم والتحقيق فيه ، ولـكنه والعقل الصحيح يأبيان أن تتخذ المذاهب العلمية

المتضاربة ، والآراء الكثيرة المتباينة ، أصولا صحيحة ثابتة يرجع اليها ، ويعتمد عليها ، ويجعل كل ذي مذهب ، أو رأي مذهبه ، أو رأيه قاعدة يحاول رد ماهو أقوى حجة منها اليها ، ومعلوم أن عوامل السياسة التي تعتمد الكذب لاتستوي مثلا مع تعاليم الدين التي توجب الصدق في كل شيء ايجابا لاهوادة فيه .

واذكر أني قرأت عن اللورد هدلي الانكليزي تصريحه بأن سبب اسلامه هو أنه ظهر له أن الآيات الكونية في القرآن لاتنبني إلا على أساس صحيح (قال) واذا اختلف القرآن مع العلم في شيء فيجب علينا أن نعترف للقرآن بالصحة وأن معلوماتنا قاصرة بعد ، وننتظر الزمن الذي تجيء فيه القضية العلمية موافقة للتعاليم الاسلامية ، وضرب لذلك مثلا فقال : قضى الناس أجيالا وهم يحكمون بدوران الشمس حول الارض التي زعموا أنها ثابتة ، ثم عكسوا القضية وحكموا بدوران الارض حول الشمس ، وأن هذه هي الثابتة ، ثم صح عند العلماء المتأخرين أن للشمس أيضاً حركة محورية . (قال) والقرآن الكريم الذي كانوا يخطئونه بأحكامهم الباطلة قد صرح بحركة الارض ، وحركة الشمس المحورية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا قال تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) وقال سبحانه (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) اه

على أن علماءنا قد صرحوا بأن النص الديني اذا خالف قاعدة قطعية وتعذر الجمع بينهما أول النص بما ينطبق على العلم ، ويتفق مع العقل [1]

---

(١) المنار : قد بين شيخ الاسلام ابن تيمية بطلان هذه القاعدة وأثبت أن القطعي هو الذي يرجح على غير القطعي سواء كان دينيا أو عقليا وان القطعيان لايتعارضان

السادس

معنى كون الشرع صالحاً لكل جيل في كل زمن

قال صاحب (الموجز) : وكما أنه لاسبيل إلى وضع شرع دفعة واحدة ، فكذلك لاسبيل إلى أن يختم عليه بعد وضعه فيقال : هذا هوالشرع الذي يصلح لكل جيل في كل زمن »

أقول : المراد يدفع الايراد ، وهنا يحسن بي جداً أن أوثر كلمة عن كتاب (الخلافة) لحجة الاسلام في هذا العصر ، منشيء المنار الاغر ، وأخرى عن رسالة (القضاء في الاسلام) لصديقنا الاستاذ الكريم مؤلف (الموجز) وكلتاهما في بيان المراد من كون الاسلام صالحاً لكل جيل في كل زمن ، وهو قول الامة بالاجماع ، قال في كتاب الخلافة باختصار :

(الاسلام هداية روحية ، وسياسة اجتماعية مدنية ، فأما الهداية الدينية المحضة فقد جاء بها تامة أصلا وفرعا ، وفرضاً ونفلا ، وأما السياسة الاجتماعية المدنية ، فقد وضع الاسلام أساسها وقواعدها ، وشرع للامة الرأي والاجتهاد فيها ، لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وترتقي بارتقاء العمران ، وفنون العرفان ، ومن قواعده فيها أن سلطة الامة لها ، وأمرها شورى بينها ، وأن حكومتها ضرب من الجمهورية ، وخليفة الرسول فيها لايمتاز في أحكامها على أضعف أفراد الرعية ، وانما هو منفذ لحكم الشرع ورأي الامة ، وأنها حافظة للدين ومصالح الدنيا ، وجامعة بين الفضائل الادبية والمنافع المادية ، وممهدة لتعميم الاخوة الانسانية ، بتوحيد مقومات الامم الصورية والمعنوية ، ولما طرأ الضعف على المسلمين قصروا في اقامة القواعد وضعف الاصول ، ولو أقاموها لوضعوا في كل عصر مايليق به من النظم والفروع اه

وقال الاستاذ عارف بك في آخر رسالة القضاء والاسلام مايأتي :

«إن أهل العصر الحاضر يزعمون هذا الشرع غريباً عن قضايا العقوبات جملة — دع الاصول الحديثة — بعيداً عن روح العدل في هذا الباب ، على حين

رأيتم مابينهما من الصلة والعلاقة . ولو أنه أتيح لهذه الشريعة خلف سار على سنة ذلك السلف ، لانفردت عن الاشباه ، وتنزهت عن النظائر ، وهو وإن كان شرعا اسلامياً فقد كفل العدل والنصفة لكل من نزل على حكمه مسلماً كان أو غير مسلم

«لهذا وأمثاله لقبت هذه الشريعة بالسمحة ،وهذه هي المفاخر الصحيحة التي يعرفها التاريخ الحق، لا تلك البدع العريقة بالوهم، فاذا استفاق الخلف، واقتفى سنة السلف ، ونبذ القشور ، وعاد إلى اللباب ، فقد عاد إلى هذا الوطن عصره الاول، الاغر المحجل»

وأقول إن أئمة الاصلاح الاسلامي في هذا العصر عاملون على تحقيق هذا المطلب الخطير ، ومريدوهم في كل قطر جارون على طريقتهم فيه ، وقد بدت ثمرة الاصلاح، وظهرت بوارق النجاح، وأقرب طريق وأفضله فيما نرى الوصول إلى هذه الغاية النبيلة - أي عود العصر الذهبي - عصر السلف الصالح هو احياء طريقتهم المثلى التي نالوا بها ما نالوا ، وهي أن يكون مؤلفو العلوم والفنون ومدرسوها منا متشبعين بالروح الاسلامية ، متضلعين بالعلوم الشرعية، لكيلا يقع في درسهم وبحثهم مايوقع الانشقاق بين العلم والدين، وتسوء به حالة المتعلمين وأن يكون لرجال الدين مشاركة في العلوم الكونية لئلا يحسبوا النافع منها ضاراً أو المؤيد للدين مخالفاً له ، فيحاربون العلم باسم الدين ، فيسيئون إلى أمتهم ودينهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

كتبت هذه الكلمة ومكتبتي -- مخطوطها ومطبوعها — بعيدة عن عيني ، وزند الاسى والأسف ينقدح في صدري، بما أصاب الشام من الكوارث العظمى ، لاسيما كارثة الميدان ، التي تشيب لهولها الولدان ، ولكن لم يسعني إلا امتثال أمر الاستاذ العارف ، الذي تفضل عليّ باهداء مؤلفه الجليل ، وأمرني بكتابة كلمة فيه ، فجعلت كلمتي خدمة للعلم والدين ، وتوحيداً لافكار الناشئين المتعلمين (ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

وأرجو العفو عن التقصير فان الفكر سابح في وادي حالة البلاد ، والقلب معذب بما أصاب العباد ، ونسأله سبحانه كشف البلاء ، وتحقيق الرجاء بمنه وكرمه

وقد فرغت من كتابتها يوم الجمعة ٢٥ شوال سنة ١٣٤٤

دمشق محمد بهجت البيطار

الصحة

تأليف ترجمة
زعيم الهندوس الاكبر الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
مهاتما غاندى المليح آبادى



القسم الثاني

الباب الاول

— العلاج بالهواء —

قد فرغنا الآن من البحث في أساسات الصحة وأصولها وكذلك من طرق صيانتها والمحافظة عليها . ولو أن جميع الناس ـ رجالا ونساء ـ يخضعون لقوانين الصحة ويتمسكون بالتجرد التام ، لاتبقى أي حاجة للابواب الآتية لأنهم يكونون في مأمن من جميع الأمراض والاوصاب سواء في أجسامهم أو عقولهم . ولكن أين نجد هؤلاء الناس ؟ وأين الذين لايصابون بالأمراض ؟ وعلى كل فانا كلما نعتني بالتمسك في الأصول التي دونت في هذا الكتاب، فالاغلب أننا نسلم من الأمراض ، ولكن ان أصابنا مرض فيجب أن نعالجه باهتمام ، والابواب الاتية تبين كيفية العلاج بدون الاستعانة بالطبيب .

ان الهواء النقي كما هو لابد منه لصيانة الصحة ، كذلك لاغنى عنه في معالجة الأمراض ، فالمصاب بالنقرس مثلا إذا عولج بالبخار الساخن يعرق بكثرة وتلين أعصابه وتستريح مفاصله . وهذا القسم من علاج البخار يسمى « الاستحمام التركي »

ومن كان يشكو حمى شديدة فليجرد من ملابسه ويلقى في الهواء الطلق ، تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة بينة ، وعند مايحس بالبرد فيلفلف في ثوب فيعرق حالا وتزول الحمى سريعا .

ولكن مانفعله عادة هو على عكس ذلك تماما ، حتى إنا نمنع المريض من البقاء في الهواء الطلق ولو أراده بنفسه ، ونغلق عليه جميع أبواب حجرته ونوافذها ونغطي جميع جسده مع رأسه وأذنيه باللحف والاغطية . فتكون النتيجة أن المريض يجزع فيزداد ضعفاً عن مقاومة مرضه ، ينبغي أن نفهم أنه ان كان سبب الحمى شدة الحر فالعلاج بالهواء الذي ذكر آنفاً غير مضر أصلا ويشعر بتأثيره حالا ، نعم يجب الاحتراس لئلا تأخذ المريض القشعريرة في الهواء المطلق ، فان كان لا يستطيع البقاء عاريا فيجوز تغطيته جيداً بالدثار .

ان تغيير الهواء علاج مفيد للحمى المزمنة وغيرها من الأمراض ، فالعادة العامة التي جرت بتغيير الهواء ليست الا عملا بأصول العلاج الهوائي ، وكثيراً مانغير محل اقامتنا متوهمين أن البيت الذي تعاوده الامراض محل الارواح الشريرة هذا وهم محض . إن « الارواح الشريرة » الحقيقية في مثل هذه الاحوال انما هي الهواء الفاسد في داخل البيت ، إن تغيير البيت يتبعه تغيير للهواء ، وهذا هو الذي يدفع المرض . إن العلاقة بين الصحة والهواء قوية جداً حتى إن التغيير القليل له يؤثر حالا تأثيراً رديئاً أو حسنا ، يستطيع الأغنياء أن ينتقلوا إلى أماكن بعيدة وأما الفقراء فكذلك يستطيعون الانتقال من قرية إلى قرية ، أو على الأقل من بيت الى بيت ، بل إن تغيير حجرة بحجرة في البيت نفسه كثيراً ماينفع المريض نفعا محسوساً ، ولكن تجب مراعاة الأحوال ليكون للتغيير نفع حقيقي ، فالمرض الذي سببه الهواء الرطب مثلا لايمكن علاجه بالانتقال إلى محل رطب ، وبما أن الناس لايهتمون بمثل هذه الاحتياطات البسيطة الاهتمام الكافي لذلك لايجدي تغيير الهواء نفعا في اكثر الاحيان .

إن هذا الباب قد احتوى على بعض الأمثلة البسيطة لاستعمال الهواء علاجا للأمراض ، وقد مر في القسم الأول من الكتاب باب يبين قيمة الهواء النقي للصحة ، ولذا أرجو من قرائي أن يقرأوا البابين معاً .

الباب الثاني

— العلاج بالماء —

إن الهواء غير منظور ، فنحن لا ندرك تأثيره العجيب . ولكن عمل الماء وتأثيره الصحي يمكن ادراكه وفهمه بسهولة .

يعرف جميع الناس شيئاً من استعمال البخار وسيلة صحية ، وكثيراً ما نستعمله في الحميات ونعالج به وحده الصداع الشديد . وكذلك المصاب بأوجاع وما يعتري في المفاصل يشعر بالراحة السريعة عند استعمال البخار وإتباعه استحماماً بارداً . والدمامل والقروح لا تبرأ بمجرد وضع المرهم أو الدهان عليها ، ولكنها تشفى تماما باستعمال البخار

ثم إن الاستحمام الحار أو الاستحمام بالماء الحار يتبعه مباشرة الاستحمام البارد مفيد جداً في التعب الشديد . وكذلك النوم في الهواء المطلق بعد الاستحمام البخاري يصحبه استحمام بارد نافع جداً في الارق .

إن الماء الساخن يصح استعماله دائما كبدل للبخار ، واذا أصيب الانسان بوجع شديد في بطنه ، يشفيه حالا تدفئة البطن بقنينة مملوءة بماء مغلي توضع فوق قماش غليظ على البطن ، وإذا ما أريد التقيء فيمكن ذلك بشرب كمية وافرة من الماء الساخن ، إن الذين يشكون الامساك يستفيدون كثيراً بشربهم كوبة من الماء الساخن ، إما وقت النوم في الليل أو بعد تنظيف الاسنان صباحا مباشرة .

أن سيرجوردن سبرنج Sir Gordon Spring قد عزى صحته الجيدة الى تعوده شرب كوبة من الماء الساخن يومياً قبيل النوم في الليل وبعد اليقظة صباحا ، ان كثيراً من الناس لا تلين معدتهم إلا إذا شربوا الشاي صباحا فيعتقدون حتماً أن الشاي هو الذي أحدث هذا التأثير ، مع أن الشاي وحده مضر في الحقيقة . وانما الذي أثر هــذا التأثير هو الماء الساخن في الشاي ؛ فهو الذي يلين المعدة ويزيل الامساك .

قد اخترعت أرجوحة تستعمل عادة للاستحمام البخاري ، ولكنها ليست ضرورية جداً بل يصح أن يوقد « وابور » من الاسبرتو أو الغاز أو كانون من

الوقود أو الفحم تحت كرسي اعتيادي من الخيزران ، ويوضع فوق الموقد قدر مملوء بالماء مغطى بغطاء وينشر فوق الكرسي رداء أو دثار بحيث تنزل أطرافه الى الى الامام لتقي المريض من حر النار ، ثم يقعد المريض على الكرسي ويلف في رداء أو دثار ، وعند ذلك يرفع غطاء القدر بحيث يكون المريض معرضا للبخار الذي يتصاعد منه ، أما ما تعودناه من تغطية رأس المريض فهو احتياطي غير ضروري ، إذ حرارة البخار تتصاعد من طريق الجسم الى الرأس وتسبب عرقا كثيراً في الوجه ، وإن كان المريض ضعيفا جداً بحيث لا يستطيع القعود ، فحينئذ يصح أن يضجع على سرير ذي فتحات وفرجات ولكن يحترس أن لا يذهب شيء من البخار سدى ، وكذلك - كما لا يخفى - يجب الاحتياط لئلا تصل النار ملابس المريض أو دثاره ، وكذلك تجب المراعاة التامة لحالة صحة المريض ، لان استعمال البخار بدون مبالاة يخشى منه الخطر أيضاً ، ان المريض لا بد من أن يشعر بضعف بعد هذا الاستحمام البخاري ولكن ضعفه لا يلبث أن يزول .

ان الا كثار من استعمال البخار يضعف البنية على كل حال ، ولذلك لا ينبغي أن يستعمل الا لضرورة شديدة ، والبخار كما يستعمل للجسد كله كذلك يصح استعماله لجزء خاص منه ، فمثلا اذا استعمل في الصداع فلا احتياج الى عرض سائر الجسم له بل يوضع الرأس وحده فوق قدر صغير الفم مملوء بماء فاتر ويلف عليه قماش ثم يستنشق البخار بالانف ليتصاعد الى الرأس : واذا كانت المناخر مسدودة فهي تنفتح بهذا العمل ، وهكذا ان تورم عضو من الجسم فهو وحده يعرض للبخار .

قليل من الناس يعرفون القيمة الصحية للماء البارد ، مع أنه في الحقيقة أنفع في هذا الباب من الماء الساخن . ويمكن أن يستعمله حتى أضعف الناس بنية ، فالتلفف بثوب مبلول بالماء البارد نافع جداً في الحمى والجدري والامراض الجلدية ويمكن لجميع الناس استعماله بدون أدنى خطر . ان الدوار والهتر (جنون الحمى) يمكن دفعه حالا بلف ثوب مبلول في ثلج مذاب على الرأس. والذين يشكون الامساك ينفعهم جداً لف ثوب مبلول بثلج مذاب على البطن لحين من الزمن

وكذلك يمكن منع كثرة الاحتلام فى أكثر الاحيان بهذه الطريقة نفسها

إن نزف الدم من أي عضو كان يمكن منعه باستعمال ثوب مبلول بماء بارد مثلج وكذلك الرعاف يمنع بصب الماء البارد فوق الرأس ، ان أمراض الانف الزكام والصداع يمكن معالجتها باستنشاق الماء البارد من الانف ، ويمكن استنشاقه بمنخر واخراجه بمنخر آخر أو يستنشق بمنخرين معاً ويخرج من الفم . ولاضرر من وصول الماء إلى المعدة إن كانت المناخر نظيفة . ان هذه أحسن طريقة لجعل المناخر نظيفة دائما . وأما الذين لا يستطيعون استنشاق الماء بالمناخر فيجوز لهم أن أن يستعملوا الحقن ولكنهم يتعلمون بسعي قليل كيفية الاستنشاق بسهولة ، بل يجب على جميع الناس أن يتعلموها لانها سهلة ونافعة جداً للصداع والرائحة الخبيثة في الانف وكذلك لازالة الاوساخ في مجرى الانف

يخاف كثير من الناس من استعمال الحقنة ، بل يزعم بعضهم أن الجسم يضعف به ، ولكن هذه المخاوف ليست إلا وهمية ، ليس هناك طريقة للاسهال القوي أكثر تأثيراً من هذه الطريقة ، وقد ثبت نفعها العظيم في كثير من الامراض حينما لم تجد غيرها من المعالجات . ولا عجب فهي تنظف الاحشاء تماما وتمنع تراكم المواد السامة فيها . ان الذين يتأذون من الاوجاع الروماتيزمية أو سوء الهضم أو الاوجاع من سوء حالة الاحشاء الصحية ينبغي لهم أن يحقنوا برطلين من الماء فيرون تأثيره السريع القوي . قال أحد الكتاب في هذا الموضوع إنه كان يشكو مرة سوء هضم مزمن واستعمل جميع الادوية سدى وعبثاً فنحل جسمه بذلك . ولكن حقنة الماء ردت اليه شهية الطعام وشفته من دائه في بضعة أيام ، حتى إن بعض الامراض مثل اليرقان يمكن معالجتها باستعمال حقنة الماء . إن الذي يستعمل الحقنة أحيانًا كثيرة يجب أن يستعمل الماء البارد ، لان الماء الحار ربما يضعف البنية بتكراره .

ان الدكتور الالماني لويس كوهن Louis Kuhne قد حكم أخيراً بعد التجارب المتوالية بأن العلاج المائي نافع في جميع الامراض ، وقد نالت كتبه في الموضوع قبولا عاما حتى إنها ترجمت إلى جميع لغات العالم تقريبًا ومن جملتها

بعض اللغات الهندية . قال هذا الدكتور : ان البطن هو بيت الادواء كلها، فاذا كثرت الحرارة في البطن كثرة زائدة، تجلت على الجسم في صورة الحمى والروماتيزم والقروح والبثور وغيرها من الامراض . إن منافع العلاج المائي قد عرفها قبل كيوهن بكثير أناس عديدون ، ولكنه هو أول من قال بأنه أصل مشترك لجميع الامراض . لسنا مجبورين على أن نسلم بآرائه كلها على علاتها ، ولكن الحقيقة التي لامراء فيها هي أن أصوله وطرقه قد ثبت نجاحها في كثير من الامراض . واني أذكر لذلك مثالا واحداً من أمثلة كثيرة قد اختبرتها بنفسي وذلك في مصاب بروماتيزم شديد جداً ، فقد حصل له الشفاء التام بطريقة كيوهن بعد أن خابت جميع المعالجات الاخرى .

قال الدكتور كوهن : ان حرارة البطن تزول باستعمال الماء البارد ، وعلى ذلك أكد غسل البطن وماحوله من الاعضاء بماء بارد جداً . ولتسهيل الغسل قد اخترع نوعا خاصاً من المغاسل من الصفيح ، ولكنها ليست بلازمة ، إذ قصاع الصفيح الهلالية الشكل في مقادير مختلفة لأناس مختلفي القامات التي تباع في أسواقنا تقوم مقامها تماما ، يجب أن يملأ (ثلاثة أرباع) من القصعة بالماء البارد ويجلس فيها المريض بهيئة تبقى معها رجلاه وجسمه الاعلى خارج الماء ويبقى وسطه من الفخذ إلى مافوق البطن في داخله ، والاحسن أن تسند الرجلان على كرسي قصير ويجلس المريض في الماء عاريا بالمرة : وإن كان يحس بالبرد فيغطي رجليه وجسده الاعلى برداء وإن لبس القميص فليبق القميص خارج الماء بالمرة ، يجب أن يكون هذا الغسل في مكان طلق حيث يكثر الهواء النقي والنور ، ثم يفرك بطنه بنفسه أو غيره بخرقة خشنة من خمس الى ثلاثين دقيقة أو أكثر . فيرى نفع هذه العملية حالا في أكثر الاحوال . ففي الروماتيزم مثلا يأخذ الريح في الخروج حالا في صورة الجشاء وغيره . أما في الحمى فتنزل الحرارة درجة أو درجتين ، وتتنظف الاحشاء بهذه العملية تماما ويزول التعب ، وإن كان يشكو الارق يحل محله النوم وإن كان النعاس والارتخاء فيأخذ مكانه اليقظة والنشاط .

لاتعجب من اختلاف النتائج ، لانه ليس في الحقيقة أمراً عجيباً كما يظهر ،

وذلك لان قلة النوم وكثرته علتهما واحدة . وكذلك الدوسنطاريا والامساك الذين هما نتيجة لسوء الهضم يعالجان بنفس هذه الطريقة . والبواسير المزمنة يمكن معالجتها أيضاً بهذا الاستحمام مع ترتيب حسن في الغذاء . والذين يشكون كثرة البصاق الدائم يجب أن يسرعوا حالا إلى هذا العلاج . وكذلك المصابون بالضعف يتقوون بهذه الطريقة ، وقد عولج بها حتى الروماتيزم المزمن فشفي تماما وهو كذلك علاج مؤثر في النزف الدموي والصداع وتسمم الدم ، وقد قال عنه كيوهن إنه علاج ثمين حتى للسرطان والحامل التي تستحم هذا الاستحمام بنظام تجد الوضع سهلا . والحاصل أنه يمكن لجميع الناس بدون استثناء في العمر والجنس الاستفادة به .

وهنالك نوع آخر من الاستحمام يسمى « ويت - شيت — باك » (Wet – Shet-Pack) وهو علاج نافع دائما للامراض المختلفة وطريقته كما يلي:

يوضع سرير أو كرسي يمكن نوم المريض فيه براحة تامة في هواء طلق وينشر فوقه نحو أربع بطانيات كبيرة يتدلى طرفا من جانبيه أو اكثر أو أقل حسب حالة الجو وتنشر فوقها ملاءتان بيضاوان مغموستان في الماء البارد وتوضع المخدة تحت البطانيات في طرف من السرير ، وعند ذلك يجرد المريض من ثيابه (إلا إزار صغير في وسطه إن كان يريده) وينام على الملاءتين مع بسط يديه حذاء جنبيه وعند ذلك تلف الملاءتان ومن فوقها البطانيات على جسمه مع الاعتناء برفع الاطراف النازلة جهة الرجل حتى تغطيها جيداً ، وإن كان المريض متعرضاً للشمس يوضع ثوب مبلول فوق رأسه ووجهه مع ترك الانف مكشوفا دائما ، فيشعر المريض في أول الامر ببعض القشعريرة ولكنها لاتلبث أن تزول ويحل محلها الشعور بحرارة لذيذة فيبقى في هذه الحالة من خمس دقائق إلى ساعة أو أكثر ، وبعد مدة يتصبب العرق من جسمه ويغرق هو في النوم في أكثر الاحوال، وعقب خروجه من هذه اللفائف يجب أن يغتسل بالماء البارد . وهذا علاج ناجع للجدري والحمى والامراض الجلدية مثل الجرب ، والقوباء ، والنفاطات ، والدمامل ، حتى ان أقبح أنواع الحصبة والجدرى يشفى به تماما . ويمكن لسائر الناس أن يتعلموا بسهولة

استحمام « ويت ـ شيت ـ باك » بأنفسهم ويصفونه لغيرهم وهكذا يرون بأنفسهم تأثيره العجيب ، وبما أن الدنس كله ينتقل من الجسم إلى الملاءة السفلى الملاصقة للبشرة يمتنع أن تستعمل ثانياً بدون غسلها جيداً في ماء فاتر .

لا احتياج إلى التذكير بأن الفائدة التامة من هذه الاستحمامات لا يمكن أن تحصل إلا بعد مراعاة الاصول التي ذكرت فى أبواب الغذاء والرياضة وغيرها مراعاة تامة . فان كان المصاب بروماتيزم مثلا يستحم استحمام كيوهن أو استحمام ويت — شيت — باك ، ولكن يأكل غذاء رديئاً ويعيش في هواء فاسد ويعرض عن رياضته فلا ينال أي فائدة من الاستحمام ؟ إن المراعاة التامة لجميع قوانين الصحة هي التي تجعل العلاج المائي نافعاً ناجعاً بلا ريب وإلا فلا .

مذكرات موءتمر الخلافة الاسلامية (*)

﴿ باقي محضر الجلسة الرابعة ﴾

تقرير

اللجنة التي ألفها المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر بجلسته المنعقدة في ٣ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ ـ ١٥ مايو سنة ١٩٢٦ للنظر في المسائل الثلاث الأخيرة من برنامج المؤتمر

انعقدت اللجنة المشكلة بقرار المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر الصادر في ٣ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ (١٥ مايو سنة ١٩٢٦) بدار المعاهد الدينية التابعة للجامع الأزهر الشريف بالحلمية الجديدة في يوم الاحد ٤ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ (٦ مايو سنة ١٩٢٦) لبحث المواد الرابعة والخامسة والسادسة من برنامج المؤتمر وباشرت عملها في جلستين إحداهما قبل الظهر والثانية بعد الظهر من اليوم المذكور وكان محمد شكري رجب أفندي كاتباً لها . وقد كانت منعقدة

(١) منقول عن « محاضر » مؤتمر الخلافة التي نشرتها سكرتارية المؤتمر

من جميع حضرات أعضائها ماعدا السيد محمد الصديق مندوب مراكش والسيد الميرغني الادريسي لغيابهما . وبعد البحث والمداولة قررت مايأتي

أولا — أن يكون حضرة صاحب الفضيلة والسماحة السيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية رئيساً للجنة

ثانياً — أن يكون حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عطاء الله الخطيب أفندي مندوب العراق مقرراً للجنة

ثم تذاكرت في المسائل الأخيرة من برنامج المؤتمر مسألة مسألة وقررت مايأتي :

أولا — المسألة الرابعة (هل يمكن الآن ايجاد الخلافة المستجمعة للشروط الشرعية)

قررت اللجنة فيها مايأتي

ان الخلافة الشرعية المستجمعة لشروطها المبينة فى تقرير اللجنة العلمية (الذى أقره المؤتمر فى الجلسة الرابعة) والتي من أهمها الدفاع عن حوزة الدين فى جميع بلاد المسلمين وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء فيها لايمكن تحققها بالنسبة للحالة التي عليها المسلمون الآن

ثانيا — المسألة الخامسة . (اذا لم يكن من الميسور ايجاد هذه الخلافة فما الذي يجب أن يعمل)

قررت اللجنة فيها مايأتي :

ان مركز الخلافة العظمى في نظر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وفي نظر أمم العالم جميعا(له)من الاهمية الكبرى ماجعله من المسائل التى لايمكن البت فيها الآن للأسباب المذكورة . لما يجب أن يراعى فى حل مسألتها الحل الذي يتفق مع مصلحة المسلمين فى الحاضر والمستقبل . من أجل هذا تقرر مايأتي :

تبقى هيئة المجلس الاداري لمؤتمر الخلافة الاسلامية بمصر على أن ينشيء له شعبا في البلاد الاسلامية المختلفة يكون على اتصال بها لعقد مؤتمرات متوالية فيها حسب الحاجة للنظر فى تقرير أمر الخلافة الاسلامية النظر الذي يتفق

مع مركزها السامي (١)

ثالثاً — المسألة السادسة : (اذا قرر المؤتمر وجوب نصب خليفة فما الذى يتخذ لتنفيذ ذلك) قررت اللجنة فيها ما يأتي :

حيث ان المادة المذكورة معلقة على قرار المؤتمر فلم تر اللجنة ضرورة للبحث فيها للأسباب المذكورة في قرار اللجنة بالمادة السابقة

ثم ختمت الجلسة حيث كانت الساعة الرابعة والنصف مساء على أن تجتمع في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى

امضاءات الاعضاء		رئيس اللجنة
محمد مراد	عطاء الله الخطيب	عبد الحميد البكرى
أبو بكر جميل الدين	يعقوب شنكوفتش	امضاء
محمد الصالحى	عبد الله أحمد	
محمد ادريس السنوسي	عناية الله خان	

لجنة بحث المسائل الثلاث الاخيرة

من برنامج المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر

انعقدت اللجنة المؤلفة لبحث المسائل الثلاث الاخيرة من برنامج المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر المرة الثالثة الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٥ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ (١٧ مايو سنة ١٩٢٦) فى دار المؤتمر برياسة حضرة صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري ، وبحضور حضرات أصحاب الفضيلة والسعادة أعضائها ماعدا حضرات السيد محمد الصديق والسيد الميرغني الادريسي والحاج عبد الله احمد لغيابهم

وبحضور محمد شكري رجب افندي الكاتب المكلف بتدوين قراراتها

(١) لو أن السكرتير العام قدم للجنة اقتراح صاحب المنار على المؤتمر أن يقرر السعي لتكوين جماعة أهل حل وعقد فى كل قطر اسلامي لرجونا أن تقرره اللجنة ولكن السكرتير كتم الاقتراح وقد نشر فى المنار وغيره

فتلي محضر الجلستين الماضيتين فوافقت عليه اللجنة كما هو . ثم نظرت فيما يأتي:

أولا — الاقتراح المرفوع اليها من سكرتارية المؤتمر بناء على قرار لجنة الاقتراحات والابحاث والخطب . وهو مقدم من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ خليل الخالدي (ومرافق لهذا) فقررت اللجنة ان موضوعه داخل فى ابحاث المؤتمرات التي ارتأت اللجنة انعقادها للبحث في تقرير أمر الخلافة

ثانياً — في وضع تقرير يشمل بيان الاسباب والاعتبارات التي بنت عليها رأيها في المسائل الثلاث الاخيرة المبينة في برنامج المؤتمر

وبعد البحث والمداولة قررت اللجنة وضع هذا التقرير بالصورة الآتية .

(تتشرف اللجنــة المشكلة للنظر في المسائل الثلاث الاخيرة من برنامج المؤتمر برفع تقريرها ببيان الاعتبارات التي بنت عليها رأيها في المسائل المحولة اليها ليقرر المؤتمر ما يراه . ورأيه مقرون بالتوفيق إن شاء الله

ان للخلافة شأناً عظيما بين المسلمين وكان ذلك الشأن بارزاً بكل ما يتصور من مجد وعظمة أيام الخلفاء الراشدين ، وأيام كانت كلمة المسلمين متحدة وآمالهم متجهة نحو جهة واحــدة من اعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه ، ورفع شأن الاسلام والمسلمين إلى أن ظهر الضعف فيهم ، وتضاءل نفوذ الخلافة فأصبحت عبئاً ثقيلا على من يتحملهـا حتى إن الاتراك نبذوها بدلا من أن يروها عماداً عظيما يبنون عليها مجدهم ، ومسنداً هاما يسندون اليـه ظهورهم ، وعلى أثر ذلك اجتمعت هيئة كبار علماء مصر وأصدرت قرارها المعروف بشأن الخلافة فأثارت بذلك مسألة البحث فيها من جميع نواحيها

ولقد اشتمل قرار العلماء على أن الامام يحوط الدين وينفذ أحكامه ويدبر شؤون الخلــق على مقتضى النظر الشرعي وعلى أنه صاحب التصرف التام في شؤون الرعية وأن جميع الولايات تستمد منه . فعلم من ذلك أن أهم الشروط فى الخليفة أن يكون له من النفوذ ما يستطيع معه تنفيذ أحكامه وأوامره ، وأن يدافع عن بيضــة الاسلام وحوزة المسلمين طبق أحكام الدين

وهل من الممكن الآن قيام الخلافة الاسلامية على هذا النحو ؟ إن الخلافة الشرعية بمعناها الحقيقي انما قامت على ماكان المسلمين فى الصدر الأول من وحدة الكلمة واجتماع الممالك مما جعل الاسلام كتلة واحدة يأتمر بأمر واحد، ويخضع لنظام واحد كما ذكرنا آنفاً . أما وقد تناثر عقد هذا الاجتماع وأصبحت ممالكه وأممه متفرقة بعضها عن بعض في حكوماتها وادارتها وسياستها وكثير من بنيها تملكته نزعة قومية تأبي على أحدهم أن يكون تابعاً للآخر فضلا عن أن يرضخ لحكم غيره ويدخله في شؤونه العامة فمن الصعب تحققها الآن .

هذا اذا فرضنا أن الشعوب الاسلامية كلها مستقل يحكم نفسه بنفسه على أن الواقع غير ذلك ، فان أكثر هذه الشعوب تابع لحكومات غير أهلية وهنا يزداد أمر الخلافة الشرعية تعقيداً لما يوجد بطبيعة هذه الحال من العلاقات والروابط الدقيقة من الأمم المستقلة فيها وغير المستقلة .

فاذا فرض أن أقيم خليفة عام للمسلمين فلا يكون له النفوذ المطلوب شرعا ولا تكون الخلافة التي يتصف بها خلافة شرعية بمعناها الحقيقي ، بل تصبح وهمية ليس لها من النفوذ قليل ولا كثير

ازاء هذه الصعاب التي تحول دون ايجاد الخلافة الشرعية بالنسبة للاحوال التي عليها الأمم الاسلامية ، وازاء الاهمية العظمى التي لمركز الخلافة ومايترتب على اقامتها بين المسلمين من المزايا والمنافع الكبرى

قد قررنا القرار الآتي على المادة الرابعة من المواد التي نيط بنا النظر فيها على الوجه الآتي :

« إن الخلافة الشرعية المستجمعة لشروطها المبينة في تقرير اللجنة العلمية (الذي أقره المؤتمر في هذه الجلسة) والتي من أهمها الدفاع عن حوزة الدين في جميع بلاد المسلمين وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء فيها لايمكن تحققها بالنسبة للحالة التي عليها المسلمون الآن »

ولما كان ابقاء أمر المسلمين مهملا على ماهو عليه الآن بدون مدبر غير جائز فاننا نرى أن الحل الوحيد لهذه المعضلة أن تتضافر الشعوب الاسلامية على

تنظيم عقد مؤتمرات بالتوالي في البلاد الاسلامية المختلفة لتبادل الآراء بين أعضائها من وقت إلى آخر حتى يتيسر لهم مع الزمن تقرير أمر الخلافة على وجه يتفق مع مصلحة المسلمين .

أما اذا لم تساعد الاحوال والظروف على استمرار عقد المؤتمرات وتعذر انعقادها للنظر في أمر الخلافة فتفاديا من أن يبقى مسندها شاغراً زمناً طويلا وما يتبع ذلك من بقاء المسلمين دون مركز يرجعون اليه فى أمور دينهم العامة ينبغي ايجاد هيئة مكونة من زعماء المسلمين وأهل المكانة والرأي تنعقد فى كل سنة للنظر فى شؤون المسلمين وتؤلف فى كل أمة اسلامية لجنة تنفيذية ذات صبغة قومية تكون ذات اتصال بالهيئة العامة . وهذه اللجان يقوم كل منها بتنفيذ قرارات الهيئة العامة فى بلادها .

١ — ظهر جلياً مما تقدم أن إقامة الخلافة فى مثل هذه الاحوال والظروف التي وصفناها أمر متعذر إن لم يكن في حكم المستحيل من الوجهة العملية وهذا يستتبع حتما استبعاد فكرة النظر في تنصيب امام أو خليفة للمسلمين الآن لأن اقامة خليفة في الوقت الحاضر على ماهي عليه الامم الاسلامية لايحل مشكلة الخلافة بل من شأنه أن يزيدها تعقيداً على تعقيد فضلا عن أنه لم يوجد إلى الآن هيئة من أهل الحل والعقد في أمور المسلمين تملك حق البيعة شرعاً كما أنه لم يشترك في هذا المؤتمر كثير من الأمم الاسلامية التى دعيت للاشتراك

ولهذا قد قررنا أن يكون الجواب على المادة الخامسة الواردة في البرنامج على الوجه الآتي :

« ان مركز الخلافة العظمى في نظر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وفي نظر أمم العالم جميعاً له من الاهمية الكبرى مايجعله من المسائل التي لايمكن البت فيها الآن للاسباب المذكورة لما يجب أن يراعى فى حل مسألتها الحل الذي يتفق مع مصلحة المسلمين في الحاضر والمستقبل .

من أجل هذا تقرر ما يأتي : تبقى هيئة المجلس الاداري لمؤتمر الخلافة الاسلامية بمصر على أنه ينشيء له شعباً فى البلاد الاسلامية المختلفة يكون على اتصال بها

لعقد مؤتمرات متوالية فيها حسب الحاجة للنظر فى تقرير أمر الخلافة الاسلامية النظر الذي يتفق مع مركزها السامي »

ولا غضاضة في ذلك على الأمم الاسلامية اذا كانت لم توفق إلى الآن إلى حل مسأله الخلافة الشرعية ونصب الامام كما أنه لاغضاضة على المؤتمر الحاضر اذا لم يتيسر له تقرير أمر الخلافة والخليفة نهائياً . ويكفيه من ذلك أنه قام بأجل خدمة المسلمين بأن شخص لهم الداء ووصف لهم الدواء فيكون بذلك قد قام بالواجب الديني نحو الاسلام والمسلمين

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)

رئيس اللجنة

امضاءات الاعضاء

عبد الحميد البكري

محمد مراد   عطاء الله الخطيب   (امضاء)

ابو بكر جمال الدين   يعقوب شينكه ويج   محمد الصالحي

محمد ادريس السنوسي   عناية الله خان   يحيي عدنان

(الاقتراح الملحق بتقرير اللجنة)

أري أنه يجب على المؤتمر أن يبحث عن كيفية الصلة ودرجات الارتباط بين المسلمين في جميع الممالك والحكومات ، وأن يبينوا كيف تكون العلاقات بين المسلمين بعضهم مع بعض ، وأن يبحثوا عن كيفية العلاقات التي تكون بينهم وبين المسلمين المحكومين من الأجانب مباشرة كالجزائر وملبار وباتاوى ومدراس مثلا . وأن يبحثوا أيضا عن كيفية الصلة ودرجات الارتباط فيما بينهم وبين البلاد التي تحت الحماية الأجنبية وفيها أمير مسلم كتونس وفاس ومسقط وزنجبار وبعض أمراء حضرموت

ثم في البلاد التى فيها برلمان وملك وهى مستقلة الا انها مضغوط عليها كمصر ثم أيضاً في البلاد المستقلة التي لاضغط ولا حماية فيها وليس فيها برلمان كنجد

والافغان والريف . ثم في البلاد المستقلة استقلالا تاما ولها برلمان كتركيا وفارس فيجب أن ينظر في اتحادهم على مدافعة حقوقهم ومصالحهم والذب عنها . وفي أصلاح ذات البين فيما بينهم بحيث لا يثيرون عليهم ثائرة المستعمرين . وأن ينظروا في تعاونهم على ما فيه نفع المجموع .

هذا ما أرجو قبوله من حضرات الحاضرين ؟ امضاء

خليل الخالدي

عرض هذا الاقتراح على لجنة النظر في الخطب والاقتراحات والابحاث فقررت احالته الى اللجنة الثالثة ؟ سكرتير اللجنة

امضاء

٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٤ (١٦ مايو سنة ١٩٢٦) أحمد عبد القادر

(له بقية)

باب الانتقاد على المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

مبحث في الجرح والتعديل

إثبات توثيق كعب الأحبار ووهب بن منبه

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المحترم

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته . أما بعد فانكم كثيراً ماتدعون الى انتقاد المنار. وإن هذه أكبر مزية له لأن تحقيق المباحث العلمية من اسمى ما يتشوق اليه طلاب الحقائق الذين لا يستريحون إلا بالوقوف عليها ، ولا سبيل الى ذلك إلا بالانتقاد والمناقشة والأخذ والرد . فان الحقيقة بنت البحث . وان المناقشة في أي مبحث كان تولد فيه من الفوائد العلمية ما تجعله مقدماً على غيره من المواضيع الغفل التي لم يطرقها بحث فلم تنضج بعد. ولم يكن لها في نفس القاريء ذلك

الأثر الثابت الذي يشعر به عند تلاوة مواضع البحث والمناظرة . وشتان بين اطلاعه على مايحتمل انه رأي شخصي وبين مايعلم عنه من سميته في الحال . لذلك أكتب مايأتي

أتيتم في خلال تفسير قوله تعالى (فألقى عصاه) من سورة الاعراف بما يؤخذ منه انكم تجرحون وتطعنون على كعب الاحبار ووهب بن منبه بأنهما (١) رويا أخبار غرائب بني إسرائيل المكذوبة (٢) وكانا يدسان في الدين الاسلامي بكذب الرواية (٣) وانهما من جمعيتين دبرتا قتل الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما كما هو موضح بصحيفة ١٦٩ من الجزء الثالث الصادر في ٢٩ شعبان سنة ١٣٤٢ هـ ولما كان هذا التجريح غير المعروف عنهما عند رجال الحديث من المتقدمين والمتأخرين الى عصرنا هذا . ويوجب سوء سمعتهما عند قراء المجلة . ويترتب عليه الحط من اعتبار أشهر كتب الحديث (البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وموطأ الامام مالك) لذكرهما فيها على سبيل الرواية عنهما والاحتجاج بهما في عدة مواضع . وكنا في وقت كثر فيه الملحدون والمارقون الذين يثيرون على الدين الاسلامي أقل شبهة ، فخشية أن يقول مارق ان صاحب المنار قد اظهر في رجال كتب الحديث التي تدعون صحتها من هو كذاب دساس ويحاول أن يقيم من وراء ذلك دليلا على تقصير أصحابها في انتقاء رجالهم . ولا يخفى ما في ذلك من الخطر . وايفاء للرجلين حقهما بادرت الى انتقاد هذا الطعن والتجريح مثبتا براءة الحبرين مما ذكر بالاشارة الى محال نصوص علماء الجرح والتعديل الصريحة في توثيقهما توثيقاً لا يصح معه جرحهما بشيء مما ذكر . فلم تنشروا الانتقاد الا بعد أكثر من عام أي في صحيفة ٧٣ من الجزء الاول الصادر في ٢٩ رمضان سنة ١٣٤٣ متبعين له بشيء من الرد عليّ . ثم لم تنشروا بقية الرد الا بعد عام آخر بصحيفة ٧١٦ من الجزء التاسع الصادر في ١٥ شعبان سنة ١٣٤٤ فلما كمل الرد ولم أجد فيه مايشفي العلة . بل زاد الطين بلة . فانكم وإن سلمتم ببراءتهما من الطعن الثالث فقد بالغتم في نسبتهما الى الاولين وهما محل الخطر (فوقفت حائراً) لأن الامر أصبح في احتياج

لمزيد بحث ودرس ، وأنا مشتغل بالحرث والدرس . ولم يكن بد من بيان الواقع من توثيق الحبرين والا كنت جانياً عليهما بتركهما بعد تعريضهما لأسنة البحث والمناظرة . فرجعت الى ردكم منقباً عما حال دون ادراك الحقيقة فوجدت السبب ينحصر في ثلاثة مواضع مهمة . فتجدد أملي في انه مع بيانها يزول ما كنت أحذر . حيث إنها في نفس المنار تنشر . ومن علق بنفسه شيء مما سبق يزول . وننال معكم بذلك من الله تعالى الرضا والقبول

الموضع الاول

قلب نص قاطع في الموضوع من الاثبات الى النفي ـ وذلك فيما نقلتم في سياق جرحكم كعب الاحبار بصحيفة ٧٧ من الجزء الاول المذكور ونصه (وقد صرح الحافظ الذهبي في الطبقات بأنه ليس له شيء في صحيح البخاري وغيره) ولما كان هذا غير المعروف راجعت ترجمته في الطبقات أي تذكرة الحفاظ بصحيفة ٤٥ من الجزء الاول فوجدت النص هكذا (وله شيء في صحيح البخاري وغيره)

هذا وقد قال الحافظ الذهبي في أول هذا الكتاب الجليل مانصه (هذه تذكرة بأسماء معدلي حملة العلم النبوي ومن يرجع الى اجتهادهم في التوثيق والتضعيف والتصحيح والتزييف) واسما الحبرين ثابتان فيها وقال في ترجمة كعب المذكورة (انه من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب أسلم في زمن أبي بكر فقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وتوفي في خلافة عثمان وروى عنه جماعة من التابعين مرسلا . وله شيء الخ وترجمة وهب بن منبه في صحيفة ٨٨ من الجزء نفسه وقال فيها (انه عالم أهل اليمن ولد سنة ٣٤ هـ وروى عن أبي هريرة وعن عبدالله بن عمر وابن عباس وأبي سعيد وجابر بن عبد الله وغيرهم وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير فانه صرف عنايته لذلك وبالغ . وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام)

وقد نص صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بقسم

التخصص في القضاء الشرعي في رسالته مفتاح السنة المطبوعة والمنشورة بمجلة المنار على أن تذكرة الحفاظ هذه من كتب الثقات . كما نص العلامة القاسمي في كتابه الجرح والتعديل المطبوع والمنشور بالمنار أيضاً (على أن من الوجوه التي تعرف بها ثقة الراوي ذكره في تاريخ الثقات) وحيث ثبت ذكر الحبرين في هذه التذكرة وهي من تواريخ الثقات فيكون هذا حكما بتوثيقهما توثيقاً لا يقبل نقضا ومن ادعى غير ذلك فعليه البيان

الموضع الثاني

حمل أقوال بعض سلف الأمة وعلمائها على غير مرادهم لعدم البحث — وذلك ثابت فى قولكم ضمن الرد بصحيفة ٧٧ من الجزء الاول المذكور مانصه (أما كعب الأحبار فان البخاري لم يرو عنه في صحيحه شيئاً ولكن ذكره فيه بما يعد جرحا له لا تعديلا . قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من تهذيب التهذيب وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن انه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب (تأمل)

قال الحافظ بعد نقل هذه العبارة عن الأصل (قلت) هذا جميع ماله في البخاري وليست هذه رواية عنه فالعجب من المؤلف كيف يرقم له رقم البخاري وليست هذه رواية عنه فيوهم انه أخرج له الخ يعني ان ذكر صاحب التهذيب رقم البخاري وهو حرف (خ) عند اسم كعب غلط وقد صرح الحافظ الذهبي في الطبقات بأنه ليس له شيء في صحيح البخاري وغيره . والمنتقد يبدي ويعيد ذكر رواية البخاري عنه وتوثيقه له . وأقول ان قول معاوية ان كعباً كان من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب وانهم مع ذلك اختبروا عليه الكذب طعن صريح في عدالته وفي عدالة جمهور رواة الاسرائليات إذ ثبت كذب من يعد من أصدقهم ومن كان متقناً للكذب في ذلك يتعذر أو يتعسر العثور على كذبه في ذلك العصر إذ لم تكن كتب أهل الكتاب منتشرة في زمانهم بين

المسلمين كزماننا هذا (الى أن قلتم) وجملة القول أن جرح كعب لا يقتضي خسران شيء يذكر من العلم الذي في صحيح مسلم ويوافق ما عند البخاري من إثبات معاوية لكذبه عنده وعند غيره ولذلك امتنع البخاري عن الرواية عنه على غرور الجمهور بعبادته اه منار

فهذه الجملة اشتملت عدا رأيكم على ثلاث عبارات للمتقدمين (الاولى) عبارة سيدنا معاوية المروية في البخاري (الثانية) عبارة الحافظ ابن حجر المنصوصة في كتابه تهذيب التهذيب (الثالثة) عبارة الحافظ الذهبي المثبتة في كتابه الطبقات المذكورة . أما عبارة الذهبي فقد بينا ما فيها قريباً وآفتها من كلمة (ليس) التي حشيت فيها فقلبتها من الاثبات الى النفي . وعبارة ابن حجر مترتبة معنى على عبارة سيدنا معاوية . فوجب الكلام أولا على عبارة معاوية رضي الله عنه من جهة نصها ومعناها مع بيان غرض الامام البخاري من ذكرها في صحيحه حتى يتبين بجلاء ان كانت طعنا على كعب أو توثيقا له

أما من جهة نصها في صحيح البخاري فهي في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وقد أتى بها البخاري عقب ترجمته هكذا (بسم الله الرحمن الرحيم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء . وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال: ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) اه بخاري وأثبت صاحب الفتح (إن) في رواية «وحدثنا أبو اليمان» وأنّ إنْ مخففة من الثقيلة . وضبط شيخ الاسلام (وذكر) بالبناء للمفعول وفي النسخ المضبوطة بالقلم علامة صحة حذف كلمة (أهل) عن أبي ذر الهروي فتكون روايته هكذا (الذين يحدثون عن الكتاب) هذا مايتعلق باللفظ

وأما من جهة المعنى فاحسن مايبين معناها هو نفس كلام سيدنا معاوية ذاته عن كعب الاحبار شخصه . وقد اطلعتم على عبارة أخرى لسيدنا معاوية صريحة في الثناء على كعب وهي قوله (الا أن كعب الاحبار أحد العلماء ان كان عنده

لعلم كالثمار وان كنا فيه لمفرطين) كما هو منصوص في تهذيب التهذيب قبل ما نقلتم منه مباشرة . والعبارتان صدرتا منه رضي الله عنه بعد وفاة كعب لتصريحه بالتفريط في الاخذ عنه في هذه . و لاولى قالها لما حج بالناس في خلافته كما نص عليه في الفتح وكعب توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه كما سبق أي فلم يطرأ ما يوجب تغيير رأيه بين العبارتين

فلا يصح مع ذلك قولكم إن العبارة - طعن صريح في عدالة كعب - اذ تثبت كذبه — بل كان متقنا للكذب — ومغرراً للجمهور بعبادته —) كما سبق نقله عن النار.

لان هذا تناقض بين عبارتي خليفة من خلفاء الاسلام وصحابي من أكابر الصحابة هداة الانام مشهور بحصافة الرأي ومعروف بالبلاغة . فلا يتأتى منه ان يأسف على التفريط في الاخذ عن كذاب وليس من البلاغة وصف رجل في أول جملة بأنه من أصدق المحدثين وفي آخرها بأنه من أكذب الكذابين وكيف يكون ذلك من أحد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

على أن العبارة من حيث تركيبها العربي لا تصلح دليلا مطلقا على أقل الفاظ هذا التجريح فان اسناد الكذب فيها الى (الكتاب) باعتبار ما فيه من التبديل أقرب من اسناده الى (كعب) كما قرره شراح البخاري في توجيه احتمال رجوع الضمير في (عليه) الى (الكتاب) ولانه أقرب مذكور . وعلى كل حال فقد صارت هذه العبارة لا تصلح حجة على الطعن في كعب لأن الدليل متى تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال

لذلك لم يقل أحد من علماء الحديث الذين شرحوا البخارى وغيرهم إن هذه العبارة قصد بها سيدنا معاوية تجريح كعب مطلقا بل بعكس ذلك فهموا أنها صدرت منه للدلالة على توثيق كعب بانه كان من أصدق المحدثين عن الكتاب وأن الخليفة ابتلى الكذب على الكتاب نفسه لما علمه فيه من التحريف والتبديل بناء على عود الضمير على أقرب مذكور — وقد رأى ذلك العلامة السيوطي كما يؤخذ من كتابه (اسعاف المبطأ) المطبوع حديثا مع الموطأ بمطبعة عيسى الحلبي حيث ترجم لكعب الاحبار بصفته أحد رجال الموطأ (المعروف بانتقاء الامام

مالك لرجاله من أوثق رجال الحديث) مقتصراً على صدر عبارة سيدنا معاوية في الاستدلال على توثيق كعب لكونه يرى اعادة الضمير على الكتاب وأنه بناء على ذلك لاارتباط بين صدر هذه العبارة وآخرها . فالسيوطي جعل العبارة توثيقا وهو متوفي سنة ٩١١ هـ (هذا) ومن رأى عود الضمير على كعب حمل الكذب في العبارة على مايوجد في بعض أخباره من الخطأ الذي سرى اليه من أهل الكتاب قبل اسلامه ولا علاقة له بأمر الدين كالاخبار بوقوع حوادث في المستقبل فلم يقع بعضها كما أخبر كعب

يوضح هذا كله عبارة الحافظ ابن حجر في الفتح ونصه (قوله عليه الكذب) أي يقع بعض مايخبرنا عنه بخلاف مايخبرنا به » فلفظ يقع يدل على أن المخبر به أمور من قبيل مايسمونه ملاحم ، ولا علاقة لذلك بأمر الدين الاسلامي . ثم نقل الحافظ ابن حجر عقب رأيه الشخصي المذكور عبارة ابن التين على طولها وعبارة ابن حبان في توثيق كعب بما يقرب من هذا المعنى ، ثم شرح توجيه أعادة الضمير على الكتاب ونقل التصريح عن القاضي عياض بأن العبارة ليس فيها تجريح لكعب بالكذب على كلا الاحتمالين ، ثم ترجم لكعب موثقاً له وأتى في ضمن أدلة توثيقه بقول سيدنا معاوية بلفظ (الا أن كعب الاحبار أحد العلماء ان كان عنده لعلم كالبحار وإن كنا فيه لمفرطين) والثمار أو البحار كلاهما كناية عن سعة علمه ونفعه) اهـ فتح بتصرف فانظره

أما القسطلاني فابتدأ شرح الموضوع بتوجيه الاحتمالين في مرجع الضمير مباشرة ونقل عن الحافظ ابن الجوزي المعروف بتشدده في التعديل مانصه توثيقا (يعني أن الكذب فيما يخبر به عن أهل الكتاب لامنه ، فالاخبار التي يحكيها عن القوم يكون في بعضها كذب فاما كعب الأحبار فهو من خيار الأحبار) وكذا عبارة العيني والكرماني والسندي ، وهو آخر من كتب على البخاري فيما نعلم

واستدل صاحب كتاب اظهار الحق بعبارة سيدنا معاوية هذه على أن الصحابة كانوا يعتقدون أن كتابي أهل الكتاب (التوراة والانجيل) الموجودين محرفان كما في الجزء الاول منه في الكلام على اثبات تحريف وتبديل التوراة

والانجيل ، فاتضح من ذلك معنى عبارة سيدنا معاوية وأنه ليس فيها تجريح لكعب بالكذب وأن غرضه منها ارشاد القرشيين الى الثقة بما صح سنده الى كعب مما حدث به عن كتب أهل الكتاب القديمة لانه من أصدق المحدثين عنها — وذلك مثل ما أخبر به كعب من أن النبي صلى الله عليه وسلم موصوف في التوراة بصفة واضحة حيث قال في السطر الاول منها (محمد رسول الله عبدي المختار . مولده بمكة ومهاجره المدينة وملكه بالشام) كما نقله الحافظ ابن حجر على موضعين كلاهما في الفتح في شرح باب (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا) من سورة الفتح في كتاب التفسير من صحيح البخاري ، وأشار اليه في تهذيب التهذيب في آخر ترجمة كعب وهذا من ثمار علمه التي صرح الخليفة أنهم فرطوا في الأخذ منها

أما من جهة بيان غرض البخاري من ذكر عبارة سيدنا معاوية في صحيحه فيؤخذ من قول الامام العيني في شرحها ما نصه (مطابقته للترجمة في ذكر كعب الاحبار الذي كان يتحدث من الكتب القديمة ويسأل عنها أحبارهم) ومنه يعلم أن غرض البخاري هو الاحتجاج بكعب الاحبار في دفع التعارض بين النهي في الترجمة بقول النبي صلى الله عليه وسلم (لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء) وبين الامر في قول الله تعالى (فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) بان كعبا كان ممن يسألون لأنه قرأ الكتاب من قبل ثم أسلم وشهد له سيدنا معاوية بأنه من أصدق المحدثين عن الكتاب ، والنهي هو عن سؤال من لم يسلم كما نص عليه في الفتح في آخر شرح هذه الترجمة وهذا يدل على عظيم ثقة الامام البخاري بكعب الاحبار لان احتجاجه به في امر الدين كما ذكر ابلغ في الدلالة على ثقته به من الرواية عنه وعلى انه لم يمنعه من الرواية عنه الاعدم توفر السند الصحيح له اليه على شرطه المعروف ومثل كعب فى ذلك كمثل الامام ابى حنيفة وكثير من أوثق المحدثين الذين لم تذكر لهم رواية فى البخاري للسبب المذكور والامام الشافعى لم يكن له رواية فى البخاري وانما له شيء يسير فى التعليقات فقط فلا يقال ان البخاري امتنع عن الرواية عن هؤلاء الائمة لعدم ثقته بهم والى هنا انتهى الكلام على عبارة سيدنا معاوية من كل اوجهها المذكورة وعلم غرضه فيها وغرض البخاري من ذكرها فى صحيحه بما توضح

ولم يبق في هذا الموضع سوى الكلام على عبارة الحافظ ابن حجر المتوفى سنة ٢٥٨ ﻫ من جهة تعجبه ممن سبقه في عد كعب الاحبار من رجال البخاري بناء على عبارة سيدنا معاوية هذه مع انها لم تكن رواية له عن كعب

وقبل الكلام عن بيان غرض الحافظ ابن حجر من هذا التعجب أنقل شيئاً من كلام علماء أصول الحديث يوضح لنا مابه يسمى الرجل من رجال صحيح البخاري أو غيره . قال الحافظ ابن الصلاح في مقدمته المشهورة في النوع الثالث والعشرين بصحيفة ٤١ مانصه (ثم من انزاحت عنه الريبة منهم بالبحث عن حاله أوجب الثقة بعدالته قبلنا حديثه ولم نتوقف كالذين احتج بهم صاحبا الصحيحين وغيرهما ممن مسهم مثل هذا الجرح من غيرهم فافهم ذلك فانه مخلص حسن) وقال العلامه ابن السبكي في الطبقات الكبرى في ترجمة الحافظ الذهبي المتقدم مانصه نقلا عن صاحب الترجمة (وقد كتبت في مصنفي الميزان عدداً كثيراً من الثقات الذين احتج البخاري أو مسلم أو غيرهما بهم لكون الرجل منهم قد دون اسمه في مصنفات الجرح وما أوردتهم لضعف فيهم عندي بل ليعرف ذلك وما زال يمر بي الرجل الثقة وفيه مقال من لا يعبأ به . ثم استطرد الى ذكر أسماء الذين لم يؤثر عليهم ذلك الجرح لكون البخاري أو أحد أمثاله احتج ببعضهم الى أن ذكر منهم وهب بن منبه) ولم يذكر كعباً لانه لم يجرح مطلقاً وأما وهب فذكره لأن ابن الفلاس كان ضعفه قبل احتجاج البخاري به كما يأتي .

وقال شيخ الاسلام في شرح الفية العراقي في مبحث (أصح كتب الحديث) في إثبات ان البخاري ومسلم هما أصح الكتب ما نصه (وما ذكر فيهما من الضعفاء كمطر الوراق وبقية وابن اسحق ونعمان بن راشد لم يذكر على سبيل الاحتجاج بل على سبيل المتابعة والاستشهاد)

فأنت ترى أن عباراتهم صريحة في ان كل من احتج به البخاري في صحيحه يصير ثقة ولو كان مجروحا من قبل وانه لا يعبأ بكلام الجارح بعد ذلك الاحتجاج وبناء عليه صار كل من الراوي والمحتج به في البخاري حكمهما واحداً في التوثيق وباعتبار ان البخاري اعتمد في تكوين كتابه على الرواة والمحتج بهم يصح أن

يطلق على كل منهما انه من رجال البخاري وانه أخذ عنه بلا فرق بينهما في ذلك أيضا . (وقد احتج البخاري بكعب الاحبار احتجاجا مهما نافعاً كما سبق) فلا عجب حينئذ ممن عد كعباً من رجال البخاري . لانه متى علم السبب بطل العجب واتضح أن صاحب التهذيب مصيب في عد كعب الاحبار من رجال البخاري وان ذكر حرف (خ) رقما على أخذ البخاري عن كعب صحيح لا (غلط) لانه اعتمد عليه في شيء من كتابه — على انه لا غرض للحافظ ابن حجر من ذلك التعجب إلا طلب النظر في الموضوع شأن أكابر المحققين اذا اختلفت وجهة نظرهم مع من سبقهم يطلبون النظر في الأمر ليتبين الحق فيه (وجل المنزه عن الخطأ والنسيان) وعلى ذلك أدلة منها انه صرح بطلب النظر عقب عبارته هذه مباشرة بقوله (وكذا رقم في الرواة عنه (كعب على معاوية ابن أبي سفيان رقم البخاري معتمداً على هذه القصة وفي ذلك نظر) اهـ تهذيب التهذيب

يريد أن عبارة سيدنا معاوية قصها على الرهط من قريش ثناء على كعب لا رواية عنه ولكن قول سيدنا معاوية (عنده علم كالثمار أو البحار يدل على أخذه عن كعب وإلا فمن أين علم ثمار علمه . ومنها ان ابن حجر أبقى حرف (خ) في كتابه تهذيب التهذيب فلو كان جازماً بغلط صاحب التهذيب في ذكر هذا الحرف لحذفه هو من كتابه : ومنها انه لم يجرح كعباً بشيء ما في مؤلفاته بل ترجم له ونقل توثيقه عن كثيرين تأييداً لتوثيقه له

أما السابقون على الحافظ ابن حجر في عد كعب من رجال البخاري وتوثيقه فهم الحافظ ابن سرور المقدسي في كتابه الكمال وهو متوفى سنة ٦٠٠ هـ وتابعه على ذلك الحافظ المزي في التهذيب وهو متوفي سنة ٧٤٢ هـ وهو الذي يقصده ابن حجر بقوله في عبارته (فالعجب من المؤلف) ولكن الذهبي وافق المزي في كتابه تهذيب التهذيب وهو متوفي سنة ٧٤٨ هـ ومن المتأخرين عن ابن حجر وهو موافق المتقدمين عليه الحافظ الخزرجي في كتابه (خلاصة تهذيب الكمال وهو متوفي سنة ٩٢٣ هـ ولم يوافق أحد ابن حجر من المتقدمين أو المتأخرين عنه في التعجب من عد كعب من رجال البخاري (البقية للآتي)

جمعية تجديد الالحاد والزندقة والاباحة المطلقة

مهاجمة اللغة العربية وآدابها

لم تقنع جمعية تجديد الالحاد والاباحة في مصر بصد الشعب المصري وسائر الشعوب العربية بل والامة الاسلامية عن الدين أو تشكيكها فيه تمهيداً لاباحة الاعراض وعبادة الشهوات ، وتقليد الافرنج فيما يسهل التقليد فيه من الفواحش والمنكرات ، بل نراهم يعنون بتحقير آداب اللغة العربية ليجردوا الامة من هذا الفصل المنطقي الذي يفصلها من غيرها من الامم ويثبت لها استقلالا خاصا بمقوّمات خاصة ومشخصات خاصة . وأعظم مقوّمات الامم الدين الذي هو مصدر الفضائل والآداب النفسية، واللغة التي هي مظهر العلوم والمعارف والآداب ، ويليهما التشريع الذي هو مجلى السيادة والحكم . وقد بدأ هؤلاء الزنادقة بهدم الدين هدما مطلقا لا هدم تجديد كما يدعون في غيره ، وهدم التشريع الاسلامي لاستبدال التشريع الاوربي به . ثم شرعوا في تحقير آداب اللغة بزعم تجديدها بآداب لغات ساداتهم الافرنج

ألف الدكتور طه حسين أستاذ تجديد الالحاد والاباحة في الجامعة المصرية غير الرسمية فالرسمية كتيباً كذب فيه نقلة اللغة العربية ورواة آدابها فيما رووه من شعر العرب في عصر الجاهلية وزعم انهم هم الذين وضعوا المعلقات السبع وافتروها على امرىء القيس وطرفة وعنترة الخ كما افتروا غيرها من الدواوين وما دون الدواوين ، واستطرد الى تكذيب كتاب الله وتكذيب خاتم رسله عليه صلواته وسلامه في إسناد بناء بيته الحرام الى ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام وفي غير ذلك ، وجعل ذلك من الاساطير لا يثبته العلم ، وهذا جهل منه بمعنى كلمة العلم ، فانه لم يقل أحد من العلماء المتقدمين ولا المتأخرين ان وقائع التاريخ يتوقف ثبوتها على عدم نفي العلم لما رواه الرواة منها . فخبر بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لبيت الله تعالى تناقلته الامة العربية بالتواتر المؤيد بتقاليد دينية عملية ، ثم أثبته الوحي

الأمي الثابت بالآيات القطعية ، ولا يوجد دليل علمي يعارضه ، فما معنى قوله ان العلم لا يثبته ؟ ـ وقد ألقى هذا الكتاب دروسا في الجامعة المصرية الرسمية وربما يصدق الكثيرون من طلابها هذا الاعمى البصر والبصيرة فيما يكذب به علماء الامة الاسلامية وكتاب ربها وحديث نبيها المعصوم فيما يريد به تجريد أمتهم من الدين واللغة والنسب والادب والتاريخ ليجددهم بذلك فيجعلهم أمة أوربية !! بل طعمة للدول الاوربية ، كما جدد نفسه وبيته بتزوج امرأة غير مسلمة وبتسميته أولاده منها بأسماء الافرنج رغبة عن الاسماء العربية القديمة والجديدة واحتقاراً لها ، وقد حدثنا الثقة عن أحد أصدقائه أو أساتذته انه قال : لا مانع يحول دون إقناعنا للمصريين بسيادة الانكليز وحكمهم الا الدين ، أي فلابد من ازالة هذا المانع !

وقد رأيت بعد عودتي من الحجاز مقالا لأحد مقلدته أو أعضاء جمعيته في صحيفتهم السياسة ناشرة دعايتهم وحاملة لوائهم عنوانها (العقلية العربية وشعر رامي) أنشأها لتقريظ ديوان شعر (أحمد رامي) أحد أدباء النابتة المصرية وكأنه راعه من شعره ذوقه العربي الصحيح ، وأداؤه المصري الفصيح ، وقريحته النضاخة بالمعاني ، وخياله المصور لها في أجمل المباني ، فعز عليه أن يكون شعره عربياً صحيحا ، وان يكون في دوحة الآداب العربية غصنا قويما ، فأراد دعوته الى جمعية التجديد ، ليكفر بطرافة شعره أدب لغته التليد ، ويترك السبح في بحارها ، والاقتباس من أنوارها ، وينسلخ من سليقته العربية ، ويتبرأ من فطرته الاسلامية ، ويتكلف تقليد الفرنجة في ترك القوافي والاوزان العربية ، وينتحل المعاني اللاتينية والاغريقية ، فيكون من جمعية المجددين ، يهدم ما استطاع مما لأمته من لغة وأدب ودين .

ومن الغريب أن عمدة دعاة الزندقة في هدم مقومات هذه الأمة ومشخصاتها وصفها بالقديمة ، وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه ، ومن المعلوم بالبداهة ان حسن الاشياء وقبحها الحقيقيين في ذاتها وفائدتها ، لا في قدمها ولا في جدتها ، وما من قديم الا وكان جديد ولا جديداً الا وسيكون قديماً ، ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له ، وانما الامم بتاريخها ، ومثل من يحاول هدم تاريخ الامة لاجل تجديدها كمثل من يحاول هدم بنية كل فرد منها ليجدد له بنية أحسن منها . نعم

ان كل حي يحتاج آنا بعد آخر الى جديد يكون مدداً لقديمه لاهادماً له، ومصلحا لمافسد منه ، ومن عجيب أمر هؤلاء اننا نراهم يدعون الى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالأدب الاغريقي والشعر الاغريقي، الذي هو دون الادب والشعر العربي الجاهلي والاسلامي ، والحق أن كلمة الجديد والتجديد كلمة خادعة للنابتة ، مشهوية لخيال الشبية ، لانهم لا يريدون الا جعل هذه الامة لقمة سائغة لسادتهم المستعمرين ، بتقطيع مايربط بعضها ببعض من لغة وأدب وتشريع ودين ، وانهم ليدعون دعاوى لا تثبتها بينة ، ويؤلفون أقيستهم من قضايا لا تقوم عليها حجة ، بل هي كذب وبهتان ، يكذبه الحس والعلم ، كوصف مقرظ ديوان رامي للشعر العربي و « العقلية العربية » وهذا نص تقريظه نقلا عن (جريدة السياسة في ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٥) قال

﴿ العقلية العربية وشعر رامي ﴾

«بينما كتاب مصر يحسون تمام الاحساس بخطورة العقلية الشرقية القديمة . يلمسون في تضاعيف النهضة الحاضرة رغبة صادقة في الخلاص من المصطلحات والعقائد(١) والنظم الرجعية الآسنة فيحاولون السعي بما أوتوا من مواهب لتحرير الفكر وتجديده وتلقيحه بخصائص الثقافة الأوربية سواء في المقالات أم في الابحاث أم في الروايات القصصية أو التمثيلية ـ يظل شعراؤنا في المؤخرة جموداً ضاربين حول أنفسهم نطاقا محرما كجماعة الفقهاء أو اللاهوتيين ، يتعهدون في أنفسهم ملكة النظم على أهازيج الحداء البدوية باستظهار ما يمكن استظهاره من شعر العرب موقنين أن الحافظة المشحوذة المتوقدة المحملة بآثار السلف الصالح هي وحدها مثار العبقرية الشعرية على اختلاف أشكالها وميولها (٢)

---

(١) هذا هو الغرض الاول للجمعية فالدين هو الخطر الاكبر عندها (٢) و بماذا يفضل هذا المفرط هؤلاء الكتاب الالحاديين الذين أشار اليهم وساهم كتاب مصر على الشعراء الذين يعيبهم كما يعيب الفقهاء واللاهوتيين الذين يجهل علومهم و يجهل حاجة البشر وانتفاع أممهم بها كل أولئك أعلم منه وأفضل فلا حق له بجعل نفسه مرشداً لهم بمجرد تقليده لمجددي الالحاد .

أنهم يعودون أنفسهم بمجهود آليّ مدهش الانتشاء بتسلسل القوافي المتشابهة وانصبابها في رنين لفظي واحد ولا يخطر لهم ببال أبداً بل لا يخالط وجدانهم لحظة أن هذه الموسيقى المتشابهة أنصع ما تكون دليلا على سذاجة فطرية وغباء غريزي وهمجية متأصلة كهلالات الاطفال أو ألحان البرابرة (١)

ثم هم لا يفطنون الى أن كل فن محدود الرسوم ثابت الاشكال متشابه الاجزاء ينبيء عن جمود في الفكر وضعف في قوى الابتكار واستمتاع بضرب من الركود المعنوي منه نشأ هذا الفن (٢) ، لا لشيء سوى مجرد الترفيه والتسلية وقتل الوقت ومداراة عوامل اليأس والضجر . وان من ينعم النظر مليا في الينابيع التي يستمد منها معظم شعرائنا وحي قريضهم لا يكاد يتبين فيها أثر الحياة الحرة بل هو على النقيض يلمس تكراراً مملا مشينا وتحديا غريبا مزريا لما قاله العرب ورددوه في عصور قضت ، بل ويلمس فوق هذا تدلها سخيفا وعبودية عمياء لما اتصفت به العقلية العربية في الهاماتها الشعرية من عيوب جعلت أدب العرب ضد الفن أي ضد الحياة ، كالحذلقة اللفظية الطنانة الجوفاء ، والمبالغة المضحكة في الاوصاف ، والجرأة على الاستعارة البعيدة عن الواقع . والجنون بالخيال الذي عوض أن يقرب اليك الحقيقة يقصيها عنك جهده . والولع الشديد بالكذب، وادعاء العاطفة دون الشعور بها . والفرار من رسم أفاعيل الوجدان وتقلبات النفس وأطوارها ، واعتقادهم المتوارث أن الشعر شيء والحقيقة شيء آخر ، وأن خصائص العقل كالروية وإحكام النظر وصدق الملاحظة لا تتفق والفن الشعري الذي يجب أن يكون في عرفهم مجرد تخيل غشلش لصور وعواطف لا وجود لها إلا في مخيلة شاعر دجال (٣)

كل هذه المميزات المشهورة ـ ويجب أن نفهم ذلك ونسلم به (٤) ـ هي التي تستهبط منها غالبية شعرائنا وحيها، وهي التي لا يمكن بأي حال من الاحوال أن

(١) هذا وصف ذوقه الفاسد وذوقهم هو الصحيح

(٢) ان جميع الفنون الرياضية والعقلية كالمنطق كذلك فهل عند المجددين ما هو أرقى منها ؟ «٣» كل هذه الاقوال كاذبة وما هي سفاهة عدو للعرب

(٤) ان هذا الايجاب لاخذ الكذب والسفه قضايا مسلمة لا تحتاج الى الدليل من أغرب الجهل والغرور

تعد فنا سلبيا . إذ الفن الاغريقي الذي عنه أخذت أوربا وتأخذ حتى اليوم لم يتأثر به العرب ولم يلقحوا به أدبهم . وهو الفن الصحيح لانه يقوم على رسم الحقيقة وابداعها مخيلة وفق مزاج كل فنان وهواه . فيصبح الفن حياة جديدة تحبب المرء في الحياة الواقعة لانها تجملها له وتضاعفها وتميط اللثام عن دفائن أسرارها ومواطن الجمال فيها . فيلحق الفن بالفلسفة والعلم في تأسيس الحضارات الانسانية وتحقيق المثل الأعلى .

أما الفن العربي — اذا صح أن للعرب فنا — فهو الهرب من الحياة ، هو تخيلها جوهراً غريبا عن حقيقتها، وفي رأيي أن قد نشأ ذلك من أن العربي رجل حاد الشهوة بعيد مطلب الحس ، جوالة ، رحالة ، متفنن في استغلال قواه البدنية لذة ، والعقلية مرحا ونسيانا . فهو يود الحصول على اللذتين : لذة الاستمتاع بالحياة الواقعة في جو شهوي رحب لا قيد فيه ولا نظام ، ولذة الاستمتاع بالحياة الفنية المخيلة في عالم غير عالمه الأرضي فيه لذائذ أخرى وشهوات أخرى وغرائب أخرى . فهو رجل لايتطلب فى الفن رسم الواقع لدرسه والعمل لتجميله واصلاحه بل هو يعيش الواقع هذا(؟) ويستوعبه ويستمرئه ويمتص عصارته حتى اذا ما مجته نفسه هرع الى عالم مخيل كاذب كعالم آكل الافيون فلا يزال به حتى يدرك قرارته فيعاوده سأمه فينزع الى ميله الاول وهكذا [1] وان من يعرف ان العرب قد تأثروا بعلوم الاغريق على ضآلتها دون آدابهم وفنونهم وهي التى كانت قد ازدهرت أيما ازدهار وبلغت من العمق والصدق والروعة مالم تبلغه فنون في أى عصر ذهبي يفهم تماما أن عقيدة العرب فى أن القرآن ليس كتاب دين منزل فحسب بل كتاب أدب منزل أيضاً هو الذى حال بينهم وبين استغلال أدب الاغريق وجعلهم يرون الكمال المطلق فى الخلق الادبي مجاراة الاسلوب القرآني والنقل عنه والاقتباس منه الى حد أنهم كانوا يقيسون مقدرة التأثر منهم(؟) بقدرته على محاكاة البلاغة القرآنية في صوغ العبارة وصقلها . الامر الذي احال

(١) وهذا كذب أيضا ناشيء عن جهل وكراهة لما يريدون هدمه من بناء الامة العربية الكريمة كما سيأتي و باليته يطلع على كتب سادته الافرنج في تاريخ العرب وعلومهم وفنونهم

الأدب نوعاً آخر من أنواع العبادة تخنق وظائف الابتداع وابتلى المصنوعات الادبية بمرض اللفظ والعناية بالمبنى دون المعنى والعرض دون الجوهر (١) فكانت سخرية عجيبة لامثل لها في تاريخ الانسانية ، هي أن الادب العربي منذ الاسلام لم يخرج للناس سوى كتاب عظيم واحد هو كتاب الاسلام نفسه أي القرآن: .

تلك هي العقلية العربية وهي المتسلطة على معظم شعرائنا حتى اليوم لاسيما أفراد السلالة المنصرمة منهم ، وتلك هي التي يحاول التجرد منها بعض شبابنا كالشاعر أحمد رامي في ديوانه الثالث الذي نحن بصدده الآن :

***

«رامي شاعر نزاع إلى التجديد . تواق الى استئصال جراثيم الثقافة العربية من نفسه وكبح ما تولده فيها من ولع بالصناعة اللفظية وانصياع لعواطف مفتعلة زائفة، هو يروض احساسه بالثقافة الفرنجية جهده كي تستضيء على نور عقله المستنير أفاعيل وجدانه فيشرف على حالاته النفسانية اشراف الفنان الاوربي الذي لا يقنع من عواطفه بالشعور بها ، بل هو يريد أن يفهم هذا الشعور ويحلله، يريد التمييز بين عميقه وتافهه ، بين جيده ورديئه ، بين إنسانية العامة والخاصة . يريد أن ينفذ إلى باطن نفسه ما استطاع مستنبشاً أغوارها السحيقة النائية كيما يؤدي احساسه تأدية أمينة صحيحة لا كلفة فيه ولا غش .

رامي شاب يتدفق في شرايينه دم الصبا وتغلي في فؤاده نزوات الفتوة وتسبق العاطفة فيه العقل، وتتحكم في قلبه أعراض الشباب من طيش ورعونة ونزق وعدم احتفال، وهو يدري ذلك جيداً ولكنه لا يخشاه أو يحاول تشذيبه أو الفرار منه، إذ هو يحس بسليقته الشعرية أن مستهبط وحيه هو هذا الشباب الاهوج الجموح ، وأنه لولا الشباب لما كان الشعر ، وأن نقائصه المزعومة تلك هي في الحقيقة غذاء الميول الاول والاخير . لذلك هو يعب في شبابه حتى الشرق ، تاركا نفسه على سجيتها ، مطلقاً لشهواته العنان ، مرسلا أهواءه في يم الحياة حيث يعلم أن قلبه لا بد سيتحطم على صخرة في النهاية ألماً وحسرة .. هو عربيد كبير يستدلم كل الاستسلام

(١) وهذا كذب وجهل أيضا

لغرائزه الدنيا ويذهب في الخضوع لها أقصى المذاهب كي يلمس عن كثب وجه الحياة كاملا من فرح وبؤس ، وضحك وبكاء، وجحيم ونعيم، ولذة وألم . يعيش رامي هذه العيشة غير العادية التي تذكرنا باللورد بيرون أو الفريد دي موسيه . يعيشها كمتعة وكموضوع للدرس . يعيشها كفيلسوف وكشاعر . يريد أن يحس بها ليفهمها ويؤديها كما شاعت في نفسه واضطرمت بين جوانحه . لذلك هو شديد الحاجة لعقل نير مدقق فاحص يحفظ به توازنه ، ولذلك هو شديد الميل للاغتراف من معين الثقافة الأوروبية حتى يتمكن عقله من ملاحقة وجدانه في تدوين ما يجول به من عواطف وشعور . واليك مثال ذلك قطعة عنوانها (بين الشك واليقين)

قد أحاطت بك العيون فما أسـ ... ـطيع ألقى مكان عيني منك
وجرت حولك الأحاديث حتى ... كدت أنسى الذي أحدث عنك
وأطافت بـك القـلوب وقلبي ... ضـاع في غمرهـا ولمـا يضعك
خبريني أي القـلوب تناجيـ ... ـن فقـد همت في غيـابة شك
أي نفس سبرت غور هواهـا ... وتحـديت سرهـا بالهتـك
فتنعمت كي تنيمي أسـاهـا ... نومة الطفل بعد طول التشكي
وتبـادلتما الهـوى بعيون ... تتـلاقى بالغيب خوف التحكي
هي نفسي ، قولي أقري شجاها ... وأبيني عن سر نفسك تلك
أم نفوس حسبت فيهـا وفـاء ... وتوهمت حبهـا دون شرك
فدك وهما ، لقد تغلغلت فيهـا ... وتبـينت ميـلهـا للترك
فشجـاني أني أحبـك حبـاً ... خالص الود في نعيم وضنك
وتيقنت أن ملكك قلبي ... وتأكدت أن قلبك ملكي

هذه الوحدة الأساسية المترابطة بها أجزاء المقطوعة بحيث لا يمكن انتزاع أي بيت منها دون أن يهوي البناء كله[1] أمر نادر للغاية عند شعرائنا، وهو الدليل الحي على هجمة العاطفة المباغتة على الشاعر دفعة واحدة .

(١) هذا من سوء فهمه للشعر لجهله اللغة فلو انتزع البيت الثاني والثالث يبقى البناء قائما لا ينقض و يمكن انتزاع غيرهما أيضا مع بقاء البناء قائما سليما

وان ما يستهويني في رامي هو أنه شاعر له عروس شعر يستوضح على نورها مفاتن الحياة، يحبها ويستوحيها فنه ويحب الحب فيها ويحب نفسه عاشقاً لها ، مضنى بهذا العشق متشبثاً به في بلد متأخر نساؤه ، مقصيات عن رجاله، لا يشعر فيه الأديب الفنان شعوراً مباشراً بما تحمل المرأة من سحر الانوثة وكنوز الرحمة، ورامي صادق في شعره صدقه في حبه ، وهذا الصدق هو الذي يمتاز به عن شعراء الشباب جميعاً ، فمقاطيعه تتراءى فضاحة مخضبة بدم قلبه فيها كل هواه من ولع وشك وغيرة وحسرة وعذاب كهذه مثلا :

بين ذل الهوى وعزة نفسي ضاع قلبي فما عرفت التأسي
وعزيز على الهوى أن أضيع الـ ـقلب في الحب بين ظن وحدس
كلما قلت هين في هواها ما ألاقي من وحشة بعد أنس
خفت أني أكون أعطيت قلبي للذي باع حبه بيع بخس
وفؤادي أعز ما أقتنيه في حياة أعيش منها بحسي

أو بعض هذه :

كان يغنيني إذا عز اللقاء أننا ننشق من نفس الهواء
ويعزيني إذا طال المدى بالتلاقي أن أظلتنا سماء
ثم وليت فلم ألق الذي يبعث السلوى لنفسي والعزاء
ياهنيئاً لك ما تلقينه من نعيم ومراح وصفاء
شارفي البحر وناغي موجه وابعثي النشوة فيه بالغناء
وانضحي الجو بمنثور الشجى واتركي الألحان تسري ماتشاء
مالقلب فاقد توأمه غير أن يبكي ويمضي في البكاء .

ثم هو مغرم باقتناص شوارد عواطفه ، وحبسها في مقطوعة صغيرة كما يفعل شعراء الغرب بعد تحليلها حسب التدرج المنطقي في احساسه بها كهذه (١)

هجرتك علني أسلو فأنسى وأطوي صفحة العهد القديم

(١) ليس في هذه الابيات معنى غريب عن الشعر العربي ولكن المقرظ لا يعرفه أو يتعمد هجوه بالباطل

وعالجت التناسي فيك حتى غدا من فرط ذكريه همومي
ذكرتك ناسياً ونسيت أني أريد البرء للقلب الكليم
وكنت أحاول النسيان جهدي فصرت أحن للحب المقيم

ولرامي بعد اذ يكون قد أقلقه حبه وعبث براحته وأمضه رغبة في افتقاد نفسه والخلو بفكره واستجاع قواه لتحليق بها فوق العالم بعيداً عن الصغائر اليومية حيث تخلص روحه من أدران الارض وتتطهر في سموات الله . واليك بعض أبيات من قصيدة رائعة أسماها (الوحدة) فهي أبدع ختام :

أنا إن عشت لا أعيش لنفسي فمقامي استرواحة لظعين
إنما العيش روضة أنا فيها زهرة لا تظل فوق الغصون
ضاع نشري فضاع في الجو لم ينـ شقه إلا لوافح تذويني
ـع صوتي في ضجة الناس لا أسـ ـمع فيهم تناوحي وأنيني
فاذا ماخلوت أسمع في الوحـ ـدة نفسي وأستجيش حنيني
وأراني وقد غنيت عن النا س بنجوى خواطري وظنوني
خلت أني أعيش في عالم الار واح لا في سلالة من طين

***

والآن وقد أشرت الى مكانة رامي عندنا من الشعر الصحيح أقول إن هذه كلمة كان من واجبي أن أكتبها اعترافا بمجهوده ، غير أني لا أود أن يفهم البعض منها أن في نيتي اقامة شعر (احمد رامى) على صرح شاهق والاشادة به كعمل من الاعمال الانسانية الخالدة . لا . ليس في هذا الشعر لا إبداع خارق ولا عبقرية ولكنه أجود من أي شعر نسمعه من شباب مصر اليوم ، ورامي أصدق من كثير من شعرائنا المشهورين ، وقد يأتي يوم وهو دون شك قريب تكتمل فيه قوى شاعرنا الشاب فيتحرر تمام التحرر من أوزان الشعر العربي التقليدي وتفاعيله ، وعندئذ يخلق خلقه الخاص في إطار مبتكر طريف غير مقيد لا بالقافية العربية المتشابهة العتيقة ، ولا بالفكر العربي أيضا

ابراهيم المصري

[تعليق المنار]

يصف الادباء الدكتور طه حسين بالغرور ولكن غروره يعد تواضعاً تجاه غرور مقلده ابراهيم المصري فهو يحكم على رامي وعلى سائر شعراء العصر وقد فضله عليهم ويحكم على أشعار الامم والشعوب وعلومها حكم القاضي الجاهل الجائر المغرور الذي يسوّل له غروره ان الاعناق كلها تخضع لحكمه ، وان الطبيعة تنفذه ممتثلة لامره ونهيه ، وأعجب أمره ان كل ماهجا به الادب والشعر العربي بالباطل يحق عليه في مقاله هذا فهو شعريات خيالية كاذبة فيما مدح وفيما ذم ، وهو مزجي البضاعة في اللغة العربية كما يعلم من أغلاطه ووضعه الكلم في غير موضعه ، وفاقد لذوق الشعر العربي الذى أعجب به كل من عرفه من جميع الامم

ماوصف به هذا المقرظ شعر العرب باطل لايخفى بطلانه على أحد اطلع على شعرهم قبل الاسلام وبعده ، فان كان له دليل يدل عليه ، أو شواهد تشهد له ، ففي نظم بعض المولدين المتكلفين في القرون الوسطى الى القرن الماضي . وسببه ضعف اللغة العربية بضعف دولها أو زوالها وهو مايسميه أهل النقد اليوم وقبل اليوم نظم الاشعرا

كان بيني وبين مستر (متشل إنس) الانكليزي الحر المستقل الفكر مسامرات ومطارحات علمية وأدبية ودينية أيام كان بمصر يشغل منصب (وكيل وزارة المالية) ذكرنا في بعض أسمارنا الشعر فقال انه لايظن أن الشعر العربي يسمو الى مكانة الشعر الانكليزي ، قلت وأنا لا أظن أن الشعر الانكليزي يرتقي الى أوج الشعر العربي في حكمه وسائر معانيه ، ولكن ظني وظنك منتزعان من معرفة أحد الشعرين فلا يصح أن يبنى عليه حكم صحيح وإنما الحكم الصحيح في هذا لمن أتقن اللغتين ، ومارس الشعرين

ثم لقيت مستر (بلنت) المستشرق الانكليزي الشهير وهو الذى نظم المعلقات السبع باللغة الانكليزية ، ومن أجدر منه بالحكم في هذه القضية ؟ فذكرت له مادار بيني وبين مستر متشل إنس وطلبت حكمه فيه فقال :

قل لمتشل إنس : إن العرب كانت تنطق بالحكمة في شعرها عند ما كان

الانكليز دايرين عريانين في الغابات . اهـ بحروفه

وأقول الآن ان الانكليز هم أصحاب القدح المعلى بين الشعوب الأوربية في الشعر وشاعرهم الأكبر (شاكسبير) لايفاخره مفاخر في شعب منها

وأما شعر الاغريق الذي يفضله المجدد (ابراهيم المصري) على الشعر العربي وينعي على العرب نبذهم له وترك الاقتباس من معانيه كما اقتبسوا من فنون اليونان وفلسفتها — فقد كنا نجهله قبل أن يترجم لنا سليمان افندي البستاني (الالياذه) نظما ، وكنا لانبيح لأنفسنا الحكم فيه فلما اطلعنا على (الالياذه) وهي أعلى شعر الاغريق ومفخرتهم التاريخية حكمنا بأن أجدادنا لم ينبذوا شعرهم وراء ظهورهم إلا أنهم وجدوه دون الشعر العربي في حكمه وسائر معانيه ، وأنه على ذلك مشوّه بالخرافات الوثنية التي طهر الله عقولهم ومخيلاتهم منها بالاسلام ، وأن هذا كان عن علم ومعرفة من خواص أدبائهم لا من باب من جهل شيئا عاداه .

هذا وان شعر هوميروس أقدم شعر يذكر فى التاريخ، وشكسبير أشعر شعراء الانكليز بل الافرنج كافة قديم أيضا فقد نظم شعره فى القرن السادس عشر ومات هو فى ١٦١٦ م وذلك قبل ابتلاء أوربة بالثقافة المادية الشهوانية الجديدة التي يدعو اليها هذا الكاتب وأساتذته بحجة تفضيل الجديد على القديم !

يزعم المفرط ان العرب لم يوجد عندهم كتاب إلا كتاب دينهم (القرآن) ولا ندري أيقول هذا عن جهل بما عند العرب أم تبيح له دعاية الالحاد وهدم مقومات الأمة العربية الكذب كما هو شأن جميع دعاة السياسة ودعاة الزندقة

إنما موضوع كلامه وكلامنا معه الشعر ، فهل يدعي أن ديوان الحماسة ودواوين المعري ولا سيما اللزوميات مصداق لما وصم به الشعر العربي « والعقلية العربية » ؟ دع ما لا يحصى من كتب الأخلاق والأدب المتداولة كأدب الدنيا والدين للماوردي والحكم لابن عطاء الله الاسكندري — وغير المتداولة وهي أكثر وبعضها محفوظ في خزانات دور الكتب العامة والخاصة وأكثرها قضى عليه جهل التتار المخربين في الشرق ، وجهل الاسبان المتعصبين في الغرب .

أي عيب في الأوزان العربية حمله على جعلها رقا يجب أن يحرر الشاعر نفسه منه ؟ وأما القوافي فان صح أنها قيد أو مدعاة ملل فاللغة لاتقيده بشيء منها ، وقد كسر المولدون من شعراء العربية في الاندلس وفي الشرق هذا القيد منذ قرون ، وزاد شعراء هذا العصر عليهم .

وأما علوم العرب وفنونهم واستاذيتهم لاوربة فمبسوطة في كتب علمائها المنصفين ومؤرخيها الاجتماعيين ، كموسيو سيديليو والدكتورغوستاف لوبون ومستر درابر وأمثالهم

أعاذ الله الشاعر الفتى (احمد رامي) بسلامة فطرته، وفضائل ملته ، ومقومات أمته ، واستقلال فكره ، من إغواء شياطين الزندقة والالحاد ، ودعاة الاباحة المطلقة ، أعداء أمتهم وملتهم ، وخدمة المستعمرين المستعبدين لأقوامهم ، والمستبدين في مصالح أوطانهم ، وعن تغريرهم لهم بلقب الشباب لحسبانهم ان الشبان بغرارتهم وحبهم للتنقل والتجدد ، وجرأتهم على الأحداث بطبيعة حداثتهم ، هم الذين يتبعون غوايتهم ، ويؤلفون جند ضلالتهم ، ويكونون في مصر ثقافة مادية إباحية تذهب بصحة الامة وثروتها وأعراضها ودينها فتكون طعمة للطاعمين الطامعين .

وبهذه المناسبة نعيد ونكرر تحذير الامة العربية في مصر وفي كل قطر من دعاية جريدة السياسة الالحادية ودعواها إمكان استغناء هـذه الامة عن دينها وتشريعها وآدابها وتاريخها بما تسميه الثقافة الاوروبية ، فان الامة العربية لاتحتاج الى اقتباس شيء من اوربة الا الفنون العملية التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والنظام المالي والعسكري . وكل ماعدا هذا من عادات وتقاليد وتشريع وفلسفة مادية فهي مفسدة للأمة لا لان مايصلح لامة لا يصلح لاخرى بل لان فساد الآداب والعادات والافكار المادية هي في اوربة موضوع شكوى عقلائهم من جميع شعوبهم ، ولان هذه الشعوب اقوى من امتنا احتمالا لهذه المفاسد ، وإننا نرى من تأثير دعاية الالحاد وفوضى الآداب هنا مايشكو من سوء عاقبته جميع العقلاء ولا سيما فشو اباحة الاعراض الذي هو مصيدة الشيطان للشبان . فهو هادم لنظام البيوت (العائلات) وهدمها هدم للامة فكيف يمكن معه تجديد شباب الامة وملكها ؟؟

أنباء العالم الاسلامي

البابية البهائية في بلاد العرب

كان بلغنا أن الشيخ محمداً الخراشي المصري سافر من مصر إلى العراق ، ثم كتب الينا في أواخر العام الماضي (عام ١٣٤٤) أنه قصد الكويت فالبحرين وأنه يجاهر بدعوة المسلمين إلى الديانة البهائية ، فنحذر إخواننا مسلمي العرب هنالك من هذا الداعية المضل فالواجب أن يفروا منه فرار السليم من الأجرب لئلا يفتن بعض الضعفاء عن دينهم أو يشككهم فيه ، ولا يغرن أحداً منه ادعاؤه للاسلام ، وما كان من انتسابه الى الازهر ومدرسة الدعوة والارشاد ، فهو قد تقلب وتذبذب ، وذهب مع اهوائه كل مذهب ، حتى انتهى امره الى البهائية ، وإن ادري أعقيدة دينية ، ام مصلحة دنيوية . ثم لا يغرنهم مع ادعائه للاسلام ادعاؤه أن البهائية إصلاح وتجديد له ، وأن البهاء زعيم هذا الدين هو المهدي أو المسيح المبشر به ، فالحقيقة أن البهائية مشركون قد اتخذوا البهاء إلها يعبدونه وهم يحرفون القرآن والتوراة والانجيل في مواضع يزعمون بتأويلاتهم الباطنية أنها تدل على هذه الديانة وزعيمها البهاء . وليعلموا أن رجلا مصريا اغتر بدعاية الخراشي وأمثاله فانتحل البهائية وادعى أنها لا تنافي الاسلام ، فحكمت إحدى المحاكم الشرعية وقد رفع اليها امره بارتداده وخروجه من الملة المحمدية وفرقت بينه وبين زوجه ، ولعل هذا الحكم هو سبب فرار الخراشي من مصر

هذا وإن للبهاء كتابا سماه الكتاب الاقدس زعم أنه عارض فيه القرآن الحكيم ، المعجز للبشر إلى يوم الدين ، ولكنه أودعه من الانباء عن المستقبل ما أظهرت الأيام كذبه وبطلانه ، ولاجل هذا وغيره من مخازيهم أخفى زعماء البهائية نسخ هذا الكتاب فلا يطلعون عليه أحدا ، وبلغنا أنهم مجتهدون في جمع كل ماطبع منه حتى إذا ماتم لهم ذلك أحرقوا هذه النسخ كلها ، وحذفوا منه كل ماظهر بطلانه ، وما يحتمل ظهور بطلانه في المستقبل ، ثم يزيدون فية بعض المسائل الجديدة المقبولة في عالم المدنية ويطبعونه وينشرونه ويدعون أن البهاء هو الذي قال بها كما كان يفعل ولده عباس افندي الملقب بعبد البهاء ، وكان وهو المنقح المشذب المنظم لهذا الدين ،

المتصرف فيه بما تقتضيه شؤون العالم الحديثة

كنا أول من صرح في مصر بان البهائية دين جديد بني على أساس نحل الباطنية، وكان داعيتهم الوحيد أبو الفضل الجوزقاني يأبى التصريح بذلك بل ينكره أمام جمهور الناس ، كما أن خليفة البهاء ولده و (عبده) عباس أفندي كان ينكر ذلك ويصرح في القطر المصري بانه مسلم سني ، ولكنهم يصرحون بذلك لمن يضلونه بعد أن يثقوا بانه ثابت على دينهم ، كما كان سلفهم من الباطنية الاولين يفعلون. بل قد صرح عباس نفسه بان دينهم جديد فيما كتبه إلى جمعية لاهاي، ففي أول ص١٦ من ترجمة كتابه هذا بالعربية التي نشرها أحد دعاتهم بمصر وهو الشيخ فرج الله زكي الكردي مانصه « فالجميع يجدون في تعاليم بهاء الله منتهى آمالهم ورغائبهم ، فمثلا يجد أهل الاديان في تعاليم بهاء الله تأسيس دين عمومي في غاية الموافقة للحالة الحاضرة » الخ

فالبهائية شر من (الاحمدية) القاديانية لانهم اتخذوا زعيمهم (غلام أحمد القادياني) نبياً ومسيحا لا إلها ولم ينسخوا من الشرعية المحمدية إلا أحكاما قليلة كالجهاد وما يتعلق به دهانا للانكليز، وكلهم أعداء للاسلام كافرون به مضلون لأهله .

﴿ عودتنا من الحجاز ﴾

قد منّ الله تعالى علينا وله الفضل والمنة بأداء مناسك الحج والعمرة مرة ثانية في الموسم الأخير (سنة ١٣٤٤) وبحضور المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد بمكة المكرمة في شهري ذي القعدة ، وذي الحجة ، وبلقاء زعيم الاسلام والعرب في هذا العصر عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ومذاكرته في شؤون الاصلاح الاسلامي وترقية الامة العربية بما تقتضيه حال العصر فألفيناه ولله الحمد فوق ما كنا نظن فيه من الهدى والعقل وجودة الرأي وعلو الهمة، ونبشر الأمة بأنه لم يقع بيننا وبينه خلاف في الرأي البتة ، ورأينا معروف لدى قراء المنار وكثير من غيرهم . واننا سنكتب رحلة ثانية للحجاز نبين فيها ماترى مافيه الفائدة مما استفدناه من هذه الرحلة

وقد منّ الله تعالى علينا بالعودة الى مصر فوصلنا الى القاهرة في ليلة ٢٠ المحرم من هذا العام الجديد جعله الله تعالى عام إصلاح وتجديد .

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ صفر سنة ١٣٤٥هـ ١٤ برج السنبلة سنة ١٣٠٥ هش ٧ سبتمبر سنة ١٩٢٦

فتاوى المنار

﴿ تنبيه ﴾ المرجو من حضرة المشترك الذي أرسل الينا أسئلة بيع الاقالة من بندر لنجه في الخليج الفارسي أن يعيد ارسالها بعبارة عربيـة صحيحة واضحة من غير مقدمة مدح ، فاننا لم نفهم ما كتبه الينا ولذلك لم نجب عنه

﴿ أسئلة عن الجمعة والتوسل والذكر وابن تيمية وكتبه مع اجوبتها ﴾

(س ٤ — ٩) من معمل السكر في الحوامدية

من محمد احمد عبد السلام إلى فضيلة مولانا الاكبر محي السنة ومميت البدعة معدن الاسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية ، ووارث الحضرة النبوية ، شيخ الاسلام والمسلمين ، وامام أئمة وقته أجمعين[1] الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجـلة المنار حرسـه الله تعالى وفسح في مدته ونفع به المسلمين آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فالرجا افادتي عن الآتي ذكره ولك الفضل والشكر والمنة

﴿ شروط مكان الجمعة وعدد جماعتها وتقليد الظاهرية فيه ﴾

(س١و٢) هل صلاة الجمعة تصح داخل المعمل المشهور بفابريقة السكر عند السادة الشافعية ، مع العلم ياسيدي بأن الفابريقة المذكورة في وسط أبنيـة ، فمن الجانب الأيمن عزبة بناؤها ملصوق ببناء سور الفابريقة ، ومن الجانب الايسر عزبتان بين الاولى والسور مسيرة دقيقتين وربع ، وبين الثانيـة والسور مسيرة خمس أو ست دقائق ، وبين الجانب الغربي عزبة بينها وبين السور مسيرة دقيقة أو دقيقة ونصف والعمال مضطرون لاداء الجمعـة بالفابريقة من وجهين (الاول) أن ترك

(١) اننا نشهد الله باننا لانرى نفسنا أهلا لهذه الألقاب وانما نثبتها للاسباب التي بيناها من قبل ، ومنها أمانة النقل، ونرجو أن لا يعود هو ولا غيره الى ذكرها

الجمعة كبيرة (الثاني) أنهم لايمكنهم الخروج لادائها بالمسجد ، وعليه فهل تصح الجمعة على هذا التفصيل بالفابريقة أم لا ؟ وهل يجوز أن يقلدوا قول داود وابن حزم بأن الجمعة كسائر الصلوات تصح ولو برجل وامرأة لافرق بين فلاة وبلد أم لا؟

(ج) شروط مذهب الشافعي في مكان الجمعة أن تكون أبنية فيها جمع تصح به الجمعة وهو أربعون رجلا مقيما بشروطهم المشهورة في المذهب أو يبلغهم صوت مؤذن عال في هدو من طرف بلد آخر يليهم ، فاذا كانت المباني المتصلة بعمل السكر تحوي من أهل الجمعة الذين تنعقد بهم أربعين رجلا وجبت عليهم وصحت منهم

والواجب في الاحكام الاجتهادية أن يعمل كل مكلف بما قام عنده الدليل عليه منها ، فان عجز عن معرفة الدليل قلد من وثق بعلمه ودينه من أهل الاستدلال الاحياء أو الاموات . وداود بن علي وعلي بن حزم من أئمة الظاهرية منهم ، وما روي عن الظاهرية من أن صلاة الجمعة كصلاة الجماعة تصح من اثنين فأكثر رواه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري عنهم وعن النخعي عن أئمة التابعين والحسن بن يحيي . ويقرب منهم قول ابي يوسف ومحمد صاحبي ابي حنيفة باشتراط اثنين مع الامام ، وقول ابي حنيفة باشتراط ثلاثة مع الامام ، وقال بهذين القولين آخرون من المجتهدين ، ولكن الحنفية يشترطون اقامة الجمعة في مصر تقام فيه الاحكام الشرعية . والتحقيق أنه لم يثبت في عدد الجمعة حديث ، ولذلك قال هؤلاء بأن جماعتها كسائر الجماعات .

﴿ حكم اكل عمال معمل السكر منه وركوب مركبات الترام ﴾

(س٣) هل يجوز لعمال معمل السكر أن يأكلوا من سكره شيئاً أم لا ؟ وهل الركوب في مثل الترام والسكة الحديد جائز ام لا مع العلم بأن أكل الآكل أو ركوبه لايضر المصلحة بشيء وأصحابهم كفار ، أفيدوا هل ذلك حرام أم حلال ؟

(ج) هذه المسألة يعمل فيها بالعرف فاذا كان المعهود المعروف عند أصحاب المعمل أن العمال يأكلون منه ويرضون بذلك فلا هم ينهون العمال ولا العمال يأكلون في

حال غيبتهم دون مشهدهم لاعتقادهم أنهم يسمحون لهم بالاكل — فأكلهم منه حلال وكذلك ركوب مركباته اذا كان معروفاً بلا نكير ولم يكن من نظام ادارة المعمل أخذ أجرة منهم على ذلك فلا يحرم ركوبها . فالعرف هو الحكم في المسألتين والعمدة فيه اعتقاد العامل أنه غير سارق ولا متصرف في متاع غيره بدون رضاه . هذا اذا كانت مركبات الترام أو السكة للشركة التي يقوم العمال بشؤونها . وإلا فلا شك في عدم رضا أي شركة بركوب الغريب في مركباتها بدون رضاها ، ولا فرق في هذه الأحكام بين المؤمن والكافر ، وانما الفرق بين دار الاسلام ودار الحرب فأهل دار الحرب الذين لا يلتزمون من أحكام شريعتنا لا يجب علينا التزام أحكامها في أكل أموالهم برضاهم وانما يحرم علينا أكلها بالخيانة والسرقة

وليعلم أن قول السائل ان أصحاب الشركة كفار أنهم غير مسلمين كما هو الاصطلاح الشرعي وليس المراد به الاهانة

﴿ التوسل بالانبياء والصالحين ﴾

(س٤) هل يجوز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، أو الانبياء ، أو الصحابة أو الاولياء ، ولو قيل بالجواز أو عدمه فهل من دليل ؟ وما رأي فضيلتكم في رواية البخاري « اللهم بحق ممشاي وبحق الصالحين عليك » وهذا يفيد جواز التوسل ، وما قولكم في حديث « توسلوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم » هل صحيح أو حسن أو ضعيف أو مكذوب وأين أجده في كتب المحدثين ؟ أفتونا وابسطوا لنا القول حيث أن بلدتنا بخصوص ذلك قامت على ساق ولم نرض ولم يطمئن قلبنا إلا بفصل قضائك بيننا جعلكم الله ملجأ الحائرين

المعروف عند عامة أهل عصرنا من معنى التوسل أن يعتمد المرء في قضاء حاجاته من جلب نفع أو كشف ضر أو نجاة في الآخرة من عذاب الله أو فوز بنعيم الجنة على أشخاص الانبياء والصالحين وسؤالهم ذلك أو سؤال الله تعالى باشخاصهم أن يعطيه اياه ، دون العمل بما جاء به الرسل عن الله من علم اعتقادي وعمل صالح وهوما كان الصالحون صالحين باتباعهم فيه . وهذا التوسل مخالف

لأصول الاسلام وهداية القرآن ، وجار على قواعد الوثنية ، وتعاليم النصرانية الكاثوليكية، فان قاعدة الاسلام أن النجاة في الآخرة وسعادتها ينالان باتباع الرسل فيما جاؤا به من الايمان ، وعبادة الله تعالى وحده بما شرعه ، لا بوجود أشخاصهم، ولا بدعائهم وسؤالهم والتوسل هو التقرب ولا يتقرب إلى الله تعالى إلا بما شرعه على لسان رسوله لانه هو الذي تتزكى به النفس وتصير أهلا لرضوان الله تعالى . قال الله تعالى (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وقال (قد أفلح من تزكى) وقال بعد ذكر دخول الجنة (وذلك جزاء من تزكى) وقال (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) وأشخاص الانبياء والصالحين ليست من سعيه ووجودهم لا يزكيه ولا يهديه بل اتباعهم قال الله تعالى في صفة من كتب لهم رحمته (٧ : ١٥٧ الذين يتبعون الرسول النبي الامي) الخ ثم قال (١٥٩ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) ، وقد ثبت أن وجود بعض المرسلين لم يكن سببا الهداية بعض أبنائهم وآبائهم وأزواجهم ولا لنجاتهم من العذاب الذي عوقب به من كفر بهم كولد نوح ووالد ابراهيم وامرأة لوط عليهم السلام .

والآيات المصرحة بان دخول الجنة والنجاة من النار بالايمان والاعمال كثيرة جداً لانحتاج إلى التذكير بها

وأما مقاصد الدنيا فهي منوطة باتخاذ ماسخر الله للناس من أسبابها كأسباب الرزق من زراعة وصناعة وتجارة وأسباب شفاء الامراض من أدوية وأعمال جراحة وأسباب النصر على الاعداء من نظام واعداد مايستطاع من قوة ، وكل مايعجز الانسان عن تحصيله من طريق الاسباب فلا يجوز له أن يدعو غير الله تعالى فيه

وأما الاعتماد في تحصيل ماوراء الاسباب من رغائب أو رفع مضار ، وفي النجاة من النار ودخول الجنة على وجود الصالحين وتوسطهم عند الله تعالى بمجرد طلب ذاك منهم فهي قاعدة الديانات الوثنية كما تقدم . وقد قال تعالى في صفة يوم القيامة (يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) وأمر خاتم رسله أن يقول لامته (قل إني لاأملك لكم ضراً ولا رشدا) أي ضراً ولا نفعاً ولا رشدا ولا غيره — اقرأ مابعدها أيضا وفي معناها ايات

وجملة القول أن التوسل هو التقرب وإنما يتقرب إلى الله تعالى بما شرعه على ألسنة رسله لا باشخاصهم وباتباع الصالحين في ذلك لا بذواتهم وأن غير ذلك غير مشروع ومنه ماهو شرك بالله كدعاء غيره بما لا يدعى به غيره كما فصلناه مرارا ومنه ماهو ذريعة إلى الشرك ، ومنه ماهو معصية

وماذكره السائل من عزو : اللهم بحق ممشاي اليك وبحق الصالحين عليك » الى صحيح البخاري خطأ فهو ليس من رواية البخاري كما قال وإنما روى أحمد عن أبي سعيد أنه (ص) علم الخارج إلى الصلاة أن يقول في دعائه « وأسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشراً ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك » وهو من طريق عطية العوفي وقد ضعفه أحمد والجمهور وقالوا كان مدلساً وشر تدليسه ماحكاه ابن حبان في الضعفاء من كونه كان يأتي محمد بن السائب الكلبي المفسر الكذاب فيأخذ عنه الاحاديث ويرويها ، فاذا قيل له من حدثك بهذا ؟ يقول أبو سعيد ، فيوهم السامع انه سمعه من إبي سعيد الخدري الصحابي (رض) إذ كان قد لقيه وروى عنه ، وانما تأول هذا التدليس واستحله بتلقيبه الكلبي بابي سعيد على أن معنى الدعاء المذكور لوصح لا يدل على التوسل بالاشخاص ، فان حق السائلين على الله تعالى أن يستجيب دعاءهم كما وعد بقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) فكأنه يقول اسألك بوعدك الحق أن تستجيب دعائي ، وحق الصالحين عليه أن يثيبهم على صلاحهم كما وعد في آيات كثيرة ومنه توسله بممشاه إلى الصلاة بالصفة التي ذكرها فهو توسل بعمل صالح من أعماله لا بشخص عامل آخر

حديث التوسل بجاهه (ص)

هذا الحديث موضوع لا أصل له ولا يمكن أن تجدوه في شيء من دواوين السنة لا الصحاح ولا السنن ولا المسانيد ويذكر بلفظ « اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عندالله عظيم » قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب التوسل والوسيلة وغيره هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث

ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع أن جاهه أعظم من جاه جميع الانبياء والمرسلين الخ — إلى أن قال — ولكن جاه المخلوق عند الخالق ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه الخ وقد بينا هذا من قبل في المنار مفصلا

﴿ ذكر النبي وأصحابه لله تعالى، واذكار اهل الطريق ﴾

(س٥) ما كيفية الذكر الذي كان يذكره النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هل كانوا يتمايلون كما عليه أهل الطريق الآن أم لا ؟ وهل سير أهل الطريق موافق لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم اه

ما كان النبي (ص) ولا أصحابه (رض) يرقصون عند الذكر ولا يتمايلون ولا يصيحون ، والاذكار المأثورة عنه (ص) مدونة في كتب السنة ومن أجمع الكتب لها كتاب الاذكار للامام النووي رحمه الله ، وقد فصلنا القول في هذا مراراً وتجدون في باب التقريظ كلاما لبعض كبار علماء الازهر فيه

﴿ شيخ الاسلام ابن تيمية وكتبه ﴾

(س٦) ما قول فضيلتكم في شيخ الاسلام ابن تيمية : هل هو ممن يؤخذ كلامه ويطلع على كتبه أو كما يقوله ويدعيه عليه اللئام وما الموجود من مؤلفاته اه

وأنا أرفع طرفي إلى السماء وأبسط أكف الضراعة إلى الله تعالى في رد هذا الجواب وافادتي وأهل بلدي عما في ذلك الخطاب : نفعنا الله بكم والمسلمين

كثير الآثام محمد احمد عبد السلام

موظف بفابريقة السكر بالحوامدية

(ج) الشيخ تقي الدين احمد بن تيمية من أفراد أعلام هذه الملة ، وأعظم أنصار السنة ، وقد شهد له المنصفون من علماء عصره ومن بعدهم بالاجتهاد المطلق ولقبوه شيخ الاسلام ، وكتبه من أفضل كتب علماء الاسلام ، وقد انتشرت ولله الحمد في هذا الزمان ، فطهرت عقول خلق كثير من البدع والخرافات والشرك الجلي والخفي ، وقد سبق لنا التنويه به وبكتبه في باب الفتوى وغيره ، وقد ألف

بعض كبار العلماء في مناقبه كتابا سماه (الرد الوافر) فعليكم به وبكتاب التوسل والوسيلة وغيره من كتبه . والكتاب المذكور قد فصل فيه كل مايتعلق بمسألة التوسل وما ورد فيها مما يشتبه على بعض الناس كتوسل الصحابة بالعباس (رض) في الاستسقاء وبيان كونه توسلا بصلاته ودعائه لا بشخصه وإلا لتوسلوا بالنبي (ص) ولم يقولوا ماقالوا — وصفحاته ١٥٥ بقطع المنار وقد طبعناه ثلاث مرات. وله كتب كثيرة من المطبوع منها منهاج السنة وفي حاشيته العقل والنقل ويدخلان في أربعة أجزاء ، ومنها مجموعة الفتاوى في خمسة مجلدات ومنها مجموعتان من كتبه ورسائله، ومجموعة جديدة من رسائله وفتاويه تم طبعها عندنا هذه الايام، ومنها كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) الخ

﴿ حكم فتاة تدعو الى مخالفة القرآن وتنكر بعض أحكامه ﴾

(س١٠) من حضرة صاحب الامضاء في طنطا (ورد في العام الماضي)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار

أحيي فضيلتكم وبعد : دفاعكم عن الدين الاسلامي شجعني على سؤالي هذا وردكم على منتقديه يبشرني بنشر جوابه إما على صفحات الجرائد أو في مجلة المنار .

ماراي فضيلتكم في آنسة مسلمة تحرض النساء المسلمات على خروجهن عاريات الوجوه يسرن في الطرقات والاسواق أمام غير المحارم وتحثهن على التبرج والزينة لغير أزواجهن وآبائهن الخ . وماورد في آية النور التي أولها « وقل للمؤمنات الخ » وتقول الآنسة المشار اليها : إن الشرع الاسلامي مجحف بحقوق المرأة خصوصاً في مسألة الميراث وتبيح لنفسها شرعا جديداً ملائما لرأيها تنادي فيه بتسوية المرأة بالرجل في الميراث .. أفيدونا ياصاحب الفضيلة على صفحات الجرائد أو في مجلة المنار وإني لاأضن على فضيلتكم بنشر نفس سؤالي قبل الجواب

وتفضلوا ياصاحب الفضيلة بقبول عظيم إجلال ؟ المخلص

سند ابراهيم محجوب

سكرتير مدرسة المعلمين بطنطا

(ج) رأيي بل حكم الله في الآنسة المسؤل عنها والموصوفة بانها مسلمة أنها غير مسلمة فان المسلمة هي المؤمنة المذعنة قلباً وقالباً لكل ماجاء به خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه من أمر الدين ، واذا جاز أن يعصي المسلم ربه بعمل من الاعمال لايلبث أن يندم ويتوب منه فلا يجوز عقلا ان يصدر من مسلم اسناد الظلم والاجحاف إلى كتاب الله تعالى وتشريع مايخالف نصاً قطعياً فيه وهو يعلم أنه فيه كمسألة الارث المذكورة في السؤال ، فاذا كانت هذه الآنسة ولدت من أبوين مسلمين ونشأت بين المسلمين ثم طرأت عليها هذه الضلالات فالحكم فيها أنها قد ارتدت عن الاسلام قطعا باجماع المسلمين ، وأنه لايحل لمسلم أن يتزوج بها ولا ترث أبويها ولا غيرهم من ذوي القربى المسلمين ولا يرثونها

هذا حكم الاسلام القطعي ، وسيقول الملاحدة من أمثالها إن ماقالته من جور أحكام القرآن في تفضيل الذكر على الانسى في الارث واستحسان ابطالها رأي من الآراء لاينافي الاسلام ولا يقتضي الكفر به كما قالوا في كتاب الشيخ علي عبد الرازق وغيره ، وهذا الاسلام الجغرافي الذي يذكرونه هو غير اسلام القرآن والسنة ، وقد وصفهم في هذه الايام واحد منهم بانهم يودون وجود اختراع جديد ينسف به بيت الله تعالى الذي فرض علينا استقباله والحج اليه وهدم مكة كلها من حوله لانه وجد في الحجاز من أهان الوثن الذي يسمى بالمحمل المصري ، ويدعي صاحب هذا القول أنه مسلم وأن صاحب المنار لو ناظره في الاسلام لرجع خاسراً صفقته ولم يربح شيئا . فهذه الآنسة تعد عند هؤلاء من خيار المسلمين

ذلك بأن الدين عند هؤلاء الناس لقب ورأي سياسي وضرب من روابط الجنسية، وان دين كل قوم ماهم عليه، فبدعة المحمل وبدعة الموالد وعبادة القبور وبدع الاكل والشرب والفسق في المقابر تعد عندهم من ديانة المصريين ومن يخالفهم فيها كأهل نجد يعد مخالفا لهم في الدين ويقترح بعضهم قتاله لانه مخالف لدين المصريين

والامر العجيب ان الملاحدة الذين يقدحون في الاسلام بزعمهم أنه دين خرافات كغيره من الاديان الشركية يتعصبون في هذه الايام للخرافات التي فشت في عوام المصريين باسم الوطنية ويطعنون في الوهابية التي تنكر هذه الخرافات وتزيل منكراتها التي ثبت أنها مخالفة لنصوص الاسلام القطعية

قاعدة جليله

فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة

مثل قصر الصلاة والفطر في شهر رمضان وغير ذلك

لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية
رحمه الله تعالى

(المقام الاول) أن من سافر مثل سفر أهل مكة الى عرفات يقصر وأما اذا قيل ليست محدودة بالمسافة بل الاعتبار بما هو سفر فمن سافر مايسمى سفراً قصر والا فلا

وقد يركب الرجل فرسخا يخرج به لكشف أمر وتكون المسافة أميالا ويرجع في ساعة أو ساعتين ولا يسمى مسافراً وقد يكون غيره في مثل تلك المسافة مسافراً بأن يسير على الابل والاقدام سيراً لا يرجع فيه ذلك اليوم الى مكانه. والدليل على ذلك من وجوه

(أحدها) انه قد ثبت بالنقل الصحيح المتفق عليه بين علماء أهل الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كان يقصر الصلاة بعرفة ومزدلفة وفي أيام منى وكذلك أبو بكر وعمر بعده وكان يصلي خلفهم أهل مكة ولم يأمروهم باتمام الصلاة ولا نقل أحد لا باسناد صحيح ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاهل مكة لما صلى بالمسلمين ببطن عرنة الظهر ركعتين قصرا وجمعا ثم العصر ركعتين : ياأهل مكة أتموا صلاتكم. ولا أمرهم بتأخير صلاة العصر ولا نقل احد أن أحداً من الحجيج لا أهل مكة ولا غيرهم صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما صلى

بجمهور المسلمين أو نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم أو عمر قال بهذا اليوم « يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » فقد غلط ، وانما نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا في جوف مكة لاهل مكة عام الفتح وقد ثبت ان عمر بن الخطاب [1] لاهل مكة لما صلى في جوف مكة ومن المعلوم انه لو كان أهل مكة قاموا فاتموا وصلوا اربعا وفعلوا ذلك بعرفة ومزدلفة وبمنى أيام منى لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بالضرورة بل لو اخروا صلاة العصر ثم قاموا دون سائر الحجاج فصلوها قصرا لنقل ذلك فكيف اذا أتموا الظهر اربعا دون سائر المسلمين؟ وأيضا فانهم اذا أخذوا في اتمام العصر والنبي صلى الله عليه وسلم قد شرع في الظهر لكان إما ان ينتظرهم فيطيل القيام وأما أن يفوتهم معه بعض العصر بل أكثرها فكيف اذا كانوا يتمون الصلوات؟ وهذا حجة على كل أحد وهو على من يقول إن أهل مكة جمعوا معه أظهر ، وذلك أن العلماء تنازعوا في أهل مكة هل يقصرون ويجمعون بعرفة على ثلاثة أقوال فقيل لا يقصرون ولا يجمعون وهذا هو المشهور عند أصحاب الشافعي وطائفة من اصحاب احمد كالقاضي في المجرد وابن عقيل في الفصول لاعتقادهم ان ذلك معلق بالسفر الطويل وهذا قصير (والثاني) انهم يجمعون ولا يقصرون وهذا مذهب ابي حنيفة وطائفة من اصحاب أحمد ومن اصحاب الشافعي والمنقولات عن احمد توافق هذا فانه أجاب في غير موضع بأنهم لا يقصرون ولم يقل لا يجمعون وهذا هو الذي رجحه ابو محمد المقدسي في الجمع وأحسن في ذلك (والثالث) انهم

---

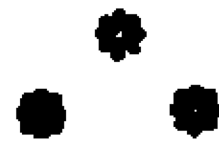
(١) لعل صواب العبارة هكذا : ان عمر بن الخطاب قال مثل ذلك لاهل مكة الخ

يجمعون ويقصرون وهذا مذهب مالك واسحق بن راهويه وهو قول طاوس وابن عيينة وغيرهما من السلف وقول طائفة من اصحاب احمد والشافعي كأبي الخطاب في العبادات الخمس وهو الذي رجحه ابو محمد المقدسي وغيره من اصحاب احمد فان أبا محمد وموافقيه رجحوا الجمع للمكي بعرفة

وأما القصر فقال ابو محمد : الحجة مع من أباح القصر لكل مسافر إلا أن ينعقد الاجماع على خلافه والمعلوم ان الاجماع لم ينعقد على خلافه وهو اختيار طائفة من علماء اصحاب احمد كان بعضهم يقصر الصلاة في مسيرة بريد وهذا هو الصواب الذي لا يجوز القول بخلافه لمن تبين السنة وتدبرها فان من تأمل الاحاديث في حجة الوداع وسياقها علم علما يقينا ان الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وغيرهم صلوا بصلاته قصراً وجمعا ولم يفعلوا خلاف ذلك ولم ينقل أحد قط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا بعرفة ولا مزدلفة ولا منى « يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » وانما نقل انه قال ذلك في نفس مكة كما رواه أهل السنن عنه وقوله ذلك في داخل مكة دون عرفة ومزدلفة ومنى دليل على الفرق وقد روي من جهة أهل العراق عن عمر انه كان يقول بمنى « يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » وليس له اسناد

واذا ثبت ذلك فالجمع بين الصلاتين قد يقال انه لاجل النسك كما تقوله الحنفية وطائفة من أصحاب احمد وهو مقتضى نصه فانه يمنع المكي من القصر بعرفة ولم يمنعه من الجمع ، وقال في جمع المسافر انه يجمع في الطويل كالقصر عنده . واذا قيل الجمع لاجل النسك ففيه قولان أحدهما لا يجمع إلا بعرفة ومزدلفة كما تقوله الحنفية والثاني انه يجمع لغير

ذلك من الاسباب المقتضية للجمع وان لم يكن سفرا وهو مذهب الثلاثة مالك والشافعي واحمد وقد يقال لان ذلك سفر قصير وهو يجوز الجمع في السفر القصير كما قال هـذا وهذا بعض الفقهاء من اصحاب مالك والشافعي وأحمد فان الجمع لايختص بالسفر والنبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع في حجته إلا بعرفة ومزدلفـة ولم يجمع بمنى ولا في ذهابه وإيابه ولكن جمع قبل ذلك في غزوة تبوك والصحيح انه لم يجمع بعرفة لمجرد السفر كما قصر للسفر بل لاشتغاله باتصال الوقوف عن النزول ولاشتغاله بالمسير الى مزدلفة وكان جمع عرفة لاجل العبادة وجمع مزدلفة لاجل السير الذي جد فيه وهو سيره الى مزدلفة وكذلك كان يصنع في سفره ، كان اذا جد به السير أخر الاولى الى وقت الثانيـة ثم ينزل فيصليهما جميعاً كما فعل بمزدلفة وليس في شريعته ماهو خارج عن القياس بل الجمع الذي جمعه هناك يشرع أن يفعل نظيره كما يقوله الاكثرون ولكن ابوحنيفة يقول هو خارج عن القياس وقد علم ان تخصيص العلة اذا لم تكن لفوات شرط أو وجود مانع دل على فسادها وليس فيما جاء من عند الله اختلاف ولا تناقض بل حكم الشيء حكم مثله والحكم اذا ثبت بعلة ثبت بنظيرها



وأما القصر فلا ريب انه من خصائص السفر ولا تعلق له بالنسك ولا مسوغ لقصر أهل مكة بعرفة وغيرها إلا انهم بسفر وعرفة عن المسجد بريد كما ذكره الذين مسحوا ذلك وذكره الازرقي في أخبار مكة فهذ قصر في سفر قدره بريد وهم لما رجعوا الى منى كانوا في الرجوع من السفر وانما كان غاية قصدهم بريدا وأي فرق بين سفر أهل مكة الى

عرفة و بين سفر سائر المسلمين الى قدر ذلك من بلادهم والله لم يرخص في الصلاة ركعتين الا لمسافر فعلم انهم كانوا مسافرين والمقيم اذا اقتدى بمسافر فانه يصلي أربعاً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاهل مكة في مكة « أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » وهذا مذهب الائمة الاربعة وغيرهم من العلماء ولكن في مذهب مالك نزاع .

(الدليل الثاني) أنه قد نهى أن تسافر المرأة إلا مع ذي محرم أو زوج تارة يقدر وتارة يطلق وأقل ماروي في التقدير بريد فدل ذلك على ان البريد يكون سفراً كما ان الثلاثة الايام تكون سفرا واليومين تكون سفرا واليوم يكون سفراً هذه الاحاديث ليس لها مفهوم بل نهى عن هذا وهذا وهذا .

(الدليل الثالث) ان السفر لم يحده الشارع وليس له حد في اللغة فرجع فيه الى مايعرفه الناس ويعتادونه فما كان عندهم سفراً فهو سفر والمسافر يريد أن يذهب الى مقصده ويعود الى وطنه وأقل ذلك مرحلة يذهب في نصفها ويرجع في نصفها وهذا هو البريد وقد حدوا بهذه المسافة الشهادة على الشهادة وكتاب القاضي الى القاضي والعدو على الخصم والحضانة وغير ذلك مما هو معروف في موضعه . وهو أحد القولين في مذهب احمد فلو كانت المسافة محددة لكان حدها بالبريد أجود لكن الصواب ان السفر ليس محدداً بمسافة بل يختلف فيكون مسافراً في مسافة بريد وقد يقطع أكثر من ذلك ولا يكون مسافرا .

(الدليل الرابع) ان المسافر رخص الله له أن يفطر في رمضان وأقل الفطر يوم ومسافة البريد يذهب اليها ويرجع في يوم فيحتاج الى

الفطر في شهر رمضان ويحتاج أن يقصر الصلاة بخلاف مادون ذلك فانه قد لا يحتاج فيه الى قصر ولا فطر اذا سافر أول النهار ورجع قبل الزوال واذا كان غدوه يوما ورواحه يوما فانه يحتاج الى القصر والفطر وهذا قد يقتضي انه قد يرخص له أن يقصر ويفطر في بريد وان كان قد لا يرخص له فى أكثر منه اذا لم يعد مسافرا .

(الدليل الخامس) انه ليس تحديد من حد المسافة بثلاثة أيام بأولى ممن حدها بيومين ولا اليومان بأولى من يوم فوجب أن لا يكون لها حد بل كل مايسمى سفرا يشرع. وقد ثبت بالسنة القصر في مسافة بريد فعلم أن في الاسفار ماقد يكون بريداً وأدنى مايسمى سفراً في كلام الشارع البريد

وأما مادون البريد كالميل فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قباء كل سبت وكان يأتيه راكبا وماشيا ولا ريب ان هل قباء وغيرهم من أهل العوالي كانوا يأتون الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ولم يقصر الصلاة هو ولا هم

وقد كانوا يأتون الجمعة من نحو ميل وفرسخ ولا يقصرون الصلاة والجمعة على من سمع النداء والنداء قد يسمع من فرسخ وليس كل من وجبت عليه الجمعة أبيح له القصر والعوالي بعضها من المدينة وان كان اسم المدينة يتناول جميع المساكن كما قال تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) وقال (ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله)

وأما مانقل عن ابن عمر فينظر فيه هل هو ثابت (أم لا) فان ثبت فالرواية عنه مختلفة وقد خالفه غيره من الصحابة ولعله أراد اذا قطعت من المسافة

ميلا ولا ريب أن قباء من المدينة أكثر من ميل وما كان ابن عمر ولا غيره يقصرون الصلاة اذا ذهبوا الى قباء فقصر أهل مكة الصلاة بعرفة وعدم قصر أهل المدينة الصلاة الى قباء ونحوها مما حول المدينة دليل على الفرق والله أعلم

والصلاة على الراحلة إذا كانت مختصة بالسفر لا تفعل الا فيما يسمى سفراً ولهذا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته في خروجه الى مسجد قباء مع انه كان يذهب اليه راكبا وماشيا ولا كان المسلمون الداخلون من العوالي يفعلون ذلك وهذا لان هذه المسافة قريبة كالمسافة في المصر واسم المدينة يتناول المساكن كلها فلم يكن هناك الا أهل المدينة والاعراب كما دل عليه القرآن فمن لم يكن من الاعراب كان من أهل المدينة وحينئذ فيكون مسيره الى قباء كأنه في المدينة فلو سوغ ذلك سوغت الصلاة في المصر على الراحلة والا فلا فرق بينهما

والنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يصلي بأصحابه جمعا وقصرا لم يكن يأمر أحدا منهم بنية الجمع والقصر بل خرج من المدينة الى مكة يصلي ركعتين من غير جمع ثم صلى بهم الظهر بعرفة ولم يعلمهم انه يريد ان يصلي العصر بعدها ثم صلى بهم العصر ولم يكونوا نووا الجمع وهذا جمع تقديم وكذلك لما خرج من المدينة صلى بهم بذي الحليفة العصر ركعتين ولم يامرهم بنية قصر وفي الصحيح انه لما صلى احدى صلاتي العشي وسلم من اثنتين قال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال «لم أنس ولم تقصر» قال بلى قد نسيت قال « أ كما يقول ذو اليدين؟» قالوا نعم فأتم الصلاة ولو كان القصر لا يجوز الا اذا نووه لبين ذلك ولكانوا يعلمون ذلك والامام أحمد لم ينقل

عنه فيما أعلم انه اشترط النية في جمع ولا قصر ولكن ذكره طائفة من أصحابه كالخرقي والقاضي وأما أبو بكر عبد العزيز وغيره فقالوا انما يوافق مطلق نصوصه

وقالوا لا يشترط للجمع ولا للقصر نية وهو قول الجمهور من العلماء كمالك وأبي حنيفة وغيرهما بل قد نص أحمد على ان المسافر له أن يصلي العشاء قبل مغيب الشفق وعلل ذلك بأنه يجوز له الجمع كما نقله عنه ابو طالب والمروزي وذكر ذلك القاضي فى الجامع الكبير فعلم انه لا يشترط فى الجمع نية

ولا تشترط أيضاً المقارنة فانه لما أباح أن تصلى العشاء قبل مغيب الشفق وعلله بأنه يجوز له الجمع لم يجز ان يراد به الشفق الابيض لان مذهبه المتواتر عنه ان المسافر يصلي العشاء بعد مغيب الشفق الاحمر وهو أول وقتها عنده وحينئذ يخرج وقت المغرب عنده فلم يكن مصليا لها فى وقت المغرب بل في وقتها الخاص . وأما فى الحضر فاستحب تأخيرها الى أن يغيب الابيض قال لان الحمرة قد تسترها الحيطان فيظن ان الاحمر قد غاب ولم يغب فاذا غاب البياض تيقن مغيب الحمرة فالشفق عنده في الموضعين الحمرة لكن لما كان الشك في الحضر لاستتار الشفق بالحيطان احتاط بدخول الابيض فهذا مذهبه المتواتر عن نصوصه الكثيرة

وقد حكى بعضهم رواية عنه ان الشفق في الحضر الابيض وفي السفر الاحمر وهذه الرواية حقيقتها كما تقدم والا فلم يقل أحمد ولا غيره من علماء المسلمين ان الشفق فى نفس الامر يختلف بالحضر والسفر واحمد قد علل الفرق فلو حكي عنه لفظ مجمل كان المفسر من كلامه يبينه

وقد حكى بعضهم رواية عنه ان الشفق مطلق البياض وما أظن هذا الا غلطاً عليه واذا كان مذهبه ان أول الشفق اذا غاب فى السفر خرج وقت المغرب ودخل وقت العشاء وهو يجوز للمسافر أن يصلي العشاء قبل مغيب الشفق وعلل ذلك بأنه يجوز له الجمع علم انه صلاها قبل مغيبها لا بعد مغيب الاحمر فانه حينئذ لايجوز التعليل بجواز الجمع .

الثاني [1] ان ذلك من كلامه يدل على ان الجمع عنده هو الجمع في الوقت وان لم يصلْ احداهما بالاخرى كالجمع في وقت الثانية على المشهور من مذهبه ومذهب غيره وانه اذا صلى المغرب في أول وقتها والعشاء في آخر وقت المغرب حيث يجوز له الجمع جاز ذلك . وقد نص أيضاً على نظير هذا فقال اذا صلى احدى صلاتي الجمع في بيته والاخرى في المسجد فلا بأس وهذا نص منه على ان الجمع هو جمع في الوقت لا تشترط فيه المواصلة وقد تأول ذلك بعض اصحابه على قرب الفصل وهو خلاف النص ولان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى بهم بالمدينة ثمانيا جميعا وسبعاً جميعا لم ينقل انه أمرهم ابتداء بالنية ولا السلف بعده وهذا قول الجمهور كأبي حنيفة ومالك وغيرهما وهو في القصر مبني على فرض المسافر

فصارت الاقوال للعلماء في اقتران الفعل ثلاثة

(أحدها) انه لايجب الاقتران لا في وقت الاولى ولا الثانية كما قد نص عليه أحمد كما ذكرناه في السفر وجمع المطر

---

(١) في هامش الاصل : كذا في الاصل ولم يسبق بالعطف عليه اه والظاهر أن الاول الذي جعل هذا ثانيا له هو ماذكر من عدم اشتراط المقارنة بين الصلاتين في الجمع فتأمل

(والثاني) انه يجب الاقتران في وقت الاولى دون الثانية وهذا هو المشهور عند أكثر أصحابه المتأخرين وهو ظاهر مذهب الشافعي فان كان الجمع في وقت الاولى اشترط الجمع وان كان في وقت الآخرة فانه يصلي الاولى في وقت الثانية وأما الثانية فيصليها في وقتها فتصح صلاته لها وان أخرها ولا يأثم بالتأخير وعلى هذا تشترط الموالاة في وقت الاولى دون الثانية

(والثالث) تشترط الموالاة في الموضعين كما يشترط الترتيب وهذا وجه في مذهب الشافعي واحمد ومعنى ذلك انه اذا صلى الاولى وأخر الثانية أثم كان وقعت صحيحة لانه لم يكن له اذا أخر الاولى الا أن يصلي الثانية معها فاذا لم يفعل ذلك كان بمنزلة من أخرها الى وقت الضرورة ويكون قد صلاها في وقتها مع الاثم (للبحث بقية)

جمعية الالحاد والزندقة

العلم والدين (*)

﴿ رد على مقال الدكتور طه حسين نشر في العدد ١٩ من جريدة السياسة الاسبوعية في ١٧ يوليو سنة ١٩٢٦ ﴾

نشر الدكتور هيكل في العدد الرابع عشر من السياسة الاسبوعية مقالا بحث فيه في العلم والدين وما بينهما من وفاق أو خلاف ، وقد انتهى به بحثه إلى أنه لاخصومة بين العلم والدين ولن تكون بينهما خصومة ، وأن الخلاف والخصومة هما بين رجال العلم ورجال الدين ، ومنشؤهما سعي كل من الطائفتين سعياً أنانياً صرفا ليكون بيدها الحكم والسلطان . وختم بحثه بما ملخصه أن النصر سيكون

(*) لصاحب الامضاء من خيار علماء الازهر

دائما حليف الفريق الذي يرضي الانسانية ويخفف اعباءها ، وتجد في يده مفتاح راحتها ومرهم جراحها

ونصح لرجال الدين بأن ينقطعوا عن العالم ويعتزلوا الدنيا ويبعدوا عن شئونها ويعكفوا على العبادة والزهد والتقشف ، وقد تناولت أقلام الكاتبين بالبحث والتحليل والنقد عناصر هذا الموضوع الذي أثاره الدكتور هيكل ، وكتب كاتب ديني مقالا قيما ألم فيه كاتبه الفاضل بمعلومات نفيسة قال عنها بحق أنها مقدمات لابد منها للحكم فيما بين الدين والعلم من وفاق أو خلاف

وفي الحق أن من يجهل الآساس التي قام عليها الدين والآساس التي قام عليها العلم ، ولا يعرف من مباديء الدين تلك المقدمات الاولية التي ألم بها ذلك المقال لايحق له أن يتصدى للبحث في هذا الموضوع الخطير ، وبالاولى لا يسوغ له أن ينصب نفسه منصب الحكم الذي لاينقض حكمه ولا يرد قضاؤه ، وهو جاهل بالقواعد الاساسية التي لايقوم إلا عليها الحكم

كنت أظن أن سيجد حضرات الكتاب في مقال (ديني) درساً ينفعهم ويعصمهم من الزلل حينما يريدون أن يبحثوا فيما بين الدين والعلم من صلة ، وكان أكثر من نرجو لهم النفع بهذا الدرس أولئك الذين لم تهيء لهم تربيتهم المدرسية وسائل الالمام بقواعد العلم الديني ، فأما الذين قضوا شطراً ليس بالقليل من أعمارهم في دراسة العلوم الدينية ، وقطعوا في الازهر مرحلة ليست بالقصيرة من مراحل تربيتهم العقلية ، فما كنا نظنهم بحاجة إلى مثل هذا الدرس ، وما كنا نحسبهم من الجهل بامور الدين بحيث لايعرفون بسائط القواعد المقررة

دهشت وايم الحق حين قرأت في العدد التاسع عشر من السياسة الاسبوعية مقال الدكتور طه حسين في العلم والدين وما ضمنه من تناقض وسخف . وما كان دهشي لأن الدكتور طه اخطأ الصواب وكان من عادته أن يصيب ، ولا لانه جانبه التوفيق في هذا البحث وكان قبلا موفقاً . كلا فقد عرفنا الدكتور هجاما كثير العثرات شديد الجرأة على العلم وعلى الدين ، بعيداً عن التوفيق والاصابة في كثير من أبحاثه لاسيما ماله صلة بالدين . ولكن دهشي كان للفرق

العظيم بين عقليتين ممتازتين وذكائين مصدودين ، عقلية تكونت بعيدة فيما نعلم عن مناهل الدين فكانت موفقة في كثير من آرائها في الدين ، وأخرى نشأت نشأتها الاولى في معاهد الدين غير أنها فيما تكتب عن الدين تخبط خبط العشواء في الليلة الظلماء

عجبت لما بين عقلية الدكتور هيكل وذكائه وبين عقلية الدكتورطه وذكائه من الفوارق العظيمة . فهذا يتورط في الخطأ تورط من لا يعرف إلى الصواب سبيلا وذاك يهتدي بفطرته وذكائه إلى مواطن الاصابة حيث كان يخشى عليه من التورط في الزلل ، وهذا كله في بحث كان المفروض أن المخطيء أولى بالاصابة فيه من المصيب . وإن من الحق أن أقول انني لم أجد مأخذاً على الدكتور هيكل في مقاله وبحثه إلا في أمرين اثنين (أحدهما) انه أرسل الكلام في الدين ارسالا فهم منه انه يقصد من الدين الجنس الذي يتحقق في أي دين من الاديان وهذا ما لا يتفق والواقع فان الوثنية مثلا ليست كالا مقرر القواعد والاركان

وثانيهما أنه يريد رجال الدين على أن يكونوا ناسكين بعيدين عن الدنيا معتزلين شئون العالم ، ولعل هذا هو الهدف الذي يرمي اليه من بحثه ، ولكن هذا ليس من الاسلام في شيء ، ففي القرآن الكريم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)وقد يكون هذا النصح غير المخلص أثراً من آثار الانانية والتنازع على الحكم والسلطان كما هو رأي الدكتور

هاتان النقطتان هما في رأيي موضع المؤاخذة في مقال الدكتور هيكل ، فأما مقال الدكتور طه فانك لن توفق إلى العثور فيه على رأي صائب مهما حسنت نيتك في طلبه ، ولن تجد فيه إلا عثرات تتلوها سقطات ، ولن تقف منه إلا على متناقضات تهيب بك إلى أن تدين بالمتناقضات

لا يعنيني كثيراً أن ألفت القارىء إلى مايفجؤه في مستهل كلام الدكتور من الركة والتهافت اذ يقول « ليس لي مايحول بيني وبين التفكير في هذا الموضوع والتعليق على ما كتب فيه ، وفي الحق أني فكرت في هذا الموضوع وكتبت فيه » كذلك لا يهمني ان أقف به على مايعقب هذه الجملة من التناقض واشتباه الرأي

واختلاط الفكر إذ يقول قد تكون المسأله (يعني مسألة العلم والدين) جديدة في مصر ولكنها قديمة في أوربا ثم يقول « هي ليست جديدة في مصر ولا في العالم الاسلامي فقد عرض لها الغزالي وابن رشد ، وعرض لها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وتلاميذه غير مرة »

أقول لايهمني أن أنبه القارىء إلى شيء كثير من أمثال هذه الهنات المعيبة ولكني ألفت القارىء إلى مايتخلل الجملتين من غرور وتغرير ، فللدكتور طه في الكتابة سنة قل أن يشاركه فيها غيره من الكاتبين فهو حين يكتب في موضوع يحاول جهده أن يغرر بالقارئ يوهمه انه قبل أن يعالج الكتابة في الموضوع الذي تناوله قد قرأ فيه كتبا قيمة وأنه قتله بحثا وفهما ، وأنه ألم بجميع أطرافه وخبر جميع دروبه ومسالكه، واذا فليس على القارئ بعد أن قام عنه الدكتور بكل وسائل التنقيب ، والبحث ، والقراءة والفهم الا أن يتجرد من دينه والا أن يلغي عقله وفهمه ، وكل ماأودع الله فيه من قوة دراكة و يسلم بعد ذلك قياده للدكتور يصرف منه العنان كما يصرف الصبي دواجن الطير والحيوان

أليس الدكتور طه هو صاحب كتاب الشعر الجاهلي ؟ أليس قد طلب الى قارىء ذلك الكتاب قبل أن يقرأ كتابه أن يتجرد عن دينه وعقله ووجدانه وعاداته وقوميته ليسير مع الدكتور فيصرفه كيف يشاء ؟ هذه هي روح الدكتور طه في كتاب الشعر الجاهلي بارزة صريحة لاحجاب دونها ، وهي هي بعينها في مقال العلم والدين ، واضحة جلية وإن كان وضوحها هنا بمقدار يناسب قدر هذا المقال الصغير

فترى الدكتور قبل أن يدخل بك في متناقضاته يلقي عليك أمثال قوله — « وفي الحق أني فكرت في هذا الموضوع وكتبت فيه قبل صديقي هيكل وعزمي وفي الحق أن السياسة اليومية قد نشرت لي في ربيع سنة ٢٣ فصلا غضب له مولانا الشيخ بخيت ، وفي الحق أني كتبت في العلم والدين وما بينهما من خلاف فصلا آخر كنت أريد أن أنشره » ثم يعود فيكرر على سمعك مثل قوله : « لست اذاً حديث عهد بمسألة العلم والدين وما يمكن أن يكون بينهما من خلاف وقد قرأت

في هذه المسألة كتبا قيمة قبل أن أكتب فيها » الى غير ذلك من إلحاح ثقيل ممل فماذا يقصد الدكتور من هذا كله ؟ أليست هذه الروح المقنعة بقناع مهتوك يشف عما وراءه هي بعينها تلك الروح البادية العارية في كتاب الشعر الجاهلي وكلتاهما تريدان قارىء كلام الدكتور على أن يلغي عقله وفهمه ليستطيع أن يشترك مع حضرته في أن يكون ذا نفس واحدة تحمل بين جنبيها شخصيتين متباينتين متعاديتين متناقضتين ، وفي الحق أن الدكتور لن يجد معه شخصاً آخر يستطيع أن يهيء نفسه لاحتمال أمرين متباينين، ويدين باعتقادين متناقضين، — كما يريد في مقاله — إلا شخصا ألغى عقله وسفه نفسه وتجرد من كل مامنحه الله من إحساس وإدراك . فهو من أجل ذلك يطلب الى قرائه في إلحاح مضجر أن يتجردوا من عقولهم ووجدانهم وادراكهم ليستطيعوا أن يشاركوه في آرائه وأفكاره، كأنه يأبى ان يكتب أو يتحدث الا الى المجانين

هذا شيء ألفت القارئ اليه . وشيء آخر أرجو أن يقف القارىء معي عليه، وهو - قصة باستور - فقد ساق الدكتور هذه القصة ليقنع القارىء بأنه ليس فذاً في نفسيته العجيبة التي تستطيع أن تكون في وقت واحد مشرّقة مغرّبة ، مصدّقة مكذّبة ، مؤمنة مرتابة . وهل في ذلك من غرابة ؟ ألم يكن باستور العالم الفرنسي المشهور من أشد الناس ايمانا بالمسيحية ومن أحرصهم على تأدية واجباته الدينية ، وهو من العلم بالمكان الذي لا ينكر ولا يمارى ؟

لا أجادل الدكتور في شأن باستور ولا فيما نعته به من أنه جمع بين الصدق في الدين والاخلاص للعلم فلست ممن يرون أن من خصائص العلم معاداة الدين ، ولا أرى من خصائص العالم الالحاد في الدين والجرأة على العلم ، وقد يصح أن يكون باستور كغيره من العلماء الذين اختصهم الله بفهم ثاقب وعلم وافر في فن من الفنون حتى صار رأيه حجة في فنه ، ولكنه اذا اضطر الى الأخذ بما ليس من فنه سأل أهل الذكر وأخذ بآراء الاخصائيين من غير نزاع ولا جدال ، كما يأخذون هم أيضا برأيه في فنه من غير مماراة ولا خصومة . وتفسير قصة باستور وغيره من علماء المسيحية في أخذهم بالعلم واطمئنانهم الى الدين على هذا الوجه

الذي قدمت قريب من الصواب جداً . فباستور وأضرابه يعملون بحكمة الانجيل « أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

فاما أن يكونوا مثل دكتورنا الفيلسوف الاديب المؤرخ الحقوقي المتشرع الاصولي الفقيه المحدث الطبيعي الكيماوي الفلكي الجيولوجي الفيسيولوجي الامبريولوجي ثم هم مع كل هذا يحملون بين جنوبهم نفسا قلقة مضطربة تدين بالمتناقضين وتطمئن الى المتباينين المتنافرين - فهذا مما أنزه هؤلاء العلماء عنه ولا أسلم لدكتورنا بصحته

ولعل باستور لم يؤثر عنه انه وقف مرة في حياته من رجال دينه موقف دكتورنا من علماء الدين يقول لهم في جرأة وصلابة وجه انني أفهم للدين وأجدر بمعرفة قضاياه وادراك مراميه منكم ، فهل لدكتورنا أن يتشبه بباستور وغيره من علماء المسيحية فلا يتعدى طوره ولا يقفو ما ليس له به علم ؟

لا أظن ان الذي حال بين باستور ولم يحل بين دكتورنا وبين هذا الموقف الجريء هو ما بين طبيعة المسيحية والاسلام من تفاوت في السهولة والسماح والتوسيع على العقل الانساني في أن يحلق في سماء الفكر والبحث حيث يشاء . لا أظن هذا فما كان لباستور أن يعتقد في المسيحية انها تغل العقل الانساني وتحول بينه وبين التفكير الحر إذ لو كان هذا رأيه في المسيحية لما كان كما وصفه لنا دكتورنا من أشد الناس إيمانا بها ، ولأعلن عليها حربا عوانا كما فعل غيره من ملاحدة المسيحية ، واذاً فليس جمود المسيحية هو الذي جعل باستور يقف من دينه هذا الموقف المهذب ، وليست سماحة الاسلام هي التي جعلت دكتورنا يقف من دينه هذا الموقف الجريء المغموز ، ولكن السبب فيما اظن هو ان باستور قد اوتي حظا من العلم والحياء يحول بينه وبين ان يقف هذا الموقف (انما يخشى الله من عباده العلماء) على انه مهما يكن في طبيعة دين من سهولة وسماح ، ومهما ارخى للعقل الانساني من عنان لكي يجول في مسارح التفكير الى حيث يشاء ، فانه ليس من المعقول ان يأذن الدين بل ولا ان يأذن العلم نفسه للعقل في ان يخرج في تفكيره وبحثه عن المناهج التى اقراها ، والتي اقر العقل ايضا اساسها وقواعدها ، فان معنى هذا الاذن

ان يهدم كل من الدين والعلم والعقل نفسه بنفسه ونتيجة ذلك الفوضى والجهالة

إني لأرجو القارىء بعد ان وقف مما سبق من القول على عقلية الدكتور وما تتسع له من متناقضات ألا يدهش ولا يستولي عليه الضجر حين يرى الدكتور يعلن قبل كل شيء أنه يعلم ان الاسلام لم يغل العقل الانساني ولم يحل بينه وبين التفكير الحر ثم يراه يعلن أثر ذلك أن العلم شيء والدين شيء آخر ، وان منفعة العلم والدين في ان يتحقق بينهما هذا الانفصال حتى لايعدو احدهما على الآخر ، وحتى لاينشأ من هذا العدوان في الشرق الاسلامي مثل ما نشأ في الغرب المسيحي

لايضيقن صدرك بما يقول الدكتور وسائله معي هل يعلم حقا ان الاسلام لم يغل العقل الانساني ولم يحل بينه وبين التفكير الحر ؟ وهلا هو يدين حقا بهذه القضية ؟ فاذا كان يدين حقا بهذه القضية فهل هو مع هذا يعتقد ان الاسلام يعطي العقل هذا الاطلاق ويمنحه هذه الحرية الواسعة ثم يعده من اعدائه لا من حلفائه واعوانه ؟ فاذا كان الاسلام لا يعد العقل عدواً له بل يعتبره حليفا وصديقا وفيا فهل مع قيام هذا الحلف ووجود هذه الصداقة بين الاسلام والعقل يصح ان يعادي الاسلام العلم وهو وليد العقل وربيبه [1] ؟ واذا لم يكن بين الاسلام والعلم عداء فكيف يعدو أحدهما على الآخر ؟ وكيف يعتقد الدكتور ان منفعة العلم والدين في أن يتحقق بينهما الانفصال وكيف تصور أن يقع بين الاسلام والعلم في الشرق الاسلامي من المصادمات والحروب العنيفة مثلما وقع بين المسيحية والعلم في الغرب المسيحي ؟

آمنت بالله ورسله وآمنت بأن الدكتور طه له عقلية ممتازة قادرة على الايمان بالمتناقضات وأنه بعيد عن الالمام بطبائع الاسلام ولا يحسن تطبيق وقائع التاريخ

(يتبع) محمود أحمد الغمراوي

المدرس بمعهد أسيوط

(١) المنار : يعني ان العلم وليد العقل وربيبه فما كان للاسلام أن يعاديه مع صداقته للعقل الذي ولده ورباه ، بل لامعنى لصداقة الاسلام للعقل الا موافقته لما يستنبطه من علم نافع وحكم صحيح في المسائل ، ولا يصح أن يريد أن الاسلام وليد العقل كما قد يظن ضعيف الفهم والفاقد لطرق الاستدلال وقواعد العلم .

الصحة

تأليف		ترجمة
زعيم الهندوس الاكبر		الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
مهاتما غاندى		المليح آبادى

الباب الثالث

(العلاج بالتراب)

نشرع الآن في بيان الخواص الصحية للتراب الذي نفعه أكبر من الماء في بعض الاحوال . لاينبغي لنا أن نتعجب من خواصه لأن جسمنا نفسه مركب من عناصر أرضية وفعلا نحن نستعمل التراب للتطهير ، فنغسل به الارض لنزيل الروائح الخبيثة منها ونغطي به الاشياء المتعفنة لتمنع فساد الهواء وننظف به أيدينا. وكذلك نستعمله لتنظيف أواني المراحيض . ان رهبان الهندوس يلطخون به أجسامهم ، ويعالج به بعض الناس القروح والبثور وتدفن الاموات فيه لئلا يفسد الجو . كل هذا يثبت جليا أن في التراب كثيراً من الخواص الثمينة للتطهير والعلاج .

وكما أن الدكتور كيوهن بذل جهده الخاص في موضوع العلاج المائي ، كذلك الدكتور الالماني الآخر Just قد تفرغ لدرس التراب وخواصه . وقد توسع حتى قال بأن التراب يمكن استعماله بنجاح في معالجة جميع الامراض حتى أشدها وأعقدها . وقد حكي عنه انه لسع ثعبان رجلا فيئس الناس من حياته ولكني داويته بأن واريته في التراب مدة من الزمن فزال السم من جسده وشفي تماماً

ليس لنا أن نطعن في صدق الدكتور لأننا نعلم أن حرارة شديدة تتولد في الجسم اذا دفن الانسان في الارض ، وإنا وإن كنا لا نستطيع بيان تولد التأثير تماماً – لايمكن ان ننكر أن في التراب خاصية جذب السم . أجل قد لاتنجح هذه

الطريقة في كل حادثة للملسوع ولكن يجب حتما تجربتها في كل حادثة . وأنا أستطيع أن أقول بتجربتي الشخصية ان استعمال الطين في مثل حوادث لدغ العقرب نافع جداً .

قد جربت بنفسي الاشكال الآتية للعلاج الترابي ونجحت فيها . فلامساك والدوسنطاريا ووجع المفاصل المتأصل قد عالجته باستعمال لبخة من الطين فوق البطن يومياً مدة يومين أو ثلاثة أيام . وقد تحقق النفع العاجل في حوادث الصداع باستعمال ضمادة طينية تشد على الرأس . وكذلك قد عولجت العيون المتهيجة بنفس هذه الطريقة فشفيت . ان الاصابات سواء كانت متورمة أو غير متورمة تعالج كذلك بها . وإني قد كنت في حياتي الماضية السوداء لا أستريح بدون المواظبة على استعمال ملح الفاكهة « فروت سالت » وما شاكله من المسهلات . ولكني منذ علمت في سنة ١٩٠٤ قيمة العلاج الترابي لم أستعمل أي مسهل ولا مرة واحدة إلى الآن . إن لبخة طينية فوق البطن والرأس تنفع كثيراً في الحمى الشديدة .

وان الامراض الجلدية مثل الدمامل والقروح والقوباء والحرق بالنار أو الماء الحار قد عولجت بالطين أيضاً . إلا أن القروح المتقيحة ذات الصديد لا تشفى به بسهولة . وكذلك البواسير تعالج بنفس هذا العلاج . واذا احمرت الايدي والاقدام وتورمت بسبب البرد فالطين علاج نافع جداً لها ، وكذلك وجع المفاصل يزول به ، فبهذه وغيرها من التجارب في العلاج الترابي قد علمت أن التراب عنصر مفيد للعلاج البيتي للأمراض .

نعم إن جميع أنواع التراب ليست بنافعة على سواء ، فالتراب الجاف الذي حفر من مكان نظيف يكون أنفع بكثير من غيره . لا ينبغي أن يكون التراب لزجا جداً ، بل أحسنه ما كان بين الرمل والاملس . ويجب أن يكون خالياً من الروث والقذر فيصفى جيداً في غربال نفيس ويعجن بماء بارد عجناً جيداً قبل الاستعمال ثم يربط في قماش نظيف غير مكوي ويستعمل كلبخة غليظة . ويجب رفعها قبل أن يأخذ الطين في اليبس وهو لا يتجفف في الاحوال العادية من ساعتين إلى ثلاث ساعات . إن الطين الذي استعمل مرة لا يستعمل بعد ذلك أبداً ، ولكن الثوب المستعمل يصح استعماله ثانياً بعد أن يغسل جيداً ليتنظف من الدم

وغيره من المواد الوسخة ، وإذا أريد استعمال اللبخة على البطن يوضع فوقه قماش دافئ ، يجب على جميع الناس أن يبقوا عندهم صفيحة من التراب المجهز للاستعمال لئلا يضطروا إلى البحث عنه هنا وهناك عند الحاجة اليه ، وربما تفوت الفرصة في حوادث مثل لدغ العقرب التي يؤدي التأخير فيها إلى خطر شديد .

الباب الرابع

-- الحمى وعلاجها --

ننظر الآن في بعض الامراض الخاصة ونبحث في طرق علاجها ، وأولها « الحمى »

نحن نطلق كلمة « الحمى » على حالة الحرارة في الجسم ، غير أن أطباء الافرنج قد نوعوا هذا الداء على أنواع كثيرة وخصصوا لكل منها علاجا ، ولكننا نظراً للخطة التي سلكناها في هذا الكتاب والاصول التي دوناها فيه نقول إن أنواع الحمى كلها يمكن معالجتها بعلاج واحد وبطريقة واحدة . لقد جربت هذا العلاج الساذج في جميع أنواع الحمى من أخفها إلى أشدها مثل الطاعون الغدي ، وحصلت على نتائج حسنة عامة . فقد انتشر هذا الطاعون سنة ١٩٠٤ بين الهنود في أفريقية الجنوبية وقد كان فظيعاً للغاية حتى إن ٢٣ اصابة حدثت قد مات بها ٢١ نفساً خلال ٢٤ ساعة . أما الاثنان اللذان بقيا فقد أرسلا إلى المستشفى ولكن لم يسلم منهما إلا واحد ، وقد كان هذا الناجي هو ذلك الذي استعملت له اللبخة الطينية ، نعم ليس لنا أن نستنتج من ذلك بأن هذه اللبخة هي التي شفته ، ولكن مما لاشك فيه أنها لم تضره أي ضرر . كلاهما كانا مصابين بحمى شديدة كان سببها الالتهاب الرئوي وكانا قد أغمي عليهما ، وكان الرجل الذي استعملت عليه اللبخة الطينية في أخطر الاحوال فكان يبصق الدم ، وعلمت بعد ذلك من الدكتور بأنه كان لايغذى إلا بلبن قليل جداً .

وبما أن أكثر أنواع الحمى تكون نتيجة للارتباك في الاحشاء فأول ماينبغي عمله هو تجويع المريض ، والقول بأن الضعيف يزداد ضعفاً بالتجويع وهم باطل ،

إذ علمنا بما تقدم أن الجزء الذي ينفع من الغذاء إنما هو ذلك الذي يتحلل في الدم . وأما الباقي فيبقى حملا على المعدة ، وبما أن القوى الهاضمة تضعف جداً في الحمى لذلك يتوسخ اللسان وتتصلب الشفاه وتجف ، فان أعطي المريض طعاماً في هذه الحاله فلا ينهضم ويزيد الحمى ، ولكن التجويع يعطي القوى الهاضمة وقتاً لاتمام أعمالها ، ولذلك فان تجويع المريض ليوم أو يومين ضروري ، وكذلك يجب عليه في الوقت نفسه أن يستحم كل يوم على الاقل مرتين على طريقة كيوهن فان كان ضعيفاً أو مريضاً إلى درجة لا يستطيع فيها الاستحمام فيجب أن تستعمل على بطنه اللبخة الطينية ، وإن يشتكي بوجعه الرأس كثيراً أو يحس بحرارة شديدة فتستعمل اللبخة على رأسه أيضاً ، ومهما أمكن ينبغي أن ينوم المريض في الهواء الطلق ويغطى جيداً ويعطى وقت الطعام عصير الليمون بعد أن يصفى جيداً ويمزج بماء بارد أو مغلي حار ولا يخلط معه السكر ما أمكن . إن هذا العصير يؤثر تأثيراً نافعاً جداً ويقدم وحده للمريض إن كانت أسنانه تتحمل حموضته ، ويجوز بعد ذلك أن يقدم اليه نصف موزة أو موزة كاملة بعد أن تمزج جيداً بملعقة من زيت الزيتون وبملعقة من عصير الليمون ، وإن كان المريض يحس بالعطش فيعطى ماء مغلياً مبرداً ولا يسمح له بشرب ماء غير مغلي ، يجب أن تكون ملابس المريض خفيفة وتغير كثيراً .

وقد شفي بهذا العلاج السهل محمومون كثيرون حتى الذين أصيبوا بالحمى التيفودية وأمثالها من الامراض الخطرة وهم يتمتعون إلى الآن بصحة تامة . إن الكينا كذلك تؤثر وتنفع بادي الرأي ولكنها في النتيجة تجلب أمراضاً أخرى ، حتى إن الحمى الملاريا التي تعتبر فيها الكينا نافعة جداً قلما رأيتها تعطى شفاء دائماً ، ولكني بالعكس رأيت حوادث مختلفة في المصابين بالملاريا قد شفوا شفاء دائماً بالعلاج الذي ذكر آنفاً .

يقتصر كثير من الناس على اللبن وحده أثناء الحمى ولكني وجدته بتجربتي مضراً في الدرجات الاولية من الحمى لأنه عسر الهضم . فان كان لابد من اللبن فالاحسن أن يكون مخلوطا « بقهوة القمح [1] » او بقليل من دقيق الرز

(١) راجع في القسم الاول من الكتاب الباب الخامس

لمغلي جيداً بالماء . ولكن لا يصح أبداً أن يعطاه في الحمى الشديدة ، بل ينفع في مثل هذه الحالة عصير الليمون نفعاً كبيرا فاذا زالت الحمى وتنظف اللسان يصح أن يزاد الموز في الغذاء على الطريقة المبينة آنفاً . وان كان هناك إمساك فحقنة من الماء الساخن والبورق (لزاق الذهب Borax) عوضا عن المسهل يصحبها غذاء زيت الزيتون لتنظف البطن جيداً .

الباب الخامس

﴿ الامساك والدوسنطاريا والمغص والبواسير ﴾

يبدو لأول وهلة ذكر هذه الامراض الاربعة المختلفة في باب واحد عجيبا . ولكن الحقيقة أنها كلها مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا شديدا ويمكن معالجتها تقريبا بطريقة واحدة . لانها اذا انضغطت المعدة بغذاء غير مهضوم سببت مرضا من هذه الأمراض حسب استعداد الرجل واختلاف بنيته . فيحدث عند بعضهم الامساك فلا تتحرك المعدة مطلقا أو تتحرك بعض التحرك . أو يحدث وجع شديد عند قضاء الحاجة حتى أنه ينتج نزيف الدم أو المادة المخاطية . أو البواسير ، ويحدث لبعضهم الاسهال الذي كثيراً ماينتهي بالدوسنطاريا ويحدث لبعضهم المغص المعوي الشديد مصحوبا بالوجع في البطن والمادة المخاطية في البراز .

وفي جميع هذه الحوادث يقهي المريض اي يفقد شهوة الطعام ويصفر جسمه وتضعف بنيته ويتوسخ لسانه ويتعفن نفسه . وكذلك يتأذى كثير من الناس بالصداع وغيره من الأمراض . ان الأمساك عام جدا . حتى إن المئات من الحبوب والمسحوقات قد أوجدت لمعالجته . إن الوظيفة الاصلية لمثل هذه الادوية المسجلة مثل ملح الفاكهة « فروت سالت » و « Mother Siegel,s Sirup » ازالة الامساك ولذا ترى ألوفا من الناس يجرون وراءها في رجاء باطل لينالوا فيه الشفاء . كل طبيب يخبرك بان الامساك وماشاكله من الامراض انما هو نتيجة لسوء الهضم

فاحسن طريقة لعلاجها هي ازالة سبب سوء الهضم . وقد صرح أصدقهم قولا بأنهم قد اضطروا إلى اختراع هذه الحبوب والمسحوقات لأن المرضى لا يتركون عاداتهم القبيحة التي ألفوها . وفي الوقت نفسه يريدون الشفاء .

أن أرباب الاعلانات عن هذه الادوية يبالغون مبالغة عظيمة حتى إنهم يعدون الذين يشترونها بأنهم لا يحتاجون إلى مراعاة أي أصل من أصول الغذاء والوقاية بل يجوز لهم أن يأكلوا ويشربوا مايحبون اذا استعملوا أدويتهم. وأظن أن قرائي لايحتاجون الى التذكير بأن هذا كذب محض . إن جميع أنواع المسهل حتى أكثرها اعتدالا مضرة بالصحة لانها - وان أزالت الامساك ونفعت نفعا بالجملة — تحدث أنواعا أخرى من الامراض . فيجب على المريض أن يغير طرق معيشته تماما حتى لايضطر الى المسهل مرة أخرى فيقع في مرض جديد .

أن أول مايجب عمله في حالة الامساك وأمثاله من الامراض هو تقليل الغذاء لاسيما السمن والسكر والقشدة وما شاكلها ، والاحتراز التام من الخمر والدخان والحشيش والشاي والقهوة والكاكاو والخبز المصنوع من دقيق المطاحن ، وأن يحتوي الغذاء في أكثر أجزائه على ثمار طرية مع زيت الزيتون .

يجب أن يجوع المريض قبل البدء في العلاج ٣٧ ساعة وتستعمل أثناء هذا وبعده اللبخه الطينية على البطن أثناء النوم ، ويستحم المريض كما ذكرنا ، مرة أو مرتين كل يوم على طريقة كيوهن ، يجب أن يكره المريض على المشي على الاقل ساعتين كل يوم . لقد رأيت بنفسي أشد حوادث الامساك والدوسنطاريا والبواسير والمغص قد شفيت تماما بهذا العلاج السهل، لاشك أن البواسير لاتزول كلية ولكنه يبطل أذاها حتما ثم أنه يجب على المصاب بالمغص أن يحتاط فلا يأكل شيئاً غير عصير الليمون في ماء حار حتى يبطل نزيف الدم أو المخاطية وان كان وجع المغص شديدا جدا في المعدة فيمكن معالجته بتدفئة البطن بقارورة من ماء ساخن أو بآخر ساخن جدا . ولا احتياج الى التنبيه بأن المريض يجب أن يعيش في هواء طلق .

ان الثمار مثل البرقوق والزبيب والبرتقال والعنب نافعة خاصة في الامساك ولكن ليس معنى ذلك أنها تؤكل حتى بدون الجوع . ولا يجوز تناولها أصلا في حال المغص الذي يصحبه طعم رديء في الفم .

مذكرات موءتمر الخلافة الاسلامية (١)

﴿ باقي محضر الجلسة الرابعة ﴾

تابع لما نشر في الجزء الماضي

وبعد الفراغ من تلاوة تقرير اللجنة قام حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الأحمدي الظواهري وألقى الخطبة الآتية :—

أبدأ حديثي باسم الله الرحمن الرحيم . وأقول اني أشكر اللجنة جزيل الشكر على ماأراه من غيرتها الدينية وحرصها على اتخاذها كل الوسائل التي توصل إلى إيجاد حالة تسر المسلمين ولا يرضون عنها بديلا وهي إعادة مجد الاسلام كما كان وأن نعمل لنحفظ ذلك التراث العظيم . ذلك الدين الذي يجب أن نفديه بأرواحنا وأموالنا وأن نعمل كما عمل آباؤنا وأن نلاقي علي الأقل بعض ما لاقوه . أشكرهم شكراً جزيلاً لأني أرى ذلك ظاهراً في كل سطر من كلامهم . وأوافقهم كل الموافقة على ماقالوه من أن الهيئة التي تملك البيعة لابد أن يكون ممثلا فيها كل الاقطار تمثيلا يمنع الفتن التى عانى الاسلام منها كثيرا . كفى مالاقي المسلمون من المصائب والاحزان من جراء الخلاف على الخلافة في هذه السنين الطوال ، من عهد عمر رضي الله عنه إلى الآن . ذلك الخلاف الذي كان هو المهلكة العظمى والعامل الذي حفر القبر الذي كاد معاذ الله يدفن فيه الاسلام لولا أن الله يحفظ دينه . أقول بملء الارتياح كما قلت سابقا ان هذه المسألة العظمى التي تتوقف عليها حياة الاسلام لابد أن تجري على الوجه الذي يمنع الفتن بين المسلمين في جميع الاقطار ولا يوجد بينهم الحرب الداخلية عملا بأوامر الله تعالي وماتقتضيه نظم العقل ونظم السياسة ونظم الاجتماع . فبكل قلبي أوافقكم على أنه لابد من هذا التمثيل . واسمحوا لي أن أقول دون أن أمس أية عاطفة انه لابد أن يكون هذا التمثيل معبراً عن الرأى العام في كل قطر حتى يكون المسلمون راضين وحتى

(١) منقول عن « محاضر » مؤتمر الخلافة التي نشرتها سكرتارية المؤتمر

نأمن شر الانقسام . نحن لانريد أن نعيد المهازل التي جرت في بعض البلدان كما جرت في سالف الازمان . نريد أن نعمل للاسلام عملا جديا برأب الصدع فان لم نعمل فلا نهدم . هذاهو ماندين الله عليه وما نفديه بأرواحنا وما نشكر اللجنة عليه . وذلك ماتريده من غير جدل ولامناقشة بملء الصراحة وبدون أخذ ورد فيه . الا أني أستسمح اللجنة في شيء آخر : أريد أن ألاحظ على المادة الاولى ملاحظتين :

الأولى — ان اللجنة تعرضت لأمر البيعة وأن هذا المؤتمر لم يشترك فيه كثير من الامم الاسلامية . وقالت لم يوجد الى الآن هيئة من أهل الحل والعقد تملك حق البيعة . وأنا أقول ان برنامج المؤتمر ليس فيه أمر البيعة ولكني أشكرها لانها ذهبت في البحث إلى الصميم . وأوافقها فيه كل الموافقة .

الثانية — ان البت في أن الخلافة المستجمعة لشروطها المقررة في كتب الشريعة لايمكن تحققها بالنسبة للحالة التي عليها المسلمون الآن تحتاج لاخذ آراء الكثير من أمراء البلاد والسياسيين فيها وأهل الحل والعقد . وقد قلنا في التقرير العلمي إن أهل الحل والعقد هم الذين يطاعون في الناس من العلماء والامراء والاعيان . ومهمة اللجنة في هذا كانت صعبة وشاقة جدا . وليعذرني المؤتمر في أن أقول إنه لايجوز لنا أن نقول إن العالم الاسلامي أصبح شراذم وجماعات وفي الصف الثانى وأن نفت في عضد المسلمين . أرى من العسير علي وعلى إخواني والاسف ملء قلبي والحزن يشملني — أن نعلن أننا اجتمعنا لنقول ان المسلمين قد فقدوا كل حول وكل قوة . ولنقول ان المسلمين أصبحوا متفرقين في الارض طوائف يستحيل اجتماعها على كلمة واحدة . يعز علي جداً أن نقول هذا ونقرره وأن يكون هذا نتيجة مؤتمرنا .

وإذا كنا لسنا أهلا لان نبت في مسألة الخلافة فكيف نكون أهلا لان نبت في أن المسلمين قد فقدوا كل حول وقوة . إننا كدينيين واجبنا[1] أن نقوي روح الاسلام في الناس . يعز علي جداً أن نقول ذلك لان هذا شيء لايجوز للديني أن

(١) المنار : هذا تعبير صحفي مترجم معناه ان الواجب علينا بنسبتنا إلى الدين أو من حيث إننا دينيون كذا وكذا

يقوله فيثبط عزائم المسلمين في بقاع الارض. ان الله يبعث من العدم قوة ومن التفرق جمعا .

(فقال حضرة صاحب العزة وحيد الايوبي بك : الاسلام الذى فيه أئمة أمثال فضيلتكم لا يضعف إن شاء الله)

وعاد فضيلة الاستاذ الشيخ الاحمدي فقال : كيف نقول هذه الكلمة التي سيكون لها أثر فعال في المسلمين وهي قضاء عليهم ثم نحاول أن نحييهم من جديد بلجان وفي كم قرن (؟) يمكن ذلك .

أنتم ترون أن تعاليم الاسلام تؤخذ من كل جانب[1] فالى أن تعمل اللجان يكون قد ضاع كل شيء . فاناشدكم الله أن تتدبروا فيما قالته اللجنة وليست المسألة مسألة أخذ ورد بين عضوين أو أكثر . المسألة أكبر من ذلك وأكبر من مؤتمرنا وجيلنا، وهي الحد الفاصل بين الحرب المعنوية القائمة بين تعاليم شتى وبين تعاليم الاسلام . هذا الجاوي وهذا الهندي وهذا البولوني انما يعيش في شعاع من الامل فلا يجوز لنا أن نقطع هذا الشعاع .(وهنا صفق الحاضرون تصفيقا حادا)

إني لقد أخذتني عبرة . وما كنت[2] ولا كانت حياتي اذا كان من عملنا أن أقوم كأن أرثي الاسلام وأن استنهض رجال الاسلام وأنتم أكثر غيرة مني : فرجائي أن يقرر المؤتمر أن الخلافة الشرعية ممكنة وأن بيعة الخلافة يجب أن تكون من هيئات ممثلة لشعوب المسلمين على وجه يمنع الفتن ويظهر[3] الوحدة كما هو الغرض الاسمى من الخلافة ،وألا تكون على الوجوه التي تثير الفتن بأن تجتمع جماعة هنا وجماعة هناك لمبايعة زيد وعمرو . إن الخلافة ممكنة ولكن وسائلها لم تعد للآن . ومن أهم وسائلها أن يدعى الناس جميعاً (؟) يمثلوا طبقاتهم ليمكنهم أن يتوافي هذا الامر وفي هذا الواجب المقدس .

---

(١) المتبادر من أخذ تعاليم الاسلام تلقيها كقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) وقوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) وهو غير مراد بل تدل القرينة على أن مراده انها تختان وتنتقص وتنفصم عراها وينكث قتلها وما في معنى هذا

(٢) كذا في الاصل وهو غير ظاهر ولعله : فلا كنت الخ

(٣) الأولى أن يقال : يقرر الوحدة أو يحققها

نحن ندعو المسلمين جميعاً الى ألا يهملوا الاخذ بالواجب المقدس . وعلى الشعوب أن تستحث أممهم[1] لعقداجتماع جامع يمكنه أن يبت في مسألة الخلافة . والا فلو طال الزمن لماتت الخلافة (؟) وأصبحنا كابل بلا راع .

نرجو أن نلم شعثنا ونوحد وجهتنا ، نعلى المسلمين جميعا أن يعملوا لايجاد هذه الهيئة الجامعة .

لعلي بهذا أكون قد وفقت بين مطالب الاسلام وما قررته اللجنة . قولوا إن الامر ممكن . وحضوا المسلمين على أن يعملوا ليل نهار لتحقيقه والا كنا آثمين . ولتكن مأمورية (؟) هذا المؤتمر توجيه رسالة إلى العالم الاسلامي بما قلته

فاللازم أن يكون في صيغة القرار المذكور في المادة الاولى من التقرير امكان إيجاد الخلافة المستجمعة للشروط الشرعية بدل عدم إمكانها إذ ما المانع من أن يتاح للأمم الاسلامية الاتفاق والاتحاد فيما بينها وتتعرف ماسببته هذه الفرقة فتتكاتف جميعاً وتضع يدهافي يد من تجعله خليفة لعموم(؟) المسلمين عملا بأوامر الدين الحنيف ، لاشك أن هذا ممكن ولا استحالة فيه أصلا متي عالج المسلمون ذلك وقاموا متساندين وأوجدوا كل الوسائل التي تؤدي الى هذه الغاية الشريفة اه

وعلى أثر فراغه من خطبته قال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عطاء الله الخطيب مقرر اللجنة :

أشكر فضيلتكم شكراً جزيلا باسم اللجنة . وأشكركم على ما أبديتموه من الحماسة . وأعرض على حضرات الحاضرين أن اللجنة في قرارها لم تكن مخالفة للرأي الحسن الذي أبديتموه . والاختلاف بين رأيكم وماتريده اللجنة اختلاف لفظي فقط والا فالمعنى واحد . إذ كيف يمكننا أن نقول إنه ليس في المسلمين اليوم من يستحق أن يكون بهذه الصفة وقد كان هذا مثار بحث في اللجنة غير أن أفكارنا لم تتسع لمعرفة الموجودين ويؤيد قولي هذا انعقاد المؤتمرات في بلاد العالم وهذا ليس اعترافا بعدم الوجود

(١) لم نفهم مراده من الشعوب والامم وكان الظاهر أن يقول : تستحث أو تحث زعماءها وأهل الحل والعقد فيها على عقد اجتماع الخ

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حبيب العبيدي : الخلاف بينكما لفظي فقط . ويجب السعي على جميع المسلمين فلا تفتروا ساعة من نهار عن القيام بهذا الواجب وإنكم لتعلمون أن الخلافة واجبة في الاسلام وإهمال الواجب إثم فيجب على المسلمين أن يتخلصوا من هذا الأثم . وأن الخلافة فرض كفاية .

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ إسماعيل الخطيب : اذا كان الخلاف لفظياً فارى وجوب حذف العبارة التي تجعل اليأس في قلوب المسلمين وتوهم أننا نحفر حفرة في الاسلام . وهذه العبارة هي من قوله : ظهر جلياً مما تقدم الى قوله كما أنه لم يشترك في هذا المؤتمر كثير من الامم الاسلامية التي دعيت للاشتراك (؟)

فوافق المؤتمر على ماذكر

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن أبي (؟) السعود : أرى أن ينشر تقرير اللجنة في الصحف محذوفا منه الجملة المذكورة .

فوافق المؤتمر على ذلك

ثم قال حضرة صاحب الفضيله الشيخ عطاء الله الخطيب مقرر اللجنة : هل لأحد من حضراتكم بعد ذلك سؤال يتعلق بتقرير اللجنة ؟

فلم يسأله أحد شيئا

فقال قبل أن أرجع إلى مكاني أشكر حضرات الاعضاء على حسن ظنهم باللجنة

وقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابراهيم الجبالي : أتقدم لحضرات الاعضاء بالشكر الجزيل على هذه الغيرة الدينية : وأبدي سروري بهذه العاطفة التي تجلت أخيراً وكانت كامنة من قبل وهي أننا مسلمون اجتمعنا من مشارق الارض ومغاربها لاعزاز وطن عام لنا هو الاسلام . اجتمعنا لأجل إحياء هذا الوطن العام . فوسيلتنا واحدة وغايتنا واحدة وكأن غمامة كانت بين نفس هذا وذاك فزالت وأشكر الله أن تجلت النفسية للجميع وأصبحنا كلنا متفاهمين على غاية واحدة وغرض واحد

لقد أبان فضيلة الاستاذ الشيخ الاحمدي اجلى بيان وأبدى من الغيرة الدينية ما نعهده فيه من قبل . وكانما كان يحدث بما في النفوس وبما انطوت عليه القلوب

مما دل على أن الغاية واحدة وأن الكل ينشدون الحق وناشدوه لابد أن يتلاقوا، هذه حالة أبدي اغتباطي بهـا : وعلى ذلك تحددت مهمتنا ووصلنا الى نتيجة : وكاننا كنا نتألم لتفرق وحدتنا وأن كل شعب منعزل عن أخيه لايشعر بما يشعر به . وأن الواجب ان تتضام تلك الشعوب وتتساند حتى لايكون كل شعب بمعزل عن الآخر بل يكون الجميع كتلة واحدة في الظاهر كما هم ولله الحمد في الباطن.

ويكون ما يرجوه المؤتمر من تشخيص الداء ووصف الدواء قد تحقق : والامر من الخطورة (؟) بحيث لايكفي فيه مؤتمر واحد . فليكن هذا نواة لما بعده ولتكن مهمتنا قد انتهت الآن .

نقول: الخلافة واجبة وهي ممكنة في كل وقت ولم نصل بعد لتحقيق طرق إيجادها ولا أوصلنا البحث عمن يتصف بها اتصافا تاما ولم يجتمع فيما بيننا من يأخذون على عهدتهم تحقيقها . ولكن هذا إذا قيل الآن فلا يقبل من المسلمين أن يسكتوا عليه . فياأيها المسلمون في كل إقليم جدوا في البحث عمن تتحقق فيه وانقذوا دينكم وأجمعوا أمركم ويد الله مع الجماعة

ثم رفعت الجلسة للاستراحة وصلاة المغرب إذ كانت الساعة السابعة مساء ثم عادت الى الانعقاد إذ كانت الساعة الثامنة مساء .

فاستأذن حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى وقال : بناء على ماتقدم أعرض على هيئة المؤتمر صيغة قرار يصدره المؤتمر معدلا لتقرير اللجنة . اشتركت في وضعها مع حضرات أصحاب الفضيله الاساتذة الشيخ أحمد هارون والسيد محمد الببلاوى والشيخ حسن أبي السعود والشيخ محمد عبداللطيف الفحام والشيخ خليل خالدي والشيخ ابراهيم الجبالي وهي :

« قرر المؤتمر أن إيجاد الخلافة الاسلامية الشرعية ممكن فيجب على المسلمين في مشارق الارض ومغاربها تهيئة أسبابها ووسائلها واعداد مايلزمها من عدة . ويرى المؤتمر أنه يجب أن يراعى في تحقيقها الوجه الذي لايفرق جماعة المسلمين ولا يثير الخلاف بينهم . ولذلك يقرر أنه لابد لذلك من تمثيل جميع الشعوب الاسلامية تمثيلا تاما في اجتماع يحضره مندوبو الاقطار الاسلامية في أي قطر

يختاره المسلمون للاجتماع ليتشاوروا فيما يجب عمله لايجاد الخلافة المستجمعة للشروط الشرعية . ويرى أن هذا المؤتمر لم تمثل فيه جميع الشعوب الاسلامية تمثيلا تاما وهو يوجه نداءه الى جميع المسلمين في سائر أقطار الارض ألا يهملوا أمر الخلافة التي هي روح الاسلام ومظهره وأن يعملوا جميعاً لتحقيقها على الوجه المذكور أداء لهذا الواجب وخروجا من الاثم بتركه » اه

فقال حضرة الاستاذ الثعالبي أفندي : نحن جميعا الممثلين للشعوب الاسلامية هنا لانرى قطراً أولى وأحق بعقد ذلك الاجتماع من القطر المصري فقد رأينا هنا من الحرية في الرأي وسعة الصدر ونزاهة المقصد الا يمكن أن يكون في قطر آخر خصوصاً موقع مصر الجغرافي ومنزلتها العلمية والدينية فان ذلك يجعلها من العالم الاسلامي بمنزلة القلب

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابراهيم اجبالى : اقترح ان تحذف جملة « في أي قطر يختاره المسلمون للاجتماع » وتبقى الصيغة كما هي

فقال حضرة الاستاذ الثعالبي أفندي : نحن لا نتركها مبهمة مطلقا بل يجب أن ينص على تعيين المكان الذي يعقد فيه الاجتماع وهو القطر المصري ولا نترك ذلك لاختيار آخر بعد أن رأينا هذه النزاهة وهذه الحرية في الرأي .

وعند ذلك قام جميع الوافدين من الشعوب الاسلاميه وقالوا نحن نوافق الاستاذ الثعالبي أفندي على كل ماقال ونؤيده في أن مكان الاجتماع يكون في القطر المصرى للاسباب التي ذكرها

فقال فضيلة الاستاذ الشيخ الظواهرى : أرجو انه إذا كان لا بد من تعيين مصر مكانا للاجتماع المقبل فليكن ذلك بعد وصول حضرات مندوبي الشعوب إلى أقطارهم واستفتائهم فيما يختارونه من ذلك وليتفضلوا بمكاتبتنا بعد وقوفهم على رغبة شعوبهم فى مكان الاجتماع

فقال حضرة الاستاذ الثعالبي أفندي : ليس هناك من حاجة مطلقاً الى استفتاء الشعوب بعد أن حضرنا هنا نمثلهم فكلمتنا تعبر عن رأيهم .

فقال حضرة الاستاذ وحيد الايوبي بك : أن حضرات الوافدين ضيوفكم

وهم يطلبون أن يكون اجتماعهم عندكم فلماذا لاتوافقونهم

فقال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم الجبالي : اقترح بقاء صيغة الاقتراح الذي تلاه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الأحمدي الظواهري وان يثبت فيها أن الاجتماع يكون في القطر الذي يختاره مندوبو الشعوب الاسلامية ويذكر بجوار ذلك ان حضرات الوافدين من الشعوب الاسلامية طلبوا أن يعين مكان الاجتماع وأن يكون بمصر القاهرة .

فوافق المؤتمر على ذلك ماعدا حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت

ثم اقترح حضرة جمال الحسيني بك صيغة الاحتجاج الذي وافق عليه المؤتمر بمناسبة حوادث دمشق

فوافق المؤتمر على أن يكون الاحتجاج بالصيغة الآتية :

« تلقى مؤتمر الخلافة الاسلامي العام المنعقد في عاصمة الديار المصرية برقيات عن الفظائع المريعة التي ارتكبت في مدينة دمشق عاصمة الخلفاء الأمويين من إحراق وتهديم لمساجد الله وغيرها بالقنابل وجميع آلات التدمير والاهلاك وتقتيل الابرياء من الشيوخ والنساء والاطفال والعجزة فقرر الاحتجاج على ذلك لدي عصبة الامم وحكومة الجمهورية الافرنسية والرأي العام. وأن يطلب باسم الانسانية عامة انصاف سورية المفتجعة التي تستصرخ العالم الانساني أجمع)

ثم قال حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان : اني احترم فيكم اصالة الرأي وأقدر لكم قوة الارادة وأشكر أمما أنابتكم لتمثيلها . انكم مرآة أرتنا صور شعوب نحترمها ونعتبر أننا معها أعضاء جسم واحد اذا اشتكي بعضه تداعى اليه سائره . نقدر لكم ماتجشمتم من المشاق وماقمتم به من الاعمال الجليلة . ونسأل الله أن يجزيكم خيراً . ان مؤتمرنا هذا ليس كسائر المؤتمرات . بل له منزلة فوقها . ليس كمؤتمر جغرافي ولا كمؤتمر زراعي بل هو مؤتمر ديني بل هو أول مؤتمر ديني عقد في أكبر عاصمة اسلامية شرقية . فله من الاعتبار ماليس لغيره وإنه لتستفيد منه الامم الاسلامية وتعتبر أنه ألف من نخبة

علماء الأمصار الذين لهم في اصلاح شؤونها رأي سديد : اجتمعنا وقررنا ماقررنا فهل لي أن أقول لحضراتكم ان وظيفتنا وان كانت هي النظر في أمر الخلافة فهل لنا أن نفكر في شؤون المسلمين عامة . هل لنا أن نقول لحضراتكم يلزمنا نحن العلماء والمفكرين أن ننظر فيما يصلح حال المسلمين في سائر أقطار الارض يقول الله تعالى (وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) فسن الله تعالى لنا بذلك ثمرة الاجتماعات. وهذا الاجتماع يصح أن نتعرف منه شؤوننا . يصح أن يبث كل منا لاخوانه ماعليه أمته حتى نعرف الداء ونصف الدواء ويكون هذا المؤتمر هو النواة التي تثمر الخير ان شاء الله تعالى . ان الاسلام دين العزة دين القوة دين السعادة تمسك به آباؤنا فعزوا وسادوا وقوي بأسهم وأهملناه فأهملنا . هل ترون حضراتكم أن تكون حالنا متأخرة وقد كان آباؤنا في الدرجة الأولى من التقدم. ليس لنا من الشؤون الاقتصاديةماينهض بنا . ليس لدينا من الاخلاق مايوجب تقدمنا . تأخرنا وتقدمت الامم فأقترح على حضراتكم أن تدوم الصلة بيننا وألا يكون هذا المؤتمر آخر مؤتمر عقد للنظر في أمر اسلامي . انتهينا من أمر ابداء رأينا في شأن الخلافة فعلينا أن نعقد المؤتمر تلو المؤتمر للنظر في الشؤون الاخرى

ثم أذن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس في تلاوة اقتراح من حضرة الاستاذ وحيد الايوبي بك تضمن طلب حل المؤتمر حيث ان مهمته قد انتهت فتلاه محمد قدري أفندي نائب السكرتير العام

فوافق عليه المؤتمر

ثم قال حضرة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي أفندي : الآن يجب علينا أن نشكر حضرات علماء مصر على العمل العظيم الذي قاموا به . ونشكر سكرتارية المؤتمر على مابذلته من مجهود وما قامت به من عمل . ونشكر الحكومة المصرية على سعة صدرها للسماح لنا بهذا الاجتماع . ونشكر جلالة ملك مصر المعظم على هذه الحرية التي تجلت لنا في أكبر مظاهرها .

ثم نادى بحياة جلالة الملك فردد الحاضرون نداءه.

ثم أعلن حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس حل المؤتمر شاكرا لحضرات الاعضاء تفضلهم بالحضور الى القاهرة وما أبدوه من الغيرة الدينية والاهتمام بشؤون المسلمين وما أتوا به من عمل في المؤتمر وداعيا الله سبحانه وتعالى ان يوفق المسلمين لما فيه الخير

وانفضت الجلسة الساعة التاسعة والثلث مساء ٭ رئيس المؤتمر

نائب السكرتير العام ختم (محمد أبو الفضل)

امضاء (محمد قدري)

قرار

المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر

في ٧ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية — (١٩ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية)

قرر المؤتمر الاسلامي العام للخلافة بمصر في جلسته المنعقدة يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية (١٩ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية) أن ايجاد الخلافة الاسلامية الشرعية ممكن . فيجب على المسلمين في مشارق الارض ومغاربها تهيئة أسبابها ووسائلها وأعداد ما يلزم لها من عدة . ويرى المؤتمر أنه يجب أن يراعى في تحقيقها الوجه الذي لا يفرق جماعة المسلمين ولا يثير الخلاف بينهم . ولذلك يقرر أنه لابد لذلك من تمثيل جميع الشعوب الاسلامية تمثيلا تاما في اجتماع يكون بالقاهرة ويحضره مندوبو الاقطار الاسلامية ليتشاوروا فيما يجب عمله لايجاد الخلافة المستجمعة للشروط الشرعية ، ويرى أن هذا المؤتمر لم تمثل فيه جميع الشعوب الاسلامية تمثيلا تاما . وهو يوجه نداءه إلى جميع المسلمين في سائر أقطار الارض ألا يهملوا أمر الخلافة التي هي روح الاسلام ومظهره وأن يعملوا جميعاً لتحقيقها على الوجه المذكور أداء لهذا الواجب وخروجا من الاثم بتركه

٨ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ هجرية شيخ الجامع الازهر

٢٠ مايو سنة ١٩٢٦ ميلادية ورئيس المؤتمر

محمد أبو الفضل

باب الانتقاد على المنار

« مبحث في الجرح والتعديل »

(٢)

« اثبات توثيق كعب الاحبار ووهب بن منبه »

هذا مايتعلق بكعب الاحبار في هذا الموضع ، وأما وهب بن منبه فهو من جهة عده من رجال البخاري محل اتفاق لأن البخاري روى عنه في صحيحه حديثاً صحيحاً نافعاً لانه يتضمن اثبات كتابة العلم أي (الحديث) في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في كتاب العلم من صحيح البخاري كما أن البخاري احتج بوهب في أول كتاب الجنائز من صحيحه حيث قال : وقيل لوهب بن منبه : أليس مفتاح الجنة لاإله إلا الله ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح الا له أسنان، فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك) وهذا يدل على أن وهباً لم يكن جبريا في عقيدته حيث قال في الفتح وروي عن معاذ بن جبل مرفوعاً نحوه بل كان سنياً

وخلاصة هذا الموضع ثبوت أن كلا من كعب ووهب من رجال البخاري الاول احتجاجاً ، والثاني احتجاجاً ورواية ، وأن ذلك توثيق لكل منهما معتبر عند رجال الحديث ، وأما كونهما من رجال بقية الكتب السنة المبينة في أول كلامنا فحسبنا دليلا على ذلك كتاب تهذيب التهذيب نفسه وفي ذلك توثيق أيضاً مؤكد لما قبله ، وصار تضعيف ابن الفلاس لوهب لا يعبأ به بعد احتجاج ورواية البخاري عنه ، قال ابن حجر في مقدمة فتح الباري صحيفة ٤٥٠ في الكلام على وهب بن منبه مانصه « وثقه الجمهور وشذ الفلاس فقال كان ضعيفاً » فأصبح هذا التضعيف لاأثر له بعد أخذ البخاري عنه. والتقليل من شأن أو عدد ما أخذه البخاري أو مسلم عن أحد الحبرين لا يصلح حجة على عدم توثيق كل منهما ، فان المدار في ذلك على مايدل على ثقة صاحبي الصحيحين باحدهما ، وحديث أو احتجاج واحد كاف في الدلالة على ذلك بدليل أن علماء مصطلح الحديث لم يشترطوا تعدد الاخذ في قولهم « كل من أخذ عنه البخاري أو مسلم فهو ثقة ولا يقبل قول من جرحه بعد »

الموضع الثالث

(الاحتجاج بما لا يحتج به لعدم صحة سنده أو لخروجه عن موضوع البحث)
وقبل الكلام في ذلك انقل يسيراً مما قرره علماء الحديث في التحذير من جرح رجال الحديث بغير تثبت . قال العلامة ابن الصلاح في المقدمة في النوع الحادي والستين مانصه : على الآخذ في ذلك أن يتقي الله تبارك وتعالى ويتثبت ويتوقى التساهل كيلا يجرح سليماً أو يسم بريئاً بسمعة سوء يبقى عليه الدهر عارها » ونقل العلامة القاسمي في كتابه الجرح والتعديل صحيفة ٤ عن علماء الحديث أنهم قالوا : اعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام اه فامام هذا التحذير الشديد لايصح الاحتجاج في تجريح كعب ووهب بما نسب اليهما من الاخبار المنتقدة في بعض كتب التفسير أو التواريخ أو القصص لاحتمال أن ذلك موضوع ومنسوب إلى أحدهما من باب حسن السبك وخصوصاً ماكان من ذلك من أخبار بني اسرائيل فلشهرة الحبرين بمعرفتها تلك الاخبار جعلها الوضاعون هدفا لاغراضهم ، ومن ذلك الخبر الذي هو مثار هذا المبحث من أوله إلى آخره وهو مانقلتم عن ابن كثير في التفسير عند قوله تعالى (فألقى عصاه) من قصة سيدنا موسى مع فرعون في سورة الاعراف من أن وهباً قال : ان العصا لما صارت ثعباناً حملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً وقام فرعون منهزما . قال ابن كثير رواه ابن جرير والامام احمد وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله اعلم اه منار

أما غرابة السياق فمسلمة لان اجتماع هذا العدد الذي مات فقط فضلا عمن نجا على غير انتظار أمر لايتصوره عاقل لان دخول سيدنا موسى وأخيه على فرعون أول أمره كان على غير انتظار ، ولكن من جهة صحة سند هذه الرواية إلى وهب فان في سند ابن جرير من هو مجهول كما قدمنا في أصل الانتقاد والرواية عن المجهول لايعتد بها لاحتمال أن ذلك المجهول هو الواضع لها . والامام احمد لم يروه في مسنده كما هو ظاهر عبارتكم لان ابن كثير صرح في عبارته أنه في الزهد وهو لم يكن من كتب الحديث المعروفة فلا مانع أن يكون في سنده انقطاع أيضاً

وابن أبي حاتم تفسيره كتفسير ابن جرير ، بل انه يروي في الموضع الواحد المتناقضات بدليل مانقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح في تعيين (مجمع البحرين) في تفسير سورة الكهف حتى قال ابن حجر وهذا اختلاف شديد فانظره . وعلى ذلك لم يوجد سند صحيح بأن هذا الخبر الغريب صدر من وهب ، وحينئذ فلا تصح مؤاخذته به ويدل على أنه موضوع على وهب انه لم يروه أحد من أصحاب كتب الحديث المعتبرة مثل البخاري أو مسلم أو غيرهما من الكتب التي يصح للمطلع عليها أن يقطع أو يظن أن ذلك صدر منه ، وما دام أنه لم يوجد ذلك فلا محل لتوجيه اللوم اليه بناء على أمر وضعه عليه أقرب جداً من صدوره منه ،

ومثل ذلك بل أقل منه ثبوتاً ماجعلتموه عمدتكم في الطعن على الحبرين أخيراً حيث قلتم بصحيفة ٧١٨ من الجزء التاسع المذكور في بقية الرد علينا مانصه : «هذا وان عمدتنا في جرح رواية وهب ماجاء به من الاسرائيليات التي نقطع ببطلانها وهو آفتها كروايات كعب فيها ، وقد شوها تفسير كتاب الله بما بثافيها (كذا) من الخرافات ، وبما أدخلا فيها (كذا) من العقائد الباطلة ومن تأييد عقائد أهل الكتاب والشهادة لكتبهم التي بين أيديهم بالصحة

« ونكتفي في هذه وهي شرها بما نقله الحافظ ابن كثير عنه في تفسير قوله تعالى (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب الخ) قال وهب بن منبه : إن التوراة والانجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ، ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) فأما كتب الله فانها محفوظة ولا تحول . رواه ابن أبي حاتم اه (منار)

فهذا رواه ابن ابي حاتم وحده فهو أقل ثبوتا من سابقه فلا يصح أن تجرحوا وهبا بناء على مثل هذه الرواية الساقطة بقولكم بعد ذلك : ان وهبا كان كذابا غاشا للمسلمين بصلاحه . اه هذا ما احتججتم به وهو لم يصح الاحتجاج به لعدم صحة سنده

وأما ماجعلتموه حجة وهو خارج عن الموضوع فهو ماذكرتموه بصحيفة ٧٨ من الجزء الاول المذكور في أول ردكم من الاطناب في ذكر توراة اليهود وانجيل النصارى الموجودين وجعلهما حجة على كذب الحبرين لكون كثير من الاخبار التي

نسبت اليها عن بني اسرائيل لم توجد فيها حيث قلتم : فان توراة اليهود بين الايدي ونحن نرى فيما رواه كعب ووهب عنها . الاوجود له فيها لبتة على كثرته الخ . فهذا فضلا عن خروجه عن الموضوع لما هو مقرر عند جميع علماء المسلمين من أن كتابي اليهود والنصارى الموجودين لايصح الاحتجاج بهما لما ثبت بالقرآن والاحاديث الصحيحة من تحريفهما وتبديلهما . فقد نقضتموه بقولكم أخيراً بصحيفة ٧١٩ من الجزء التاسع المذكور في آخر ردكم علينا بما نصه : أقول إن ابن كثير قد علم من حال كتب أهل الكتاب مالم يكن يعلم أئمة الجرح والتعديل ممن فوقه كأحمد وابن معين والبخاري ومسلم الذين لم يروا هذه الكتب كما رآها ، ولم يطلعوا على مابينه المطاعون عليها قبله من تحريفها وأغلاطها ومخالفتها لما نقطع به من أصول الايمان بالله ورسوله الخ كابن حزم وابن تيمية أستاذه الخ اه منار

وعلى أي حالة كانت فان ذلك لايوجب جرح الحبرين فان رأي ابن حزم وابن تيمية معروف لدى جمهور العلماء فيما يختص بتحريف كتابي أهل الكتاب وغيره ، وقد فصل القول في مسألة التحريف الحافظ ابن حجر في الفتح في كتاب التوحيد عند شرح باب قول الله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) ونقل كلام ابن حزم وابن تيمية وغيرهما ، ولم ينقل عن أحد الطعن على الحبرين مطلقا

وابن حزم متوفى سنة ٤٥٦ وابن تيمية توفى سنة ٧٢٨ وقد وثق الحبرين بعد ذلك كثير من العلماء المطلعين على أقوالهما وقد تقدم ذكرهم واستمر توثيقهما إلى الأعصر القريبة فصاحب كتاب اظهار (الحق) ممن سبق توثيقه لكعب وهو فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٠هـ وصاحب الفضيلة الشيخ الخضري الموجود وثق وهبا في كتابه تاريخ التشريع الاسلامي بصحيفة ١٥٨ وابن حزم وابن تيمية لم يصدر منهما طعن على أحد الرجلين فكل مايتعلق بكلامهما خارج عن الموضوع

﴿ والكلمة الختامية ﴾ ان مبحث الجرح والتعديل مبحث نقلي محض لامجال للعقل فيه مطلقا الا من حيث الاطلاع على مادونه علماؤه في سجلات أسفارهم فالمجروح من جرحوه والموثق من وثقوه ، وما علينا الا الاطلاع على أحكامهم في ذلك فننفذها كما صدرت والله ولي التوفيق عبد الرحمن الجحموني

(المنار) سنبدي رأينا في هذا النقد في الجزء التالي انشاء الله تعالى

ذات بين مصر والحجاز

حادثة المحمل الشريف وأثرها في الصحافة

قد ذاع في أرجاء العالم كله نبأ حادثة سميت « حادثة محمل الحج المصري » في (منى) من أرض الحرم المكي المقدسة فقد طارت به الشركات البرقية، وخاضت فيه جرائد الشرق والغرب ، ولم أر جريدة من الجرائد المصرية ولا السورية بينت الحادثة كما وقعت على كثرة من كان في موسم الحج من مراسلي هذه الجرائد ، وجريدة (أم القرى) المكية وهي التي تحرت الصدق في الرواية اختصرت الخبر وأوجزت فيه ومن الغريب أن البلاغ الذي أذاعته الوكالة الحجازية النجدية بمصر لم يخل من غلط ولم يبين الحقيقة من كل وجه . وسنبينها في رحلتنا الحجازية

وكانت وجهة الجرائد المصرية فيه سياسية لا دينية فقد عدته نزاعا بين حكومتي القطرين وشعبيهما فطفقت تطعن في النجديين وحكومتهم كدأب الجرائد السياسية في هذا العصر، ولا يوجد الآن في مصر جريدة اسلامية تراعي أحكام الشريعة الاسلامية في كتابتها كالجرائد الدينية المعروفة في جميع الشعوب وان كانت سياسية (كجريدة البشير الكاثوليكية في بيروت) والجرائد المصرية التي قد تسمى إسلامية يراد بنسبتها إلى الاسلام أن أصحابها من الشعب الاسلامى وإن كان بعضها يطعن في الاسلام ويدعو إلى تركه ، ومنها مالا يقبل أصحابها نشر شيء فيها يؤيد الاسلام ولا يمتنعون عن نشر ما يخالفه وإن كانوا لا يدعون الى تركه كغيرهم ممن يسمون مسلمين .

وإن امين بك الرافعي قد اشتهر بين محرري الجرائد المصرية ومديريها بالتدين ومراعاة أحكام الاسلام وما اشتهر إلا بحق فهو مسلم فعلا لا سياسة وجنسية فقط ، وهو مع ذلك من أركان الوطنية وعلماء القوانين وقليل الالمام بالفقه الاسلامي وكان في أيام هذه الحادثة في الحجاز كثير الانصال بامير الحج ورجاله ومراسلا

جريدة (السياسة) اللادينية ، وقد رأيت من مقالاته فيها ما أنصف به الوهابية وتحرى الحق فيما كتبه عنهم كعادته الحيدة ، ولكن ما كتبه في حادثة المحمل لم يكن كذلك ، لانه تلقى أخبارها من أمير الحج ورجاله من جهة ، ولانه ظن مع هذا أن ماصوروه له من تعدي الاعراب النجديين على المحمل ورميه بالحجارة وأصابة هذه الحجارة بعض حرسه يبيح لأمير الحج شرعاً أن يرميهم في أرض الحرم بقذائف المدافع والرشاشات فتقتل من تقتل بغير حساب . (وسنبين في الرحلة ان هذا خطأ محض لايحتمل الصواب)

فكان ماكتبه انتصاراً لأمير الحج وحجة الجرائد الوطنية في خطتهم التي أشرنا اليها آنفا ، وبابا مفتوحا لخصوم الوهابيـة السياسيين كالايرانيين وغيرهم والدينيين كعباد القبور ومرتزقة الخرافات ، على أن السياسيين المجاهرين والدساسين قد ألبسوا سياستهم ثياب الدين اتباعا لسنة آبائهم الاولين .

حملت الجرائد على الوهابين حملة واحدة لا يصدها صاد ، ولا تقف دون حد ، وأباحت صفحاتها لاصحاب الاهواء السياسية والخرافية الدينية المخالفين لهم في عقائدهم وآرائهم وأفكارهم ، وانتصر السعديون والدستوريون منهم لمنفذ سياسة حزب خصومهم (الاتحاديين) في الحجاز وهو أمير الحج وهم غافلون ، ولكن الحكومة الائتلافية الحاضرة لم يخف عليها ماخفي عل كل هؤلاء ، فهي لم تكد تحل محل الحكومـة الاتحادية حتى بادرت الى الاعتراف بما لم تعترف به من ملكية جلالة عبد العزيز آل سعود على الحجاز وبارسال وفد رسمي إلى المؤتمر الاسلامي الذي دعا اليه وأقامه بمكة المكرمة ، ثم إنها علمت من خطأ أمير الحج مالم يعلمه أصحاب الجرائد والجمهور ، وانما علمته من تقريره الرسمي الذي هو أكبر حجة عليه كما يدل عليه مانشره في جريدة الاهرام ، علمت هـذا وثبت عندها أن جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد برهن بمعاملته لأمير الحج وبغير ذلك على شدة حرصه على موادة مصر والحكومة المصرية ، وهي أجـدر بأن تعلم ما لا يعلم الجمهور من مصلحة البلاد في هذه الموادة .

إلمام الأمير سعود بمصر وحسن تأثيره

بينما الجرائد الكثيرة تسرف في خطتها التي بيناها مع الاشارة الى عذر اكثرها فيها ، حتى إن بعضها حث الحكومة المصرية على التصدي لاخراج الوهابيين من الحجاز لتنفيذهم أمر الشريعة بهدم مابني على القبور المعبودة من المساجد والقباب ، كأن اخراجها اياهم من المنات المبينات ، والراجح أن المقترح لايدين الله بهذه الخرافات ، بل نخشى أن لايدين الله تعالى بالعقائد اليقينيات، ولا بالصلاة والزكاة، والجميع يجهلون ماعند الحكومة من المعلومات ، الثابتة بالحجج والبينات .

بينا ماذكر كما ذكر اذا بأسلاك البرق تنبيء أن الامير سعوداً أكبر أنجال ملك الحجاز وسلطان نجد سيؤم مصر لمعالجة عينيه (لا لغرض آخر) وأن الحكومة المصرية قد دعته الى نزوله ضيفاً عليها ، وتلا ذلك أخبار الجرائد تترى باعداد دار خاصة لضيافة سموه قد وكل تنظيمها وتأثيثها الى سعادة محافظ مصر (بالنيابة) وبأن دولة وزير الخارجية قد زار هذه الدار بنفسه وأشرف على مايعمل فيها ... وبأن الاوامر الرسمية قد صدرت الى قنصلية مصر في جدة والى محجر الطور والى السويس بأن يقوم رجال الحكومة في كل منها بما يجب من خدمة سمو الامير في مكانه .. وبأخبار تنفيذ هذه الاوامر بالعناية التامة .

ثم وصل الامير الى القاهرة فاستقبل فيها استقبالا فخما من قبل الحكومة والامة وفتح له الباب الملكي في محطة مصر ، ثم أقبل على زيارته في دار الضيافة مندوب جلالة الملك والوزراء وكبار العلماء والشيوخ والنواب ومندوبو الصحف وغيرهم ، وزار هو دولة الرئيس الجليل سعد باشا زغلول في بيت الأمة ودولة رئيس الوزراء في ديوانه ومجلسي الشيوخ والنواب ومعاهد العلم والدين كالمساجد الكبرى ودور الآثار القديمة المصرية والعربية والكتب المصرية وحديقة الحيوانات وبنك مصر والمطبعة الاميرية الخ وكان يقابل في كل مكان رسمي وغير رسمي بالحفاوة والاجلال ، وتحدث معه بعض مندوبي الصحف فسمعوا منه أحسن الحديث وأحكم الاجوبة عما سألوه عنه ، وفي كل يوم تنشر الصحف أخبار تنقله وزائريه وتنزهه كما تنشر أخبار ملك البلاد ، وكتب بعضها مقالات خاصة في الثناء عليه ووجوب

الحفاوة به ومنافع المودة والاتفاق بين حكومة جلالة والده والحكومة المصرية ومن أحقها بالتأمل مقالة لجريدة البلاغ الوفدية السعدية (ولا تنزه عن الاشارة لشذوذ ثلاث جرائد أسبوعية سفهت علينا وعلى الوهابية رجاء أن يلقمها الامير حجارة جنيهات يقطع ألسنتها البذيئة كدأبها ودأب أمثالها

كان كثير من الناس يظنون بما كانوا سمعوه من مطاعن أعداء الوهابية الغابرين وخصومهم الحاضرين أن أهل نجد المنبوزين بلقبها أعراب شذاذ في دينهم وأخلاقهم وعاداتهم وآرائهم فرأوا من الامير سعود وبطانته وحاشيته مثلا أعلى وأكمل مما كانوا يظنون ومما يعهدون من غيرهم ديناوأدباوفضيلة ، أكبروا تقوى الامير واستمساكه بعروة الدين الوثقى ، وأعجبوا بآدابه وشمائله ، واستحسنوا آراءه وأفكاره في كل ماحدثوه به .

رأوا أن الامير كان يصلي كل صلاة في أول وقتها بالجماعة أنى أدركته من مكان رسمي كمجلس النواب ، أو ضاحية عامة كحديقة الحيوانات ، أو دار خاصة كدار محافظ مصر ، كانوا سمعوا أن من عناية الحكومة بدار الضيافة أن جعلت فيما جعلته فيها من خدم وحرس عسكري وموظفين مؤذنا أوصته بان يلتزم في أذانه مذهب الوهابية ، فتوهم بعضهم ان أذان الوهابية مخالف لأذان سائر المذاهب الاسلامية ، ثم سمع من زاروا تلك الدار أو مروا بها وسمعوا أذان مؤذنها أن الحكومة لم تجامل الامير باتباع مذهبه المخالف للمذاهب المعروفة فيها ! بل سمعوا الأذان الشرعي المتفق عليه في جميع مذاهب السنة المنصوص في كتب السنن النبوية كلها وكتب فقه المذاهب الاربعة كلها بدون زيادة في كلماته المعدودة المنقولة بالتواتر كما يزيد بعض مبتدعة المؤذنين في مصر في بعض الاوقات ولا سيما أذان الفجر صلاة على النبي (ص) ونداء لبعض المعتقدين المعبودين بدعائهم مع الله أو من دون الله كقول بعضهم في آخر الآذان «ياشيخ العرب» دعاء ونداء للسيد البدوى المشهور بهذا اللقب ، وبدون زيادة في نغم الأذان وصفة أدائه وتجاوب اثنين أو أكثر فيه كالأذان الذى يسمونه بالسلطانى ، ويخالف مذهب الشيعه الذين يقولون في الآذان « حي على خير العمل » وهي كلمة منسوخة

فهذه المسألة تجلي لمن يحب معرفة الحقائق كنه الفرق بين الوهابية ومخالفيهم:
الوهابية على مذهب امام السنة احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهو رابع أئمة الفقه الاربعة ، وانما يذكر رابعاً لأنه متأخر عنهم ولادة ووفاة لا لأن ترتيبهم ترتيب فضيلة ، فكل منهم مجتهد مطلق ، وكان هو أعلمهم بالسنة من حيث سعة الرواية ونقد الرجال ومعرفة الآثار ، ومن تلاميذه أكبر مدوني السنة كالشيخين البخاري ومسلم وابي داود وأجل من بعدهم من تلاميذ تلاميذه رضي الله عنهم اجمعين . إلا أن الوهابية أشد أهل السنة استمساكا بها ورفضاً للبدع المخالفة لها بالزيادة أو الصفة كما ذكرنا في الاذان أو النقص بالاولى ، وقد شنع عليهم بعض أعدائهم بما جعل اتباعهم للسنة واجماع مذاهبها ضلالا وخروجا منها أو من الاسلام بتحريف باطل إذ قالوا انهم يمنعون الصلاة على النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأطلقوا القول في ذلك حتى إن بعض حجاج بلدنا في الموسم الاخير قالوا لي بمكة اننا كنا سمعنا أن الوهابية منعوا الشهادة بالرسالة من الاذان ويعاقبون من يصلي على النبي (ص) وقد سمعنا الاذان في الحرم كاملا كما نعلمه (!!) وذكر أمين بك الرافعي في رسالة من رسائله المكية إلى جريدة السياسة حديثاً جرى بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود فنص فيه أن من عادته تكرار الصلاة والسلام على النبي (ص) كلما ذكره في المجلس وإن كثر ، وهو لم يعهد هذا من أحد غيره

هذا مثل واضح من مطاعن أعداء الوهابية فيهم بالباطل والتحريف جعلوا تمسكهم بالسنة مخالفة للسنة . ولو جازت الزيادة في الدين ولا سيما شعائر الاسلام كالأذان لزاد الناس في الصلاة والحج وغيرها حتى لا يعرف الاصل من الزائد وذلك مخالف لقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) ولاقتضي ذلك أن يكون الآخذون بالزيادة أكمل عبادة من النبي (ص) وأصحابه والتابعين لهم وخير القرون الذين شهد (ص) لهم بأنهم خير الامة

صلى الامير الجمعة في الجامع الازهر ففرشت له الطريق من الباب الخارجي إلى المحراب كما يفرش لملك البلاد واجتمع الجماهير من العلماء والطلاب حفاوة به وصلى بجانبه بجوار المنبر الاستاذ الاكبر شيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية

والمفتي الاكبر وغيرهما من كبار العلماء الرسميين ، وزار بعد الصلاة مجلس ادارة الازهر وقدمت له فيه المرطبات ، ونفح خدم الازهر بطائفة من الجنيهات ، وودعه العلماء بمثل ما استقبلوه به من الاجلال

وصلى جمعة أخرى في المسجد الحسيني وزار بعد الصلاة حجرة الآثار النبوية المشهورة فكان كلما عرض عليه شيء منها قال : اللهم ارزقنا اتباع آثار نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . وأذاعت الجرائد أنه زار المشهد الحسيني أي القبر المنسوب إلى الامام الحسين السبط عليه سلام الله ورضوانه كذبا وزوراً لأن المحققين من مؤرخي أهل السنة والشيعة قد صرحوا بأن رأسه رضي الله عنه قد أعيد من الشام إلى كربلا بعد أن حمل إلى يزيد ودفن مع الجسد هنالك وصرح بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية من أئمة المحدثين ومؤرخيهم ، وقد أنكرت هذا على الامير كتابة فمشافهة وقلت له: كيف تزور قبراً مزوراً يعبد من دون الله أو مع الله بالدعاء والطواف والنذور وغير ذلك ؟ فكذب الخبر وقال إنه لم يدخل حجرة المشهد ولا رأى ذلك القبر ، واستشهد على ذلك مصطفى بك منير المدير الرسمي لدار الضيافة (مهمندار) فشهد وكذب لي ذلك قبله الشيخ فوزان وكيل الحكومتين الحجازية والنجدية وسألتهما عما نشر في الجرائد من حضوره لحفلة الموسيقى العسكرية في حديقة الازبكية وتصفيقه للعازفين فانكرا ذلك أيضا وقالا : انه انما دخل الحديقة لحضور حفلة شرب الشاي التي دعي اليها ولم يحضر محل عزف الموسيقى وانما سمعها من بعد بغير قصد ولم يصفق لها ، وقد وعدا بتكذيب الخبرين في الجرائد ولم يفعلا . بل نقلت جريدة (الكوكب) بعد ذلك في حديث لأحد محرريها مع الامير ومهمنداره أنه زار المشهد (؟) ولم يكذبه أحد والظاهر أن لحاشية الامير أغراضا في مثل هذا

وجملة القول أن وجود الامير في مصر كان حجة مشاهدة على أن من يسمونهم الوهابيين هم خيار أهل السنة دينًا وأدبا وفضيلة حجة أخرست الطاعنين فيهم من أصحاب الأهواء السياسية والخرافية ، كما أن عشرات الالوف من حجاج الآفاق الذين أموا المسجدين المكي والمدني حجاجاً وزائرين قد شاهدوا من تأمين البلاد ومن حرية المذاهب الاسلامية التي تجلت أكمل التجلي في المؤتمر الاسلامي ماهدم الدعاية الايرانية التي بثت في العالم قبل الحج (والعاقبة للمتقين)

﴿ بدع أهل الطرق المنسوبة إلى الصوفية ﴾

نموذج من كتاب القول الوثيق في الرد على أدعياء الطريق

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه ومن والاه فقد رفع الينا سنة ١٣١٢هـ سؤال هذا نصه :

ماقول السادة العلماء في حكم الأذكار الملحونة وقصر لفظ الجلالة واستماع الأذكار المحرفة والذكر جهراً ومع الجماعة وما حكمه ، والهزة والتمايل والانشاد في الذكر ، واستعمال الخرقة والحزام وعلم الراية والذكر بمثل أنا أنت وأنت أناء وفي التكلم بين العامة بعبارات الصوفية الغامضة ، وفي الطبل والزمر والتصفيق بالأيدي ورفع الأصوات بالألفاظ الساذجة حال الذكر ، وفيما يحصل من الرطانة المعروفة عند أهل مصر بضرب اللوندي ، وفيما يقع من أرباب الطرق حال ذهابهم الى بعض الأضرحة أو البيوت لاقامة حفلة الذكر فيه من رفع أصواتهم في الطرق بالأذكار المحرفة والصلوات المبدلة والفواتح المتعددة كلما وصلوا لجهة فيها بعض إخوانهم أو جعلوها موعداً للقائهم — وحمل واحد يسير أمامهم بفانوس يسمى بالزى ، وفيما يفعلونه فى الموالد والليالي الرسمية أثناء ذهابهم الى مركز مشيخة الطرق من الاصطفاف ميمنة وميسرة يحمل لهم الشموع الموقدة والمجامر الأرجة غلمان مجلون بالملابس الفاخرة والمناطق المطرزة الناعمة ، وفيما يسمى بزفة الرفاعي والبيومي وزفة الفار ، وفي التصدي لمشيخة الطرق بأخذ العهود وإرشاد الخلق ممن ليس أهلا للارشاد ؟ أفيدوا الجواب ولكم من الله حسن الثواب فأجبت مستعيناً بالله تعالى

تمهيد

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . وأيما قول أو عمل صادم نصا من كتاب الله أو هدي رسوله فهو رد

على صاحبه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم » وقال « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (١)

وان غالب هذه الأمور التي اشتمل عليها السؤال المذكور من البدع السيئة المحدثة في الدين التي يجب على كل قادر من المسلمين ازالتها لقوله عليه الصلاة والسلام « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (٢) وقوله « مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا فلم يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب » (٣) وقوله « اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » (٤)

وأولى الناس بالمسارعة الى ذلك سواس الامة وعلماؤها الذين لهم الزعامة في الدين ، واليهم المرجع في أمور المسلمين ، وعليهم الاحتفاظ بمعالم الشريعة والارشاد اليها والذود عن حماها، لأنهم رعاة والناس مرعيون، وقادة والناس مقتدون،

فاذا تغاضوا عنها أو تواكلوا في إزالتها ، أو بدا منهم ما يشعر باستحسانها والرضاء بها ، كانت التبعة عليهم مضاعفة ، واندرجوا في وعيد قوله عليه الصلاة والسلام « إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله » (٥) وليس المراد بالعالم من تزيا بالزي الخاص بل كل من يعلم الحكم الشرعي في الحادثة وقوله « من مشى الى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الاسلام » (٦) وقوله « من نظر الى صاحب بدعة بغضاً له في الله ملأ قلبه أمناً وإيماناً ، ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم

(١) المنار : الحديث الاول رواه الحاكم من حديث ابي هريرة بلفظ قريب من هذا ، والحديث الثاني متفق عليه «٢» رواه احمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي سعيد الخدري «٣» رواه احمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن جرير بسند حسن «٤» رواه أبو داود عن العرس بن عميرة وصححوه

«٥» لاأعرفه بهذا اللفظ وفي الجامع الصغير عن ابن عساكر من حديث معاذ « اذا ظهرت البدع ولعن آخر هذه الامة أولها فمن كان عنده علم فلينشره فان كاتم العلم يومئذ ككاتم ماأنزل على محمد » وأشار السيوطي الى ضعف سنده

«٦» عزاه في الاعتصام الى ابن وضاح عن عائشة بلفظ «من أتى» الخ

الفزع الاكبر ، ومن استحقر صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم » [1]

وكثيراً ما كان يتمثل الامام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه بهذين البيتين :

من الدين كشف العيب عن كل كاذب * وعن كل بدعيّ أتى بالمصائب
ولولا رجال مسلمون لهدمت * صوامع دين الله من كل جانب

وأول من أحدث هذه البدع في الطرق الصوفية جماعة من مرتزقة الاعاجم في أواخر القرن الرابع استمرؤا مرعى الخوانك (*) التي أحدثها بمصر أهل الخير والنجدة ليأوي اليها الزهاد والعباد فتدثروا بشعار الصوفية لينسبوا اليهم ، وتعطف القلوب عليهم ، وانتهجوا مناهج أهل الاباحة فأتوا من المنكرات ما يبرأ منه الدين وأهل التصوف (له بقية)

انباء العالم الاسلامي

منطقة العقبة ومعان

قد علم الخاص والعام ان المؤتمر الاسلامي العام قرر باجماع الآراء مطالبة ملك الحجاز بالسعي لاعادة منطقة العقبة ومعان إلى الحجاز ، وحث العالم الاسلامي على تأييده في هذا الطلب ، ويظهر أن ملك الحجاز بدأ بما يجب عليه شرعا وسياسة من السعي لذلك ، فان لم ينقل هذا بخبر رسمي فقد يدل عليه ماجاءتنا به البرقيات من (لندن) من تصريح الجرائد الانكليزية بذلك ودفاعها عنه بأن جمعية الامم قبلت أن تقيد إلحاق هذه المنطقة بشرق الاردن وجعلها تحت الانتداب البريطاني (!!) وبأن عظمة شأن هذه المنطقة البرية والبحرية والحربية والجغرافية والاقتصادية يوجب امتلاخها من الحجاز ومن سلطان العرب والمسلمين

---

(١) هذا الحديث لاأذكر أني رأيته في شيء من دواوين السنة

(*) جمع خانكاه وهي كلمة فارسية معناها بيت وقد جعلت لتخلي الصوفية فيها للعبادة راجع الخطط المقريزية اهـ من حاشية المؤلف

وجعلها تحت ادارة دولة متمدنة كالدولة البريطانية (!)

ولم يبلغنا في هذه المرة أن جريدة بريطانية تقول في هذه المسألة كلمة حق وانصاف كما تفعل بعض الجرائد البريطانية في بعض المسائل وإن لم تسمع لها حكومتها ، ولكن وجدنا انكليزي واحد قال فيها كلمة حق هي وجوب ارجاع المنطقة إلى أصلها وهو (مسترفلبي) المشهور وهذا الرجل هو الذي انفرد بدرس شؤون نجد وبلاد العرب وابن السعود واظهار الصداقة له ومطالبة حكومته بمودته وصداقته واظهار ما في ذلك من المنافع لها ، كما أن (الكولونيل جاكوب) قد اختص بدرس شؤون اليمن وامامها ومطالبة حكومته بمودته وبيان ما في ذلك من المنافع لها ، ولم يفعل أحد من الرجلين شيئاً

الحكومة الانكليزية مجتهدة في جعل هذه المنطقة الحجازية بريطانية محضة ، — وهي لم تبتدع نظام جمعية الامم الا لتؤيدها في مثل هذا – فهي قد خصصت أربعة وخمسين ألف جنيه لبناء معقل عسكري في معان يسع بضعة عشر ألف جندي ، وستجعل هنالك محجراً صحياً للحجاج تحول اليه جميع حجاج سورية وفلسطين والعراق وايران وغير ذلك من الاقطار التي يرغب حجاجها في الحج من طرق هذه البلاد ، وقررت أيضاً مد خط حديدي من معان إلى العقبة لينقل الحجاج اليها ويسافرون منها إلى جدة أو ينبع من موانئ الحجاز ويستغنون عن الالمام بالثغور المصرية وقنال السويس

وأما العالم الاسلامي فلما يبدأ بتنفيذ ما قرره المؤتمر في مكة المكرمة من تأييد حكومة الحجاز في مطالبتها برد هذه المنطقة إلى الحجاز كما توجبه عليهم وصية النبي صلوات الله وسلامه عليه في مرض موته وهي التي بني عليها المؤتمر العام قراره . على أن استقلال الحجاز وتأمينه من اعتداء غير المسلمين عليه من أهم الفروض الاسلامية ولو لم يكن هنالك وصية من النبي (ص) بجعل الحجاز بل جزيرة العرب كلها اسلامية محضة

ينبغي لاعضاء المؤتمر الذين يبثون الدعوة لهذا السعي في بلادهم تنفيذاً لقراره أن يتدبروا في هذا الأمر حق التدبر ، وأن يسلكوا له أقصد السبل ، وأهمه الاستعانة على الحكومة الانكليزية بشعبها بعد البحث عن خير الوسائل لاقناعه بأن مودة العالم الاسلامي له تتوقف على ذلك لان أمر الحجاز ليس كأمر

سائر البلاد الاسلامية كما هو معلوم بالبداهة ، ولا يخفى على ذكي ولا بليد أن انتقاص هذه المنطقة من الحجاز خطر على الحرمين قريب بل على الاسلام نفسه وسنعود إلى التفصيل في هذه المسألة إن شاء الله تعالى

﴿ منصب المندوب السامي الفرنسي لسورية ولبنان ﴾

قد عزل موسيو جوفنيل المندوب السامي السياسي لسورية ولبنان واستبدل به فرنسي آخر اسمه موسيو يصح أن يقال فيه وفيمن قبله من المندوبين ما قاله الرصافي في تولية حقي باشا لمنصب الصدارة بعد حلمي باشا وكامل باشا في عهد الاتحاديين

مضى كامل من قبل حلمي وإن جرى   كما جريا حقي فمثلهما حقي

نحن قدرنا لموسيو جوفنيل الفشل منذ عرفناه بمصر والغرور بالنفس يملأ دماغه وجوانحه ، وتغرير أولي الاهواء يحيط به من جميع جوانبه ، ثم فصلنا القول في خطل سياسته وضربنا له الامثال ، وكان أبعدها عن المصلحة الفرنسية عندنا ما كان يظنه هو السياسة المثلى ، ويتوهم أنه هو الحز في المفصل، والضرب على الاكحل، وهو بدء عمله في لندن ثم في أنقرة (!) فهو قد اهتم بأن يبدأ بالاتفاق مع من ربحوا بسوء عمله من فرنسة ولم تربح منهم فرنسة شيئاً

اننا والله لنعجب من أمر هذه الامة ذات التاريخ الفياض بنوابغ الرجال كيف آل أمرها الى عوز رجل واحد يستطيع أن يكون مستقلا بعمل صالح في سورية دون عبث أولئك الافراد من اللبنانيين المتعصبين، ومستعمري الفرنسيس المنهومين، الذين سفكوا دماء الالوف من رجالها ، وأخسروها ألوف الملايين من فرنكاتها، وشوهوا محاسن تاريخها ، وكسبوها تجاه ذاك عداوة الامة العربية ومقت الشعوب الاسلامية كلها ، نعم ان كل ما خسرته فرنسا في سورية من دماء بعد ما نزفته الحرب العظمى من دماء رجالها ، ومن ألوف ملايين الفرنكات في الوقت الذي خوت فيه خزانتها ، وسقطت قيمة ماليتها ، ومن تشويه تاريخها وسمعتها، — كل ذلك كان بعبث أولئك الافراد بالمندوبين السامين ،وغرورهؤلاء بما يتوهمون من اخلاصهم لفرنسة وهم ليسوا بمخلصين ، اللهم الا لجيوبهم ،وارضاء تعصبهم

ان أكبر عقل في فرنسة كلها في هذا العصر هو عقل الفيلسوف غوستاف لوبون الذي نصح لأمته بأن تعتبر بتاريخ الانكليز وبأعمالهم في الاستعمار ، ان الانكليز هم الذين استفادوا أكبر الفوائد من سوء سيرة رجال فرنسة في سورية ومن الثورة السورية فهم يوطدون أقدامهم في فلسطين وفي شرق الاردن وفيما ضموه اليها من أرض الحجاز وفي صحراء سورية العربية الممتدة الى العراق بأقل النفقات — (على حساب الثورة السورية !!)

لقد وجد في العقلاء المنصفين من نصارى سورية ومن المسلمين ، المسلمين أنفسهم - بل من علمائهم أيضاً - من حاولوا النصح لفرنسة بمنتهى الاخلاص ، ومن كلموا من استطاعوا أن يكلموه من رجالها ، وأرشدوهم الى الجمع بين مصلحتي سورية وفرنسة فاقتنعوا ولكن لسان حال فرنسة تمثل لهم بقول البوصيري

محضتني النصح لكن لست أسمعه اذن المحب عن العذال في صمم

لو فوض منصب المفوض السامي في سورية الى رجل عليم خبير مستقل في عقله وفكره وشعوره دون منهومي الاستعمار ومتعصبي الكثلكة الامبراطورية لا المسيحية وعرف أهل البلاد حق المعرفة وعرف من حولهم من أمتهم ، لاستطاع أن يرفع اسم فرنسة وأن يكسبها بعمله في سورية مالا ونفوذاً وشرفا ، ولكن هذا الرجل لم يوجد فهل يوجد قبل أن يقضي الله في سورية مايذهب بكل أماني فرنسة وأحلامها أو قبل أن تستيقظ الامة الفرنسية فتعلن بسبب سورية حكومتها وحكامها ؟ الله أعلم

﴿ الشيخ محمد الخراشي والدعاية البهائية ﴾

قد ذكرنا في الجزء الماضي ما كتب الينا من بلاد العرب وما كتب إلى غيرنا من بث الشيخ محمد الخراشي لدعوة البهائية ، ثم أخبرنا مخبر آخر أن الخراشي قد تبرأ من دين البهائية وأنكره جهراً أمام الناس ، فان صح هذا عنه فعسى أن يكتب مقالة في براءته ينشرها في الجرائد تكون صريحة في ذلك بحيث لاتحتمل التأويلات الباطنية ، وإلا فان البهائية يدعون الاسلام مع المسلمين ، حتى إن أكبر رجالهم وملفق دياناتهم عباس افندي ابن معبودهم البهاء ، الملقب (بعبد البهاء) كان يدعي في

مصر الاسلام والدعوة اليه حتى انخدع بكلامه مثل عثمان باشا مرتضى العلامة القانوني المنطقي وجادلني في الدفاع عنه بما ذكرته في وقته في المنار ، وانخدع به أيضاً صاحب المؤيد الشيخ علي يوسف وأثنى عليه في المؤيد بما رددته عليه في مقالة نشرها في المؤيد

ويسرنا جد السرور أن يتبرأ الشيخ محمد الخراشي من هذا الدين الملفق الوثني لأنه كان من أصدقائنا وما فرق بيننا وبينه إلا ما نقل إلينا هنا قبل سفره إلى العراق وبلاد العرب وخليج فارس من دعوته إلى البهائية ودفاعه عنهم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

﴿ سماسرة العروش وطلابها ﴾

فتن أبناء الشريف حسين بن علي بحب ألقاب الملك وعظمتها في ظل دول الاستعمار ففيصل ملك العراق قد استأنف في هذا الصيف في فرنسة ما بدأ به في صيف العام الماضي هنالك من السعي لجعل أحد اخويه (علي وزيد) ملكا لسورية في ظل الانتداب الفرنسي جزاء لما يدعيه من قدرته على اخماد الثورة واخضاع البلاد للانتداب الذي كان فيصل أول من قبله وسعى لاقناع سورية به ليبقى ملكا عليها في ظله فأحبط الجنرال غورو عمله وقد آن لمن كانوا مخدوعين بهذه الاسرة أن يعلموا ما علمه سائر الناس من سوء حالها وكونه لا تصلح لشيء ، على أننا لا نظن أن فرنسة تنخدع لفيصل إن كان لا يزال في السوريين من ينخدع له . هذا وان جعل الشريف علي أو الشريف زيد ملكا لسورية فيه عداء لملك الحجاز وسلطان نجد لا تؤمن عاقبته . وقاعدة الملك فيصل في سعيه الآن هي جعل سورية ملكية مرتبطة مع فرنسة بمعاهدة كالمعاهدة البريطانية العراقية ، وإن صك انتداب فرنسة لاهون من تلك المعاهدة ولولا سوء تنفيذ رجال فرنسة له لكانت خيراً من العراق وأدنى الى الاستقلال ، فمن كان في شك من هذا من زعماء البلاد فليخبرنا ننشر له ذيول تلك المعاهدة التي ليس فيها للعراق الا الالقاب الضخمة

﴿ أفن رأي دعاة الالحاد والاباحة ﴾

كلمة من كتاب ، لأمير الكتاب

ما كتبتم لي بشأنه أنا منتظر الفرصة له . ولا بد أن أبدي رأيي في الشعر

الجاهلي وما أشبه ذلك من المواضيع التي أثارها ذلك الاعمى ... ولكني أجد مع الاسف في مصر نزعة إلحاد وإباحة من قبيل ما في تركيا وعذرهم كعذر الأتراك أن هذه الامور لم تمنع ترقي أوربة لابل هي سبب رقيها إذ سبب رقيّ أوربة هو الحرية ، والالحاد في العقائد والاباحة في الاجتماع هما من باب الحرية . وهؤلاء المجانين لايدركون أن مبدأ رقي أوربة وقع حينما لم تكن هذه الحرية التي يذكرونها لابل تأثل ونما وصالت أوربة على العالم وهي بعد رجعية على رأيهم ولما فشت فيها مبادىء الالحاد والاباحة لم تزعزع قوتها إذ كانت رسخت وتأسست والجسم القوي يتحمل الصدمات : وأما الاسلام فقد انحط بعوامل عديدة من الداخل ومن الخارج وقد فقد استقلاله ولم يبق له شيء يقاتل به إلا هذا الايمان فهو يقوم عند المسلم مقام المال والصناعة والوسائل كلها وهو السائق الوحيد بالمسلم أن يهب ويذب عن حوضه ويأبي عبودية الاجنبي . وهذه الفئة آتية تقول للمسلمين : شريعتكم بالية وعقائدكم سخيفة ودعونا من كل ما أنتم فيه ولننشيء نشأة جديدة وبهذا نحيا . وبهذا يهدمون القوة الوحيدة الباقية بيد الاسلام ، وهي العقيدة والرابطة الاسلامية ، ومن الآن إلى أن تتكون الهيئة الاجتماعية العلمية الفلسفية العصرية في الشرق ينبغي الصبر مائة سنة على الاقل فنكون أضعنا ما بيدنا على أمل يأتي بعد مائة سنة أي نكون تمزقنا كل ممزق وفقدنا وجودنا الشخصي ودخلنا في تركيب الامم الاخرى ، فان كان هذا مراد أولاد....[1] وأضرابهم أن نفقد كوننا السياسي من حيث إننا أمة ونصير مندمجين في الامم الاخرى الغالبة الآن وأن ذلك لاضرر به وأنه أية ضرورة ليقال أمة عربية أو مصرية أو عالم اسلامي فكل البشر خلائق فهكذا يكونون سائرين على خطة منطقية

وأما استقلال أمم شرقية وهي ضعيفة والأمد أمامها إلى ادراك أوربة[2] بعيد وطرحها رأس المال المعنوي الوحيد الذي بيدها وهو الاسلام ، فهذا حمق ما وراءه

---

(١) ذكر الكاتب هنا أسماء بعض المشهورين من دعاة الالحاد ومحرري جريدتهم ومدرسي جامعتهم (٢) صرح أحد أفراد هذه الجمعية بأن من مضار تمسك الشعب المصري بالاسلام انه هو المانع من الرضاء بكون حكامنا من الانكليز المصلحين . ورضاهم بسلالة من الترك أو الالبان لأنهم يسمون مسلمين »!»

حمق ، وبرهاننا على قوة الاسلام هذه كون الاستعمار لايحارب مبدأ في الدنيا بالشدة التي يحاربه بها ، وإذا أردت وزن قوة عدو فانظر إلى مقدارها عنده عدوه (ومن يضلل الله فماله من هاد) . أسفاً على مصر فقد ظهرت فيها علامات تؤذن بشر مستطير ، والله الواقي وحده ، والسلام

تقريظ المطبوعات الحديثة

﴿ الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم ﴾

قد علم قراء المنار من مجلد المنار السادس والعشرين نبأ جرأة الشيخ علي عبدالرازق الذي كان من علماء الازهر وقضاة المحاكم الشرعية على نشر كتاب باسم (الاسلام وأصول الحكم) حاول فيه هدم شريعة الاسلام من أساسها والاباحة المطلقة للمسلمين بأن يختاروا لأنفسهم من الشرائع ونظم الحكم ماشاؤا من غير تقيد بنص كتاب إلهي ولا سنة نبوية ، ولا هدي سلف، ولا اجتهاد امام متبع بالأولى

وعلموا أننا أول من انتدب لتزييف هذا الكتاب وابطال كفره وضلاله ، وتحريض علماء الازهر وغيرهم على الرد عليه ومؤاخذته ، وأنهم قد فعلوا فقررت جمعية كبار العلماء اشتمال هذا الكتاب على ماينافي الدين ، ويرد المعلوم منه بالضرورة باجماع المسلمين ، وحكمت بمحو اسمه من علماء الازهر ووجوب طرده من وظيفة القضاء الشرعي وعدم أسناد وظيفة أخرى في الحكومة اليه ، وأن الحكومة نفذت هذا الحكم فعزلته من منصب القضاء الشرعي، وانه زاد احترامه عند الزنادقة والمنافقين ولا سيما جمعية الدعوة الى الالحاد والزندقة ، والاباحة المطلقة ، وصارت جريدتهم السياسة تلقبه بالعلامة المحقق

ونذكر الآن أن بعض العلماء ألفوا كتباً في الرد التفصيلي على ذلك الكتاب وقد أهدي الينا منذ العام الماضي كتابان حافلان في ذلك (أولهما) سمي (بنقض الاسلام وأصول الحكم) من تصنيف الشيخ محمد الخضر حسين أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية في وطنه تونس قبل هجرته منه — وقد نال أخيراً شهادة العالمية الرسمية من الجامع الازهر بعد الامتحان الرسمي فيه — (وثانيهما) سمي (حقيقة الاسلام وأصول الحكم) وهو من تصنيف الشيخ محمد

بخيت المطيعي أحد هيئة كبار علماء الازهر الحاضرة وأشهر المدرسين فيه ، وقد كان تقلب في القضاء الشرعي ورياسة المحاكم حتى كان أشهر أعضاء المحكمة الشرعية العليا في مصر ثم أسند اليه منصب مفتي الديار المصرية

فهذان المصنفان في الرد على كتيب الشيخ علي عبد الرزاق يفوقانه فيما نال من شهادة أزهرية ، وقضاء شرعي في محكمة ابتدائية ، ولا يلحق غبار واحد منهما في العلوم الشرعية ، اذ انصرف كل همه إلى الكتابة الادبية ، وتقاليد أعداء الاسلام من الشعوب الافرنجية . وهذا تعريف وجيز بالكتابين

﴿ نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم ﴾

بلغت صفحات هذا الكتاب ٢٤٥ صفحة كصفحات المنار وقد رتبه ترتيب الاصل المردود عليه كتابا كتابا ، وبابا بابا ، قال في مقدمته :

« وطريقتنا في النقد أن نضع في صدر كل باب ملخص ماتناوله المؤلف من أمهات المباحث ثم نعود الى مانراه مستحقاً للمناقشة من دعوى أو شبهة فنحكي ألفاظه بعينها ، ونتبعها بما يزيح لبسها أو يحل لغزها ، أو يجتثها من منبتها . وتخيرنا هذا الاسلوب لتكون هذه الصحف قائمة بنفسها ، ويسهل على القارىء تحقيق البحث وفهم ماتدور عليه المناقشة ولو لم تكن بين يديه نسخة من هذا الكتاب الموضوع على بساط النقد والمناظرة

وقد طبع الكتاب في العام الماضي بالمطبعة السلفية طبع حسناً وأهداه مؤلفه الى خزانة جلالة ملك مصر المعظم ، وثمن النسخة منه ١٠ قروش ماعدا أجرة البريد وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

﴿ حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾

بلغت صفحات هذا الكتاب ٤٤٧ صفحة بقطع المنار وحروفه فهو مرتب ترتيب ماسبقه ولكنه لم يكتف بتفنيد مزاعم الشيخ علي عبد الرازق وابطال دعاويه بكونها دعاوي لاتقوم عليها بينة على كونها كما قال سلبيـة ، بل استطرد الى ايراد الشواهد على اثبات ما ادعي نفيه من نظم الحكومة الاسلاميـة

بالنقول من الكتب المعروفة ، وأهمها مبحث بيان النبي (ص) لنظام القضاء وما يتوقف عليه ، وقد عقد لذلك سبعة أبواب (الاول في الوظائف والاعمال البلدية) وفيه ٢٣ فصلا ، وأدخل فيها الوظائف الدينية كامامة الصلاة (الثاني في العمالات المتعلقة بالاحكام) وفيه ستة فصول (الثالث في العمالات الجهادية وما يتشعب منها) وفيه ١١ فصلا (الرابع في العمالات الجبائية) وفيه ثلاثة فصول الخ

وقد طبع الكتاب في المطبعة السلفية أيضا طبعا حسنا وثمن النسخة منه ١٥ قرش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

﴿ القول الوثيق : في الرد على أدعياء الطريق ﴾

يستدل بعض العوام على مشروعية البدع الفاشية فيهم عامة وفي المنتسبين الى طرائق المتصوفة خاصة بسكوت علماء الشرع عن الانكار عليها وحضور بعضهم أقبح احتفالاتها كالموالد وزيارتهم معهم للقبور المشرفة التي بنيت عليها المساجد وتضاء عليها السرج والشموع كل ليلة ولا سيما ليالي الموالد ، وهذا الاستدلال باطل وغير صحيح على اطلاقه

أما بطلانه فلأن سكوت هؤلاء العلماء ليس بحجة شرعية وكذا أعمالهم ومن سكت منهم عن المنكر وأقره وهو قادر على انكاره أو شارك أهله فيه لمنفعة له منه كالذين يعطون نصيباً مما ينذر لأصحاب القبور أو من أهله فهؤلاء ممن قال الله فيهم (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون) ؟

وأما كونه غير صحيح فلأن كثيراً من العلماء ينهون عن البدع والمنكرات في كل زمان وكل قطر اسلامي وهذه كتبهم مودعة في الخزائن ، وقد طبع بعضها في هذا العصر ككثير من كتب شيخي الاسلام ابن تيمية وابن القيم ، وكتاب تلبيس ابليس للحافظ ابن الجوزي ، وكتاب الاعتصام للامام الشاطبي ، وكتاب المدخل للفقيه ابن الحاج ، وكتاب الطريقة المحمدية للبركوي ، وكتب المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وتلاميذه من علماء نجد وبعض رسائل القاضي الشوكاني وغيره من علماء اليمن وكتبهم — وأما علماء هذا العصر فلهم

رسائل ومقالات كثيرة في ذلك منها مقالات الاستاذ الامام وبعض رسائله ، وهذه مجلدات المنار ولله الفضل والمنة

وبين يدينا الآن رسالة مطبوعة في انكار الفاشي من بدع أهل الطرق في مصر هي جواب سؤال للشيخ محمد حسنين العدوي من كبار علماء الازهر في هذا العصر وكان وكيلا للأزهر ومديراً للمعاهد الدينية وسماها (القول الوثيق في الرد على أدعياء الطريق) وقد رأينا أن ننشر نص السؤال وبعض نص الجواب تأييداً لخطة المنار ولأن فيه بدعا لم يسبق لنا الانكار عليها وتجد ذلك في باب المقالات (ص ٤٦٩)

﴿ جريدة الصراط المستقيم ﴾ قد أتمت هذه الجريدة الاسلامية الوطنية الفلسطينية السنة الاولى بجد وثبات من مؤسسها ومحررها الاستاذ الفاضل الشيخ عبدالله القلقيلي الازهري فقد نوهض واعتدي عليه وأحرقت مطبعة جريدته فصبر صبراً يبشر بنجاحه في عمله فقد قال بعض حكماء الصوفية : من لم تكن له بداية محرقة ، لاتكون له نهاية مشرقة ، وانا ليسرنا نجاحه لأنه على مشربنا في الاصلاح ، لاجامداً كجمهور الازهريين ، كما يسوءنا أن يكون خصما المجلس الاسلامي الفلسطيني فانه شديد الانتقاد عليه قد لايخلو عدد من أعداد الجريدة من ذلك ، ولا ننكر عليه أنه ينتقد مايراه منتقداً ، ولا نتهمه بأنه كالخصوم السياسيين الذين يجعلون حق خصومهم باطلا وباطلهم حقًا في كل شيء ، ولكننا نذكره بأن يحاسب نفسه على النظر بعين السخط إلى هذا المجلس وعين الرضا إلى خصومه وكل من العينين خادعة لصاحبها ، ونحب له أن يتحرى إقامة ميزان القسط في الفريقين ، ويجعل جريدته للمصلحة العامة لالحزب دون حزب ، فان كان عند نفسه على هذا الرأي ، فلا يثقلن عليه أن يذكره أحد شيوخ الصحافة الاصلاحية بالتحري ومحاسبة النفس والاستعانة على ذلك بمطالعة كتاب النية والصدق والأخلاص من جزء الاحياء الرابع



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٤٥هـ ١٣ برج الميزان سنة ١٣٠٥ هش ١٧ اكتوبر سنة ١٩٢٦

فتاوى المنار

(أسئلة من جدة — الحجاز)

(س ١١ — ١٤) من صاحبي الامضاء بجدة

١ - هل كاتب النبي (صلى الله عليه وسلم) كل ملوك الأرض العظماء الموجودين في أيامه أو أكبرهم شكيمة كملك الصين وملك الترك وامبراطور روما الغربية؟ واذا كان لم يكاتب هؤلاء - كما هو المتبادر من التاريخ - فلماذا ؟

٢ — فيما نرى عرفنا أن أشهر الأنبياء كلهم كانوا أسيويين ولم نسمع نبي أرسل في أوروبا مع أنها من الدنيا القديمة المعمورة فما هي الحكمة ؟

٣ — يقول علماء الدين ولاسيما العصريين منهم إن الاسلام هو الدين الصالح لكل الامم وفي كل الارض فما هي تلك الافكار الخالدة الموافقة لعناصر جميع الامم - التي أتى بها الاسلام ؟

٤ — لماذا فرض الاسلام الجزية على اليهود والنصارى فقط ولم يقبل من العرب سوى الاسلام أو السيف ؟

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ رشيد رضا دام نفعه

نؤمل اجابتنا تحريريا على هذه الاسئلة واذا تكرمتم بنشرها في المنار نكون شاكرين تفضلكم حسن أبو الحمايل . محمد حسن عواد

(ج) نجيب عن هذه الاسئلة بالترتيب وان كان قد سبق لنا فيها تحقيق من قبل فنقول:

﴿ حكمة مكاتبة النبي (ص) لبعض الملوك دون بعض ﴾

كتب النبي (ص) إلى ملوك العرب في جزيرتهم وإلى ملوك البلاد المجاورة لها وهي مصر وسورية والعراق وفارس يدعوهم إلى الاسلام، لأن الدعوة انما تفيد من عقلها وأهل البلاد التي يمكن نشر الاسلام وتنفيذ أحكامه فيها بمجرد دخول أهله

فيه ، أو خضوعهم لسلطانه بالصلح وإعطاء الجزية ، ولو تيسر للنبي (ص) في زمنه مكاتبة فغفور الصين وخان الترك وقيصر رومية بارسال رسل اليهم يحملون كتبه العربية ، وأمكن لهؤلاء الرسل الوصول إلى بلادهم ، وأمكن لهؤلاء الملوك فهم هذه الكتب وإجابة الدعوة، لكان من المتعذر في ذلك الوقت نشر الاسلام وتنفيذ أحكامه في تلك الاقطار النائية ، التي يحول بينها وبين مهده - جزيرة العرب - شعوب معادية ، فالدعوة العامة ما كان يمكن نشرها إلا بالتدريج والانتقال من محلها إلى الاقرب فالقريب فالبعيد فالأبعد من البلاد والاقطار ،

ومن المعلوم في التاريخ أن بلاد سورية عربية الأصل وكذلك العراق وإن لم تكن اللغة المضرية عامة فيهما في زمن البعثة، وان مصر استعمرها العرب زمنا طويلا وكانت مدنيتها الأولى عربية المنشأ ولغتها الهيروغليفية ممزوجة بالعربية مزجا ، وهي لمجاورتها لجزيرة العرب قد سهل تعريب أهلها في زمن غير طويل . كذلك المجاورة بين عرب العراق وعجم ايران كانت مسهلة لنشر الاسلام ولغته العربية ببلاد الفرس في مدة قريبة. وما كان يمكن مثل هذا في الصين لو أمكن إيصال الدعوة اليهم وقبولهم اياها

﴿ بعثة الرسل في جميع الامم وبطلان ادعاء أنهم كلهم آسيويون ﴾

إن بني إسرائيل لم يكونوا يعرفون غير أنبيائهم فزعموا أن النبوة محصورة فيهم ، وحرفوا آيات التوراة المبشرة برسول يبعثه الله من بني اخوتهم (أي أبناء اسماعيل عليه السلام) ولما بعث الله خاتم النبيين وأتم على لسانه الدين بين لنا في الكتاب المنزل عليه أنه أرسل في جميع الامم رسلا يدعون إلى مثل مادعا اليه في أصوله وجوهره كما قال (١٦ : ٣٦ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)

وقد قص الله تعالى عليه في كتابه قصص أشهر الرسل والنبيين الذين عرفت العرب والمجاورون لهم من أهل الكتاب شيئاً من تاريخهم لاجل العبرة بسيرتهم كما قال (٤٠ : ٧٧ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ولو قص عليه خبر نبي أرسل في الصين لايعرف أحد من المخاطبين الاولين بالقرآن ولا من يجاورهم من أهل الكتاب عنه شيئا لكان

قصصه فتنة لاعبرة ، وتقالوا انه يفتري علينا ما لاسبيل لنا إلى معرفته ، والمثل العامي يقول : اذا أردت أن تكذب فبعد شهودك . والله تعالى يقول في حكمة أخبار الرسل من آخر سورة يوسف بعد ذكر الرسل اجمالا (١٢ : ١١١ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) الآية وقال (١١ : ١١٩ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) فهذه الحكم التي ذكرها الله تعالى لبيان قصص الرسل لاتحق الا بمن يعرف عنهم شيء في الجملة ، ويفصل الوحي مالم يعرف منها

نعم لو أخبرنا الله تعالى في كتابه أن برهما أو بوذا من دعاة التوحيد والفضيلة في الهند وكونفشيوس من دعاتها في الصين وبعض حكماء مصر واليونان من دعاتها في أوربة وافريقية كانوا من رسل الله تعالى (مثلا) وأنه لما طال الامد على اتباعهم أشركوا بالله وفسقوا عن أمره ، كما قال فى أهل الكتاب المعروفين عند العرب (٩ : ٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلٰهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وقال في وعظ المؤمنين (٥٧ : ١٥ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ـ لو أخبرنا الله تعالى بما ذكر لكان آية لاهل القرون الأخيرة على أخبار القرآن بالغيب ولكن بعد أن يكون فتنة لأهل القرون الأولى ـ ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح

روي عن علي (رض) وكرم وجهه ان المجوس كانوا أهل كتاب كما سيذكر في بحث الجزية من هذه الفتاوى . وثبت فى تاريخ غيرهم من الشعوب التي عرف تاريخها أنه ظهر فيها حكماء ربانيون دعوا الناس الى توحيد الخالق وعبادته وحده والايمان بالبعث والجزاء ـ والامر بالعمل الصالح ـ وهذه الاصول الثلاث هي التي دعا اليها جميع الرسل وعليها مدار سعادة الدنيا والآخرة . قال الله تعالى (٢ : ٦١ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فالظاهر أن أولئك

الدعاة إلى الاصول الثلاثة كانوا رسلا يوحى اليهم فان نقل عنهم ماينافي الرسالة فلا يعد حجة نفي صحيحة لأننا قد عرفنا ما حل بكتب المتأخرين عنهم الذين حفظت كتبهم في الجملة فكيف بهؤلاء الذين طمس جل تاريخهم ؟ بل نرى المسلمين الذين كفل الله تعالى حفظ كتابهم في الصدور والسطور فلم يفقد ولم يحرف منه حرف واحد ، وضبطت سنة رسولهم (ص) ضبطا لم يضبط مثله كتاب في تاريخ البشر - نراهم قدسرت الى كثير منهم عقائد الوثنية وعباداتها المخالفة لنصوص القرآن والسنة القطعية ولعمل الصدر الاول المنقول بالتواتر - ونسمع الآن شيعة إيران ودعاة الفتنة في الهند يصيحون ويولولون نادبين هدم هيا كل الوثنية التي بنيت على القبور المعبودة من دون الله تعالى في الحجاز وهي التي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بناة أمثالها إذ لعن كل من يبني مسجداً على قبر ومن يضع عليه سراجا الخ

﴿ أصول الاسلام الصالحة المصلحة لكل الامم في كل زمان ﴾

إن الجواب عن هذا السؤال لايمكن بيانه التفصيلي إلا في سفر مستقل وموضوع هذه الفتاوى الاختصار فنشير الى مهمات هذه الاصول بالايجاز فنقول

(الاصل الاول) كون الاسلام دين الفطرة فليس فيه شيء غير معقول كالتثليث ولا غير ممكن طبعاً كحب الاعداء . وأساسه تجريد التوحيد الذي يعتق البشر من رق الخرافات والاوهام وقد شرحنا هذا الاصل مراراً كثيرة .

(الاصل الثاني) ختم الرسالة والنبوة المقتضي أن لايوجد بعد محمد صلوات الله وسلامه عليه نبي معصوم يبلغ الناس شيئا عن وحي الله أو يشرع لهم شيئا من الدين أو يحرم عليهم شيئاً تحريما دينيا . وهذا من أتمام عتق البشر من الادعياء الذين يتحكمون في أفكار الناس وإراداتهم يدعون أنهم نواب فيهم عن ربهم . أو أنهم آلهة بالفعل كما يدعي البهائيون في زعيمهم أو أنبياء كما يدعي الاحمدية القاديانيون في مسيحهم الدجال

(الاصل الثالث) أن حكومة الاسلام مقيدة بالنصوص وبالشورى ورئيسها مقيد باختيار أهل الحل والعقد الذين يمثلون الامة فلايكون سلطانها الاباختيارهم

اياه للخلافة ومبايعتهم له ، وهو مساو لسائر المسلمين في الحقوق فيقتل قصاصا بقتل أضعف السوقة وأفقرهم ولا يطاع في معصية الله تعالى وانما الطاعة في المعروف

(الاصل الرابع) استقلال الفكر في فهم الدين والعلم وجميع شؤون الحياة ، فليس في الاسلام سلطة دينية روحانية تلزم المسلمين اتباع مذهب لمجتهد وآرائه في العقائد والعبادات الدينية والحلال والحرام الدينيين ، وانما هنالك نصوص قطعية وأصول وفروع اجماعية يشترك جميع المسلمين في التزامها ولا يعد أحد متبعاً لأحد غير الرسول وجماعة الامة فيها ، ويقرب من الاجماع ما جرى عليه جمهور سلف الامة الصالح من أمر الدين ولم يشذ عنهم الأفراد لا يعتد بهم. وما عدا ذلك من المسائل فهو اجتهادي ويجب على كل مسلم أن يعمل باجتهاد نفسه، فان عجز فله أن يأخذ بعلم من يثق بعلمه ودينه .

والراجح المختار في العبادات انه لا اجتهاد في التشريع فيها بل في التنفيذ ، والاحكام الدينية منوطة بنصوص الكتاب والسنة ، والقضائية يعتبر فيها مراعاة المصالح وعليها مدارها، وهو مذهب مالك إمام دار الهجرة

(الاصل الخامس) المساواة بين المسلمين في جميع أحكام الشرع وهو أصل مستقل ذكر استطراداً في بعض الاصول قبله

وهذه حرية دينية لا توجد في دين آخر ومقتضاها أن البشر صاروا أحراراً أعزة واخوانا لا يفضل أحد منهم أحداً بتفضيل إلهي محتوم ولا بمنصب موروث كالقديسين في بعض الملل وانما يتفاضلون بكسبهم العلمي والعملي حتى يجوز أن يكون ابن أفقر الناس وأضعفهم أعلم علماء عصره وأتقاهم فيكون أفضلهم

(الاصل السادس) تقييد المسلمين بعقائد وأحكام وآداب وفضائل دينية بالوازع النفسي لا تتغير ولا تنقض وهي تؤمنهم من فوضى الحرية المسرفة التي أوقعت شعوب أوربة في أمر النظام المالي وسلطان أهله من جهة وفي البلشفية من جهة أخرى ، وفي المفاسد الادبية التي هتكت الاعراض وأضاعت الانساب وبددت الاموال من جهة ثالثة الخ الخ

(الاصل السابع) بناء الاحكام السياسية والمدنية على أساس درء المفاسد

وحفظ المصالح — والاحكام القضائية على العدل المطلق والمساواة — ووجوب حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض ولازمه النسب من الاعتداء عليهن

(الاصل الثامن) مساواة النساء للرجال في جميع الحقوق بالمعروف الا الولاية بقسميها العام وهو منصب الامامة العظمى والخاص كرياسة الاسرة ، لقوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) وبين هذه الدرجة بقوله (الرجال قوامون على النساء)

(الاصل التاسع) بناء ضرورات الاجتماع السابقة كالحرب والرق والضرورات الفردية على قاعدة التوقيت فيها وتقديرها بقدرها وتخفيف شرها والسعي الممكن لازالتها والاستغناء عنها

(الاصل العاشر) فرضه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الفريضة التي تحفظ على الامة فضائلها وآدابها ما أقامتها

(الاصل الحادي عشر) تكافل المسلمين وتضامنهم حكومة وأفراداً فبهذا وبفريضة الزكاة والترغيب في الصدقات ، والواجب من الكفارات يكون جماعة المسلمين دائماً في كفاية قلما تنال الضرورة إلا من بعض الافراد المجهولين منهم ، وبذلك يقل التحاسد والعدوان بينهم ، ولا تجد الجماعات منهم دافعاً إلى العدوان ولا مشكلا كبيراً من مشاكل الاجتماع كالبلشفية وما يقرب منها

هذا ما أمكنت الاشارة اليه بالايجاز وسنفصله في أول فرصة تسنح لنا ان شاء الله تعالى ومن يراجع كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى) يجد فيه شيئاً من هذا التفصيل

﴿ فرض الجزية على أهل الكتاب وإلزام العرب الاسلام ﴾

التحقيق أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب وإن كانوا عربا وقد أخذها النبي (ص) من أكيدر دومة وكان هو وقومه عربا من غسان وكذا من نصارى نجران في صلحه لهم وتؤخذ أيضاً من المجوس لأن النبي (ص) قال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » رواه الشافعي ، وعن علي كرم الله وجهه أنهم كانوا أهل كتاب ففقد

أو رفع رواه عنه عبد الرزاق والشافعي ويمكن الجمع بينه وبين الحديث المرفوع بأن لقب : أهل الكتاب، صار علماً لليهود والنصارى وسببه معروف بيناه من قبل

وأما مشركو العرب فسياسة الاسلام فيهم أن يكونوا مسلمين وأن تبقى جزيرة العرب خالصة لهم ولمن ساكنهم فيها من المسلمين والحكمة في ذلك أن يبقى للاسلام دولة مستقلة في مهده تقيم شرائعه . وقد فصلنا هذا من قبل مراراً . ومع هذا لم يكرههم على الاسلام إكراها وقبل من بعضهم الجزية وقد ظهر ولا يزال يظهر من حكمة سياسته ما نراه من إزالة الاعاجم لملك العرب ثم شرع الاسلام من جميع بلاد الاعاجم إلا بقية قليلة أقواها في بلاد أفغانستان، وهم يتواطؤن ويتعاونون على التعدي على جزيرة العرب وحدها وازالة حكم الاسلام وسيادة العرب منها. فالايرانيون الآن يتعاونون مع بعض الهنود من الشيعة وخرافيي أدعياء السنة على سلب الحجاز نفسه من دولة السنة الحاضرة وإن وقع في أيدي الاجانب، ولم نر احدا منهم احتج ولا انكر اعطاء الشريف علي بن حسين قسما عظيما من أرض الحجاز للانكليز حتى إن شوكت علي ومحمد علي الزعيمين السياسيين في الهند يريدان أن تكون حكومة الحجاز جمهورية والحق الاعظم في ادارتها للاعاجم ولهذا عاديا ملك الحجاز وإمام السنة العربي ابن السعود لانه لم يقبل هذا

وقد كتب اليّ بعض علماء الهنود الاحرار مرة أن ما كتبته في الخلافة وحق قريش فيها وكون الاسلام عربي اللغة هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال « ولكن هؤلاء الاعاجم من الهنود لايرونه إلا لهذا الجيل من الترك » يعني أنهم ينسخون قاعدة الصديق الأكبر والخليفة الأول رضي الله عنه في قوله إن العرب لاترى هذا الحق إلا لهذا الجيل من قريش

وسيظهر للمسلمين من عصبية الاعاجم من الغرائب مالم يكن يخطر لهم ببال، ونكتفي الآن بهذا الاجمال ، الذي كتبناه بمنتهى الاستعجال ، وما زالوا يؤيدون خلافة الترك الباطلة الصورية على فسادهم التي نبذوها هي والاسلام وراء ظهورهم واستبدلوا بشرعها شرائع الافرنج ومع هذا كله لا يزال الزعيمان شوكت علي ومحمد علي مستمسكين بها ويضعون شارتها على صدرهم ورؤسهم!

﴿ بدعة المحمل وتناصر المسلمين على المستعمرين ﴾

(س ١٥ و١٦) من ايوب افندي صبري صاحب جريدة الوطنية بمصر

مولاي الجليل

ألتمس من سماحتكم أن تكشفوا النقاب للمسلمين عن النقطتين الآتيتين وهما :

أولا — ما هي علاقة المحمل بالدين الاسلامي حتى ينظر اليه كبدعة تجب مقاومتها والقضاء عليها .

وإذا أثبتم هذه العلاقة وأن المحمل بدعة . فما هي الاسباب التي حملت كبار علماء المسلمين من شيوخ الأزهر الشريف والمفتيين والقضاة الشرعيين على إقرار هذه البدعة منذ وجودها الى الآن - وهذا الاقرار ظاهر من اشتراككم مع الحكومة في الاحتفال بالمحمل عند سفره وعند عودته وتقبيلهم مقوده - ثم من عدم تقدمهم للحكومة بحكم الشرع الشريف حتى تقضي على هذه البدعة ومن عدم إصدارهم الفتاوي الدينية وإذاعتها بين المسلمين بكل طرق الاذاعة وأهمها الصحف التي ترحب بتلك الفتاوي وتنشرها بكل سرور

ومن المعلوم أنه ليس للحكومة غرض سياسي أو ما لي من هذه البدعة يحول بين العلماء وبين التقدم لها « الحكومة » بحكم الشرع الشريف في أمرها « البدعة » وعلى فرض أن يكون للحكومة غرض فان واجب العلماء أن يبينوا حكم الشرع سواء رضيت عنهم الحكومة أم غضبت وبين العلماء عدد كبير غير مرتبط مع الحكومة بشيء ما

النقطة الثانية — تعلمون سماحتكم أن الثورة السورية - والحركة الفلسطينية ضد الصهيونية - والثورة الريفية - إنما قامت لمقاومة الحرب الصليبية الحديثة التي أرادت أوربة بها استعباد المسلمين والامم الاسلامية تحت أسماء شفافة وأغراض مزوقة لم تخف عنا بل ان المظالم التي نرزح تحت كلكلها تدل على نية أوربة السيئة - وتعلمون أن دول أوروبة - رغم ما بينهما من عداوات تتناصر على إذلال المسلمين وامتلاك بلادهم أفلا ترون واجبا على المسلمين أن يتناصروا على دفع بلاء الاستعباد عنهم وعن بلادهم

واذا كان الريفيون لم يجدوا حولهم أمة مسلمة حرة من الاستعباد الاوربي تناصرهم بجيشها أو بالمال أو بالسلاح ـ فان السوريين والفسلطينيين على الحدود النجدية الحجازية . ونجد والحجاز تحت حكم ملك واحد حر من قيود الاستعمار فلماذا لايناصر جلالته اخوانه المسلمين المجاورين له بجيشه أو بسلاحه أو بماله أو بنفوذه كأن يحتج ويستنكر تلك الجرائم بصفة علنية للدول التي ترتكبها ولجمعية الأمم وللدول الأخرى ؟ وأية وسيلة ترونها كفيلة بتناصر المسلمين على تحرير أنفسهم وبلادهم من قيود الاستعمار واشتراك الاحرار مع المجاهدين لفكها واشتراك المستعبدين بالتطوع بأنفسهم وأموالهم مع المجاهدين أو بايقاد نار الثورات في بلادهم إلى أن يهلكوا أو يتحرروا من هذا الاستعباد الجهنمي ؟

نلتمس الجواب على هاتين النقطتين على أن تأذنوا بنشره واذاعته أدامكم الله مناراً للاسلام وأهله ونفع المسلمين وبلادهم بمواهبكم وعلومكم على الدوام

المخلص ـ أيوب صبري

الجواب على بدعة المحمل وإقرار العلماء لها

قد بينا في إحدى مقالاتنا التي ننشرها بجريدة الاهرام الوجه الشرعي في عد المحمل المصري المعروف بدعة دينية وانه لم يكن كذلك منذ أحدثته شجرة الدر ملكة مصر بل أصله على ما قال بعضهم انها اتخذت هودجا حجت فيه حين حجت وحملت معها من الاموال للحرمين الشريفين ما حملت ثم صارت ترسل ذلك الهودج في كل سنة مع ركب الحج المصري الذي يحمل الاموال الى الحرمين . وهذا يعد من العادات المباحة التي لاعلاقة لها بالدين فيعد المحدث منها بدعة دينية محرمة

ثم حدث من زمن لانعرف ابتداءه أن هذا الهودج أو الهيكل الخشبي المكسو بالديباج، الموضون بالذهب صار يطاف به في الكعبة كما يطوف الناس، وينقل في مشاعر النسك كعرفات ومنى كأنه من الحجاج ، ويوضع في الحرم فيتبرك به الجهال . ثم يدخل المسجد النبوي مع الزائرين ويوضع في حجرة هنالك كما يوضع في المسجد الحرام قبله أياما . ثم صار الناس في مصر نفسها يتبركون به تبركا دينياً

يرجون نفعه حتى في ذراريهم ، وصار يعد من شعائر الاسلام فتحتفل به الحكومة احتفالا دينياً ويقبل ملوكها وامراؤها وكبار علمائها مقود جمله - فبهذه الاشياء صار يعد من البدع الدينية لان كل هذه الامور منكرات شرعية تشبه المشروعة - وما هي بمشروعة - وهذا تحقيق معنى البدعة كما حققه الامام الشاطبي في الاعتصام الذي طبع في مصر من قبل وزارة المعارف

واما إقرار العلماء له فكان مجاراة للحكومة في عملها قبل أن يتحقق فيه معنى البدعة واستمروا على ذلك بعده ، وليس هذا بالمنكر الوحيد الذي أتته الحكومات المستبدة في بلاد الاسلام وسكت عليه العلماء الضعفاء ، بل هنالك بدع ومنكرات كثيرة ومعاص من الكبائر المعلومة من الدين بالضرورة . ومن تلك المنكرات التي صارت تعد بعدم مقاومة العلماء للحكومات من الاسلام أو شعائره بناء المساجد على قبور الصالحين وغيرهم وتشريفها وتجصيصها ووضع الستور واضاءة السرج والشموع عليها وتتخذ أعيادا ومواسم يسمونها الموالد. وكل هذه من الامور المحرمة التي كانت ذريعة للشرك أو الفسق وهم يقرؤن في صحاح الاحاديث لعن النبي صلى الله عليه وسلم حتى في مرض موته من يفعلها .

على ان كثيراً من كبار العلماء أنكروا أكثر هذه البدع والمعاصي فلم تبال الحكومات بانكارهم ولذلك يعذر بعض العلماء المتأخرين أنفسهم بسكوتهم على منكرات الحكومات بان الانكار لا يفيد على كونهم لا يسلمون من ضرر يصيبهم بسببه . ونحن لا نزال منذ انشأنا المنار ننعى عليهم مخالفتهم لعلماء السلف بهذا السكوت على المنكرات والمعاصي حتى انتدب استاذنا المرحوم الشيخ حسين الجسر للرد علينا في جريدة طرابلس منذ تسع وعشرين سنة واضطررنا الى الرد عليه في المجلد الثاني من المنار

هذا وان سكوت العلماء مهما يكن من سببه لا يعد حجة شرعية على حكم شرعي باتفاق علماء الاصول والفقهاء . وقد فصل الامام محمد بن اسماعيل الوزير هذه المسألة في رسالته (تطهير الاعتقاد) وذكر بعض المنكرات والمعاصي الفاشية في المساجد المبتدعة على القبور التي منها ما هو شرك بالله تعالى وكذا في مكة أم القرى أيضا ولا ينكرها أحد ، وذكر منها المقامات الاربعة للمذاهب الاربعة التي أحدثها « بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال » (كما قال) في حرم الله تعالى

« ففرقت بها عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين» الخ وذكر سكوت علماء الآفاق عليها ثم قال (أفهذا السكوت دليل على جوازها ؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف ، كذلك سكوتهم على هذه الاشياء الصادرة من القبوريين»

ثم ذكر في موضع آخر احتجاج بعضهم على جواز بناء المساجد على القبور بالقبة المبنية على قبر النبي (ص) - مع أنه ولله الحمد لم يتخذ مسجداً - وأجاب عنه بأن هذه القبة ليست من بنائه (ص) ولا بناء أصحابه ولا التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته بل هي من أبنية قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ثم قال « فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الاول »

واننا بعد كتابة ما ذكر وجمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه قد اطلعنا على كتاب في البدع لبعض علماء الازهر المدرسين فيه لقسم التخصص العالي صرح فيه بالانكار على العلماء للسكوت على المنكرات، والبدع الفاشية بعد ان عد كثيرا منها كابن الوزير

﴿ الجواب عن مسألة تعاون المسلمين على دول الاستعمار ﴾

لاشك ان هذا التعاون واجب شرعا ولكن تفرق المسلمين وسوء حالهم المانعة من ذلك معلومة للسائل ولغيره كما يعلم اتفاق دول الاستعمار وتعاونهم المنظم على سلب بلادنا واستعباد شعوبنا فلو أن ابن السعود أراد مساعدة السوريين بالحرب على كونهم يقولون انهم يحاربون حربا مدنية وطنية لا دينية لحاربته انكلترة وايطالية مع فرنسة ، ولساعدهن على ذلك ملك العراق وأمير شرق الأردن وشاه ايران قطعاء، وربما شايعهم آخرون من الشعوب الاسلامية ، وقد سمعنا الملك عبد العزيز يقول غير مرة بمكة أمام الناس : ان عداوة الافرنج لنا أمر معقول لا يعقل غيره وإننا والله لانخاف من عداوتهم كما نخاف من عداوتنا نحن المسلمين بعضنا لبعض . فنحن على شدة تنافي مقاومة الاستعمار قولا وعملا لا نشير عليه بما ذكره السائل لأننا نعلم علما قطعيا أنه يقضي بذلك على دولة في أول نشأتها وهو الى الآن لم يسلم من شر المسلمين أنفسهم

وأما ما دون ذلك من مساعدة فلا يصح للسائل ولا لغيره ان يجزم بنفيها ولا أن يسأل عنها ، كما انه لا يصح له أن يجعل ما يجب أن يعمله المسلمون للدفاع عن أنفسهم من المباحث التي تنشر في الجرائد . وليس من المصلحة أن نقول أكثر من هذا في هذه المسألة الكبرى

الايمان والكفر والنفاق والظلم والفسق

من رسائل إمام نجد في عصره العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن
ابن حسن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
رحمهم الله تعالى

(ويعلم منها ما عليه علماء نجد في مسألة تكفير المخالفين واحتياطهم فيها
أكثر من سائر علماء المذاهب الاخرى)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن الى عبد العزيز الخطيب *

سلام على عباد الله الصالحين . وبعد فقرأت رسالتك وعرفت مضمونها وما قصدته من الاعتذار ، ولكن أسأت في قولك ان ما أنكره شيخنا الوالد من تكفيركم أهل الحق واعتقاد إصابتكم انه لم يصدر منكم ، وتذكر ان اخوانك من اهل النقيع يجادلونك وينازعونك في شأننا ، وانهم ينسبوننا الى السكوت عن بعض الامور ، وأنت تعرف أنهم يذكرون هذا غالباً على سبيل القدح في العقيدة ، والطعن في الطريقة ، وان لم يصرحوا بالتكفير فقد حاموا حول الحمى ، فنعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، ومن العمى عن سبيل الرشد والعمى ، وقد رأيت سنة أربع وستين رجلين من أشباهكم المارقين بالاحساء قد اعتزلا الجمعة والجماعة ، وكفّرا من في تلك البلاد من المسلمين ، وحجتهم من جنس حجتكم ، يقولون: أهل الاحساء يجالسون ابن فيروز ، ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يكفر بالطاغوت ، ولم يصرح بتكفير جده الذي رد دعوة الشيخ محمد ولم يقبلها وعاداها . قالا : ومن لم يصرح بكفره فهو كافر بالله لم يكفر

بالطاغوت [١] ومن جالسه فهو مثله . ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين مايترتب على الردة الصريحة من الاحكام ، حتى تركوا ردالسلام . فرفع الي أمرهم ، فأحضرتهم وهددتهم ، وأغلظت لهم القول . فزعموا أولا انهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأن رسائله عندهم ، فكشفت شبهتهم وأدحضت ضلالتهم بما حضرني في المجلس ، واخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب ، فانه لا يكفر الا بما اجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الاكبر ، والكفر بآيات الله ورسله أو بشيء منها ، بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر ، كتكفير من عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، وجعلهم انداداً فيما يستحقه على خلقه من العبادات والالهية . وهذا مجمع عليه عند أهل العلم والايمان ، وكل طائفة من أهل المذاهب المقلدة يفردون هذه المسئلة بباب عظيم يذكرون فيه حكمها وما يوجب الردة ويقتضيها ، وينصون على الشرك الاكبر ، وقد أفرد ابن حجر [٢] هذه المسئلة بكتاب سماه (الاعلام بقواطع الاسلام)

وقد اظهر الفارسيان المذكوران التوبة والندم وزعما ان الحق ظهر لهما ثم لحقا بالساحل وعادا الى تلك المقالة ، وبلغنا عنهم تكفير ائمة المسلمين ، بمكاتبة الملوك المصريين ، بل كفروا من خالط من كاتبهم من مشايخ المسلمين ، ونعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، والحور بعد الكور [٣]

وقد بلغنا عنكم نحو من هذا ، وخضتم في مسائل من هذا الباب ،

---

(١) قوله : لم يكفر بالطاغوت إما تعليل لكفره بالله على طريقة الاستئناف البياني فالكفر بالطاغوت شرط لصحة الايمان بالله و إما خبر بعد خبر .

(٢) هو العلامة أحمد بن حجر الهيتمي الفقيه الشافعي (٣) الحور بعد الكور معناه النقصان بعد الزيادة كالعصيان بعد الطاعة والجهل بعد الحلم

كالكلام في الموالاة والمعاداة ، والمصالحة والمكاتبات ، وبذل الاموال والهدايا ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله والضلالات ، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي ونحوهم من الجفاة، لايتكلم فيها الا العلماء من ذوي الالباب ، ومن رزق الفهم عن الله وأوتي الحكمة وفصل الخطاب ، والكلام في هذا يتوقف على معرفة ماقدمناه ومعرفة أصول عامة كلية لايجوز الكلام في هذا الباب وفي غيره لمن جهلها ؛ وأعرض عنها وعن تفاصيلها ، فان الاجمال والاطلاق ، وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله ، يحصل به من اللبس والخطأ وعدم الفقه عن الله ما يفسد الاديان ، ويشتت الاذهان ، ويحول بينها وبين فهم القرآن ، قال ابن القيم في كافيته رحمه الله تعالى

فعليك بالتفصيل والتبيين فا لا طلاق والاجمال دون بيان
قد افسدا هذا الوجود وخبطا ا لا ذهان والآراء كل زمان

وأما التكفير بهذه الامور التي ظننتموها من مكفرات اهل الاسلام فهذا مذهب الحرورية المارقين الخارجين على علي بن ابي طالب امير المؤمنين ومن معه من الصحابة ، فانهم انكروا عليهم تحكيم ابي موسى الاشعري وعمرو بن العاص في الفتنة التي وقعت بينه وبين معاوية واهل الشام، فأنكرت الخوارج عليه ذلك وهم في الاصل من اصحابه من قراء الكوفة والبصرة وقالوا حكمت الرجال في دين الله ، وواليت معاوية وعمراً وتوليتهما وقد قال تعالى (إن الحكم إلا لله) وضربت المدة بينكم وبينهم وقد قطع الله هذه الموادعة والمهادنة منذ أنزلت براءة . وطال بينهما النزاع والخصام ؛ حتى أغاروا على سرح المسلمين وقتلوا من ظفروا به

من أصحاب علي ؛ فحينئذ شمر رضي الله عنه لقتالهم ، وقتلهم دون النهروان بعد الاعذار والانذار ، والتمس المخدج المنعوت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره من أهل السنن فوجده علي فسر بذلك وسجد لله شكراً على توفيقه ، وقال لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل ، هذا وهم أكثر الناس عبادة وصلاة وصوما

فصل

ولفظ الظلم والمعصية والفسوق والفجور والموالاة والمعاداة والركون والشرك ونحو ذلك من الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة ، وقد يراد بها مطلق الحقيقة ، والاول هو الاصل عند الاصوليين والثاني لايحمل الكلام عليه الا بقرينة لفظية أو معنوية ؛ وانما يعرف ذلك بالبيان النبوي وتفسير السنة قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) الآية وقال (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وكذلك اسم المؤمن والبر والتقي يراد بها عند الاطلاق والثناء غير المعنى المراد في مقام الامر والنهي ، ألا ترى أن الزاني والسارق والشارب يدخلون في عموم قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) وقوله (ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى) الآية وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم) ولا يدخلون في مثل قوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) وقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) الآية

وهذا هو الذي أوجب للسلف ترك تسمية الفاسق باسم الايمان والبر وفي الحديث « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه أبصارهم فيها وهو مؤمن » وقوله « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »[1] لكن نفي الايمان هذا لا يدل على كفره ، بل يطلق عليه اسم الاسلام ولا يكون كمن كفر بالله ورسله. وهذا هو الذي فهمه السلف وقرروه في باب الرد على الخوارج والمرجئة ونحوهم من أهل الاهواء فافهم هذا فانه مضلة افهام ، ومزلة اقدام

وأما إلحاق الوعيد المرتب على بعض الذنوب والكبائر فقد يمنع منه مانع في حق المعين كحب الله ورسوله والجهاد في سبيله ورجحان الحسنات ومغفرة الله ورحمته وشفاعة المؤمنين والمصائب المكفرة في الدور الثلاثة . وكذلك لا يشهدون لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار ، وان أطلقوا الوعيد كما أطلقه القرآن والسنة فهم يفرقون بين العام المطلق ، والخاص المقيد ، وكان عبد الله (حمار)[2] يشرب الخمر فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعنه رجل وقال ما أكثر مايؤتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله »[3] مع انه لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها

(١) الحديث الاول رواه الشيخان وغيرهما والثاني رواه البخاري بلفظ «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن — قيل من يارسول الله؟ قال — الذي لا يأمن جاره بوائقه » ورواه أحمد أيضا ولا أذكر لفظه (٢) صحابي معروف وحمار لقب له

(٣) الحديث من أفراد البخاري ولفظه عند جمهور رواته « تلعنوه » فوالله ماعلمت انه يحب الله ورسوله » أي ان الذي علمته انه يحب الله ورسوله وفي اعراب الجملة أقوال وفي رواية « ماعلمت إلا انه يحب » الخ وما ذكره المصنف رواية الواقدي

ومقصرها وحاملها والمحمولة اليه :[1]

وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة ومافيها من الفوائد فانه هاجر الى الله ورسوله وجاهد فى سبيله لكن حدث منه انه كتب بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين من أهل مكة يخبرهم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيره لجهادهم ليتخذ بذلك يدا عندهم يحمي بها أهله وماله بمكة فنزل الوحي بخبره وكان قد أعطى الكتاب ظعينة جعلته في شعرها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير في طلب الظعينة وأخبر انهما يجدانها فى روضة خاخ فكان ذلك، فتهدداها حتى أخرجت الكتاب من ضفائرها فأتى به رسول الله عليه وسلم . فدعا حاطب ابن أبي بلتعة فقال له «ماهذا؟فقال يارسول الله اني لم أكفر بعد إيمان، ولم أفعل هذا رغبة عن الاسلام، وانما اردت ان تكون لي عند القوم يد أحمى بها أهلي ومالي » فقال صلى الله عليه وسلم « صدقكم خلوا سبيله » واستأذن عمر فى قتله فقال دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال « وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم »وأنزل الله فى ذلك صدر سورة الممتحنة فقال (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) الآيات فدخل حاطب فى المخاطبة باسم الايمان ووصفه به ، وتناوله النهي بعمومه وله خصوص السبب الدال على ارادته مع ان فى الآية الكريمة مايشعر أن فعل حاطب نوع موالاة وانه أبلغ اليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل . لكن قوله « صدقكم خلوا سبيله » ظاهر فى انه لايكفر بذلك اذا كان مؤمنا بالله ورسوله غير

(١) رواه أبو داود وكذا الترمذي وابن ماجه بزيادة فيه

شاك ولا مرتاب وانما فعل ذلك لغرض دنيوي ، ولو كفر لما قيل «خلوا سبيله » لا يقال قوله صلى الله عليه وسلم لعمر « وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » هو المانع من تكفيره لانا نقول لو كفر لما بقي من حسناته مايمنعه من لحاق الكفر وأحكامه ، فان الكفر يهدم ماقبله لقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقوله تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون) والكفر محبط للحسنات والايمان بالاجماع فلا يظن هذا

واما قوله (ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقوله (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء . واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) فقد فسرته السنة وقيدته وخصته بالموالاة المطلقة العامة . واصل الموالاة هو الحب والنصرة والصداقة ، ودون ذلك مراتب متعددة ولكل ذنب حظه وقسطه من الوعيد والذم ، وهذا عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وغيره ، وانما اشكل الامر ، وخفيت المعاني والتبست الاحكام على خلوف من العجم والمولدين الذين لادراية لهم بهذا الشان ، ولا ممارسة لهم بمعانى السنة والقرآن ، ولهذا قال الحسن رضي الله عنه : من العجمة أتوا . وقال عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد لما ناظره فى مسئلة خلود أهل الكبائر في النار واحتج ابن عبيد ان هذا وعد والله لا يخلف وعده ـ يشير الي ما فى القرآن من الوعيد على بعض الكبائر والذنوب بالنار والخلود ـ فقال له ابن العلاء : من العجمة أتيت ، هذا وعيد لا وعد ، وانشد قول الشاعر

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وقال بعض الائمة فيما نقل البخاري أوغيره إن من سعادة الاعجمي والاعرابي اذا أسلما أن يوفقا لصاحب سنة ، وإن من شقاوتهما أن يمتحنا وييسرا لصاحب هوى وبدعة

ونضرب لك مثلا هو أن رجلين تنازعا في آيات من كتاب الله أحدهما خارجي والآخر مرجيء ، قال الخارجي : ان قوله (انما يتقبل الله من المتقين) دليل على حبوط أعمال العصاة والفجار وبطلانها إذ لا قائل انهم من عباد الله المتقين ، قال المرجيء : هي في الشرك فكل من اتقى الشرك يقبل عمله لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قال الخارجي : قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً) يرد ماذهبت اليه . قال المرجيء : المعصية هنا الشرك بالله واتخاذ الانداد معه لقوله (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) قال الخارجي (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) دليل على أن الفساق من أهل النار الخالدين فيها ، قال له المرجيء في آخر الآية (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) دليل على أن المراد من كذب الله ورسوله والفاسق من أهل القبلة مؤمن كامل الايمان

ومن وقف على هذه المناظرة من جهال الطلبة والاعاجم ظن أنها الغاية المقصودة وعض عليها بالنواجذ ، مع أن كلا القولين لا يرتضى ، ولا يحكم باصابته أهل العلم والهدى ، وما عند السلف والراسخين في العلم خلاف هذا كله لان الرجوع إلى السنة المبينة للناس ما نزل اليهم وأما أهل البدع والاهواء فيستغنون عنها بآرائهم وأهوائهم وأذواقهم (للكلام بقية)

قاعدة جليله

فيما يتعلق بأحكام السفر والإقامة

لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى

﴿ تابع لما نشر في الجزء الماضي ﴾

حكم المولاة بين صلاتي الجمع

والصحيح انه لا تشترط الموالاة بحال لا في وقت الاولى ولا في وقت الثانية فانه ليس لذلك حد في الشرع ، ولان مراعاة ذلك يسقط مقصود الرخصة ، وهو شبيه بقول من حمل الجمع على الجمع بالفعل وهو أن يسلم من الاولى في آخر وقتها ويحرم بالثانية في أول وقتها كما تأول جمعه على ذلك طائفة من العلماء أصحاب أبي حنيفة وغيرهم ، ومراعاة هذا من أصعب الاشياء وأشقها فانه يريد أن يبتديء فيها اذا بقي من الوقت مقدار أربع ركعات أو ثلاث في المغرب ، ويريد مع ذلك أن لا يطيلها ، وان كان بنية الاطالة تشرع في الوقت الذي يحتمل ذلك ، واذا دخل في الصلاة ثم بدا له أن يطيلها أو أن ينتظر أحداً ليحصل الركوع والجماعة لم يشرع ذلك ويجتهد في أن يسلم قبل خروج الوقت ، ومعلوم ان مراعاة هذا من أصعب الاشياء علما وعملا وهو يشغل قلب المصلي غير مقصود الصلاة والجمع شرع رخصة ودفعاً للحرج عن الامة ، فكيف لا يشرع الا مع حرج شديد ومع ماينقض مقصود الصلاة ؟

فعلم انه كان صلى الله عليه وسلم اذا أخر الظهر وعجل العصر وأخر المغرب وعجل العشاء يفعل ذلك على الوجه الذي يحصل به التيسير ورفع الحرج له ولأمته ولا يلتزم انه لا يسلم من الاولى الا قبل خروج وقتها الخاص وكيف يعلم ذلك المصلي في الصلاة وآخر وقت الظهر وأول وقت العصر انما يعرف على سبيل التحديد بالظل والمصلي في الصلاة لا يمكنه معرفة الظل ولم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم آلات حسابية يعرف بها الوقت ، ولا موقت يعرف ذلك بالآلات الحسابية ؛ والمغرب انما يعرف آخر وقتها بمغيب الشفق ، فيحتاج ان ينظر الى جهة الغرب هل غرب الشفق الاحمر أو الابيض ؟ والمصلي في الصلاة منهي عن مثل ذلك

واذا كان يصلي في بيت أو فسطاط و نحو ذلك مما يستره عن الغرب ويتعذر عليه في الصلاة النظر الى المغرب فلا يمكنه في هذه الحال أن يتحرى السلام في آخر وقت المغرب بل لا بد أن يسلم قبل خروج الوقت بزمن يعلم انه معه يسلم قبل خروج الوقت

ثم الثانية لا يمكنه على قولهم أن يشرع فيها حتى يعلم دخول الوقت وذلك يحتاج الى عمل وكلفة مما لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يراعيه بل ولا أصحابه ، فهؤلاء لا يمكن الجمع على قولهم في غالب الاوقات لغالب الناس الا مع تفريق الفعل ، وأولئك لا يكون الجمع عندهم الا مع اقتران الفعل ، وهؤلاء فهموا من الجمع اقتران الفعلين في وقت واحد أو وقتين ، وأولئك قالوا لا يكون الجمع الا في وقتين ، وذلك يحتاج الى تفريق الفعل وكلا القولين ضعيف

والسنة جاءت بأوسع من هذا وهذا ولم تكلف الناس لا هذا ولا هذا ، والجمع جائز في الوقت المشترك فتارة يجمع في أول الوقت كما جمع بعرفة وتارة يجمع في وقت الثانية كما جمع بمزدلفة وفي بعض اسفاره وتارة يجمع فيما بينهما في وسط الوقتين وقد يقعان معاً في آخر وقت الاولى وقد يقعان معاً في اول وقت الثانية ،وقد تقع هذه في هذا وهذه في هذا وكل هذا جائز لان اصل هذه المسألة ان الوقت عند الحاجة مشترك والتقديم والتوسط بحسب الحاجة والمصلحة ففي عرفة ونحوها يكون التقديم هو السنة

وكذلك جمع المطر ، السنة ان يجمع للمطر في وقت المغرب حتى اختلف مذهب احمد هل يجوز أن يجمع للمطر في وقت الثانية؟ على وجهين وقيل إن ظاهر كلامه أنه لا يجمع وفيه وجه ثالث ان الافضل التأخير وهو غلط مخالف للسنة والاجماع القديم وصاحب هذا القول ظن أن التأخير في الجمع أفضل مطلقا لان الصلاة يجوز فعلها بعد الوقت عند النوم والنسيان ،ولا يجوز فعلها قبل الوقت بحال ، بل لو صلاها قبل الزوال وقبل الفجر أعادها، وهذا غلط فان الجمع بمزدلفة انما المشروع فيه تأخير المغرب إلى وقت العشاء بالسنة المتواترة واتفاق المسلمين وما علمت أحداً من العلماء سوغ له هناك أن يصلي العشاء في طريقه ، وانما اختلفوا في المغرب هل له أن يصليها في طريقه على قولين . وأما التأخير فهو كالتقديم ، بل صاحبه أحق بالذم ، ومن نام عن صلاة أو نسيها فان وقتها في حقه حين يستيقظ ويذكرها ، وحينئذ هو مأمور بها لا وقت لها الا ذلك فلم يصلها الا في وقتها

وأما من صلى قبل الزوال وطلوع الفجر الذي يحصل به ، فان كان متعمداً فهذا فعل مالم يؤمر به ، وأما ان كان عاجزاً عن معرفة الوقت

كالمحبوس الذي لا يمكنه معرفة الوقت فهذا في اجزائه قولان للعلماء وكذلك في صيامه اذا صام حيث لا يمكنه معرفة شهور رمضان كالاسير اذا صام بالتحري ثم تبين له أنه قبل الوقت ففي اجزائه قولان للعلماء ، وأما من صلى في المصر قبل الوقت غلطا فهذا لم يفعل ماأمر به وهل تنعقد صلاته نفلا أو تقع باطلة ؟ على وجهين في مذهب احمد وغيره

والمقصود أن الله لم يبح لاحد أن يؤخر الصلاة عن وقتها بحال كما لم يبح له أن يفعلها قبل وقتها بحال فليس جمع التأخير بأولى من جمع التقديم ، بل ذاك بحسب الحاجة والمصلحة فقد يكون هذا أفضل وقد يكون هذا أفضل ، وهذا مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر مذهب احمد المنصوص عنه وغيره . ومن أطلق من أصحابه القول بتفضيل أحدهما مطلقا فقد اخطأ على مذهبه

الاحاديث في الجمع تقديما وتأخيرا

وأحاديث الجمع الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مأثورة من حديث ابن عمر وابن عباس وانس ومعاذ وابي هريرة وجابر، وقد تأول هذه الاحاديث من انكر الجمع على تأخير الاولى الى آخر وقتها وتقديم الثانية إلى أول وقتها ، وقد جاءت الروايات الصحيحة بأن الجمع كان يكون في وقت الثانية وفي وقت الاولى وجاء الجمع مطلقا ، والمفسر يبين المطلق ففي الصحيحين من حديث سفيان عن الزهري عن سالم عن ابيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا جدَّ به السير جمع بين المغرب والعشاء . وروى مالك عن نافع عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عجل به السير جمع بين المغرب والعشاء . رواه مسلم ، وروي مسلم

من حديث يحيي بن سعيد حدثنا عبيد الله أخبرني نافع عن ابن عمر انه كان اذا جدّ به السير جمع بين المغرب والعشاء بعد أن يغيب الشفق ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جدّ به السير جمع بين المغرب والعشاء

حديث ابن عمر في جمع التأخير

قال الطحاوي : حديث ابن عمر انما فيه الجمع بعد مغيب الشفق من فعله وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جمع بين الصلاتين ولم يذكر كيف كان جمعه ، هذا انما فيه التأخير من فعل ابن عمر لا فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر المثبتون مارواه محمد بن يحيي الذهلي حدثنا حماد بن مسعدة عن عبيدالله بن عمر عن نافع أن عبدالله بن عمر أسرع السير فجمع بين المغرب والعشاء فسألت نافعا فقال : بعد ماغاب الشفق بساعة وقال : اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك اذا جدّ به السير ، ورواه سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع أن ابن عمر استصرخ على صفية بنت ابي عبيد وهو بمكة وهي بالمدينة فأقبل فسار حتى غربت الشمس وبدت النجوم فقال رجل كان يصحبه : الصلاة الصلاة ، فسار ابن عمر ، فقال له سالم : الصلاة ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عجل به أمر في سفر جمع بين هاتين الصلاتين. فسار حتى اذا غاب الشفق جمع بينهما وسار ما بين مكة والمدينة ثلاثا

وروى البيهقي هذين باسناد صحيح مشهور ، قال ورواه معمر عن أيوب وموسى بن عقبة عن نافع ، وقال في الحديث فأخر المغرب بعد ذهاب الشفق حتى ذهب هويٌّ من الليل ثم نزل فصلى المغرب والعشاء قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك اذا جدّ به السير أو

جزبه أمر (قال) ورواه يزيد بن هارون عن يحيي بن سعيد الانصاري عن نافع فذكر انه سار قريبا من ربع الليل ثم نزل فصلى ورواه من طريق الدارقطني حدثنا ابن صاعد والنيسابوري حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد أخبرني عمر بن محمد بن يزيد حدثني نافع مولى عبدالله بن عمر عن ابن عمر انه أقبل من مكة وجاءه خبر صفية بنت ابي عبيد فأسرع السير فلما غابت الشمس قال له انسان من أصحابه الصلاة ، فسكت ثم سار ساعة فقال له صاحبه : الصلاة ، فقال الذي قال له « الصلاة » انه ليعلم من هذا علما لا أعلمه فسار حتى اذا كان بعد ماغاب الشفق بساعة نزل فأقام الصلاة وكان لاينادي لشيء من الصلاة في السفر فأقام فصلى المغرب والعشاء جميعا جمع بينهما ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جدّ به السير جمع بين المغرب والعشاء بعد أن يغيب الشفق بساعة ، وكان يصلي على ظهر راحلته أين توجهت به السبحة [1] في السفر ويخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصنع ذلك

قال البيهقي : اتفقت رواية يحيي ابن سعيد الانصاري وموسى ابن عقبة وعبيدالله بن عمر وأيوب السختياني وعمر بن محمد بن زيد على أن جمع عبدالله بن عمر بين الصلاتين بعد غيوبة الشفق وخالفهم من لا يدانيهم في حفظ أحاديث نافع ، وذكر أن ابن جابر رواه عن نافع ولفظه : حتى اذا كان في آخر الشفق نزل فصلى المغرب ثم أقام الصلاة وقد توارى الشفق فصلى بنا ثم اقبل علينا فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عجل به الامر صنع هكذا . وقال : وبمعناه رواه فضل بن غزوان وعطاف بن

(١) المراد بالسبحة النافلة

خالد عن نافع ، ورواية الحفاظ من اصحاب نافع اولى بالصواب فقد رواه سالم بن عبدالله واسلم مولى عمر وعبدالله بن دينار واسماعيل بن عبدالرحمن ابن ذويب عن ابن عمر نحو روايتهم، اما حديث سالم فرواه عاصم بن محمد عن اخيه عمر بن محمد عن سالم ، واما حديث اسلم فأسنده من حديث ابن ابي مريم: انا محمد ابن جعفر اخبرني زيد بن اسلم عن ابيه قال : كنت مع ابن عمر فبلغه عن صفية شدة وجع فأسرع السير حتى كان بعد غروب الشفق نزل فصلى المغرب والعتمة جمع بينهما وقال : اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جدَّ به السير اخر المغرب وجمع بينهما . رواه البخاري في صحيحه عن ابن أبي مريم

وأسند أيضا من كتاب يعقوب بن سفيان أنا أبو صالح وابن بكير قالا حدثنا الليث قال قال ربيعة بن أبي عبدالرحمن حدثني عبدالله بن دينار وكان من صالحي المسلمين صدقا ودينا قال : غابت الشمس ونحن مع عبدالله ابن عمر فسرنا فلما رأيناه قد أمسى قلنا له الصلاة فسكت حتى غاب الشفق وتصوبت النجوم فنزل فصلى الصلاتين جميعا ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جدّ به السير صلى صلاتي هذه، يقول جمع بينهما بعد ليل

وأما حديث اسماعيل بن عبد الرحمن فأسند من طريق الشافعي وأبي نعيم عن ابن عيينة عن أبي نجيح عن اسماعيل بن عبد الرحمن ابن ذؤيب قال : صحبت ابن عمر فلما غابت الشمس هبنا ان نقول له قم إلى الصلاة فلما ذهب بياض الافق وفحمة العشاء نزل فصلى ثلاث ركعات وركعتين ثم التفت الينا فقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل

حديث أنس في جمع التقديم

وأما حديث أنس في الصحيحين عن ابن شهاب عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما، فان زاغت الشمس قبل ان يرتحل صلى الظهر ثم ركب. هذا لفظ الفضل عن عقيل عنه، ورواه مسلم من حديث ابن وهب حدثني جابر بن اسماعيل عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا عجل به السير[1] يؤخر الظهر الى وقت العصر فيجمع بينهما، ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق. ورواه مسلم من حديث شبابة حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يجمع بين الظهر والعصر في السفر أخر الظهر حتى يدخل اول وقت العصر ثم يجمع بينهما، ورواه من حديث الاسماعيلي[2] انا الفريابي انا اسحق بن راهويه انا شبابة بن سوار عن ليث عن عقيل عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان في السفر فزالت الشمس صلى الظهر والعصر جميعا ثم ارتحل قالت هكذا في هذه الرواية وهي مخالفة للمشهور من حديث انس (للكلام بقيه)

(١) في نسخ مسلم عجل عليه السفر (٢) ظاهر هذا ان مسلما روى حديث أنس هذا باللفظ الآتي عن الاسماعيلي وليس كذلك والصواب ان الاسماعيلي رواه عن جعفر الفريابي عن اسحق الخ

العلم والدين

— ٢ —

وبعد : فما هي عناصر الخلاف وعوامل الخصومة التي توجب أن يكون الدين في ناحية والعلم في ناحية أخرى ، وأن ليس إلى التقائهما من سبيل ؟

ساق الدكتور في الجواب على هذا السؤال ثلاثة أمور :

(الامر الاول) أن الدين حين يثبت وجود الله ونبوة الانبيـاء ويأخذ الناس بالايمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العلم الى الآن أن يثبتهما فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله ، ولم يصل بعد الى اثبات نبوة الانبياء ، ولاسبيل الى أن يتفقا الا يوم يعترف العلم بوجود الله ونبوة الانبيـاء ، أو يوم ينزل الدين عن وجود الله ونبوة الانبياء . هذا أمر

(الامر الثاني) أن الكتب السماوية لم تقف عند اثبات وجود الله ونبوة الانبياء وانما عرضت لمسائل أخرى يعرض لها العلم بحكم وجوده ولا يستطيع أن ينصرف عنها . وهنا ظهر تناقض صريح بين نصوص الكتب السماوية وما وصل اليه العلم من النظريات والقوانين

(الامر الثالث) وهو في رأي الدكتور ثالثة الأثافي أن العلم طمع في أن يخضع الدين لبحثه ونقده وتحليله ، وهو لايحفل الآن بان التوراة تناقضه أولا تناقضه وانما يزعم أن له الحق في أن يضع الدين نفسه موضع البحث ، وقد فعل . وأن العالم ينظر الى الدين كما ينظر الى اللغة واللباس من حيث انها كلها ظواهر اجتماعية تتبع الجماعة في تصورها وتتأثر بالبيئة والاقليم والوضع الجغرافي ، فهو لم ينزل من السماء وانما خرج من الارض

هذه هي ثلاثة الادلة التي أرسلها الدكتور في سياق التدليل على متناقضاته

وأنى أسائل الدكتور ماحد الخصومة التي يزعمها قائمة بين العلم والدين — أليست الخصومة هي الجدل والغلب حيث يدفع أحد الخصمين ما يثبته الآخر ويثبت ثانيهما ماينفيه صاحبه ؟

فاذا كان هذا معنى الخصومة ، فهل نفى العلم ما أثبته الدين من وجود الله ونبوة الانبياء ؟ ان في كلام الدكتور جواب هذا السؤال الاخير ، فهو يصرح بأن العلم لاينفي وجود الله ونبوة الانبياء ، ويقرر في وضوح أن العلم ينصرف عنهما انصرافا تاما الى مايمكن أن يتناوله بالبحث والتمحيص .. فهو اذن مسلم بأن العلم لايستطيع أن يتناول بالبحث والتمحيص هذين الامرين لعجز آلاته عن بحثهما وتمحيصهما . وهو اذاً مسلم بان العلم منصرف عنهما انصرافا تاما الى ما يمكن أن يتناوله بالبحث والتمحيص . واذاً فلا خصومة بين العلم والدين في وجود الله ونبوة الانبياء . اذ كيف تقع الخصومة بين طرفين في أمر يعترف أحدهما بأنه عاجز عن مباشرة أسباب الخصومة فيه ؟ وكيف تتصور الخصومة ممن هومنصرف انصرافا تاما عن تناول ماهو مثار الخصومة ؟

فالحق أنه لاخصومة بين الدين والعلم على وجود الله ونبوة الانبياء وان ميدان الدين أوسع دائرة من ميدان العلم الحسي . وأنه اذا كان العلم الحسي لم يستطع أن يجري مع الدين في ميدانه الفسيح فان العقل لم ينقطع عن الجري مع الدين في هذا الميدان ولم تنضب موارده الخصبة[1] ولم يضن على الدين بالمساعدة والتأييد فالادلة العقلية على وجود الله وعلى نبوة الانبياء متظاهرة متضافرة، وليست الصحف اليومية بميدان صالح لنشرها وبسطها[2] وهي في كتب العقائد مبسوطة مدعمة ومن أحسن تلك الكتب رسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فليرجع القاري، اليها اذا شاء

بعد هذا نعرض للامر الثاني الذي ساقه الدكتور للتدليل على رأيه في وجود الخصومة بين العلم والدين وهو أن الكتب السماوية عرضت لمسائل أخرى يعرض لها العلم بحكم وجوده ولا يستطيع أن ينصرف عنها . قال الدكتور وهنا ظهر تناقض صريح بين نصوص هذه الكتب السماوية وما وصل اليه العلم من النظريات والقوانين . على أن الدكتور في هذا الموقف الخطير لم يذكر لنا ولو

---

(١) المنار : المراد بالموارد الخصبة انها سبب الخصب ، والا فالظاهر أن توصف بالمذبة (٢) سبب هذا أن صاحب المقالة أرسلها أولا الى جريدة السياسة اليومية لانها رد على ما نشر فيها كما سيأتي

قانونا واحداً من تلك القوانين العلمية التي تناقض نصوص القرآن تناقضاً صريحاً في زعمه واكتفى بالاشارة إلى أن في القرآن ذكراً للخلق وصورته ومدته ، وفي علم الجيولوجيا تعرض لهذا ، وبين نظريات علم الجيولوجيا و بين القرآن خلاف قوي عنيف ، هذا خلاف . وخلاف آخر بين الدين والعلم في نشأة الانسان : زعم الدكتور أنه ليس بأقل من الخلاف في خلق السموات والارض ، وأن مذهب النشوء والارتقاء لا يمكن أن يتفق مع ما في القرآن بوجه من الوجوه ، ولن يتفق علم الامبريولوجيا مع ما جاء في القرآن من تكوّن الجنين ، ومثل ذلك ما بين نصوص القرآن وعلم الفلك من خلاف . هذه هي جملة الأمور التي بنى الدكتور عليها حكمه بأن الدين والعلم ليسا متفقين ولا سبيل الى أن يتفقا إلا أن ينزل أحدهما لصاحبه عن شخصيته كلها

ولن نرى موقفاً أدنى الى السخف وأدعى الى السخرية والاستهزاء بصاحبه من هذا الموقف يقفه الدكتور من كتاب الله ومن علوم لا يحسن القول فيها ، ولا يدري الفرق بين نظرياتها وقوانينها ، فيريك كيف يذري الجهل بصاحبه وكيف تجني الحماقة على جانيها ، ويعطيك صورة مضحكة لاولئك الثرثاريين المتفيهقين الذين يقع نظرك عليهم كثيراً في النوادي ومجالس السمر حيث يتشدقون بالحديث في مختلف الشئون العلمية والسياسية والاقتصادية وهم لا يدرون شيئاً عما يتحدثون فيه ، ولا يعرفون ان كانت السياسة طعاما يؤكل أو ثياباً تلبس أو ألعوبة يتسلى بها الصبية . فلو أن الدكتور كان من علم ما عرض للكلام فيه بالمكان الذي يدعيه لنفسه وبالمنزلة التي يوهم البسطاء والمخدوعين أنه لا يشق له فيها غبار — لما جهل الفرق بين النظريات والقوانين في العلوم ولا سمح لنفسه أن يتحدث عن ظهور تناقض صريح بين نصوص القرآن وما وصل اليه العلم من النظريات ، إذ ما الذي يضير القرآن اذا كان مخالفاً لنظريات لم يبرهن عليها في العلم ولم تصر بعد من اليقينيات المسلمات فيه ؟ ولو أن الدكتور كان يحسن من هذه العلوم شيئاً كما يوهم لما اكتفى بأن يرسل الكلام ارسالا يقف فيه عند حد القول بأن بين نظريات علم الجيولوجيا و بين القرآن خلافا قويًا عنيفًا ، وأن مذهب النشوء والارتقاء لا يمكن

أن يتفق مع ما في القرآن بوجه من الوجوه ، الى غير ذلك من أقوال مرسلة ودعاو عريضة ، ولذكر لنا ولو بحثاً من أبحاثه الفلكية المخالفة لنصوص القرآن

بيد أننا في هذا الموقف نطمئن الدكتور اشفاقا عليه ونقول له هوّن عليك فان الامر أهون مما تظن فلن ينزل الدين عن شخصيته للعلم ولن ينازع العلم الدين في شيء من الاصول الاساسية التي أقرها ، وسيظل العلم والدين صديقين وفيين وخليلين متناصرين على ترقية الانسانية وتوفير الخير لها حتى تقوم الساعة

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

ولأجل أن ننزع عن الدكتور ما أحاط به من اللبس ونكشف له عما اشتبه عليه من هذه المسائل التي ذكرها نقول له إن القرآن نزل لهداية البشر لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة . وهذه الغاية تتحقق بثلاثة أمور أولها تصحيح عقائد الناس فيما يختص بذات الاله وما يجب لها من صفات الكمال ، وثانيها تهذيب الاخلاق بالمواعظ الحسنة، وتكميل النفوس وترغيبها في العبادات والاعمال الصالحة والاخلاق الطيبة التي أجمعت العقول على حسنها ، وثالثها إصلاح حال الجماعة بتجديد علائق بعضهم ببعض ووصف العلاج الناجع الذي يشفي الجماعة من أمراضها المستعصية ، وهو في كل ذلك لم يعرض الا قليلا لجزئيات الامور لان الجزئيات كثيرة التغير سريعة التحول ، فقرر القواعد العامة التي تتبارى العقول فيها ، والتي ترمي الى إصلاح الارواح والنفوس من غير إخلال بمصالح الجسد ، واكتفى من الجزئيات بذكر ما فيه نفع ظاهر أو ما فيه ضرر بين

فالقرآن لم ينزل لتقرير قواعد العلوم وتفصيل مسائل الفنون اذ لو كان كذلك لكان كسائر الكتب العلمية التي لا ينتفع بها إلا قليل من الناس ، وإذاً يفوت الغرض المقصود منه — أعني هداية البشر — ولو نزل بتفصيل قواعد العلوم وتفصيل مسائلها لاستنفد عمر الانسانية في إدراك قواعده والتصديق بمسائله

فهو اذا عرض لذكر شيء من الآيات الكونية في سياق التدليل بها على ما يقرره من القضايا فانما يتناوله بالقدر الذي يشترك في التسليم به كافة الناس عامتهم وعلماؤهم ويلفت الاذهان الى ما في تلك الآيات من أسرار تدق على

عقول الدهماء ، ولا تجل عن أفهام العلماء ، في أسلوب يحفز العقول الى المعرفة ويستثير ما كمن في النفوس من الغرائز والقوى الى التبسط في العلم ، واستجلاء آيات الله في الكائنات ، مجزلا للعلماء حظهم من الثناء والتكريم

فتراه حين يدلل على وحدانية الله بما في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الى غير ذلك من الآيات الكونية تراه حين يدلل على الوحدانية بما في هذه الكائنات وغيرها من سنن ثابتة محكمة مطردة تدل على وحدانية صانعها وعلمه وقدرته يعقب ذكرها ببيان أن في ذلك آيات «لقوم يعقلون» وان في ذلك آيات لقوم يعلمون وان في ذلك آيات لقوم يتفكرون، ليوجه العقول الى معرفة ما فيها من آيات، ويسوق النفوس والهمم الى استجلاء ما في الكائنات من أسرار

وأما إذا عرض لذكر السموات وما فيها من النجوم والكواكب ، والارض وما فيها من المخلوقات والعجائب ؟ فلا يعرض لبيان حقائق الكواكب وأشكالها ، ولا لتفصيل مقادير أبعادها ونظام سيرها في أفلاكها ، ورجوعها واستقامتها وميلها ، واختلاف مناظرها ، الى غير ذلك من الابحاث الفلكية، كذلك لا يعرض عند ذكر الارض لوصف شكلها وإثبات حركتها أو سكونها (١) وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار والفصول الاربعة ، ولا يذكر أسباب وجود الجبال واختلاف طبقاتها وألوانها ، ولا أسباب وجود الوديان والزلازل وغير ذلك من الظواهر الطبيعية ، وانما يكتفي بذكر تلك الظواهر وما للناس فيها من نفع أو غيره لافتا الاذهان إلى ما فيها من سنن وعبر - فهو كما قدمنا يتناولها بالمقدار الذي يشترك سائر الناس في العلم به لينال كل حظه من الهداية كقوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف

(١) المنار : لعل الكاتب يريد انه لا يقرر ذلك تقريراً فنيا ، صريحا قطعيا ، وهذا لا ينفي ان فيه آيات بينة في ذلك على ما اتفق عليه علماء هذا العصر كقوله تعالى (يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل) وقوله « يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا » وغير ذلك مما بيناه في المنار بالتفصيل

ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء) ومن ذا يماري أن الماء منه حياة كل شيء نام ، وان الله يخرج به من الارض ثمرات مختلفاً ألوانها ؟ وان في اختلاف ألوان الجبال والناس والدواب والانعام آيات وأسراراً عظيمة ؟ وان كان لا يقف على كنه هذه الآيات والاسرار الا العلماء

وكذلك اذا لفت الناس الى ما في خلق الانسان من إبداع الصنع وإحسان الخلق وذكر الاطوار التي تكون للجنين في الرحم وأنه يكون نطفة ثم يصير علقة ثم يصير مضغة فتخلق المضغة عظاما فتكتسى العظام باللحم فانما يذكر الظواهر التي يشترك سائر الناس في إدراكها فاذا أثبت علم الامبريولوجيا أن النطفة تشتمل على حيوان انساني وأنه يتصل ببويضات في الرحم يلقحها فيتكون من مجموعهما انسان يتطور في الرحم في أطوار شتى، وإذا أثبت هذا العلم بواسطة الميكروسكوب أن تلك النطفة التي يراها الناس علقة ومضغة هي في الواقع انسان تام الاجزاء ولكنه غير تام التكوين ، فهل ينفي ذلك أن النطفة صارت علقة وأن العلقة صارت مضغة ؟ وهل يطعن ذلك في القرآن أو ينقضه ؟ كلا . وكيف يكون العلم ناقضاً للقرآن أو مكذبا له وكيف يعادي القرآن العلم والقرآن يحيل الناظر على العلم ويزكيه ويصدقه وينبيء بأن في الكائنات أسراراً وآيات قد فصلها لقوم يعلمون ؟ وهل يزكي القرآن العلم والعلماء هذه التزكية ويأمرنا بسؤال أهل الذكر في قوله (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ثم هو مع هذا يعادي العلم ويرد حكمه ؟ لا أظن عاقلا يسلم بهذا

بقي من الأمثلة التي ساقها الدكتور مسألة خلق السموات والارض وتحديد مدة الخلق وما بين مذهب النشوء والارتقاء وبين القرآن من خلاف ـ فاما مذهب النشوء والارتقاء فلا يزال العلماء الباحثون فيه يرونه نظريا غير مدلل ولا مبرهن فليس من بأس منه على القرآن على فرض أن في نظرياته ما يخالف القرآن . وكذلك مسألة خلق السموات والارض لم يأت القرآن فيها بتفصيل ينفيه العلم . فجملة مايفهم من ظاهر الآيات أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقتا [1] وان السماء كانت كالدخان [2] وان الارض تم تكوينها قبل أن تخلع السماء صورتها الدخانية

(١) سورة الانبياء (٢) سورة فصلت

المعتمة وتلبس هذه الصورة ذات اللون البهيج ، وظاهر القرآن أيضاً أن السموات سبع طباق وأنها ذلك الشيء البديع الصنع المنسق الاجزاء المحكم البناء المحيط بالأفق الذي يسحر العقول (الذي خلق سبع سموات طباقا ماترى في خلق الرحمن من تفاوت هل ترى من فطور)

هذه هي السموات . لم يعرض القرآن لبيان حقيقتها ولم يكشف عن ماهيتها ولا عن حقيقة ذلك الشيء ذي اللون الازرق البديع فاذا أثبت العلم أن الارض جزء من الشمس فليس في القرآن ماينفي ذلك وقد يكون فيه مايثبته ، واذا أثبت العلم أن هذا الشيء الازرق الذي يعلو رؤسنا ويسمي سماء هو فضاء تسبح فيه الكواكب وأن من الكواكب والنجوم مالا يصل الينا نوره إلا بعد ألوف أو ملايين من السنين فليس هذا بالذي يضير القرآن في شيء ، أليس هذا الفضاء في رأي العين متسق الاجزاء كالبناء متناسق التركيب ماترى فيه من تفاوت ؟ وكونه سبع طبقات لايختلف في شيء مع العلم أليس العلم قرر أن هذا الفضاء مسبح للكواكب وأن هذه الكواكب متفاوتة البعد في طبقات متمايزة ؟ وماذا يمنع من أن هذا الفضاء سبع طبقات متمايزة لكل طبقة منها خصائص ليست للطبقة الاخرى ؟

وأما تحديد مدة الخلق بستة أيام وما فيه من زعم منافاته للعلم فقد أجاب القرآن الكريم عنه فدل على أنه (تنزيل من حكيم حميد) . فلئن كان العلم يثبت أن الدنيا قديمة العمر وأنها مرت في أطوار مختلفة كل طور منها استنفذ آلافا من السنين فان القرآن يصرح بأن من الايام مايقدر عند الله بألف سنة بل منها مايقدر بخمسين ألف قال تعالى (وأن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ثم اذا لاحظنا أن لغة العرب تستعمل السبعين والالف أمثالا لافادة الكثرة من غير قصد إلى التحديد بالعدد المعين لم يكن ثم مانع من أن يراد بهذا العدد الكثرة التي تتناول ملايين السنين [1]

(١) المنار : التحقيق أن اليوم في اللغة هو زمن مبهم يفسره مايقع فيه من حدث كايام العرب في حروبها وغيرها ومنه (وتلك الايام نداولها بين الناس) وقد فصلنا ذلك في التفسير

هذا تأويل بعض ما أشكل على الدكتور من آي القرآن الكريم لم نخرج فيه عما يفهم من ظاهر اللغة وظاهر القرآن ، ولم نحتج في بيانه إلى ارتكاب تجوز نلتمس له القرائن العقلية وإن كان هذا مما أذنت به اللغة ونطق به القرآن في كثير من الآيات

ولئن فرض أن السلف أو غيرهم لم يفهموا من بعض أي القرآن ما يفهمه من بعدهم ، ولئن أول العلماء آية الكريمة فكان في بعض تأويلهم غير موفق. فليس ذلك بالذي يضر القرآن في شيء فان القرآن لم ينزل للسلف وحدهم ولقد كان القرآن ولا يزال حجة قائمة على المدارك والافهام

وبعد فماذا بقي في مقال الدكتور من شبهة يحتاج القارىء إلي أن نتحدث معه في شأنها ؟ استغفر الله لقد أنسيت

بقي الامر الثالث الذي حدث عنه الدكتور بأنه اعظم من الامرين الاولين خطراً ، وأبعد منهما في تحقيق الخلاف أثراً ، بقيت ثالثة الاثافي . بقي أن العلم يطمع في أن يخضع الدين لبحثه ونقده وتحليله ، وأنه يعده ظاهرة اجتماعية وأنه لم ينزل من السماء وانما خرج من الارض

وليس بعجيب أن يطمع العلم في أن يخضع الدين لبحثه ونقده وتحليله مادام هذا العلم من نوع ما يدعيه دكتورنا لنفسه ، ولكن العجيب أن نطمع من دكتورنا في أن لا يختم بحثه بضرب من التناقض والسخف أفظع وأشنع مما بدأ به بحثه فيترك القارىء يستمتع ببقية من عقله بعد أن يفرغ من قراءة هذيانه فلقد رأيت مما قدمناه من المقال أن الدكتور يقول بملء فيه إن العلم ينصرف انصرافا تاما عن البحث في وجود الله ونبوة الانبياء (وهما أساس الدين) إلى ما يمكن أن يتناوله بالبحث والتمحيص ، ويقرر أن العلم لا يستطيع أن يتناولها بالبحث والتمحيص ، وأنت تراه الآن ينقض ما قرره أولا ويعود فلا يكتفي بأن يطمع العلم في اخضاع الدين لبحثه ، بل يزعم أن له الحق في أن يضع الدين نفسه موضع البحث وقد فعل فهل رأيت كهذا التناقض والتخبط ؟

على أننا نصرف النظر عن هذا التناقض أيضاً ونسأله ماذا يقصد بالدين الذي يعده ظاهرة اجتماعية ؟ ويزعم أنه لم ينزل من السماء وانما خرج من الارض

فاذا كان يريد من الدين مجموع العادات والاحوال التي يكون عليها الناس في وقت من الاوقات فله أن يسمي هذا ظاهرة اجتماعية لا ننازعه ولا ندفعه عن ذلك وإذا أراد به التعاليم المعينة التي أرسل بها نبي من الانبياء إلى أمة من الامم فاننا لا نسلم له بذلك فان المعروف من تاريخ الديانات أن الآتين بها لاقوا من عنت أممهم وعدائهم ما لاقوا ، وكم ذاق الانبياء من أممهم صنوف العذاب والتنكيل ، وليس حديث موسى وهرون وما لقيا من عنت بني إسرائيل ، وليس حديث محمد صلى الله عليه وسلم وما لقي من أذى قومه بالذي يؤيد زعم الدكتور، ولو كان الدين المنزل ظاهرة اجتماعية اقتضتها روح الامم والجماعات ، كالثورة الفرنسية وغيرها من الثورات ، لثارت الامم له ولم تثر عليه ، ولجاءت به الجماعة لا الفرد ، ولكان اذا جاء به الفرد تلقته أمته بالتكريم والتبجيل لا بالتعذيب والتنكيل وهذا غير ما عرف من تاريخ الديانات :

أرجو أن يكون في هذا البيان شفاء لما عسى أن يكون قد علق بنفس القارىء من شبه الدكتور طه ووساوسه وأن يكون هذا البحث قد انتهى بنا إلى النتائج الصحيحة الآتية :

وهي أن الدين المنزل من عند الله لا سيما دين الاسلام ليس بينه وبين العلم من خلاف ولا خصومة ، وان الاسلام والعلم سيبقيان صديقين وفيين وحميمين متآلفين يتعاونان على خير الانسانية حتى يصلا بها إلى منازل السعادة والكرامة ويكون الناس بهما اخوانا على سرر متقابلين

***

كم أحب أن يفكر الدكتور طه في عاقبة طيشه وتهوره ، وكم أود أن يتروى في بحثه وفيما يكتب ، وألا يطير وراء الشهوات ، ولا ينخدع بما يقرأ له في كتب الفرنجة من الاباطيل والترهات ، وأن يتجنب الكلام في شئون الدين ويحتفظ لنفسه ان أراد أن يفتتن بآراء الملحدين ، إنه إن يفعل ذلك يعصم مصر من شر

مستطير ، وبرح نفسه من عناء كثير ، فليس الاسلام كالمسيحية وليست مصر كفرنسا . فالشرق كرمه ووداعته، والغرب تهوره وحدته ، ومصر وإن كانت كغيرها من بلاد الله جادة في حياتها العقلية فانها بالغة بفضل دينها وإيمانها وعزائم رجالها فوق ما بلغته الامم الاخرى التي تقدمتها ، فلئن كانت الامم الاخرى قد وجدت من دينها عقبة تمنعها من النهوض فاضطرت الثورة عليه ، فان مصر ستجد من دينها وتأييده لها على ما تحاوله من الآمال الشريفة خير عون وأقوى ظهير تركن اليه ، إن شاء الله

محمد أحمد الغمراوي

المدرس بمعهد أسيوط

ملحوظة — هذا البحث قدم الى جريدة السياسة الاسبوعية في يوم الخميس ٢٩ يوليو رجاء نشره كما نشرت مقال الدكتور طه حسين .

فوعدت وسوفت ثم أخلفت

(المنار) هذا يدل على أن السياسة لا تنشر أمثال تلك المقالات الالحادية من باب حرية النشر الواسعة بل هي لسان حال هؤلاء الملاحدة الاباحيين في هذا الباب ، كما أنها لسان حال حزب الاحرار الدستوريين في السياسة ، بل ظاهر إطلاقها أنها لسان حال هؤلاء يشمل هذا ولكننا نعرف منهم أفراداً أولي دين وعنى أن يحملوها على ترك الدعاية الالحادية أو ينفصلوا من حزبها محتجين

الصحة

تأليف	ترجمة
زعيم الهندوس الاكبر	الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
مهاتما غاندى	المليح آبادى

الباب السادس

—الجدري وهل هو من الامراض المعدية—

نبحث الآن في معالجة الأمراض المعدية . إن هذه الأمراض كلها ترجع الي أصل واحد مشترك ، ولكن بما أن الجدري له أهمية خاصة بينها نخصص لها بابا مستقلا وفي أخواته في باب آخر .

لقد اعتدنا أن نخاف كثيراً من الجدري لأوهام واهية نتوهمها فيه . فقد أخذنا في الهند نعبده كاله . والحقيقة أنه يتسبب من فساد الدم لارتباك في المعدة كبعض الأمراض الأخرى. فالسم الذي يجتمع فى البنية يخرج بصورة الجدري . وما دام هذا الرأي صحيحاً فليس هنالك أدنى محل للخوف منه . لو كان الجدري مرضاً معديا بالحقيقة لتعدى بمجرد مس المريض . ولكن الواقع ليس كذلك دائما . والحقيقة أن لمس المريض لايضر اذا اتخذت بعض الاحتياطات الضرورية . نعم نحن لانستطيع أن نقول ان الجدري لايتعدى باللمس مطلقاً ، فالذين هم في حالة جسدية ملائمة لانتقاله ينتقل اليهم . وهذا هو السبب في انتقال الجدري الى الآخرين اذا ظهر في جهة من الجهات . وهذا الذي وسع المجال للوهم بأنه مرض معد . ومن هذا أتى تضليل الناس باقناعهم بأن اللقاح طريقة مؤثرة لمنعه . ان اللقاح عبارة عن حقن سائل الجدري الذي يستحصل من ثدي

البقر [١] بعد أن يدخل في ثديها مادة الجدري . لقد كانت الفكرة القديمة هي بأن اللقاح مرة واحدة يحفظ الانسان من هذا المرض طول العمر ، ولكن لما وجدوا أن الملقحين أيضاً يصابون به عدلوا عن تلك الفكرة وأخذوا يقولون بأن التلقيح يجب أن يعاد بعد كل زمن معين · وعلى هذا قد جرى عامة الناس الآن سواء كانوا ملقحين أم غير ملقحين . فانهم يلقحون أنفسهم كلما انتشر هذا المرض في إحدى الجهات . ولذلك ليس بعجيب أن نرى الآن أناساً قد لقحوا بضع مرات

ان التلقيح عمل همجي ومكيدة من أكبر المكائد التي انتشرت في أيامنا والتي لاتوجد حتى في الامم التي نسميها متوحشة [٢] . ان المدافعين عن التلقيح لم يكتفوا بأولئك الذين لايرون أي اعتراض إزاءه . بل قد اجتهدوا ولا يزالون يجتهدون في اجرائه على جميع الناس بالقوانين التعزيزية والعقوبات الاجبارية الصارمة . ان عملية اللقاح ليست بقديمة العهد بل قد ابتدأت من سنة ١٧٩٨ م ولكن في خلال هذه المدة الوجيزة من الزمن قد سقط الملايين من الناس فريسة للوهم القائل بأن الذين يلقحون أنفسهم يسلمون من الجدري . لايستطيع أحد أن يدعي أن الذين لايلقحون لابد من أن يهاجمهم الجدري . لأنه قد وجدت أمثلة كثيرة لغير الملقحين لم يصابوا به قط . وكذلك لايصح أن يستنتج من اصابة غير الملقحين بالمرض أنهم لو لقحوا لسلموا منه .

على ان التلقيح عمل وسخ للغاية لأن المصل الذي يدخل في الجسم الانساني لايحتوي على مايخرج من البقر فقط بل كذلك يكون قيحاً حقيقياً للجدري . ان الرجل العادي ليتقيأ بمجرد النظر الى هذا الشيء . واذا تلوثت يده بهذه المادة يغلسها حالا بالصابون ، ولو طلب منه أن يأكله لنفر وغضب غضباً شديداً . ولكن الذين يرضون بالتلقيح لايفهمون بأنهم في الحقيقة يأكلون هذا

(١) المعروف أنه يستخرج من مادة الجدري نفسها لامن لبن البقر فقط ولعل الذي بغضه اليه استخراجه من البقر المقدس وقد يوجد من قومه من يعتقد ان ما يؤخذ من البقر ينفع لقداستها ، وعند الهندوس شجر مقدس يعتقدون انه يشفي من الجدري ، رأيته في بنارس (٢) من غرائب شذوذ المؤلف استشهاده بالامم المتوحشة وأغرب منه جعلها غاية بقوله : حتى ... والموضوع عمل مدني فني ! !

الشيء الوسخ بعينه ![1] يعرف كثير من الناس بأن الأدوية والاطعمة الرقيقة تحقن في كثير من الامراض في الدم فتنحل في البدن بسرعة أكثر مما لو أكلت بالفم. وكل ماهنالك من الفرق بين الحقن والأكل العادي بالفم بأن الأول يمتزج حالا بينما الثاني يمتزج ببطء . ولكن مع هذا نحن لانتردد في تلقيح أنفسنا . قد قيل حقاً « ان الجبان يموت مرات كثيرة قبل موته » كذلك تهافتنا على التلقيح بسبب خوفنا من الموت أو من تشويه الجدري لوجوهنا .

وأنا لا أملك دفع الشعور بأن التلقيح هتك لاحكام الدين والاخلاق معاً . ان شرب الدم وان كان من البهائم المذبوحة يمقته أشد المقت حتى أولئك الذين يأكلون اللحم عادة ! وليس التلقيح دم حيوان حي معصوم بعد تضميمه ؟ فما أجدر الذين يخشون الله بأن يقعوا فريسة للجدري ويموتوا موتاً مريعاً من أن يرتكبوا جناية خسيسة مثل هذه الجناية !

لقد اكتشف بعض المفكرين في انكلترا بعد تحقيق دقيق المضار المتنوعة للتلقيح ، وقد أسست جمعية هنالك ضد هذا العمل تسمى بـ Anti -Vaccination Soiety وأعلن أعضاء هذه الجمعية حربا علنية على التلقيح ورضوا بأن يدخلوا السجون عوضا من أن يخضعوا له أو يسكتوا عليه . ان اعتراضاتهم على اللقاح تتلخص فيما يأتي :—

(١) ان تجهيز المادة من ثدي البقر والعجل يوجب عذابا أليما على ألوف من المخلوقات المعصومة . وهذا لايمكن أن يجوز مهما كانت فوائد التلقيح كبيرة .

(٢) ان التلقيح عوضا من أن ينفع يجلب ضرراً كبيراً لانه يسبب أمراضا كثيرة جديدة حتى ان المدافعين عنه أيضا لايستطيعون أن ينكروا أن أمراضا كثيرة جديدة قد ظهرت بعد شيوعه .

(٣) ان المادة التي تستحصل من دم المصاب بالجدري قد تحتوي على ميكروبات لامراض مختلفة كامنة في المريض فينقلها الى السليم الذي يلقح به .

(٤) ليس هنالك أي ضمان يضمن أن لا يصاب الملقح بالمرض فالدكتور جينر Jenner

---

(١) هذا الكلام من المنفرات الشعرية لا من القضايا العلمية

مخترع القاح زعم في أول الامر أن الصيانة التامة تحصل بلقاح واحد في ذراع واحد . ولما ثبت بطلان هذا قالوا ان القاح على الذراعين يحصل به المقصود . ولما ثبتت خيبة هذا الرأي أيضا أخذوا يزعمون أن الذراعين كليهما يلقحان في أماكن متعددة ويجدد التلقيح في كل سبع سنين . وقد نقصوا أخيراً أمدة هذه الصيانة الي ثلاث سنين ! فكل هذا يثبت أن الاطباء أنفسهم ليسوا بمتفقين في المسألة . والحق ما بيناه آنفا وهو أنه ليس هناك قول بأن الملقح لا يصاب بالجدري . أو أن جميع أحوال الصيانة انما هي نتيجة التلقيح .

(٥) ان المادة جوهر وسخ ومن الحق الاقتناع بأن وساخة تزيل وساخة أخرى

فبهذه وغيرها من الدلائل قد حولت هذه الجمعية رأي جم غفير من الناس ضد القاح . يوجد في انكلترا بلد يرفض أكثر أهاليها التلقيح ، ولكن مع ذلك قد أثبتت الاحصاءات بأنهم سالمون من المرض بطريقة عجيبة[1] ان الحق الصراح هو أن المنافع الشخصية للاطباء هي التي تحول دون نسخ هذا العمل الوحشي ؛ فانهم لخوفهم من ضياع ايراد كبير يحصلونه الآن من هـذه الطريقة قد عموا عن الشرور الكثيرة التي تنجم من هذا العمل الشنيع ! ولكن هنالك من الاطباء من اعترفوا بهذه الشرور وهم ألد الخصوم للتلقيح .

لاريب أن الذين يمقتون التلقيح مسوقين من قبل وجدانهم هم الذين يملكون الجرأة على أن يقابلوا جميع العقوبات التى يصبها عليهم القانون بقلب ثابت، وان دعت الضرورة يقفون وحدهم أمام جميع الدنيا للمدافعة عن معتقدهم . ان الذين يتحرزون من التلقيح لاسباب صحيـة فقط يجب أن يحققوا تحقيقاً تاما في المسألة حتى يتأهلوا لاقناع الآخرين بصحة أفكارهم ويسوقوهم إلى العمل بها . ولكن الذين ليست لهم أفكار معينة في المسألة أو ليست فيهم الجرأة الكافية للمدافعة

---

(١) الانكليز شعب محافظ متدين ولما كشف لقاح الجدري وسنت الحكومة قانونا للعمل به قاومها الذين حرموه تحريما دينيا كما يحرمه غاندى اليوم فاضطرت الى وضع مادة في القانون تستثني من يعتقدون حرمته من إكراههم عليه وبقي هذا التقليد الى اليوم

عن عقائدهم فلا ريب أنه يجب عليهم الخضوع لقانون الحكومة ، والاولى لهم مجاراة الوسط الذي يعيشون فيه .

ان الذين يتحرزون من التلقيح يجب أن يراعوا بكل قوة أصول الصحة التي قد بينت في هذا الكتاب . لان المراعاة التامة لهذه الاصول هي التي تحفظ في الجسم تلك القوى الحيوية التي تزاحم ميكروبات جميع الامراض ، وتكون أحسن وقاية من الجدري وغيره من الامراض . ولكنهم ان كانوا أثناء مخالفتهم لادخال المادة السامة — التي هي اللقاح — في أجسامهم يسلمون أنفسهم للسم الذي هو أكبر من هذا السم — أي سم الشهوة والفسوق — فانهم بلا ريب يحرمون أنفسهم من قبول الناس لافكارهم .

علاج الجدري : —

اذا ظهر الجدري على الجسد ظهوراً تاما فأحسن علاج له هو « ويت — شيت — باك » الذي يجب أن يستعمل كل يوم على الاقل ثلاث مرات ، فانه يزيل الحمى ويشفي الجروح بسرعة ، وليس هناك حاجة لاستعمال الزيوت أو الدهان فوق الجروح . نعم اذا أخذت البثور تنشف فزيت الزيتون يستعمل دائما ويستحم المريض كل يوم . هكذا تسقط القشور بسرعة وتزول البثور سريعاً ، ويستعيد الجلد لونه الطبيعي ورونقه .

يجب أن يكون غذاء المجدور من الرز والثمار الطرية الخفيفة مع عصير الليمون ويجتنب جميع الثمار الثقيلة مثل التمر والموز . ان الجروح عامة تأخذ في الاندمال تحت تأثير « ويت — شيت — باك » في أقل من أسبوع ، وان لم يحصل ذلك فمعناه أن السم لا يزال في الجسم ولم ينفجر تماما ، فعوضاً من أن نعد الجدري مرضاً فعلينا يجب أن نعده كأحسن علاج من الطبيعة لاخراج السم المجتمع من الجسم لتبقى الصحة كأحسن ماينبغي .

اذا شفي الجدري فالمجدور يبقى ضعيفاً لمدة من الزمن وفي بعض الاحوال يصاب بأمراض أخرى . ولكن هذه الامراض لاتكون نتيجة الجدري نفسه ، بل المعالجات الخاطئة التي تستعمل له ، وكذلك استعمال الكينا في الحمى قد يوجب

الصم وقد يقود إلى أشد أشكاله وهو يعرف بـ « Quininism » (بالكينينسم) وكذلك الزئبق في الامراض التناسلية يسوق الى أمراض كثيرة جديدة. وهكذا الاكثار من شرب المسهلات في الامساك يحدث أمراضاً كالبواسير . ان الطريقة الوحيدة المؤثرة في المعالجة هي تلك التي تزيل الاسباب الاساسية للادواء بمراعاة قوية للقواعد الاساسية الصحية حتى إن الجواهر المحرقة التي تعد علاجا ناجعاً حتمياً لمثل هذه الادواء مضرة جداً في الحقيقة . لانها وان كانت تعد نافعة بادي الرأي فانها تحرك دواعي الشر وتقضي في الاخير على الصحة

اذا عولج الجدري بالطريقة الساذجة الطبيعية التي ذكرناها آنفاً فهي لا تزيل المرض فحسب ، بل تجعل المجدور في مأمن منه الى آخر العمر[1]

الباب السابع

— الامراض المعدية الاخرى —

نحن لا نخاف من الحماق كما نخاف من أخيه الجدري . لأنه أقل خطراً على النفس وأقل تشويهاً للوجه منه . مع أنه الجدري بعينه في شكل آخر . ولذلك تجب معالجته بنفس تلك الطريقة التي يعالج بها الجدري :

الطاعون وعلاجه الغدّي

ان الطاعون الغدي مرض خطر ، وقد سبب موت الملايين من اخواننا منذ دهم بلادنا سنة ١٨٩٦ م ، ولم يهتد الاطباء الى الآن مع عظيم جهدهم الى علاج ناجع له ، وقد راجت في هذه الايام عملية التلقيح له أيضاً رواجاً عظيما ، وتأصل

(١) المنار : لاشك في ان غلو غندهي في تقبيح تلقيح الجدري سببه الشعور الديني كبعض متقدمي الانكليز ومتاخريهم . وفقهاؤنا ناطوا الحكم بالاطباء الثقات والحق ان المسالة لاعلاقة لها بالدين وانما هي كغيرها من أمور الطب والعلاج منوطة بالاطباء فان اختلفوا في أمر فالعاقل يعمل بما هو الاحوط ، والاطباء عندنا متفقون على نفع التلقيح، وقلما نري أو نسمع ان أحداً تضرر منه فهو إذا لم ينفع لا يضر — هذا هو المعروف المجرب والنادر لا حكم له

في النفوس الاعتقاد بأن حملة الطاعون يمكن الامن منها به ، ولكن التلقيح للطاعون رديء واثم مثل تلقيح الجدري ، إذا وان كنا نعلم أنه لم يعرف لهذا الداء علاج ناجع الى الآن نتجرأ على اقتراح العلاج الآتي لاولئك الذين يثقون ثقة مطلقة بالخالق سبحانه[1] والذين لايخافون من الموت . وهو :

(١) استحمام « ويت — شيت — باك » بمجرد ظهور علائم الحمى .

(٢) وضع اللبخة الطينية الغليظة على الغدة .

(٣) تجويع المريض تماما .

(٤) ان أحس المريض بالعطش يسقى عصير الليمون في ماء بارد .

(٥) ينوم المريض في هواء طلق .

(٦) يجب أن لايكون بجنبه أكثر من مرض واحد .

يمكننا أن نقول بكل ثقة إنه ان كان هذا الداء الوبيل يتأتى الشفاء منه بعلاج ما فهو هذا العلاج .

إنه وإن كان المصدر الحقيقي لهـذا المرض غير معلوم الى الآن ، لا يمكن أن ننكر أن للفيران أثراً مهما في انتشاره ، فعلى هـذا يجب أن نتخذ جميع الاحتياطات في الجهة التي دخل فيها الطاعون لمنع دخول الفيران فيها ، وان عجزنا عن التخلص منها فلنهجر البيوت .

ان أمثل طريقـة لصد هجوم الطاعون هي المراعاة التامة لاصول الصحة : المعيشة في هواء طلق ، وأكل غذاء جيـد خفيف بالاعتدال ، والتريض برياضة جيدة ، وجعل البيت نظيفًا ، وترك جميع العادات القبيحة ، وبالاختصار جعل الحياة ساذجة طاهرة من كل الوجوه — يجب أن تكون حياتنا دائما كذلك ولكن في أيام الطاعون وغيره من الاوبئة يجب أن نضاعف الاحتياط .

الطاعون الرئوي والهيضة

إن الطاعون الرئوي لاشد أنواع هذا المرض خطراً فيكون هجومه بغتة وخطرا

(١) هذه معالجة فنية كالمعالجة بالتلقيح فلماذا جعلها خاصة بالمتوكلين على الله دون الاخرى التي يعدها من ضعف الايمان أو فقده؟ لعل دين الهندوس يفرق بينهما

على الدوام . يصاب المريض بحمى شديدة ويجد صعوبة كبيرة في التنفس وفي اكثر الحوادث يغمى عليه . وقد انتشر هذا القسم من الطاعون في افريقية الجنوبية سنة ١٩٠٤ وقد قلنا فيما سبق [1] إنه لم يسلم من ٢٣ اصابة به الا رجل واحد . وأما علاج هذا الطاعون الرئوي فمثل علاج الطاعون الغدي تماما ، الا أن اللبخة تستعمل في الاول في الجانبين من الصدر . ان كان ليس هنالك فرصة لاستحمام « ويت شيت باك » فيجب أن تربط اللبخة الطينية على الرأس . ولا حاجة الى التنبيه - في شأن هذا المرض وغيره - أن الوقاية خير من المداواة على كل حال

نحن نخاف من الهيضة (الكولرا) مثل ما نخاف من الطاعون. ولكنها في الحقيقة أقل خطراً من الطاعون بكثير . إن استحمام « ويت شيت باك » ليس بنافع في هذا المرض ولكن اللبخة الطينية تستعمل على البطن . وأما الاعضاء التي تتشنج ويحس فيها بوخزات آلمية فتدفأ بقنينة مملوءة بماء ساخن . وتفرك الارجل بزيت الخردل ويجوع المريض . والحذر كل الحذر من أن يجزع المريض ان كان الاسهال كثيرا جدا ولا ينبغي أن يقوم المريض كل مرة من فراشه بل يضع تحت السرير وعاء البراز ان اتخذت هذه الاحتياطات في الوقت اللازم تماما فالخطر هناك قليل .

ينتشر هذا المرض في أيام الحر عند ما نأكل عامة الثمار الفجة أومقادير كبيرة زيادة على أكلنا الاعتيادي من الناضجة . والماء الذي نشرب في هذا الفصل يكون أحيانا وسخا ، لانها تقل كميته في الآبار والاحواض والمناقع في هذه الايام ونحن لانحب أن نكلف أنفسنا غليه أو تقطيره . ثم إن الذي يزيد المرض انتشاراً هو ترك براز المريض مكشوفا فتنتشر جراثيمه في الهواء . لاشك أننا عند ما نتفكر في قلة اهتمامنا بهذه الحقائق والاصول الاولية يجدر بنا أن نستغرب كون مهاجمة هذه الأمراض والاوبئة الخطرة لنا دون تعرضنا لاسبابها .

يجب أن نأكل قليلا ونقتصر على المأكولات الخفيفة اذا انتشر هذا الوباء وأن نملك شهوتنا تماما ونستنشق كمية كبيرة من الهواء النقي ونغلي الماء الذي نشربه الى درجة الفوران ونصفيه في قماش غليظ نظيف . ويجب أن نغطي براز المريض

(١) راجع الباب الرابع من القسم الثاني

بتراب أو رماد كثير جاف مثل ماينبغي ذلك في الاحوال العادية. ان فعلنا كل هذا فيكون هناك خطر قليل جدا لانتشار الهضبة(الكولرا) إن الحيوانات الدنيئة مثل القطط تعمل هذا الاحتياط دائما ، ولكننا نحن معشر البشر أصبحنا أحط منها في هذا الشأن.

وأني أؤكد بكل قوتي المصابين بالامراض المعدية والذين يعيشون حولهم بأنه لاينبغي لهم أن يوسعوا المجال للخوف والجزع على أنفسهم في حال من الاحوال لأن الخوف يشل الاعصاب ويزيد خطر الهلاك :

باب الانتقاد على المنار

كعب الاحبار ووهب بن منبه

في انتقاد الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجعجوني علينا في جرحنا لكعب الاحبار ووهب بن منبه أغلاط وآراء غير صحيحة لو أردنا أن نبينها كلها بالتفصيل لأخذنا من صحائف المنار مالا يسمح لنا به جمهور القراء. فانه أطال الكلام فذكر انتقاده الأول وردنا عليه وتاريخ نشره ، وأعاد بعض عباراتنا وعباراته كما أعاد ذكر شبهته على ضرر جرح الحبرين بانه يثير شبهات الملاحدة على الاسلام وهو لاشتغاله بالزراعة كما قال لم يختبر في هذا الموضوع بعض اختبارنا في ثلث قرن قضيناه في معالجة هذه الشبهات ومناظرة هؤلاء الملاحدة وأمثالهم من خصوم الاسلام والرد عليهم قولا وكتابة . وقد ثبت عندنا أن روايات كعب ووهب في كتب التفسير والقصص والتاريخ كانت مثار شبهات كثيرة للمؤمنين لا للملاحدة والمارقين وحدهم ، وأن المستقلين في الرأي لايقبلون قوله أن كل من قال جمهور رجال الجرح والتعديل المتقدمون بعدالته فهو عدل وإن ظهر لمن بعدهم فيه من أسباب الجرح مالم يظهر لهم

وأنا لا أتكلم فيما أطال به من المباحث الخارجة عن الموضوع ولا في الاقوال والنقول في توثيق جمهور رجال الجرح والتعديل للحبرين كعب ووهب حتى النقل عن المعاصرين الذين ليسوا منهم كالقاسمي والخولي والخضري وما يتعلق بذلك من مدح بعض الافراد أو الكتب الذي لاأنازعه فيه وإن لم يكن كله مقبولا عندي وانما أتكلم في أهم ماجاء به المنتقد في مقاله الاخير من تخطئتي في الموضوع والاستدلال عليه فأقول :

﴿ الانتقاد الاول ﴾

عبارة الحافظ الذهبي في كعب « وله شيء في صحيح البخاري وغيره » ووقع في قولنا وليس له شيء . ولا ندري الآن كيف وقع ذلك هل نقلناه من كتاب آخر أو سبق به القلم لما هو معلوم عندنا من ان البخاري لم يرو عنه شيئا في صحيحه ؟ ومهما يكن من السبب فاننا نعترف بأن الذي في تذكرة الحفاظ هو الاثبات كما ذكره

﴿ الانتقاد الثاني . رمي معاوية لكعب بالكذب ﴾

اعترف المنتقد بان مارواه البخاري عن معاوية من قوله أنهم كانوا يبلون (أي يختبرون) الكذب على كعب الأحبار هو طعن شديد في عدالته ، اذا أخذ على ظاهره ، وقد رده بما يأتي

(١) ادعى أن الصواب في العبارة أنها ثناء عليه بدليل مانقل عنه في تهذيب التهذيب (أي معاوية) من قوله فيه : ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنا فيه لمفرطين .

ووجه الاستدلال بهذا عند المنتقد ان بين هذا القول وذلك القول تناقضا بين عبارتي « خليفة من خلفاء الاسلام وصحابي من أكابر الصحابة هداة الأنام ، مشهور بحصافة الرأي ومعروف بالبلاغة » الخ ماقاله في تعظيم معاوية مما يكاد يجعله به معصوما من الخطأ مع إجماع أئمة السنة والشيعة على أنه كان باغيا على أمير المؤمنين علي المرتضى وترتب على بغيه عليه سفك دماء غزيرة وفتن ومعاص لم يخلص المسلمون من شرها إلى هذا اليوم والظاهر أنها ستبقى إلى يوم القيامة

نعم يقول المتكلمون إنه كان في بغيه متأولا لامتعمداً وقد نقلوا من تأوله أنه لما احتج عليه بالحديث الصحيح في عمار بن ياسر « تقتله الفئة الباغية » قال أنما قتله من أخرجه ! ! فرد عليه أمير المؤمنين علي لما بلغه ذلك أن رسول الله (ص) هو الذي قتل عميه حمزة وجعفرا وغيرهما من شهداء بدر وسائر الغزوات

فهذا استطراد تقابل به استطراده في مدح معاوية بغير مناسبة لغرضه

والجواب عن هذا الفهم الغريب الذى قواه بالاطراء والثناء هو أن العبارتين لاتناقض بينهما كما فهم ، ففي كل منها اعتراف بأن كعباً كان ذا علم كثير وثبوت العلم الكثير لايقتضي نفي الكذب فكم من عالم كان أعلم من كعب الأحبار وكان يكذب . إن علم كعب كان جله عندهم مايرويه عن التوراة وغيرهامن كتب قومه وينسبه اليها ليقبل ولاشك في أنه كان من أذكى علماء اليهود قبل إسلامه وأقدرهم على غش المسلمين بروايته بعده. ومن كبار علماء التفسير الذين رماهم المحدثون بالكذب السدي الصغير - وكذا الكبير - والكلبي وأمثالهم كثيرون . والاستاذ المنتقد نسي ماقاله العلماء في تعريف التناقض وشروط تحققه أولم يقرأ المنطق ، فان كان معاوية معصوما منه فهذه العصمة لاتخدش ما فهمه هو من عبارتيه، وهما لاتدلان عليه

(٢) قوله ان العبارة المذكورة لاتصلح من حيث تركيبها العربي دليلا على أقل ألفاظ هذا التجريح قال «فان إسناد الكذب فيها الى الكتاب » باعتبار مافيه من التبديل أقرب من إسناده إلى « كعب » كما قرره شراح البخاري « ولانه أقرب مذكور » ثم ادعى أن جميع شراح البخاري فهموا من هذه العبارة توثيق معاوية لكعب (!!) « وأن الخليفة ابتلى الكذب على الكتاب نفسه لما فيه من التحريف والتبديل بناء على عود الضمير الى أقرب مذكور» وليس الأمر كذلك

استدل المنتقد على هذه الدعوى بعبارة نقلها عن فتح البارى في شرحه لكلمة معاوية فتصرف فيها كما يشاء وهي لاتدل على دعواه ولا توضحه كما ادعى وانما هي عبارة عن تفسير لفظ الكذب بقول الحافظ « أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف مايخبرنا به » ولكن زاد عليها المنتقد « فلفظ يقع يدل على أن المخبر به أمور من قبيل مايسمونه ملاحم ولا علاقة لذلك بأمر الدين الاسلامي »

أقول هذا فهم غريب جداً جداً فاننا لانعلم أن أحداً من علماء اللغة فسر كلمة يقع بما فسرها به ، فمن اين جاءته هذه الدلالة ؟ أما والله إن من يفهم مثل هذا الفهم ويكتبه في انتقاد علمي ليس جديراً بأن يرد عليه في شيء

قال المنتقد بعد هذا : ثم نقل الحافظ ابن حجر عقب رأيه الشخصي المذكور عبارة

ابن التين على طولها وعبارة ابن حبان في توثيق كعب بما يقرب من هذا المعنى اه

وأقول الحق أن عبارة ابن التين قصيرة لا طويلة وهذا نصها : وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور : بدل من قبله فوقع في الكذب (قال) والمراد بالمحدثين أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يحدث عنهم ، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها ، إلا أن كعبا كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه . وقال ابن حبان في كتاب الثقات : أراد معاوية أنه يخطيء أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا اه

وأقول إن عبارة الحافظ وعبارتي ابن التين وابن حبان لا يدل شيء منها على ما ادعاه المنتقد وأورد العبارات لتأييده وتوضيحه وهو أن نص عبارة معاوية العربي لا يدل على وصفه بالكذب بل يدل على الثناء عليه وتوثيقه لأنه يتعين أن يكون قوله نبلو عليه الكذب للكتاب لا لكعب ، وانما هي إيراد احتمال في سبب الكذب وتسميته خطأ ، ولكن الحافظ نقل احتمال عود الضمير الى الكتاب عن مجهول وعن القاضي عياض صحة الوجهين وسيأتي ما فيهما

ثم قال المنتقد : « أما القسطلاني فابتدأ شرح الموضوع بتوجيه الاحتمالين في مرجع الضمير مباشرة ثم نقل عن الحافظ ابن الجوزي المعروف بتشدده في التعديل ما نصه توثيقا « يعني أن الكذب فيما يخبر به عن أهل الكتاب لا منه . فالأخبار التي يحكيها عن القوم يكون في بعضها كذب ، فأما كعب الاحبار فمن خيار الاحبار » وكذا عبارة العيني والكرماني والسندي وهو آخر من كتب على البخاري فيما نعلم » اه

أقول هذا الذي عزاه الى القسطلاني أيضاً تلبيس وايهام ، وأجله عن تسميته كذبا ككذب كعب الاحبار ، فالمقام مقام ايراد شواهد على ما ادعاه من كون عبارة معاوية لا تدل بنصها العربي على إسناد الكذب اليه بل تدل على إسناد الكذب الى الكتاب لانه أقرب مذكور (!) والقسطلاني لم يوجه الاحتمالين فى مرجع الضمير مباشره كما فهم خطأ أو ادعى . . وانما جزم برجوع الضمير الى كعب وذكر رجوعه الى الكتاب بصيغة التمريض « قيل » لانه ضعيف بل غلط وهذا نص عبارته « الضمير المخفوض بعلى يعود على كعب الأحبار يعني أنه يخطيء فيما يقوله

في بعض الاحيان ، ولم يرد انه كان كذابا ، كذا ذكره ابن حبان في كتاب الثقات. وقيل ان الهاء في « عليه » راجعة إلى الكتاب من قوله : ان كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب . قال القاضي عياض وعندي انه يصح عوده على كعب أو على حديثه ، وان لم يقصد الكذب أو يتعمده كعب إذ لا يشترط في الكذب عند أهل السنة التعمد بل هو إخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه ، وليس في هذا تجريح لكعب بالكذب اه ثم ذكر بعدها عبارة ابن الجوزي المارة

فظهر بهذا ان القسطلاني جزم بأن الضمير يعود على كعب خلافا لما قال المنتقد وأنه تبرأ من قول ابن حبان بأن معاوية لم يرد بقوله انه كان كذابا لقوله : كذا قال ابن حبان ، وان نص القاضي عياض ليس فيه احتمال عود الضمير إلى الكتاب بل هو راجع إلى كعب نفسه أو إلى حديثه المفهوم من فعل يحدثون . إذاً لم يقل باحتمال عوده إلى الكتاب إلا ذلك المجهول الذي عبر عنه الحافظ بقوله « وقال غيره » بعد عبارة ابن حبان ، وقال القسطلاني في حكايته : (وقيل)

والقول الفصل في هذه المسألة ان المتبادر من عبارة معاوية الذي يفهمه كل من يعرف اللغة العربية من إطلاقها ان الضمير راجع الى كعب الاحبار نفسه كما فسرها ابن حجر والقسطلاني والجمهور ، وذلك أن الكتاب لم يذكر في العبارة عمدة مستقلا فيعود عليه الضمير ، وانما ذكر مضافا اليه كلمة أهل ، فأهل الكتاب هم العمدة في العبارة ، وانما قاله مجهول لا قيمة لقوله لمخالفته للمتبادر الذي جرى عليه الجمهور ، وهذا يدحض دعوى المنتقد ان عبارة معاوية لا تدل بنصها العربي الا على عود الضمير على الكتاب ودعواه ان الجمهور جروا على هذا ، والسياق يقتضي أن تكون كلمة معاوية في ابتلاء الكذب عليه استدراكا على ما قبلها اذ قال : الا اننا كنا نبلو عليه الكذب ـ ولا معنى لهذا الاستثناء على القول باحتمال عود الضمير الى الكتاب

غاية الامر ان هؤلاء الشراح لما كانوا مقلدين لمن عدل كعبا من رجال الجرح والتعديل أوّلوا عبارة معاوية بما علمت من كونه غير متعمد للكذب اذ كان ناقلا له عن غيره — وانه كان مخطئا لا كذابا الخ وهذه غفلة منهم عن الواقع وهو أنه

كان يزعم أنه ينقل عن الكتاب نفسه لأنه قرأ الكتب وما كان حبراً عنداليهود الا بذلك ولم يكن راوياً لها عن غيره على أن التأول له بتسمية الكذب خطأ جرح له ينافي صحة روايته ولكن لايقتضي أنه وضاع كما أثبتنا بالدليل

(٣) ادعاؤه ان غرض معاوية مما ذكره للقرشيين في سياق الكلام عن رواة الاسرائيليات « ارشادهم الى الثقة بما صح سنده الى كعب مما حدث به عن كتب أهل الكتاب القديمة » الخ

وضرب المنتقد مثلا لذلك ما نقله عنه الحافظ في الفتح ان النبي صلى الله عليه وسلم موصوف في التوراة بصفة واضحة حيث قال في السطر الاول منها « محمد رسول الله عبدي المختار مولده بمكة ومهاجره المدينة وملكه بالشام »

أقول ذكر المنتقد في دعواه هذه مسألة الثقة بما صح سنده عن كعب مبنية على ما سيأتي التنبيه عليه من ادعائه ان كل ماينتقد من المرويات عنه فآفته الرواة عنه ، وهذه القاعدة لم تكن مما يخطر ببال في معاوية اذ كان معاصراً لكعب وسمع منه هو وأهل عصره ، ومن لم يسمع مروياته من اولئك القرشيين منه فقد سمعها ممن سمعها منه ، ولم يكن هذا يسمى سنداً ولا كان في زمن معاوية شيء من هذا الاصطلاح ولا من هذا البحث . وسياق الكلام يأبى هذه الدعوى كما يأبى ماقبلها وهو ان معاوية ذكر عبارته عند ذكر كعب فالكلام فيه لا في الكتاب وقد فضله على غيره من المحدثين عن أهل الكتاب وجعل قوله « وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » غاية واستدراكا على تفضيله على غيره منهم كما أشرنا اليه في المسألة الثانية من هذا الانتقاد

هذا وان ما اعترف المنتقد بصحته من رواية كعب عن التوراة من وصف النبي (ص) كذب على التوراة أيضاً وبمثلها كان يخدع المسلمين ، ولو كانت هذه العبارة في التوراة لرواها من أسلم على يدي النبي (ص) من أحبار اليهود كعبد الله ابن سلام وجماعته (رض) ولنقلت بالتواتر ولكان لها شأن عظيم ، اذ لا يمكن للمعاندين تأويلها كما أولوا البشارات غير الصريحة بهذا المقدار

(٤) قد افتات المنتقد على البخاري كما افتات على معاوية في بيانه لغرض كل منهما : غرض هذا من عبارته وغرض ذاك من ذكرها في ترجمة الباب الذي عقده

للنهي عن سؤال أهل الكتاب عن شيء . قال ان غرض البخاري يؤخذ من قول العيني في مطابقة عبارة معاوية لترجمة الباب وهو « مطابقته للترجمة في ذكر كعب الاحبار الذي كان يتحدث من الكتب القديمة ويسأل عنها أحبارهم » قال المنتقد ومنه يعلم ان غرض البخاري هو الاحتجاج بكعب الاحبار في دفع التعارض بين النهي في الترجمة بقول النبي (ص) « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » وبين الامر في قول الله تعالى (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) بأن كعبا كان ممن يسألون لأنه قرأ الكتاب من قبل ثم أسلم . . . والنهي كان عن سؤال من لم يسلم، وقد جعل المنتقد هذا الاستنباط الباطل أدل على توثيق البخاري لكعب من روايته عنه التي اعتذر عنها بعدم توفر السند الصحيح اليه كما تقدم في مقاله

أقول : عبارة العيني لا تدل على ما استنبطه منها فان الباب كله في النهي عن أخذ شيء عن أهل الكتاب لأن شرع الاسلام ناسخ لشرعهم ولأن نبي الاسلام خاتم النبيين ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعه كما صح مرفوعا ، ولانهم لا يهدون المسلمين وقد ضلوا ، كما في أحاديث الباب وما ذكروه في شرحها ، والظاهر أن غرض البخاري من إيراد عبارة معاوية تأكيد عدم الثقة بما ينقل عنهم حتى إن كعباً الذي كان يعد من أصدق المحدثين عنهم كانوا قد اختبروا عليه الكذب أي فكيف يوثق بما ينقله غيره عنهم ؟ ولا ينافي هذا ما ذكره بعضهم من الاعتذار عن كذب روايته بان سببها كذب من أخذ عنهم لا كذبه هو .

هذا وإن البخاري لم يذكر في هذا الباب قوله تعالى (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فيصح قوله إنه أراد الجمع بينه وبين حديث الترجمة وإنما ذكره الحافظ في آخر الكلام عليها من الفتح استطرادا لمناسبته للموضوع فلا يدل ايراده له على شيء مما استنبطه المنتقد بفهمه الغريب للكلام

والتحقيق أنه لا تعارض بين الآية والاحاديث فيحتاج إلى الجمع بينهما وأن هذا الجمع على تقدير التعارض غير صحيح

أما الأول فان الأمر بسؤال أهل الكتاب في آية يونس ليس أمراً تكليفياً لا يخرج النبي (ص) من عهدته الا بسؤالهم فيقال انه أمره بسؤال من آمن منهم ، بل

هو أمر في معنى الخبر مبني على فرض المحال وهو شك النبي (ص) في الوحي الذي أنزل اليه مطلقا أو في قصة موسى من سورة يونس الذي أنزل في آخرها (١٠ : ٩٤ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ، لقد جاءك في هذه الحق فلا تكونن من الممترين) فهذا التعبير يراد به أن ما في هذه السورة من قصة موسى معروف عند أهل الكتاب في كتابهم بحيث لو سئلوا عنه لما استطاعوا إنكاره : وقد ورد في التفسير المأثور عن ابن عباس (رض) أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يشك ولم يسأل ، وروي هذا مرفوعا أيضا : وبعض المفسرين أورد فيها وجوها أخرى للتفصي من جعل هذا الامر بسؤالهم على ظاهره ، وليس هذا بمحل لاستيفاء تفسيرها

وأما الثاني فلأن هذه الآية كالسورة التي أنزلت فيها مكية ولم يكن في ذلك الوقت أحد من اليهود قد أسلم فيصح الجمع الذي قيل والامر حقيقته الحال

﴿ الانتقاد الثالث جعله كعبا من رجال البخاري ﴾

نقلنا عن تهذيب التهذيب قول الحافظ ابن حجر إن صاحب التهذيب أخطأ في وضعه علامة البخاري وهي حرف (خ) عند ذكره لأنها تدل على رواية البخاري عنه في صحيحه وهو لم يرو عنه شيئا وانما ذكر ما قاله فيه معاوية - فزعم المنتقد أن هذه التخطئة من الحافظ في غير محلها واستدل على ذلك بما استنبطه هو من كون عبارة معاوية توثيقا لكعب وكون البخاري أراد بذكرها بيان هذه الثقة به كما تقدم آنفا . وعد هذا الفهم منه احتجاجا من البخاري بكعب وقال : وباعتبار أن البخاري اعتمد في كتابه على الرواة والمحتج بهم يصح أن يطلق على كل منهما أنه من رجال البخاري وأنه أخذ عنه (كذا كذا) بلا فرق بينهما (كذا كذا بحروفه)

وبنى على هذا تصويب صاحب تهذيب الكمال في وضع علامة البخاري بجانب اسم كعب وتخطئة الحافظ ابن حجر في انتقاده له وقال « وجل المنزه عن الخطأ »

ثم استدل على عدم جزم الحافظ ابن حجر بغلط صاحب تهذيب الكمال بابقائه حرف الخاء بجانب اسم كعب في تهذيب التهذيب قال فلو كان جازما بغلط صاحب

التهذيب في ذكر هذا الحرف لحذفه هو من كتابه (كذا !!)

أقول لاشك أن أهل العلم بالحديث وباللغة قد تعجبوا من نشري لانتقاد هذا الاستاذ ـ وأن سائر قراء المنار سيتعجبون عند قراءة هذا الرد من صبري في كتابته وسماحي بصفحات المنار وبما هو أثمن منها وهو الوقت النفيس الذي صرف فيه . وأعتذر لهم بأن سبب هذا حسن ظني باخلاص المنتقد وإعلامه بقيمة مبلغ فهمه ليكون عونا له على الفهم والاستدلال كما أراد هو إفادتي وإفادة قراء المنار بنقده

اذاً لا بد لي من التصريح له بأن جميع المحدثين الذين وضعوا في كتبهم رموزاً من الحروف لمخرجي السنن والآثار قد وضعوا حرف (خ) لرجال البخاري الذين روى عنهم في الجامع الصحيح خاصة بل لما روي عنهم الأخبار والآثار المسندة بشروطها عنده دون التعاليق فقد وضع لها صاحب تهذيب التهذيب فيه (خت) وقد وضعوا لسائر كتبه كالأدب المفرد وكتاب رفع اليدين وكتاب أخلاق العباد رموزاً أخرى معروفة . فلا يصح عندهم بحال من الأحوال أن يسمى كل من عدله ووثقه من رجال الجامع الصحيح وان يوضع حرف (خ) رمزا له

فان فرضنا أن ما استنبطه المنتقد من تعديله لكعب صحيح في نفسه لم يكن مجوزاً أن يعد من رواته في الجامع الصحيح الذين وضعوا لهم حرف الخاء . والبخاري قد عدل في تاريخه كثيراً من الرجال وروى عن بعضهم في تعاليق جامعه بصيغة الجزم وعن بعضهم في غير جامعه ولم يعدهم أحد من رجاله أي رجال الجامع الصحيح

وأما استدلاله بإبقاء الحافظ ابن حجر لحرف (خ) في مختصره على ماذكر مع تصريحه بتخطئة صاحب التهذيب فيه فهو من السقطات التي نذكرها آسفين لصدورها عنه ، كما نأسف لقوله أنه لم يوافق الحافظ أحد من المتقدمين والمتأخرين على التعجب من عد كعب من رجال البخاري ، مع عدم مماراته هو في عدم روايته عنه شيئا مسنداً في صحيحه !!! وكيف يوافقه من قبله ؟ ومن ذا الذي خطأه ممن بعده ؟ فان فرضنا ان أحداً مثل المنتقد خطأه فماذا يضره والدليل معه

(للكلام بقية)

أنباء العالم الاسلامي

الزعيمان شوكت علي ومحمد علي

هذان الزعيمان المشهوران في الهند ممن ولدت الحرب العظمى من الزعماء في البلاد المختلفة ، وعند مازرنا الهند سنة ١٣٣٠ (الموافقة لسنة ١٩١٢ م) لم يكن لهما ذكر فيها ، وسبب زعامتهما اضطهاد الحكومة الانكليزية لهما لشدة انتقادهما إياها على قتال الدولة العثمانية الممثلة للخلافة الاسلامية .

ملأ ذكر شوكت علي ومحمد علي الآفاق بعد الحرب العظمى وقد كان من فوائد رحلتنا إلى الحجاز في موسم الحج الأخير لقاء الزعيمين الكبيرين في مكة المكرمة ومعرفة كنه حالهما، ولما دعاني جلالة ملك الحجاز إلى الانتظام في سلك المؤتمر الاسلامي العام الذى دعا اليه كنت أعد من ثمراته الدانية الجنى الاشتغال في خدمة الاسلام والحرمين الشريفين مع الوفود الاسلامية عامة والوفود الهندية خاصة ، ووفد الخلافة الذي يعد الزعيمان أشهر أركانه على الوجه الاخص . وقد كاشفت رئيس هذا الوفد صديقي الاستاذ السيد سليمان الندوي بذلك وبأنه يحسن أن نتذاكر في المسائل المختلف فيها أو التي هي مظنة الاختلاف عند ما تعرض على المؤتمر ونمحصها ليسهل علينا التعاون على إقناع غيرنا بتقريرها فيه وأن نراعي في هذه المباحث ما يمكن ومالا يمكن ومايسمى في عرف هذا العصر « بالامر الواقع » وما يترتب عليه ، وقد استحسن الاستاذ الندوي هذا الرأي وقال أنه سيعرضه على رفاقه ، ثم رأيت رفيقيه غير مباليين بهذا كرة أحد ولا بالتعاون مع أحد كأنهما يظنان أنهما بنفوذهما الشخصي يفعلان في المؤتمر مايفعلان في جمعية الخلافة - حتى بدا لهما أفن هذا الرأي و بطلان هذا الظن في أثناء المؤتمر ، وسنفصل ذلك في رحلتنا الحجازية بما فيه العبرة والعظه للعالم الاسلامي ، ونكتفي هنا بتعليق وجيز على أول خطبة لأخينا محمد علي ألقاها في ميناء كراجي أول ثغر ألما

به من مواني الهند، وقد بلغنا أن ما بثاه بعد ذلك في خطبهما ومكتوباتهما شر منه ، وأنهما أحدثا شقاقا في الهند بأقوالهما الجديدة فى ابن السعود المخالفة لأقوالهما السابقة

خطبة مولانا محمد علي في كراجي

خطب مولانا محمد علي في أهالي كراجي خطبة حماسية طويلة بكى فيها واستبكى ـ وما أسهل هذا عليه ! فرأيت من واجب التناصح أن أعلق على بعض عباراته فيها تعليقات مؤيدة بالبرهانين الديني والعقلي فأقول

تزكية نفسه وشهادته لها بالمغفرة

(١) بدأ خطبته بالتودد إلى أهل تلك الناحية بذكر حبه الشديد لهم وحبهم له وتذكيرهم بجلب القضاء البريطاني له إلى بلادهم لمحاكمته محاكمة المجرمين. وهذا أعظم ما يتقرب به اليهم لعدم محاكمة الدولة له أكبر مناقبه ، وقال في أثناء ذلك « وقد تم من إرادة الله وكرمه أن أعود اليكم بعد أن طهرني الله من جميع الذنوب والاوزار » وقد كرر هذا المعنى مرتين لتأكيده

فنذكر أخانا في الاسلام الذي تأكدت اخوته لنا باشتراكنا في غسل بيت الله الحرام ، وتطييب جدرانه من الداخل بعطر الورد ، بأن لا يعود إلى مثل هذا فان الجزم القطعي بغفران الله تعالى وتطهيره لشخص معين من الذنوب والاوزار لا يعلم إلا بوحي من الله علام الغيوب ، والاعمال المكفرة للذنوب كالحج لا تكون كذلك إلا اذا كانت صحيحة باستيفاء شروطها وواجباتها الظاهرة والباطنة كالاخلاص وكانت مقبولة عند الله تعالى ، والعلم باستيفاء الشروط والواجبات عسر ، وأما العلم بالمقبول عند الله تعالى فمتعذر ، وقد قال بعضهم في واجب واحد من شروط الحج الظاهرة

إذا حججت بمال أصله دنس فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

ولا محل هنا لذكر ما استدل به العلماء على عدم القطع لأحد بالمغفرة والجنة إلا من بشرهم بذلك النبي (ص) . وقد فسروا الحج المبرور المكفر للذنوب الذي

ورد الحديث فيه بأنه الذي لايقع فيه معصية أو لا رياء فيه : أخذوا هذا من حديث الصحيحين واللفظ للبخاري « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ومن دعائه (ص) بأن يجعل حجه لارياء فيه ولا سمعة : وقالوا مع هذا إن الحج المبرور انما يكفر حقوق الله تعالى لاحقوق العباد .

وقد قال الله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ويدخل في هذا النهي مدح المرء لنفسه وتزكيتها ولو بالحق ولاسيما اذا كان في سياق الفخر والتبجح، ويمكن لأخينا أن يراجع في هذه المسألة وما حولها كتب التفسير وكتب السنة ولا سيما رد النبي (ص) على سعد بن أبي وقاص فيمن قال فيه إني لأراه مؤمنا — فقال له (ص) « بل مسلما » وهو في الصحيحين — ويراجع أيضا كتاب الحج وكتابي العجب والغرور من إحياء علوم الدين ، ويتذكر كيف كان يستغيب ملك الحجاز حتى في بيت الله تعالى وفيما لا مصلحة فيه له وللمسلمين كالكلام في لحيته وزواجه الخ

دعواه إخلاف ابن سعود وكذبه

(٢) قال: ان ابن السعود كان كتب اليه ان الحجاز أمانة في يده المسلمين وأنه يخضع لما يراه المؤتمر الاسلامي ومستعد لتخلية الحجاز لمن يختاره هذا المؤتمر .

(وقال) فلما قصدت الحجاز وجدت أن الافعال غير الاقوال — ثم أطال الكلام في الوعود والعهود والمواثيق والكذب والخداع . وذكر من الافعال المخالفة هدم القباب العالية والمنارات الشامخة والمقابر والمآثر — وبالغ في تعظيم أمر هذا الهدم لهذه المبتدعات كأنما هدم بها أركان الاسلام ، وبكى في أثناء هذا التهويل ، وبالغ في الندب والعويل ، حتى استبكى الجم الغفير من عباد القبور ومخبولي القباب الشامخة الباذخة الضخمة الفخمة التي لعن رسول الله (ص) الذين يبنونها مساجد على المقابر في مرض موته ليحذر أمته من فتنتها ومن بناء مثلها

ونذكر هذا الزعيم بأنه ليس من الذنوب المغفورة له عند الله أن يدافع عن هذه القباب والمساجد المبنية على القبور التي هي شر من مسجد الضرار الذي قال الله تعالى فيه (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين) الآية . ثم نذكره بقوله وقول أخيه انهما لايقولان بأن هذه القبور والقباب والمساجد عليها مطلوبة

شرعا ولا إنها كما يزعم العوام الجاهلون تنفع وتضر — وانما يدافعان عنها مراعاة للشيعة والعوام في الهند لأجل الانتفاع بعصبيتهم أو ما هذا معناه

ولكن ابن السعود لايحابي الشيعة ولا العوام في الدين . وقد قال لهما ولغيرهما من أعضاء المؤتمر وغيرهم ولا سيما ليلة دعوته الكبرى لرجال المؤتمر قال: ان مسألة المقابر والمآثر قد عمل فيها بفتوى العلماء فاذا اجتمعت جمعية من علماء السنة وفقهاء المذاهب الاربعة وأعادوا المذاكرة وأثبتوا بالدليل خطأه في شيء فعله ووجوب تلافي هذا الخطأ ـ فانه يأخذ بقولهم . هذا ما صرح به مراراً

وأما الاخذ بقول الزعيمين السياسيين شوكت علي ومحمد علي وليسا من علماء الدين أو بأهواء الشيعة والعامة لأجل السياسة فلا سبيل اليه

وأما قول الزعيم الهندي بأن الملك السلطان العربي وعده ووعد جمعية الخلافة بأن يخضع لقرار المؤتمر الاسلامي في حكم الحجاز ويخليه لمن يختاره هذا المؤتمر ـ وان أفعاله خالفت أقواله ـ فنسأله هل يعد رأيه ورأي أخيه الشاذ في جعل حكومة الحجاز جمهورية وجعل حق انتخاب رئيسها للمؤتمر ـ قراراً من المؤتمر بذلك ؟ ؟ ان المؤتمر لم يقرر شيئاً في هذه المسألة ولا جعلها من موضوع مذاكراته والسواد الاعظم من مندوبي المؤتمر ومنهم مندوبو الحكومات المستقلة معترفون بأن جلالة عبدالعزيز بن السعود ملك الحجاز ، فما معنى هذه المخالفة بين الاقوال والافعال في هذه المسألة ؟ أيليق بزعيم كبير أن يقول هذا في خطاب عام ؟

افتخار محمد علي بالشجاعة في سبيل الله

(٣) افتخر الزعيم امام أهل كراجي وتبجح بالشجاعة والاقدام وعدم المبالاة بالموت في سبيل الله اذ صارح ابن السعود بالانتقاد على أعماله وباختصاصه بالسلطة الشخصية في الحجاز « ورفع صوته عالياً غير هياب في الحق ولا وجل » وذكرهم بانه « لم يرهب الحكومة البريطانية التي هي أقوى دول الارض في هذا العهد » واطال في ذلك وكرره حتى خيل لسامع كلامه انه كان موطنا نفسه على سفك هذا الملك الجبار لدمه « امام كعبة الله » كما قال !!!

ونحن لانرى لهذا الفخر أدنى مجال ولا مسوغ فابن سعود ليس جبارا ولا

بطاشا بمن ينتقده ، ولا بمن يذمه ، ولم ينقل عنه انه عاقب رجلا أساء اليه ، بل نقل عنه أنه عفا عن رجل كان يريد قتله بعد أن قبض عليه رجاله واعترف بأنه كان يريد قتله ، وقد وقفت ادارة الامن العام في الحجاز على جمعية سرية في مكة تأتيها الاموال والاسلحة والديناميت من الخارج... ولم يأمر الملك بقتل أحد من أعضائها ولما أعلنت حكومة الحجاز المنع من بيع هذا السلاح في الحجاز انتدب الزعيمان محمد علي وشوكت على للانكار عليها كأنهما راضيان بعمل هذه الجمعية واستعدادها لسفك الدماء في حرم الله الذي يحرم فيه قتل القاتل قصاصا شرعياً (!!)

ثم اننا لانرى معنى لاستدلاله على عدم الخوف من ابن سعود بقوله انه كذلك لم يخف من الدولة البريطانية وهي أقوى دول الارض فان عقاب الحكومات للافراد لاتفاوت فيها بين حكومة قوية وضعيفة، ولكنه يتبجح بأن الحكومة البريطانية تحميه من ملك الحجاز اذا أراد الانتقام منه؟ وهذا التبجح لا يليق به على أنه في غير محله أيضا لان ملك الحجاز اذا أراد معاقبة مثل محمد علي على قدحه فيه وذمه إياه - ولن يريد - فلا يكون عقابه له بالقتل ولا بالجلد، ولا بالحبس أيضاً - حتى يحتاج الى هذه الشجاعة كلها ، أو الى حماية الانكليز أقوى دول الارض له ، وانما يكون بمثل ما عاقب به المشاغبين من أعضاء جمعية خدام الكعبة ،وهو إخراجهم من الحجاز ، أو بالحرمان من حضور جلسات المؤتمر ، وكلاهما أمر يسير غير عسير ، ولكن الملك عبد العزيز الحليم العادل المتواضع قد قابل ما كان يستفرغه الزعيم الشجاع بسعة الصدر التامة، وما كان يزيده ذلك إلا إكراماً لضيفه العزيز في قومه

طعن الزعيم على رجال المؤتمر

(٤) طعن الزعيم الكبير في رجال من أعضاء المؤتمر بأنهم أصحاب أغراض شخصية ومآرب ذاتية وأنه لاضمير لهم ولا مبدأ - ولماذا ؟ قال إن أحدهم قال له : يجب أن لاتقول شيئا ضد ابن السعود :

سبحان الله ! لماذا يجوز له أن يطعن هو في ابن السعود أشد الطعن لانه يخالفه في سياسته التي يستميل بها الشيعة وعوام الهنود الخرافيين في بلاده - ويخالفه هو وأهل الحجاز فيما لا يعنيه من شكل حكومته ، ولا يجوز لغيره أن يعد ابن السعود مصلحا بازالته

للبدع وذرائع الشرك والمعاصي - ويدافع عنه لاجل هذا أو لان الطعن فيه غير مفيد في نفسه ولا لائق بآداب رجال المؤتمر ومقاماتهم في أقوامهم ، ولا لائق بآداب الشرع ،ولا لائق بالحرم الشريف ولاسيما للحجاج لان أقل ما فيها إثارة الجدال والمراء المذمومين شرعا ولا سيما في الحرم او لغير ذلك من الاسباب . وإنما حملنا نهي من نهى الزعيم الكبير عن الكلام فيما سماه « ضد ابن سعود » على الطعن فيه وان كان في سياق شكل حكومته أو أعماله في إزالة البدع لان هذا هو الذي كان معروفا واشتهر عنه، لاسرافه فيه واكثاره منه

دعواه انه منع من حريته في المؤتمر

(٥) قال « لقد منعت من إعلان اقتراحي في المؤتمر وظلمت من جانب ابن سعود ، ولكني رفعت صوتي عالياً غير هياب في الحق ولا وجل » الخ ماتنفج به وتبجح ، فكيف منع من اعلان اقتراحه وكيف رفع صوته بلا مبالاة ؟ وبم ظلمه ابن السعود في هذا المقام وهو قد أعطى المؤتمر حرية تامة ما كان أحد ينتظرها؟

أطال في الافتخار بعدم خوفه من ابن السعود في كونه أنكر عليه في وجهة الانفراد بحكم بلاد الحجاز وصارحه بأن القبب والاضرحة ليست أشد خطراً على الاسلام والمسلمين من تفرده بالحكم في حرم الله . قال إنه أنكر عليه ما ذكر بما ذكر من الغلظة أربع مرات ولم يكن يجيبه إلا بقوله « اننا متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله (ص) »

ثم إشار الى ان طبيعة الملك تغري صاحبها بسفك الدماء وقال « وهكذا اخذ علي طريق الرأي والاقتراح ، وأغلق في وجهي طريق العمل والاصلاح »

نقول: إذا كان الملك ابن السعود لم يزد في جوابه على إغلاظ هذا الرجل في القدح فيه على كونه متبعاً للكتاب والسنة في عمله ، أي لا لآراء محمد علي وآراء أمثاله السياسيين الذين يستبيحون أو يوجبون في سبيل سياستهم كل شيء - واذا كان هذا الملك حليما رفيقا يقبل من الانكار عليه في وجهه كل تلك الغلظة اتباعا للخلفاء الراشدين وأئمة السلف فما معنى الافتخار بالشجاعة أمامه ولا دعاء توطين النفس على القتل بسيفه ؟

ثم ما معنى كونه هو الذى ظلمه بمنعه من ابداء رأيه كله في المؤتمر ، إن الملك لم يكن عضواً في المؤتمر فيعارض فيه أحداً أو يمنعه من إبداء رأيه ، فان كان أنصاره

والراضون عنه في المؤتمر هم الذين منعوا محمد علي مما ذكر فأي ذنب لابن السعود إذا كانت الاكثرية الساحقة فى المؤتمر تؤيده وتخالف خصمه ؟

إن هذا الكلام شهادة من أخينا محمد على بانه هو الذي كان مخالفا للمؤتمر لا ابن السعود . وكل أعضاء المؤتمر كانوا يتبرمون من اكثر خطبه وخطب أخيه الطويلة الخارجة عن موضوع المؤتمر والتي يكثر فيها الفخر بالاخلاص ورمي المخالفين بعدم الاخلاص. وإنما كانوا يجاملونهما حذراً من وقوع الشقاق والفشل في المؤتمر . وسنبين هذا بالتفصيل في رحلتنا إن شاء الله تعالى

إننا وايم الحق كنا نتمنى لو يكون هذا الزعيم بل هذان الزعيمان الكبيران أحكم وأقوم سبيلا مما وجدناهما عليه ومما نقل الينا عنهما بعد عودتهما إلى الهند. ونحن لم نقل إلا بعض مانراه في شأنهما هو الحق ، مع مراعاة الرأفة فى الحكم ، ومن أثبت لنا خطأنا في شيء مما قلناه رجعنا عنه معتذرين ، واستغفرنا الله تعالى تائبين

علاقتنا بابن السعود دينية اصلاحية :

نعم قد يقول قائل إنك نصير لابن السعود وما عهدناك الا مؤيداً له ومدافعا عنه ، ولم نرك تنتقده في شيء ،

وأقول في جوابه : لا أنكر أني أيدت الرجل ودافعت عنه ولا أزال كذلك ولكن فيما أعتقد أنه الحق ، والمصلحة لملتنا وأمتنا ، وأنا في ذلك على خطتي التي أعلنها في المنار كل عام مرة أو مرارا ، وهي أن كل من بين لنا خطأنا في شيء كتبناه أنا أو أخواني فان من إنصافنا أن ننشره له مع بيان رأينا فيه ونترك للقراء الحكم في الخلاف اذا نحن اختلفنا .

وأما مسئلة الانتقاد عليه والنصح له فان ما أمر الله تعالى به من الدعوة الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة يقتضي أن يكون الانتقاد والنصح بيننا وبينه مادام ذلك ممكنا ، وإنما يلجأ المرء إلى النشر ، في حالة امتناع الموعظة في السر ، أو في حالة التمرد وعدم قبول النصح ، ونحن نصرح باننا نصحنا للرجل بالكتابة مراراً ببيان مايجب عليه لملته الاسلامية ولأمته العربية ، وانتقدنا عليه بعض الامور التي رويناها أو رأيناها من قومه ، كتابة فى حالة البعد ، ومشافهة في حالة القرب ، فلم يقابل نصحنا وانتقادنا الا بالقبول والشكر ، مع بيان ما عنده من الاعتقاد والرأي .

وإننا نرجو أن يكون ما كتبناه وما سنكتبه لوجه الله تعالى لأن مودتنا هي في سبيل الله تعالى لا لأجل غرض دنيوي ، وهو أعلم الناس بهذا وقد اعترف لنا به كتابة ، ولا سيما بعد عودتنا من الحجاز ، وإذا اقتضت المصلحة العامة نشر شيء مما كتبه الينا في ذلك فاننا ننشره

إنه قد ثبت عندنا بالاختبار الطويل أن أهل نجد أشد مسلمي هذا العصر اعتصاما بما يعلمون من كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأبعدهم عن الخرافات والبدع التي أفسدت على أكثر المسلمين دينهم ودنياهم ، وأن آل سعود هم الذين أيدوا هذا الاصلاح من نشأته الى الآن ولولاهم لما انتشر وثبت . وأن ماينتقد على أهل نجد من التشدد في الدين خير مما ينتقد على من غيرهم من نبذه وراء الظهور . وفي نجد عوام وجاهلون كما يوجد في سائر الدنيا ولكنهم أقرب إلى قبول الحق إذا ثبت عندهم بدليل شرعي ، ولا نعرف شعباً غيرهم يبذل نفسه وماله في سبيل الله بالوازع النفسي ، فلهذا دون غيره نؤيدهم ونسعى لترقيتهم وا كمال ماينقصهم لخدمة الاسلام والعرب في هذا العصر

ومن الشواهد على ماتقدم أننا لما رأينا في الجرائد المصرية أن الامير سعودا قد زار المشهد الحسيني كتبنا اليه كتابا شددنا فيه الانكار عليه ، وأنكرنا فيه عليه أيضا ماقيل من أنه حضر حفلة الموسيقي في حديقة الأزبكية وصفق لها — فلما قرأه امتعض وتألم ألماً شديدا ، وأرسل الينا معتمد حكومتهم الشيخ فوزان فكذب لنا الخبرين ،ولو لم يفعل ذلك لانكرنا عليه في الجرائد ،ولامتنعت عن زيارته هجراً له في الله عز وجل ، ولما زرته بعد ذلك كرر لي تكذيب الخبرين ونشرت ذلك في المنار . وهذا برهان على كوننا نؤيدهم فيما يؤيدون به السنة و ننكر عليهم اذا خالفوها

هذا وإن إنكاري عليه ماقيل من حضوره حفلة الموسيقى مبني على ما أعلم من اعتقاده واعتقاد قومه تحريم جميع المعازف الا ما استثني من دف العرس وطبل الحرب مثلا . وهذا ماعليه جمهور فقهاء المذاهب المشهورة من أهل السنة وغيرهم ، خلافا لبعض علماء السلف ولا سيما الحجازيين في ذلك ، وأنا أعتقد حل الموسيقي العسكرية لانه لا يصح دليل على تحريمها ، ولانها من قبيل ما استثناه بعض فقهائنا من طبل الحرب والله أعلم :

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

نموذج من كتاب القول الوثيق في الرد على أدعياء الطريق

تابع لما سبق في الجزء الماضي

أما السادة الصوفية فهم صفوة أهل الله وخلاصة هذه الامة كما قال أبو القاسم القشيري الصوفية خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة وقال شهاب الدين السهروردي : الصوفي يضع الاشياء في مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ، ويستر ماينبغي أن يستر ، ويظهر ماينبغي أن يظهر ، ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص

الا أن هذه المنكرات كانت خفية جدا لاتكاد تظهر الا بين أفراد من الناس منعزلين عن عامة المسلمين بسبب سطوة العلماء وأولي الامر وشدة تمسكهم بالدين، واعتصامهم بحبله المتين، ووجود الغيرة في قلوب العامة ، الى أن تقادم عهد هؤلاء الاكابر وأهمل في الامر أولياؤه وفقدت الغيرة الدينية من قلوب المسلمين وأسندت الامور الى غير أهلها فكثرت هذه البدع والمنكرات واتسع نطاقها واشتهر أمرها بين الخاصة والعامة وأصبحت من الامور التي تلتزم التزام الفرائض والسنن، وصار الانكار عليها ممن أحيا الله في قلبه غيرة الدين وفضيلة الاسلام من الشذوذ بمكان يستحق عليه اللوم والتعنيف فلا حول ولا قوة الا بالله

ولنبين لك أيها السائل أرشدك الله الى الحق حكم فعل ماسألت عنه بايجاز فنقول

(١) (الاذكار الملحونة)

أجمع المسلمون على حرمة الالحاد في أسمائه تعالى والتحريف في آياته وعلى حرمة ذكره على وجه ينافي الاعظام والاجلال قال تعالى (وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون) وقال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى)

ولاريب أن اللحن في الكلمة المشرفة إلحاد وتحريف في الاسم الشريف ، وذكر له تعالى على وجه لاتسبيح فيه ولاتقديس، ولم يسمع عن أحد من الصحابة والتابعين ومن يعول عليه من أئمة الدين وأهل الطريق أنه ذكر الله تعالى أو قال بجواز الذكر على غير الوجه المشروع الوارد كتابا أو سنة المتلقى من أفواه الرواة والشيوخ بالكيفية المعروفة بين أهل الاداء المضبوطة في الكتب . وقد نصوا على أن أسماء الله تعالى توقيفية لاتثبت وضعا وكيفية الا بكتاب أو سنة صحيحة ، وان الكلمة المشرفة من القرآن والزيادة فيه كالنقص حرام . وممن نص على حرمة ذلك العلامة (الامير في رسالته) نتائج الفكر في آداب الذكر عند ضبطه للكلمة المشرفة والولي الشهير سيدي عبد الرحمن الاخضري بقوله في منظومته

ومن شروط الذكر أن لايسقطا … بعض حروف الاسم أو يفرّطا
في البعض من مناسك الشريعة … عمداً فتلك بدعة شنيعة
فواجب تنزيه ذكر الله … على اللبيب الذاكر الأوّاه
عن كل مايفعله أهل البدع … ويقتدي بفعل أرباب الورع
لقد رأينا فرقة إن ذكروا … تبدعوا وربما قد كفروا
وصنعوا في الذكر صنعاً منكرا … صعبا فجاهدهم جهادا أكبرا
خلوا من اسم الله حرف الهاء … فألحدوا في أعظم الأسماء
قد أتوا والله شيئا إدّا … تخر منه الشامخات هدّا

(وفي الجوهر الخاص في أجوبة مسائل كلمة الاخلاص) للعارف بالله تعالى سيدي محمد الغمري مايوافقه ومثله في شرح الخريدة لابي البركات سيدي أحمد الدردير وفي تحفة السالكين لسيدي محمد المنير خليفة الشمس الحفني وفي النفحات القدسية لابي المواهب الشعراني. وفي شرح العلم الشهير سيدي محمد السنوسي على صغراه.

وجملة القول أن هذا الحكم مما تضافرت عليه أكابر الصوفية وأهل السنة والجماعة ولم يستثنوا منه الامفقود الاحساس غائب الحواس الذي يغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب ولا يبقى يعرف مايقول ولا مايقال له فنسلم قياده الى وارده يتصرف فيه كيف شاء، لانه ليس محلا للتكليف وأمره بيد الله تعالى يفعل فيه ما يشاء.

أما هؤلاء الجهلة الذين يتغيبون من غير غيبة ويتواجدون من غير وجدان فما أسوأ حالهم وأخسر أعمالهم (راجع شمس التحقيق لأبي المعارف سيدي أحمد شرقاوي رضي الله عنه)

(٢) (قصر لفظ الجلالة)

وكما لايجوز اللحن في اسمائه تعالى لايجوز قصر لفظ الجلالة وهو نقصه عن المد الطبيعي الذي لاوجود للحرف إلا به لأنه من جملة اللحن وقد نص الفقهاء على أن الاتيان به مقصوراً لا يعد ذكراً ولا تنعقد به يمين وتفسد به الصلاة في تكبيرة الاحرام وذكره الفخر الرازي وأبوالسعود في تفسيرهما والمحقق الأمير في نتائج الفكر ، وأما قصره في قول الشاعر

ألا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال

فضرورة كما صرح به ابن منظور في لسان العرب وأئمة التفسير وسيدي مصطفى البكري وسيدي محمد الغمري واللقاني في وسطه والزرقاني والخرشي في كبيره والعدوي والأمير في مجموعه

على أن صاحب المصباح نقل عن أبي حاتم أن حذف ألف الله خطأ لا أصل له في اللغة ولا يعرفه أئمة اللسان والبيت موضوع . ولئن سلمنا جوازه لغة فلا يلزم منه جوازه شرعا ، ولذلك نظائر كثيرة ليس هذا موضع ايرادها وأسماء الله تعالى توقيفية ولم يرد في الكتاب أو السنة قصر هذا الاسم الشريف

وما يتعلل به بعض القاصرين لتجويز الذكر بالاسم الشريف مقصورا وبغيره على أي كيفية وقع من قوله عليه الصلاة والسلام « إنما الاعمال بالنيات » ومماينقله مشايخهم من أن هذا الذكر بهذه الهيئة كان في عصر فلان وفلان من آبائهم وأسلافهم الغابرين فمردود بهذه النصوص الواضحة وبأن النية لاتقترن بالعمل على الوجه المشار اليه في الحديث الا إذا أتمت صورة العمل وهيئته المبنية في الشرع وان تشبثهم بما أقره أسلافهم وتركهم أوامر الدين في ذلك كتشبث

اليهود والنصارى بقولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) [١]

وما أحسن قوله الاستاذ أبي المعارف في نصيحة الذاكرين: وماذا علينا اذا وافقنا الله والرسول، وتركنا ماعليه الاسلاف والأصول، فان الشرع حجة عليهم كما هو حجة علينا، وليسوا هم حجة على الشرع، فانه يحتج به لا عليه فالاحتجاج بالاسلاف، لا فائدة فيه ولا اسعاف، وإنما هو ذكر لمساويهم، واظهار لمعاصيهم، وقد نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم) اه

وجملة القول أن هذا منكر من القول وزور يجب على الامة الاسلامية وخاصة علماءها وقادتها ازالته بمالهم من الحول والسلطان والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. (للكلام بقية)

﴿ تقريظ المطبوعات الحديثه ﴾

المواكب

(نظرات شاعر ومصور في الايام والليالى)

جبران خليل جبران أديب سوري عربي هاجر إلى امريكا لاجل التجارة كغيره وأقام فيها، لكن روح جبران شعرية فلسفية، تغوص في بحر لجي من الفلسفة النظرية، وتطير في جو واسع من الخيال الشعري، وقد ينظم أحيانا ما يجنيه بغوصه من درر الفلسفة في أسلاك من الشعر، تحكي خيوط أشعة القمر أو أسلاك أشعة الشمس، يراها [٢] الرائي في الصحائف بعينيه، ويسمعها المصغي بأذنيه، ويقرؤها القارىء بلسانه، ويشعر بها الشاعر بوجدانه، ولا يملك أحد أن يقبض على شيء منها، كشأن اليدمع الاشعة، اذا غابت عن الحس، غابت عن النفس، إلا صورة مبهمة في الخيال، وذكرى تخطر بالبال، ذلك شعر الفلسفة النظرية وفلسفة الخيال الشعري، وذلك جبران خليل في مواكبه الجديدة، وله شعر آخر يدخل في أبواب الاعمال ونظم الاجتماع، ليس أمامنا منه الآن شيء

---

(١) المنار: الآية نزلت في مشركي العرب، وهي تصدق في أهل الكتاب المقلدين لآبائهم فيما خالفه كهؤلاء المسلمين وخص أهل الكتاب بالذكر لان هؤلاء أشبه بهم منهم بمشركي العرب وأمثالهم من حيث ان كتاب الله حجة عليهم (٢) اي هذه الفلسفة

تصفحنا صفحاتها الثلاثين ،التي أهديت الينا مطبوعة منذ ثلاث سنين، فاذا هي مقاطيع من الشعر أشبه بالمواصيل ، تصور للناظر فلسفة حياة البشر الفطرية والمدنية ، في بضعة عشر شأنا من شؤونهم الادبية والاجتماعية، وهي : الخير والشر الحياة وما فيها من رغد ، وبؤس و كدر ، السكر والنشوة ،الدين،العدل والعقاب، العزم،العلم،الحرية،اللطف، الظرف ، الحب ، جنون الحب ، القوة والفتح والظلم ، السعادة ، الروح مع الجسد ، الجسم للروح والعقم ، الموت والخلود

تلك موضوعات المواكب،وكل منها مركب من مقاطيع كمجاميع الكواكب: مقطوعة من بحر البسيط وقافية الراء المضمومة في وصف حال أهل الحضارة في موضوعها يليها أربع أبيات لا يلتزم فيها قافية في وصف عيشة الغاب أي سذاجة الفطرة وعيشة البادية ، يليها بيتان فى غناء الناي

وهاك المثال وهو الموكب الاول :

الخيرُ في الناس مصنوعٌ اذا جُبروا والشرُّ في الناس لا يفنى وإن قبروا
وأكثرُ الناس آلاتٌ تحركها أصابعُ الدهر يوما ثم تنكسر
فلا تقولن هذا! عالم علَمٌ ولا تقولن ذاك السيد الوَقُر
فأفضل الناس قطعانٌ يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر

***

ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشي ولكن لا يجاريه الربيع
خلق الناس عبيداً للذي يأبى الخضوع
فاذا ما هب يوماً سائراً سار الجميع

***

أعطني الناي وغني فالغنا يرعى العقول
وأنين الناي أبقى من مجيد وذليل

قوله السيد الوقر بضم القاف أصله الوقور فخفف لضرورة الشعر وهذا جائز وقد يجيز هذا الشاعر وأمثاله من العصريين في مثل هذا مالم يجزه علماء العربية من قبل وينظر ما معنى قوله : فالغنا يرعى العقول ـ فهو من مبهماته التي يقف فيها الذهن مفكرا

المنار
أنشئ ١٣١٥

نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ ١٢ برج العقرب سنة ١٣٠٥ هـ ش ٥ نوفمبر سنة ١٩٢٦

فتاوى المنار

{ ما يباح للرجل من محارمه ، وشراء السلعة بأكثر من ثمن المثل لأجل }

(س ١١) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الامام مفتي الانام ومرجع العلماء الأعلام الاستاذ الجليل السيد محمد افندي رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

تحية وسلاما وبعد أرفع لفضيلتكم ما يأتي راجياً التكرم بالاجابة عليه وهو : هل يجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن محارمه من النساء ومعانقتهن وضمهن وتقبيلهن ولمسهن بلا حائل أم لا ؟

وهل يجوز مشترى شوال أرز أو ثوب من القماش وغير ذلك بزيادة عن سعر يومه لأجل الأجل أم لا ؟

تفضلوا بالجواب واسيادتكم عظيم الاجر والثواب السائل

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي ببيروت

(تحريم نظر الرجل الى محارمه أو تقبيلهن أولمسهن ومعانقتهن بشهوة)

(ج) لا يجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن الرجل من أقاربه ولا غيرهم فضلا عن المرأة بل ينظر الى غير العورة ، ولكن قال بعض العلماء أن عورة المرأة من المحارم على ابنها أو أخيها أو عمها أو خالها مثلا مابين السرة والركبة فهو الذي لايجوز النظر اليه ،وقال آخرون بل عورتها بالنسبة إلى المحارم هو مايستتر عادة في البيوت عند خدمتها ، وهذا أقرب . فيجوز أن ينظر المحرم من محارمه مايبدو في البيت من البدن عند لبس ثياب المهنة كالذراعين والساقين. ويشترط في هذا النظر أن يكون بدون شهوة فالنظر بالشهوة محرم مطلقاً ، ومثله معانقتهن وتقبيلهن الخ فهو مع الشهوة محرم قطعاً بل هو أشد تحريماً من مثله مع الاجنبية كما أن الزنا بالمحارم وبحليلة الجار أفظع وأشد اثماً لأنه أشد ضرراً وفساداً في الفطرة،وافساداً للاسرة واضاعة لحق الجوار . والسؤال ينم عن وقوع ذلك وكون السؤال عنه وإن كان وقوعه مما يتعجب منه لولا ضياع الدين واستحواذ الشهوات الحيوانية على الناس وقد وقع في مصر في هذه الايام أن حيواناً من هذه الحيوانات السافلة المخلوقة بشكل البشر افترع بنتين له فعلقت منهما واحدة والعياذ بالله تعالى

والأصل في هذا الجواب دليلان (أحدهما) ما أمر الله تعالى به في سورة النور من وجوب استئذان المملوك من ذكر وأنثى والاولاد الذين لم يبلغوا الحلم في الدخول على أهل البيت من رجل وامرأة في الأوقات التي هي مظنة ظهور العورات : قبل صلاة الفجر وعند تخفيف الثياب للاستراحة أو القيلولة في وقت الظهيرة ومن بعد العشاء عند النوم . (ثانيهما) سد ذرائع الفساد واتقاء الفتنة ، كلاهما ظاهر لامراء فيه .

(شراء السلعة بأكثر من ثمن المثل إلى أجل)

ان هذا الشراء جائز وليس من الربا المحرم والله أعلم

الايمان والكفر والنفاق والظلم والفسق

من رسائل إمام نجد في عصره العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن
ابن الشيخ حسن ابن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
رحمهم الله تعالى

(ويعلم منها ما عليه علماء نجد في مسألة تكفير المخالفين واحتياطهم فيها
أكثر من سائر علماء المذاهب الاخرى)

(تابع ما نشر في الجزء الماضي)

وقد بلغني أنكم تأولتم قوله تعالى فى سورة محمد (ذلك بأنهم قالو اللذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر) على بعض ما يجري من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين ، والملوك المشركين ، ولم تنظروا لاول الآية وهي قوله (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة ، ولا المراد من الامر بالمعروف المذكور في قوله تعالى فى هذه الاية الكريمة وفي قصة صلح الحديبية وما طلبه المشركون واشترطوه وأجابهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكفي في رد مفهومكم ودحض أباطيلكم

فصل

وهنا أصول (أحدها) أن السنة والاحاديث النبوية هي المبينة للاحكام القرآنية وما يراد من النصوص الواردة في كتاب الله في باب معرفة حدود ما أنزل الله ، كمعرفة المؤمن والكافر ، والمشرك والموحد ، والفاجر والبر ، والظالم والتقي ، وما يراد بالموالاة والتولي ونحو ذلك من

الحدود ، كما أنها المبينة لما يراد من الامر بالصلاة على الوجه المراد في عددها وأركانها وشروطها وواجباتها ، وكذلك الزكاة فانه لم يظهر المراد من الآيات الموجبة ومعرفة النصاب والاجناس التي تجب فيها من الانعام والثمار والنقود ووقت الوجوب واشتراط الحول فى بعضها ، ومقدار مايجب فى النصاب وصفته ، إلا ببيان السنة وتفسيرها . وكذلك الصوم والحج جاءت السنة ببيانهما وحدودهما وشروطهما ومفسداتهما ونحو ذلك مما توقف بيانه على السنة ، وكذلك أبواب الربا وجنسه ونوعه وما يجري فيه وما لايجري ، والفرق بينه وبين البيع الشرعي ، وكل هذا البيان أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية الثقات العدول عن مثلهم الى أن تنتهي السنة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن أهمل هذا وأضاعه فقد سد على نفسه باب العلم والايمان ، ومعرفة معاني التنزيل والقرآن

(الاصل الثاني) أن الايمان أصل له شعب متعددة كل شعبة منها تسمى ايمانا فأعلاها شهادة أن لااله الا الله ، وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، فمنها مايزول الايمان بزواله اجماعا كشعبة الشهادتين ، ومنها مالا يزول بزوالها اجماعا كترك اماطة الاذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبتين شعب متفاوتة منها مايلحق بشعبة الشهادة ويكون اليها أقرب ومنها مايلحق بشعبة اماطة الاذى ويكون اليها أقرب. والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص وما كان عليه سلف الامة وأئمتها ،

وكذلك الكفر أيضا ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الايمان ايمان ، فشعب الكفر كفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الايمان ، ولا يسوى بينهما في الاسماء والاحكام ، وفرق بين

من ترك الصلاة والزكاة والصيام وأشرك بالله أواستهان بالمصحف، وبين من سرق، أو زنى، أو شرب، أو انتهب، أو صدر منه نوع من موالاة [1] كما جرى لحاطب، فمن سوى بين شعب الايمان فى الاسماء والاحكام، وسوى بين شعب الكفر في ذلك فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الامة، داخل في عموم أهل البدع والاهواء

(الاصل الثالث) أن الايمان مركب من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو اعتقاده، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو قصده واختياره ومحبته ورضاه وتصديقه وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ونحو ذلك من الاعمال الظاهرة، فاذا زال تصديق القلب ورضاه ومحبته لله وصدقه زال الايمان بالكلية، واذا زال شيء من الاعمال كالصلاة والحج والجهاد مع بقاء تصديق القلب وقبوله فهذا محل خلاف هل يزول الايمان بالكلية اذا ترك أحد الاركان الاسلامية كالصلاة والحج والزكاة والصيام أو لا يكفر؟ وهل يفرق بين الصلاة وغيرها أو لا يفرق؟ وأهل السنة مجمعون على أنه لابد من عمل القلب الذي هو محبته ورضاه وانقياده. والمرجئة تقول يكفي التصديق فقط ويكون به مؤمناً. والخلاف في أعمال الجوارح: هل يكفر أو لا يكفر؟ واقع بين أهل السنة، والمعروف عند السلف تكفير من ترك أحد المباني الاسلامية كالصلاة والزكاة والصيام والحج، والقول الثاني أنه لا يكفر إلا من جحدها، والثالث الفرق بين الصلاة وغيرها. وهذه الاقوال معروفة. وكذلك المعاصي والذنوب التي هي فعل المحظورات

(١) ولعل الاصل موالاة المشركين أو الكفار

فرقوا فيها بين مايصادم أصل الاسلام وينافيه وما دون ذلك، وبين ماسماه الشارع كفراً ومالم يسمه، هذا ماعليه أهل الاثر المتمسكون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدلة هذا مبسوطة في أماكنها

(الاصل الرابع) ان الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود وعناد وهو أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه التي أصلها توحيده وعبادته وحده لاشريك له وهذا مضاد للايمان من كل وجه، وأما كفر العمل فمنه مايضاد الايمان كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه

وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهذا كفر عمل لا كفر اعتقاد وكذلك قوله «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[1] وقوله «من أتى كاهناً فصدقه، أو اتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم»[2] فهذا من الكفر العملي وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه وإن كان الكل يطلق عليه الكفر وقد سمى الله سبحانه من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنا بما عمل به، وكافراً بما ترك العمل به، قال تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) إلى قوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية، فأخبر سبحانه انهم أقروا بميثاقه الذي امرهم به والتزموه وهذا يدل على تصديقهم به، واخبر انهم

(١) رواه أحمد والشيخان وغيرهما (٢) في الجامع الصغير «من أتي عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» رواه أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة (وحسنه) وفيه من حديثه عند أحمد وأصحاب السنن الاربعة «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو أتى امرأة في دبرها فقد بريء مما أنزل على محمد»

عصوا امره وقتل فريق منهم فريقا آخر وأخرجوهم من ديارهم ، وهذا كفر بما اخذ عليهم ، ثم اخبر انهم يفدون من أسر من ذلك الفريق وهذا إيمان منهم بما اخذ عليهم في الكتاب. وكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوه منه ، فالايمان العملي يضاده الكفر العملي ، والايمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي ، وفي الحديث الصحيح «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » فرق بين سبابه وقتاله وجعل احدهما فسوقا لا يكفر به والآخر كفر ومعلوم انه انما اراد الكفر العملي لا الاعتقادي وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الاسلامية والملة بالكلية ، كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وان زال عنه اسم الايمان

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الامة بكتاب الله وبالاسلام والكفر ولوازمهما ، فلا تتلقى هذه المسئلة الا عنهم، والمتأخرون لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين فريقا أخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود فى النار ، وفريقا جعلوهم مؤمنين كاملي الايمان ، فأولئك غلوا ، وهؤلاء جفوا ، وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالاسلام في الملل ،

فهاهنا كفر دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك ، وظلم دون ظلم ، فعن ابن عباس في قول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) قال ليس هو الكفر الذى تذهبون اليه رواه عنه سفيان وعبدالرزاق وفي رواية أخرى: كفر لا ينقل عن الملة ، وعن عطاء كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق ، وهذا بين في القرآن لمن تأمله فان الله سبحانه سمي الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا وسمى الجاحد لما أنزل

الله على رسوله كافرا ، وسمى الكافر ظالما في قوله (والكافرون هم الظالمون) وسمى من يتعدى حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالما ، وقال (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال يونس عليه السلام (إني كنت من الظالمين) وقال آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا) وقال موسى (رب اني ظلمت نفسي) وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم

وسمى الكافر فاسقا في قوله (ومايضل به الا الفاسقين) وقوله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات ومايكفر بها إلا الفاسقون) وسمى العاصي فاسقا في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وقال في الذين يرمون المحصنات (وأولئك هم الفاسقون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) وليس الفسوق كالفسوق (١)

وكذلك الشرك شركان شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الاكبر وشرك لا ينقل عن الملة وهو الاصغر كشرك الرياء وقال تعالى في الشرك الاكبر (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير) الآية وقال في شرك الرياء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وفي الحديث « من حلف بغير الله فقد أشرك »[٢] ومعلوم أن حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم « الشرك في هذه الامة أخفى من دبيب النمل »[٣]

(١) كذا ولعل أصله : وليس الفسوق هنا كالفسوق هناك ، كما قال في الظلم قبله
(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم وهو حسن (٣) رواه الحكيم الترمذي

فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم إلى ماهو كفر ينقل عن الملة والى مالا ينقل عنها

وكذلك النفاق نفاقان نفاق اعتقاد ونفاق عمل ، ونفاق الاعتقاد مذكور في القرآن فى غير موضع أوجب لهم تعالى به الدرك الاسفل من النار ، ونفاق العمل جاء في قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر واذا اؤتمن خان » وكقوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد أخلف »[1] قال بعض الافاضل وهذا النفاق قد يجتمع مع أصل الاسلام ولكن اذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الاسلام بالكلية وان صلى وصام وزعم أنه مسلم[2] فان الايمان ينهى عن هذه الخلال فاذا كملت للعبد لم يكن له ماينهاه عن شيء منها ، فهذا لايكون الا منافقا خالصا

(الاصل الخامس) أنه لايلزم من قيام شعبة من شعب الايمان بالعبد أن يسمى مؤمنا ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر ان يسمى كافراً ، وان كان ماقام به كفر كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أو من أجزاء الطب أو من أجزاء الفقه أن يسمى عالما أو طبيبا أو فقيها وأما الشعبة نفسها فيطلق عليها اسم الكفر كما فى الحديث « ثنتان في أمتي

(١) الحديث الاول رواه الجماعة عن ابن عمرو وقيل الا ابن ماجه وفي روايات الخصال تقديم وتاخير . والثاني رواه منهم الشيخان والترمذي والنسائي عن أبي هريرة
(٢) هذا القيد روي في بعض الفاظ الحديث

هما بهم كفر الطعن في الانساب والنياحة على الميت »[1] وحديث « من حلف بغير الله فقد كفر »[2] ولكنه لا يستحق اسم الكافر على الاطلاق ، فمن عرف هذا عرف فقه السلف وعمق علومهم وقلة تكلفهم ، قال ابن مسعود من كان متأسيا فليأتس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم أبر هذه الامة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه فاعرفوا لهم حقهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم ،

وقد كاد الشيطان بني آدم بمكيدتين عظيمتين لا يبالي بايهما ظفر احداهما الغلو ومجاوزة الحد والافراط ، والثانية هي الاعراض والترك والتفريط قال ابن القيم لماذكر شيئا من مكايد الشيطان : قال بعض السلف ما أمر الله بأمر الا وللشيطان فيه نزغتان ، اما الى تفريط وتقصير ، واما الى مجاوزة وغلو ، ولا يبالي بأيهما ظفر ، ، وقد اقتطع اكثر الناس الا القليل في هذين الواديين وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي والقليل منهم جدا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه . وعد رحمه الله كثيرا من هذا النوع الى أن قال : وقصر بقوم حتى قالوا ايمان أفسق الناس وأظلمهم كايمان جبريل وميكائيل فضلا عن أبي بكر وعمر ، وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الاسلام بالكبيرة الواحدة

هذا آخر ماوجد من هذه الرسالة العظيمة المنافع ، القاضية بالبراهين والدلائل القواطع ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن ابي هريرة ولفظ مسلم « اثنتان في الناس » ولا نحفظه الا هكذا (٢) رواه احمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر وتقدم بلفظ فقد أشرك

قاعدة جليله

فيما يتعلق بأحكام السفر والإقامة

لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى

﴿ تابع لما نشر في الجزء الماضي ﴾

واما حديث معاذ فمن افراد مسلم رواه من حديث مالك وزهير بن معاوية وقرة بن خالد وهذا لفظ مالك عن ابي الزبير المكي عن ابي الطفيل عامر بن واثلة ان معاذ بن جبل اخبرهم انهم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأخر الصلاة يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء

***

(قلت) الجمع على ثلاث درجات اما اذا كان سائراً في وقت الاولى فانما ينزل في وقت الثانيـة فهذا هو الجمع الذي ثبت في الصحيحين من حديث انس وابن عمر وهو نظير جمع مزدلفة ، وأما اذا كان وقت الثانية سائراً أو راكبا فجمع في وقت الاولى فهذا نظير الجمع بعرفة ، وقد روي ذلك في السنن كما سنذكره إن شاء الله ، وأما اذا كان نازلا في وقتهما جميعا نزولا مستمرا فهذا ماعلمت روي مايستدل به عليه الا حديث معاذ هذا فان ظاهره انه كان نازلا في خيمة في السفر وانه اخر الظهر ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل الى بيته ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا فان الدخول والخروج انما يكون في المنزل واما السائر فلا يقال دخل وخرج ، بل نزل وركب وتبوك هي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

ولم يسافر بعدها الا حجة الوداع ، وما نقل انه جمع فيها الا بعرفة ومزدلفة واما بمنى فلم ينقل احد أنه جمع هناك بل نقلوا أنه كان يقصر الصلاة هناك ، ولا نقلوا انه كان يؤخر الاولى الى آخر وقتها ، ولا يقدم الثانية الى اول وقتها وهذا دليل على انه كان يجمع احيانا في السفر واحيانا لا يجمع وهو الاغلب على اسفاره انه لم يكن يجمع بينهما وهذا يبين ان الجمع ليس من سنة السفر كالقصر بل يفعل للحاجة سواء كان في السفر أو في الحضر فانه قد جمع أيضا في الحضر لئلا يحرج امته. فالمسافر اذا احتاج الى الجمع جمع سواء كان ذلك لسيره وقت الثانية اووقت الاولى وشق النزول عليه اوكان مع نزوله لحاجة اخري مثل ان يحتاج الى النوم والاستراحة وقت الظهر ووقت العشاء فينزل وقت الظهر وهو تعبان سهران جائع محتاج الى راحة واكل ونوم فيؤخر الظهر الى وقت العصر ثم يحتاج ان يقدم العشاء مع المغرب وينام بعد ذلك ليستيقظ نصف الليل لسفره ، فهذا ونحوه يباح له الجمع

واما النازل اياما في قرية اومصر وهو في ذلك كاهل المصر فهذا وان كان يقصر لانه مسافر فلا يجمع كما أنه لا يصلي على الراحلة ولا يصلي بالتيمم ولا يأكل الميتة . فهذه الامور أبيحت للحاجة ولا حاجة به الى ذلك بخلاف القصر فانه سنة صلاة السفر

والجمع في وقت الاولى كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مأثور في السنن مثل الحديث الذي رواه ابو داود والترمذي وغيرهما من حديث المفضل ابن فضالة عن الليث بن سعد عن هاشم بن سعد عن ابي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في غزوة تبوك اذا زاغت

الشمس قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر وان ارتحل قبل ان تزيغ الشمس أخر الظهر حتى ينزل للعصر، وفي المغرب مثل ذلك اذا غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس أخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم نزل فجمع بينهما قال الترمذي حديث معاذ حديث حسن غريب (قلت) وقد رواه قتيبة عن الليث عن يزيد بن ابي حبيب عن ابي الطفيل لكن انكروه على قتيبة قال البيهقي تفرد به قتيبة عن الليث وذكر عن البخاري قال قلت لقتيبة مع من كتبت عن الليث ابن سعد حديث يزيد بن أبي حبيب عن ابي الطفيل فقال كتبته مع خالد المدائني قال البخاري وكان خالد هذا يدخل الاحاديث على الشيوخ قال البيهقي وانما أنكروا من هذا رواية يزيد بن ابي حبيب عن ابي الطفيل فأما رواية ابي الزبير عن ابي الطفيل فهي محفوظة صحيحة (قلت) وهذا الجمع الذي فسره هشام بن سعد عن ابي الزبير، والذي ذكره مالك يدخل في الجمع الذي اطلقه الثوري وغيره فمن روى عن ابي الزبير عن ابي الطفيل عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء عام تبوك وهذا الجمع الاول ليس في المشهور من حديث انس لان المسافر اذا ارتحل بعد زيغ الشمس ولم ينزل وقت العصر فهذا مما لايحتاج الى الجمع بل يصلي العصر في وقتها وقد يتصل يسره الى الغروب فهذا يحتاج الى الجمع بمنزلة جمع عرفة لما كان الوقوف متصلا الى الغروب صلى العصر مع الظهر اذ كان الجمع بحسب الحاجة

وبهذا تتفق احاديث النبي صلى الله عليه وسلم والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لايفرق بين متماثلين، ولم ينقل احد عنه انه جمع بمنى ولا بمكة

عام الفتح ولا في حجة الوداع مع انه اقام بها بضعة عشر يوما يقصر الصلاة ، ولم ينقل أحد إنه جمع في حجته الا بعرفة ومزدلفة فعلم أنه لم يكن جمعه لقصره وقد روي الجمع في وقت الاولى في العصر من حديث ابن عباس ايضا موافقة لحديث معاذ ذكره ابو داود فقال وروى هشام بن عروة عن حسين بن عبد الله عن كريب عن ابن عباس عن النبي ﷺ نحو حديث الفضل (قلت) هذا الحديث معروف عن حسين وحسين هذا ممن يعتبر بحديثه ويستشهد به ولا يعتمد عليه وحده فقد تكلم فيه علي ابن المديني والنسائي ورواه البيهقي من حديث عثمان بن عمر عن ابن جريج عن حسين عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا زالت الشمس وهو في منزله جمع بين الظهر والعصر وإذا لم تزل حتى يرتحل سار حتى اذا دخل وقت العصر نزل فجمع الظهر والعصر واذا غابت الشمس وهو في منزله جمع بين المغرب والعشاء واذا لم تغب حتى يرتحل سار حتى أتت العتمة نزل فجمع بين المغرب والعشاء قال البيهقي ورواه حجاج بن محمد عن ابن جريج اخبرني حسين عن كريب وكان حسين سمعه منهما جميعا واستشهد على ذلك برواية عبد الرزاق عن ابن جريج وهي معروفة وقد رواها الدارقطني وغيره وهي من كتب عبد الرزاق قال عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني حسين بن عبد الله ابن عبيد الله بن عباس عن عكرمه وعن كريب عن ابن عباس ان ابن عباس قال : الا اخبركم عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر؟ قلنا بلى . قال كان اذا زاغت له الشمس في منزله جمع بين الظهر والعصر قبل أن يركب، واذا لم تزغ له في منزله سار حتى اذا حانت العصر نزل

فجمع بين الظهر والعصر ، واذا حانت له المغرب في منزله جمع بينها وبين العشاء واذا لم يكن في منزله ركب حتى اذا كانت العشاء نزل فجمع بينهما قال الدارقطني ورواه عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج عن هشام ابن عروة عن حسين عن كريب فاحتمل أن يكون ابن جريج سمعه اولا من هشام بن عروة عن حسين كقول عبد المجيد عنه ثم لقي ابن جريج حسيناً فسمعه منه كقول عبد الرزاق وحجاج عن ابن جريج . قال البيهقي وروي عن محمد بن عجلان ويزيد بن الهادي وابي رويس المدني عن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس ، وهو بما تقدم من شواهده يقوى ، وذكر ماذكره البخاري تعليقاً : حديث ابراهيم بن طهمان عن الحسين عن يحي بن ابي كثير عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر في السفر اذا كان على ظهر مسيره ، وجمع بين المغرب والعشاء . أخرجه البخاري في صحيحه فقال : وقال ابراهيم بن طهمان فذكره

(قلت) قوله على ظهر سيره قد يراد به على ظهر سيره في وقت الاولى وهذا مما لاريب ويدخل فيه ماإذا كان على ظهر سيره في وقت الثانية كما جاء صريحاً عن ابن عباس. قال البيهقي : وقد روى أيوب عن ابي قلابة عن ابن عباس لا نعلمه إلا مرفوعا بمعنى رواية الحسين وذكر مارواه اسماعيل بن اسحاق ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابي قلابة عن ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعا والافهو عن ابن عباس أنه كان اذا نزل منزلا في السفر فأعجبه المنزل أقام فيه حتى يجمع بين الظهر والعصر ، قال اسماعيل حدثنا عارم حدثنا حماد فذكره . قال عارم هكذا

حدث به حماد قال : كان اذا سافر فنزل منزلا فأعجبه المنزل أقام فيه حتى يجمع بين الظهر والعصر ، ورواه حماد بن سلمة عن أيوب من قول ابن عباس قال اسماعيل ثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن ايوب عن ابي قلابة عن ابن عباس قال : اذا كنتم سائرين فنبا بكم المنزل فسيروا حتى تصيبوا تجمعون بينهما ، وان كنتم نزولا فعجل بكم أمر فاجمعوا بينهما ثم ارتحلوا

(قلت) لحديث ابن عباس في الجمع بالمدينة صحيح من مشاهير الصحاح كما سيأتي ان شاء الله

وأما حديث جابر ففي سنن ابي داود وغيره من حديث عبد العزيز ابن محمد عن مالك عن ابي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غابت له الشمس بمكة فجمع بينهما بسرف . قال البيهقي ورواه من حديث الحماني عن عبدالعزيز، ورواه الاجلح عن ابي الزبير كذلك قال ابو داود حدثنا محمد بن هشام جار احمد بن حنبل حدثنا جعفر بن عون عن هشام ابن سعد قال بينهما عشرة أميال يعني بين مكة وسرف (قلت) عشرة أميال ثلاثة فراسخ وثلث ، والبريد أربعة فراسخ ، وهذه المسافة لا تقطع في السير الحثيث حتى يغيب الشفق ، فان الناس يسيرون من عرفة عقب المغرب ولا يصلون الى جمع إلا وقد غاب الشفق ، ومن عرفة إلى مكة بريد ، فجمع دون هذه المسافة وهم لا يصلون اليها الا بعد غروب الشفق فكيف بسرف ، وهذا يوافق حديث ابن عمر وأنس وابن عباس أنه اذا كان سائراً أخر المغرب الي أن يغرب الشفق ثم يصليهما جميعاً

قال البيهقي والجمع بين الصلاتين بعذر السفر من الامور المشهورة المستعملة فيما بين الصحابة والتابعين مع الثابت عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، ثم عن أصحابه ، ثم ماأجمع عليه المسلمون من جمع الناس بعرفة ثم بالمزدلفة ، وذكر مارواه البخاري من حديث سعيد عن الزهري أخبرني سالم عن عبدالله بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أعجله السير في السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء

قال سالم وكان عبدالله بن عمر يفعل ذلك اذا أعجله السير فى السفر يقيم صلاة المغرب فيصليها ثلاثا ثم يسلم ، ثم قلما يلبث حتى يقيم صلاة العشاء ويصليها ركعتين ثم يسلم ولا يسبح بينهما بركعة ولا يسبح بعد العشاء بسجدة حتى يقوم من جوف الليل

وروى مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال لسالم بن عبد الله بن عمر ماأشد مارأيت أباك عبدالله بن عمر أخر المغرب في السفر قال : غربت له الشمس بذات الجيش فصلاها بالعقيق . قال البيهقي : رواه الثوري عن يحيى بن سعيد وزاد فيه : ثمانية أميال

ورواه ابن جريج عن يحيى بن سعيد وزاد فيه قال (قلت) أي ساعة تلك ؟ قال : قد ذهب ثلث الليل أو ربعه . قال ورواه يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد عن نافع قال :فسار أميالا ثم نزل فصلى . قال يحيى :وذكر لي نافع هذا الحديث مرة أخرى فقال : سار قريبا من ربع الليل ثم نزل فصلى

وروى من مصنف سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أنه كان يجمع بين الصلاتين فى السفر ويقول هي سنة . ومن حديث علي بن عاصم أخبرني الجريري وسلمان التيمي عن ابي عثمان النهدي قال : كان سعيد بن زيد وأسامة بن زيد اذا عجل بهما السير جمعا بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء

وروينا في ذلك عن سعيد بن ابي وقاص وأنس بن مالك ، وروي عن عمر وعثمان . وذكر ماذكره مالك في الموطأ عن ابن شهاب أنه قال سألت سالم بن عبدالله هل يجمع بين الظهر والعصر في السفر ؟ فقال : نعم لا بأس بذلك ألا ترى الى صلاة الناس بعرفة ، وذكر في كتاب يعقوب ابن سفيان ثنا عبدالملك بن ابي سلمة ثنا الداوردي عن زيد بن أسلم وربيعة ابن ابي عبدالرحمن ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد في أمثال لهم خرجوا الى الوليد وكان أرسل اليهم يستفتيهم في شيء فكانوا يجمعون بين الظهر والعصر اذا زالت الشمس

(قلت) فهذا استدلال من السلف بجمع عرفة على نظيره وأن الحكم ليس مختصا وهو جمع تقديم للحاجة في السفر (للحديث بقية)

القرآن والعلم الحديث

﴿ لقمان الحكيم وبلعام بن باعورا ﴾

جاء في القرآن الكريم عن لقمان الحكيم (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غني حميد * وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنيّ لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآيات من سورة لقمان

فلقمان الحكيم في نظر القرآن كان رجلا حكيما مؤمنا ، ولكن من هو لقمان الذي اشتهر عند العرب بالحكمة ، مع أنه لم يكن منهم ، ولم يرد له ذكر عند غيرهم . ومن البعيد أن يحفظ العرب ذكره ولا يكون له ذكر عند قومه . وهم أولى بحفظ ذكره من العرب

على أن علماءنا الأقدمين ليسوا على بينة من أمر لقمان . فمن قائل إنه لقمان ابن باعورا بن أخت أيوب أو ابن خالته ، ومن قائل إنه من أولاد آزر عاش ألف سنة . وأدرك داود عليه السلام . ومن قائل انه كان قاضياً في بني اسرائيل ،

ومن قائل انه كان أسود من سودان مصر : وقد اختلفوا بعد هذا في أنه كان خياطا ، أو نجاراً ، أو راعياً . وهذا الاضطراب يدل على أنهم لا يعرفون يقيناً ما لقمان ، ولا من أي قوم كان . وقد شك الألوسي المفسر في صحة هذه الروايات كلها . ولكنه لم يبين لنا أصل هذا الاسم الاعجمي الذي حفظه العرب بدون أن يعرفوا أصله ، ولم يرد فيه عند غيرهم مايوضح أمره

وقد حاول العلم الحديث أن يحل هذه المسألة فهداه البحث الى أن لقمان ابن باعورا الحكيم المؤمن ، هو بلعام بن بعور المذكور في التوراة ، والمشهور عند اليهود بأنه فيلسوف الشعب الكافر . وقد قالوا عنه إنه لاتوجد في الدنيا فلاسفة مثله ، وممن ذهب الى هذا الدكتور ج درانبورج أحد أعضاء الجمعية الشرقية بمدينة باريس ، ودليله عليه أن الاسماء المشهورة الواردة في التوراة ، والتي ذكر معظمها في القرآن بالشكل الذي هي عليه في التوراة ، ينقصها اسم بلعام بن بعور ، فليس هو إلا لقمان بن باعورا ، ويؤيد هذا اتفاق اسم الأب فيهما ، وأن الفعل العربي (لقم) معناه باللسان العبري بلع ، على أنه يوجد في كتاب صغير لمؤلف يسمى (أنوخ) مايؤخذ منه أن دلالة هذين الاسمين على شخص واحد كان معروفا قديما ، فقد جاء فيه ان بلعام هو الفيلسوف المسمى في العربية (لقنين) يعني لقمان ، وانما أوقعه في هذا التحريف بعده عن العربية ، وانه ليس من أهلها

وهذا الأمر إن صح لايحل المسألة إلا من وجهتها التاريخية ولكنها من الوجهة الدينية تبقى معقدة ، لأن لقمان في نظر القرآن حكيم مؤمن ، وفي نظر التوراة اذا كان هو بلعام فيلسوف كافر ، فقد ورد فيها ان بني اسرائيل لما ارتحلوا الى موآب ليحاربوا أهلها أجمع شيوخها وأرسلوا إلى بلعام ليلعن هذا الشعب الذي يغير على بلاده ، فقال له الرب لاتلعن هذا الشعب لانه مبارك ، ولما ألحوا عليه أذن له الرب أن يذهب معهم، بشرط أن لايتكلم إلا بما يأمره به ، فركب حماره ، وغضب الرب لذهابه (تأمل) ، فأرسل له ملكا في الطريق وفي يده سيف مسلول ، فلما أبصره حماره وقف ، وكشف الله عن عينه فرأى الملك متعرضاً في طريقه ، فأراد أن يرجع ، ولكن الملك سمح له أن يذهب معهم

بشرط أن لا يفعل إلا ما أمر به ، ولما وصل الى مكان يرى منه شعب اسرائيل ، ظهر له الرب وأمره أن لا يلعنه ، فذهبوا به الى مكان آخر لعل الرب يظهر له ويغير أمره ، فلم يأذن له في لعنهم ، فتركهم ورجع الى مكانه الذي كان فيه ، ولما استولى موسى وقومه على بلاد موآب قتلوه مع كل ذكر فيها ، وسبوا النساء والاطفال ، فغضب موسى لعدم قتلهم النساء والاطفال ، وقتل كل طفل فيها ، وكل امرأة ثيب ، فهذا ماذكرته التوراة الموجودة بأيدي اليهود عن بلعام

وقد نقلت هذه الرواية الى المسلمين مع من أسلم من أهل الكتاب ، ولكن بتغيير قليل ، فان التوراة لا تنص على انه دعا على موسى وقومه ، وأما رواية مسلمي أهل الكتاب فتنص على انه دعا عليهم ، فوقعوا بسبب دعوته في التيه ، فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه ، فقال بدعاء بلعام ، فقال كما سمعت دعاءه فاسمع دعائي عليه ، فدعا أن ينزع منه الايمان ، فسلخه الله مما كان عليه

ولم يشأ علماؤنا إلا أن يصدقوا هذه الرواية التي لم ينزل بها اليهم كتاب ، ولم يأت بها اليهم رسول ، فكان بلعام عندهم غير لقمان ، وقد ذهبت الظنون بهم فيه أيضا حتى قال بعضهم انه كان نبيا ، وقال آخرون انه كان من أهل اليمن ، وحمل عليه ابن عباس قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) وقالوا انه كان يعرف اسم الله الأعظم الذي مادعا به داع إلا استجيب له ولا يخفى أن كل هذا من الاسرائيليات التي رواها لنا كعب الاحبار وغيره من مسلمي أهل الكتاب ، ولا يوثق بها عند كثير من محققي المؤرخين عندنا ، فان مسلمي أهل الكتاب الذين نقلت عنهم هذه الروايات كانوا في نشأتهم بين البدو من العرب ، بعيدين عن معرفة الاخبار الصحيحة عن أهل الكتاب ، ولم يكن عندهم من العلم ما يميزون به غثها من سمينها

وأما قوله تعالى (واتل عليهم) الآية[1] فليس فيه مايدل على أن المراد به بلعام أو غيره وقد قال ابن عمر انها نزلت في أمية بن أبي الصلت ، كان على علم بكتب الله وآياتها ، وكان يعلم أن الله سيبعث رسولا من العرب ، ويرجو أن

(١) المنار : يظ في تفسيرها مايؤيد رأي الكاتب في بلعام ولا ينافيه قبله

يكون هو ، فلما بعث محمد (ص) حسده ومات كافراً ، وقيل انها نزلت في أبي عامر الراهب ، وقيل أنها مثل لكل من يعرف الهدى ويعرض عنه ، فليس في القرآن اذاً مايمنع أن يكون بلعام هو لقمان الحكيم

وأما رواية التوراة عن بلعام فلا يلزمنا أن نصدقها ، وقد نسبت الى غير بلعام من الانبياء الذين لانشك في عصمتهم - كداود وسليمان وغيرهما- أموراً لانشك في أنهم منزهون عنها ، فما ورد فيها عن بلعام لايمنعنا من أن نجاري العلم الحديث في أنه هو لقمان الحكيم ، على أن بعض علماء المسيحيين يشك في صحة قصة بلعام الواردة في التوراة للتناقض الذي فيها ، فكيف يأذن له الله على ماسبق في الذهاب مع قومه ، ثم يغضب عليه لذهابه معهم، وكيف يقتله موسى عليه السلام مع من قتل من قومه ، مع ان التوراة لم تنص على أنه لعن بني اسرائيل كما كان يريد قومه ، بل نصت على انه لما لم يأذن له الرب في لعنهم ، قال لبالاق بن صفور ملك موآب : قم يابالاق واسمع فليس الله انسانا فيكذب ، ولا ابن انسان فيندم، وهل يعد ولا يفي ؟ وأخبره بأن بني اسرائيل سيملكون بلاده، فبأي ذنب يقتل من هذا حاله ، وبأي وجه يكون هذا الرجل عند اليهود فيلسوف الشعب الكافر ؟؟

واذاً ليس هناك من جهة الدين مايمنع أن يكون لقمان هو بلعام ، وانه لخير لنا أن نجاري العلم الحديث في هذا ، وأن لا نتأثر بما رواه اليهود من كفر بلعام كما تأثر به آباؤنا من قبلنا ، فحال بينهم وبين الاهتداء الى الحقيقة في أمر لقمان ، وجعلهم حيارى لايدرون من أي قوم كان . واذا لم نذهب الى ذلك فسنظل مطأطئين أمام العلم بالأدلة التي تقنعه بأن لقمان غير بلعام ، وبالآثار القديمة التي تكشف عن أمر هذا الحكيم الذي ورد به القرآن الكريم

ولماذا نكلف أنفسنا عناء هذا البحث والتفتيش ، ولا نقنع بما قنع به العلم الحديث ، ونحمده على هذه الخدمة التي خدم بها القرآن ، وقطعه الطريق على من تحدثه نفسه من زنادقة هذا العصر بأن رواية القرآن عن لقمان حديث خرافة ، اذ لايجد له حديثا في التاريخ القديم، ولا ذكراً عند الاقوام الذين نسبه اليهم علماء المسلمين ؟

عبد المتعال الصعيدي

احد علماء الجامع الاحمدي

الصحة

تأليف
زعيم الهندوس الاكبر
مهاتما غاندى



ترجمة
الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادى

الباب الثامن

— الامومة والولادة —

كان غرضنا في الابواب الماضية بيان وحدة الاصل والعلاج لبعض الامراض الكثيرة الشيوع . وإننا نعلم أن الذين أصبحوا لسوء عاداتهم عرضة للامراض، أو الذين يخافون من الموت دائما ، لايزالون يضعون أنفسهم تحت رحمة الاطباء مهما حاججناهم ومنعناهم من ذلك . ولكنا على كل حال نظن بأن هنالك على الاقل افرادا يريدون أن يزيلوا أمراضهم بطرق طبيعية محضة ، ويحفظوا أنفسهم من هجوم الامراض الجديدة . فهم بلا شك يحبون أن يتبعوا النصائح الساذجة التي بسطناها في هذا الكتاب . وقبل أن نغلقه نريد أن نشير بعض الاشارات الى الامومة وتربية الطفل ، وكذلك الى بعض الحوادث الفجائية التي يكثر وقوعها .

ان أوجاع الولادة غير معروفة لدى الحيوانات الدنيا وكذلك النساء الصحيحات صحة تامة ، وإن أكثر القرويات ليعددن الولادة شيئا عاديا صرفا فلا يزلن في اشغالهن العادية المتعبة الى آخر لحة من الحمل تقريبا ، وقلما يتألمن من الوضع .

لماذا إذن تتعذب نساء المدن هذا العذاب الاليم عند الوضع ؟ ولماذا يضطررن الى التداوي الخاص قبل الولادة وبعدها ؟

الجواب ظاهر وهو أن هاته النسوة تعيش عيشة غير طبيعية ، فطعامها وعوائدها

وطرق معيشتها كل مخالفة للقوانين الطبيعية للحياة الصحية . ثم إنها فوق هذا ومع حملها قبل ان يكمل استعدادها للحمل استعدادا تاما ـ تكون ضحية مأسوفا عليها لشهوة الرجال أثناء الحمل وبعد الوضع مباشرة ، وهكذا تحمل مرة قبل أن يمضي على خلو الرحم مدة يعتد بها . هذا هو سبب العذاب والتعاسة التي نجد فيها مئات الالوف من بناتنا واخواتنا الآن .

ان مثل هذه الحياة في رأيي قلما تختلف عن حياة المجرمين في جهنم ؟ ومادام الرجال يعاملون النساء بهذه المعاملة الفظيعة فلا يمكن أن يكون هنالك أي رجاء المسرة لنسائنا : يحمل كثير من الناس اللوم على كواهل النساء نحن لا نناقشهم في ذلك لأنه ليست وظيفتنا هنا الموازنة في الأثم المشترك بين الرجل والمرأة في هذه المسألة . وانما الذي يهمنا هو معرفة انشر الواقع والاشارة الى علاجه . ليعلم المتزوجون والمتزوجات جيداً أنه مادام التمتع الزوجي موجوداً قبل اوانه وأثناء الحمل وبعد الوضع مباشرة فلا يمكن أن تنجو النساء من أوجاع الولادة ، أو ترى الولادة السهلة . بل يبقى هذا الامر حلماً غير محقق ؟

تتحمل النساء بسكوت جميع أوجاع الولادة لانها تعترف باطلا بأنه لا بد لها منها ، ولكنها لا تعلم أن جهلها وضعف إرادتها هو الذي يجعل ولادتها تتعسر وأولادها يكبرون ضعفاء غير نشطين . ان من وظائف كل رجل وامرأة السعي في إزالة هذه المصيبة بأي طريقة تتيسر . ولو أدى رجل واحد أو امرأة واحدة هذه الوظيفة تكون الدنيا قد تقدمت الى الامام الى ذلك الحد ، ومن البديهي أن هذا مالا يحتاج الانسان في القيام به ولا ينبغي أن يحتاج الى القدوة بانسان آخر

فعلى هذا أول وظيفة تجب على الزوج أن يقطع كل علاقة زوجية مع زوجته من ساعة الحمل : ان المسئولية التي تقع على الزوجة خلال مدة الحمل لعظيمة جداً . يجب عليها أن تعلم جيداً أن اخلاق الطفل الذي ستلده تتوقف كلها على حياتها وسيرتها أثناء هذه المدة المقدسة . فان هي ملأت مخيلتها بالحب لجميع الاشياء الطيبة العالية والتفكر فيها فالطفل كذلك ينطبع على هذه الطبيعة نفسها . وبالعكس ان وسعت المجال للغضب وغيره من الميول الفاسدة فطفلها كذلك يرث هذه الميول حتما .

فاذن يجب عليها خلال هـذه الاشهر التسعة أن تشغل نفسها تماما بأعمال طيبة فتطهر مخها من كل خوف وقلق وانزعاج ولا توسع المجال على نفسها لفكرة خبيثة، أو ميل فاسد، ولا تضيع دقيقة واحدة في لغو الكلام، أو الفعل عبث فالطفل الذي يولد لمثل هذه الام لابد من أن يكون شريفاً نبيها قويا

يجب أن تبقى الحامل نظيفة الجسم مثل ماتبقى نظيفة المخ، وان تستنشق كمية كبيرة من الهواء النقي وتقتصر على الغذاء الخفيف الجيد بقدر ماتستطيع هضمه بسهولة . فان هي قامت بجميع النصائح التي قد بينت في مسئلة الغـذاء وغيره ، فلن تضطر الى الاستعانة بالاطباء ، وإن هي أصيبت بالامساك فلتزد كميـة زيت الزيتون في الطعام ، وفي حالة الغثيان والقيء يجب أن تشرب عصير الليمون في الماء بدون سكر ثم عليها أن تهجر جميع البهارات والتوابل على اختلاف أنواعها

والميـل الذي يتولد في الحامل الي أكل أشياء مختلفة جديدة يمكن إزالته باستحمام (كيوهن) الذي يزيد فوق ذلك قوتها الجسدية والحيوية ويسهل أوجاع الولادة وعليها أن تقوي ارادتها فتقتل مثل هذه الرغبات في أول نشأتها : ويجب على الوالدين أن يهتما غاية الاهتمام بخير الجنين في الرحم

وكذلك يجب على الزوج أن يجتنب المشاجرة والخصام مع زوجته أثناء هذه المدة فيسير معها سيراً يسرها ويرضيها ، وعلى الزوجة أن تقلل من واجبات البيت الثقيلة ، وان تمشي في هواء طلق مدة كل يوم ، وان لاتستعمل أي دواء أثناء الحمل.

الباب التاسع

— تربية الطفل —

ليس غرضنا في هـذا الباب ذكر وظائف القابلة أو المرضع بل نريد أن نبين الاحتياطات الواجب اتخاذها اذا ولد الولد : ان الذين قرأوا الابواب المتقدمة لايحتاجون الى التنبيه على عظم الضرر الذي يلحق الام بحبسها في حجرة مظلمة فاسدة الهواء وتنويمها على فراش وسخ مع نار تحت سريرها أثناء مدة

النفاس ، ان هذه العادة مهما تكن قديمة فهي محاطة بمخاطر كثيرة على كل حال.

نعم ان التدفئة في أيام الشتاء واجبة ، ولكن ذلك يتم على أحسن صورة باستعمال الاغطية الدافئة ، وان كانت الحجرة باردة جدا ولا بد من وضع النار فيها فلتوقد خارجها ، فاذا ذهب دخانها تدخل فيها . وفي هذه الحالة أيضاً لا ينبغي وضعها تحت السرير ، وكذلك تحصل التدفئة بوضع قوارير الماء الساخن على الفراش ، يجب أن تنظف جميع الملابس والاقمشة تماما بعد الولادة وقبل استعمالها ثانية

وبما أن صحة الطفل تتوقف على صحة الام فلذلك يجب الاهتمام العظيم بغذائها وطرق معيشتها فيقدم اليها الطعام من القمح مع كمية كبيرة من الثمار الجيدة كالموز وزيت الزيتون حتى تسري فيها الحرارة والقوة وتدر لبنا كثيرا

ان زيت الزيتون يوجد الخواص المسهلة في لبن الأم ، وهكذا يساعد في حفظ الطفل من الامساك وان انحرفت صحة الطفل وجب الاهتمام بحالة صحة الام ، ان معالجة الطفل بالادوية تساوي قتله ، لان الطفل بسبب ضعف بنيته يمرض سريعاً من تأثيراتها السامة ولذلك يجب أن تعطى الادوية للام لا للطفل ، لكي تنتقل فوائدها اليه مع لبنها ، وان أصيب الطفل بالسعال أو الامساك كما يحصل كثيراً فلا ينبغي الخوف من ذلك بل يجب الانتظار يوما أو يومين لنعرف أساس المرض فنداويه ، ان الجزع والخوف لا يزيد الامر الا سوءا وشدة

يجب أن يغسل الطفل في الماء الفاتر دائما وتقلل ملابسه ما أمكن ، بل الاحسن ان لا يلبس بضعة أشهر ثوبا ما وينوم على قماش أبيض لين ويغطى بقماش دافيء ، ويترك حرا في حركاته ليتقوى ويتصلب ، يجب أن توضع قطعة من القماش الجيد مطوية أربع طيات على السرة وتربط فوقها عصابة

ان عملية ربط السرة بخيط وتعليقه في العنق مضرة جدا بل يجب أن تكون عصابة السرة غير مشدودة شدا محكما وان كان المكان حول السرة رطبا فينبغي أن ينثر عليه ذرور (بودرة) دقيق الرز الجيد الناعم جيدا

وما دام اللبن عند الام كافيا فيجب أن يقتصر عليه الطفل وحده فان قل يجوز استعمال دقيق القمح المشوي المطحون جيدا في الماء الساخن مع قليل من

السكر فانه يأتي بنتائج حسنة وكذلك نصف علبة من دقيق الموز معجونا بنصف ملعقة من زيت الزيتون نافع جدا ، وان كان لابد من اعطائه لبن البقرة فيجب أن يمزج أولا بالماء بمقدار الثلث ثم يوضع على النار حتى يغلي ثم يزاد فيه قليل من سكر القصب كذلك .

ان استعمال السكر عوضاً من سكر القصب مضر ، يجب أن يعوّد الطفل تدريجاً على أكل الغذاء من الثمار ليبقى دمه طاهرا من أول الامر ، ويكبر قوي الاستعداد للرجولية وعظائم الامور

ان الامهات اللاتي يبادرن الى اطعام أطفالهن الاشياء الثقيلة كالرز والنباتات والعدس بمجرد ظهور الاسنان بل قبل ذلك أيضاً فانهن يضررنهم ضررا بليغاً ، ولا احتياج الى القول بأن القهوة والشاي يجب منعها عنهم بتاتا

اذا كبر الطفل وأخذ في المشي فيلبس القميص وما شاكله من الملابس ، ولكن يجب أن تبقى أقدامه حافية لتكون حرة المشي والتنقل على ارادتها

ان لبس الحذاء يمنع دورة الدم ونماء القدم والرجل ، ان كسو الطفل الملابس الحريرية أو الاقمشة المزركشة مع الطربوش والحلل والحلي عمل همجي ، وان سعينا لزيادة الجمال الذي وهبته الطبيعة بمثل هذه الطريقة المضحكة انما يدل على غرورنا وجهلنا ، يجب علينا دائما أن نعرف ان تعليم الطفل يبتدىء بمجرد ولادته ، فيتلقى هو هذا التعليم من والديه أكثر من كل احد

ان تهديد الاطفال وتخويفهم وشحن بطونهم بالاغذية كل ذلك لغارة على أصول التعليم الحق وكما يقول المثل القديم « ان الطفل يكون مثل والديه » فقدوة الوالدين وعملها لابد من أن يفرغ في قالبه سير الطفل وأخلاقه : فان كانوا ضعافا فيكون أطفالهم كذلك ضعافا نحافا ، وان كانوا يتكلمون بفصاحة وبيان فكذلك يكون أطفالهم ، وان كانوا يتلعثمون ويجمجمون فأطفالهم يقلدونهم في ذلك ، وان كانوا يسبون ويشتمون أو كانوا متعودون العادات القبيحة فأطفالهم أيضاً تقلدهم وتكبر في أخلاق سيئة ، والحقيقة أنه ليس هنالك عمل لا يقلد فيه الطفل والديه

فترى من ذلك كيف ان المسئولية ثقيلة عظيمة على أكتاف الوالدين !
فأول ما يجب على الانسان هو أن يعلم أولاده تعليما يجعلهم مستقيمين صادقين ، وحلية للمجتمع الذي يعيشون فيه

نحن نرى في عالم الحيوان والنبات ان كل شيء يعزع إلى شبه والديه وأسلافه ولكن الانسان وحده قد خرق هذا الناموس الطبيعي ، فترى فيه وحده أن الاشرار يولدون من والدين فاضلين والضعاف من الاصحاء ، وليس هذا ذنب الاولاد بل هو ذنبنا نحن الآباء والأمهات الذين ندخل في حياة الابوة والامومة ونحن غير مستعدين تمام الاستعداد لحمل مسئولياتها العظيمة الثقيلة ، ان من الواجبات المقدسة على جميع الآباء الافاضل ان يربوا أولادهم تربية عالية ، وهذا يتطلب أن يكون الوالدان قد تعلما تعليما صحيحاً فان كانا يريان أنهما لم يتلقيا مثل هذا التعليم ويشعران بنقصهما فعليهما تسليم الاولاد الى تربية مربين صالحين ،

وان من الحمق وقبح التصور أن نظن بأن الاولاد يحصلون على العلم الصحيح بمجرد ارسالهم إلى المدرسة ، وما دام التعليم والتربية في المدارس يخالف ما في البيت فلا يمكن أن يكون هناك رجاء لاصلاح النشء الجديد

وحيث ان التعليم الصحيح للطفل يبتديء بمجرد ولادته مباشرة فينبغي أن يلقن مباديء العلم أثناء اللعب . وعلى هذه الطريقة كان يمشي القدماء في تعليم أولادهم . وأما عادة ارسال الاطفال الى المدرسة فمن بنات الامس ، واذا قام الوالدان بما يجب عليهما لأولادهما فلا يكون هناك حد لرقيهم ، ولكنا ويا للاسف لا نقوم بواجبنا ، بل الواقع اننا نتخذ أطفالنا ألعوبة لنا ، نحن نزين أجسامهم بالملابس الجميلة ونحليهم بالذهب والجوهرات ونملأ بطونهم بالحلوى ، ونفسد عاداتهم بحنيننا المتناهي وعطفنا الكاذب من منشئهم ونتركهم يسرحون ويمرحون على أهوائهم متأثرين بعوامل الحب الكاذب

وما دمنا نحن نعبد بكل شقاء شهواتنا ونسير سيراً معوجا ونعيش في الكسل والوساخة فهل من العجب أن اتبع أولادنا خطواتنا وأصبحوا ضعفاء أشراراً أنانيين كسالى عُبّاد الشهوة سيّيء الاخلاق مثلنا ؟ فليتدبر جميع الآباء والامهات جيدا هذه المسائل لان عليهم وحدهم يتوقف مستقبل البلاد

باب الانتقاد على المنار

بطلان الدفاع عن جرح كعب الاحبار ووهب بن منبه

تتمة مانشر في الجزء الماضي

(الانتقاد الرابع الاحتجاج بما لايحتج به)

ادعى المنتقد الفاضل أننا احتججنا في جرح الحبرين بما لايصح الاحتجاج لعدم صحته أو لخروجه عن موضوع البحث ، قال ومنه تفسير وهب بن منبه لقوله تعالى في قصة موسى (فألقى عصاه)

سلم المنتقد أن ما نقلناه عن ابن كثير في ذلك أمر لايتصوره عاقل وطعن في صحة إسناده الى وهب عند ابن جرير والامام أحمد في الزهد وابن أبي حاتم في تفسيره . قال: في سند ابن جرير من هو مجهول وكتاب الزهد للامام أحمد لم يكن من كتب الحديث المعروفة فلا يبعد أن يكون في سنده انقطاع ، وابن أبي حاتم تفسيره كتفسير ابن جرير بل انه يروي في الموضع الواحد متناقضات » (قال) « وعلى ذلك لم يوجد سند صحيح بأن هذا الخبر الغريب صدر من وهب... ويدل على انه موضوع على وهب انه لم يروه أحد من أصحاب كتب الحديث المعتبرة مثل البخاري أو مسلم أو غيرهما من الكتب التي يصح للمطلع عليها أن يقطع أو يظن انه صدر منه »

أقول (أولا) اذا سلمنا ان فى سند ابن جرير مجهولا فلا نسلم ان الراوي المجهول حاله عند المؤلفين فى الجرح والتعديل يقتضي أن تكون روايته موضوعة فهذا لم يقل به أحد منهم ولا من غيرهم وانما غايته التوقف عن الاحتجاج بما ينفرد به وليس هذا منه اذ رواه غيره

و (ثانياً) إن طعنه في كتاب الزهد للامام أحمد جرأة عظيمة لاينبغي أن يقدم عليها الحريص على توثيق كعب الاحبار ووهب بن منبه لئلا يعد جرحهما طعنا في رواة الحديث ، فنحن لو طرحنا كل ماروي عنهما لم نخسر من الدين ولا من

العلم شيئاً مهما ، وأما الامام أحمد فهو إمام الأئمة ، شيخ البخاري ومسلم وغيرهما من أساطين السنة ، أحد الأربعة الذين عرض عليهم البخاري صحيحه قبل أن يظهره للناس ليرى رأيهم فيه ، عمدة المحدثين في الجرح والتعديل ، صاحب المسند الذي كتبه ليكون اماماً يرجع اليه العلماء فيما اختلفوا فيه من السنة ، أفقه المحدثين وأزهد الزهاد وأورعهم ، فهل يصح أن نطعن في كتاب ألفه لهداية النـاس لأجل توثيق وهب ابن منبه ، ويدعي الطاعن انه يوثق وهباً وكعباً لئلا يعد الطعن فيهما طعناً في السنة ؟

سبحان الله ! أيقول الشيخ عبـد الرحمن الججموني المشتغل في جل أوقاته بالزراعة الذي يرجع عند ارادة الكتابة في مثل هذا المقام الى الكتب فيقرأ منها مايريد أن يؤيد به رأيه الذي سنح له وقد تقدم مايدل على مبلغ فهمه لعباراتها الجلية ، أيقول ان كتاب الزهد للامام أحمد غير معروف عنده ويرتب على هذا أن يعد بعض ماروي فيه موضوعا أي كذبا وهو لم يطلع على سنده ؟ أيروي الامام أحمد الموضوعات في كتاب ألفه لهداية الناس في الدين ولا يعد ذلك شبهة على السنة وهو إمامها الأعظم ؟ ثم يعد من الشبهة عليها الطعن في مرويات كعب الأحبار ووهب بن منبه الخرافية ؟

و(ثالثاً) ان طعنه في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم مع تشبيهه بتفسير الامام محمد بن جرير الطبري أغرب من طعنه في كتاب الزهد للامام أحمد رحمهم الله تعالى إننا نحن نخـبره بأن هذين التفسيرين هما أعظم ما كتبه أئمة الحفاظ رواة الأثر على الاطلاق . واذا كانوا قد اتفقوا على ان تفسير ابن جرير أجل التفاسير على الاطلاق وان الذي يليه هو تفسير ابن أبي حاتم كما نقله السيوطي فما ذلك إلا لما في الأول من علوم اللغة والنحو الترجيح بين الروايات واستنباط الأحكام . وأما من جهة الرواية عن الصحابة والتابعين فابن أبي حاتم أشد من ابن جرير وسائر رواة التفسير تحرياً للصحيح

قال السيوطي في سياق كلامه عن الروايات المأثورة في التفسير ورواتها بعد نقله عن الارشاد تفضيل تفسير السدي مانصه : وتفسير السدي الذي أشار اليه يورد منه ابن جرير كثيراً من طريق السدي عن ابي مالك وعن أبي صالح عن

ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا ولم يورد ابن أبي حاتم منه شيئا لانه التزم أن يخرج أصح ماورد . والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود الخ (راجع الاتقان)

فكيف أباح لك دينك وحرصك على الصحيح من السنة أيها المسلم أن تطعن في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم مع تصريح أهل الحديث بأنه التزم فيه أصح ماورد ؟ وتحامى ماتساهل في روايته الامام ابن جرير والحاكم في مستدركه على الصحيحين وغيرهما من رواة التفسير المأثور . أتجعل روايات هذا الحافظ مع هذه الشهادة في حكم الموضوع لتبرىء وهب بن منبه صاحب الخرافات من رواية من رواياته غير المعقولة ، وترى مع هذا انك تنصر السنة وتدفع الشبه عنها ؟ ؟

ومن غرائب منطق هـذا المنتقد أنه يجعل كلامه المفتجر قواعد وأصولا علمية دينية يبني عليها أحكاما كما فعل بطعنه في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم الذي قال الحافظ السيوطي انه التزم فيه ايراد أصح الروايات فقد قال بعد ماتقدم :

« ومثل ذلك بل أقل منه ثبوتا ماجعلتموه عمدتكم في الطعن على الحبرين أخيراً — وذكر مانقلناه عن الحافظ ابن كثير مما نقله هو عن تفسير الحافظ ابن أبي حاتم من زعم وهب بن منبه ان التوراة والانجيل لايزالان كما أنزلها الله تعالى لم يغير منهما حرف — ثم قال : « فهذا رواه بن أبي حاتم وحده فهو أقل ثبوتا من سابقه فلا يصح أن تجرحوا وهبا بناء على مثل هذه الرواية الساقطة »

أقول جعل هذه الرواية أقل ثبوتا مما قبلها وهي التي حكم بوضعها أي كذبها ولا نعلم ان عند المحدثين شيئاً أقل ثبوتا من الموضوع ولكن عند الاستاذ الجمجوني من فنون الحديث ماليس عند المحدثين ومن قواعد العلم ماليس عند أحد من العلماء . ووجه هذه الأقلية انه افتجر - أي اختلق مالم يقل به أحد ولا يوافقه عليه أحد - من الطعن بكل مارواه ابن أبي حاتم . ولما كانت كذبة وهب في مسألة عصا موسى قد رواها عنه ابن أبي حاتم وابن جرير والامام أحمد وحكم هو بأنها موضوعة ، كان لابد أن تكون هـذه الكذبة التي رواها ابن أبي حاتم وحده فيما يظهر أقل ثبوتا منها عنده !!!

﴿ الانتقاد الخامس ما احتججنا به وهو خارج عن الموضوع عنده ﴾

هـذا آخر انتقاد له علينا وخلاصـته أننا احتججنا بالتوراة والانجيل على كذب مارواه عنهما كعب الاحبار ووهب بن منبه من حيث إن مايعزوانه اليهما لايوجد فيهما شيء منه على كثرته . (قال) « فهذا فضلا عن خروجه عن الموضوع لما هو مقرر عند جميع علماء المسلمين من إن كتابي اليهود والنصارى الموجودين لايصح الاحتجاج بهما » الخ

أقول ليتأمل العلماء والعوام الملمون بالقراءة والكتابة وغـير المسلمين أيضاً هذا الفهم العجيب ، والمنطق الغريب :

يقول الاستاذ الججموني النقادة إن قولنا فيما رواه الحبران الاسرائيلي والفارسي النسب عن التوراة والانجيل انه لم يوجد فيهما شيء منه وعدم وجوده فيهما دليـل على كذبهما فيما روياه عنهما — خارج عن الموضوع ، فما موضوع طعننا فيهما اذاً ؟ انه قد اعترف أولا بأن هذا الدليل هو عمدتنا فى تكذيبهما في رواياتهما عن الكتب السابقة ، ثم يقول انه خارج عن الموضوع ، وما هو إلا عين الموضوع ، وإن لم يكن عين الموضوع فما الموضوع اذاً ؟ سبحان الخلاق العظيم ماذا في خلقه من عجائب !

ثم زعم بعد هذا أنني نقضت هذا القول بقولي ان ابن كثير كان يعـلم من كتب أهل الكتاب مالم يكن يعلمه رجال الجرح والتعديل الأولون الذين جعلوا كعباً ووهباً من الثقات في الرواية ولذلك انتقد بعض ماروي عنهما ولم يأخذه بالتسليم . فأي نقض هذا ؟ ؟

وقد ذكرت أيضاً أن ابن حزم وابن تيمية من علـماء القرون الوسطى قد اطلعوا على كتب أهل الكتاب التي لم يطلع عليها المتقدمون الذين وثقوا الرجلين كابن حبان وغيره . قال المنتقد ولكن لم يرد عن أحد من هؤلاء ولا من غيرهم انه طعنوا فيهما . وهذا قول يقال ليس خارجا عن العقل والفهم كالأقوال السابقة — ويقال في الرد عليه (أولا) إن هذا النفى العام يحتاج الى دليل ولا دليل عليه

فعدم علمه بالطعن لايدل على عدمه كما أنه لايدل على وجوده

(ثانياً) إن من ذكرناهم لايبحثون في جرح راو إلا اذا عرض لهم بحث في تمحيص رواياته غير الثابتة عندهم ، فمن سكت عن جرح الرجلين يمكن أن يقال انه لم يتفق له ذلك . فان ابن حزم وابن تيمية لما تصديا للرد على أهل الكتاب ونظروا في كتبهم لأجل ذلك لم يخطر في بالهما مراجعة ماروي عن هذه الكتب والرد عليه لانه ليس من موضوعهما بل ربما يعد حجة عليهما من حيث إن بعض كبار الرواة الموثقين قد شهدوا لهذه الكتب

(ثالثا) إننا نرى الحافظ ابن كثير يستنكر بعض الروايات عن كعب ووهب من غير طعن في سندها لعلمه بصحته وهذا يتضمن تكذيبهما وان لم يصرح به إذ موضوعه نقد المروي لأنه باطل لا الطعن في الرواة

خلاصة الرد على الانتقاد

إننا لم ننكر ولن ننكر أن جمهور رجال الجرح والتعديل عدوا كعبا ووهبا من الثقات في الرواية ، ولم يقبلوا طعن ابن الفلاس منهم في وهب لأنهم نقلوا عنه ما يدل على رجوعه عما رماه به من البدعة ، وان منهم من تأول تكذيب معاوية لكعب بأنه يعني به وقوع الكذب في رواياته لكذب من أخذ عنهم لا لكذبه هو أو بغير ذلك حتى قال بعضهم ماترده العبارة العربية ولا تحتمله ولو تكلفا

وإننا مع هذا نقول انه ظهر لنا مالم يظهر لأولئك الموثقين لهما وهو اننا رأينا الشيء الكثير من رواياتهما مما نقطع بكذبه كمخالفة مارواه عنهما الثقات مما كانا يعزوانه للتوراة وغيرها من كتب الانبياء لما عند أهل الكتاب فجزمنا بكذبهما. وهذا مما لم يكن يعلمه المتقدمون لأنهم لم يطلعوا على كتب أهل الكتاب

واننا بهذا الطعن في روايتهما ندفع شبهات كثيرة عن كتب الاسلام ولا سيما تفسير كتاب الله تعالى بالمأثور عن السلف وقد حشي خرافات كثيرة يأخذها القارئون للتفسير وقصص الأنبياء بالتسليم

واننا اذا سلمنا للمنتقد أن كل من وثقه جمهور المتقدمين فهو ثقة ـ وان ظهر خلاف ذلك بالدليل ـ نفتح بابا آخر للطعن في أنفسنا بنبذ الدليل، والأخذ في

مقدماته بالتقليد ، ومخالفة هداية القرآن المجيد ، نعم اننا نعترف بأن نقد رواة السنة والآثار من حيث جودة الحفظ والضبط وعدم الشذوذ ونحوه من العلل قد محصه رجال الجرح والتعديل ووفوه حقه الى درجة تقرب من الكمال ولم يبقوا لمن بعدهم فيه الا اجتهاداً قليلا جله فيما اختلفوا فيه

وأما تمحيص متون الروايات وموافقتها أو مخالفتها للحق الواقع وللاصول أو الفروع الدينية القطعية أو الراجحة وغيرها فليس من صناعتهم ويقل الباحثون فيه منهم ، ومن تعرض له منهم كالامام احمد والبخاري لم يوفه حقه كما نراه فيما يورده الحافظ ابن حجر في التعارض بين الروايات الصحيحة له ولغيره . ومنه ما كان يتعذر عليهم العلم بموافقته أو مخالفته للواقع كظاهر حديث أبي ذر عند الشيخين وغيرهما أين تكون الشمس بعد غروبها فقد كان المتبادر منه للمتقدمين أن الشمس تغيب عن الارض كلها وينقطع نورها عنها مدة الليل إذ تكون تحت العرش تنتظر الاذن لها بالطلوع ثانية . وقد صار من المعلوم القطعي لمئات الملايين من البشر أن الشمس لا تغيب عن الارض في أثناء الليل ، وانما تغيب عن بعض الاقطار وتطلع على غيرها ، فنهارنا ليل عند غيرنا ، وليلنا نهار عندهم كما هو المتبادر من قوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) وقوله جلت قدرته (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) فنحن بعد العلم القطعي الثابت بالحس في مثل هذه المسألة وما في حكمها لا مندوحة لنا عن أحد أمرين : إما الطعن في سند الحديث وإن صححوه لأن رواية ما يخالف القطعي من علامات الوضع عند المحدثين أنفسهم، وأقرب تصوير للطعن فيما اشتهر رواته بالصدق والضبط أن يكون الصحابي أو التابعي منهم سمعه من مثل كعب الاحبار . ونحن نعلم ان أبا هريرة روى عن كعب وكان يصدقه ونرى الكثير من أحاديثه عنعنة لم يصرح (رض) بسماعها من النبي ﷺ ومن القطعي انه لم يسمع الكثير منها من لسانه ﷺ لتأخر اسلامه فمن القريب أن يكون سمع بعضها من كعب الاحبار ومرسل الصحابي انما يكون حجة اذا سمعه من صحابي مثله . ومثل هذا يقال في ابن عباس وغيره ممن روى عن كعب وكان يصدقه ، وإما تأويل الحديث بأنه

مروي بالمعنى ، وأن بعض رواية لم يفهم المراد منه فعبر عما فهمه كدم فهم راوي هذا الحديث الذي ذكرنا على سبيل التمثيل المراد من قوله «ص» أن الشمس تكون ساجدة تحت العرش الخ فعبر عنه بما يدل على أنها تغيب عن الارض كلها ، وقد يكون المراد من معنى سجودها أنه من قبيل قوله تعالى «والنجم والشجر يسجدان» كما أن توقف طلوعها على اذن الله تعالى « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه » وهو اذن التكوين لا التكليف ، وذلك أننا نؤمن بحق أن العالم كله بيد الله تعالى وتصرفه وقد اول الحديث بعض شراح الصحيحين ليوافق رأي المتقدمين من علماء الفلك فكان تأويلهم متكلفا يرده ظاهر الحديث ولاسيما رواية مسلم المطولة

ومن هذا القبيل حكاية بعض الرواة ككعب ووهب عن كتب بني اسرائيل لم يكن يحيى بن معين واحمد وأبو حاتم وابنه وأمثالهم يعرفون مايصح من ذلك ومالا يصح لعدم اطلاعهم على تلك الكتب وعدم ظهور دليل على كذب الرواة المتقنين للكذب فيما يعزونه اليها ، فاذا ظهر لمن بعدهم في العصر أو فيما قبله أو فيما بعده مالم يظهر لهم من كذب اثنين أو أكثر من هؤلاء الرواة فهل يكابر حسه ويكذب نفسه ويصدقهم بلسانه كذباً ونفاقا ، أو يكتم الحق عن المسلمين لئلا يكون مخالفاً لمن قبله فيما ظهر له ولم يظهر لهم ؟ أفلم ير المنتقد الغيور على السنة ان الملاحدة الذين يتقي طعنهم في السنة بتعديل كعب ووهب يشككون المسلمين في الاصول والمسائل القطعية حتى في نصوص القرآن ؟

ثم اننا نعيد القول ونؤكده بأن ظهور كذب كعب ووهب لنا لايترتب عليه خسرانا لشيء من أصول ديننا ولا من فروعه ، فالعمدة في الدين هو القرآن وسنن الرسول المتواترة وهي السنن العملية كصفة الصلاة والمناسك مثلا وبعض الاحاديث القولية التي أخذ بها جمهور السلف . وما عدا هذا من أحاديث الآحاد التي هي غير قطعية الرواية أو غير قطعية الدلالة فهي محل اجتهاد واننا نرى بعض الأئمة المجتهدين قد تركوا الاخذ بكثير من الاحاديث الصحيحة الصريحة حتى مارواه الشيخان منها ، ولا يزال يتبعهم الملايين من الناس في تركها ، ولا يعدهم سائر المسلمين ضالين عن دينهم . وقد أورد المحقق ابن القيم أكثر من

مائة شاهد من هذه الاحاديث الصحيحة التي خالفها الحنفية وغيرهم وهم أكثر مسلمي هذا العصر .

فماذا تكون قيمة روايات هذا الاسرائيلي (كعب الاحبار) وهذا الفارسي (وهب بن منبه)وأكثرها خرافات اسرائيلية شوهت كتب تفسير كتاب الله وغيرها من الكتب وكانت شبهاً على الاسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة بانه كغيره دين خرافات وأوهام ،وما كان منها غير خرافة فقد تكون الشبهة فيه أكبر كالذي ذكره كعب من صفة النبي (ص) في التوراة واعترف المنتقد بصحته عنه ، وقد أعدنا ذكره في هذا الرد

نوه المنتقد برواية البخاري لقول أبي هريرة ان عبد الله بن عمرو بن العاص كان أكثر حديثا عن النبي (ص) منه لانه كان يكتب ، قال وأنا لا أكتب — إذ رواه من طريق وهب عن أخيه همام . ونقول أولا إن البخاري قال عقب روايته له عنه « تابعه معمر عن همام » يعني أن وهبا لم ينفرد بهذه الرواية عن همام بل رواها عنه معمر أيضا . فلو أن وهبا لم يروها ما كنا جهلناها ، ولو جهلناها لم يكن جهلها خسارة لشيء من أصول ديننا ولا فروعه ، فقول أبي هريرة ليس حجة شرعية وهو لا يدل على أن ابن عمرو كان يكتب بأمر النبي ﷺ ولا باقراره فيصلح معارضا لحديث نهيه «ص» عن كتابة شيء عنه غير القرآن وان سماه المنتقد « حديثاً صحيحاً نافعاً » ثم قال : كما أن البخاري احتج بوهب في أول كتاب الجنائز من صحيحه حيث قال :وقيل لوهب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا إله الا الله ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك » اه

أقول (أولا) إن هذا تعليق لا رواية مسندة وانما رجال الصحيح من روى عنهم المسند (وثانياً) انه أورده بصيغة التمريض « قيل » قال الحافظ ابن حجر بعد الكلام على صيغة الجزم في الروايات المعلقة في صحيح البخاري مانصه : والصيغة الثانية وهي صيغة التمريض لا يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه لكن فيه ماهو صحيح وفيه ماليس بصحيح الخ (وثالثاً) ان هذا القول لوهب قد انتقد

عليه وخطيء به ، ولذلك قالوا لما رووا هذه العبارة مرفوعة من حديث معاذ : يحتمل أن تكون مدرجة فيه ، ولم يقولوا إن وهباً هو الذي سمعها . وليس هذا المقام محلا لبسط هذا وأمثاله ، حتى إنني لم أجعله من الانتقادات علينا ، وإن كان المنتقد قد حاول به أن يجعل وهباً من رواة أحاديث صحيح البخاري كما حاول أن يجعل كعباً من رجاله . والحق ان البخاري قدس الله سره لم يرو عن كعب شيئاً ولم يرو عن وهب حديثاً مسنداً إلى رسول الله (ص) وانما روى عنه عبارة وعلق عنه أخرى كما علمت آنفا

كلمة بيني وبين المنتقد

قد أطال صديقنا الاستاذ الججموني في انتقاده هذا فاضطرنا إلى الاطالة في بيان اخطائه مع تحري الاختصار حتى لا يعود إلى مثل هذا الكلام الطويل المتهافت على أنه اذا عاد لا ننشر له مثله ولا سيما في هذا الموضوع[1] وانما نشرنا هذا تكريماً له وتحسيناً للظن به على اعتقادنا أنه حسب أن ماجاء به حجج قيمة وبراهين لا ترد وأنه أراد باعادة كلامنا المنتقد عنده بنصوصه على كونه منشوراً في المنار ، وأكثر النقول في الجرح والتعديل من جهة عامة ، وفي توثيق الحبرين مما نعرفه ولا ننكره ولا أنكرناه من قبل — أراد بهذا كله اظهار جهلنا — واننا لو لم ننشره لظن أننا لاصرارنا على خطئنا قد امتنعنا عن اظهار هذه الحقائق لقراء مجلتنا

لقد كان يكفي في هذا الانتقاد ورقة أو ورقتان يذكر فيهما المنتقد أن جمهور رجال الجرح والتعديل قد وثقوا الحبرين وأن بعض شراح الحديث أولوا عبارة معاوية في اختبار الكذب على كعب ، وأن الروايات الخرافية عنهما يحتمل أن تكون أسانيدها اليهما غير صحيحة وما في معنى هذا

ولو اختصر لاختصرنا في الرد بأن جرحنا لهما انما كان في شيء لم يكن يعرفه رجال الجرح والتعديل المتقدمون وهو وجيه يتعين قبوله لا يشكك أحداً في جمهور رواة الصحاح ولا من دونهم — وأن الروايات المعروفة صحتها عنهما كافية في اثبات كذبهما وعدم صحة تأويل من أول لكعب بأن الكذب من غيره ، لما

(١) قد جاءنا انتقاد آخر مفيد سننشره في الجزء التالي ان شاء الله

هومعلوم بالبداهة من أن كعبا كان من كبار أحبارهم ولن يكون كذلك من لم يطلع على التوراة وكتب الانبياء بنفسه. وأن عدم الثقة بها سترد عن كتبنا شبهات كثيرة ولا نخسر به شيئاً من علومها لغنانا بغيرها عنها

بعد هذا كله أقول اذا ثبت بما حررناه كذب الرجلين بما ذكر فلا يبقي مجال للشك في أنهما كانا يغشان المسلمين ويدخلان في كتبهم الدينية ورواياتهم مايقتضي الطعن في دينهم وحينئذ لا يبقى محل لاستغراب اشتراكهما في تلك الجمعيات اليهودية والمجوسية التي كانت تكيد للاسلام والعرب .

هذا وانني أستغفر الله تعالى لي ولأخي المنتقد ، وقد وضح للقراء ماعندي وما عنده في المسألة ولهم الحكم في ذلك ، والله يحكم بين عباده فيما هم فيه يختلفون

الدعوة الى الالحاد بالتشكيك في الدين

كتاب (في الشعر الجاهلي)

ظهر بمصر في أواخر السنة الماضية كتاب بهذا الاسم من وضع الدكتور طه حسين مدرس الآداب في (الجامعة المصرية) وأحد أركان جمعية دعاية الالحاد بمصر ، بنى بحثه فيه على منهج للبحث في الآداب وغيرها غريب هو أن يبنى على الشك في كل ماروي عن المتقدمين أو تكذيبه وان أجمعوا عليه، وعلى التجرد من الدين والجنسية والوطنية، وجميع الروابط القومية والملية . وهو بناء على هذه القاعدة يطعن فيما ثبت بنص القرآن المجيد وفي جميع ماصح عند علماء الملة الاسلامية من الروايات الدينية والتاريخية والأدبية ، دع ماليس له أسانيد تصل الى درجة الصحة كتواريخ سائر الأمم ومروياتها .حتى انه تجرأ على التصريح بتكذيب القرآن المجيد فيما أثبته من بناء ابراهيم واسماعيل لبيت الله الحرام بمكة المكرمة، وشكك في آيات أخرى وفي أحاديث وروايات كثيرة من صدّقه فيها من تلاميذ الجامعة أو غيرهم من الدهماء ينبذ الدين وراء ظهره ويمشي عاريا مجرداً من الوازع النفسي الذي

ينهى عن الفواحش والمنكرات ، فيستحل جميع ماقدر عليه من أموال الناس وأعراضهم اذا عنت له وأمن العقاب عليها في الدنيا . وحينئذ يكون كالدكتور طه حسين في فلسفته وأحكامه التي كان مهاعد أفسق الفساق في التاريخ كأبي نواس من كبار المصلحين، ونشر أخبار فسته في صحيفة السياسة وفيه مافيه من ترغيب الناس فيها

إن قاعدة الدكتور طه حسين التي جرى عليها في كتابه هذا وفى غيره هي ان الفلسفة العليا التي يتوقف عليها وصول الانسان الى العلم الصحيح في الآداب والتاريخ وغير ذلك هي أن يكذب الله ورسله وأفضل البشر بعد الرسل كالخلفاء الراشدين وأئمة العلم والدين ، أو يشكك في أقوالهم على الاقل ، ويأخذ بالقبول والتسليم مافيه طعن في الاسلام، وفى سلفه الصالح وكبار أئمته وان لم يقله الا بعض فساق المسلمين ومن لاثقة بصدقه منهم ومن غيرهم ، ثم ماذا؟

ثم يستبدل بها نظريات بل ضلالات اخترعتها مخيلات ملاحدة الافرنج وكذا دعاة النصرانية الذين تعلموا وربوا على الطعن في الاسلام وجعل مدار معيشتهم من جمعياتهم الدينية على تشكيك المسلمين بدينهم إن لم يقدروا على تحويلهم عنه وجعلهم أعداء له . ويزين ذلك بخلابة اللفظ وشقشقة اللسان والقلم ، وسفسطة الجدل ، ولماذا ؟

لأجل أن تنحل روابطهم الملية ، وتزول عقيدتهم الدينية ، وتفسد ملكاتهم الأدبية ، فيقبلوا بارتياح أن يكونوا تابعين لدول الاستعمار الأجنبية ، فان لم تكن هذه اللام لام العلة والغاية ، فلا بد أن تكون لام الصيرورة والعاقبة

إن موضوعات هذا الكتاب هي من دروس للدكتور طه الأدبية التي يلقيها على تلاميذ الجامعة المصرية لأجل أن ينسلخوا من الاسلام الذي صار قديما رثًا باليًا في نظره ! ! ويصيروا أمة جديدة لا يدينون بدين ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ، ولا يأبون الخنوع لكل حاكم وان كان أجنبيا

وكذلك فعل صديقه وأحد أركان جمعيته الشيخ علي عبد الرازق في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » فأرضيا بذلك دول الاستعمار ودعاة النصرانية فأثنيا على هذا أجل الثناء كما أثنيا على ذاك . وكانا عندهم محل الرجاء

ظهر هذا الكتاب وأنا في مكة المكرمة فرأيت في الجرائد خبره وقيام رجال

العلم والدين بالرد عليه والطعن فيه ومطالبة الحكومة بمصادرته ومنع قراءته ورأيت فيه ان الحكومة (عاقبته) بشراء نسخ جميع الكتاب منه دفعة واحدة بدلا من أن يبيعها هو في عدة سنين ـ وحفظها لدى وزارة المعارف ـ ولا ندري لماذا ؟

ولما رجعت الى مصر لم يتح لي الحصول على نسخة منه وانما اطلعت أمس على نسخة منه استعرتها ساعة واحدة أو أقل من ساعة فتصفحت فيها أهم صحائفه

ورأيت قبل هذا في الجرائد اضطرابا في مجلس النواب إذ طلب بعض أعضائه عقاب هذا المعتدي على دين الحكومة الرسمي وهو من عمالها واخراجه من المدرسة الجامعة حرصا على عقائد طلبتها وآدابهم ، وكاد هذا الاضطراب يؤول الى استقالة الوزارة العدليه لأن صاحب الدولة رئيسها ووزير الداخلية فيها رأى انه لا حق لمجلس النواب في مطالبتها بما طالبها فطفق يرد على بعض النواب ، وانبرى صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد باشا زغلول رئيس المجلس لمناقشته والدفاع عن حقوق المجلس حتى اعتقد الحاضرون ان الجلسة لا تنتهي إلا باستقالة الوزارة ، ولما كان اتفاق هذه الوزارة مع المجلس هو قطب الرحى لاتحاد الأمة المصرية بعد طول الشقاق اقترح بعض الأعضاء تأجيل الفصل في هذه المسأله الى الجلسة التالية لتلك الجلسة ، وذهب في تلك الليلة كل من صاحبي الدولة رئيس الوزارة ورئيس مجلس الشيوخ حسين رشدي باشا الى بيت الأمة فسمرا مع دولة سعد باشا سمراً طويلا انتهى بالاتفاق على قبول ماصرحت به الحكومة في مسألة الدكتور طه حسين وهو انها تعمل مايجب عليها وأن يطلب بعض النواب من النيابة العامة إقامة الدعوى على الدكتور طه حسين — وهكذا كان

طلب بعض النواب محاكمة الدكتور طه حسين فطلبته النيابة العامة للتحقيق معه ، وعين جماعة من كبار علماء الجامع الازهر لمناقشته ومناقشة وكلائه في القضية ، وقد ظهر من ضعف هؤلاء العلماء في المناقشة ما كان مدعاة الامتعاض والأسى من أهل الدين والتقوى ، وقال بعض الملاحدة ان علماء الازهر أرادوا أن يثبتوا كفر الدكتور طه حسين فأثبت هو كفرهم !!

ليست هذه القضية قضية فرد اسمه طه حسين يشك ويشكك في الدين فقط

ـ بل هي أعظم من ذلك ـ ولا هي قضية أستاذ في مدرسة الجامعة المصرية أعطي حقاً رسمياً في إفساد عقائد الطلبة في المدرسة الجامعة الرسمية وتجريدهم من دينهم — وإن هذا لعظيم جداً جداً جداً — ولكن وراءه ماهو أعظم منه وهو الذي يفقهه أهل الفقه في مصر وفي أوربة وسائر العالم وبه كانت القضية أعظم وأكبر شأناً من قضية فرد اشتهر بعدم التدين وبالصد عن الدين ، وأعظم وأكبر شأناً من كونها قضية أستاذ في الجامعة المصرية أعطي حقاً رسمياً من الحكومة يبث رأيه على زيغه — أي بافساد عقائد الطلبة

بماذا كانت هذه القضية أعظم من هذا الامر الذي اعترفنا بأنه عظيم جداً جداً جداً ؟

يذكر قراء المنار أننا كتبنا في إحدى المقالات التي استنكرنا فيها جريمة كتاب الشيخ علي عبد الرازق أن أحد أذكياء الاسرائيليين في مصر صرح في محفل أدبي بأن قضيته هي قضية التنازع بين مدرسة الجامعة الازهرية الدينية ومدرسة الجامعة المصرية اللادينية ، أو لتنازع بين الدين والالحاد في البلاد المصرية، ولعلهم يذكرون أيضاً أن الشيخ علي عبد الرازق هدد خصومه في بعض المقالات التي نشرها في جريدة السياسة وأنذرهم الخيبة والفشل في مقاومته ومحاكمة الازهر له ، ثم ظهر أن وزير الحقانية ورئيس الحزب الحر الدستوري يعارض في محاكمة هيئة كبار علماء الازهر له بحسب قانون الازهر ، ولما أصر رئيس الوزارة في ذلك الوقت (يحيى ابراهيم باشا) على وجوب محاكمته وعضده أكثر أعضائها استقال وزير الحقانية هو وسائر الوزراء الذين من حزبه الحر الدستوري كما هو مشهور ولم ينسه الجمهور

وهذا الدكتور طه حسين قد جعل كتابه الجديد هدية إلى صاحب الدولة عبد الخالق باشا ثروت وزير الخارجية في الوزارة الحاضرة وأحد الاركان المؤسسين للحزب الحر الدستوري وصدره باسمه ، وفهم الكثيرون أن رئيس الوزارة صاحب الدولة عدلي باشا قد ناضل مجلس النواب واشتدت الملاحة بينه وبين صاحب الدولة سعد باشا رئيس المجلس لأجله حتى كاد يسمح بترك الوزارة في هذه السبيل

ومما يعلمه الجمهور مع هذا أن جريدة السياسة التي هي لسان الحزب الرسمي هي اللسان غير الرسمي لهؤلاء الذين يطعنون في الاسلام ويحاولون هدم دعائمه الدينية واللغوية والادبية كالشيخ علي عبد الرازق والدكتور طه حسين وغيرهما ، وهنالك جريدة أخرى أسبوعية تمت إلى هذا الحزب بسبب ، وهي تهزأ بالدين ورجاله في كل عدد ولو بغير سبب

ومما يعلمون مع هـذا أن الملاحدة والزنادقة قد كثروا في مصر ، وأنهم صاروا يجاهرون بالدعوة إلى الالحاد ، وإلى تقليد زعماء الترك في المروق منـه والتفصي من جميع مقوماته ، والانسلاخ من جميع مشخصاته ، وتقليد ملاحدة الفرنج واباحييهم دون أهل الدين منهم الذين يبذلون الملايين في تأييد دينهم ونشر دعوته في العالم ، ومن هؤلاء الملاحدة أصحاب المناصب العالية والدانية

فمن فكر في هذه المقدمات كلها يعلم أن قضية الدكتور طه حسين هي قضية التنازع بين دين الاسلام والجهر بالالحاد الصريح كما كانت قضية الشيخ علي عبد الرازق كذلك — وقد صرح بهذا فيها بعض كتاب الجرائد الاوربية في مصر وفي أوربة نفسها ، فاذا برئ الدكتور طه حسين منها تعد تبرئته في عرف الشرق والغرب انتصاراً للكفر على الايمان ، وللالحاد على الاسلام ، وثأراً للملاحدة من المسلمين ، وشبهة في حزب الاحرار الدستوريين ، تجرئ سائر الملاحـدة على الطعن في الدين وانه لم يبق بين اتباع الحكومة المصرية خطوات الحكومة التركية الحاضرة الا قليل .... ولا أقول أكثر من هذا ولا حاجة إلى قول يعرفه جماهير المفكرين من شرقيين وغربيين ، لا من المصريين وحدهم

ولكن يمكنني مع هذا أن أقول إن الحزب الحر الدستوري في جملته مغبون ومظلوم في جعل جريدة السياسة لسان حاله في كل ما تنشره خارجا عن الخطة السياسية الوطنية للحزب كالحملة على الدين ورجاله ودعوتها إلى تجديد الامة المصرية بثقافة جديدة تحل روابط الثقافة الاسلامية وتحل محلها ، فاننا نعرف من أعضائه المسلمين الصادقين المصلين الصائمين، بل ربما كان في أعضائه من يكره كثيراً مما نشرته في سبيل سياسة الحزب أيضاً. وأقول أيضاً إن ما أشرت اليه من سبب نضال

صاحب الدولة عدلي باشا لمجلس النواب هو المعقول دون ماقيل وما انتشر من كون المراد به الدفاع عن طه حسين وكتابه . وأقول ثالثا ان صاحب الدولة ثروت باشا لا يعقل أن يكون قد استشير في تصدير كتاب (في الشعر الجاهلي) باسمه ، أو أنه رضي بذلك على علم بما في الكتاب

ثم أقول رابعاً إن النيابة العامة اذا قررت عدم محاكمة طه حسين ، وإن القضاء اذا برأه بعد محاكمته من عقاب الطعن في الدين وتكذيب القرآن وكذا التوراة ، فلا يكون هذا ولا ذاك برهاناً منطقياً ولا قانونياً على تعمد نصر القضاء الكفر على الايمان ، والالحاد على الاسلام ، لأن كلا من رجال النيابة والقضاء المشتركين في هذه القضية قد ينظرون ويحكمون بمقتضى الالفاظ التي يقولها الخصوم في مجالس التحقيق والمحاكمة ، وقد يغفلون عن كون كلام طه حسين وكلاته مخالفاً لكل مافهمه رجال الدين وجماهير المسلمين والغربيين في كتاب الدكتور طه حسين ، وعن كون فهم هؤلاء الجماهير يجب أن يكون له قيمة بل أكبر قيمة في ادانته فان العبرة أو العمدة في اثبات طعنه في الدين واهانته له بما يفهمه جماهير الناس منه، لا بما يمكن أن يقال في تأويل الكلام والجدال فيه ، وقد فهم العرب والافرنج جميعاً ان الكتاب طعن صريح في القرآن والنبي وسلف المسلمين الصالحين وأئمتهم ، ونكتفي بنشر برقية واحدة مما جاء من أوربة في ذلك :

رأي أوربة في قضية الدكتور طه حسين

لندن في أول نوفمبر — لمراسل الاهرام الخاص — نشرت جريدة « الدايلي تلغراف » اليوم مقالا رئيسياً جاء فيه مايأتي :

« ليس في العالم دين لايوجد بين معتنقيه عدد من الهراطقة . فالدكتور طه حسين رجل جسور فلا بدّ أن ينال جزاءه بالاضطهاد . فمن ينتقد القرآن فهو كافر لأن القرآن منزل بحروفه . وهذا يعني أن الوحي لايقتصر على مايقوله القرآن ، بل يشمل أيضاً معنى ذلك القول كما فسره المفسرون القدماء . ثم إن المسلم المتمسك بدينه يود أن يذهب إلى أبعد من الايمان بوحي القرآن ويريد من الكتاب أن

يكون الحجة الفاصلة في الادب العربي وينكر على كل انسان أنه يستطيع الاتيان بمثل لغته العالية . فمن الصعب على العقل الغربي أن يقبل هذا . على ان المؤمنين أنفسهم قد يجدون مثل هذه الصعوبة ، فقد سأل اثنان من الصحابة النبي مرة كيف يقرأ آية قرأها كل منهما قراءة مناقضة للاخرى فأجاب ان القرآن أنزل عليه بسبع قراءات . ويظهر أن النبي لم يكن هو نفسه يكتب القرآن ، بل أنزل عليه بواسطة جبريل ، ثم توقفت هذه البلاغات المكتوبة المرسلة من السماء وجعل النبي يتكلم بصوت الوحي والصحابة يكتبون مايقول وقد نبه مرة إلى احدى الآيات قائلا انها وحي من الشيطان فنسخت

« ليس في العالم عقيدة يسهل الدفاع عنها اذا شاء الناقدون البارعون تفنيدها أمام جمهور يميل إلى النقد . ومع ذلك فاذا لم يكن الوحي هو القوة التي جعلت للقرآن ذلك السلطان فما هي تلك القوة ؟ لقد أوجد القرآن أحد الاديان العظمى التي يعتنقها الجنس البشري وهو منذ ألف سنة من أعظم القوى الموجودة في العالم » اه

(المنار) اقتصرنا على هذه البرقية لأن صاحب الجريدة الانكليزية زاد على وصف طه حسين بالمرطقة (يعني محاربة الدين) أن أيده في هرطقته بأمور نشير إلى تخطئتها بالايجاز، وشهد للقرآن شهادة معقولة نصفع بها وجوه الملاحدة ودعاتها الذين يحاولون سلب هذه القوة من المسلمين والذين لا يفقهون سر إعجاز القرآن، فنقول:

(١) إن الكاتب الانكليزي علل كفر من ينتقد القرآن بأنه منزل بحروفه واستنبط من هذا أن تفسير القدماء للقرآن يدخل في معنى الوحي . ومراده أن من ينتقد تفسير المتقدمين كان كافراً كالذي ينتقد عبارة القرآن المنزلة . يشير إلى أن طه حسين قد يضطهد بمخالفته لتفسير قدماء العلماء ! وكأنه يلقنه بذلك نوعا من أساليب الدفاع

وجوابه أن هذا خطأ كبير فانه لم يقل أحد من علماء المسلمين وأئمتهم إن تفسير أحد من القدماء له حكم نص القرآن نفسه ، وكثيراً ماترى متأخري المفسرين يخالفون بعض المتقدمين في تفاسيرهم حتى مفسري الصحابة منهم . نعم ان اجماع أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين على تفسير آية معتبر من أدلة

الشرع الواجب اتباعها ، ولكن مخالفه لايعد كافراً إلا اذا كان أمراً معلوما من الدين بالضرورة وكان المخالف غير حديث عهد بالاسلام - أو كان قد علم به وكذبه أو جحده . فالمدار في التكفير على اعتقاد المخالف أن هـذا من قطعيات الدين المنصوصة في القرآن ومخالفته أو جحوده مع ذلك .

(٢) قال: ان المتمسك بدينه يود أن يذهب إلى أبعد من الايمان بوحي القرآن الخ وجوابه أن كل من قرأ القرآن أو سمعه من أهل المعرفة الصحيحة باللغة العربية والذوق السليم في آدابها من المسلمين وغير المسلمين كانوا — وما زالوا — يؤمنون بما ذكر الكاتب الانكليزي من خصائص المسلم المتمسك بدينه وهو أن القرآن « هو الحجة الفاصلة في الادب العربي ، وأنه لم يستطع ولن يستطيع أحد الاتيان بمثل لغته العالية » . ولا نسلم للكاتب قوله إن العقل الغربي يصعب عليه أن يقبل هذا فضلا عن قوله ان المؤمنين أنفسهم قد يجدون هـذه الصعوبة . وذلك أن العقل الغربي السليم لايمكن أن يحكم في أمر لايعرفه وهو ليس محالا لذاته

من المنصوص في القرآن والمعروف بالتواتر الاجماعي من تاريخ الاسلام أن النبي ﷺ قد تحدى عرب قريش وهم أفصح العرب لغة ثم تحدى سائر الخلق بالاتيان بمثل القرآن أو بسورة من مثله ، وجعل هـذا آيته الكبرى على كو[نه] وحياً من الله وصرح بأنهم لن يستطيعوا ذلك فقال حاكيا عن الله تعالى (و[لن] تفعلوا) فلو قدر أحد من الكافرين به وكان أكثرهم كافرين أن يأتوا بسورة من مثله لأتوا بها لابطال دعوته والاستراحة من تعادي القبائل بمقاتلته ، ولكن ظهر عجزهم وعجز جميع الخلق عن الاتيان بسورة من مثله في بلاغته وهم عن الاتيان بمثله في هدايته أعجز ، فهذا النوع من اعجازه قد اعترف به الكاتب الانكليزي وغيره من الغربيين . ولكنه امترى في اعجازه ببلاغته لانه لايعرف لغته فهذا العجز حجة للمسلمين الذين يعرفون البلاغة العربية والذين يجهلونها من الاعاجم وعوام العرب على اعجاز القرآن وصدق وعد الله عز وجل ، وهي حجة واقعية قطعية لايمكن المراء والجدل فيها ، ولا مجال هنا للزيادة على هذا وقد بسطناه في مواضع من التفسير وغير التفسير

(٣) زعمه أن اثنين من الصحابة (رض) سألا النبي (ص) مرة « كيف

يقرأ آية قرأها كل منها قراءة مناقضة للاخرى فأجاب ان القرآن نزل عليه بسبع قراءات »

هذا النقل أو الزعم باطل ، وله أصل حرفه أو لم يفهمه الناقل، كدأب خصوم الاسلام فيما ينقلون عنه . ونحن نذكر أصله الصحيح ، ليعلم من يريد العلم الحق كيف يكون الاختلاف والتحريف .

أقول أولا إن قراءة القرآن بالسبعة الاحرف وردت في حديث مستقل غير حديث اختلاف بعض الصحابة في القراءة فقد روى احمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس (رض) أن رسول الله (ص) قال« اقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيد لي حتى انتهى إلى سبعة أحرف » وفي بعض الروايات أن النبي (ص) قال له « هون على أمتي — و : ان أمتي لا تطيق ذلك » كما في صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب ، وهذه علة منصوصة في سبب تعدد القراءات تنافي أن تكون لتصحيح ما اختلف فيه بعض الصحابة

ثم أقول إن الاختلاف وقع بين عمر بن الخطاب وحكيم بن هشام (رضي الله عنهما) في بعض آيات سورة الفرقان كما في الصحيحين وكل منهما ادعى أن النبي ﷺ اقرأه كما قرأ فلببه عمر بردائه وأخذه إلى النبي ﷺ وقص عليه ماسمعه منه مخالفاً لما اقرأه ﷺ فصدق كلا منهما بأنه هو الذي اقرأه كما قرأ وقال « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ماتيسر منه » ووقع مثل ذلك لغيرهما . ولم يذكر احد من الرواة مااختلف فيه عمر وهشام ،فمن أين أخذ هذا الانكليزي قوله ان قراءة كل منهما كانت مناقضة للاخرى ؟ هذا اذا كان قد عبر بما يدل على المناقضة المعروفة في اللغة العربية أو اصطلاح علماء المناظرة عندنا . فأما اذا كان تعبيره بمعنى المخالفة التي تصدق باللفظية بحيث لاينقض معنى كل قراءة معنى الاخرى فيكون كلامه صحيحا . وفي الفرقان ألفاظ كثيرة اختلف القراء في قراءتها منها المتواتر الذي يعد قرآنا، ومنها غيره وهو لا يعد قرآنا، فالاول كقراءة (ويجعل لك قصوراً) بضم لام يجعل وبجزمها ،وقراءة ضيقا من قوله تعالى (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) بتخفيف الياء وبتشديدها ، وأمثال ذلك مما لا يتناقض معناه

(٤) قوله : ويظهر أن النبي لم يكن هو نفسه يكتب القرآن » الخ وهذا لايحتاج الى استنباط منه أو استظهار فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا ـ وأميته من دلائل نبوته ـ لايكتب شيئاً وانما كان يكتب له أصحابه كل ما يوحى به اليه ويحفظونه ويقرءونه كما يقرأه صلى الله عليه وسلم في الصلوات الخمس وفي خارجها كل يوم . والذين اختلفوا من الصحابة في بعض الالفاظ من سورتي الفرقان والنحل سمعه بعضهم من بعض في الصلاة .

(٥) قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نبه مرة إلى احدى الآيات قائلا انها وحي من الشيطان فنسخت » غير صحيح ، وهذه هي المسألة المعروفة بمسألة الغرانيق وقد كتب شيخنا الاستاذ الامام مقالا مسهباً في تحقيق الحق فيها يراجعه من شاء في المجلد الرابع من المنار أو في ملحقات تفسير الفاتحة المطبوع مراراً

(٦) قوله « ليس في العالم عقيدة يسهل الدفاع عنها » الخ هذا نفي مطلق لايجزم به عقل منطقي ، فالدفاع عن وجود الله ووحدانيته وحكمته من أسهل الامور وقد جزم بها أكثر البشر من جميع الملل والنحل والمنكرون لها على قلتهم لم يسمعوا براهينها من أهل العلم الصحيح ،ومن سمع ذلك وماري فيه فشأنه كشأن السوفسطائية الذين أنكروا الحسيات وماروا فيها فلا يعتد بانكارهم إذ مقتضاه أنه لايثبت في العالم شيء ،وهذا جهل ماوراءه جهل

وأما شهادة الكاتب الانكليزي التي حمله استقلال عقله على التصريح بها فهي أن سلطان القرآن الروحي الذي حدث به ذلك الانقلاب العظيم في البشر وأوجد أحد الأديان العظمى فيهم وهو منذ ألف سنة ونيف « من أعظم القوى الموجودة في العالم » — اذا لم يكن هذا السلطان وهذه القوة قوة الوحي الالهي وسلطانه فأى شيء هما ؟ وهذا بمعنى ماقلناه وكتبناه مراراً وهو ان إعجاز القرآن بهدايته ، أعظم من اعجازه ببلاغته : وقد صرح بمعناه غير هذا الكاتب من حكماء الغرب

إننا نكتفي في هذه المقالة بل العجالة بتنبيه الأذهان لخطر هذا الكتاب وأمثاله من مكتوبات الدكتور طه حسين واخوانه دعاة الالحاد وأوليائهم وندع

الرد على قضايا كتابه في الشعر الجاهلي أو الأدب الجهلي الى الذين وجدوا من فراغ الوقت ماشغلوه بالرد على قضاياه الباطلة وشبهاته العاطلة . ووجه الخطر أنه دعوة الى الكفر والالحاد وتحقير الدين والصدعنه ولاسيما في نابتة المدارس العليا وغيرهم ونحن مازلنا نذكر الأمة بخطر هؤلاء وضررهم منذ بلغنا انهم ألفوا جمعية للتعاون على افساد الدين في مصر ، وكان أول من بلغنا هذا الخبر بعدوقوفه عليه المرحوم الشيخ محمد مهدي أحد أساتذة البلاغة والدين في دار العلوم ثم في مدرسة القضاء الشرعي التي صار وكيلا لها . ثم بلغنا في العام الماضي ان لهم أو لبعضهم صلة خفية بجمعية يهودية في مصر الجديدة تساعدهم على سعيهم هذا . والله أعلم

ولا شك عندنا في أن هذا الافساد هو أفعل أسباب مايتفاقم خطبه في بلادنا هذه من تهتك النساء والشبان واستباحة الأعراض وانحلال روابط البيوت وذهاب الصحة والثروة ، وكذا الاستعداد لقبول تعاليم البلشفية وغيرها من بدع الافرنج التي لاتقوى بنية دولتنا ولا بنية أمتنا الاجتماعية والعلمية بدون الدين على ماتقوى عليه من احتمالها بنى دول أوربة وشعوبها بعلومها ونظمها وقوتها العسكرية

(فان قيل) ان الدكتور طه حسين قد صرح حين اتهم بهذه التهمة بأنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (قلنا) ان مثل هذا التصريح المجمل المبهم في مقام دفع التهمة لا يسلب منا لغتنا ولا عقولنا فتغير فهمنا لكتابه هذا وغيره من مكتوباته ومقالاته

أهكذا يكتب المؤمنون ؟ يضعون كلام الله المنزل موضع الشك بل ينظمونه في سلك الاساطير الخرافية ثم ينقضونه بنظريات مخترعة لبعض أعداء الاسلام ؟ الايمان بكتب الله هو التصديق اليقيني بكل ما أنزله الله تعالى فيها مع الاذعان النفسي والعملي له ، فكيف يصدر عن صاحب هذا الايمان ماذكرناه وما لم نذكر من تشكيك في القرآن فتكذيب مقرون بالهزؤ ؟ فترجيح لمطاعن أعدائه فيه على نصوصه

الايمان بالرسول ﷺ هو تصديقه اليقيني القطعي في كل ماجاء به عن الله تعالى مع الاذعان النفسي والعملي لذلك وهو يقتضي تعظيمه وتوقيره وتعزيره أي نصره وتفخيمه . وتقديم حكمه على كل حكم ، واننا نرى له في هذا الكتاب

ما نرى من التكذيب والهزؤ ، ونراه اذا ذكر النبي الذي يدعي ملته فانما يذكره كما يذكره الكافرون به بلا تعظيم ولا صلاة ولا سلام عليه ؟

قد كان يمكن لطه حسين أن يذكر شبهات أعداء الاسلام على بناء ابراهيم واسماعيل لبيت الله تعالى (مثلا) بطريق الحكاية عنهم ، وكان من مقتضى الايمان ان يقفي عليها بالرد ، أو يجري فيها على قاعدته (التشكيك) على الاقل ، أو يقول هذه نظريات مردودة عندنا معشر المسلمين — أو عند المسلمين — اذا لم يشأ أن يعد نفسه منهم — بنص القرآن الصريح الذي وصف في بعض سوره بأنه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد) ولكنني لم أر فيما قرأت من الكتاب جملة تدل على أن كاتبه مسلم أو يدين بدين ، وسأعود إن شاء الله تعالى إلى النظر فيه ، فان وجدت شيئاً من ذلك أثبته له .

وصفوة القول فيه انه لو لم يكن قاصداً متعمداً متوخياً تجريد تلاميذه من دينهم ووطنيتهم ، لادخر هذه الفلسفة لنفسه دونهم ، وان شاء ربى عليها أولاده الذين سماهم بأسماء الافرنج دون أسماء المسلمين ، عداوة لهذه اللغة وهذا الدين ،

جهل زعماء المسلمين

﴿ ومفاسد أهل الطرق والشرفاء وكونهما سببا لفشل زعيم الريف المغربي ﴾

ان أهل الطرق المنتسبين إلى الصوفية قد أفسدوا على عامة المسلمين في الشرق والغرب دينهم ودنياهم ، وكان افسادهم في افريقية أشد منه في آسية ، ولم يكفهم تشويه الاسلام بالبدع الذي يعد كثير منها ارتداداً عن الاسلام ، بل صاروا أعوانا للفاتحين السالبين لملك المسلمين وأولياء لهم على المسلمين ، وقد بلغنا من رواية الثقة من أهل المغرب الاقصى ان بعض مشايخ الطريقة التيجانية الزائغة وغيرها كانوا أكبر أعوان الاجانب على الزعيم محمد عبد الكريم في قتاله الدولتي اسبانية وفرنسة في الريف . ثم قرأنا في جريدة الشورى الاسبوعية حديثا له في معتقله نشر في بعض الجرائد الغربية وهو كما يدل على فساد مشايخ الطرق وافسادهم يدل على جهل في الزعيم كان سبب فشله

وانتصار المشايخ فالاجانب عليه ، فبعض الحديث حجة له وبعضه عليه قال :

حديث محمد عبد الكريم

أردت أن أجعل الريف بلاداً مستقلة كفرنسة واسبانية وأن أنشيء فيها دولة حرة ذات سيادة ، لا إمارة خاضعة لأحكام الحماية أو الوصاية . فحاولت في بدء الامر أن أفهم مواطني أنهم لا يستطيعون البقاء إلا اذا كانوا متضامنين كالبنيان المرصوص وعملوا بصدق واخلاص على تأليف وحدة قومية من القبائل المختلفة الاهواء والنزعات . أي اني أردت أن يشعر مواطني بأن لهم وطناً كما لهم دين .

انتقدني المنتقدون كثيراً لأني في مفاوضات (وجدة) طلبت بالحاح تحديد معنى الاستقلال ، فان هذا التحديد كان ضروريا جداً لأن غرضنا كان الاستقلال الحقيقي الذي لا تشوبه شائبة . الاستقلال الذي يكفل لنا الحرية التامة في تعيين مصيرنا وادارة شؤوننا الاستقلالية وعقد الاتفاقات والمحالفات التي نراها موافقة لنا

وكنا أنا وأخي أطلقنا على بلادنا اسم « جهورية الريف » منذ سنة ١٩٢٣ وطبعنا في فاس أوراقا للحكومة عليها هذا الاسم للدلالة على أننا دولة مؤلفة من قبائل مستقلة متحالفة لا دولة نيابية ذات برلمان منتخب . أما اسم الجهورية فلم يكن ليتخذ معناه الحقيقي في نظرنا إلا بعد مدة من الزمن لأن جميع الشعوب تحتاج حين تأليفها إلى حكومة حازمة وسلطة قوية ونظام قومي متين

ولكن لسوء الحظ لم يفهمني غير أفراد قلائل يعدون على أصابع اليدين . بل كان أخلص أنصاري وأكثرهم علماً وذكاء يعتقدون أني بعد احراز النصر سأترك لكل قبيلة حريتها التامة مع علمهم بأن ذلك يعيد البلاد إلى أشد حالات الفوضى والهمجية

وكان التعصب الديني أعظم أسباب فشلي إن لم أقل انه سببه الوحيد . لان مشايخ الطرق أعظم نفوذاً في الريف منهم في المغرب الاقصى وفي سائر بلدان الاسلام . وكنت عاجزاً عن العمل من دونهم ومضطراً إلى التماس مساعدتهم كل حين .

وقد حاولت في أول الامر أن أستميل الجماهير إلى رأيي بالحجج والبراهين

ولكني صادفت مقاومة عظيمة من الاسر الكبيرة ذات النفوذ إلا أسرة «خملاشة» التي كان رئيسها صديقاً قديماً لوالدي . وأما الباقون فقل كانوا أعداء لي ولا سيا بعد ما أنفقت من أموال الاوقاف لشراء معدات الحرب . فانهم لم يفهموا أن الاموال لا يمكن أن تصرف على مشروع أشرف من مشروع استقلال البلاد

ولا أنكر أني اضطررت في بعض الاحوال إلى استخدام الشعور الديني لتأييد سياستي : مثال ذلك أن الاسبانيين بعد ما احتلوا اجدير أكرهوا على الجلاء عن قسم منها كان فيه مسجد لم يحترموه بل جعلوه اصطبلا . فلما بلغني ذلك أمرت ثلاثة من القواد المشهورين بالورع والتقوى أن يحققوا الامر بأنفسهم . وقد ضاعف عملي هذا حماسة المحاربين وزاد تعلقهم بي وبقضيتي .

والحقيقة أن الاسلام عدو التعصب والخرافات وأنا أعرف من قواعده ما يجعلني أؤكد للملأ أن الاسلام الذي أعرفه في المغرب والجزائر، بعيد جداً عن الاسلام الذي جاء به النبي العظيم . فان الذين ادعوا خطأ أو صوابا أنهم من تلك السلالة الطاهرة وجهوا كل اهتمامهم إلى اكتساب عطف الشعب على أشخاصهم الفانيــة ، وأقاموا أنفسهم أصناما يعبدها الجهلاء، وأنشؤا طرقا دينية حولوها إلى جيش منظم لخدمة أغراضهم الشخصية . مع أن الاسلام أبعد ما يكون عن تقديس الاشخاص لانه يأمر بالاخاء والاتحاد في وجه العدو ويحض على الموت في سبيل الحرية والاستقلال ولكن مشايخ الطرق ورؤساء الذين عبثوا بكتاب الله وسنة رسوله ارضاء لشهواتهم وسداً لاطماعهم ولم يشتركوا في الثورة بحجة أن القتال في سبيل الوطن لا يعنيهم وأنهم لا يقاتلون إلا في سبيل الدين .

وقد أفرغت قصارى جهدي لتحرير بلادي من نير مشايخ الطرق هؤلاء الذين هم عقبة في سبيل كل حرية واستقلال . وكانت خطـة تركيا قد أعجبتني كثيراً لعلمي بأن البلدان الاسلامية لا يمكن أن تستقل ما لم تتحرر من التعصب الديني وتقتدي بالشعوب الاوربيــة . ولـكن الريفيين لم يفهموني لسوء حظي وحظهم حتى ان قيامة المشايخ قامت عليّ لأني خرجت في احدى الايام بلباس ضابط على أني لم أعد إلى مثل هذا العمل فيما بعد .

وكان مشايخ الطرق ألد أعدائي وأعداء بلادي كما تقدم فلم يحجموا عن شيء في سبيل احباط مسعاي حتى أذاعوا في طول البلاد وعرضها أني أريد الاقتداء بتركيا وأن ذلك يقضي حتما بتغيير عادات البلاد وتقاليدها واطلاق حرية المرأة فتخرج سافرة بالبرنيطة وتلبس كنساء الافرنج وتقلدهن في عاداتهن إلى غير ذلك مما عزوه إليّ .

وقد اقنعتني دسائس هؤلاء المتعصبين الجهلاء بأن التطور فى كل بلاد لهم فيها نفوذ قوي لايمكن أن يتم إلا ببطء وبالالتجاء الى القوة والعنف .

ويجب أن أعلن هنا أني لم أجد في الريف أقل عضد في مساعي الاصلاحية وأن فريقا قليلا من سكان فاس والجزائر فهموني وأيدوني ووافقوا على خطتي لانهم على احتكاك بالاجانب ولأنهم يعرفون أين هي مصلحة بلادنا الحقيقية .

وخلاصة القول اني جئت قبل الاوان للقيام بمثل هذا العمل ولكني موقن بأن آمالي ستحقق كلها عاجلا أو آجلا بحكم الحوادث وتقلبات الاحوال .اه كلامه

(المنار) قد شهد الزعيم المغربي على نفسه بأنه لم يدر كيف يسوس قومه ، فهو كما استفاد من خدمة الدولة الاسبانية ماعلم به كيف يدير حركة الدفاع عن بلاده ادارة فنية عصرية زادت قيمة شجاعة قومه أضعافا قد فتن بظواهر الحضارة الاوربية حتى انه اراد أن يقلدها فيما يضعف قوة قومه الروحية ، ويحل روابطهم الملية ، ويستبدل بهما مايسمى بالرابطة او الحمية الوطنية ، أى أراد أن يقتدي بالاتراك الكماليين اللادينيين فيما لايدركه ولا يستحسنه غيره هو فى وطنه ، جاهلا ان الترك ما أقدموا على هذا الخطب العظيم الا بعد الاستعداد له زهاء قرن كامل . ولولا ان أكثر رؤساء الجند الكبير المنظم الحاملين للسلاح على رأي مصطفى كمال لما استطاع ان ينفذ هذه الخطة فى هذا الشعب الاسلامي مع تمهيد جمعية الاتحاد والترقي السبيل له ، ومع هذا ارى البلاد ثارت عليه وحاولت اغتياله مرارا

ان ماسماه محمد عبد الكريم تعصبا دينيا وذمه ولم يجد وسيلة لقمعه الا تقليد الترك الكماليين ليس تعصبا للدين بل هو جهل لا يداوى بقمع القوة بل بنشر العلم ، وكان يجب عليه تأجيل ذلك الى مابعد نيل الاستقلال ، وكان يمكن الزعيم ان يعبر عن قتاله بأنه قتال في سبيل الله لان الشرع يأمر به والنصوص على ذلك فى جميع كتب الفقه صريحة ولكنه قصر لقلة اطلاعه على كتب الشرع وانخداعه بامكان جعل الوطنية مكان الدين وجهله بامكان الجمع بينهما . وقد كان هذا اهم ماينقصه من صفات الزعيم الحاكم لبلاد

إسلامية . والدليل على جهله هذا إعجابه بخطة الترك الذين أضاعوا أعظم سلطنة في الارض ، بجهلهم مايحتاج اليه من يسوس الشعوب الاسلامية في هذا العصر . وافتتانهم عار بأم عليه وأقنعهم به الافرنج ، وصاروا امارة صغيرة تحيط بها الاخطار من كل جانب. وسترى مايكون من أمرهم في انفسهم ومع الاجانب ، فان اول خطأ ظهر لهم في نبذ الشرع الاسلامي ، وانتحال التشريع الاوربي ، ولبس البرنيطة ...انهم كانوا يظنون ان اوربة تعاملهم بهذا معاملة الاقران والامثال، وانها لم تكن تناوئهم الا لتمسكهم بالاسلام ، فبدا منهم مالم يكونوا يحتسبون .

أنباء العالم الاسلامي

﴿ الحجاز والمؤتمرات الاسلامية في الهند وجاوه ﴾

ألفت في الهند منذ بضع عشرة سنة جمعية اسلامية سميت جمعية خدام الكعبة كان من مقاصدها الأساسية الدعاية للسياسة التركية وجعلت اسم خدمة الكعبة حجابا لها دون حكومة الهند وقد هتك جورج فيلبيدس الذي كان رئيس البوليس السري بمصر حجابها للدولة البريطانية في أثناء الحرب ، فطاردتها فانحل عقدها وخلف من بعدها جمعيتان جهريتان إحداهما سياسية تركية وهي جمعية الخلافة المناوئة للسياسة البريطانية ، وجمعية خدام الحرمين الموالية لحكومة الهند والدولة البريطانية كجمعية الديانة المسيحية القاديانية الملقبة بالأحمدية .

أما جمعية الخلافة ففيها أساطين رجال الهند وهي أقوى جمعيات المسلمين فيها ، وسنتكلم عنها في مقال خاص عند سنوح الفرصة . وأما جمعية خدام الحرمين فأكثر أعضائها من الحشوية ، وطلاب المنافع المادية ، وأنصار البدع والخرافات . ولما تصدت جمعية الخلافة للانتصار للسلطان ابن السعود كجمعية أهل الحديث على الملك حسين بن علي لالحاده في الحرم وخدمته مع أولاده للسياسة الأجنبية وموالاتهم لها ، قامت جمعية خدام الحرمين بمشايعة الملك حسين ثم ولده الشريف علي ، وكان المحرك لها من وراء الدسائس السياسية حزب الشيعة

المناوئين للنجديين لاعتصامهم بالسنة اعتقاداً وعملا ولأنهم من العرب الخلص.
وقد أرسلت هذه الجمعية وفداً الى الحجاز لبث الدسائس والفتن فيه ، وذلك قبل موسم الحج الماضي ، فعاملهم ابن السعود أولا بالحلم وسعة الصدر ، ولما علم بدسائسهم وفتنهم وسوء نيتهم طردهم من الحجاز فجاؤا مصر ونشروا في المقطم وغيره طعناً شديداً فيه وكراسة ذكروا فيها من قصصهم أنهم سألوه أسئلة كثيرة كلفوه أن يجيبهم عنها كتابة وهي متضمنة لاتهامه واتهام قومه بالجرائم كأنهم قضاة يحققون قضايا جنائية من رعية دوانهم يطلبون من الملك أن يعترف بها أو يبرىء نفسه منها ! ! ومتضمنة أيضاً للبحث عما عنده من الأسلحة وعن أمكنتها كأنهم مجلس أركان حرب يحاكم قائداً من القواد التابعين له على تهم وخيانات عسكرية ، فأي صعلوك من صعاليك الناس يرضى لنفسه أن يقف أمام هؤلاء الأجانب الفضولين هذا الموقف الذي أرادوا أن يقفه ملك الحجاز وسلطان نجد بين أيديهم ؟

ثم رجع هذا الوفد الى الهند وقوي اتحادهم بشيعة لكهنو وقد ألفوا في ربيع الاول الماضي مؤتمراً في بلدهم لكهنو بارشاد حزب الشيعة اقترفوا فيه الكذب واختلقوا الافك على ملك الحجاز وسلطان نجد والنجديين كعادتهم، وأرسل رئيس الجمعية برقية بقراراته الى نقابة الصحافة بمصر والى سائر الاقطار ننقلها عن جريدة كوكب الشرق مع تعليقها عليها من العدد الذي صدر في ٢٧ ربيع الاول الماضي وهذا نصهما :

﴿ قرار غريب حول الحجاز ﴾

تلقت نقابة الصحافة المصرية التلغراف الآتي ليل أمس من لوكنو (الهند)

« اجتمع مؤتمر الحجاز الذي يمثل جميع طبقات مسلمي الهند(!) في لوكنو تحت رئاسة (سالبهوي بارودا وال) شريف بومباي ووضع قرارات خطيرة سجل فيها استياءه العظيم من أعمال النجديين كتدمير المقامات والآثار القديمة والاعتداء على المسلمين الابرياء من رجال ونساء(!) وصرح أن المسلمين عازمون على اتخاذ جميع التدابير الممكنة لاخراج ابن السعود من الحجاز الذي لايحق له أن يحكمه ولا سيما بعد هذه الاعمال

ومن جملة القرارات التي وضعها المؤتمر قراران ينص أحدهما على وضع نظام

الحجاز يقبله الحجازيون ويرضي روح العالم الاسلامي . وينص الثاني على تنفيذ الشرع ومبدأ حق تقرير المصير

واحتج المؤتمر في قرارات أخرى على تجريد حكومة نجد الحجازيين من السلاح وأعرب عن عدم استطاعة مسلمي الهند أن يساعدوا في أي مشروع كتمديد الخطوط الحديدية وما أشبه ذلك في ظل النظام الحالي

وقرر المؤتمر وقف الحج (!) لأن النجديين يعدون جميع المسلمين من غير الوهابيين كفاراً أبيحت لهم أموالهم وأرواحهم (!) ونصح المؤتمر لجميع البلدان الاسلامية أن تفعل مثل ذلك وتساعد الحجازيين المتألمين ، وقرر أن يؤلف وفداً من كبراء المسلمين يطوف المراكز الاسلامية الكبرى لهذه الغاية قطب الدين

رئيس جمعية خدام الحرمين

(الكوكب) ونحن نقول إن هذا القرار لم يكن له محل ولا مكان ، بعد البيان الرسمي الذي أذاعه جلالة ملك الحجاز بشأن المقامات الدينية في مكة المكرمة وانصافا للحقيقه نعيد اليوم نشر هذا البيان بنصه وهو :

نشر بعض المرجفين أن في النية هدم القبة النبوية . لذلك انشروا باسمنا أن كل ما يقال من العزم على هدم القبة النبوية كذب لا أصل له ، والقبة الخضراء وقبر الرسول في حفظ وأمان بحول الله . وإنا لنفديها بأموالنا وأولادنا وأنفسنا ولا يمكن أن يصيبها أذى وفينا عرق ينبض . كذلك جميع قبور الصالحين نحافظ عليها ونحترمها ونصونها من كل أذى ونرى ذلك ديناً نعاهد الله عليه

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز

وإنما ردت عليهم صحيفة كوكب الشرق بالبرقية الرسمية التي نشرها ملك الحجاز لظنها أنهم يعتقدون صحة مارموه بها وانهم سيرجعون عنه بعد علمهم ببرقية الملك لذلك كتبنا مقالا نشرناه في جريدة البلاغ بينا فيه حقيقة هذه الجمعية وما جاء في جرائد الهند من كون مؤتمرها قد ألف بأمر وسعي ومال زعيم الشيعة الاكبر (راجا محمود آباد) وأن هذا المثري الكبير قد جمع من ماله وأموال أغنياء

الشيعة في الهند مبلغاً كبيراً من المال لأجل بث الدعوة في الهند وافغانستان وغيرها من البلاد لاقناع عوام أهل السنة بترك فريضة الحج مادام ابن السعود ملكا على الحجاز والسعي لاقناع أمراء المسلمين وملوكهم بالاتحاد مع دولة ايران الشيعية لاخراجه من الحجاز . واستأجر الراجا هذه الجمعية لبث الدعوة وكان هذا أول عملها، ولكن لم يحضر مؤتمرها أحد من كبار أهل السنة ولا من جمعياتهم.

ولولا الغرور بالمال لما تجرأت جمعية حقيرة في وطنها على التصريح بعزم (المسلمين) على اتخاذ جميع التدابير الممكنة لاخراج ابن السعود من الحجاز ! !

ولما رأى المهراجا عظيم الشيعة ان هذا المؤتمر كان هزؤاً وسخرية للمسلمين سعى الى عقد مؤتمر آخر في بمبي كانت عاقبته شراً من عاقبة المؤتمر الاول . وهاك نص البرقية التي جاءتنا وجاءت نقابة الصحافة في أمره وهذه ترجمتها :

﴿ مؤتمر الحجاز الهندي ﴾

« ختم المؤتمر المسمى مؤتمر الحجاز الهندي أعماله في ٢٦ سبتمبر الماضي . ولم تشترك فيه قط أية هيئة اسلامية مهمة كلجنة الخلافة المركزية وجمعية علماء الهند وجمعية أهل الحديث ولجنة حماية الاسلام ومؤتمر التعليم الهندي العام في البنجاب ومعاهد عليكره الاسلامية المهمة . وانما حضره الزعيمان محمد علي وشوكت علي بصفتهما الشخصية. وقد تمت جميع اجراءات المؤتمر طبقاً لتعليمات ورغائب عميد الشيعيين في لكنو(مهراجا محمود آباد جهانكير باد) وبعض العلماء الايرانيين . وعرضت رياسة المؤتمر على كثيرين من مشاهير زعماء المسلمين فلم يقبلها أحد منهم . وقبلها(صالح بهائي بارودا ولا) وهو شيعي من بهرة غير معروف لا في عالم الدين ولا في عالم السياسة

« وقد احتج المؤتمر على وجود السلطان ابن السعود في الحجاز . ومن الخطط المحزنة التي اقترحت نشر الدعوة لمقاطعة الحج . فأسف لهذا العمل البعيد عن روح الاسلام جميع كبراء الساسة ورجال التعليم والمعرفة وعدوه غير قابل للتطبيق ومناقضاً للحكمة السياسية وضربة في صميم الوحدة الاسلامية » اسماعيل الغزنوي

من أعضاء لجنة الخلافة

مؤتمر جمعية الخلافة المنتظر .

وستعقد جمعية الخلافة مؤتمراً في لكهنو أيضاً يبحث في مسألة الحجاز ومؤتمره وسيكون الزعيمان محمد علي وشوكت علي فيه خصوما لملك الحجاز فيما يظهر لنا ونحن نعتقد أن جميع رجال الاصلاح الديني في الجمعية والعقلاء المعتدلين من رجال السياسة يعتقدون أن الزعيمين مخطئان في معاداة ملك الحجاز وسلطان نجد لأنه أكبر قوة إسلامية في الارض بعد سقوط الدولة العثمانية وصيرورة حكومة الترك لادينية ، وأن هذه القوة هي الوحيدة التي تنصر السنة وترفض البدع والدجل الذي هو سبب ارتداد كثير من المسلمين عن دينهم آناً بعد آن ، وأنهما انما يناوئانه بالباطل اتباعا لهواهما واستمالة لشيعة الهند وعوامها الخرافيين .

وهؤلاء الزعماء أعلم من محمد علي وشوكت علي بحقيقة الاسلام وبالسياسة المثلى له وبمصلحة المسلمين، وأبعد منهما عن اتباع الهوى ، ولكن الزعيمين الاخوين أقوى إرادة وأمضى عزيمة وأقدر على استمالة العوام بغلوهما في الكلام وبدموعهما السجام فاذا أتيح لهما الرجحان على أصحاب العقول الراجحة كحكيم الزمان أجمل خان والدكتور احمد أنصاري وعلى أصحاب السن والعلم الديني كالشيخ أحمد أبي الكلام ، فستكون جمعية الخلافة آلة بيد غلاة الشيعة لمحاربة السنة ، بل لمحاربة الفرض والسنة ، كالدعوة إلى ترك فريضة الحج و لتفريق كلمة المسلمين التي يحاول ابن السعود جمعها في المؤتمر الاسلامي

مؤتمر الجمعيات الاسلامية بجاوة

سمعنا من بعض دعاة التشيع ومناوأة ابن السعود في مصر أن مؤتمر الجمعيات الاسلامية في جاوه قد انعقد في سورابايه، واشترك فيه زهاء أربعين جمعية تمثل الرأي العام الاسلامي في جزائر الهند الشرقية وقرر مقاومة ابن السعود والدعوة إلى ترك أداء فريضة الحج مادام مستوليًا على الحجاز ، فقيل له قد بقي عليكم شيء آخر أشد نكاية فيه ، وهو ترك الصلاة إلى قبلة الاسلام بيت الله الحرام فان من يستحل ترك فريضة الحج لما ذكر يستحل ترك صلاة الاسلام أيضاً !! ثم علمنا من جرائد سورابايه العربية حتى المعادية لابن السعود أن المؤتمر المذكور أيد ابن السعود

وقد زارنا في هذه الأيام الشاب الذكي النبيه السيد عبدالله بن سالم العطاس قادما من سورابايه وبلغنا سلام زعماء المسلمين وطلاب الاصلاح في جاوه ، وكان ممن حضر المؤتمر وسافر بعده الى جدة بطريق مصر ليكون عضواً في فرع البنك الهولندي الذي سيفتح فيها لتسهيل المعاملات مع الحجاج الجاويين وغيرهم ، فسألناه عن دعوة التشيع الذي بثها بعض العلويين في جاوه ، فكانت سبب الشقاق بين المسلمين ومشاقة الكثيرين للعلويين بعد ماكان من الاجماع على اجلالهم . فأخبرنا أن تأثيرها ضعيف ، وان الكثيرين من العلويين أنفسهم مخالفون لها ودعاة سنة واتفاق بين المسلمين . ثم سألناه عن خبر المؤتمر فقال ماملخصه :

عقد المؤتمر جلسته الاولى في ١٢ ربيع الاول الانور تيمنا بذكر المولد النبوي الشريف وهو مؤلف من مندوبي جميع الجمعيات الاسلامية في البلاد الجاوية أو جزائر الهند الشرقية بمدينة سورابايه — ماعدا جمعية واحدة ، وحضر المؤتمر أيضا مندوبون عن الجرائد المعتبرة في جميع البلاد وكثير من وجهاء البلاد وأهل الرأي والمكانة فيها ومئات من دهماء الشعب ، ولولا ان فرضوا على كل من يدخله دفع روبية هولندية لدخله ألوف كثيرة — ويظهر أنهم أرادوا تقليل ازدحام العوام فيه

قال وكان أول الخطباء فيه أعضاء المؤتمر المكي الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو والحاج منصور فذكرا لممثلي الامة ماشاهداه من الامن في الحجاز وأثنيا على الملك ابن السعود أجل الثناء ولخصا لهم المهم من قرارات المؤتمر الاسلامي العام ، فنال كلامهما الاستحسان العام ثم قرر المؤتمر قرارات مهمة .

(منها) تأليف لجنة خاصة لتسهيل الحج على الجاويين يكون لها فروع في جميع البلاد .

(ومنها) إلغاء جمعية الخلافة بل تحويلها الى مايعبر عنه باسم (جمعية المؤتمر الاسلامي للهند الشرقية) وهذه الجمعية لها حق الاشراف والمراقبة على جميع لجان تسهيل الحج

(ومنها) تأليف لجنة تنفيذية لجمعية المؤتمر تكون في سورابايه.

(ومنها) جمع تسعمائة جنيه لنفقات المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة في الموسم القابل

قال : وامتنعت جمعية نهضة العلماء (الجامدين المحافظين على التقاليد والبدع وعلى مكانتهم عند العامة) فألفوا مؤتمراً خاصاً بهم لم يحضره أحد من جمعيات

المسلمين ولا من وجهائهم فكان جل ما نطقوا به حكاية ما أذاعه دعاة الرفض فيهم من زعمهم أن ملك الحجاز منع حرية المذاهب الا مذهبه ، وأنه اذا كان المسلم لا يستطيع أن يؤدي مناسك الحج كما يعتقد فلا ينبغي له الحج حتى ينجلي الامر ويظهر أنه يستطيع العمل بمذهبه .

هذا ما لخصناه من حديث الشاب الكريم السيد عبد الله بن سالم العطاس وهو خلاصة ما علق بذهنه من جلسات المؤتمر .

وقد علم به أن هذه الجمعية الخرافية رضيت لنفسها أن تصد المسلمين عن آداء فريضة الحج وتجرئهم على هدم هذا الركن العظيم من أركان الاسلام ولعلها بأن استباحة هذا كفر وردة عن الاسلام اخترعت له بتلقين دعاة الرفض علة ظنت أنها يصح أن تكون عذراً مبيحاً للدعوة الى ترك هذه الفريضة . والعلة باطلة بشهادة عشرات الالوف الذين أدوا فريضة الحج من أهل جاوه وغيرهم فانه لم يسئل أحد منهم عن مذهبه ولم يوجد أحد يلقن الحجاج مذهب الملك ابن السعود ولا غيره بل هذا متعذر لا يمكن لاحد ان يقوم به ، على انه لو صح لما كان عذراً يبيح ترك فريضة الحج فمذهب ابن السعود وهو مذهب الامام احمد بن حنبل ، واهل جاوه شافعية من اهل السنة لا يعتقدون ان مذهب الامام احمد باطل ولا ان فيه ما يبطل الحج في مذهب الشافعي (رضي الله عنهما) ولو أن ابن السعود هو الذي دعا إلى ترك الحج بأي عذر كان لاجمعوا على كفره ووجوب قتاله ، فأعداء ابن السعود هم الذين يهدمون أركان الاسلام نكاية فيه وما يتهمونه به من حمل الناس على مذهبه لو صح لم يكن كمنع الحج بل لم يكن محرما شرعا لكنه غير صحيح ! !

هذا وان جريدة الاحقاف التي تصدر في سورابايه نشرت فى مقالها الاول عن المؤتمر الاسلامى فيها انه قد حضره فى اليوم الاول من عقده وكلاء ٨١ جمعية ومندوبو ٢٢ صحيفة ورئيس البوليس ومستشار المسائل الاهلية والعربية للحكومة الهولندية ، وأنه عند افتتاح الجلسة بتلاوة آيات من القرآن المجيد قام جميع من حضر من الافرنج وقوفا مع المسلمين ما عدا اثنين من المتعصبين .

ولعلنا نعود الى هذه المسألة فى جزء آخر بعد قراءة كل ما تنشره الجرائد الجاوية عنه



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٥هـ ١٣ برج القوس سنة ١٣٠٦ هش ٥ دسمبر سنة ١٩٢٦

فتاوى المنار

البدعة اللغوية والبدعة الشرعية

وحديث « كل بدعة ضلالة » ومن زعم أنه مخصوص

(س ١٣) من صاحب الامضاء في بلده طبندي ـ البتانون(المنوفية مصر)
طبنده في ١٠ — ١١ — ١٩٢٦

حضرة صاحب الفضيلة الاعظم محيي السنة ومميت البدعة السيد رشيد رضا
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد فان القرية عندنا فريقان . فريق ينفون البدعة بتاتا في الدين ويتمسكون بأحاديث وآيات كثيرة وعلى رأسها حديث « كل بدعة ضلالة » . وفريق يقول إن حديث « كل بدعة ضلالة » ألخ . عام مخصوص كما قال عنه الزرقاني على الموطأ ويقولون إن للبدعة أحكاماً خمسة ، منها الواجب كتعلم النحو ومايتعلق عليه فهم الشريعة . والمحرم كمذهب القدرية . والمندوب كاحداث الربط والمدارس ، وكل إحسان لم يعهد في العصر الاول ، والمكروهة كزخرفة المساجد ، والمباحة كالسلام خلف الاذان والقرآن خلف الجنائز ، كما قال ابن عبد السلام ، ويحتجون بقوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها) وقوله عليه السلام « ماستحسنه المسلمون فهو حسن ومن سن سنة حسنة ألخ » وقول عمر (رض) في الموطأ بشأن جماعة التراويح نعمت البدعة .

هذا وإنا قد ارتضيناك بيننا حكما ، ونأمل أن ترشدونا بما جبلتم عليه من نصر الحق ودفع الباطل والسلام م؟

عن أهل القرية
متولي أحمد
ناظر طبندي مركز شبين الكوم

نرجو توضيح أسماء الكتب التي يرجع اليها في هذا الامر .

(ج) قد شرحنا هذه المسألة في المنار مراراً فنختصر الآن ما نقول فيها اختصاراً: إن لكلمة البدعة اطلاقين اطلاقا لغويا بمعنى الشيء الجديد الذي لم يسبق له مثل ، وبهذا المعنى يصح قولهم إنها تعتريها الاحكام الخمسة ، ومنه قول عمر (رض) في جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح : نعمت البدعة – واطلاقا شرعيا دينياً بمعنى ما لم يكن في عصر النبي ﷺ ولم يجيء به من أمر الدين كالعقائد والعبادات والتحريم الديني وهو الذي ورد فيه حديث « فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وهو لا يكون الا ضلالة لأن الله تعالى قد أكمل دينه وأتم به النعمة على خلقه فليس لاحد بعد النبي ﷺ أن يزيد في الدين عقيدة ولا عبادة ولا شعاراً دينيا ، ولا أن ينقص منه ولا أن يغير صفته كجعل الصلاة الجهرية سرية وعكسه ولا جعل المطلق مقيداً بزمان أو مكان أو اجتماع أو انفراد لم يرد عن الشارع ، ولا أن يحرم على أحد شيئا تحريماً دينياً تعبديا . بخلاف التحريم غير التعبدي كالمتعلق بمصالح الحرب أو المعاش كالزراعة الخ ، وفي هذا النوع ورد حديث « من سن سنة حسنة » الخ وهو حديث صحيح معروف . وأما قول ابن مسعود (رض) ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن . فلا حجة فيه لا لكونه غير مرفوع الى النبي (ص) فقط بل لأنه في معنى الاجماع وهو لا يكون إلا عن دليل ، وليس معناه أن الابتداع في الدين مشروع لكل أحد أو كل جماعة

فما ذكر في السؤال عن الزرقاني ، من أمثلة البدعة اللغوية صحيح الا جعله السلام خلف الآذان والقرآن خلف الجنازة من المباحات نقلا عن ابن عبد السلام فالأذان عبادة من شعائر الاسلام ورد بالفاظ معدودة جرى عليها العمل في عصر النبي ﷺ وخلفائه الراشدين فلو جاز أن يزاد فيه سلام لجاز أن يزاد فيه غيره من الاذكار كسبحان الله والحمد لله وبعض آيات القرآن ، ومقتضى هذا أنه يجوز لكل أحد أن يغير شعائر الاسلام بما استحسن من زيادة أو نقصان ولم يقل بجواز هذا أحد من أئمة المسلمين المجتهدين ، ولو جرى المسلمون على هذه البدعة فعلا لما بقي شيء من شعائر الاسلام على ما جاءنا به الرسول ﷺ عن الله تعالى ولصرنا في أديان جديدة كل طائفة أو جماعة أو فرد يخالف فيها سائر المسلمين .

ولو جاز أن يزاد في عبادة الآذان لجاز أن يزاد في غيرها ، كجعل الصلاة الثلاثية رباعية والرباعية خماسية وجعل الركوع في ركعة مرتين أو اكثر والسجود ثلاثا أو اكثر وهلم جرا ، وهل يوجد أحد شم رائحة العلم الديني والعقل يجيز هذه الفوضى والتصرف في دين الله ؟

وليعلم السائل أن الفقيه ابن حجر الهيتمي ذكر مسألة البدعة في موضعين من فتاواه الحديثة أولها جواب سؤال عن الموالد والاذكار التي تفعل في مصر هل هي سنة أو فضيلة أو بدعة ؟ فأجاب بان اكثرها مشتمل على خير وعلى شر بل شرور وان ما كان هكذا يجب منعه عملا بقاعدة : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . ثم ذكر أن الاجتماع للبدع المباحة جائز ، وذكر الاحكام الخمسة للبدعة ومثل لها بما نقلتم عن الزرقاني الا المباحة فانه مثل لها بالمصافحة بعد الصلاة . وهذا أهون من التمثيل بالسلام خلف الآذان إذا كان المراد به الصلاة والسلام على النبي ﷺ كما هو الظاهر وإباحة المصافحة بعد الصلاة مقيدة بالامن من اعتقاد الناس أنها مشروعة بعدها ومن جعلها شعاراً دينياً. وقد شرح الامام الشاطبي اشتراط مثل هذا في كتاب الاعتصام

ثم ذكر ابن حجر المسألة في جواب من سأله عن أصحاب البدع الذين ورد في الحديث الترغيب في الاعراض عنهم وفي انتهارهم ، وصرح بمثل ماقلناه من أن قول عمر في التراويح : نعمت البدعة هي . ـ أراد به البدعة اللغوية وهو مافعل على غير مثال كما قال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) وليست بدعة شرعا فان البدعة الشرعية ضلالة كما قال ﷺ فمعناه البدعة الشرعية اهـ وذلك أن النبي ﷺ صلى بعض ليالي رمضان صلاة القيام واقتدى به بعض الصحابة ولم يستمر على ذلك لئلا تفرض أو تعد فرضاً . ثم صار الناس بعده يقتدون لماعدة جماعات حتى جمعهم عمر رضي الله عنه على أمام واحد كراهة التفرق المذموم شرعا . فجماعتها مأثورة عن النبي (ص) لا بدعة شرعية

وأما استدلال محبي البدع وأنصارها بآية رهبانية النصارى فلا دليل لهم فيه لأن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا ولان الآية ليست نصاً في موضع النزاع إذ قيل إن الاستثناء فيها متصل وقيل منقطع ، وقد فصل الشاطبي الكلام فيها بما يدحض شبه المبتدعة فيراجع في كتابه الاعتصام، وهو أوسع الكتب في هذا الشأن

طلاق الغضبان — والتزوج بالنصرانية

(س ١٤ و ١٥) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ المحقق الشيخ محمد رشيد رضا حفظه الله آمين

السلام عليكم وبعد :

(١) هل يقع يمين طلاق الحالف به وهو فى حالة الغضب وهو يعي مانطق به ؟ واذا لم يقع فما معنى الحديث الآتي :—

معنى الحديث ـ أربعة يلزم هزلها ـ طلاق ، رجعة ، عتق ، نكاح

(٢) هل يجوز التزوج من النصرانية مع اعتقادها بألوهية المسيح

السائل

أحمد مندور

الجواب عن السؤال الاول .

طلاق الغضبان الذي يعي ويدرك مايقول يقع وقلما يطلق أحد امرأته وهو غير غضبان ، وانما الخلاف فيمن أغلق عليه الغضب إدراكه ورشده . هذا وان الحلف بالطلاق غير انشاء الطلاق وعزمه ، فقد اختلف العلماء في الحلف به على ثلاثة أقوال (١) أنه يقع به الطلاق (٢) أنه لايقع ولا يجب به شيء (٣) أنه تجب به كفارة يمين .

ولا حاجة مع هذا الى الكلام في الحديث الذي أشرتم اليه فأخطأتم وهو مارواه أصحاب السنن ماعدا النسائي عن أبي هريرة مرفوعا « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والرجعة » وفيه مقال عند العلماء لاحاجة اليه هنا

الجواب عن السؤال الثاني

نعم : فان الله تعالى لما أحل لنا نكاح الكتابيات في سورة المائدة كان يعلم أن النصرانيات منهن يقلن بألوهة المسيح وقد حكى لنا هذا عن النصارى في هذه السورة نفسها .

قاعدة جليلة

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما نشر في الجزء الماضي ﴾



وأما الجمع بالمدينة لاجل المطر أو غيره فقد روى مسلم وغيره من حديث أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر . وممن رواه عن أبي الزبير مالك في موطإه وقال : أظن ذلك كان في مطر . قال البيهقي : وكذلك رواه زهير بن معاوية وحماد بن سلمة عن أبي الزبير « في غير خوف ولا سفر » الا انهما لم يذكرا المغرب والعشاء وقالا « بالمدينة » ورواه أيضا ابن عيينة وهشام بن سعد عن أبي الزبير بمعنى رواية مالك وساق البيهقي طرقها وحديث زهير رواه مسلم في صحيحه ثنا أبو الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعا بالمدينة في غير خوف ولا سفر.

قال أبو الزبير فسألت سعيداً لم فعل ذلك ؟ قال سألت ابن عباس كما سألتني فقال أراد أن لا يحرج أحدا من أمته . قال وقد خالفهم قرة في الحديث فقال : في سفرة سافرها إلى تبوك . وقد رواه مسلم من حديث قرة عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جمع رسول الله ﷺ في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب

والعشاء . فقلت لابن عباس ما حمله على ذلك ؟ قال أراد أن لا يحرج أمته .

قال البيهقي وكان قرة أراد حديث أبي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ ، فهذا لفظ حديثه ، وروى سعيد بن جبير الحديثين جميعا فسمع قرة احدهما ومن تقدم ذكره الآخر (قال) وهذا اشبه فقد روى قرة حديث أبي الطفيل أيضا قلت وكذا رواه مسلم فروي هذا المتن من حديث معاذ ومن حديث ابن عباس فان قرة ثقة حافظ وقد روى الطحاوي حديث قرة عن أبي الزبير فجعله مثل حديث مالك عن أبي الزبير ، حديث أبي الطفيل وحديثه هذا عن سعيد ، فدل ذلك على أن أبا الزبير حدث بهذا وبهذا . قال البيهقي ورواه حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير فخالف ابا الزبير في متنه ، وذكره من حديث الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر ، قيل له : فما أراد بذلك ؟ قال : أراد أن لا يحرج أمته . وفي رواية وكيع قال سعيد قلت لابن عباس لم فعل ذلك رسول الله ﷺ ؟ قال كيلا يحرج أمته . ورواه مسلم في صحيحه

قال البيهقي ولم يخرجه البخاري مع كون حبيب بن أبي ثابت من شرطه ، ولعله إنما أعرض عنه - والله أعلم - لما فيه من الاختلاف على سعيد بن جبير قال : ورواية الجماعة عن أبي الزبير أولى أن تكون محفوظة ، فقد رواه عمرو بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس بقريب من معنى رواية مالك عن أبي الزبير (قلت) تقديم رواية أبي الزبير على رواية حبيب بن أبي ثابت لا وجه له ، فان حبيب ابن أبي ثابت من رجال الصحيحين ، فهو أحق بالتقديم من أبي الزبير ، وأبو الزبير من أفراد

مسلم ، وأيضا فأبو الزبير اختلف عنه عن سعيد بن جبير في المتن ، تارة يجعل ذلك في السفر كما رواه عنه قرة موافقة لحديث أبي الزبير عن أبي الطفيل ، وتارة يجعل ذلك في المدينة كما رواه الاكثرون عنه عن سعيد،

فهذا أبو الزبير قد روي عنه ثلاثة أحاديث : حديث أبي الطفيل عن معاذ في جمع السفر، وحديث سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وحديث سعيد بن جبير عن ابن عباس الذي فيه جمع المدينة . ثم قد جعلوا هذا كله صحيحا . لان أبا الزبير حافظ فلم لا يكون حديث حبيب بن أبي ثابت أيضا ثابتا عن سعيد بن جبير وحبيب اوثق من أبي الزبير ؟ وسائر أحاديث ابن عباس الصحيحة تدل على ماروا حبيب . فان الجمع الذي ذكره ابن عباس لم يكن لاجل المطر، وأيضا فقوله بالمدينة يدل على أنه لم يكن في السفر، فقوله : جمع بالمدينة في غير خوف ولا مطر، اولى بان يقال من غير خوف ولا سفر ، ومن قال اظنه في المطر ، فظن ظنه ليس هو في الحديث ، بل مع حفظ الرواة ، فالجمع صحيح ، قال من غير خوف ولا مطر ، وقال ولا سفر ، والجمع الذي ذكره ابن عباس لم يكن بهذا ولا بهذا . وبهذا استدل احمد به على الجمع لهذه الامور بطريق الاولى ، فان هذا الكلام يدل على أن الجمع لهذه الامور أولى ، وهذا من باب التنبيه بالفعل ، فانه إذا جمع ليرفع الحرج الحاصل بدون الخوف والمطر والسفر ، فالحرج الحاصل بهذه اولى أن يرفع ، والجمع لها أولى من الجمع لغيرها

ومما يبين أن ابن عباس لم يرد الجمع للمطر — وإن كان الجمع للمطر أولى بالجواز — بما رواه مسلم من حديث حماد بن زيد عن الزبير بن الخريت

عن عبد الله بن شقيق قال: خطبنا ابن عباس يوما بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم، فجعل الناس يقولون الصلاة الصلاة، قال: فجاء رجل من بني تيم لا يفتر: الصلاة الصلاة - فقال أتعلمني بالسنة لا أم لك؟ ثم: قال رأيت رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء: قال عبد الله بن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شيء فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته

ورواه مسلم أيضا من حديث عمران بن حدير عن ابن شقيق قال: قال رجل لابن عباس الصلاة فسكت: ثم قال، الصلاة، فسكت، ثم قال: لا أم لك أتعلمنا بالصلاة؟ كنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله ﷺ

فهذا ابن عباس لم يكن في سفر ولا في مطر، وقد استدل بما رواه على ما فعله فعلم أن الجمع الذي رواه لم يكن في مطر، ولكن كان ابن عباس في أمر مهم من أمور المسلمين يخاطبهم فيما يحتاجون إلى معرفته، ورأى أنه إن قطعه ونزل فاتت مصلحته، فكان ذلك عنده من الحاجات التي يجوز فيها الجمع، فان النبي ﷺ كان يجمع بالمدينة لغير خوف ولا مطر، بل للحاجة تعرض له كما قال: أراد أن لا يحرج أمته، ومعلوم ان جمع النبي ﷺ بعرفة ومزدلفة لم يكن لخوف ولا مطر ولا لسفر أيضاً، فانه لو كان جمعه للسفر، لجمع في الطريق ولجمع بمكة، كما كان يقصر بها، ولجمع لما خرج من مكة الى منى وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ولم يجمع بمنى قبل التعريف ولا جمع بها بعد التعريف أيام منى، بل يصلي كل صلاة ركعتين غير المغرب، ويصليها في وقتها، ولا جمعه أيضاً كان للنسك، فانه لو كان كذلك لجمع من حين

أحرم فانه من حينئذ صار محرماً ، فعلم ان جمعه المتواتر بعرفة ومزدلفة لم يكن لمطر ولا خوف ، ولا لخصوص النسك ولا لمجرد السفر ، فهكذا جمعه بالمدينة الذي رواه ابن عباس ، وانما كان الجمع لرفع الحرج عن أمته ، فاذا احتاجوا الى الجمع جمعوا

قال البيهقي : ليس في رواية ابن شقيق عن ابن عباس من هذين الوجهين الثابتين عنه نفي المطر ، ولا نفي السفر ، فهو محمول على أحدهما . أو على ما اوله عمرو بن دينار ، وليس في روايتهما ما يمنع ذلك التأويل . فيقال ياسبحان الله ! ابن عباس كان يخطب بهم بالبصرة ، فلم يكن مسافراً ، ولم يكن هناك مطر ، وهو ذكر جمعاً يحتج به على مثل مافعله ، فلو كان ذلك لسفر أومطر كان ابن عباس أجل قدرا من أن يحتج على جمعه بجمع المطر او السفر ، وأيضاً فقد ثبت في الصحيحين عنه ان هذا الجمع كان بالمدينة ، فكيف يقال لم ينف السفر ؟ وحبيب ابن ابي ثابت من اوثق الناس وقد روى عن سعيد أنه قال : من غير خوف ولا مطر ،

وأما قوله : ان البخاري لم يخرجه ، فيقال هذا من اضعف الحجج فهو لم يخرج أحاديث ابي الزبير وليس كل من كان من شرطه يخرجه

وأما قوله : ورواية عمرو بن دينار عن ابي الشعثاء ، قريب من رواية ابي الزبير ، فانه ذكر ما اخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ صلى بالمدينة سبعا وثمانيا : الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وفي رواية البخاري عن حماد بن زيد فقال لايوب لعله في ليلة مطيرة ؟ فقال عسى . فيقال هذا الظن من ايوب وعمرو ، فالظن ليس من مالك ، وسبب

ذلك ان اللفظ الذي سمعوه لا ينفي المطر، فجوزوا ان يكون هو المراد، ولو سمعوا رواية حبيب بن ابي ثابت الثقة الثبت لم يظنوا هذا الظن، ثم رواية ابن عباس هذه حكاية فعل مطلق، لم يذكر فيها نفي خوف ولا مطر، فهذا يدلك على أن ابن عباس كان قصده بيان جواز الجمع بالمدينة في الجملة، ليس مقصوده تعيين سبب واحد، فمن قال انما اراد جمع المطر وحده فقد غلط عليه، ثم عمرو بن دينار تارة يجوز ان يكون للمطر موافقة لايوب، وتارة يقول هو وابو الشعثاء انه كان جمعاً في الوقتين، كما في الصحيحين عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار: سمعت جابر بن زيد يقول سمعت ابن عباس يقول صليت مع رسول الله ﷺ ثمانيا جميعاً وسبعا جميعا، قال (قلت) ياأبا الشعثاء أراه أخر الظهر وعجل العصر، وأخر المغرب وعجل العشاء، قال وانا أظن ذلك. فيقال ليس الامر كذلك. لان ابن عباس كان افقه واعلم من أن يحتاج اذا كان قد صلى كل صلاة في وقتها الذي تعرف العامة والخاصة جوازه ان يذكر هذا الفعل المطلق دليلا على ذلك. وان يقول: أراد بذلك ان لا يحرج أمته. وقد علم أن الصلاة في الوقتين قد شرعت باحاديث المواقيت. وابن عباس هو ممن روي أحاديث المواقيت. وامامة جبريل له عند البيت. وقد صلى الظهر في اليوم الثاني حين صار ظل كل شيء مثله. وصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه. فان كان النبي ﷺ انما جمع على هذا الوجه. فأي غرابة في هذا المعنى؟ ومعلوم أنه كان قد صلى في اليوم الثاني كلا الصلاتين في آخر الوقت وقال «الوقت ما بين هذين» فصلاته للاولى وحدها في آخر الوقت اولى بالجواز، وكيف يليق بابن عباس ان يقول فعل ذلك

كيلا يحرج أمته ، والوقت المشهور هو أوسع وأرفع للحرج من هذا الجمع الذي ذكروه؟ وكيف يحتج على من أنكر عليه التأخير لو كان النبي ﷺ انما صلى في الوقت المختص بهذا الفعل وكان له في تأخيره المغرب حين صلاها قبل مغيب الشفق وحدها ، وتأخير العشاء الى ثلث الليل أو نصفه مايغنيه عن هذا ؟ وإنما قصد ابن عباس بيان جواز تأخير المغرب إلى وقت العشاء ليبين أن الامر في حال الجمع أوسع منه في غيره . وبذلك يرتفع الحرج عن الامة . ثم ابن عباس قد ثبت عنه في الصحيح أنه ذكر الجمع في السفر . وأن النبي ﷺ جمع بين الظهر والعصر في السفر إذا كان على ظهر سيره . وقد تقدم ذلك مفصلا . فعلم أن لفظ الجمع في عرفه وعادته إنما هو الجمع في وقت إحداهما

وأما الجمع في الوقتين فلم يعرف أنه تكلم به ، فكيف يعدل عن عادته التي يتكلم بها إلى ماليس كذلك ؟ وأيضا فابن شقيق يقول : حاك في صدري من ذلك شيء ، فاتيت ابا هريرة فسألته فصدق مقالته . أتراه حاك في صدره أن الظهر لايجوز تأخيرها إلى آخر الوقت ؟ وأن العصر لايجوز تقديمها الى أول الوقت ؟ وهل هذا مما يخفى على أقل الناس علما حتى يحيك في صدره منه ؟ وهل هذا مما يحتاج أن ينقله الى ابي هريرة أو غيره حتى يسأله عنه؟ إذن هذا مما تواتر عند المسلمين وعلموا جوازه . وإنما وقعت شبهة لبعضهم في المغرب خاصة ، وهؤلاء يجوزون تأخيرها الى آخر وقتها ، فالحديث حجة عليهم كيفما كان ، وجواز تأخيرها ليس معلقا بالجمع ، بل يجوز تأخيرها مطلقا إلى آخر الوقت حين يؤخر العشاء أيضا ، وهكذا فعل النبي ﷺ حين بين أحاديث المواقيت ،

وهكذا في الحديث الصحيح « وقت المغرب مالم يغب نور الشفق ووقت العشاء إلى نصف الليل » كما قال « وقت الظهر مالم يصر ظل كل شيء مثله ووقت العصر مالم تصفر الشمس » فهذا الوقت المختص الذي بينه بقوله وفعله وقال « الوقت ما بين هذين » ليس له اختصاص بالجمع ولا تعلق به. ولو قال قائل : قوله جمع بينهما بالمدينة من غير خوف ولا سفر ، المراد به الجمع في الوقتين كما يقول ذلك من يقوله من الكوفيين ، لم يكن بينه وبينهم فرق . فلماذا يكون الانسان من الطائفين لا يحتج لغيره كما يحتج لنفسه؟ ولا يقبل لنفسه مايقبله لغيره ؟

وأيضاً فقد ثبت هذا من غير حديث ابن عباس ورواه الطحاوي حدثنا ابن خزيمة وابراهيم بن أبي داود وعمران بن موسي قال أنا الربيع بن يحيى الاشناني حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة للرخصة من غير خوف ولا علة ، لكن ينظر حال هذا الاشناني

وجمع المطر عن الصحابة ، فما ذكره مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان إذا جمع الامراء بين المغرب والعشاء ليلة المطر جمع معهم في ليلة المطر ، قال البيهقي ورواه العمري عن نافع فقال : قبل الشفق وروى الشافعي في القديم: أنبأنا بعض أصحابنا عن أسامة بن زيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب ان ابن عباس جمع بينهما في المطر قبل الشفق ، وذكر مارواه أبو الشيخ الاصبهاني بالاسناد الثابت عن هشام بن عروة وسعيد بن المسيب وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كانوا يجمعون بين المغرب والعشاء في الليلة المطيرة إذا جمعوا بين الصلاتين ولا ينكر ذلك ، وباسناده عن موسى بن

عقبة أن عمر بن عبد العزيز كان يجمع بين المغرب والعشاء الاخرة إذا كان المطر ، وان سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وابا بكر بن عبد الرحمن ومشيخة ذلك الزمان كانوا يصلون معهم ولا ينكرون ذلك ،

فهذه الآثار تدل على أن الجمع للمطر من الامر القديم المعمول به بالمدينة زمن الصحابة والتابعين، مع أنه لم ينقل ان احدا من الصحابة والتابعين أنكر ذلك فعلم أنه منقول عندهم بالتواتر جواز ذلك ، لكن لا يدل على أن النبي ﷺ لم يجمع إلا للمطر ، بل إذا جمع لسبب هو دون المطر مع جمعه أيضاً للمطر كان قد جمع من غير خوف ولا مطر ، كما أنه إذا جمع في السفر وجمع في المدينة كان قد جمع في المدينة من غير خوف ولا سفر، فقول ابن عباس جمع من غير كذا ولا كذا ليس نفيا منه للجمع بتلك الاسباب بل اثبات منه لانه جمع بدونها وإن كان قد جمع بها أيضاً

ولو لم ينقل أنه جمع بها فجمعه بما هو دونها دليل على الجمع بها بطريق الاولى ، فيدل ذلك على الجمع للخوف والمطر ، وقد جمع بعرفة ومزدلفة من غير خوف ولا مطر

فالاحاديث كلها تدل على أنه جمع في الوقت الواحد لرفع الحرج عن أمته فيباح الجمع إذا كان في تركه حرج قد رفعه الله عن الامة ، وذلك يدل على الجمع للمرض الذي يحرج صاحبه بتفريق الصلاة بطريق الاولى والاحرى ، ويجمع من لا يمكنه إكمال الطهارة في الوقتين الا بحرج كالمستحاضة وأمثال ذلك من الصور (١)

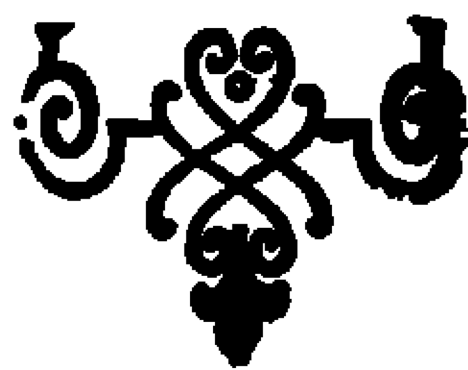
---

(١) المنار ـ ذكر النووي في شرح مسلم خلاصة ماقاله المتأولون لروايات الجمع بالمدينة من غير مطر ولا خوف وردها كلها بما دل قطعا على أن هذا الجمع في الاقامة ه

وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال الجمع بين الصلاتين من غير عذر من الكبائر،وروى الثوري في جامعه عن سعيد عن قتادة عن أبي العالية عن عمر ورواه يحي بن سعد عن يحي بن صبح حدثني حميد بن هلال عن أبي قتادة يعني العدوي أن عمر بن الخطاب كتب إلى عامل له: ثلاث من الكبائر : الجمع بين الصلاتين الا من عذر، والفرار من الزحف والنهب. قال البيهقي : أبو قتادة أدرك عمر فان كان شهده كتب فهو موصول وإلا فهو إذا انضم إلى الاول صار قويا . وهذا اللفظ يدل على اباحة الجمع للعذر ولم يخص عمر عذرا من عذر . قال البيهقي وقد روي فيه حديث موصول عن النبي ﷺ في اسناده من لا يحتج به وهو من رواية سلمان التيمي عن حنش الصنعاني عن عكرمة عن ابن عباس اهـ

---

* رخصة للامة وقال في آخر البحث. وذهب جماعة من الائمة الى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذه عادة وهو قول ابن سيرين وأشهب من اصحاب مالك . وحكاه الخطابي عن القفال والشاشي الكبير من اصحاب الشافعي عن ابي اسحاق المروزي واختاره ابن المنذر ويؤيده ظاهر قول ابن عباس اراد أن لا يحرج امته فلم يعلله بمرض ولا غيره والله اعلم اهـ



اعجاز القرآن

كان صديقنا خزانة الادب، ولسان العرب، مصطفى صادق الرافعي خص الجزء الثاني من كتابه (آداب اللغة العربية) ببيان اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ثم رأى أن يفصله منه ويصدره بالعنوان الدال على موضوعه، واقترح علي أن أكتب له مقالا وجيزا يصدر به الكتاب ويعرضه به على أولى الالباب، فكتبت له ما يأتي فصدره وعرضه به، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الانسُ وَالجنُّ على أن يأْتوا بِمِثْلِ هَـذا القُرْآنِ لايأتونَ بِمِثْلِهِ وَلوْ كانَ بَعْضهمْ لبَعْض ظَهِيراً)

القرآن كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، وفي كل باب من هذه الأبواب للاعجاز فصول، وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول، وقد تحدّى محمد رسول الله النبيُّ العربيُّ الاميُّ العرب باعجازه، وحكى لهم عن ربه القطع بعجزهم عن الاتيان بسورة من مثله، فظهر عجزهم على شدة حرص بلغائهم على إبطال دعوته، واجتثاث نبتته، ونقل جميع المسلمين هذا التحدي الى جميع الامم فظهر عجزها أيضاً. وقد نقل بعض أهل التصانيف عن بعض الموصوفين بالبلاغة في القول أنهم تصدوا لمعارضة القرآن في بلاغته، ومحاكاته في فصاحته دون هدايته، ولكنهم على ضعف رواية الناقلين عنهم، لم يأتوا بشيء تَقَرُّ به أعين الملاحدة والزنادقة فيحفظوه عنهم، ويحتجوا به لالحادهم وزندقتهم

ثم ابتدع بعض الاذكياء في القرن الماضي ديناً جديداً وضعوا له كتابا (١)

(١) هم البهائية وهيهات أن يأتوا بقرآن الا اذا خلقوا سبع سموات ... ولم نشر الى معارضتهم في كتابنا هذا اذ لانسمي معارضتهم ولا نذكر «الرافعي»

توخوا وتكلفوا فيه تقليد القرآن في فواصله ، وادعوا محاكاته في إعجازه بهدايته، ومساهمته بانبائه عن الامور الغائبة المستقبلة ، فكان من خزيهم وخذلان الله لهم أن اضطروا إلى كتمان هذا الكتاب المختلق، والافك الملفق ، لكيلا يفتضحوا بظهوره ، وهم مازالوا يجمعون ماكانوا طبعوه من نسخه : قبل أن يظهر فيهم الداهية[1] الواقف على مخازي تزويره ، وهم يحرقون ماجمعوه منها ، ولعلهم ينقحونه ثم يبرزونه لجيل لم يطلع عليها

وقد نبتت في مصر نابتة من الزنادقة الملحدين في آيات الله ، الصادين عن دين الله ، قد سلكوا في الدعوة الى الكفر والالحاد شعاباً جدداً ، وللتشكيك في الدين طرائق قِدداً ، منها الطعن في اللغة العربية وآدابها ، والتماري في بلاغتها وفصاحتها ،وجحود ماروي عن بلغاء الجاهلية من منظوم ومنثور ، وقذف رواتها بخلق الافك وشهادة الزور ، ودعوة الناطقين باللسان العربي المبين ، الى هجر أساليب الاولين ، واتباع أساليب المعاصرين، ومنهم الذين يدعون إلى استبدال اللغة العامية المصرية ، بلغة القرآن الخاصية المضرية ، والغرض من هذا وذاك صد المسلمين عن هداية الاسلام ، وعن الايمان باعجاز القرآن ، فان من أوتي حظا من بيان هذه اللغة وفاز بسهم رابح من آدابها ، حتى استحكمت له ملكة الذوق فيها، لايملك أن يدفع عن نفسه عقيدة إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته ، وبأسلوبه في نظم عبارته ، وقد صرح بها من أدباء النصرانية المتأخرين الأستاذ جبر ضومط مدرس علوم البلاغة بالجامعة الاميركانية في كتابه الخواطر الحسان[2]

وقد رأيت شيخنا الاستاذ الامام مرة يقرأ في كتاب إفرنسي اللغة لحكيم من حكمائها فكان مما قرأه علي منه بالترجمة العربية ردّ المؤلف على من قال من

(١) هو عباس افندي ابن معبودهم البهاء (٢) نقول وصرح لنا بذلك أديب هذه اللغة وبليغها الشيخ ابراهيم اليازجي الشهير وهو أبلغ كاتب اخرجته المسيحية وقد أشار الى رأيه ذلك في مقدمة كتابه نجعة الرائد وكذلك ـ ألنا شاعر التاريخ المسيحي الاستاذ خليل مطران ولا نعرف في شعراء القوم من يجاريه فأقر لنا بمثل ماأقر به استاذه اليازجي والامر بعد الى العقل والعقل ليس له دين الا الحق والحق واحد لايتغير ا الرافعي)

دعاة النصرانية إن محمداً ﷺ لم يأت بمثل آيات موسى وعيسى المسيح (ع . م) قال إن محمداً كان يقرأ القرآن مولهاً مدلها[1]، صادعاً متصدعا ، فيفعل في جذب القلوب إلى الايمان به ، فوق ما كانت تفعل جميع آيات الانبياء من قبله اهـ

لقد حار العلماء في كشف حجب البيان عن وجوه إعجاز القرآن ، بعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان ، حتى قال بعضهم إن الله تعالى قد صرف عنه قدر القادرين على المعارضة بخلق العجز في أنفسهم وألسنتهم ، وذلك أن إدراك كنه العجز والاحاطة بأسبابه وأسراره ضرب من ضروب القدرة ، والمقام مقام عجز مطلق ، فالقرآن في البيان والهداية كالروح في الجسد ، والاثير في المادة، والكهرباء في الكون ، تعرف هذه الاشياء بمظاهرها وآثارها ، ويعجز العارفون عن بيان كنهها وحقيقتها ، وفي وصف ماعرف منها أو عنها لذة عقلية لا يستغني عنها ، كذلك ماعرف من أسباب عجز العلماء والبلغاء عن الاتيان بسورة مثل سور القرآن في الهداية أو الأسلوب أو حسن البيان ، فيه لذات عقلية وروحية ، وطمأنينة ذوقية وجدانية ، تتضاءل دونها شبهات الملحدين ، وتنهزم من طريقها تشكيكات الزنادقة والمرتابين .

فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعاً وهو من فروض الكفاية ، وقد تكلم فيه المفسرون والمتكلمون ، وبلغاء الأدباء المتأنقون ، ووضع الامام عبدالقاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لاثبات ذلك بطريقة فنية ،وقواعد علمية ، وصنف بعض العلماء كتبا خاصة فيه اشتهر منها كتاب(إعجاز القرآن)للقاضي أبي بكر الباقلاني شيخ النظار والمتكلمين في عصره لانه طبع مرتين أو اكثر ، فان كان ذلك قد وفى بحاجة الازمنة التي صنفت فيها تلك الكتب فهو لا يفي بحاجة هذا الزمان ، اذ هي داعية الى قول أجمع،

---

(١) قال لي الاستاذ الامام ان المؤلف استعمل هنا كلمة إفرنسية لا أعرف لها مرادفا في لغتنا العربية معناها انه كان يقرأ في حال مؤثرة في نفسه وفي نفس من يسمع قراءته فعبر عنها بالتدله

وبيان أوسع ، وبرهان أنصع ، في أسلوب أجذب للقلب ، وأخلب للب ، وأصغى للأسماع ، وأدنى الى الاقناع .

استوى الى هذا وانتدب له الأديب الاروع ، والشاعر الناثر المبدع ، صاحب الذوق الرقيق ، والفهم الدقيق ، الغواص على جواهر المعاني ، الضارب على أوتار مثالثها والمثاني ، صديقنا الاستاذ (مصطفى صادق الرافعي) فصنف في اعجاز القرآن سفراً لا كالأسفار ، آتى فيه — وهو الأخير زمانه — بمالم تأت الأوائل ، فكان مصداقا للمثل السائر « كم ترك الأول للآخر » ناهيك بمنثور لا ند له في نظم القرآن العجيب ، وأسلوبه المباين لجميع الاساليب ، فلا هو مرسل طلق العنان كالنوق المراسيل ، يتعاصى على ترسل التجويد ونغمات الترتيل ، ولا هو مسجوع كسجع الكهان ، ولا شعر تلتزم فيه القوافي والأوزان ، ومن آياته القصار ذات الكلمة المفردة والكلمتين والكلمات ، والوسطى المؤلفة من جمل مثنى وثلاث ورباع ، والطولى منها لا تتجاوز سطورها جمع القلة ، وأطولها آية الدين فقد تجاوزت مئة كلمة ، وكل نوع منها يؤدى بالترتيل اللائق به ، المعين على تدبره

واني على شهادتي للرافعي بأنه جاء في هذا المقام بما تجلت به مباين الاعجاز ومواضحه ، وأضاءت لوائح الحق فيه وملامحه ، وددت لو مد هذا البحث مد الاديم ، بل أمد بحيرات نيله بجداول الغيث العميم ، فعم فيضانه الفروق بين نظم الآيات في طولها وقصرها ، وقوافيها وفواصلها ، ومناسبة كل منها لموضوع الكلام ، واختلاف تأثيره في القلوب والاحلام [1]

كلفني المصنف أيد الله به اللغة والدين ، أن أكتب ثلاث صفحات أو أربعا أعرض بها كتابه هذا على القارئين ، وأنى لي بايجاز الكتاب المنزل ، ولاسيما قصار سور المفصل ، فأعد في هذه الصحفات عناوين أبوابه وفصوله ، دع ما فيها من غرر مباحثه وحجوله ؟ اذاً لست أملك من الاستجابة له فوق ما تقدم الآن أنصح لقراء العربية عامة ، وللمسلمين منهم خاصة ، ولطلاب العلم منهم على الاخص ، بأن يقرؤا

(١) قلنا سيكون هذا ان شاء الله غرض كتاب برأسه والنية معقودة عليه من قديم كما أشرنا اليه في هذا الكتاب فاللهم عونك وتيسيرك (الرافعي)

هذا الكتاب بغية الاستعانة على النبوغ في بلاغة لغتهم ، والتفقه في كتاب الله تعالى ، وتعرف الشيء الكثير من أسرار اعجازه ، مما لا يجدونه في غيره

قال شيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : « ان لكلام الله تعالى أسلوبا خاصا يعرفه أهله ، ومن امتزج القرآن بلحمه ودمه ، وأما الذين لا يعرفون منه إلا مفردات الالفاظ وصور الجمل فأولئك عنه مبعدون »

وقال أيضا : « فهم كتاب الله تعالى يأتي بمعرفة ذوق اللغة ، وذلك بممارسة الكلام البليغ منها »

وقال في وصف من امتزج القرآن بلحمه ودمه حاكيا عن نفسه : إني عند ما أسمع القرآن أو أتلوه احسب أني في زمن الوحي ، وأن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ينطق به كما أنزله عليه — أو نزل به عليه — جبريل عليه السلام اه .

وبهذا امتاز الاستاذ الامام رحمه الله تعالى على الاقران ان كان له أقران .

إن الله تعالى قد أوجد بالقرآن أعظم انقلاب في البشر ، بتأثيره في أنفس العرب ، اذ جعلهم بعد أميتهم أساتيذ الأمم ، وسادة العجم ، وما فقد المسلمون هدايته ، الا لجهلهم بأسرار لغته ، لذلك يهاجمه أعداؤه الملاحدة والمستعمرون من طريق لغته ، فليعلم المسلمون هذا وليحرصوا على حفظ دينهم بحفظ لغتهم وممارسة آدابها وأسرار بلاغتها ، ولتكن غاية هذا كله فهم القرآن كما كان يفهمه سلفنا الصالح (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) محمد رشيد رضا

القاهرة — ربيع الأول سنة ١٣٤٥ منشيء مجلة المنار

تنبيه

كتاب اعجاز القرآن والبلاغة النبوية جزء ضخم تبلغ صفحاته ٣٦٩ صحفة وثمن النسخة منه غير مجلدة عشرون قرشاً ماعدا أجرة البريد وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

كتاب في الشعر الجاهلي

دعاية الى الالحاد والزندقة

وطعن في الاسلام

تمهيد

أتيح لي النظر ثانية في هذا الكتاب وقرأت الكثير من كتبه وفصوله في فرص متفرقة — فحكمت بقراءتها حكماً تفصيلياً لاشك فيه بمثل ماأجملته في مقالتي الأولى ، بعد تلك النظرة العجلى ، حكمت بأن الدكتور طه حسين ماألف هذا الكتاب لتحقيق مايمكن الوصول اليه من الشعر الجاهلي يقيناً أو ظناً أو شكا ، بل ألفه لأجل الطعن في الاسلام ، والصدّ عن سبيل الايمان ، والدعوة إلى الزندقة والالحاد ، هذا هو المقصد ، والشعر الجاهلي والادب العربي وسيلة اليه

وقد كنت أردت أن أقرأه كله وأحصي مافيه من المطاعن وأبين بطلانها، ثم رأيت أن خلس الفراغ من أيام الجم لاتمكنني من ذلك إلا في عدة أشهر ، فرجعت إلى رأيي الاول وهو ترك الرد التفصيلي للذين صنفوا والذين لايزالون يصنفون كتباً خاصة في ذلك يعنى كل منهم برد نوع من أباطيل الكتاب وصاحبه أو برد عدة أنواع منها كما فعل (مصطفى صادق أفندي الرافعي) و (محمد فريد أفندي وجدي) ، فان هذا قد بين أغلاطه وجهله من الوجهة العلمية والتاريخية ، دون ضلالاته الدينية ، وكأنه رآه مفيداً من هذه الوجهة بهدمه للاسلام المعروف عند أكثر المسلمين لعله يكون وسيلة وتمهيداً للاسلام الصحيح ، اسلام القرآن الحكيم اذ كان كتب مقالات في جريدة الاخبار ارتأى فيها أن المسلمين لايمكن أن يكونوا مسلمين كما يجب الا اذا تركوا الاسلام المعروف عندهم وارتدوا عنه معتقدين بطلانه ، ثم دعوا الى الاسلام الآخر . وقد حفظت هذه المقالات عندي لأبين مافيها من خطأ وصواب عند سنوح الفرصة

واني أبدأ الآن ببيان خطة الدكتور طه في دعايته الالحادية وما مهد لها

به في كتابه الجديد (في الشعر الجاهلي) من الدعاوى والقواعد الخادعة مع تفنيدها وبيان مافيها من التعارض والتناقض ، ثم أقفي على ذلك ببيان أهم مطاعنه في الدين الالهي وفيما ختمه الله وأكمله به ببعثة خاتم النبيين محمد ﷺ

الفصل الاول

﴿ المقاصد والأصول والمقدمات التي جرى عليها الدكتور طه حسين ﴾
﴿ في طعنه في الاسلام ودعوته إلى الالحاد ﴾

(١) ان الدكتور طه حسين قد أخذ على عاتقه أن يحارب دين الاسلام والامة الاسلامية بالطعن فيهما وصرف الناس عنهما الى الزندقة والاباحة . ذلك شأنه في مصنفاته من (ذكرى أبي العلاء) الى (في الشعر الجاهلي) وفي مقالاته التي نشرها في جريدة السياسة تحت عنوان (حديث الاربعاء) الى مقاله الاخير (العلم والدين) وهي خطة قد ابتدعها بعض اليهود في اوربة لافساد دين النصرانية على أهله ، ويقال إن لبعض أعضاء جمعية الالحاد والزندقة هنا صلة ببعض الجمعيات اليهودية

(٥) أن من أساليب الدكتور طه حسين المعروفة في كل ما كتبه أنه يخترع مسائل يجعلها من قبيل القضايا المسلمة بما يزينها به من خلابة القول ، ثم يستدل بها ، أو يورد عليها بعض الشبهات ويرد عليها دفاعا عنها ، وهذا كثير في كتابه هذا وسنذكر أمثلته عند بيان بطلانه

(٦) أن من أساليبه أنه يشكك في المسائل الثابتة بضروب من خلابة المغالطة أو السفسطة ، ويزين هذا التشكيك لقارىء كلامه ويحاول حمله على قبوله بدعوى أن الشك في كل شيء هو الطريق اللاحب الموصل للعلم الحق والفلسفة الصحيحة والتجديد ، فيجب على طالب الحقيقة أن يقبله ولو على سبيل الفرض بأن يفرض أن ما يؤمن به ايمانا يقينيا هو باطل لاحقيقة له ، لأجل أن يكون سالكا للمنهج الذي زعم أن الذي نهجه وأشرعه للناس هو الفيلسوف (ديكارت) للبحث عن حقائق الاشياء ، وهو تجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل (ص١١) أو ليلذذ عقله بالشك والقلق والاضطراب (ص٥) أو ليتمتع بلذة قبول كل جديد

ونبذ كل قديم ولا سيما اذا كان اسلاميا . فيكون من المجددين الذين يكونون أشد شكا في القديم أو « أشد ما يلكهم الشك حين يجدون من القدماء ثقة واطمئنانا » (ص٥) يعني أن جل لذتهم وغبطتهم فى هدم مابناه المتقدمون

(٢) انه قد بين فى التمهيد من كتابه هذا المذهب الذي يجري عليه هو واخوانه المجددون للالحاد والاباحة وزينه بقوله (ص٢) « أريد أن لا نقبل شيئا مما قال القدماء في الادب وتاريخه الا بعد بحث وتثبت ان لم ينتهيا الى اليقين فقد ينتهيان الى الرجحان »

(٣) انه ذكر الفرق بين هذا المذهب ومذهب القدماء بزعمه فقال : والفرق بين المذهبين فى البحث عظيم فهو الفرق بين الايمان الذي يبعث على الاطمئنان والرضاء، والشك الذي يبعث على القلق والاضطراب ، وينتهي فى كثير من الاحيان الى الانكار والجحود » اه

ثم وصف هؤلاء المجددين وثمرة مذهبهم بقوله (ص٦) « والنتائج اللازمة لهذا المذهب الذي يذهبه المجددون عظيمة جليلة الخطر ، فهي الى الثورة الادبية أقرب منها الى شيء آخر . وحسبك أنهم يشكون فيما كان الناس يرونه يقينيا، وقد يجحدون ماأجمع الناس على أنه حق لاشك فيه » اه

ثم وصفهم بما هو أبعد في الصراحة مدى من ذلك وهو قوله « وهم قد ينتهون الى الشك في أشياء لم يكن يباح الشك فيها »

(٤) انه فصل اجمال هذا المذهب بما أوجبه على هذه الطائفة بقوله « نعم . يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها ، وأن ننسى ديننا وكل من يتصل به ، وأن ننسى كل ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين . يجب أن لانتقيد بشيء ولا نذعن لشيء الا مناهج البحث العلمي الصحيح ، ذلك اننا إذا لم ننس قوميتنا وديننا وما يتصل بهما فسنضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف ، وسنغل عقولنا بما يخالف هذه القومية وهذا الدين ، وهل فعل القدماء غير هذا ؟ وهل أفسد علم القدماء غير هذا؟ » اه بحروفه

(٧) من مناهج الدكتور طه حسين في مباحثه العلمية والادبية ، ومقاصده

الالحادية الاباحية ، أنه يعمد الى شيء من الباطل كالخرافات أو الروايات التي لاتصح فيقرن به شيئاً من الحق المشابه له ليوهم المطلع على كلامه ان حكمهما واحد . ثم انه يجعل الباطل هو الحق الذي لامرية فيه ولا مراء ، اذا كان مشككا في الاسلام أو مزريا به وصاداً عنه ، كما جمع بين خرافات الجاهلية في الجن وتلقينهم الشعر للشعراء ، وبين ماثبت في الكتاب والسنة من وجود الجن وايمان بعضهم وكفر بعض ليوهم المسلمين أن هذا من ذاك ، كل منهما خرافات

(٨) من منطق الدكتور طه حسين في البحث والاستدلال أنه يجعل بعض جزئيات الاخبار التي توافق هواه قواعد كلية ، وحججا علمية ، لايتسرب اليها شيء من الشك الذي فرضه في كل كلام قديم حتى الكلام القديم الازلي وهو كلام الله تعالى - وان لم ترو بسند صحيح ، ولم تمحص بنقد ولم تثبت بدليل ، كزعمه أن سعد بن عبادة قد قتله المسلمون قتلا لما زعم من ذنوبه وادعوا ان الجن قتلته ، وسيأتي بيان مافيه من الكذب المتعمد ، فكيف اذا كانت تلك الجزئيات مأخوذة بالتسليم ، ومن هذا انه جعل وقائع الاحوال في العصبية القومية بين العرب أصلا يحمل عليه ماليس منه حتى أدخل في عمومه المهاجرين والأنصار الذين ألف الله بين قلوبهم بالاسلام فأصبحوا بنعمته إخوانا كما يشهد لهم القرآن والتاريخ الصحيح الثابت بالتواتر

(٩) من منهج الدكتور طه أنه يأخذ كلام بعض أعداء الاسلام في الطعن فيه بالقبول ، ولا يجري فيه على قاعدته في رد كلام المتهم بعداوة أو عصبية - ولا بقاعدة (باكون) التي ادعى انه لايحيد عنها في مباحثه ، فقد رأيناه ينتحل بعض كلام دعاة النصرانية الذين جعلت جمعياتهم الدينية رزقهم ومادة معيشتهم وتكريمهم الطعن في الاسلام ودعوة أهله الى تركه ، من حيث يطعن في روايات أئمة المحدثين الذين يتقربون الى الله تعالى بتمحيص الروايات مهما يكن موضوعها حتى ان بعضهم صحح بعض مايعد طعنا في الاسلام أو يغري بالطعن فيه . وحكموا بالضعف تارة وبالوضع أخرى على أحاديث لايختلف عاقلان في صحة معناها وتأييدها للاسلام

(١٠) من سنن الدكتور طه ودأبه انه يخترع القضايا والمسائل الصحيحة

والمخترعة المفتراة منه عللا باطلة يفتجرها إفتجاراً للطعن في الاسلام كما علل مازعمه من اختراعهم للشعر الجاهلي بأنهم كانوا محتاجين الى ذلك لتأييد لغة القرآن وكما علل به انتساب العرب العدنانيين الى اسماعيل بن ابراهيم وماعلل به تسمية الاسلام بملة ابراهيم الخ الخ

الفصل الثاني

(١) تفنيد زعمه أنه هو وأعوانه طلاب علم يقيني في الشعر الجاهلي

زعم الدكتور طه حسين أو يوهم تلاميذه وقراء كتابه أن الغاية الثمينة النفيسة الغالية التي ينسى هو واخوانه المجددون للالحاد والزندقة قوميتهم ودينهم وما يتصل به من كتاب ربهم وسنة رسوله لأجل الوصول اليها هي تحقيق الحق في الشعر الجاهلي - ونحوه من الادب العربي وتاريخه - فان لم ينتهوا بعد تكذيب كل قديم فيه والبحث الجديد إلى اليقين فحسبهم الانتهاء الى الرجحان (ص٢و٣)

ثم قال ان أول شيء يفجأ به القارىء انه بإلحاحه في الشك وإلحاح الشك عليه أخذ يبحث ويفكر ويتدبر حتى انتهى به ذلك كله « الى شيء إلا يكن يقينا فهو قريب من اليقين . ذلك ان الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء ، وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الاسلام » ثم صرح بأن المسلمين هم الذين اختلقوا هذا الشعر واخترعوه ، وقد أشرك المفسرين والمحدثين والمتكلمين في هذا الاختلاق والاختراع لأنه يريد أن يعتقد تلاميذه ان جميع علماء المسلمين كانوا كذابين أفاكين حتى أئمة الدين منهم

لكنه نقض كل ما كان بناه في هذا الفصل وهو الأول التمهيدي وهدمه في آخره بعد أن أطال فيما أراد أن يجعله قاعدة مسلمة في سبب ماقذف به علماء المسلمين من الاختلاق فقال (ص١٠)

«فاذا انتهينا من هذه الطرق كلها الى غاية واحدة هي هذه النظرية التي قدمتها فسنجتهد في أن نبحث عما يمكن أن يكون شعراً جاهلياً حقا . وأنا أعترف منذ

الآن بأن هذا البحث عسير كل العسر ، وبأني أشك شكا شديداً في أنه قد ينتهي بنا الى نتيجة مرضية ، ومع ذلك فسنحاوله » اه

فقصارى فلسفة الدكتور واخوانه دعاة الالحاد أنهم يدعون تلاميذ الجامعة المصرية وغيرهم من قراء العربية الى أن يتجردوا من دينهم وهدايته التي هي مناط سعادة الدنيا والآخرة حسب أصول الايمان ، وأن يتجردوا من جنسيتهم ووطنيتهم التي بها يعتزون ويتناصرون ويحافظون على شرف الاستقلال والحرية القومية وإباء ذل العبودية ــ وأن يلقوا أنفسم بعد هذا التجرد في تيار من بحر الحيرة والاضطراب في إثبات الشعر الجاهلي يدفعهم شك ويتلقاهم ريب، ولا ينتهون الى نتيجة مرضية ــ (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) والشك باليقين، والحيرة والاضطراب بالسكينة والطمأنينة (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

أما والله ان هذا مذهب باطل ، لا يرضاه لنفسه فاضل ، وتجارة لا يختار بضاعتها المزجاة عاقل ، وان هؤلاء المجددين للالحاد والاباحة لا يقصدون هذا الشك المظلم، ولا يتلذذون به وانما يتوخون التشكيك لغيرهم لينتظموا في سلك ملاحدة أوربة الذين نسب اليهم صد أهلها عن النصرانية، ان لم يكونوا كلهم مستأجرين لذلك من المستعمرين الطامعين ، أو من البلشفيين وأمثال البلشفيين ،

(٢) تصريحه بأنهم دعاة كفر وجحود للدين

وصف الدكتور طه حسين هذا الشك في آخر الصفحة الثانية بأنه ينتهي في كثير من الاحيان الى الانكار والجحود ، وقال في وصف أهله مجددي الالحاد (في ص٦) «وقد يجحدون ما أجمع الناس على أنه حق لا شك فيه» اه

وهذا تصريح منه بأنهم يتعمدون الكفر والالحاد والدعوة اليه حتى فيما يعلمون أنه حق ــ وهذا معنى الجحود ــ قال المحقق الراغب في مفردات القرآن: الجحود نفي ما في القلب اثباته، واثبات ما في القلب نفيه. قال عز وجل (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) أقول : ومنه أيضاً قوله تعالى خطابا للنبي ﷺ (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) والدكتور طه يعرف هذا المعنى ، ويقصد به جحد القرآن وتكذيبه حتى فيما يعلم هو وأولياؤه انه حق،

وليس عند المسلمين اجماع على حق لاشك فيه الا على كتاب الله تعالى الذي قال سبحانه في وصفه (ذلك الكتاب لاريب فيه) ورسالة نبيه محمد ﷺ وما تواتر من سنته . فهو يقصد جحود القرآن وما فيه والرسالة والسنن حتى المتواترة - وقد أكد إرادته لهذا المعنى بقوله ﷺ « وهم قد ينتهون الى الشك في أشياء لم يكن يباح الشك فيها». وأما الشعر الجاهلي وغير الجاهلي فأقواه روايةً مظنون ، وما عداه فمشكوك فيه أو مردود . فليس فيه شيء أجمعوا على أنه لاشك فيه ، ولا أنه لايباح الشك فيه

(٣) بطلان ماعلل به ترك الدين والقومية وما يتصل بهما .

جعل الدكتور طه الأصل والقاعدة للبحث عن الأدب العربي وتاريخه وجوب نسيان الدين وكل مايتصل به ، أي من علم وهو الكتاب والسنة ومن عمل وهو العبادات والفضائل والآداب الاسلامية ، وكذلك القومية ومشخصاتها - وعلل ذلك بان عدم تركها يضطر الباحث إلى المحاباة وارضاء العواطف وغل العقل بما يلائم القومية والدين ، وان هذا هو الذي أفسد على المتقدمين علمهم دون غيره (ص ١٢)

نقول في تفنيد هذا الزعم الذي أراد أن يجعله من القضايا المسلمة :

(أولا) إن مسألة الشعر الجاهلي من المسائل النقلية التي لايمكن اليقين فيها إلا بالنقل المتواتر ، فاذا كان هذا لم يحصل فيما مضى فلن يحصل الآن ولا في المستقبل لأن موضوعه الزمن الماضي ، وإذ كان اليقين فيه متعذراً بقي الظن ، وما دونه من شك ووهم وطريقة علماء الاسلام المتقدمين في ترجيح بعض الروايات على بعض فيه وفي كل منقول أن ينظر في حال الرواة من حيث الصدق والامانة وجودة الحفظ وأضدادها ، وعدم معارضة الراوي غير الثقة للثقات — والثقة لمن فوقه في العدالة — ومما يشترطونه في عدالة الراوي ألا يكون متعصباً لرأي أومذهب وداعية له . وأن لايروي عمن علم أنه لم يلقه ، وأن يكون السند الصحيح متصلا بالعدول، خالياً من العلل والشذوذ

هذا مايرونه من جهة التثبت من الرواة — وأما مروياتهم فيشترط فيها أن

تكون ممكنة في نفسها فاذا كانت مشتملة على مايقوم الدليل على امتناعه لم يعتدّوا بها الخ ،وبهذه الشروط ردوا كثيراً من روايات الاحاديث وأخبار التواريخ ، ورموا كثيراً من الرواة بالضعف والوهم والكذب وتعمد الوضع

وأجدر الناس بالتثبت والصدق في ذلك ودقة النقد علماء الدين من المحدثين وغيرهم لأنهم يدينون الله بتحري الصدق ويؤمنون إيماناً قطعياً بأن الله يعاقبهم في الآخرة على الكذب واتباع الهوى . فالايمان هو الذي جعل علمهم أصح العلم ، ورواياتهم أجدر روايات الأمم وأحقها بالتمحيص ، وقبول الصحيح منها وردّ الضعيف . وقد اعترف لهم بهذه المزية المنصفون من علماء أوربة

فاذا كان هؤلاء قد قصروا في نقد ماروي من الشعر الجاهلي بمثل دقتهم في نقد رواية الحديث فما على الدكتور طه إن صدق في زعمه أنه يقصد الوصول في رواية الشعر الجاهلي إلى شيء قريب من اليقين إلا أن يتبع خطتهم ويسير على منهاجهم ، ومنه أن يدين الله بالتزام الصدق والامانة، واجتناب الكذب والخيانة، اهتداء بقوله تعالى (انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون) ـ الآية ـ وبقول رسوله (ص) في حديث الصحيحين وغيرهما « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان» فهذا النهج الاسلامي أصح وأسلم وأقرب إلى الامكان من قاعدة باكون كما فهمها الدكتور طه ، وهي أن ينسى الانسان جنسه ودينه ومايتصل بذلك لأجل البحث عن أمر لامطمح في الوصول الى الحق اليقين فيه ، ولا يعقل أن يقول ذلك العالم الرياضي مثل هذا في تحقيق مسائل نقلية عن الامم الخالية .

(ثانياً) أن نسيان الجنس ومشخصاته إن كان ممكناً فان نسيان الدين ليس بممكن ، فكيف يأمر به ويوجبه على الناس — ورب الناس لم يكلفهم ماليس في طاقتهم كما قال تعالى (لايكلف الله نفسا الا وسعها) ؟ نعم إنه يعني بنسيانه تركه وهو لازمه وقد استعمل فيه حتى في القرآن فهو يدعو الى ترك الدين قطعاً، وانما السبيل الى تركه الارتياب فيه ، فهو لذلك يشكك فيه .

(ثالثا) ان الدكتور طه يعلم أن الدين مبنى على الايمان، والايمان هو التصديق اليقيني المقترن بالاذعان ، ويعلم أنه ليس من الممكن تركه بمجرد أمر آمر لأنه هو

الحاكم على العقل والوجدان ، وانما غرضه بهذا اقناع تلاميذه المقلدين ، الذين لم يصلوا في الدين الى علم اليقين ، أن الايمان والعلم بالحقائق ضدان لايجتمعان ، ليصدهم بهذا عن الايمان والاسلام ، ويوهمهم أنهم بهذا دون سواه يمكن أن يكونوا فلاسفة مجددين ! وأحراراً اباحيين .

(رابعا) نقلت الصحف أن الدكتور طه لما شعر بامكان مؤاخذته على افساد عقائد طلبة الجامعة المصرية والطعن في دين الامة والدولة ، كتب كتابا الى رئيسه مدير الجامعة المصرية قال فيه إنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر — ورغب اليه أن ينشر هذا الكتاب فنشره دفاعا عنه — فان كان مؤمنا كما كتب فكل مافي القرآن وكل ماأجمع عليه المسلمون من سنة رسول الله (ص) المتواترة قطعي عنده لايحتمل الشك، لأن الشك ينافي الايمان بالضرورة العقلية ، وبنص قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) وأمثاله من كتاب الله تعالى ، فكيف يتفق هذا مع قاعدته « وجوب الشك فى الدين وكل مايتصل به» ألا ان دعواه الايمان ، وتصريحه بالشك فى القرآن ، ضدان لايجتمعان ، بل نقيضان لايدخلان في حكم الامكان .

(خامساً) هب أن المؤمن الموقن يمكنه أن يشك ، ولكن كيف يعقل من طالب اليقين في الشعر الجاهلي - وهو لاسبيل اليه كما صرح به - أن يوجب على نفسه ترك اليقين في ايمانه ومايتصل به لطلب ماإعترف بانه يشك شكا شديداً في أنه قد ينتهي به الى نتيجة مرضية منه؟ ان الصادق في طلب اليقين يطلبه في كل شيء يمكن الوصول اليه فيه ، فما له يرغب عن اليقين في الدين بعد حصوله ؟ ثم يرغب في طلبه في الشعر الجاهلي مع عدم امكانه ، أو مع الشك في الوصول الى مايقرب منه فيه ؟

(سادسا) هب أن في الامكان الانتهاء في معرفة الشعر الجاهلي الى اليقين وهو مالا يرجوه الدكتور - وحق له ألا يرجوه لأنه محال وانما يرجى الممكن - فهل من المعقول أن نتوسل لهذا اليقين القليل الجدوى، بترك يقين الايمان الذي يثمر السعادة في الدنيا والعقبى؟ أليس هذا من الخرق وأفن الرأي، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير؟

(سابعا) هب أن اليقينين متساويان في أنفسهما ، وفي ثمرتهما وفائدتهما ، فكيف يتصور تعارضهما في الحصول والثبوت ، وتوقف تحصيل المفقود منهما على بذل الموجود ، والمعقول المعروف في المنطق أن اليقيني لاينافي اليقيني ، فلابد اذاً أن يكونا أو يكون أحدهما غير يقيني ، ومن المعروف من طباع البشر أن النقد خير من النسيئة المساوية له ـ فكيف اذا كان النقد هو الافضل والانفع ؟

(ثامنا) نذكر الدكتور طه وأعضاء حزبه ، وجمعيته الذين يدعون الاسلام والايمان ـ ومنهم من لايدعي ذلك ـ بعرض قاعدتهم : « وجوب نسيان الدين ومايتصل به » على قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى) والمراد بالعمى هنا عمى البصيرة لا البصر ، فهل يقول الدكتور طه إن هذه الذكرى لاتتناوله لانه أعمى البصيرة والبصر معا فاذا حشر لايمكنه أن يقول : وقد كنت بصيرا ؟

كل هذه حجج ناهضة ودلائل بينة على أن الغرض من هذا الكتاب افساد دين طلبة الجامعة ، وكل مستعد للكفر والالحاد من العامة ، لا تحصيل مايقرب من اليقين في الشعر الجاهلي والأدب العربي ، فانه قد صرح بانه يشك شكا شديداً في الوصول الى نتيجة مرضية منه ، وكلها تثبت سوء نيته في الطعن في الاسلام ، واضلاله فيما زعمه من طلب تحقيق مسألة الشعر الجاهلي .

﴿ كتاب الشهاب الراصد ﴾

بعد كتابة ماتقدم وجمعه وقبل طبعه أهدى الينا الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي الشهير كتابه (الشهاب الراصد) وهو بحث تحليلي انتقادي ورد على تاريخي على كتاب (في الشعر الجاهلي) وهو كتاب حافل ممتع أبطل به ماادعاه الدكتور طه حسين من اتباع الفيلسوف ديكارت ، وهدم به مابناه من قواعد الجهل لاثبات الحق في الشعر الجاهلي كما زعم ، وسنعود الى تقريظه بعد أن نطالع جل فصوله ، وصفحاته تزيد على الثلاثمائة بقطع المنار ، وثمن النسخة منه ١٥ قرشا مصريا تضاف اليها أجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار بمصر .

الصحة

تأليف | ترجمة
زعيم الهندوس الاكبر | الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
مهاتما غاندي | المليح آبادي



الباب العاشر

بعض الحوادث الفجائية

— الغرق —

نتوجه الآن الى بعض الحوادث الفجائية الكثيرة الوقوع وطرق معالجتها. إن المعرفة بهذه الامور ضرورية جداً لكل انسان ليتمكن من المساعدة في الوقت اللازم ويمنع ضياع كثير من النفوس الثمينة ، حتى إن الاطفال يجب أن يعلموا ما ينبغي أن يفعل ازاء هذه الحوادث ليشبوا على عواطف الرحمة والكرم والتفكر والتأمل

لنبحث أولا في الغرق :

بما أن الانسان لا يمكن أن يعيش بدون الهواء اكثر من خمس دقائق لذلك يموت الغريق سريعا ، فاذا أخرج من الماء يجب الاهتمام به حالا قبل أن تذهب حياته بالكلية ، ولهذا الغرض يجب السعي لشيئين خاصة ، وهما تدفئة الغريق، وايجاد التنفس الصناعي فيه . لا ينبغي أن ننسى أن هذه المساعدة الاولية تعمل على حافات البرك وشواطيء الانهار حيث لا تتيسر جميع الاشياء الضرورية لذلك . وإن هذه المساعدة تكون مفيدة كثيراً اذا كان هنالك على الاقل رجلان أو ثلاثة . يجب أن يكون المساعد الاول فطناً نشطاً ، قوي الجأش لانه ان ضيع ثبات نفسه فكيف ينفع غيره ؟ وكذلك إن أخذ الحاضرون يتجادلون في طرق المعالجة فيضيعون الوقت ويقضى على الغريق ولذلك يجب أن يقود الجماعة في العمل أحزم رجالها ويتبعه الآخرون بكل دقة .

اذا أخرج الغريق من الماء يجب المبادرة الى نزع ملابسه المبلولة وتنشيف جسده ، ثم ينوم مبطوحا على بطنه ، وتجعل يداه تحت جبهته ، ثم يضع الممرض يديه تحت صدره فيضمه ويعصر ما في داخل بطنه من الماء والتراب ، وعند ذلك يخرج الغريق لسانه بنفسه خارج فمه فيقبض عليه بمنديل ولا يترك ليعود الى مكانه حتى ترجع اليه حواسه ، وعند ذلك يقلب على ظهره حالا بحيث يكون رأسه وصدره أعلا قليلا من رجليه ، ثم يجثو عند رأسه أحد الحاضرين ويشد ذراعيه ويمدهما ويرفعهما بسهولة من الجهتين ، فتعلو بهذه الطريقة أضلاعه ويتمكن الهواء الخارجي من الدخول في الصدر . وعند ذلك تعاد يداه بسرعة وتوضع فوق صدره لتضغط عليه وتساعد على خروج الهواء . وكذلك يرش بالماء الساخن والبارد على صدره . ويجب تدفئة الغريق بالنار ان أمكن ايقادها حوله وإلا فيغطى جسده بجميع الملابس المتيسرة ويدلك دلكا جيداً لتعود اليه الحرارة . كل هذا يجب عمله مدة طويلة بدون استسلام لليأس . فقد عملت في بعض الحوادث هذه الاشياء الى بضع ساعات قبل أن يعود الى الغريق التنفس . فاذا ظهرت بوادر الاحساس فينبغي أن يسقى حالا شرابا ساخنا . وإن عصير الليمون في الماء الساخن أو مغلية القرنفل أو الفلفل الاسود أو قشر شجرة الغار Bay-tobacco يكون نافعا في هذه الحالة وكذلك قد تنفع رائحة التبغ ، ويجب منع الناس من الازدحام حول الغريق لئلا ينحبس الهواء .

إن علائم الموت في الغريق كما يلي : الوقوف التام للتنفس وضربات القلب والنبض ويعرف ذلك بوضع ريشة قرب أنفه فلا تتحرك وتبقى واقفة على حال ، أو مرآة أمام فمه فلا ترطب بنفسه ، وتبقى العينان شاخصتين و نصف مفتوحة ، ويتصلب الفكان وتتقلص الاصابع ويقف اللسان بين الاسنان ، ويميل الفم الى الامام ، ويحمر الانف ، ويصفر الجسم . ان ظهرت جميع هذه العلائم في وقت واحد فيمكننا أن نحكم بموته . ولكن قد شوهد في بعض الحوادث النادرة أن الحياة باقية بعد وجود جميع هذه العلائم فعلم أن الجزم بالموت انما يكون اذا أخذ الجسم في الفساد

والانحلال ، فعلى هذا لايصح ترك الغريق للضياع الا بعد استعمل جميع الطرق المفيدة مدة طويلة .

﴿ الحرق ﴾

اذا اشتعلت ملابس رجل ففي أكثر الاحيان نحن نجزع ونفزع . فعوضاً من أن نساعد المسكين ، نزيد الطين بلة بجهلنا . ولذلك يجب علينا أن نعرف تماماً ماينبغي عمله في مثل هذه الحوادث .

ان الذي تشتعل النار في ملابسه ، لاينبغي له أن يدهش ويفقد ثباته، فان كانت النار في طرف واحد من الثوب ، يجب الضغط عليه باليد وفركه حالا . ولكن ان كانت قد امتدت الى أكثر الثوب أو كله فعليه أن يلقي نفسه حالا على الارض ويتمرغ عليها تمرغا . واذا وجد ثوب سميك فليلفه على جسمه حالا ويرش عليه الماء ان كان حاضراً . فاذا انطفأت النار تجب المبادرة الى البحث في الجسد عن آثار الحروق لمداواتها . ان الثوب يلتصق عادة في الاماكن المحروقة من الجسم ولكن لاينبغي نزعه بالقوة بل يقرض بلطف بالمقص ، ويترك المكان المحروق على حاله مع غاية الاحتياط حتى لاينسلخ الجلد . ثم تستعمل بعد هذا مباشرة اللبخة الطينية الطاهرة في جميع هذه الاماكن وتربط على كل منها بعصابة .ان اللبخة تخفف الحرق كثيراً وتسهل على المريض آلامه . وهي تستعمل كذلك على الاماكن التي التصق بها الثوب فاذا أخذت تجف تغير حالا . وليس هناك سبب للتخوف من مس الماء البارد .

ولكن اذ لم يتيسر هذا الاسعاف الاولي ، فالنصائح الآتية تفيد كثيراً . يبلل ورق الموز الاخضر بزيت الزيتون جيداً أو الزيت الحلو ويوضع فوق الحرق، وان لم يتيسر ورق الموز فتستعمل قطعة من الثوب النظيف الجيد . وكذلك مزيج من زيت الكتان وماء الجص في مقدار واحد يأتي بنفع عظيم. ان قطعات الثوب التي لصقت بالحروق يمكن ازالتها بسهولة ببلها بمزيج من اللبن الفاتر والماء . ان العصابة الزيتية الاولى يجب أن ترفع بعد يومين ، ثم تستعمل العصابات

الجديدة كل يوم . ان تكونت الفراغر على الجلد المحروق يجب فقؤها ولكن سلخ جلدها ليس بضروري .

وان احمرّ الجلد فقط بسبب الحروق فليس هناك علاج أنفع من استعمال اللبخة الطينية . إن احترقت الاصابع فيجب الاحتياط عند استعمال اللبخة الطينية بأن لا يلمس بعضها بعضاً ، وهذا العلاج نفسه يستعمل كذلك في حوادث الحرق من الحوامض[1] (Acids) وينفع نفعاً عظيما جداً .

﴿ نهش الحية ﴾

شاعت بيننا أوهام لا تحصى في شأن الحيات ، فقد زرعنا من الدهور السالفة الخوف الشديد في نفوسنا منها ، حتى إننا نخاف من مجرد ذكر اسمها ، والهندوس يعبدونها ، فقد خصصوا من كل سنة يوما لهذا الغرض وسموه بـ « ناغ بنجمي »

وقد بلغ بهم الوهم إلى أن أخذوا يزعمون أن الأرض إنما قامت باعانة الحية الكبرى المسماة « سيشا » ويسمون الاله « وشنو » بـ « سيشا شائي » لأنهم يعتقدون أنه ينام فوق ظهر إله الحية ، وأن الاله « سيوا » يعلق في عنقه عقداً من الحيات حتى انه ضرب المثل بذكاء الحية وعقلها ، فاذا عسر فهم شيء قالوا هذا مالا يمكن أن يفسره حتى « صاحبة الالوف من الالسنة » كناية عن الحية « اذي سيشا » اعتقاداً بقوة شعورها ودقة عقلها ، وقد زعموا أن الثعبان « كركولاكا » قد نهش الملك « نالا » وشوه وجهه لئلا يتعذب أثناء سياحته في الغابات بسحر السحرة . ومثل هذه الاوهام توجد في الامم المسيحية الغربية أيضاً فيصفون بالانكليزية عقل الرجل ودهاءه بأنه كالحية ، وقد قيل في التوراة إن الشيطان قد اتخذ صورة الثعبان ليغوي حواء

والسبب الحقيقي في هذه العبادة هو الخوف من الثعبان لما نراه من سرعة موت الذين يسري السم في أجسادهم سريعاً من الملدوغين ، وفكرة الموت تريعنا ولذلك نخاف حتى من اسم الثعبان ، ولو كان خلقاً حقيراً لما عبدناه بسهولة

(١) كلمة أعجمية بالاصل

أما علماء العرب اليوم فيقولون إن الحية ليست إلا خلقاً شريراً ، ويجب قتلها أينما وجدت ، وقد أثبتت الاحصاءات الرسمية بأنه لا أقل من عشرين ألف نفس يموتون سنوياً في الهند من نهش الثعابين والحيات ، والحكومة تجازي على قتل كل ثعبان سامّ بجوائز ، ولكن لم يثبت حتى الآن أن البلاد استفادت من ذلك شيئاً ، لقد علمنا بالتجربة أن الحية لا تلدغ أبداً تعدياً وبطراً ، بل إنما تفعل ذلك منتقمة اذا أوذيت وأقلقت . أليس هذا وحده يثبت عقلها ؟ أو على الاقل عصمتها ؟[1] إن السعي لتطهير الهند أو أي قسم منها من الثعابين سعي مضحك عبث يشبه السعي لمحاربة الهواء ، قد يمكن منع الثعابين من الدخول في مكان خاص بطريقة علمية لقتل والهلاك ، ولكن هذا العمل لا يمكن القيام به في بلاد واسعة ، إن مهمة منع حوادث النهش في قطر عظيم مثل الهند بقتل عام الحيات حماقة بحتة من أصلها .

لا ينبغي لنا أن ننسى أبداً أن الثعابين أيضاً من خلق الله خالقنا وخالق جميع المخلوقات . إن حكمة الله لا يمكن معرفتها ولكن لا يجوز أن نثق بأنه تعالى لم يخلق الحيوانات المفترسة كالاسد والنمر ، أو السامة كالحيات والعقارب ، إلا لأجل أن يتيسر له هلاك النوع الانساني ، لو تجتمع الحيات في مؤتمر لها وتحكم بأن الانسان ما خلقه الله إلا ليبيدها ناظرة إلى أنه يقتلها حيث يجدها ، فهل نحن نوافقها في قرارها ؟ كلا ثم كلا ! فهكذا نحن أيضاً مخطئون في عدنا الثعبان عدواً طبيعياً للانسان .

إن[2] St. Francis الكبير الذي كان تعود السياحة في الغابات لم يتأذ قط

---

(١) المنار : لالا ، ان بعض الحيات في الهند وفي غيرها تهجم على الانسان وغيره من الحيوان لتقتله وتتغذى به ، فبعضها يعتدي اعتداء لاجل الغذاء ، وبعضها لا يؤذي الانسان الا دفاعا عن نفسه ، ولعل المؤلف يدافع عن الحيات لانهن من معبودات قومه ، وكذلك النصارى واليهود يعدون الحية عدواً طبيعيا للانسان بنص في سفر التكوين . والامر الذي لاشك فيه هو ما ذكرناه فالحيات العظيمة الخانقة كالوحوش المفترسة تتعدى على الحيوان الذي تقتات به ، والصغرى تقتات بالحشرات والحيوانات الصغيرة كالعصافير فلا تعتدي على الانسان لاجل أكله ولا لدغه الا دفاعا فالحية ليست عاقلة ولا معصومة ولا عدوة الانسان وحده بالفطرة (٢) كلمة أعجمية

بالثعابين ولا الحيوانات المفترسة ، بل إنها كلها قد عاشت معه بكل محبة وألفة، وهكذا الالوف من رهبان الهندوس يعيشون في غابات الهنديين الأسود والنمور والثعابين ولم نسمع قط ان هذه الحيوانات قتلتهم، قد يعارضنا معارض « بأنهم يقتلون في الغابات ونحن لبعدنا الكثير عنهم لانسمع ذلك » سلمنا ، ولكن مما لا يمكن المماراة فيه هو أن عدد هؤلاء الرهبان الذين يعيشون في الغابات لايكاد يذكر أمام عدد الثعابين والحيوانات المتوحشة ، فلو كانت هي عدوة طبيعية للانسان لفتكت بهذا النوع من الناس فتكا ذريعاً ولأهلكتهم بسرعة عظيمة ، لأنهم لايحملون معهم أسلحة يمكن أن يدفعوا بها عن أنفسهم حملاتها ، ولكننا نرى أنهم لم يفنوا مطلقاً . فيمكننا أن نستنتج من هذا أن الثعابين والحيوانات المتوحشة تتركهم يعيشون في الغابات بدون أن تؤذيهم

واني قد تشبعت بعقيدة فى هذا الشأن وهي أنه مادام الانسان لايعادي خلقاً فانه كذلك لايعاديه أحد . إن الحب هو أكبر صفات الانسان ومميزاته حتى إنه اذا خلت منه عبادة الله تعالى فلا تكون الا شيئاً فارغا، وهو بالاختصار أصل الاصول لجميع الاديان بلا استثناء .

ثم لماذا نحن لانعد شراسة الثعابين والحيوانات المتوحشة مجرد نتيجة وانعكاس لطبيعة الانسان نفسه ؟ وهل نحن أقل فتكا منها ؟ أليست ألسنتنا سامة كأسنان الثعابين ؟ ألسنا نحن أيضاً نهاجم اخواننا المعصومين كما تفعل الاسود والنمور مثلا بمثل ؟ تنادي جميع الكتب المقدسة بأن الانسان اذا خلي من الشر تأخذ سائر الحيوانات الاخرى في المعيشة معه بسلام . وما دامت نار الحرب والعداوة والبغضاء تتأجج في صدورنا ونحن نفترس بني جلدتنا كما تفترس الذئاب الغنم ، فهل ينبغي لنا أن نتعجب إن رأينا مثل ذلك يجري فيما حولنا من الدنيا؟ وهل هذه الدنيا الخارجية الا انعكاساً للدنيا الداخلية في أدمغتنا؟ فاذا نحن غيرنا طبعنا فلا بدّ أن تتغير الدنيا في سلوكها معنا ، الا نرى نحن هذه الوحوش تسالم أولئك الناس الذين أصلحوا نفوسهم وقبضوا على أزمة شهواتهم بيد حديدية ؟ أو تعاملهم بضد

ماتعامل غيرهم به ؟ إن هذا اسر كبير لخلق الله[1] وكذلك المسرة الحقيقية ، ان مسراتنا وأحزاننا تتوقف تماماً على أنفسنا ، نحن لانحتاج الى أن نتكل في هذا الأمر على أناس آخرين :

ان عذري في اطالة الكتابة في مسألة التهش هو أننا أحببنا عوضا من أن نصف مجرد العلاج له ، أن نتروى قليلا في المسألة ونتبين أحسن طريقة للخلاص من مخاوفنا الوهمية ، واني لو لم يسلم بصحة ما كتبته إلا واحد من القراء ويعمل بها أرى اني قد جوزيت جزاء حسنا على تعبي ، ثم ان غرضنا من كتابة هذه الصفحات ليس مجرد عرض الاصول الصحية المسلم بها عامة ، بل الغوص الى قعر المسألة والبحث في الاصول الاساسية الاصلية للصحة .

باب الانتقاد على المنار

﴿ مذكرة مرفوعة ﴾

لحضرة صاحب الفضيلة العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلني ج ٥ م٢٦ من المنار النافع وتصفحته فبدت لي عليه الملاحظات الآتية

(الاولى) قلتم في تفسير فتون سليمان عليه السلام (ص ٤١ س ٦) مانصه «ووضعت غلاما مشوهاً هو نصف غلام . فألقي على كرسيه ليعتبر . ثم نسبتم ذلك لنص حديث الصحيحين (في ص ٣٤٣ س ١٤) وحيث ان جملة «فألقي على كرسيه ليعتبر » لم ترد في الحديث لا بلفظها ولا بمعناها كما يعلم لفضيلتكم بمراجعة نص الحديث في البخاري في كتاب أحاديث الانبياء ضمن (باب واذكر عبدنا داود) مع ملاحظة ماذكره صاحب الفتح في شرح قوله «إلا واحداً ساقطاً أحد

---

[1] المنار : لا نسلم ان للمسألة سراً في الامر ماذكرنا . وثم مسألة أخرى وهي ان طول اعتداء بعض الحيوان ومنها الانسان على بعض قد جعل الخوف من المعتدي غريزيا في المعتدى عليه فلو ترك الاعتداء عدة قرون فانه يؤثر في الغريزة

شقيه » حيث قال مانصه « حكى النقاش في تفسيره أن الشق المذكور هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وقد تقدم — في البخاري — قول غير واحد من المفسرين أن المراد بالجسد المذكور شيطان وهو المعتمد والنقاش صاحب مناكير » كما هو منصوص في هذا الباب قبل هذا الحديث في البخاري أيضاً

وحيث انكم صرحتم في آخر هذا الموضع بأنكم كتبتموه بغير مراجعة لكثرة الاشغال فلكم العذر قطعاً أنكم تستدركونه في الجزء الآتي صيانة لفظ الحديث الصحيح وقد سبق مثل ذلك في ص ٩١م٥ فلعلكم تنوهون إلى ذلك أيضاً

(الثانية) قلتم في ص ٣٢٢ س ٤ من الجزء الحاضر مانصه « ولو ذكر في القرآن أن الرجل الذي آتاه الله آياته هو بلعام هذا أو لو صح هذا في خبر مسند متصل عن النبي ﷺ لكان صحيحاً »

وقد نقل العلامة الجزائري في كتابه توجيه النظر عن الحاكم النيسابوري في الكلام على الموقوفات من الروايات ص ١٦٥ من توجيه النظر مانصه « فأما مانقول في تفسير الصحابي انه مسند فانما نقوله في غير هذا النوع — الموقوف — وذلك فيما اذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فانه حديث مسند) لذلك قال العلامة الزرقاني في شرحه على البيقونية في المصطلح في الكلام على الموقوف أيضاً مانصه « ومحل كون ماأضيف للصحابي موقوفا حيث كان للرأي فيه مجال ، فان لم يكن للاجتهاد فيه مجال ظاهر فهو مرفوع وإن احتمل أخذ الصحابي له عن أهل الكتاب تحسيناً للظن به) اه

وان أكثر الاحاديث التي لم ترضوها في هذا الموضوع مروي عن اجلاء الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل كما يتضح بالمراجعة

وقلتم أيضاً في هذا الموضوع ص ٣٢٣ س ٢٠ « ولقد رأينا شيخ المفسرين ابن جرير لم يعتد بها) وبناء على القاعدة التي ذكرها الحاكم راجعنا تفسير ابن جرير فلم نهتد إلى عبارة يؤخذ منها عدم اعتداده بهذه الاحاديث

لذلك أرجو امعان النظر في هذا الموضوع أيضاً والاستدراك عليه وعلى

عبارتكم عن ابن جرير بما تروه — أو أن تتكرموا علينا بابداء رأيكم الثاقب في عبارتي الحاكم والزرقاني مع ارشادنا إلى الجملة التي صدرت من ابن جرير الدالة على عدم اعتداده بهذه الاحاديث ولكم من المولى الثواب الجزيل

(الثالثة) قلتم في آخر ص ٣٤٢ (وقد قال الامام احمد) ثم لم تذكروا عبارته إلا في آخر الصفحة الثانية مصدرة باعادة هذه الجملة أيضاً فالاولى زائدة طبعاً فأرجو التنويه بحذفها من آخر ص ٣٤٢ رفعاً للابهام وتحقيقاً لنسبة النصوص ولكم الشكر

هذا ماعن لي الآن من الملاحظات على هذا الجزء كتبته على عجل كي تدركون(؟) مايلزم تحريره فى الجزء التالي خدمة لسنة رسول الله ﷺ والله لايضيع أجر من أحسن عملا واقبلوا فائق الاحترام من المخلص

٧ ربيع أول سنة ١٣٤٥ عبد الرحمن الجمجموني

﴿ تعليق المنار على هذا الانتقاد ﴾

(وفيه القول الفصل بين المقلدين الجامدين ، وبين طلاب الاصلاح المستقلين)

(في الاسرائيليات وافهام المؤلفين الميتين)

في هذه المذكرة عدة مسائل منتقدة نجيب عنها واحدة بعد واحدة —

(الاولى تفسير الجسد الذي فتن به سليمان)

وزعم المنتقد أنني اسندت الى حديث الصحيحين ما ليس فيه

صرحت في جواب هذه المسألة من الجزء الخامس بأنني كتبت ما كتبته من غير مراجعة شيء من الكتب في تفسير الآية والروايات الواردة فيها . وذلك أنني كتبت ماهو مخزون في نفسي من مطالعاتي السابقة لكتب التفسير فيها ـ وكان سبق لي مثل ذلك بايجاز منذ ٢٦ سنة في (م ٥ منار) كما صرحت بأنني لم أراجع شيئاً من ألفاظ الاحاديث الواردة فيها فلا يمكن اذا أن أريد مما كتبت عزوه إلى نصوصها . وقد راجعت عند كتابة هذا التعليق بعض تلك الكتب

فظهر لي أن تلك العبارة التي كتبتها على عجل هي خلاصة أقوال المحققين من المفسرين . وأنالم أعز العبارةالتي نقلها المنتقدمن(ص٣٤١س٦) إلى نص حديث الصحيحين كما ادعى بل قلت : وأقول بالاجمال إن الذي ورد في تفسير فتون سليمان في الكتب الصحيحة كذا . وانما أشرت إلى حديث الصحيحين اشارة بذكر معناه — فلا يصح مع هذا أن يقال إنني عزوت إلى هـذا الحديث شيئاً ليس فيه ولو بغير تعمد كما قال. وإنما غرضي من عزو ماأجملته إلى كتب التفسير أن جملة ماقاله أصحابها المحققون أن المراد بالجسد هو الولد المشوه الذى ورد ذكره في حديث الصحيحين. وإنني أنقل الآن عنها مايؤيد مما كتبته من غير مراجعة شيء منها ولا من غيرها كما صرحت به في تلك الفتوى في الموضوع

وأقول قبل ذلك إن الذي جعل الشيخ عبدالرحمن الجحموني يعنى بهذا الانتقاد هوأن ماترفضه من تفسيرها وهو أن الذي ألقاه الله على كرسي سليمان فتنة له شيطان تمثل بصورته وصار يحكم بين الناس باسمه مروي عن بركان الخرافات كعب الاحبار الذي شغل الجحموني اثبات تعديله والدفاع عنه حتى ألهاه عن زراعته وحمله على وضع نفسه حيث وضعها من مقام نقد التفسير والحـديث وهو لايمكن اتقانه له مع الاشتغال بالزراعة

أما ماذكره الحافظ في الفتح من حكاية النقاش (المفسر) لما اخترناه من أقوال المفسرين في الجسد وقوله فيه إنه صاحب مناكير — فلا يضرنا لأننا لم نختر هذا القول لحكاية النقاش له ولا اعتماداً على روايته التي لم نطلع عليها وانما اخترناه تبعاً لبعض المحققين كما ستعلمه مما ننقله عنهم . وقد سبقنا القسطلاني في شرحه للبخاري في نقل اعتماد القاضي البيضاوي لما ذكره النقاش وأشار الى تصويبه وترجيحه على ماذكره البخاري عن بعضهم كمجاهـد . ولم يذكر القسطلاني في شرحه الحديث ماقاله ابن حجر في تضعيف قول النقاش لانه لم يعتد به

وأما اعتماده لقول من نقل البخاري عنهم إن الجسـد المذكور شيطان فهو ليس حجة علينا — أعني ليس حجة عليّ وعلى من اخترت قولهم — لأن الروايات الاخرى اسرائيلية ومروية عن كعب الاحبار الذي أجزم بكذبه بل لا أثق بايمانه،

ولأن فيها طعناً على نبي الله سليمان عليه السلام كما قالوه . وصاحب الفتح لامانع عنده من ترجيح رواية سندها إلى كعب الاحبار قوي على رواية النقاش المجروح في روايته عند أهل هذا الفن . وأما البخاري فلم يرو تفسير الجسد بالشيطان بسند من أسانيد الصحيح ، وانما ذكره في تفسير بعض المفردات ، فهو تعليق له في تفسير كلمة مفردة .

﴿ خلاصة من أقوال محققي المفسرين في المسألة من المعقول والمنقول ﴾

(١) قال الفخر الرازي إمام مفسري المعقول في تفسير الآية :

إعلم أن هذه الآية شرح واقعة ثانية لسليمان عليه السلام واختلفوا في المراد من قوله (ولقد فتنا سليمان) ولأهل الحشو والرواية فيه قول ، ولأهل العلم والتحقيق قول آخر . أما قول أهل الحشو فذكروا فيه حكايات »

(وذكر أربع روايات مختصرة مما سيأتي مطولا ثم قال)

« واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه

(الاول) أن الشيطان لوقدر على أن يتشبه بالصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لايبقى اعتماد على شيء من الشرائع فلعل هؤلاء الذين رأوهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ماكانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية .

(الثاني) أن الشيطان لوقدر على أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ وجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم وأن يخرب ديارهم ، ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلأن يبطل مثله في حق أكابر الانبياء أولى .

(الثالث) كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان ولاشك أنه قبيح .

(الرابع) لو قلنا إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله سليمان

بفعل لم يصدر عنه ، فاما الوجوه التي ذكرها أهل التحقيق في هذا الباب أشياء

(الاول) أن فتنة سليمان أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش صار مسلطا علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته إذ ألقي ذلك الولد ميتاً على كرسيه فتنبه على خطئه في أنه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وأناب .

(الثاني) روي عن النبي ﷺ أنه قال « قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء على كرسيه فوضع في حجره[1] فوالذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله فرسانا أجمعون» فذلك قوله (ولقد فتنا سليمان)

(الثالث) قوله (ولقد فتنا سليمان) بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه (وألقينا على كرسيه جسداً) منه وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف إنه لحم على وضم وجسم بلا روح (ثم أناب) أي رجع الى حال الصحة، فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة البتة إلى حمله على تلك الوجوه الركيكة .

(الرابع) أقول لا يبعد أيضاً أن يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي ثم إنه أزال الله عنه ذلك الخوف وأعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب . اهـ المراد من كلام الرازي

(٢) وبمثل القول الثاني من تفسير الجسد عند الرازي قال البيضاوي الشافعي والطوفي الحنبلي وأبو السعود الحنفي

وجعل القسطلاني في شرحه للبخاري اعتماد البيضاوي لقول النقاش إشارة

(١) قوله فوضع في حجره ليس من رواية الصحيحين للحديث وهل رواه غيرهما بهذه الزيادة ؟ لم نعلم ذلك والرازي واسع الاطلاع ولكنه ليس من حفاظ الحديث ولا من نقاد روايته ، ويجوز أن يكون أخذه من تفسير النقاش وعتمده كغيره تبرئة لسليمان عليه السلام

الى تصويبه واكتفى بذلك ولم يذكر اعتماد ابن حجر لغيره كما تقدم.

(٣) قال الآلوسي الجامع في تفسيره روح المعاني بين المعقول والمنقول والفروع والأصول مانصه:

« أظهر ماقيل في فتنته عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله - ولم يقل إن شاء الله - فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة وجاءت بشق رجل. وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعا وفيه « فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا ». لكن الذي في صحيح البخاري أربعين بدل سبعين [1] وأن الملك قال له قل إن شاء الله فلم يقل. وغايته ترك الأولى فليس بذنب وان عده هو عليه السلام ذنبا. فالمراد بالجسد ذلك الشق الذي ولد له، ومعنى إلقائه على كرسيه وضع القابلة له عليه ليراه »

ثم ذكر أشهر الروايات التي وردت فى تفسير الجسد بالشيطان وأن منها مارواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس وقال الحافظ ابن حجر وتلميذه السيوطي ان سنده قوي. وفيها أن الشيطان الذي تولى ملك سليمان وتشبه به كان يأتي نساءه وهن حيض. ونستغني عن سرد هذه الروايات بما يأتي عن الحافظ ابن كثير - (ثم قال الألوسي بعد ذكر هذه الروايات مانصه)

« وقال أبو حيان وغيره ان هذه المقالة من أوضاع اليهود وزنادقة السوفسطائية ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحة مافيها، وكيف يجوز تمثل الشيطان بصورة نبي حتى يلتبس أمره عند الناس ويعتقدوا أن ذلك المتصور هو النبي؟ ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بارسال نبي، نسأل الله سلامة ديننا وعقولنا. ومن أقبح مافيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حيض!

« الله اكبر، هذا بهتان عظيم، وخطب جسيم، ونسبة الخبر إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لاتسلم صحتها، وكذا لاتسلم قوة سنده اليه وان قال بها من سمعت (يعني ابن حجر والسيوطي فليعتبر الجمجموني)

(١) هذا غلط والذي في صحيح البخاري لفظ سبعين وفي رواية له تسعين وقال البخاري انها اصح

« وجاء عن ابن عباس برواية عبد الرزاق وابن المنذر ماهو ظاهر في أن ذلك من أخبار كعب ومعلوم أن كعباً يرويه عن كتب اليهود وهي لايوثق بها[1] على أن إشعار مايأتي بأن تسخير الشياطين بعد الفتنة يأبى صحة هذه المقالة كما لايخفى [2] .

« ثم أن أمر خاتم سليمان عليه السلام في غاية الشهرة بين الخواص والعوام ويستبعد جداً أن يكون الله تعالى قد ربط ماأعطى نبيه عليه السلام من الملك بذلك الخاتم . وعندي أنه لو كان في ذلك الخاتم السر الذي يقولون لذكره الله عز وجل في كتابه والله تعالى أعلم بحقيقة الحال » اه

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية مانصه :

« وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا (ثم أناب) أي رجع الى ملكه وسلطانه وأبهته . قال ابن جرير: وكان اسم ذلك الشيطان صخراً ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة . وقيل آصف ، قاله مجاهد ، وقيل صرد قاله مجاهد أيضاً . وقيل حقيق قاله السدي . وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة (وبدأ منها بذكر رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وهي طويلة ، وفيها خرافات غير معقولة ، ثم قال) :

وقال السدي (ولقد فتنا سليمان) أي ابتلينا سليمان (وألقينا على كرسيه جسداً) قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما . قال : كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده ، وكان اذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحداً من الناس غيرها ، فأعطاها يوما خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته ، فقال هاتي الخاتم فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام، وخرج سليمان بعده

(١) لينظر كيف تسلسل انخداع الناس بروايات كعب الكذاب رجالواذ نبها على كتب اليهود لاعليه ولا كثرها الاذكرلها في كتبهم وانما هو الذى افتراها تشويها للاسلام

(٢) يعني ان آية تسخير الشياطين له كان استجابة لدعائه بعد الفتنة ولم يكن له قبلها سلطان عليهم

فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال لا . وخرج تائهاً ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما ، قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه ، فقالوا لهن إنا قد أنكرنا هذا ، فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه . قال فبكى النساء عند ذلك ، قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرؤن التوراة ، قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التي كان فيها حتى انتهى الى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه ، فسألهم من صيدهم وقال إني أنا سليمان ، فقام اليـه بعضهم فضربه بعصا فشجه ، فجعل يغسل دمه وهو على شاطي البحر ، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا بئس ماصنعت حيث ضربته ، قال انه زعم انه سليمان ، قال فأعطوه سمكتين مما قد كان عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام الى شاطيء البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن احداهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه ، فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمان عليه الصلاة والسلام . فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على عذركم ، ولا ألومكم على ماكان منكم ، كان هذا الأمر لابد منه .

«قال: فجاء حتى أتى ملكه وأرسل الى الشيطان فجيء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقي في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حقيقا قال : وسخر الله له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله (وهب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب)

« وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تبارك وتعـالى (وألقينا على كرسيه جسداً) قال شيطانا يقال له آصف ، فقال له سليمان عليه السلام : كيف تفتنون الناس ؟ قال أرني خاتمك أخبرك . فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك

وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربه، وأنكرنه . قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول : أتعرفوني أطعموني أنا سليمان فيكذبونه ، حتى أعطته امرأته يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه ، فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر .

«فأرى هذه كلها من الاسرائيليات ومن أنكرها ماقاله بن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فاعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه اليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين ، فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتي خاتمي . قالت قد أعطيته سليمان . قال أنا سليمان . قالت كذبت ما أنت بسليمان . فجعل لا يأتي أحداً يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة . فلما رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل . قال وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان . قال فأرسلوا الى نساء سليمان فقالوا لهن تنكرن من سليمان شيئاً ؟ قال نعم . انه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك . فلما رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتباً فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرأوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ، فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته ، وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر ، فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال : تحمل لي هذا السمك ؟ فقال نعم . قال بكم ؟ قال بسمكة من هذا السمك . قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به الى

منزله فلما انتهى الرجل الى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه ، قال فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطانا مريداً فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوماً نائماً فجاؤا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لايثب في مكان من البيت إلا انماط معه من الرصاص . قال فأخذوه وأوثقوه وجاؤا به الى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) قال يعني الشيطان الذي كان سلط عليه . اسناده الى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ، ولكن الظاهر انه انما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لايعتقدون نبوّة سليمان عليه الصلاة والسلام . فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ، فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام » قال المفسر

« وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم

كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

« وقال يحيي بن عروبة الشيباني : وجد سليمان خاتمه بعسقلان فمشى في جرته الى بيت المقدس تواضعاً لله عز وجل رواه ابن أبي حاتم

« وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار في صفة سليمان عليه الصلاة والسلام جزءاً عجيباً فقال حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرني أبو اسحق المصري عن كعب الاحبار أنه لما فرغ من حديث ارم ذات العماد قال له معاوية ياأبا اسحق

أخبرني عن كرسي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أي شيء هو ؟ فقال: كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مرصعاً بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، وقد جعل له درجة منها مفصصا بالدر والياقوت والزبرجد، ثم أمر بالكرسي فحف من جانبيه بالنخل نخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ وجعل على رءوس النخل التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ، ثم جعل على رءوس النخل التي على يسار الكرسي نسوراً من ذهب مقابلة الطواويس ، وجعل على يمين الدرجة الأولى شجرتي صنوبر من ذهب عن يسارها أسدان من ذهب ، وعلى رءوس الاسدين عمودان من زبرجد، وجعل من جانبي الكرسي شجرتي كرم من ذهب قد أظلتا الكرسي وجعل عناقيدهما دراً وياقوتاً أحمر ، ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبراً فاذا أراد سليمان عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الاسدان ساعة ثم يقفان فينضحان مافي أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان عليه الصلاة السلام ، ثم يوضع منبران من ذهب واحد لخليفته والاخر لرئيس أحبار بني اسرائيل ذلك الزمان ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبراً من ذهب يقعد عليها سبعون قاضيا من بني اسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبراً من ذهب ليس عليها أحد ، فاذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ويبسط الاسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الأيسر ، ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيبسط الاسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الايمن ، فاذا استوى سليمان عليه الصلاة السلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه . فاذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحا المسرعة

« فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره ياأبا اسحق ؟ قال تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني ، فاذا أحست بدورانه تلك الأسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي درن الى أعلاه ، فاذا وقف

وقفن كلهن منكسات رؤسهن على راس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس، ثم ينضحن جميعاً ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس، وذكر تمام الخبر وهو غريب جداً » اه المراد من تفسير ابن كثير فهذه أقوال أشهر كتب التفسير المعتمدة المه وفة في المسألة مع وصف كعب لكرسيه المذكور فيها وهو من الاكاذيب التي عجز عن مثلها مصنف (ألف ليلة وليلة) وانتظر تعليقنا في الجزء التالي عليها (له بقية)

نموذج من كتاب القول الوثيق . في الرد على أدعياء الطريق

تابع لما قبله

(٣) (استماع الاذكار المحرفة)

لايختلف حكم الاستماع والفعل في هذه الأذكار المحرفة لأن للسماع حكم المسموع ، كما أن للنظر حكم المنظور، حسبما تقرر في كتب الفروع وأشارت اليه الاحاديث المتقدمة وحديث « من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله »(١) قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الاسلام من قلبه اه وقال الله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) فيحرم استماع هذه الاذكار المحرفة ويجب على السامع انكارها والنهي عنها وبذل المجهود في نصح الذاكرين بها، وارشادهم إلى تصحيحها جهد المستطاع

(٤) (الذكر جهراً أو مع الجماعة)

اعلم أن ذكر الله تعالى على الطريقة الشرعية من أفضل الأعمال وأعظم القربات التي حث عليها الشرع لماله من جميل الاثر في تهذيب النفوس واطمئنان القلوب واستنزال الرحمات وقمع الشهوات سواء كان سراً أو جهراً قياما أوقعودا كان الذاكر منفردا أو في جماعة لعموم قوله تعالى(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

---

(١) المنار : أصله « من أحدث فيها حدثا » الخ وهو وارد في حديث تحريم المدينة المنورة كمكة كما في الصحيحين

وقوله سبحانه (فاذكروني أذكركم) وقوله عليه الصلاة والسلام « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت » وقوله « من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة (تبعة) ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه ترة ، وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة » وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير قوله تعالى (فاذكروا الله قياما وقعوداً وعلى جنوبكم) لم يعذر الله أحـداً في ترك ذكره إلا المغلوب على عقله، وعنه انه قال في قوله تعالى (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) إن هذه الآية نزلت في أهل الجاهلية كانوا يجتمعون بعد الحج فيذكرون أيام آبائهم وما يعدون من أنسابهم يومهم فنهوا عن ذلك وأمروا بالاجتماع للذكر على هذا الوجه

وقد أكد الصوفية أمر الذكر جهراً ومع الجماعة نظراً الى أن النفوس لما كانت كثيرة الخواطر والخطرات ، شديدة التقاعد عن العبادات تعتريها الغفلة عن الحق وتطبيها[1] رؤية الأغيار، كانت محتاجة في سيرها الى هذا المقصد الأسمى، وبلوغها تلك الغاية القصوى، الى استنهاض همتها، وتنشيط قواها وتقوية عزيمتها، وذلك يكون بالجهر والرفقة الصالحة في هذا السبيل أخذاً في الأول (الجهر) بما ورد في باب الدعاء من الاحاديث الصريحة في سماع النبي (ص) دعاء الداعين جهراً واقرارهم على ذلك . وما ورد في كيفيـة قراءته عليه السلام للقرآن من الاحاديث الدالة على أنه كان يقرؤه بعض الاحيان جهراً ، والذكر إن لم يكن باسم من أسمائه تعالى الواردة فى القرآن فهو من باب الدعاء كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها)

وأما ماورد عن أبي موسى رضي الله عنه قال (كنا في سفر فجعل النـاس يجهرون بالتكبير فقال النبي (ص) « أربعوا على أنفسكم (ارفقوا) فانـكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً بصـيراً وهو معكم ، والذي تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » فمحمول على ارهاق النفس وإجهاد القوى في الدعاء

(١) تستميلها

وأما الجهر مع الرفق واللين فسائغ في الحالين

واستناداً في الثاني (الرفقة والجماعة) الى قوله عليه الصلاة والسلام « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب الي من أن أعتق أربعة من ولد اسماعيل ، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة » أخرجه أبو داود ، وقوله عليه الصلاة والسلام « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » أخرجه مسلم والترمذي ، وقوله عليه الصلاة والسلام « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً ، وإن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » اخرجه الشيخان والترمذي ، وقوله عليه الصلاة والسلام « ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى سماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم . مايقول عبادي؟ فيقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون لا . فيقول كيف لو رأوني . فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً . قال فيقول: فما يسألون ؟ فيقولون: يسألونك الجنة . فيقول: هل رأوها ؟ فيقولون: لا يارب . فيقول كيف لو رأوها. فيقولون : لو رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ يقولون : يتعوذون من النار . فيقول هل رأوها ؟ فيقولون: لا يارب فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة . قال فيقول : أشهدكم اني قد غفرت لهم . قال فيقول ملك منهم : فيهم فلان خطاء ليس منهم انما مر لحاجة فجلس فيقول: قد غفرت له . وهم القوم لا يشقي بهم جليسهم » أخرجه الشيخان والترمذي . والمراد انهم يلتمسون أهل الذكر في الأمكنة التي يليق أن يذكر الله فيها لا في الطرق كما يرشد اليه آخر

الحديث. قوله «فجلس» إذ لم يعهد الجلوس للذكر في الطرق بل قد نهي عن الجلوس فيها إلا بحقها ولم يعد منها الذكر كما ورد في حديث «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا يارسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . فقال «اذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه» قالوا وما حقه يارسول الله ؟ قال «غض البصر، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» وفي بعض الروايات «وتغيثوا الملهوف ، وتهدوا الضال»

وهذه الاحاديث الصحيحة مع اثباتها مشروعية الجماعة وفضلها في الذكر تثبت مشروعية الجهر وفضله فيه لانه هو الذي صيرهم جماعة كما هو المعهود لغة وعرفا إذ مع الاسرار في الذكر يكونون فرادى وإن جمعهم مكان واحد

هذا وللعلماء في مسئلة الجهر بالدعاء ومثله الذكر خلاف، فمنهم من ذهب الى كراهته أخذاً من قوله تعالى(ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين) وحديث «اربعوا على أنفسكم» وقال «إن دعاء لاتضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى» فكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه، وروى ابن جرير ان رفع الصوت بالدعاء من الاعتداء المشار اليه بقوله سبحانه (انه لايحب المعتدين) اه

ومنهم من ذهب الى انه مما لا بأس به ودعاء المعتدين الذي لايحبه الله تعالى هو طلب مالا يليق بالداعي فقد أخرج أحمد في مسنده وأبو داود عن سعد بن أبي وقاص قال سمعت النبي (ص) يقول «سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل» ثم قرأ (انه لايحب المعتدين)

وفصل بعضهم فقال: الاخفاء أفضل عند خوف الرياء، والاظهار أفضل عند عدم خوفه ، وأولى من هذا التفصيل ماقيل إن القول بتقديم الاخفاء على الجهر فيما اذا خيف الرياء أو كان في الجهر تشويش على نحو مصل أو نائم أو قارىء أو مشتغل بعلم شرعي، وبتقديم الجهر على الاخفاء فيما اذا خلا عن ذلك وكان فيه قصد تعليم جاهل، أو نحو ازالة وحشة من مستوحش، أو طرد نحو نعاس أو كسل عن الداعي نفسه، أو ادخال سرور على قلب مؤمن، أو تنفير مبتدع عن بدعته أو نحو ذلك، وقد سن

الشافعية الجهر بآمين(١) بعد الفاتحة وهي دعاء ويجهر بها الامام والمأموم عندهم

وفرق بعضهم بين رفع الصوت جداً كما يفعله المؤذنون في الدعاء على المآذن وبين رفعه بحيث يسمعه من عنده (راجع تفسير الالوسي لآية الدعاء المذكورة)

وبالتأمل في عموم الآيات والاحاديث السابقة وفيما نقله الالوسي في آية الدعاء تعلم انه لا وجه للقول بكراهة الجهر بالذكر اذا خلا عن الموانع الشرعية ولم يكن فيه اخلال بشيء من آدابه المعروفة ، كما انه لا داعي الى صرف أحاديث الاجتماع على الذكر والجهر به عن ظاهرها وحملها على خصوص الاجتماع للتفهم والمدارسة احتجاجا بأن سلف الأمة لا يعهدون خلاف ذلك فانه لم يثبت أن عمل السلف كان قاصراً على الاسرار في الدعاء والذكر وعدم الاجتماع لهما بل قد ورد ما يؤخذ منه مشروعية الجهر والاجتماع للذكر خصوصاً اذا توفرت الدواعي على ذلك كما أشرنا اليه

على أن الحق أنه ليس كل ما خالف عمل السلف في مثل النوافل وفضائل الاعمال بدعة مذمومة فقد يتوفر في الاسرار بالذكر بالنسبة الى السلف وما كانوا عليه من الصفاء والبعد عن الشواغل وخطرات النفوس ما لا يتوفر لغيرهم مما يدعو الى الاتيان بالذكر على غير هذا الوجه ، ولو عد كل ما خالف عمل السلف في كيفية من كيفيات الاعمال الشرعية بدعة سيئة مذمومة لأسرع ذلك في كثير من العبادات خصوصاً ما يتعلق بأحوال القلوب

نعم لا بد من رعاية الحدود والاداب الشرعية وعدم الاخلال بشيء منها فتبصر هديت الى الحق ، ولا تعول على كل ما ذكر هنا وإن نسب الى بعض الأجلة فانه تشدد دعاه اليه إما طرد سد الذريعة أو رد طرد إباحة وكلاهما طرف ، وخير الأمور الوسط

---

(١) المنار : ليس للشافعية ان يسنوا في الصلاة ولا في غيرها من العبادات فانه تشريع وهو حق الله تعالى ولكنهم أخذوا هم وغيرهم كالحنابلة في الجهر بالتأمين بما ورد من جهر النبي « ص » بآمين حتى يسمعها أهل الصف الاول فيرتج بها المسجد وهو صحيح

(٥) (الهزة والتمايل والانشاد في الذكر)

لا خلاف في انه يجب مراعاة الحدود والاداب الشرعية التي ذكرها الفقهاء والسادة الصوفية في الذكر فلا يجوز تخطيها والاتيان بما ينافيها كما تقتضيه العقول الصحيحة والنصوص الصريحة

فالهزة والتمايل أثناء الذكر إن كانا بحالة لا تنافي الاداب وجلال المشهد ووقار الذكر فلا بأس بهما بل فيهما من استنهاض الهمم وتنشيط القوى وتقوية العزائم الى هذا المقصد الأسمى ما يجعلهما في مرتبة الطلب لأن للمبادىء والوسائل حكم المقاصد والغايات ، وإن كانا بحالة تنافي الاداب وتخرج بالذاكر عن السمت اللائق والوقار الواجب كما يفعله الجهلة الآن من التولي بالوجوه الى الظهور والنزول بالرؤوس الى الاقدام، والتثني والتكسر والرقص والاضطراب، فلا شك في حرمتها على غير مغلوب الحال حقيقة لا تصنعا . وروى الفضيل أن أصحاب رسول الله (ص) كانوا اذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يميناً وشمالا كما تمايل الشجرة في الريح العاصف الى قدام ثم ترجع الى وراء ، وقال أبو البركات ولا يعيبهم ذكر الله قياما وقعوداً أو هزهم في الذكر والانشاد الذي وقع منهم ، وليس هذا بخفة كما يزعمه المنكرون فان للذكر حلاوة ومخامرة باطنية يعلمها أربابها

وقال سلطان العاشقين رضي الله عنه :

واذا ذكرتكمو أميل كأنني   من طيب ذكركمو سقيت الراحا

ومحمل عباراتهم في ذلك وفي الرقص أثناء الذكر على هزة وتمايل لا يخرج بهما الذاكر عن الحدود والآداب الشرعية

وأما الانشاد في الذكر لتنشيط النفوس وتأجيج نار الشوق في القلوب بكلام لا يشوبه هذر ولا هراء بل بالمواعظ الحسنة والحكم البالغة، فلا بأس به لانه ذريعة الى الجد والاهتمام في التقرب اليه تعالى ما لم يتله به الذاكرون عن حضور القلب والتأمل فى أسرار الذكر ويجعلوه مقصداً وغاية ومالم ينشأ عنه طرب واضطراب ينافى الخشوع والخضوع المعبر عنهما فى لسان الصوفية بالرقة والتواجد فانه حينئذ

لا يسوغ . وقد وضع الصوفية حدوداً للأنشاد لاتخرج فى اجمالها عن هذا الاصل فاذا تجاوزها الذاكرون أثموا عند أهل العلم قاطبة كما عليه الآن أكثر المنتسبين للطرق الصوفية فانهم يتخذون الانشاد للطرب بالنغمات وحسن الاصوات ولا يدركون من معاني المواعظ والحكم مارق به قلوبهم وتنفعل منه نفوسهم ويدعوهم الى الاقبال على الله عز وجل .

(المنار) قد مزج الاستاذ هذا البحث الشرعي بشبهات الصوفية وجعل كلام شاعرهم ابن الفارض حجة فيما يشرع ومالا يشرع من عبادة الله تعالى وفي كلام هذا الشاعر ماهو مخالف لعقائد الاسلام المعلومة من الدين بالضرورة مما لايمكن التفصي منه الا بتأويل بعيد عن مدلولات الالفاظ وقواعد اللغة .

والحق أن الله تعالى قد أكمل الدين وأن العبادات فيه موقوفة على نص الشارع من الكتاب والسنة كما هو أصل الامام مالك الذي ينتمي اليه الاستاذ المؤلف، وقد رووا عنه أنه قال من زعم أنه يأتي في الدين بافضل مما أتى به النبي ﷺ فقد زعم أنه قد خان الرسالة . أو ماهذا معناه . وقال لايصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها

نعم ان العبادات قسمان، مطلق كذكر الله تعالى وصلاة التطوع وصومه، ومقيد بالجماعة أو الزمان أو المكان مثلا ، فالأول على اطلاقه لايتوقف على النص في جزئياته ، والثاني يتوقف على النص لايزاد عليه ولا ينقص منه . وقد قسم العلامة الشاطبي المالكي البدعة الى حقيقية وهي مالا أصل له في الكتاب والسنة — واضافية وهي ماله أصل ولكن يخالف ذلك الاصل كالاجتماع فيما لم يرد فيه اجتماع ورفع الصوت فيما لم ينقل فيه الا الاسرار والميقات الزماني والمكاني . فالرقص في الذكر وانشاد الاشعار فيه والاجتماع له في أوقات معينة كالفرائض كل ذلك من البدع المذمومة لم يؤثر عن النبي ﷺ ولا أصحابه ولا التابعين لهم في هديهم ولم يقل به أحد من الائمة المجتهدين ، ولا فضل لاحد من الصوفية الا في اتباع هؤلاء السلف الصالحين وبقدر اتباعهم .

كتبت هذا التعليق مضطجعاً من وعكة ، ومن أراد التفصيل فعليه بكتاب الاعتصام للامام الشاطبي رحمه الله تعالى

أنباء العالم الإسلامي

﴿ قرارات الجمعية الاسلامية الكبرى في بمباي في شأن الحجاز والاسلام ﴾

(جاءتنا برقية من بمبي باللغة الانكليزية في هذا الموضوع أوسع مما نشر في بعض الجرائد فيه فترجمها لنا بالعربية مترجم ضعيف العربية فصححناها بإيضاح لايخرج عن المعنى وهذا نص الترجمة)

التأمت الجمعية الاسلامية الكبرى في بومباي في يوم السبت الموافق ٢٣ أكتوبر في الساعة التاسعة الزوالية بشارع ريبون تحت رئاسة الحاج عبدالغني وقد حضرها مولانا مولوي اسماعيل الغزنوي فبين للجميع حقيقة الاحوال الحاضرة في أراضي الحجاز المقدسة بصورة واضحة جلية للغاية — وقدألم الشعب بالاعمال الشائنةالتي اقترفها «اخوان علي» (*) المشهورون في الحجاز خلال حجهم الاخير (التى أثارت الهنود عليهم عند عودتهم إلى الهند) وقد فند الخطيب انتقادات كثيرة باطلة أذاعوها ، ونصح للمسلمين عامة بأن يفكروا في ذلك النزاع المشترك وسوء عاقبته لئلا يقعوا في مخالفة أصول الاسلام القطعية ، ويهدموا بعض أركانه الاجتماعية ، ويحلوا رابطة وحدته، ويقطعوا رحم أخوته، ثم وافق المجتمعون على القرارات الآتية بالاجماع:

(١) تعلن جمعية الاسلام في بومباي استنكارها لأعمال مؤتمر (لكهنو) الذي تكلم في مسألة الحجاز باسم مسلمي الهند وهو لايمثل الهند كلها ولا جمهور مسلميها

(٢) هذا الاجتماع العام لجمعية مسلمي بومباي الذي يبحث في شأن المصالح الاسلامية في الهند يقرر أنه بنعمة ربهم وبالمساعي المشكورة الخاصة التي بذلها ابن السعود في تأمين جميع الطرق في الحجاز قد صار أداء الحج والزيارة سهلا ميسوراً لكل مسلم ، فيجب على المسلمين أن يذهبوا إلى الحجاز فرقا فرقا ليؤدوا الفريضة ويجعلوا بيت الله وحرمه مثابة لهم ، ويتعاونوا على عمرانه وفلاح أهله ، ويغلقوا أبواب الفساد وطرقه التي يدعو اليها المفرقون الداعون الى هدم هذا الركن

(*) كذا في الاصل والمراد محمد علي وشوكت علي الزعيمان السياسيان المعروفان

الاسلامي العظيم بترك الحج والسعي الى خراب المسجد الحرام بيت الله عزوجل

(٣) تقدر جمعية اسلام بومباي مساعي لجنة الخلافة قدرها بما كان من دعوتها الى الوحدة الاسلامية التي بها كسبت الشهرة الواسعة في زمن قصير وتذكرهم بأن عليهم أن يستمسكوا بعروة سياسة الوحدة ولا يجعلوا للتفرقة سبيلا وعلى لجنة الخلافة أن تحاسب (اخوان علي) على ماجنوا به على نفوذ لجنتهم وما افتأتوا عليها به بتصريحاتهم في كراشي ودهلى وبومباي قبل نشر تقرير وفدهم الرسمي وهي تصريحات ذات تبعة عظيمة . وتود هذه اللجنة أيضاً أن ترجع لجنة الخلافة عن التقريرات المعارضة وغير الصحيحة التي نشرت باسم بعض المندوبين . فاذا لم تفعل فانها تقضي على نفوذها الذي لم يبق منه الا القليل

(٤) توجه هذه اللجنة النظر الى الثقة المعطاة للمستر محمد علي والمستر شوكت علي وتسجل معارضتها لما في أعمالها واثارتهما الاختلاف بين أهل الاسلام وإلحاق الاذى بأراضي الحجاز المقدسة ، وترفع صوتها بعذلهما وتؤكد لهما أن هذه الاعمال خطر على الزعامة يودي بها

(٥) تقدم هذه اللجنة شكرها الخالص لصاحب العظمة الملك عبد العزيز ابن سعود لجعله بلاد الحجاز آمنة مطمئنة لأهلها وللحجاج كذلك تشكر له حكمته وسيرته في حادثة (منى) التي دلت على شجاعته وحلمه وطول أناته وتقديره لتكافل العالم الاسلامي وذلك دليل على شدة عنايته بالشؤون الاسلامية فتؤكد هذه اللجنة لصاحب العظمة اخلاص كل مسلم صادق له في الهند

(٦) تدعو الجمعية العامة الاسلامية ببومباي باجماع الآراء جميع المسلمين أن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً في المحافظة على نفوذ الاسلام ، وتعلم الاشخاص أولى الهوس أنهم انقادوا لأهوائهم ببث الخلاف بين المسلمين بالرغم مما بذلناه من مجهودات كبيرة ، وفي النهاية ترجو اللجنة من ناصح الملك الحكيم أجمل خان ومولانا أبو الكلام أن يفرجوا الازمة وينقذوا المسلمين من شقاقهم المهلك

وقد فضت اللجنة في ساعة متأخرة من الليل شاكرة للرئيس بما قام به

سكرتير اللجنة — محمود حصري

﴿ معاهدة إيطالية يمنية ﴾

خرج الامام يحيى حميد الدين صاحب اليمن من عزلته السياسية السلبية التي ورثها عن سلفه الائمة السابقين ، وعقد مع لدولة الايطالية معاهدة سياسية اقتصادية وهو الآن يجلب الاسلحة والذخائر الحربية والطيارات من ايطالية بل يجلب رجال الطليان أيضاً يستخدمهم في تعليم الطيران وغيره مما يرى حكومته محتاجة اليه

قد مهد رجال ايطالية في مستعمرتهم (الاريترة) السبيل لهذه المعاهدة في مدة طويلة ، وقدموا لجلالة الامام هدايا كثيرة قبل اقناعه بها ، ولما وقع عليها ظهرت أمارات السرور والابتهاج في بلادهم ورددتها جرائدهم ، من حيث إن انكلترة وفرنسة أوجستا خيفة منها ، ويروى أن انكلترة أطلقت يد ايطالية في بلاد اليمن ، والله أعلم

قد تكون عبارات مواد المعاهدة غير منذرة بالخطر القريب على اليمن ، وقد يكون الذين انتقدوا اشتمالها على تقديم ايطالية على جميع الدول فيما تحتاج اليه اليمن من أوربة مبالغين في انتقادهم وفي عدهم هذا منافياً للاستقلال

ولكن في مثل هذه المسألة قواعد عامة أثبتها التاريخ (منها) أن التدخل التجاري مقدمة للتدخل السياسي فالتدخل العسكري ، (ومنها) أن القوي يأخذ بالمعاهدة ماله وما ليس له مضاعفاً ، والضعيف لا يستطيع أن يأخذ إلا ما يعطيه القوي لمصلحة القوي . لا لمصلحته (ومنها) قول البرنس بسمارك قطب سياسة أوربة في عصره : المعاهدات حجة القوي على الضعيف . ومنها قولهم إن التجارة تتبعها الراية . وهل كان سبب استيلاء الدولة البريطانية على الهند ، واستيلاء الدولة الهولاندية على جاوه وماحولها إلا عاقبة تأليف شركتين تجاريتين في القطرين الغنيين ؟ فنسأل الله وقاية هذا القطر العربي وحفظه وحسن العاقبة له ، فانه لم يبق لنا بعد فوات زمن النصح والانذار ، الا الدعاء والابتهال .

﴿ الموسيو علي عبد الرازق ينزع العمامة ويودعها ﴾

(ويفتري على الاستاذ الامام وعلينا)

موسيو على عبد الرازق صاحب كتاب (الاسلام وأصول الحكم) المعروف الذي طرد بسببه من حظيرة علماء الازهر ومن منصب القضاء الشرعي بقرار من

هيئة كبار علماء الأزهر الذين كان أهون ماقالوه في كتابه أنه لايصدر مثله عن مسلم فضلا عن عالم ونفذت ذلك الحكومة ـ نزع عمامته في فرنسة واستبدل بها البرنيطة في أوربة كالمعتاد، وعزم ألا يعود الى العمامة ، ولم يتركها ساكتا بل كتب مقالة ودعها بها واحتقرها فيها هي وأهلها علماء الدين الذين كان قد قال في دينهم وشرعهم شراً مما قال في عمامتهم الآن ، كتب هذه المقالة من باريس ، وأرسلها الى جريدة السياسة لسان حاله وحال جمعيته المعلومة فنشرتها له مغتبطة بها .

لم يكتف موسيو علي عبدالرازق بفعلته وجنايته على الاسلام من قبل وسوء قيله في مشخصات علمائه اليوم لعلمه بان كلامه لاقيمة له عند غير الملاحدة والزنادقة فاراد أن يجعل له قيمة عند غيرهم فافترى على حكيم الاسلام شيخنا الاستاذ الامام وعلينا وكانت إحدى الفريتين ناقضة للأخرى .

أراد أن يحتج لالقائه العمامة اذ لم تعد لائقة به بعد طرد علماء الازهر اياه من جماعة علماء الاسلام فزعم أن الاستاذ الامام كان يحتقر العمائم ويكرهها ولما لم يكن له دليل ولاشبهة على زعمه إلا محاولة استنباطه ذلك من احد الابيات التي نظمها الامام رحمه الله تعالى في مرض موته فلم يجد بداً من ايراده وهو

ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر ان تقضي عليه العمائم

ثم لما كانت هاته الابيات متضمنة لأمل الاستاذ الامام قدس الله سره فى تلميذه ومريده محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي بقوله فيها

فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قاتم

وكان صاحب المنار أول من أثار علماء الازهر والعالم الاسلامي على كتاب موسيو على عبد الرازق الذي هاجم به الاسلام وحاول فيه هدم شريعته وتشويه محاسن تاريخه — افترص ذكر بيت العمائم للانتقام منه بزعمه أنه هو الذي نظم تلك الابيات المشهورة التي نشرتها الجرائد المصرية يوم وفاته ونسبها الى أستاذه ، وعزا ذلك إلى الثقات ! ومن هؤلاء الثقات ؟ ولماذا لم يسمع لأحدمنهم صوت إنكار من سنة ١٣٢٣ التي توفي فيها الاستاذ الامام الى هذه السنة سنة ١٣٤٥ ؟

كذب موسيو علي عبدالرازق فى زعمه أن الاستاذ الامام كان يحتقر العمامة

فلو كان يحتقرها لتركها ، ولـكنه لم يتركها في سفر ولا حضر ، وقد رغب اليه بعض كبراء حكومته في تركها بالنزول باستبداله الزي الافرنجي بها المانع من ارتقائه الى منصب الوزارة فلم يقبل . واذا كان الجامدون من حملة العمائم قد جنوا على الاسلام بتقصيرهم فيما يجب عليهم من النهوض به ومقاومتهم للمصلحين فيه ، فليس الذنب في ذلك لعمائمهم كما لا يخفى . بل من المجرب أن أكثر المعممين ولو من غير علماء الدين أبعد من غيرهم عن ارتكاب الفواحش والمجاهرة بالمنكرات والمعاصي .

نحن قد سررنا بما فعله الموسيو علي عبدالرازق وبما كتبه ، سررنا بنزعه للعمامة لأن من العار على المسلمين أن يطعن في دينهم من يتزيّا بزيّ علمائهم ، وسررنا بما ظهر من عدم تنزهه عن الكذب الصريح الذي هو شر الرذائل على الاطلاق لا لذاته فاننا نستاء من كل رذيلة ، بل لأن خصمنا في ديننا لا قيمة لآدابه ولا ثقة بروايته ، بل أقول والحق ما أقول أن هذا السرور ليس الا تعزية لنا عن خسارة شخص كنا نرجو أن يكون صديقاً لنا وعونا على مقاومة رذائل الالحاد ومفاسد التفرنج في أمتنا ، فظهر لنا أننا لم نخسر بضياع أملنا فيه شيئا . ومن حسن الحظ أن أكثر هؤلاء الملاحدة فساق فجار مجان سكيرون مقامرون ، وليس فيهم من له قيمة اخلاقية الا نفر معدودون ، على أنهم مراؤن مذبذبون

ذلك . وإننا لا ندري ماذا يضع علي عبد الرازق على رأسه بعد عودته من أوربة الى مصر ، فاذا أصر على لبس البرنيطة فان لقبه سيكون موسيو أو مستر ، واذا لبس الطربوش فسيكون لقبه أفندي . وكل من اللقبين أهون علينا من تحليه بلقب الشيخ ، ولكن هذا يسوء أصدقاءه خصوم الاسلام من الافرنج ومن ملاحدة الترك المتفرنجين — أو « المتغربين » كما يقولون عن أنفسهم لان مزيته عندهما أن يطعن في الاسلام ويصد عنه وهو شيخ معمم

﴿ تناصر ملاحدة الترك وملاحدة مصر ﴾

(وتنويه الصحف التركية بعلي عبد الرازق وطه حسين)

لما ظهر كتاب موسيو علي عبد الرازق فرح به ملاحدة الترك وقرظوه وأثنوا على مؤلفه بل ترجموه بلغتهم التركية ، ونشروه في جرائدهم الالحادية ، لأنه جاء

معززاً لرفضهم الشريعة الاسلامية ، والخلافة الصورية ، وتأسيسهم حكومة لادينية، ولهؤلاء الملاحدة عناية بنشر الالحاد في جميع البلاد الاسلامية ، ويرجون أن يكون السبق في اتباعهم للبلاد المصرية ، (خيب الله رجاءهم)

ولما ظهر كتاب الدكتور طه حسين في هذا العام أكبروه وقرظوه وأنكروا على الذين ردوا عليه وجهلوه ، وكانت حجتهم حجة جمعية الالحاد والزندقة هنا وهي «حرية الرأي» فاذا كان أولئك الملاحدة يحترمون حرية الرأي حقيقة لذاتها فلماذا يخصون هذا الاحترام برأي الكفر دون رأي الايمان ، وبدعاة الالحاد دون المدافعين عن الاسلام ؟

قد احترموا رأي علي عبد الرازق وطه حسين في الطعن في الاسلام وخلفائه وعلمائه ، وفي تكذيب كتاب الله ورسوله أيضاً ، فهلا احترموا رأي علماء الاسلام وزعماء الايمان الذين كتبوا مايعتقدون ، وأما ذانك فقد طعنا في الاسلام مطاعن لايعتقدانها كلها ، فما قالاه ليس رأيا لهما، بل افتراء يريدون به تقليد ملاحدة أوربة وإرضاء أمثالهم .

ثم لماذا لايحترم ملاحدة الترك رأي المؤمنين الثابتين على الاسلام من قومهم ، ولا يسمحون لهم باظهار رأيهم في هذا الكفر والاباحة للفواحش والاعراض في قوانين حكومتهم ، والاستقباح للبس البرنيطة ولو في خاصة أنفسهم ؟ بل تجبرهم حكومتهم على ماتريد من ذلك ومن عارض تسوقه إلى محكمة الاستقلال، فتحكم عليه اما بالصلب والنكال ، واما بالسجن في السلاسل والاغلال

مسجد الضرار في لندن

للمسيحية القاديانية ، الملقبة بالاحمدية

﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل. وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون﴾

أراد الدجال غلام أحمد القادياني الهندي أن يكون فى الامة الاسلامية والملة المحمدية ، كالمسيح عيسى بن مريم في الامة الاسرائيلية والملة الموسوية ، فادعى أنه هو المسيح الذي ينتظر ظهوره اليهود والنصارى والمسلمون ، فأظهر هذه الدعوى

ونشر الدعاية لها . وتوسل إلى ذلك بارضاء حكومة الهند البريطانية وحملها على مساعدته بموالاته لها وزعمه انه هو الذي يقنع المسلمين بسقوط فرض الجهاد وما يتعلق به وبالرضاء بسلطانهم في الهند . وقد رددنا عليه في حياته ، بما أظهر بهتانه حتى بنفس مماته ، فانه كان رد علينا فى كتابه (الهدى ، والتبصرة لمن يرى) فزعم انه قد جاءه الوحي بأن صاحب المنار « سيهزم فلايرى ، نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى »[1] يعني ان الله تعالى وعده بأن ينتقم له منه. ولكنه مات ولم تقر عينه بموتنا ولا بمصيبة يفسر بها وحيه الشيطاني .

وقد وجد له دعاة في الهند بما جمعوا من الثروة بهذا الدين الجديد ثم بثوا دعوتهم في بلاد الانكليز ، وقد أسسوا لهم مسجداً لاقامة دينهم وهدم دين الاسلام فى لندن عاصمة الدولة البريطانية ، واحتفلوا فى خريف هذا العام بفتحه ، وقد دعوا الامير فيصلا السعودي لحضور هذا الاحتفال ليكون اعترافا منه باسلامهم فرفض الدعوة بأمر برقي جاءه وهو فى لندن من والده الامام عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد . وقد نشر فى الجرائد الانكليزية وغيرها عن هذه الطائفة مايحثو التراب فى أفواه من يدعون انهم مسلمون . ولعلنا ننشر بعضه بعد

مطبوعات المكتبة الاهلية

لصاحب المكتبة الاهلية الاديب (محمد جمال أفندي) حسن اختيار للكتب التي يطبعها سواء كانت للمدارس الاسلامية أو للمطالعة الشخصيــة ، وكنا قرظنا في المنار بعض مطبوعاته وروجناها في مكتبة المنار منذ كانت مكتبتـه في بيروت وقد أهدانا الآن مجموعة منها مطبوع أكثرها في المطبعة الرحمانية بمصر فنذكرها بالاختصار تنويهاً بها وترغيباً فيها

﴿ دروس التاريخ الاسلامي ﴾

هي خمسة أجزاء مختصرة مفيدة من تأليف أديب بيروت المرحوم الاستاذ الشيخ محيي الدين الخياط (١) في مجمل السيرة النبوية (٢) في مجمل تاريخ الخلفاء

(١) ص ٩ من الكتاب المطبوع في قاديان سنة ١٩٠٢

الراشدين (٣) في مجمل تاريخ دولة بني أمية في الشرق (٤) في مجمل تاريخ الدولة العباسية (٥) مجمل تاريخ الدول الاسلامية العربيـة في الاندلس. وثمن هـذه المجموعة كلها عشرون قرشاً

(دروس الفقه) «في العقائد والعبادات على الطريقة النقلية والعقلية» للمرحوم الشيخ محيي الدين الخياط. طبع الطبعة الرابعة وصفحاته ٦٦ وثمن النسخة ٣ قروش

﴿ لباب الخيار في سيرة المختار ﴾ مختصر في السيرة المحمدية المقدسة متضمن لأسباب انتشار الدعوة الاسلامية — للاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني من أدباء بيروت العصريين. طبع الطبعة الثالثة بالشكل الكامل سنة ١٣٤٢ وصفحاته ١٤٢ وثمنه خمسة قروش

﴿ رجال المعلقات العشر ﴾ كتاب أدب ولغة وتاريخ مصدر بمقدمتين (١) خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام (٢) خلاصة تاريخ آداب اللغة العربيـة من العصر الجاهلي إلى عصرنا، تصنيف الشيخ مصطفى الغلاييني أيام كان أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانيـة وطبع مرتين في المطبعة الاهليـة في بيروت سنة ١٣٣١ و١٣٣٢ وأشعاره مشكولة وصفحاته ٣٠٦ وثمنه ١٥ قرش

﴿ عظة الناشئين ﴾ كتاب آداب وأخلاق واجتماع للشيخ مصطفى الغلاييني أيضاً وهو مجموع مقالات نشرت في جريدة المفيد البيروتية ثم طبعت مرتين المرة الثانية سنة ١٣٤٤ وهي مشكولة شكلا تاما وثمن النسخة منها سبعة قروش

﴿ بلوغ الارب، في أحوال العرب ﴾

تاريخ حافل للأمة العربية قبل الاسلام لعالم العراق، ورحلة أهل الآفاق صديقنا المرحوم السيد محمود شكري الآلوسي. وهو الذي استحق به الجائزة الاولى في مؤتمر (استوكهلم) التي كان قد تبرع بها الملك أوسكار لمن يؤلف أمثل كتاب في ذلك وكان قد طبع في ثلاث مجلدات ثم أعاد طبعه في العام الماضي صاحب المكتبة الاهليـة مصححاً ومعلقا عليه بعض الفوائد بقلم العالم الاديب الشيخ محمد بهجت الأثري أفضـل تلاميذ المؤلف ومريديه، وثمن النسخة منه ستون قرشا صحيحا يضاف اليها أجرة البريد ونفقة التجليد لمن أراده

المنار

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥هـ ١٣ برج الجدي سنة ١٣٠٦ هش ٤ يناير سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

﴿ أسئلة عن الابدال والاوتاد والقطب الغوث ﴾

(س ١٦ — ٢١) من صاحب الامضاء

(١) الابدال في هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا (حم عن عبادة بن الصامت) باسناد صحيح

(٢) الابدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الارض وبهم تمطرون، وبهم تنصرون (طب عنه) أي عن عبادة باسناد صحيح

(٣) الابدال في أهل الشام بهم ينصرون وبهم يرزقون (طب عن عوف بن مالك واسناده حسن)

(٤) الابدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الاعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب (حم عن علي) باسناد حسن

(٥) الابدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة (الخلال) في كتابه كرامات الاولياء (فر) عن أنس بن مالك وهو حديث ضعيف

(٦) الابدال من الموالي (الحاكم في الكنى والألقاب عن عطاء بن رباح مرسلا وهو حديث منكر)

إلى حضرة صاحب الفضيلة صاحب المنار

هذه الاحاديث الستة وجدت بالجامع الصغير بصحيفة ١١٥ و١١٦ من الجزء الثاني [1] وفي كتب الوهابيين مايفيد الجزم بعدم وجود شيء من ذلك مع زيادة

---

(١) لا يمكن أن تكون في الجزء الثاني الا أن يكون من أحد الشروح وهي في ١٠٢ من الجزء الاول من طبعة المطبعة الخيرية للمتن

الانكار على من قال: الابدال والاقطاب والاوتاد وقطب الغوث، فنرجو الافادة عن هذه الاحاديث هل هي صحيحة يعتمد عليها وإن لم تكن في كتب الاحاديث المعول عليها؟ ويكون كلام الوهابيين في غير محله ونرده عليهم؟ أو أن هذه الاحاديث لم يعرف لها سند ولا ذكرها المحدثون فتكون في حيز الاهمال لاتصح دليلا وكلام الوهابيين في محله؟ واذا كانت هذه الاحاديث صحيحة فنؤمل شرح معني الابدال وما وظيفتهم؟ وما معنى اختصاص الشام بهم؟ ومامعنى رفع العذاب عن أهل الشام ونصرهم ورزقهم بالابدال؟ وهل أهل الشام يرزقون وينصرون ويرفع عنهم العذاب دون غيرهم من أهل الارض؟ نرجو الافادة عن ذلك بالقول الصحيح مع الدليل من الكتاب والسنة والسلف الصالح ونؤمل سرعة الافادة حيث النزاع بالغ النهاية جعلكم الله ملجأ للقاصدين

احمد أبو زينة بالقطوري

(ج — المنار) اعلم أن هذه الاحاديث باطلة رواية ودراية، سنداً ومتناً، وانما راجت في الامة بعناية المتصوفة. وقد ذكرها الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وطعن فيها واحداً بعد واحد وتعقبه السيوطي الذي جعلها في الجامع الصغير على أقسام: صحيح وحسن وضعيف ومنكر، بل جوز أن تكون متواترة. والحق أنه لا يصح منها شيء، وأما الحسن فانما جاء على قاعدتهم فيما تعددت طرقه، وهو مقيد بما كان التعدد فيه من طرق متفرقة ليس لها جهة واحدة تصدر عنها. وأما ما كان له مصدر واحد فكثرة الطرق لاتزيده إلا ضعفاً لأنها دليل على كونه مصنوعا من دعاة هذا المصدر كدعاة الشيع السياسية والدينية ومنها الصوفية، حتى إن فقهاء المذاهب وضعوا أحاديث في تفضيل أئمتهم والطعن في غيرهم وقد بينا في تفسير آية الساعة التي فسرناها في هذا الجزء أن أحاديث المهدي كلها لها مصدر سياسي واحد من الشيعة وله ينبوعين أحدهما علوي والآخر عباسي، ولكننا أخرنا هذا البحث إلى الجزء التالي من المنار (وهو ج ١ م ٢٨) لأن التفسير قد طال حتى كاد يكون نصف هذا الجزء

وأحاديث الابدال اشترك فيها المتصوفة والشيعة والباطنية ورواة الاسرائيليات ككعب الاحبار وغيره من اصحاب الترّهات الصحاصح، دون أهل الاحاديث

الصحائح ، فنحن نبين هـذا الاصل ثم نرجع إلى كلام المحدثين في أسانيد أخبار الابدال والمقول في متونها فنقول

قال حكيمنا المحقق ابن خـلدون في سياق كلامه في علم التصوف من مقدمة تاريخه بعد أن بين منشأ التصوف وحال أهله في علمهم وعملهم مانصه :

« ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا اليـه ، وملؤا الصحف منه مثـل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهيـة الائمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم ، وتشابهت عقائدهم ، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه لآخر من أهـل العرفان ، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها ، فقال: جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد ، أو يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد ، اه وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ماتقوله الرافضة ودانوا به

« ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه ، وهو من هذا المعنى أيضاً ، وإلا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقـة في لباس ولا حال ، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة ، ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص ، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة

« يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وماشحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات ، وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة

والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق ، ثم إن كثيراً من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمثالها وشملوا بالنكير سائر ماوقع لهم في الطريقة والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل اه المراد منه

وأما أهل الحديث المحققون فقد تكلموا في أسانيد هذه الاحاديث . فالحافظ ابن الجوزي حكم بوضعها كما علمت آنفاً ، وتابعه شيخ الاسلام ابن تيمية بما تقدم تفصيله في المنار وسنجمله قريباً ، وكذلك السخاوي وهو والسيوطي من تلاميذ الحافظ ابن حجر إلا أن الأول أدق وأدنى الى التحقيق وقد قال : خبر الابدال له طرق بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة ، وهذا القول أصح من كلام ابن حجر نفسه: منها مايصح ومنها مالا يصح. كما تعلم من التفصيل الذي نورده هنا باختصار من الكلام في أسانيدها وهو :

(الاول) حديث عبادة بن الصامت وأشار السيوطي في الجامع الصغير الى صحته وقال هو نفسه في الدرر المنتثرة : وهو حسن له شواهد اه وقال الهيثمي في منبع الفوائد في مجمع الزوائد رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي وأبوزرعة وضعفه غيرهما . وأقول قال ابن حبان في عبدالواحد هذا يتفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال في كتاب الضعفاء لايحتج به ، وقال في كتاب الثقات لايعتبر بمقاطيعه ولا بمراسيله ولا برواية الضعفاء عنه وهو الذي يروي عن أبي هريرة ولم يره . وقال أبو أحمد الحاكم منكر الحديث . وزد على هذا انه كان معلم بني يزيد ابن عبد الملك وهذه شبهة قوية في جرحه فان أنصار كل دولة وصنائعها كانوا يروون لها مايقوي ثقة الأمة بها ، وهذا الحديث يرجع الى مدح أهل الشام أنصار بني امية وستعلم مافيه . وقال الحافظ ابن عساكر رواه عبدالله في زوائد مسنده وفيه الحسن ابن ذكوان وهو منكر الحديث . أقول وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه أحاديثه أباطيل وقال الأثرم مثل ذلك عن أحمد

(الثاني) هو لفظ آخر من الحديث الأول

(الثالث) حديث عوف وفي إسناده عمر بن واقد ضعفه جمهور رجال الجرح والتعديل وفيه شهر بن حوشب التابعي الشامي وهو لايحتج بحديثه كان يروي

المعضلات والمنكرات عن الثقات، والمقلوبات عن الاثبات. فالحديث ضعيف على أقل تقدير وانما حسنه السيوطي بتعدد طرقه وهو الذي يسمى حسناً لغيره على اصطلاحهم

(الرابع) حديث علي كرم الله وجهه واسناده منقطع كما قال ابن عساكر، وفيه شريح بن عبيد وثقه النسائي وابن حبان وغيرهما ولكن انتقد عليه انه روى عن بعض الصحابة والتابعين الذين لم يدركهم حتما ومنهم كعب الاحبار وانما أعجبهم منه في ذلك انه لم يكن يصرح بأنه سمع منهم

(الخامس) حديث أنس وقد اعترف السيوطي بضعفه على حرصه بتقوية هذه الروايات وقال ابن الجوزي موضوع

(السادس) مرسل عطاء بن أبي رباح وتمامه عند الحاكم: ولا يبغض الموالي إلا منافق. وقد اعترف السيوطي بكونه منكراً على كونه مرسلا وزاد بعضهم على ذلك إن فيه مجهولا وهو الرجال بن سالم قال الحافظان صاحبا الميزان واللسان: لايدرى من هو والخبر منكر.

وذكر ملا علي القاري في الموضوعات عن ابن الصلاح أنه قال أقوى ماروينا في الابدال قول علي: انه بالشام يكون الابدال

هذا اوافق ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته في أهل الصفة والصوفية من جهة الرواية، وأما ماحققه شيخ الاسلام في المسألة من جهة الدراية فهو غاية الغايات، وقد نشر ذلك في المنار برمته فلا نعيده وانما نذكر القراء ببعض الجمل منه، قال رحمه الله تعالى

(فصل) وأما الاسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والابدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة — فهذه الاسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ولا هي مأثورة عن النبي (ص) باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل، إلا لفظ الابدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعا الى النبي (ص) انه قال «إن فيهم — يعني أهل الشام — الابدال أربعين رجلا كلمات رجل أبدل الله مكانه رجلا» ولا توجد هذه الاسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب الخ ثم ذكر أن لفظ الغوث والغياث لا يستحقه إلا الله تعالى، وان القول بالقطب

من جنس دعوى الرافضة بالامام المعصوم بل ذلك الترتيب لطبقات كبار الاولياء يشبه ترتيب الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان ....

ثم تكلم في مسألة الأوتاد والقطب بكلام معقول موافق للغة وعاد الى الابدال فقال « ولذلك جاء لفظ البدل في كلام كثير منهم، فأما الحديث المرفوع فالاشبه انه ليس من كلام النبي (ص) فان الايمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر . ثم في خلافة علي قد ثبت عن النبي (ص) انه قال « تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام . . .

ثم تكلم في لفظ الابدال وجميع ما قيل في معناه وما يصح منه وما لا يصح في اللغة وفي الوجود وكلامه فيهم يؤيد كلام ابن خلدون . فمن أراد أن يعرف تحقيق هذه المسائل وأمثالها فعليه بهذه الرسالة للشيخ في الجزء الاول من (مجموعة الرسائل والمسائل) له وهي الرسالة الثالثة من المجموعة من صفحة ٢٥ — ٦٠ فانه لا يحتاج معها الى مراجعة كتاب آخر.

ولكنني أزيد عليه ان سبب ماورد من الأثر المروي عن علي (رض) هو ان بعض جماعته كانوا يسبون أهل الشام فنهاهم عن ذلك الاطلاق وقال إن فيهم الابدال أي ان الله تعالى يبدل من أنصار معاوية غيرهم أو ما هذا معناه — فزاد فيه الرواة المتزلفون لبني أمية ثم الصوفية مازادوا وجعلوه حديثاً مرفوعا كما وضعوا أحاديث أخرى للامصار المشهورة من مدح وذم . روى ابن عساكر أن كعب الاحبار قال: الابدال ثلاثون . وقال أيضاً الابدال بالشام والنجباء بالكوفة ثم ذكر كثيراً من هذه الاقوال عن أهل ذلك العصر في الابدال والنجباء والنقباء والاخيار ؛ ولفظ الابدال أشهر هذه الألفاظ ولم يكن الناس يفهمون في القرن الثاني والثالث من هذا اللفظ ما ادعاه الصوفية بعد، بل قال الامام أحمد إن الابدال هم أهل الحديث.

وأما ما في هذه الروايات من ان الله تعالى ينصر أهل الشام ويرزقهم بالابدال فهو من علل متونها ، ودلائل وضعها ، فالله تعالى قد جعل للنصر أسبابا تعرف

من كتابه ومن سننه في خلقه ، وقد أخل أفضل الأمم بقيادة أفضل الرسل (عليهم السلام) ببعض أسبابه في غزوة أحد فانكسروا بعد انتصار، وظهر المشركون عليهم ، ولما استغربوا ذلك أنزل الله تعالى على رسوله (ص) مابين له ذلك فقال (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)

ومن هذه الأسباب الاجتماعية ما بينه تعالى بقوله (إن تنصروا الله ينصركم) وقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ومن أسبابه الحسية ما أمر به بقوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ومن أسبابه الروحية المعنوية قوله تعالى (اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً) الآية ، وفي معناها حديث « ياسعد وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؟ — اي بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم وذلك انه يزيد ثقة القلوب بالله تعالى ويقوي تكافل الأمة .

وانا نرى أهل الشام الآن في غاية البؤس وضيق الرزق والجيوش الفرنسية تدمر بلادهم وكثيرون منهم يهلكون جوعا وعريا فأين الأبدال وأسرارهم؟ وهل يعد منهم سلطان باشا الاطرش ورجاله من أبطال الدروز، وفوزي بك القاوقجي ورجاله من أبطال الغوطة ؟ أم هم أهل الخرافات والثياب القذرة ؟ إن هذه الروايات قد أفسدت بأس الامة الاسلامية وصار المتصوفة وأهل الطريق المتمسكون بها فتنة لنابتة المسلمين ينفرون أولي الاستقلال العقلي والعلوم العصرية من الاسلام ، فيعدونه كغيره دين خرافات وأوهام ، كما أنهم عار على المسلمين ، أمام شعوب البشر الراقين: وقد بلغ من جهلهم وفساد دينهم وأخلاقهم أنهم صاروا أعوان فرنسة في أفريقية من حدود تونس الى ريف مراكش ، وقد آن لنا أن نعقل ونفهم ديننا من القرآن لا من هذه الروايات المنكرة التي صرفتنا عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) التي لاتحتمل التأويل ، ولاينال منها التضليل ، وآن لنا أن ندوس هؤلاء المضلين وكل من ينصرهم ويتأول لهم من سدنة القبور المعبودة لاعتقاد العامة أن الرزق وسعادة الدنيا تطلب من المدفونين فيها، فقد صارت أمتنا بهذه الخرافات تحت أرجل جميع الامم ، ولاتزال عامتها تعتقد أن الميتين ورجال الغيب هم سبب رزقها ودفع البلاد عنها ؟ ؟

قاعدة جليلة

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

(تابع لما نشر في الجزء الماضي)

﴿ فصل ﴾ في تمام الكلام في القصر وسبب اتمام عثمان الصلاة بمنى وقد تقدم فيها بعض أقوال الناس، والقولان الاولان مرويان عن الزهري وقد ذكرهما أحمد، روى عبد الرازق: أنا معمر عن الزهري قال انما صلى عثمان بمنى أربعاً لانه قد عزم على المقام بعد الحج ورجح الطحاوي هذا الوجه مع أنه ذكر الوجهين الآخرين فذكر مارواه حماد بن سلمة عن أيوب عن الزهري قال انما صلى عثمان بمنى أربعاً لان الاعراب كانوا كثروا في ذلك العام فاحب أن يخبرهم أن الصلاة أربع قال الطحاوي فهذا يخبر أنه فعل مافعل ليعلم الاعراب به ان الصلاة أربع . فقد يحتمل أن يكون لما أراد أن يريهم ذلك نوى الاقامة فصارة تمامها فرضه أربع فصلى بهم أربعاً فالسبب الذي حكاه معمر عن الزهري (١) ويحتمل أن يكون فعل ذلك وهو مسافر لتلك العلة قال والتأويل الاول أشبه عندنا لان الاعراب كانوا بالصلاة وأحكامها في زمن رسول الله ﷺ أجهل منهم بها وبحكمها في زمن عثمان وهم بأمر الجاهلية حينئذ أحدث عهداً إذ كانوا في زمن رسول الله ﷺ إلى العلم بفرض الصلوات أحوج منهم إلى ذلك في زمن عثمان، فلما كان رسول الله ﷺ لم يتم الصلاة لتلك العلة ، ولكنه قصرها ليصلوا معه صلاة السفر على حكمها ويعلمهم صلاة الاقامة على

(١) الذي خبر المبتدا . والمعنى فالسبب الصحيح هو الذي حكاه معمر الخ

حكمها كان عثمان أحرى أن لا يتم بهم الصلاة لتلك العلة قال الطحاوي وقد قال آخرون إنما أتم الصلاة لانه كان يذهب إلى أنه لا يقصرها إلا من حل وارتحل واحتجوا بما رواه عن حماد بن سلمة عن قتادة قال قال عثمان بن عفان: إنما يقصر الصلاة من حمل الزاد والمزاد وحل وارتحل وروى باسناده المعروف عن سعيد بن أبي عروبة وقد رواه غيره باسناد صحيح عن عثمان بن سعد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عباس بن عبد الله بن أبي ربيعة أن عثمان بن عفان كتب إلى عماله ألا لا يصلين الركعتين جاب ولا تأن ولا تاجر إنما يصلي الركعتين من كان معه الزاد والمزاد وروي أيضامن طريق حماد بن سلمة أن أيوب السختياني أخبرهم عن أبي قلابة الجرفي عن عمه أبي المهلب قال كتب عثمان أنه قال بلغني أن قوما يخرجون إما لتجارة وإما لجباية وإما لجريم ثم يقصرون الصلاة وإنما يقصر الصلاة من كان شاخصاأو بحضرة عدو. قال ابن حزم وهذان الاسنادان فى غاية الصحة قال الطحاوي:قالوا وكان مذهب عثمان أن لا يقصر الصلاة إلا من يحتاج إلى حمل الزاد والمزاد ومن كان شاخصا فاما من كان فى مصر يستغني به عن حمل الزاد والمزاد فانه يتم الصلاة قالوا ولهذا أتم عثمان بمنى لان أهلها فى ذلك الوقت كثروا حتى صارت مصراً يستغني من حل به عن حمل الزاد والمزاد قال الطحاوي وهذا المذهب عندنا فاسد ، لان منى لم تصر في زمن عثمان أعمر من مكة في زمن رسول الله ﷺ ، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي بها ركعتين ، ثم صلى بها أبو بكر بعده كذلك ، ثم صلى بها عمر بعد أبي بكر كذلك فاذا كانت مع عدم احتياج من حل بها الى حمل الزاد والمزاد تقصر

فيها الصلاة فما دونها من المواطن أحرى أن يكون كذلك قال فقد انتفت هذه المذاهب كلها لفسادها عن عثمان أن يكون من أجل شيء منها قصر الصلاة، غير المذهب الاول، الذي حكاه معمر عن الزهري فانه يحتمل أن يكون من أجلها اتمها، وفي الحديث أن إتمامه كان لنيته الاقامة على ماروينا فيه، وعلى ما كشفنا من معناه (قلت) الطحاوي مقصوده أن يجعل مافعله عثمان موافقا لاصله، وهذا غير ممكن فان عثمان من المهاجرين والمهاجرون كان يحرم عليهم المقام بمكة ولم يرخص النبي ﷺ لهم، اذا قدموا مكة للعمرة أن يقيموا بها أكثر من ثلاث بعد قضاء العمرة كما قال في الصحيحين عن العلاء بن الحضرمي أن النبي ﷺ رخص للمهاجر أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثا، ولهذا لما توفي ابن عمر بها أمر ان يدفن بالحل ولا يدفن بها . وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما عاد سعد بن أبي وقاص، وقد كان مرض في حجة الوداع خاف سعد أن يموت بمكة فقال يارسول الله أخلف عن هجرتي فبشره النبي ﷺ بانه لا يموت بها . وقال إنك لن تموت حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون، لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله ﷺ ان مات بمكة

ومن المعروف عن عثمان أنه كان إذا اعتمر ينيخ راحلته، فيعتمر ثم يركب عليها راجعا فكيف يقال إنه نوى المقام بمكة ؟ ثم هذا من الكذب الظاهر، فان عثمان ماأقام بمكة قط، بل كان إذا حج يرجع إلى المدينة

وقد حمل الشافعي وأصحابه وطائفة من متأخري أصحاب أحمد،

كالقاضي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم فعل عثمان على قولهم ، فقالوا لما كان المسافر مخيرا بين الاتمام والقصر ، كان كل منهما جائزا ، وفعل عثمان هذا ، لان القصر جائز والاتمام جائز ، وكذلك حملوا فعل عائشة واستدلوا بما رووه من جهتها ، وذكر البيهقي قول من قال أتمها لاجل الاعراب ، ورواه من سنن أبي داود ، ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا حماد عن أيوب عن الزهري ، أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى من أجل الاعراب، لانهم كثروا عامين فصلى بالناس أربعا، ليعلمهم أن الصلاة أربع

وروى البيهقي من حديث اسماعيل بن اسحاق القاضي ثنا يعقوب عن حميد ثنا سليمان بن سالم مولى عبد الرحمن بن حميد عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عثمان بن عفان أنه أتم الصلاة بمنى ثم خطب الناس فقال : أيها الناس إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه، ولكنه حدث العام من الناس فخفت أن تسنوا ، قال البيهقي وقد قيل غير هذا والاشبه أن يكون رآه رخصة فرأى الاتمام جائزا كما رأته عائشة • (قلت) وهذا بعيد فان عدول عثمان عما داوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفتاه بعده مع أنه أهون عليه ، وعلى المسلمين ومع ماعلم من حلم عثمان واختياره له ولرعيته ، أسهل الامور وبعده عن التشديد والتغليظ لايناسب أن يفعل الامر الاثقل الاشد مع ترك ماداوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفتاه بعده • ومع رغبة عثمان في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليفته بعده لمجرد كون هذا المفضول جائزا ، ان لم ير أن في فعل ذلك مصلحة راجحة بعثته على أن يفعله وهب أن له أن يصلي أربعا فكيف يلزم بذلك من يصلي خلفه فانهم إذا ائتموا

به صلوا بصلاته فيلزم المسلمين بالفعل الاثقل مع خلاف السنة لمجرد كون ذلك جائزا ؛ وكذلك عائشة وقد وافق عثمان على ذلك غيره من السلف امرآؤهم وغير امرائهم وكانوا يتمون وائمة الصحابة لا يختارون ذلك ، كما روى مالك عن الزهري أن رجلا أخبره عن عبد الرحمن ابن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد يغوث كانا جميعا في سفر وكان سعد بن أبي وقاص يقصر الصلاة ويفطر وكانا يتمان الصلاة ويصومان فقيل لسعد نراك تقصر من الصلاة وتفطر ويتمان فقال سعد نحن أعلم وروى شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن المسور قال كنا مع سعد بن أبي وقاص في قرية من قرى الشام فكان يصلي ركعتين فنصلي نحن أربعا فنسأله عن ذلك فيقول سعد نحن أعلم وروى مالك عن ابن شهاب عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال جاء عبد الله بن عمر يعود عبد الله بن صفوان فصلى بنا ركعتين ثم انصرف فأتممنا لانفسنا (قلت) عبد الله بن صفوان كان مقيما بمكة فلهذا أتموا خلف ابن عمر وروى مالك عن نافع أن ابن عمر كان يصلي وراء الامام بمنى اربعا وإذا صلى لنفسه صلى ركعتين قال البيهقي والاشبه أن يكون عثمان رأى القصر رخصة فرأى الاتمام جائزا كما رأته عائشة قال وقد روي ذلك عن غير واحد من الصحابة مع اختيارهم القصر ثم روى الحديث المعروف من رواية عبد الرزاق عن اسرائيل عن ابي اسحاق السبيعي عن ابي ليلى قال اقبل سلمان في اثنى عشر راكبا من اصحاب النبي ﷺ فحضرت الصلاة فقالوا تقدم يا ابا عبد الله فقال انا لا نؤمكم ولا ننكح نساءكم ان الله هدانا بكم قال فتقدم رجل من القوم فصلى بهم اربعا قال فقال سلمان مالنا ولا

مربعة انما كان يكفينا نصف المربعة ونحن الى الرخصة احوج قال فبين سلمان بمشهد هؤلاء الصحابة ان القصر رخصة (تمت) هذه القضية كانت في خلافة (١)

وسلمان قد انكر التربيع وذلك أنه كان خلاف السنة المعروفة عندهم فانه لم تكن الائمة يربعون في السفر وقوله ونحن الى الرخصة احوج يبين أنها رخصة وهي رخصة مامور بها كما أن اكل الميتة في المخمصة رخصة وهي مامور بها وفطر المريض رخصة وهو مامور به والصلاة بالتيمم رخصة مامور بها والطواف بالصفا والمروة قد قال الله فيه (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) وهو مامور به إما ركن وإما واجب وإما سنة والذي صلى سلمان أربعاً يحتمل أنه كان لا يرى القصر لمثله إما لان سفره كان قصراً عنده واما لان سفره لم يكن عنده مما يقصر فيه الصلاة فان من الصحابة من لا يري القصر إلا في حج أو عمرة أو غزو وكان لكثير من السلف والخلف نزاع في جنس سفر القصر وفي قدره فهذه القضية المعينة لم يتبين فيها حال الامام ومتابعة سلمان له تدل على أن لامام إذا فعل شيئاً متأولا اتبع عليه كما إذا قنت متأولا أو كبر خمساً أو سبعاً متأولا والنبي ﷺ صلى خمساً واتبعه أصحابه ظانين أن الصلاة زيد فيها فلما سلم ذكروا ذلك له فقال «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فان نسيت فذكروني» وقد تنازع العلماء في الامام إذا قام الى خامسة هل يتابعه المأموم أو يفارقه ويسلم أو يفارقه وينتظره أو يخير بين هذا وهذا على أقوال معروفة وهي روايات عن أحمد أو رأى أن التربيع مكروه

(١) بياض بالاصل

وتابع الامام عليه فان المتابعة واجبة ويجوز فعل المكروه لمصلحة راجحة ولا ريب أن تربيع المسافر ليس كصلاة الفجر أربعاً فان المسافر لو اقتدى بمقيم لصلى خلفه أربعاً لاجل متابعة أمامه فهذه الصلاة تفعل في حال ركعتين وفي حال أربعاً بخلاف الفجر فجاز أن تكون متابعة الامام المسافر كمتابعة المسافر للمقيم لان كلاهما اتبع إمامه وهذا القول وهو القول بكراهة التربيع أعدل الاقوال وهو الذي نص عليه أحمد في رواية الاثرم وقد سأله هل للمسافر ان يصلي أربعاً؟ فقال لا يعجبني ولكن السفر ركعتان وقد نقل عنه المروذي أنه قال إن شاء صلى أربعاً وإن شاء صلى ركعتين ولا يختلف قول أحمد أن الافضل هو القصر بل نقل عنه إذا صلى أربعاً أنه توقف في الاجزاء ومذهب مالك كراهية التربيع وأنه يعيد في الوقت ولهذا يذكر في مذهبه هل تصح الصلاة أربعاً؟ على قولين

ومذهب الشافعي جواز الامرين وأيهما أفضل فيه؟ قولان أصحهما أن القصر أفضل كاحدى الروايتين عن أحمد ، وهو اختيار كثير من أصحابه وتوقف أحمد عن القول بالاجزاء يقتضي أنه يخرج على قوله في مذهبه ، وذلك أن غايته أنه زاد زيادة مكروهة وهذا لا يبطل الصلاة فانه أتى بالواجب وزيادة والزيادة إذا كانت سهواً لا تبطل الصلاة باتفاق المسلمين ، وكذلك الزيادة خطأ اذا اعتقد جوازها وهذه الزيادة لا يفعلها من يعتقد تحريمها وإنما يفعلها من يعتقدها جائزة ولا نص بتحريمها بل الادلة دالة على كون ذلك مخالفاً للسنة لا أنه محرم كالصلاة بدون رفع اليدين ومع الالتفات ونحو ذلك من المكروهات وسنتكلم ان شاء الله على تمام ذلك. (للكلام بقية)

(منهج الدكتور طه حسين العلمي في البحث)

للاستاذ الشهير صاحب الامضاء

أظن أن الصحف لا تأبى عليّ نشر هذا النقد للشعر الجاهلي للدكتور طه حسين وأن ليس لاحد سبيل عليها إذا نشرته لأنه لا يتعلق بدينه ولا باثبات كفره بما كتبه في الشعر الجاهلي ولا باثبات أنه طعن في الدين الاسلامي الذي تقام شعائره في مصر فيكون مستحقا للعقوبة المنصوص عليها في القانون المصري . وإنما هو مناقشة هادئة علمية محضة في المنهج الذي اصطنعه الدكتور في البحث في الشعر الجاهلي يتبين منها أهذا المنهج الذي سلكه في البحث علمي منطقي يرضى عنه العلم أم هو منهج خاطيء لا يحترمه العلم ويحتقره المنطق ويرى أنه من المغالطات

إننا سنحاول ذلك وستكون النتيجة كما سيراها القاريء أن منهج الدكتور في البحث من ضلالات العقول ومغالطات الوهم ، وأنه ليس يسلك هذا المنهج إلا الذين لم يمارسوا صناعة المنطق ولم يمرنوا على صناعة البرهان ، وكانوا سطحيين في بحوثهم لم يتعمقوا إلى الغور ، ولم يبعدوا المرمى ، وغرضنا من ذلك أمور ثلاثة

(أولها) أن تسقط دعوى الدكتور طه حسين بأن ماسلكه في البحث منهج علمي حديث وأنه بذلك يحشر نفسه في زمرة العلماء حشراً في عداد (؟) المخترعين والمبتكرين والمستكشفين وليس يعلم إلا الله ماينال هؤلاء العلماء من الأذى في مضاجعهم بانتساب الدكتور اليهم وحشره نفسه قسراً في زمرتهم

(ثانيها) أن أحمي شباب مصر من عدوى ذلك المنهج ومن أن يتأثروا الدكتور في طرائقه الفكرية . فان مستوى البحث في مصر لما ينضج بعد ، وذيوع أمثال طرائق الدكتور مما يكون ضغثا على إبالة

(ثالثها) أن يعلم الذين يدينون بالاسلام في مصر أن دينهم لم يصادمه علم ولا عقل كما يدعي الدكتور ويفتري ، وحاشا الاسلام أن يصادمه علم أو عقل ، وأنه اذا كان ثمّ مايصادمه فليس العلم والعقل وإنما هو الجهل المخزي والباطل الشائن والعقل الفجّ الذي لم يستكمل بعد شرائط الانتاج — سيسوء ذلك الدكتور طه

حسين ولا يرضيه ، ولكنني لست أتوخى رضاه ولا أتحرز من مساءته ، وإنما أتوخى رضى الحق وأتجنب مساءة الصواب . فأما من عداهما فلا عليّ أن يكونوا غاضبين وليس يدخل في غرضي أن يقتنع الدكتور طه حسين فانه ليس ممن يرجى منهم اقتناع فانه ليس طالب حق وإنما هو طالب رواج . وليس ممن يعنيهم الصواب وإنما ممن يعنيهم الربح ، فهو كالتاجر همه أن تروج بضاعته لا أن تنقد فيعلم جيدها من رديئها ، وكما أن التاجر إذا بصرته عيب بضاعته ناكرك وجاحدك ، كذلك الدكتور إذا ألمسته عيب ما يقول بيده جحد واستكبر ، لأن ذلك يقف دون رواجه وربحه — وإياهما يريد[1] .

إن الذي أفسد على الدكتور أمره اعتقاده أن أمته أمية فهو يلقي اليها مباحثه على عواهنها لا يعنى تمحيصها ونفي الزائف عنها ، عالما بانه ليس عندها من ملكة النقد ما يبين عيبه ويظهر شينه ، وقد مد له في هذا الاعتقاد أنه يرى المعجبين برأيه والمقرظين لعله(؟) مهما كان فيه من الباطل والخطأ

ألا فليعلم الدكتور بعد أنه ليس ينشر بحوثه في أمة وحشية متبدية كقبائل الزنوج وإنما هو ينشرها في أمة متحضرة متمدينة ضربت في العلم بسهم وأخذت منه حظا ، وأن بني قومه فيهم من ينقدون الآراء ويعلمون حقها من باطلها ، ويعلمون المغالطات مهما بولغ في تزيينها ، وأنهم لم تستعص عليهم نحل الفلاسفة ومعتقداتهم في الالهيات والاخلاق والسياسة والاجتماع فنقدوها ، وعلموا زائفها من خالصها ، فكيف تستعصي عليهم آراء سطحية تتعلق بتاريخ أوشعر ؟ وأنهم إن كانوا قليلا ففي استطاعة هؤلاء القليل أن يبينوا لجمهرة الامة عثرات الرأي وكبوات الافهام

جاء شقيق عارضاً رمحه إن بني عمك فيهم رماح

نفى الدكتور طه حسين في الفصل الذي عنوانه (الشعر الجاهلي واللغة) وجود

---

(١) المنار : هذا الحصر خطأ بين فان مطلب الرجل الاول صرف الناس عن الدين وحملهم على الالحاد والزندقة وغرضه الاول من هذه الشهرة بالفلسفة والتزلف للافرنج وانما رواج الكتاب وربحه فغرض ثالث إن صح أن يكون على حقارته غرضا

إبراهيم واسماعيل وبناءهما الكعبة وهجرتهما الى مكة وتعلم اسماعيل العربية من العرب العاربة الذين هم من قحطان وان كان قد ورد ذكرهما في التوراة والقرآن. نفى ذلك الدكتور وليس له اختيار في هذا النفي لانه مضطر أمام الدليل القطعي، والدليل الذي اضطره الى ذلك هو أنه قد ثبت أن لغة قحطان أي لغة جنوب جزيرة العرب تخالف اللغة العربية التي يتكلم بها أهل الحجاز فنسبتها إلى اللغة العربية كالنسبة بين اللغة العربية وبين أي لغة سامية، فاذا كانت هذه القصة صحيحة وكان اسماعيل وبنوه قد تعلموا العربية من القحطانية، فكيف بعد ما بين اللغة العربية العدنانية واللغة القحطانية؟

نحن إذن بين أمرين اما أن نقبل هذه القصة ونرفض ذلك الدليل القطعي أوالعكس، ولا مندوحة تجوز رفض الدليل القطعي فلا بد من رفض هذه القصة وإنكارها والاذعان للدليل القطعي: ننكرها بجملتها فلم يوجد ابراهيم واسماعيل فضلا عن بنائهما الكعبة وهجرتهما إلى مكة وتعلم اسماعيل العربية من القحطانية، نحن مضطرون إلى ذلك وان حدثنا القرآن والتوراة عنهما فان ورود هذين الاسمين فيهما لا يكفي لوجودهما التاريخي.

هذا دليل الدكتور وسنبدأ فى مناقشته قبل الدخول فى تفصيلات المناقشة ـ

نذكر مقدمة ينبغي أن تعلم وهي ان القرآن لم يعرض لحديث تعلم اسماعيل العربية من قحطان وإنما الذي عرض له وجودهما وهجرتهما وبناؤهما الكعبة، وإنما الذي عرض لتعلم اسماعيل العربية من القحطانية هم مؤرخو اللغة. وبعد فسنسلم للدكتور جدلا كل ماقاله من البعد بين القحطانية والعدنانية بعداً يجعلهما لغتين مستقلتين ومن أنه لو تعلم اسماعيل من القحطانية لكانت اللغتان متفقتين أومتقاربتين

ولكننا نقول له إن دليلك لاينفي إلا أن اسماعيل تعلم اللغة العربية من القحطانيين فاما وجودهما وهجرتهما إلى مكة وبناؤهما الكعبة وهي الأمور التي عرض لها القرآن فلاينفيها ولايتعرض لها، فما يتفق مع دليلك ان يكون ابراهيم واسماعيل قد وجدا وهاجرا إلى مكة وبنيا الكعبة وتعلم اسماعيل وأبناؤه العربية من غير القحطانيين من العرب الذين خلقهم الله يتكلمون العربية الحجازية التي

بقيت إلى مجيء الاسلام ، فالدليل القطعي لا ينفي إلا شيئاً واحداً وهو تعلم اسماعيل وبنيه العربية من القحطانية ، فمن الواجب أن يقتصر به على ذلك ولا يعدي الى القصة جميعها فينفيها اذ لا منافاة بينه وبين بقيتها . ومثل الدكتور فى ذلك مثل من يسمع مؤرخين أحدهما يقول إن اللورد كتشنر كان عميد الدولة البريطانية فى مصر والآخر يقول إنه كان عميدها فى مصر سنة ١٩٢٠ فيقول : ان التاريخ يفيد أن اللورد كتشنر غرق زمن الحرب العظمى التي انتهت قبل هذا التاريخ فماقاله المؤرخان كذب ولم يكن اللورد كتشنر عميداً لانكاترا فى مصر وقتاً ما . كذب المؤرخين وكذب القصة جميعها ولو اتبع المنطق لنفى كونه عميداً فى زمن سنة ١٩٢٠ ولم يعد النفي الى كونه عميداً ولم يكذب المؤرخ الاول اذ لم يتعرض لتعيين الزمن. وكذلك الامر عندنا: الدليل ينفي ماقاله المؤرخون من أن اسماعيل تعلم العربية من القحطانية فينفي به الدكتور القصة حتى ماذكره القرآن من وجودهما وهجرتهما وبنائهما الكعبة مما لم ينفه الدليل ولم يتعرض له ، ويكذب القرآن فيما قاله وهو لم يعرض لما نفاه الدليل وانما عرض لغيره .

فيادكتور دليلك أقصر من دعواك : أنت تدعي نفي وجود ابرهيم واسماعيل وهجرتهما إلى مكة وبناءهما الكعبة وتعلم اسماعيل العربية من القحطانية، ودليلك إنما ينفي الأخير وهو تعلم اسماعيل العربية من القحطانية ، فأما ماعدا ذلك فلا ، ويسمي علماء المناظرة ذلك بمنع التقريب والتقريب سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب، ويقولون في مثل ذلك إن التقريب غير مسلم أي إنك سقت الدليل على وجه لا يستلزم المطلوب ، فمثلك مثل من ادعى أن هذا الشبح انسان ويستدل على هذه الدعوى بأنه متحرك بالارادة وكل متحرك بالارادة حيوان ، نعم الدليل مسلم ولكنه لا يستلزم المطلوب وهو أنه انسان

فالمنطق يأمرنا اذا نفي الدليل شيئاً أن نقصره على ذلك الشيء ولا نعدّيه إلى ماعداه ، وقد رأيت في مثال اللورد كتشنر كيف نخطيء اذا عدينا النفي إلى غير ماقام عليه الدليل — ولو أردنا أن نصوغ دليلك في قالب منطقي لكان هكذا : لو كانت الحجازية أصلها القحطانية لما بعد مابينهما هذا البعد لكنهما

متباعدتان، إذن فليست الحجازية أصلها قحطانية ، هذه النتيجة فقط . ولكنك تزيد فيها ما يأتي: لم يوجد ابراهيم واسماعيل ولم يبنيا الكعبة ولم يهاجرا إلى مكة . وهذا هوس ليس منطقاً ويظهر أن الدكتور طه علم أن دليله لاينتج تكذيب القران فيما ذكره فلم يرتب التكذيب على الدليل ولم يقل (وإذن) التي يستعملها دائماً في كلامه وقال : فواضح جداً لكل من له إلمام بالبحث التاريخي عامة وبدرس الأساطير والاقاصيص خاصة أن هذه النظرية متكلفة مصطنعة في عصور متأخرة دعت اليها حاجة دينية ، أو اقتصادية ، أو سياسية . وهو بين شرين لامفر منهما إما أن يكون أجترأ على تكذيب القرآن في وجود ابراهيم واسماعيل بدون دليل وليس بيده إلا قوله فواضح جداً ـ وحينئذ تكون دعوى لادليل عليها، والدعاوى إن لم تقم عليها بينة لم يعبأ بها ، وإما أن يكون قد كذب القران بذلك الدليل ، وقد علمنا أنه أقصر من دعواه ولا ينتج تكذيب القرآن

هذا وقد رأى القراء أننا لم نناقش الدكتور على قاعدة أن القرآن نص يقيني وهو حجة على كل ماخالفه ، وإنما ناقشناه على قاعدة أنه نص تاريخي كنص أي مؤرخ من البشر تنزلا منا ، وبينا له أن دعواه لم تتم لأن الدليل العقلي الذي استعمله لاينهض فلم نلزمه بنصوص الدين لئلا يقال إن ذلك لايلزمه الا المتدين وانما ألزمناه بالادلة العقلية المشتركة للانسانية كلها من تدين منهم ومن لم يتدين

ولا يظن ظان أن أدلة الدكتور الحديثة تقف عند هذا الحد من العبث والبطلان ، بل إن لها لونا آخر من ألوان العبث والبطلان وهو ماسنبينه .

يزعم الدكتور طه أن قصة إبراهيم وإسماعيل موضوعة وضعها اليهود لغرض وهو أنهم كانوا يريدون أن يثبتوا القرابة بينهم وبين العرب ليعيشوا معهم عيشة راضية وقبلتها مكة لغرض سياسي وديني لأنهم كانوا يريدون أن يتصل نسبهم بأصل من تلك الاصول الماجدة ، وقبلها الاسلام لغرض ديني وهو أنه يريد أن يثبت صلة بينه وبين اليهودية

هكذا زعم الدكتور وليس معه نص تاريخي يفيد ذلك وليس بيده إلا أن ذلك يمكن أن يكون قد كان ، واذا تصور على هذا الحال كان منسجما ،

ونحن نقول له يا دكتور إن التاريخ لا يثبت بمثل ذلك وليس كل ما يمكن أن يكون قد كان يجب أن يكون قد كان ، ولا يثبت الأمر بأن هذه العلة يجوز أن تكون له . وأن مثلك في ذلك مثل مؤرخ يأتي بعد مائتي سنة يقول : يزعم المؤرخون أن أمريكا اشتركت مع فرنسا في حرب ألمانيا في الميدان الغربي ، وهذا باطل فأين أمريكا من فرنسا أن بينهما المحيط الاطلانطيقي على سعته . القصة مكذوبة وقد اخترعها بعض الامريكان ليقرب الشعبين الأمريكي والفرنسي بعضهما من بعض ، إن هذه القصة تفيد أنهما حاربا معا جنبا لجنب عدواً مشتركا فهي تدعو الى تآلف الشعبين فقد وضعت لذلك ، وأن الذي يدعو الى أن توضع علوم الاوائل كلها موضع الشك ولا يثبت إلا ما قام العلم على اثباته لا يسوغ له أن يطلب منا الاقتناع بمثل هذه الظنون والاوهام وليس عنده من الحجة إلا أن ذلك يمكن أن يكون قد كان ، فيجب أن يكون قد كان . اللهم إلا اذا كان يدعو الى رفض تقليد الماضين إلى تقليده هو ، وإن قارئي كتابه يحتاجون إلى مقدار عظيم من البلاهة والغمارة حتي يقتنعوا بأمثال تلك الحجج التي هي كما قال الاول

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

اذا أراد الدكتور أن يقنع الامة بكتابه فعليه أولا أن يبدأ بالغاء عقولها وعكس منطقها السليم، واحالة تلك العقول عن فطرتها، حتى تكون على غرار عقله. ثم يلقي اليها بعد أمثال تلك الاوهام ، وحينئذ تقنع بها وتصدق ويتم له ما يريد ولكن : دون ذلك وينفق [1]

ألا لا يقولن الدكتور بعد اليوم: المنهج العلمي الحديث ، ولا البرهان العلمي، ولا يتمسحن بأعتاب العلماء ، فقد أطلعنا القراء على قيمة نهجه العلمي الحديث ومنطقه الجديد فعلموا أن ذلك ليس منطق العقلاء وانما هو منطق البله والاغمار والممرورين.

وبعد فكتاب الشعر الجاهلي ان كان ألفه مؤلفه كتابا في المغالطات ، وأمثلة على القياس الذي لم يستكمل شروط الانتاج، والأضرب العقيمة والحجة الخداج،

---

(١) تتمة المثل وينفق حمار ـ والامثال لا تغير وما كل قارىء يعرف المثل فتغنيه النقط عن ذكر الحمار المراد بنفاقه نفاق كتاب الدكتور

فهو كتاب جيد في بابه واف بالغرض الذي قصد اليه . وان كان ألفه مؤلفه كتاباً في تاريخ الشعر والادب فليس من ذلك في قليل ولا كثير

ولو أن في بلادنا مجمعا علميا منظما لحكمته بيني وبين الدكتور ولرضيت حكمه فيما رميت به دعاوي الدكتور من أنها دعاوي يقيم عليها أدلة أقصر منها تارة، ويدعيها بدون برهان تارة، ويثبت الشيء بأنه ممكن تارة أخرى، ولكن من وراء ذلك التحكيم الخير العظيم، فانه اذا حكم عليّ تواريت خجلا وأرحت الناس من سماع هذا النقد وأمثاله . واذا حكم على الدكتور حمى شباب الامة من التورط في آرائه وحماها أيضا من عدوى ذلك المنهج الخاطئ في البحث — أما والبلد ليس فيها مثل المجمع فادعو المشتغلين بالمنطق أن يبدوا آراءهم فيما بيني وبين الدكتور من خلاف، إنهم ان فعلوا ذلك خدموا العلم والحقيقة ومن أولى من هؤلاء بخدمة العلم المظلوم والحقيقة المهيضة . ؟

محمد عرفة

استاذ بمعهد الاسكندرية

(المنار) قد بينت في مقالي الذي نشرته في الجزء الماضي طريقة الدكتور طه حسين في البحث والاستدلال في قواعد كلية بسط الاستاذ الشيخ محمد عرفة غراب الكلام على اثنتين منها وهما الدعوى بدون دليل والاستدلال بما لا يدل على المطلوب ، وهو ضرب من المغالطة الواضحة ، وقد كبر من شأنها بتمنيه عرضها على مجمع علمي لو وجد أو بعرضها على المشتغلين بعلم المنطق ليعلم أيهما الخاطيء في البحث ، وحسبنا من علم الجمهور — أهل المنطق الفني ومن دونهم من أهل المنطق الفطري — بسفسطة الدكتور ومغالطاته انه لم يدافع عنه أحد من الملاحدة ولا أعضاء جمعيته وحزبهم ولا قرضوه ولا أثنوا عليه كما فعل بعضهم بالدفاع عن علي عبد الرازق إذ كان أحذق منه في المغالطة والسفسطة

نعم ان بعض التلاميذ والعوام قد يغترون بخلابته فالواجب بيان ضلاله وإضلاله في مسائل الكتاب لا في الاستدلال عليها فقط

الصحة

تأليف	ترجمة
زعيم الهندوس الاكبر	الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
مهاتما غاندى	المليح آبادى

ان المنكشفات الحديثة قد أثبتت بأن الانسان الصحيح التام الصحة - وهو الذي لم يفسد دمه بكثرة الحرارة، والذي غذاؤه جيد صحي - لايتأثر حالا بسم الثعبان . وأن تأثيره يكون سريعاً وخطراً في جسم من أفسد دمه بالخمر أو الغذاء الرديء . وقد توسع في هذا المعنى أحد الاطباء حتى قال « إن دم الرجل الذي لا يأكل الملح وما شاكله بل يقتصر على تناول الثمار وحدها يبقى دمه نظيفا نظيفا ، حتى إنه لايمكن أن يؤثر فيه أي نوع من السم تأثيراً ما » اني ماجربت هذا الامر تجربة كافية حتى أجزم بصحته لأن الرجل الذي يترك الملح وأمثاله من الاشياء سنة أوسنتين فقط لايمكن أن يقال إنه وصل إلى ذلك الحد من الصيانة والمناعة . لأن الدم الذي قد فسد وتسمم بعمل رديء دام سنين كثيرة لايتأتى رده إلى حالته المعتدلة من الطهارة في مدة وجيزة .

لقد ثبت بالتجارب أن الانسان يتأثر بالسم إذا كان في حالة الغضب أو الخوف أسرع بكثير من تأثره اذا كان في حالته الاعتيادية . كل منا يعرف كيف يزيد الخوف والغضب دقات القلب في الحالة الاعتيادية . وكلما كثرت دورة الدم في الشرايين يزداد تولد الحرارة كثرة . ولكن الحرارة التي تتولد من الانفعالات الخبيثة ليست صحية بل مضرة للغاية . وليس الغضب إلا نوعا من الحمى . فأحسن ترياق لنهش الثعبان هو استعمال الغذاء الصحي المعتدل ، وتطهير المخ من نوازع الشر كالغضب والخوف ، واجتناب توسيع المجال للذعر والرعب ، والثبات والثقة التامة بالقوة الواقية ، وضبط النفس والقوى ، مع الاعتماد على الله والايمان التام بأن أنفسنا في يده سبحانه ، وبأن المدة الوجيزة

من الحياة التي قدرها لنا لا يمكن بحال من الأحوال أن ينقصها أحد أو يزيدها ، هذه هي صفات الحياة الطاهرة المقدسة !

ان الدكتور (فيتز سومان) Fitz - Seaman مدير متحف Port Elizadeth (ثغر أو مرفأ أليصابات) قد أنفق قسطا كبيراً من حياته في تعرف أحوال الحيات ودرس طبيعتها وخواصها ، وهو يعد حجة كبيرة في النهش وعلاجه وهو يقول لنا في بيان نتيجة تجاربه العديدة التي لا تحصى « إن أكثر ميتات النهش المزعومة هي في الحقيقة نتيجة الخوف والمعالجات الخاطئة التي يستعملها المتطببون »

يجب أن نتذكر دائما أن بعض الثعابين ليست سامة ، وان نهش السام منها ليس فيه خطر مباشر ، على أن هذه الثعابين لا تجد دائما فرصة لافراغ سمها في جسم الملدوغ وقت النهش . ولذلك ينبغي ألا نجزع إذا نهشنا ثعبان سام مادام العلاج السهل جداً متيسراً ويمكن أن نستعمله بانفسنا بدون استعانة باحد . وهو :

يجب أن يربط ما فوق محل النهش مباشرة ربطاً جيداً بعصابة تشد شداً تاما بادخال قلم الرصاص أو عود آخر وتزوى به لئلا يصعد السم من طريق العروق ثم يجب أن يشق الجرح شقا قدر نصف قيراط في العمق برأس سكين مرهف ليتمكن الدم من الخروج بكثرة ثم يملأ بمسحوق أصهب اللون أسود أحمر . يباع في الاسواق يسمى patassium permanganat وان لم يتيسر ذلك فيمص محل اللدغ مصاً جيداً ويبصق الدم . وسواء كان الماص هو المصاب أو غيره فكله جائز الا أنه لا يجوز أن يكون الماص في فمه جرح لئلا يسري اليه السم . إن هذا العلاج يستعمل خلال سبع دقائق من وقوع الحادثة ـ أي قبل أن يجد السم وقتا للصعود والانتشار في الجسم وإن الدكتور الالماني السابق الذكر الذي أخصي في العلاج الترابي يدعي كما مر أنه عالج النهش بدفن المنهوش في حفرة جديدة بالتراب . واني وان كنت ماجربت التراب في النهش ولكني أعتقد بدون شك نفعه بتجربتي إياه في حوادث أخرى . وبعد استعمال Patassium Permanganat أو مص الدم يجب أن نستعمل لبخة طينية سميكة بقدر نصف قيراط وكبيرة تكفي لتغطية المحل

المنهوش وماحوله تماما . يجب أن تبقى في كل بيت كمية من التراب المطحون المصفى جيداً في صفيحة معدة لاستعمال اللبخة . ويعرض التراب دائما للشمس والهواء ويحافظ عليه من الرطوبة ، وكذلك يجب أن تبقى العصابات الصالحة لذلك من القماش مهيئة لتستعمل عند الحاجة حالا . ان هذه الاشياء تكون نافعة لا في النهش فقط بل في حوادث كثيرة أخرى .

اذا فقد المنهوش شعوره أو ظهر أن التنفس قد انقطع فعملية التنفس الصناعي التي قد ذكرت في شأن الغريق تستعمل هنا أيضا . وكذلك الماء الساخن أو بالاولى المغلي فيه القرنفل وقشر شجرة الغار فانه نافع جداً لاستعادة الشعور، يجب أن يبقى المنهوش في الهواء الطلق ولكن ان ظهر أن الجسم اخذ يبرد فتستعمل لتدفئته قنينات الماء الساخن أو يدلك الجسم بقطعة من الفلالين المبلولة بالماء الساخن المعصورة لتوليد الحرارة .

« لسع العقرب »

يقول المثل السائر عندنا « لا يبتلي الله أحداً بوجع لدغ العقرب » فهذا يظهر شدة الوجع . والحقيقة أن هذا الوجع أشد من نهش الحية ولكنا لا نخاف منه كثيراً لانه أقل خطراً منه بكثير . لاشك كما قال الدكتور (مور Moor) إن الرجل الطاهر الدم تماما ينبغي أن يكون خوفه قليلا من ابرة العقرب لانه لا يتأذى بها الا قليلا

ان علاج اللسع سهل . يجب أن يشق الموضع الملدوغ برأس سكين حاد ويمتص الدم مصا . ان عصابة صغيرة تشد بقوة فوق المكان الملدوغ لتمنع السم من الصعود واللبخة الطينية تخفف الوجع حالا .

نصح بعض الكتاب بربط خرقة سميكة مبلولة بمزيج من الخل والماء في نسبة واحدة فوق الموضع الملدوغ . أو يبقى هذا المكان وما حوله مغموسا في ماء الملح ولكن اللبخة الطينية أحسن علاج ويمكن أن يجربها بنفسه كل من قدر عليه أن تلدغه العقرب . يجب أن تكون اللبخة سميكة جداً حتى إن الرطلين من التراب أيضاً لا يعدان كثيراً. اذا كان اللدغ في الاصبع مثلا فاللبخة تستعمل الى المرفق . وان ابقاء اليد مغموسة لمدة في طين رخو في اناء كبير نظيف يخفف الوجع أيضا .

ان لدغ أم أربع وأربعين وغيرها من الحشرات يجب أن يعالج بعلاج العقرب نفسه

الباب الحادي عشر

﴿ الخاتمة ﴾

لقد فرغت من كل ماأردت أن أقوله في موضوع الصحة . والآن أريد أن أقول لقرائي قبل أن أودعهم كلمة فى زيادة البيان لغرضي من كتابة هذه الصحائف

لقد كررت نفسي أثناء كتابتي هذا السؤال : وهو لماذا اكتب أنا هذا الكتاب دون سائر الناس ؟ هل هناك مبرر لرجل مثلي لم يتعلم الطب ولم يتقن - كما لايخفى - المسائل التي جاءت فى هذه المباحث أن يحاول تأليف مثل هذا الكتاب ؟

ان عذري فى ذلك هو أن علم الطب نفسه مبني على تجارب وعلم ناقص وا كثره تخرص محض . وهذا الكتاب على كل حال ساقني اليه أطهر الاسباب وأقدسها . اني لم أبذل جهدي فى بيان المعالجات للامراض مثل مابذلت لبيان طرق الوقاية منها. وان قليلامن التأمل يثبت أن الاحتياط وتوقي المرض أمر سهل بالنسبة (الى تشخيص الامراض ومعالجتها)وهو لا يتطلب علما خاصا وان كان العمل بهذه الاصول ليس بهين بلاريب . كان غرضنا أن نبين اتحاد الاصول والعلاج لجميع الأمراض ، ليعرف الناس معالجة أنفسهم بانفسهم اذا دهمتهم الامراض كمايحصل كثيراً مع تنبه كبير لمراعاة أصول الصحة

وهنا يرد سؤال : هل الصحة الجيدة ضرورية الى هذا الحد حتى يهتم لها هذا الاهتمام الكبير ؟ ان سيرتنا المعاشية تثبت أننا لا نقيم للصحة وزنا كبيراً ولكنا ان كنا نرى الصحة التمتع والتلذذ بالشهوات أو لنفتخر بحسن جسمنا ونعده غاية من حيث هو هو فأحسن بكثير في هذه الحالة أن نشوه أجسامنا بلحم رديء بالسمن المفرط وما شاكله من المشوهات والمفسدات له .

إن الاديان كلها متفقة على عد الهيكل الانساني مسكناً لله سبحانه وتعالى . إن الرب قد وهبنا الجسم لنستعمله في طاعته ونعبده به عز وجل عبادة خالصة لوجهه ، ولذلك وجب أن نحافظ على طهارته ، وأن لا نتركه عرضة للرجس ظاهراً ولا باطنا ، لنرجع به اذا جاءت ساعة الرجوع إلى موهبه سبحانه في نفس الحالة

التي أخذناه فيها . اذا نحن وفينا بشروط المعاهدة لرضاء الرب فهو بلا ريب يجازينا ويجعلنا الوارثين لدار البقاء .

إن أجسام سائر المخلوقات الحية قد وهبت القدرة وأعطيت آلات الاحساس كالبصر والسمع والشم وغيرها من الحواس . ولكن الجسم الانساني قد فضل عليها جميعاً ، ولذلك نسميه نحن الهنود « بالمعطي لسائر الخيرات » إن الانسان وحده يستطيع عبادة الله بالعلم والفهم . واذا خلت العبادة من الفهم فهي ليست بعبادة حقا، ومعلوم أن العبادة اذا بطلت يستحيل أن نجد المسرة الحقيقية. لا يمكن أن نستخدم الجسم في الخدمة حق الخدمة إلا اذا حسبناه معبداً لله وسخرناه لعبادته تعالى ، وإلا فهو ليس بأشرف من ظرف وسخ من العظام واللحم والدم بل الهواء الذي يخرج منه شر من السم . إن الاشياء التي تخرج من مسام الجسم وغيرها من السبل الدنسة التي لا نستطيع أن نمسها ، بل لا نتصورها بدون اشمئزاز. ولا بد للمحافظة عليها نظيفة من جهد وعناء ، أفليس من العار الكبير أن نتعمد على الكذب والغش وأعمال الفسق ، بل ما هو شر منها لأجل شهوات هذا الجسم الضعيف ؟ أو ليس من الخزي المخجل أن نهتم هذا الاهتمام الكبير للمحافظة على هذا الجسم المهين لنتمكن من الدناآت والفسوق ؟

إن هذه هي الحقيقة العارية لجسمنا . وان أحسن الاشياء وأنفعها أيضاً قد أودعت فيها قابلية لاظهار الشر والمصائب . ولولا ذلك لما سهل علينا أن نقدرها حق قدرها في قابليتها للصلاح والخير . فنور الشمس الذي هو منبع للحياة والذي لا نستطيع أن نعيش بدونه ساعة واحدة من الزمن ، يصلح لأن يحرق جميع الكائنات ويجعلها رماداً. ويقدر الملك أن ينفع رعاياه نفعاً عظيما كما يمكن أن يكون سبباً للعذاب الاليم، كذلك يمكن أن يكون الجسم خادما جيداً، ولكن اذا أصبح هو الحاكم فقوته للشر فوق كل حد .

ان بين العقل والشيطان حربا عوانا في أنفسنا للاستيلاء على جسمنا ، فان غلب العقل يصبح الجسم آلة نافعة للخير. واذا غلب الشيطان يصير مثاراً للشرور والفسوق . وإن جهنم نفسها تكون خيراً من الجسم المسخر للفسوق ، المملوء

بالأوساخ ، المثير للروائح الكريهة ، الذي تستعمل أرجله وأيديه في الاعمال القبيحة ، الذي يستعمل فمه في أكل الاشياء التي يجب أن لا تؤكل ، ولسانه في التكلم بأمور يجب أن لا يتكلم بها ، وعينيه في النظر الى الاشياء التي يحرم النظر اليها، وأذنيه في سمع الاشياء التي يحظر سماعها، وأنفه في شم الأشياء التي لا ينبغي شمها. واذا كان لا يوجد أحد يختار النار على الجنة فالعجب كل العجب أن حسبنا الجسم الذي جعلناه بأنفسنا أشر من جهنم حسنا كالجسم المطهر يستحق الجنة ! ما أقبح كبرنا وزهونا ! وما أحط ادرا كنا في هذا الامر! ان الذين جعلوا مثواهم كالكنيف لا بد من أن يجنوا ثمر حماقتهم. وهكذا شأننا اذا كان جسمنا بالحقيقة في يد الشيطان ونحن نحسب أننا نتمتع فيه بالسعادة الحقيقية ، فيجب أن لا نلوم إلا أنفسنا اذا فاجأتنا العواقب المريعة التي لابد من وقوعها

والحاصل أن قصدنا في هذه الصحائف أن نعلم هذا الحق الا كبر ، وهو أن الصحة التامة انما يمكن نيلها بالعيشة الخاضعة للسنن الالهية والمضادة لنزغات الشيطان . ان المسرة الحقيقية مستحيلة بدون الصحة الحقيقية ، والصحة الحقيقية مستحيلة بدون أن يملك الانسان نفسه ويتغلب على هواه . ان الحواس كلها تخضع لنا بنفسها اذا تغلبنا على اللذة. ان من غلب على حواسه فقد غلب على الدنيا كلها ، وأصبح جزءاً من الله تعالى . لا يمكننا أن نعرف « راما » بقراءة «رمائن» أو « كرشنا» بقراءة «غيتا» أو «الله» بقراءة القران أو «المسيح» بقراءة الانجيل بل الطريقة الوحيدة لمعرفة هؤلاء المقدسين هي إيجاد اخلاق طاهرة عالية · وان الاخلاق ملكات يطبعها في النفس العمل الصالح. والعمل الصالح مبني على الاخلاص. فالاخلاص اذن هو المنبع والاساس الحقيقي لجميع الاشياء الكبيرة الحسنة فاذن البحث بدون خوف وتردد عن المثل الاعلى « الاخلاص » و « الصدق » هو مفتاح الباب الموصل للصحة الحقة كما هو مفتاح لكل شيء غيرها . واني إن نجحت — مهما كان مقدار نجاحي قليلا - في بيان هذه الحقيقة الكبرى لقرائي فأكون قد فزت ببغيتي من تحرير هذه الصفحات

كان الفراغ من الترجمة في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م

الطحال والكبد

هل هما دمان ؟

ذكر الفقهاء أن الدم حرام الا الطحال والكبد فأنهما يحل أكلهما ، وإن كانا من الدم . فهل هما من الدم حقيقة حتى يحتاج الفقهاء الى استثنائهما من حكمه ؟ نظن أن ذلك بعيد لغة وتشريحا . وقبل إثبات ذلك نرى أنه لابد من الكلام على الحديث الذي ورد في سنن ابن ماجة وأوقع الفقهاء في هذا الخطأ اللغوي التشريحي لنبين قيمته كحديث

حديث ابن ماجة

قال ابن ماجة في باب الكبد والطحال: حدثنا أبو مصعب حدثنا عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال »

وقال في باب صيد الحيتان والجراد . حدثنا أبو مصعب عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (صلعم) قال « أحلت لنا ميتتان الحوت والجراد »

درجة الحديث

قال البيجوري في حاشيته على ابن قاسم إن سند هذا الحديث ضعيف وصحح البيهقي وقفه على ابن عمر وقال حكمه حكم المرفوع . ولذلك قال في المجموع الصحيح أن ابن عمر هو القائل : أحلت لنا ميتتان الخ . وأنه يكون بهذه الصيغة مرفوعا

وسبب ضعف سند هذا الحديث أن فيه عبد الرحمن بن زيد الذي ضعفه رجال الحديث وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: سأل رجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حدثك أبوك عن أبيه أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين قال نعم . وذكر رجل لمالك حديثا فقال من حدثك به ؟ فذكر إسنادا منقطعا . فقال

اذهب الى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام

فمثل هذا الرجل (عبد الرحمن بن زيد) الذي زعم أن سفينة نوح طافت بالبيت ما كان لفقهاء أن يجروا وراء حديثه السابق الذي جعل فيه الكبد والطحال من الدم مخالفاً بذلك لغة العرب وعلم تشريح الأعضاء كما خالف بحديثه عن سفينة نوح حكم التاريخ وبديهة العقل

الدم في اللغة

جاء في كتاب قطر المحيط للبستاني أن الدم سائل أحمر يسري في عروق الحيوان

الكبد والطحال في اللغة

جاء في لسان العرب أن الكبد لحمة سوداء في البطن . وأن الطحال لحمة سوداء عريضة في البطن لازقة بالجنب الأيسر . فالدم في اللغة من الاخلاط والكبد والطحال من اللحم ولا يوجد عاقل يتوهم أنهما من الدم حتى نحتاج الى استثنائهما من حرمة أكله

الدم في علم التشريح

جاء في دائرة معارف البستاني أن الدم سائل لزج قليلا محتو على كريات جامدة لاتحصى ولا ترى إلا بالنظارات المكبرة . وأنه ليس في الجسم سائل مركب من مواد مختلفة مثله

الكبد والطحال في علم التشريح

جاء في قانون ابن سينا أن الكبد لحم أحمر كأنه دم لكنه جامد وهي خالية عن ليف العصب الخ وأن الطحال عضو مستطيل لساني متصل بالمعدة من يسارها الى خلف يجذب السوداء بعنق متصل بتقعيد الكبد الخ

فقد اتفق علم التشريح مع اللغة في أن الكبد والطحال ليسا من الدم وليس للفقهاء دليل على أنهما دمان الا رواية ذلك الشيخ الضعيف عبد الرحمن بن زيد ومثله لا يحتج بروايته المخالفة لما ثبت في اللغة وعلم التشريح ولبداهة العقل التي لا يسوغ فيها مثل ذلك

وقد يقال أن جعل الكبد والطحال من الدم في هذا الحديث المزعوم ليس على سبيل الحقيقة وإنما الكلام فيه جار على التشبيه فنقول ان القلب وأعضاء كثيرة من الجسم تشبه الدم أيضاً فلو كان الكلام جاريا على التشبيه لذكر مع الكبد والطحال سائر ما يشبه الدم من الاعضاء على أن أسلوب الكلام بعيد عن التشبيه والمحرم في القرآن هو الدم الحقيقي لا ما يشبهه فلا وجه لاستثناء ذلك منه. ولذا لم يفهم الفقهاء الحديث الا على وجه الحقيقة. وحكموا بأن الكبد دم متجمد ولم يذكروا شيئاً في الطحال لان المخالفة فيه أصرح فما أحرانا أن نزيل مثل هذا من كتب الفقه إنصافاً للحقيقة والعلم؟

عبد المتعال الصعيدي

المدرس بالجامع الأحمدي

(المنار) حديث الميتتين والدمين رواه الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا. وعبد الرحمن ضعيف متروك وقال أحمد حديثه هذا منكر. ورفعه أيضا أخواه عبد الله واسامة وقد ضعف الثلاثة ابن معين وعليه الجمهور قال الحافظ ابن حجر تابعهم شخص ثالث أضعف منهم وهو أبو هاشم كثير بن عبد الله الابلي. ورواه المسور بن الصلت من حديث أبي سعيد والمسور كذاب. ورواه الدارقطني من طريق سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم موقوفا وقال وهو أصح أو قال أصوب. وصحح الموقوف ابو زرعة وأبو حاتم لان سليمان ثقة عند الجمهور ورواه عن زيد دون اولاده الضعفاء. وسليمان لم يسلم من مقال فقد قال عثمان بن ابي شيبة : لا بأس به وليس ممن يعتمد على حديثه. وقد قال الحافظ في التلخيص ان لمثل هذا الموقوف حكم المرفوع لان قول الصحابي: احل لنا وحرم علينا كقوله امرنا بكذا ونهينا عن كذا . أي ولهذا اخذ الفقهاء به وان لم يصح رفعه ، اقول فاذا اسلمنا لهم هذا ولم نعتد بما ذكرنا من الطعن في سليمان فانما ناخذ منه ما هو من حل الاربعة ولا يمكننا ان نجزم بأن التعبير بالدمين من قول ابن عمر أو من قول زيد. وحل الكبد والطحال لا يتوقف على هذه الرواية فانهما من جنس اللحم كغيرهما من اجزاء الحيوان وكانوا يأكلونها وقد حصر نص القرآن المحرمات في الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به. والمسفوح السائل المهراق وليسا منه لغة ولا عرفا في كتب اللغة التعبير عن كل منهما بانه لحمة صفتها كذا وكذا . وعندي ان التعبير عنهما بالدمين لما يتخللهما من الدم الكثير، وقد نص الفقهاء عن العفو عما يتخلل اللحم من دم قليل فلعل مراد ابن عمر انه أحل لنا ما يتخلل الكبد والطحال من الدم وان كان كثيرا لتعذر إزالته اولانه لا يبلغ ان يكون دما مسفوحا. فلا حاجة الى القول بأنهما دم متجمد فمن المعلوم بالقطع انهما لم يكونا دما عبيطا سائلا ثم جمد ، بل تكونا في الحيوان بقدرة الله تعالى كتكون غيرهما من الاعضاء لوظائف اقتضتها الحكمة الالهية ، وان كانت وظيفة الطحال أخفى من وظيفة الكبد عند الاطباء ، والله أعلم

وجوب الحج

جاءتنا هذه الرسالة من الاستاذ صاحب الامضاء (مهاراج) إمام سمبس جزيرة من برنيو (جاوه) يحذر فيها المسلمين في جاوه وغيرها مما يسمى إليه بعض زعماء الشيعة وشوكت علي ومحمد علي زعيمي السياسة الهندية من اقناع المسلمين بترك الحج وهدم هذا الركن الاسلامي العظيم ، ويبين لهم ان استحلال هذه الدعوة واجابتها كفر وردة عن الاسلام ، قال أثابه الله تعالى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حضرة أستاذنا العلامة المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي نفعني الله والمسلمين بعلومه وبمناره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد كتبت مقالة باللغة الملاوية أنشرها في جرائد جاوية (ملاوية) وهي كما يأتي :

قد علم كل مسلم أن الحج ركن من أركان الاسلام الخمسة فيجب مرة واحدة في العمر على كل مسلم عاقل بالغ حر استطاع اليه سبيلا لقوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قال الامام ابن جرير الطبري في تفسيره : يعني بذلك جل ثناؤه ، وفرض واجب على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام الحج اليه . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عزوجل (من استطاع اليه سبيلا) وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج . فقال بعضهم هي الزاد والراحلة . ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال : ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة ... عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ قال « من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » وذلك أن الله عز وجل يقول في كتابه (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) الآية[1] . وفي رواية عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) ومحل الشاهد قوله تعالى بعد ماذكر (ومن كفر فان الله غني عن العالمين)

قال : قال رسول الله ﷺ « من ملك زاداً وراحلة فلم يحج مات يهوديا أو نصرانياً » وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء أن ذلك على قدر الطاقة لأن السبيل في كلام العرب الطريق ، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحج لا مانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة ماء في طريقه أو زاد أو ضعف عن المشي فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا اداؤه ، فان لم يكن واجداً سبيلا - أعني بذلك فان لم يكن مطيقاً الحج تتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه - فهو ممن لا يجد اليه طريقاً ولا يستطيعه لأن الاستطاعة إلى ذلك هو القدرة عليه ، ومن كان عاجزاً عنه ببعض الاسباب التي ذكرناها أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا يستطيع اليه السبيل . وانما قلنا هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها لأن الله عز وجل لم يخصص اذ ألزم الناس فرض الحج بعض مستطيعي السبيل اليه بسقوط فرض ذلك عنه . فذلك على كل مستطيع اليه سبيلا بعموم الآية . فأما الاخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة فانها أخبار في أسانيدها نظر لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين أه باختصار

***

لو قال قائل هل توجد الآن طريق إلى الحج أم لا ؟ وهل فيها أمان أم لا ؟ لقلنا : نعم بناء على أخبار من سافروا في العام الماضي (عام ١٣٤٤) من الحجاج الجاويين وغيرهم إلى الحجاز (مكة والمدينة) لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبينا محمد ﷺ في المدينة المنورة فانهم وجدوا طريقاً إلى الحج وزيارة النبي (ص) ولم يروا فيها إلا مايسر خاطرهم ويقر أعينهم فقد أدوا ماعليهم من فريضة الحج بالتمام كما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ وزاروا قبر النبي ﷺ وقد فعلوا ماشاؤا من العبادات فلم يحصل لهم شيء من أذى لا في أبدانهم ، ولا أموالهم ولا ، ولا .... كما أن أمثال هذه الاخبار سمعنا بها من الجرائد والمجلات الجاوية والملاوية والعربية .

ولذلك تعجبت مما ذكره الاستاذ صاحب المنار في كتابه إلي من قوله وهذا نصه : وسمعت أمس من داعية التشيع في جاوه أنه جاءه مكتوبات منها أو من

سنغافوره تخبره بأنه تألف مؤتمر من أربعين جمعية من الجمعيات الاسلامية وقرروا الدعوة إلى ترك الحج مادام ابن السعود ملكا في الحجاز — انني لم أصدقه في قوله كما أنني لا أجزم بأن الخبر ليس له أصل البتة أهـ الخ . وقد أخبرت الاستاذ المصلح الغيور بأن هذا الخبر غير صحيح فاننا لم نسمع بهذا المؤتمر أصلا [1] بل اننا سمعنا من جزائر جاوه وسومطرا وبورنيو من كل بلد أن من أرادوا السفر إلى الحجاز هذا العام لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة وزيارة قبر النبي ﷺ في المدينة المنورة ، كثيرون جداً أكثر من العام الماضي .

ومع ذلك أقول لو وجد أحد مسلم أو غير مسلم أو مؤتمر مهما كانت صفته يدعو إلى ترك الحج لكون ابن السعود ملكا في الحجاز فاني أنصح لكل مسلم أن لا يسمع قوله ولا يلتفت اليه فانه شيطان أو دجال فليس هو مؤمناً حقاً .وهل يجوز في دين الاسلام أن يترك الحج الذي هو ركن من أركان الاسلام الاجتماعي العام لان ابن السعود ملك في الحجاز ؟؟ ومن تجرأ على استحلال أو تجويز ترك فريضة الحج لأن ابن السعود ملك في الحجاز فهو مرتد عن الاسلام ، بل قال الاستاذ السيد صاحب المنار : بل قال بعض أهل السنة أن ترك الحج كفر مطلقاً لظاهر آية آل عمران أهـ . ذلك بأن ابن السعود ليس مانعاً لمن أراد أن يؤدي هذه الفريضة ويقوم بما عليه من المناسك وغيرها من أنواع العبادات . ولكنه ليس قاصراً على ذلك فقط ، بل آمن طرق الحجاز حتى يسهل على الحجاج أداء فريضة الحج والسفر إلى زيارة قبر النبي وقبور أصحابه عليه وعليهم الصلاة والسلام . وكانت هذه الطرق قبل أن صار ابن السعود ملكا في الحجاز قلما سمعنا فيها إلا النهب والاعتداء على الحجاج وغيرهم من سالكيها

---

(١) المنار : تبين أن المؤتمر الذي تألف من ممثلي الجمعيات الاسلامية الاصلاحية كلها وعددها ٤٠ أو أكثر قد قرر تأليف لجان فى جميع بلاد جاوه وسائر جزائر الهند الشرقية لبث الدعوة الى الحج واحباط مساعي الروافض لهدم ركن الاسلام الاجتماعي الاعظم ، وقرر جمع تسعة آلاف جنيه لاجل مؤتمر الحجاز وأثنى على ملك الحجاز مقيم السنة أجل الثناء كما بينا ذلك في الجزء الثامن من المنار

كيف لا وإن جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك الحجاز وسلطان نجد هو مسلم مؤمن شديد التمسك بالدين الاسلامي وكذا أهل بلاده الذين لقبوا بالوهابيين فانهم مسلمون من أهل السنة والجماعة ، وإنهم في فروع الاحكام الشرعية على مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فلا يجوز لأحد أن يطعن في دينهم وإن كانوا مخالفين لمألوفات أكثر الناس من بناء القبور وتجصيصها واتخاذ السرج عليها وطلب الحاجات من أهلها . فهؤلاء الوهابيون يهدمون القباب على القبور لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته » وقال الامام الشافعي في كتابه (الام) إن ولاة مكة كانوا يهدمون ما بني في مقبرتها من القبور ولا يعترض عليهم الفقهاء . ونقله عنه النووي في شرح مسلم عند شرح ما ورد في هذا المعنى من الاحاديث .

أيها الاخوان المسلمون اتفقوا ولا تتفرقوا ولا يعاد بعضكم بعضاً وإن كنا مختلفين في المذاهب كشافعي ، وحنفي ، ومالكي ، وحنبلي ، وذلك لاختلاف الافهام في مسألة من المسائل الدينية أو غير الدينية . وربما يكون ذلك الاختلاف في شيء من تلك المسائل مما لم يرد فيه نص من كتاب ، أو سنة ، بل هو مما هو مجال لاجتهاد المجتهدين . وليتذكر المسلمون ضرر التنازع كما قال تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

هذا وأنه يجب على المسلمين أن يشكروا جلالة الملك عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد على ما فعله من الخيرات للحجاز والحجازيين ونشر الامن في جميع بقاعه ، وقد جاء في الخبر النبوي « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه

سمبس في ١٦ جمادي الاولى سنة ١٣٤٥

٢٢ نوفمبر ١٩٢٦ محمد بسيوني عمران

باب الانتقاد على المنار

(تتمة القول في مسألة الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان عليه السلام)

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة في المسألة من أقوال اشهر مفسري القرآن المجيد الذين طبعت كتبهم واستنار بها العالم في فهمه وهي صريحة فيما كتبناه في بعض فتاوينا المختصرة من غير بحث ولا مراجعة

وما ذكروه من مفاسد الروايات المأثورة في تدخل الشيطان في أمر ملك سليمان ظاهر وفيها مالم يذكروه أيضاً من مخالفة القرآن والعقل والتاريخ ولا محل لبسطه هنا وانما محله تفسير الآيات الواردة في ملك سليمان وهو ماوعدنا بتحقيقه فيه اذا شاء الله تعالى وأنسأ لنا في الاجل

وانما أذكر القارىء فيه بماورد من الآيات الناطقة بأن الله تعالى لم يجعل للشيطان أدنى سلطان على عباده المخلصين وإنما سلطانه على من اتبعه من الغاوين والكافرين وهذا السلطان عليهم هو سلطان الاغواء والوسوسة لا التصرف في الملك والملك (بضم الميم وكسرها) والتمثل بصور الملوك والحكام وادارة أمور الأمم .وقد وردت هذه الآيات في سياق خلق آدم وابليس واستعداد جنس كل منهما فهي بيان لسنة الله التكوينية في خلق الجنسين

قال تعالى في سورة الحجر بعد ذكر خلقهما بالتفصيل (١٥ : ٣٩ قال رب بما اغويتني لأزينن لهم في الارض ولا غوينهم اجمعين ٤٠ الا عبادك منهم المخلصين ٤١ قال هذا صراط علي مستقيم ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وفي سورة النحل التي بعدها (١٦ : ٩٩ انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ١٠٠ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فهل يقول اخونا الشيخ عبد الرحمن الجحموني ان نبي الله سليمان عليه السلام من عباد الله المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم ادني سلطان من أي نوع كان من أنواع السلطان كما يقتضيه نص الكتاب المنزل بصيغه النكرة في سياق النفي وبصيغة الاثبات بعد النفي بالاستثناء الذي هو معيار العموم وهي اقوى صيغ الحصر ثم بالحصر بانما التي هي لما صار معلوما أو شأنه أن يكون معلوما مقرراً كما افاده الامام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ؟ - ام يقول اخونا وناصحنا المذكور ان نبي الله سليمان من اتباع الشيطان الغاوين الذين يتولونه والذين هم به مشركون ؟ - اي يجعلونه شريكا لله تبارك وتعالى في التصرف

في عباده ؟ لاشك في ان اخانا المذكور يقول بالاول ـ واذا يجب عليه ان يرد جميع تلك الروايات الاسرائيلية المضلة كما ردها محققو المفسرين كالرازي والبيضاوي والطوفي وابوحيان التوحيدي وابن كثير وأبو السعود العمادي والآلوسي. وان يجزم بما جزم به ابوحيان من أن قصة الشيطان في استيلائه على ملك سليمان من اوضاع اليهود والزنادقة وماصرح به الحافظ ابن كثير من انها «كلها من الاسرائيليات» وإن رواها بعض مفسري السلف فان ابن كثير صرح بروايتها عنهم وقال مع ذلك «وكلها متلقاة من قصص اهل الكتاب»

ثم ليعلم أن شر رواة هذه الاسرائيليات اواشدهم تلبيسا وخداعا للمسلمين هذان الرجلان اللذان ترك زراعته للاطالة في الدفاع عنهما لتلك العلة الواهية التي ذكرها من قبل : كعب الاحبار ووهب بن منبه ـ فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير والتاريخ الاسلامي من امور الخلق والتكوين والانبياء واقوامهم والفتن والساعة والآخرة الا وهي منهما مضرب المثل «في كل واد اثر من ثعلبة»

ولا يهولنه انخداع بعض الصحابة والتابعين بما بثاه هما وغيرهما من هذه الاخبار فان تصديق الكاذب لايسلم منه أحد من البشر ولاالمعصومين من الرسل فان العصمة إنما تتعلق بتبليغ الرسالة والعمل بها فالرسل معصومون من الكذب ومن الخطأ في التبليغ ومن العمل بما ينافي ماجاؤا به من التشريع، لأن هذا ينافي القدوة، ويخل باقامة الحجة ، ولكن الرسول اذا صدق الكاذب في أمر يتعلق به وبعمله أو بمصلحة الامة فان الله تعالى يبين له ذلك ومنه ما كان من بعض ازواجه الذي نزل فيه أول سورة التحريم ، وعلم من قوله تعالى فيها (قالت من انبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير) انه لم يعلم المكيدة بملكة العصمة بل بوحي الله تعالى بعد وقوعها . ومنه قوله تعالى فيما كان كذب عليه بعض المنافقين الذين اعتذروا عن الخروج معه (ص) الى تبوك (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

واما مانقله عن الزرقاني من رأيه ان ماروي عن الصحابي مما لامجال للرأي فيه موقوفا عليه فانله حكم المرفوع «وان احتمل اخذ الصحابي له عن أهل الكتاب تحسينا للظن به» فهو رأي باطل مردود عليه لاتتخذه قاعدة واصلا في ديننا، وما علله به ظاهر البطلان اذ لامحل هنا لتحسين الظن ولا لمقابله ، فمن المعتاد المعهود من طباع البشر أن يصدقوا كل خبر لايظهر لهم دليل على تهمة قائله فيه ولا على بطلانه في نفسه فاذا صدق بعض الصحابة كعب الاحبار في بعض مفترياته التي

كان يوهمهم انه اخذها من التوراة او غيرها من كتب أنبياء بني اسرائيل وهو من أحبارهم او في غير ذلك فلا يستلزم هذا اساءة الظن فيهم ، واذا كانت هذه الخرافات الاسرائيلية مما يصد عن الاسلام ويجري الالسنة والاقلام بالطعن فيه مع العلم بانها مروية عمن لاتعد أقوالهم ولا آراؤهم نصوصاً دينية ولا ادلة شرعية وان كانوا من أفراد علماء السلف - كما هو واقع بالفعل - فكيف يكون موقفنا مع هؤلاء الطاعنين فيه من الملاحدة ودعاة الاديان المعادين للاسلام والمسلمين من زنادقة المسلمين أيضاً اذا قلنا ان كل تلك الترهات والخرافات الاسرائيلية اذا كان بعض رواتها من الصحابة فانها تنظم في سلك الاحاديث المرفوعة الى النبي (ص) ويجب الايمان بها ؟ الا ان هذا باب واسع في الطعن في الاسلام والصدعنه لو فتحه علينا من هو أكبر من الزرقاني من مقلدة القرون الوسطى المظلمة لاغلقناه في وجهه، وقلنا له ان علماء الاصول قد اتفقوا على ان طروء الاحتمال، في المرفوع من وقائع الاحوال، يكسوها ثوب الاجمال ، فيسقط بها الاستدلال ، وهذا الاحتمال أولى من ذاك ان يمنع عد الموقوف مرفوعا ، وجعله دليلا شرعياً،

والصواب في هذا المقام قلب الموضوع، وهو ان الاثر الموقوف - وكذا بعض المرفوع الذي لم يصرح الصحابي فيه بالسماع وهو ممن كان يروي عن كعب الاحبار وأمثاله هذه الاسرائيليات - معلولين باحتمال كونهما من سرائيليات اذا كانا من موضوعها ومتنهما مخالفا لبعض النصوص الثابتة كآيات القرآن في نفي سلطان الشيطان على عباد الله تعالى او معارضا لغير ذلك من أصول الشرع او فروعه الثابتة أو لسنن الله في خلقه أو لغير ذلك من الادلة القطعية. ويرى الجحموني وغيره شيئا من تفصيل هذا البحث في تفسير آية الساعة من هذا الجزء وما بعده

الملاحظة الثانية مسألة بلعام بن باعورا ·

أنكر المنتقد علينا رفض ماروي عن بعض رواة التفسير المأثور في تعيين الرجل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها بأنه بلعام بن باعورا بانه مروي عن بعض أجلاء الصحابة « الذين شهدوا الوحي والتنزيل » وأيده بما نقله عن الزرقاني واجبنا عنه آنفا

ثم انكر علينا قولنا ان ابن جرير شيخ المفسرين لم يعتد بهذه الروايات وقال انه راجع ابن جرير فلم يهتد فيه الى «عبارة يؤخذ منها عدم اعتداده بهذه الاحاديث» وانما عبر عنها بالاحاديث بناء على ماذكره من عد موقوفات الصحابة في حكم الاحاديث المرفوعة وان احتمل أنها من الاسرائيليات

ونقول في جوابه إننا لم نتقول عليه ولكنه هو لم يفهم عبارته على صراحتها في عدم الاعتداد بكون الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها هو بلعام وهو هو نفسه قد روى عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو وعبد الله بن عباس وعن بعض تلاميذه كمجاهد وعكرمة أنه بلعام ، وكان أعلم منه ومن الحاكم النيسابوري ومن الزرقاني بقيمة الصحابة رضي الله عنهم من شهود الوحي ، وبما قال العلماء في الحديث الموقوف وهو من أئمتهم . ونحن ندله على هذه العبارة التي يظهر انه لم يفهمها لاشتغال فكره بالزراعة وهي في الصفحة ٨٤ من الجزء التاسع من تفسيره المطبوع بالمطبعة الاميرية. قال بعد سوق الروايات في أن الرجل المبهم هو بلعام والخلاف في كونه من بني اسرائيل أو من اليمن والروايات في كونه أمية بن ابي الصلت مانصه:

(قال ابو جعفر) : والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره امر نبيه (صلى الله عليه وسلم) ان يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته وهي الآيات وقد دللنا على أن معنى الآيات الادلة والاعلام فيما مضى بما أغنى عن اعادته وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعام وجائز أن يكون أمية وكذلك الآيات ان كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعام وجائز أن يكون أمية. لان أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب . وان كانت بمعنى كتاب انزله الله على من أمر نبي الله عليه السلام ان يتلو على قومه نبأه او بمعنى اسم الله الاعظم او بمعنى النبوة فغير جائز ان يكون معنيا به امية لان امية لاتختلف الامة في انه لم يكن أوتي شيئا من ذلك ، ولا خبر بأي ذلك المراد ، وأي الرجلين المعني يوجب الحجة ، ولا في العقل دلالة على ان ذلك المعني به من اي ، فالصواب ان يقال فيه ماقال الله ويقر بظاهر التنزيل على ماجاء به الوحي من الله» اه بحروفه

فهذا الكلام صريح في ان ابن جرير قال « انه لاخبر بأي ذلك المراد واي الرجلين المعني يوجب الحجة » أي لا يوجد حديث نبوي يحتج به في تعيين الرجل الذي آتاه الله آياته ، ثم قال: ولا في العقل دلالة على ذلك أي وإذ انتفى الدليلان النقلي والعقلي « فالصواب ان يقال فيه ماقال الله، ويقر بظاهر التنزيل على ماجاء به الوحي من الله»

وهذا عين ما اخترناه واعتمدناه في تفسيرنا للآية وان كنا كتبناه في زمان ومكان لا نملك فيهما شيئاً من كتب التفسير ، وبهذا يعلم اخونا الجمجموني مكانه من

النقد الذي تكلفه وترك زراعته لاجله ، ويعلم اننا كرمناه بنشر نقده على تهافته وتهوكه فيه اولا وآخراً ، وقد لامنا بعض أهل العلم والفهم على نشرنا نقاده الاول وسيشتدون في لومنا على نشر هذا أيضاً، وهو آخر ما ننشره له من هذا القبيل، على أننا توسلنا به لكشف الشبهة عنه وعن امثاله في مسئلة الاحاديث الموقوفة. والاسرائيليات السخيفة . وقد سنحت لنا بعد البدء بنشر نقده والتعليق عليه مناسبة أخرى لبيان الحق في هذه المسئلة وهي الروايات في اشراط الساعة فاكتفينا بما كتبنا عما كنا ننوي ان نطيل به ونسأله تعالى ان يرينا الحق حقاً ويوفقنا لاتباعه. ويرينا الباطل باطلا ويحفظنا منه قولا وعملا واعتقاداً .

أثر المقتطف في نهضة اللغة العربية بالعلم

الخطبة التي ألقاها صاحب هذه المجلة في حفلة عيد المقتطف الخمسيني التي أقيمت بدار (الاوبرا) الملكية في ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٦

سادتي الافاضل — كان لي الحظ أن كنت أول من اقترح الاحتفاء بالمقتطف عند ما يتم الخمسين من عمره ، إذ كان هذا منذ عشر سنين ، واحمد الله تعالى أن اقتراحي قد تحقق ، ورغبتي قد استجيبت ، وأنني كنت عضواً في اللجنة التي نشرت الدعوة إلى هذا الاحتفال ووضعت النظام له

على أني صرت أكره الاحتفالات بعد أن أصبحت «مودة» تقليدية تقام لكل انسان له بعض الانصار والمحبين سواء عمل ما يستحق الاحتفاء به او لم يعمل ، وهو أمر تضيع به فائدة الاحتفاء ويصير تمتعا بلذة أدبية لجماعات من الناس ، وكان ينبغي أن لا يحتفل الا بأصحاب الاعمال النافعة للامة

صار الناس يتنافسون في إقامة احتفالات عظيمة للحفاوة ببعض الوجهاء أو الادباء لا ينقصها الا اشتراك الملوك فيها ، وحفلتنا هذه تمتاز باشتراك جلالة مليكنا المعظم فيها بجعلها تحت رعايته وندب دولة رئيس ديوانه العالي لمثله فيها — وتمتاز أيضاً باشتراك بعض الجماعات والجاليات العربية في الاقطار البعيدة وبعض المدارس العالية فيها

ان الاحتفال والتحاشد على الحفاوة بالعامل المفيد للامة بعمله ضرب من ضروب الشكر العام ، والشكر للمحسن مدعاة للمزيد من الاحسان، وحافز للهمم

وباعث لها على اتقان الاعمال، كما أن شكر أهل المظاهر وإن أساؤوا مثبط للهمم، وصاد للدهماء عن خدمة الامة، وسبب للغرور بالباطل، وفي الحديث الشريف «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور [1]»

قد أحيا ملك مصر باشتراكه في عيد المقتطف سنة من سنن خيار ملوك الاسلام المتقدمين، جرى عليها من بعدهم ملوك أوربة المتأخرون، في تكريم العلماء لاعلاء منار العلم والحث على النبوغ فيه، فقد حكي عن بعضهم (ملك شاه أو غيره) أنه كان اذا نبغ عالم في عهده يقيم له احتفالا فخما يمشي فيه ذلك العالم ومن حوله من عظماء الدولة والامة من الوزراء والعلماء، وأمامهم بعض الجياد من خيل الملك وعليها شارته الملكية (الارمة أو الامرة الرسمية) للاشعار باشتراكه في الاحتفال وأمره بالحفاوة بذلك العالم

وقد نبغ بتأثير هذه العادة في تكريم العلماء عالم فاق الاقران فكان من شأن الملك في المبالغة والعناية بتكريمه أن مشى هو في الحشد المحتفل ووضع تلك الشارة الملكية على عاتقه بدلا من وضعها على بعض جياده للايذان باشتراكه، فقيل له في ذلك فقال إن هذا العمل سيكثر في الامة أمثال هذا العلامة الكبير، وقد كان ذلك

انا قد اجتمعنا اليوم لاقامة هذه السنة الاجتماعية، اجتمعنا لنثني على اثارة علمية نافعة لامتنا العربية، ثبت العامل عليها نصف قرن كامل، هذا العمل هو مجلة المقتطف العلمية الصناعية الزراعية التي انشأها العالمان العصريان الكبيران: الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر منذ خمسين سنة وقد أحسنا فيها خدمة هذه الامة من وجوه. عهد الي زملائي أعضاء لجنة الاحتفال ان أقول كلمة وجيزة في أحد تلك الوجوه وهو «أثر المقتطف في نهضة اللغة العربية بالعلم» وهو موضوع واسع لا يوفى حقه وتبلغ غايته الا بتأليف سفر كبير، وانني مهما أوجز في القول لا أستطيع بيان المسائل التي يصح أن تكون ... هذا السفر، وحسبي أن أشير الى ما خطر في بالي منها اليوم عندما فكرت في موضوع خطابي، وهو يدخل في خمسة أبواب لا يبيح لي الوقت المقدر لكل منا (خطباء الحفلة وشعرائها) تجاوز عتبة باب منها، فاكتفي بذكرها

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أسماء بنت أبي بكر، ومسلم من حديث أختها عائشة أم المؤمنين، ورفعتاه كلتاهما الى النبي (ص)

الباب الاول : حاجة أمتنا العربية في حياتها الاجتماعية والاقتصادية — أو حياتها العصرية — الى العلوم والفنون الكثيرة ، اذ لا يعرف قيمة خدمة المقتطف للعلم الا الذين يشعرون بهذه الحاجة

الباب الثاني : كون هذه العلوم والفنون لاتفيدنا الفائدة التامة الا اذا أخذناها باستقلال الفكر والاجتهاد في الحكم ، بحيث تصير ملكات راسخة في الامة ، وأما حشو الاذهان بالالفاظ والمصطلحات وشغل العقول بحفظ بعض المسائل تقليداً لمن نقلت عنهم قد يكون ضرره اكبر من نفعه

الباب الثالث : توقف هذا الاستقلال في العلم واجتناب التقليد الصوري فيه على تلقيه بلغة الامة حتى يكون ملكة من ملكاتها التي تصدر عنها أعمالها

الباب الرابع : اشراع الطريق الموصل لجعل لغة الامة تتسع لهذه العلوم والفنون وما يتجدد منها في كل آن

الباب الخامس : ضرب الامثال للفروق بين تعلم العلوم بلغة الامة وتعلمها بلغة أجنبية ، وبين الاستقلال الذي تكون به العلوم والفنون ملكات في أنفس الامة وصناعات في أيديها ، والتقليد الذي حظ صاحبه حفظ بعض الاصطلاحات والمسائل التي قد يذهب بها النسيان ، ولا تؤتي كل مايراد بها من الاعمال ، واني أشير الى مثل واحد يغني عن أمثال كثيرة

أيها السادة — انني لم اتعود الاطراء والمدح الشعري ولا المبالغات الخطابية التي تثير الاعجاب ، وتبعث على التصفيق والهتاف ، وانما انا كلف بحب الحقيقة مشغوف بالتصريح بها وان لم يرض به الا القليل من الناس . فاستأذنكم بأن اقول ما اعتقد في اشتغال أمتنا المصرية العربية بالعلم ، أقول ان تلقيه بلغة أجنبية جعله تقليديا لاغناء فيه ، ولا ترتقي البلاد به الى ماتبتغيه ، وهو أن يكون العلم ملكة في أنفس الامة وصناعات في أيديها ، إنه قلما يوجد فينا من يسمى عالما بكل مايفهم أهل الغرب من معنى هذا اللقب ، ويوجد في الامة اليابانية ما لا يحصى من العلماء المماثلين لعلماء أوربة في كشف الحقائق والاختراعات ، وذلك أنهم نقلوا العلوم والفنون الى لغتهم ، وتلقوها تلقيا استقلاليا فكانت ملكات في أنفس الامة وصناعات في أيديها ، مع محافظتهم

على جميع مقوماتها ومشخصاتها الملية ، وأزيائها وعاداتها الوطنية، فهذا سبب فوزهم بما لم نفز به من ثمرات العلوم والفنون مع أننا سبقناهم الى اقتباسها بعشرات السنين ، ولهذا نرى رجال التربية والتعليم عندنا قد شرعوا بتلافي هذا الخطأ في عهد الاستقلال

لو أننا نقلنا العلوم والفنون الى لغتنا العربية لكان انتشار المقتطف والاستفادة منه أضعاف ما نعلم الآن ، ويمكنني أن أقول إن المقتطف لم يقدر قدره ، ولم ينتشر الانتشار الذي يستحقه بعنايته في نقل العلم الى لغة الامة

ان صاحبي المقتطف قد هيأهما القدر ليكونا ركناً من أركان النهضة العلمية العربية فبلغا منها الغاية المعروفة لأهلها ، ولم يكن لهما ولا لأمتهما ولا لدولتهما سعي فيما أسندناه الى القدر الالهي ، وهذا بيانه بالاجمال :

زين لبعض أغنياء الاميركان أن يؤسسوا في بيروت مدرسة كلية يتوسلون بها الى الدعوة إلى مذهبهم الديني بنشر العلم والتربية الاميركانية الاستقلالية ، وأن يجعلوا التعليم فيها بلغة الامة السورية وهي العربية ، ففعلوا خلافا لعادة أمثالهم من مؤسسي المدارس في الشرق الذين يتوخون فيها احياء لغاتهم واماتة لغة البلاد، وجعل العلم الجديد فيها تقليديا ضعيفاً لا يرجى بلوغ الكمال فيه ، ولا يثمر جميع الثمار المقصودة منه

وكان من حسن التوفيق أن وجد في أساتذة هذه المدرسة من أحب العرب والعربية وسورية والسوريين حبا خالصا غير مشوب بالهوى ، وفي مقدمتهم الدكتور كارنيليوس فانديك الشهير ، ذي الذكر الحميد ، وكان هذان الشيخان الكبيران يعقوب صروف وفارس نمر من تلاميذه في الرعيل الاول من حلبة العهد الاول لهذه المدرسة ، فتخرجا فيها عاشقين للعلم يتجلى في معارض اللغة العربية وحللها ، واللغة العربية تكون مجلى للعلوم العصرية وفنونها ، فاشتغلا زمناً بالتعليم على هذه الطريقة في المدرسة ، ثم بدا لمؤسسي المدرسة فتحولوا عن النهج الاول ، وجعلوا تعليم العلوم والفنون فيها باللغة الانكليزية فخرج الاستاذان البارعان منها، وعولا على خدمة العلم باللغة العربية وخدمة اللغة العربية بالعلم بانشاء مجلة لذلك فأنشئا مجلة المقتطف في بيروت وبعد بضع سنين انتقلا بها الى مصر حيث مجال العلم اوسع ، وبضاعة الفنون أروج ، وقيمة العاملين أرفع

ولو عارض أولو العلم بهذه اللغة عبارة المقتطف فيما كان يقتبسه من المجلات والكتب الانكليزية في كل علم وفن بعبارة غيره من المترجمين الذين تلقوا تلك العلوم والفنون باللغات الاجنبية لحكموا للمقتطف بان أثره في نهضة اللغة العربية بالعلم افضل الآثار وأمثلها ، فان العربي الذي يقرأ المقتطف يفهم كل مايقرأه الا مايجهله من الاصطلاحات وبعض الاسماء الاعجمية ، ولا يشعر بأنه يقرأ كلاما مترجما

واذا كان القارىء من علماء هذه اللغة يعرف قدر الجهد الذي بذل في كل باب من أبواب المقتطف لابراز مايتجدد من مسائل العلوم الكونية والاجتماعية والطبية والاقتصادية وفي الصناعة والزراعة والتجارة بعبارة عربية في الزمن الذي هجرت فيه أكثر مفردات اللغة ، ونسيت المصطلحات التي وضعها علماؤنا في نهضتهم العربية السابقة ، على قصورها عن اداء معشار ماتجدد في هذا العصر

كان محرر المقتطف يقف عند الكلمة الاعجمية المفردة وقفة قصيرة أو طويلة يبحث فيها عن كلمة عربية ترادفها، وكان مما يراجعه فقه اللغة - ولاسيما قبل طبع المخصص - ومفردات ابن البيطار وقانون ابن سينا وكتاب الحيوان للجاحظ أو للدميري وغيرها. ولو أن الدكتور صروف جمع ما سبق إلى استعماله من الالفاظ التي كانت مهجورة فوصل شملها بما يناسبها ومن المصطلحات الجديدة لبلغت سفراً كبيراً، على أن الاصطلاحات الجديدة التي تعلمها منشئا المقتطف بالعربية في المدرسة كانت يسيرة لاغناء فيها

ينتقد بعض علمائنا الغيورين على اللغة تساهل المقتطف في التعريب وكثرة استعماله للمفردات الاعجمية التي يسهل وجود مايحل محلها من اللغة بالترادف أو التجوز او الترجمة أو وضع جديد يشتهر بالاستعمال ،وهذا مذهب لايمكن لفرد من العلماء أن ينهض به، بل يتوقف على مجمع لغوي علمي دائم ينهض به ، وهذا عمل كبير لا ينهض به فرد ولا افراد ، وقد ذكر في الحفلة التي أقامها صديقنا المرحوم اسماعيل بك عاصم لصاحبي المقتطف احتفاء بمضي أربعين سنة من حياته وحضرها بعض كبار الوزراء والعلماء وأصحاب المجلات ، سعينا مع بعض من حضر تلك الحفلة الى انشاء المجمع وانشيء بالفعل وكان صاحبا المقتطف من أعضائه العاملين، ثم كانت احداث سنة ١٩١٩ سببا لتوقيفه، ثم تجدد السعي لاعادته،والظاهر انه لن يتم ذلك الا بمساعدة الحكومة

لرجال العلم على أحيائه، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك . وحسب المقتطف حسن أثر في نهضة اللغة العربية بالعلم بضع وستون مجلداً كتبت بهذه اللغة تخلد لكاتبيها الفخر ، وتنطق ألسنة المنصفين بالشكر ، وما من حسن من أعمال البشر إلا وفي الامكان أحسن منه ، لان استعداد هذا النوع لا غاية له ولا حد ، وقد قال معلم الخير عليه الصلاة والسلام « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

العرب وجزيرتهم

﴿ بين الإمامين يحيى بن حميد الدين وعبد العزيز آل سعود ﴾

(وخطر الاستعمار الاوربي)

لايزال العرب أوسع أمم الارض أوطاناً ، ومن أكثرها حصى وتعداداً ، فهم زهاء مائة مليون نسمة منبثون في الشطر الشمالي من افريقية ، والشطر الغربي من آسية ، ولكن لم يبق لهم من الاستقلال المطلق شيء لاسيادة للأوربيين فيه ، ولا سيطرة لهم عليه ، إلا مهدهم الاول من جزيرتهم وهو اليمن وتهامة والحجاز ونجد، وقد حل زمن تصدي المستعمرين للقضاء عليه بيديه فالاستيلاء عليه ، وهذا مثار الخوف دون غيره ، فلولا الخوف من الاجانب على هذه البقية لما كنا نئط من أثقال الهم لتعادي أمرائنا وأئمتنا فيها ، ولا نعد تقاتلهم خطراً عليها ، فانه إما أن تبقى به البلاد على حالها ، وإما أن يفوز الاقوى بالانفراد بالسيادة عليها ، وما أحوج هذه الامة النبيلة إلى توحيد حكومتها وسياستها ، لتجديد قوتها وحضارتها ، وليس الجيل العربي هو الجيل الذي انفرد بالتفرق والتمزق بالتعادي على الحكم والرياسة فيصدق من يزعم أنه لايتحد أو لا تجتمع حكمته مطلقاً أو إلا بدعوة دينية، بل ذلك من طبائع البشر من جميع الاجيال ، فان تعذر اليوم اتحاد العرب عامة أو عرب الجزيرة خاصة بحكومة مركزية، فلا يتعذر اتحادهم بنظام كنظام الوحدة الالمانية ؛ فمصلحتهم تقتضيه ودينهم يقضي به

عرب الجزيرة كلهم مسلمون ، والسواد الاعظم منهم عريق في العربية العدنانية، والقليل منهم يرجعون إلى عروق معروفة أو غير معروفة من غير العرب الخلص

ولكنهم مستعربون، وانما يختلفون في المذاهب الدينية فالسواد الاعظم منهم سنيون ينتسبون إلى مذاهب الفقهاء الاربعة في الفروع ، وإلى السلف الصالح أو الاشاعرة في الاصول.وفي اليمن كثير من الزيدية ، وأصولهم الكلامية أصول المعتزلة ، وفي الاحساء بعض الشيعة الامامية ، ويوجد في بعض بلاد اليمن والحجاز جماعات من طوائف أخرى من الشيعة.وفي بلاد عمان كثير من الاباضية ولهم امام في داخل البلاد ليس عليه من سيطرة الاجنبي ما على سلطان مسقط منهم ،وانما كلامنا في مستقر القوة، ومستودع السلطان والسطوة ، ومنبت الارومة ، وهو اليمن وتهامة والحجاز ونجد .

القوة الحربية التي هي سياج الاستقلال منبثة في الجزيرة ،موزعة في القبائل ولكن ليس لها قيادة عامة إلا في اليمن ونجد ، والقوة الغالبة في اليمن للزيدية الذين يعتصم أكثرهم في الجبال ، ويدين لهم بالطاعة السواد الاعظم وهم من الشافعية طوعا أو كرها ، ويدين كثير منهم للزعيم الادريسي فهو الذي نازع امام الزيدية السيادة في اقليم عسير جباله وخيوفه وما انحدر عنها من سهوب تهامة وثغورها وجزائرها

والقوة الغالبة في نجد لأعرق أهل السنة وأثبتهم في السنة ، وكان لأئمتها من آل سعود شركاء فيها ومنازعون فيما حولها، ثم دانت كلها في هذا العصر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل فزالت إمارة آل الرشيد وكانوا أقوى المشاركين لآل سعود في عقر تلك الديار ، وزال سلطان الترك من السواحل قبل زوالها ، ودانت له هذه البلاد وملحقاتها ، ثم زالت إمارة آل عايض من عسير ثم إمارة الشرفاء آل قتادة من الحرمين بعد ان صارت ملكا مستقلا ، ودانت لابن السعود بلاد الحجاز كلها وقسم من بلاد عسير ، ثم انتهى الامر بدخول إمارة السيد الادريسي في حمايته ، ودانت لسلطانه ، فقربت بذلك المسافة الشاسعة المانعة من الوحدة العربية الحلفية ، ولم يبق إلا وضع نظام يراعى فيه اختلاف مذهبي السنة والزيدية ، وتتقى به الدسائس الاجنبية ، ولكن لم يكد يتم التمهيد لهذا حتى كانت حكومة ايطالية الفاشستية الموسولونية المطمعة الى الاستعمار، المتوخية احياء مجد الرومان ، قد عقدت مع الامام يحيى معاهدة صورتها تجارية ، وروحها سياسية يقصد بها استعمار الجزيرة العربية

انحصر استقلال جزيرة العرب في مملكتي الامام يحيى بن حميد الدين صاحب اليمن

العليا والسفلى ، والامام عبد العزيز بن السعود سلطان نجد وملك الحجاز وعسير ، وبتنا نرجو قرب تأويل مانسعى اليه منذ بضع عشرة سنه من التأليف بينهما . ومن عقد حلف عربي يحفظ به استقلال الجزيرة ويعود للامة مجدها ، ولكن كثر خوض برقيات السياسة العامة وصحف الشرق والغرب في هذه الايام بامكان تصادمهما ، بل بقرب زحف قوات اليمن على عسير فالحجاز — كثر هذا بعد عقد الامام يحيى الاتفاق مع الدولة الايطالية وما تلاه (على ماقيل) من تولي الضباط الايطاليين لبعض الاعمال العسكرية في جيشه وتدفق أسلحتهم وذخائرهم وكذا دراهمهم ودنانيرهم على بلاده ورجاله وقبائله — وانشائهم لمحطات التلغراف اللاسلكي في الحديدة وصنعاء لا له وحده، بل للدولة الايطالية نفسها تخاطب بها مستعمرتها (الارتيرة) المصاقبة لليمن وعاصمتها (رومية) أيضاً

فان صحت هذه الانباء وأوقد الامام يحيى في شيخوخته نار الحرب العظمى في جزيرة العرب (حماه الله وأعاذه من ذلك) فسيكون هو وقومه أول من يحترق بنارها، بادخاله لأجرأ دول أوربة الاستعمارية فيها، ولا يشك أحد من البشر يومئذ في أن هذه الدولة هي التي استخدمته في فتح بلاده لها وتعريضه بقية الجزيرة للاستعمار الاوربي حتى البلاد الحجازية المقدسة وحرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ ، وانما يكون الخطر على الحجاز قريباً اذا اتفقت الدولة الايطالية مع صديقتها الدولة البريطانية على القضاء الاخير على الاسلام لا على العرب وحدهم، ولا خطر على الحجاز ونجد الا من الدولة البريطانية

قد كان أكبر مناقب الامام يحيى في نظر الامة العربية والعالم الاسلامي كله تلك السياسة السلبية مع الاجانب التي تجلت المرة بعد المرة بفشل الدولة البريطانية وعجزها عن عقد أي اتفاق معه يفتح أدنى منفذ لتدخل نفوذها السياسي أو الاقتصادي في بلاده . وقد كان أكبر ذنوب السيد محمد علي الادريسي الكبير في نظره ماكان من موادة هذا للدولة الايطالية واستفادته من سلاحها في أثناء قتال الترك له

ولما بدأ صاحب هذه المجلة بدعوة أمراء الجزيرة العربيــة وأئمتها للتآلف والتحالف على حفظ بلادهم من التدخل الاجنبي وتقويتها وترقيتها سنة ١٣٣٠

(الموافقة ١٩١١ م) كان الامام يحيى حميد الدين أول من أجابه منهم باستعداده للاتفاق والتعاون مع اخوانه أمراء الجزيرة إلا أنه استثنى جاره بالجنب السيد الأدريسي واحتج على عدم امكان الاتفاق معه وإطفاء ما كان بينهما من نار الحرب بأنه «حالف أعداء الله الطاليان» — بهذا الضبط — وكان يرى أن هذا العمل لا يبيحه الشرع ولا يتفق مع مصلحة العرب . هذا وان السيد الادريسي رحمه الله تعالى لم يعقد معهم محالفة سياسية، ولا أعطاهم في بلاده شيئاً من الحقوق الاقتصادية

لولا مطامع إيطاليـة في اليمن المعروفة لجميع المشتغلين بالسياسـة ، ولولا ما يتحدث به كبار رجال السياسة في أوربة من قرب نيل مطامعها — ولولا اهتمام صحف الشرق والغرب فيها — ولولا مذاكرة الدولة البريطانية للدولة الايطالية ومفاوضتها اياها للاتفاق على مصالحهما الاقتصادية وكذا السياسة والحربيه في اليمن والبحر الاحمر — ولولا ما بذلت ايطالية وما تبذل في هذه السبيل — لولا هذا وغيره مما لا نقوله الآن لأمكن أن يقال إن ما عقده الامام الجليل مع ايطالية لا خوف منه ؛ وإن هذه المعاهدة الايطالية اليمنية كظاهر موادها التي نشرت بعيدة عن المطامع السياسة واغراء الشقاق وايقاد نار الحرب في الجزيرة العربية ، لأجل تمهيد بل تعبيد الطريق للمقاصد الاستعماريه ، على ما في المادة الثالثة من تقييده الحكومة اليمنية نفسها بجلب الرجال الفنيين من الحكومة الايطالية

فان وقع القتال فعلا وكانت زحوف اليمن المتوكلية هي البادئة به علمنا علم اليقين أن أمر الامام وجيشه قد صار آلة بيد المستعمرين الطامعين للقضاء على الامة العربية وعلى جزيرتها المقدسة ومهد دينها ـ حاشاه الله وبرأه من ذلك

إن الذي عرفناه من أخلاق الامام الجليل أنه على ما أوتي من شجاعة النفس، وشدة البأس ، رؤف سلمي يكره الحرب ، وينظر اليها بعين الشرع ، لا بعين الطامع والجشع ، فيعدها من الضرورات ، لا من الضروريات ، والضرورات تقدر في الشرع بقدرها ، وهو مع ذلك رجل اقتصاد يقدر نفقاتها عند ما يوازن بين خيرها وشرها ، وما يرجى لبلاده من خيرها ويخشى عليها من ضررها ، ولولا هذا لما صبر على البيت الادريسي الى هـذا اليوم ، ولا سيما بعد وفاة السيد محمد علي

مؤسس هذه الامارة لهم . ولولا أن هذا كان يعلم أن قوة الامام يحيى تفوق قوته لما التجأ الى ابن السعود ونزل له عن منطقة أبها من عسير العليا ، ثم لما رضي خلفه السيد حسن في هذا العام بأن تكون امارتهم كلها تحت سيادته . وفي ظل حمايته ، فكيف يعقل أن يتصدى هذا الامام السلمي الاسلامي الاقتصادي لقتال ابن السعود بعد أن آتاه الله تعالى هذا الملك العظيم الممتد من حدود اليمن الى حدود الشام ، ومن البحر الاحمر الى خليج فارس ، وله فيه السلطان الذي لا ينازع ، والامر الذي لا يرد ؟

لقد استولى هذا السلطان على منطقة أبها المجاورة لليمن ولم ينازعه الامام يحيى فيها بالسيف والسنان ، ولا بالقلم أو اللسان ، ولقد قتل الجند النجدي هنالك — مع الاسف — جماً غفيراً من اليمانيين — خطأ — ولم يتخذ الامام الحكيم الرشيد ذلك ذريعة لقتال النجديين ، ولا حجة على وجوب اخراجهم من تلك المنطقة من عسير ، — ولقد استغاثه الشريف علي بن حسين أيام كان محصوراً في جدة على السلطان عبد العزيز بن السعود وعرض عليه جعل الحجاز تحت سيادته ، وتابعاً لمملكته ، وأن يكون هو فيه عاملا من عماله ، فأبى الامام الحكيم أن يغيثه بالرجال أو المال ، وانما نصح له بما اقتضته الحال من المقال ، وقد كان ابن السعود يومئذ في بؤس وضنك ، يجلب اليه المال والقوت من الاحساء ونجد ، — فهل يعقل بعد هذا أن يهاجمه الآن ، وماذا يرجو في هذا العدوان ، وما يستلزمه من انفاق بدر الاموال ، وقتل الالوف الكثيرة من الرجال ؟ وان فرض أنه انتصر في ميادين القتال ؟ ما من شيء يمكن أن يناله بهذا النصر غير المضمون الا وقد كان أيسر منالا من قبل ، وقد رجح الامام بعقله وحكمته الزهد فيه ، وعدم سفك دماء المسلمين لأجله ، بل كان عرض عليه التصدي لانقاذ الحجاز من إلحاد الملك حسين وإفساده فيه بالاستقلال أو الاشتراك مع سلطان نجد فأبى ، بل وضع له مشروع لدعوة الخلافة الاسلامية العامة فلم تستشرف نفسه له ، قناعة بما أعطاه الله من ملك اليمن ، الا أنه يطمع في شيء واحد وهو الاستيلاء على اليمن وتهامته كلها ولكن بما يمكن من الاقتصاد في الدماء والمال ، ويقال انه يدعي ان عسير منها ، وقد علمنا سيرته المعتدلة فيها

لهذا كله قلنا انه ان صدق مايقال من عزمه على القتال ووقع ذلك بالفعل

فلن يجد له أحد تعليلا الا استيلاء الاجانب على لبه وتسخيرهم له بشر مما سخروا أمثاله من قبله ، وإنا لنجله ونربأ بدينه وعقله أن يكون كذلك

نعم اننا نعلم أن هنالك سعاية ودعاية من طريق آخر لاغراء العداوة بين الامامين ، واضرام نار القتال بين الفريقين ، وهي طريق عصبية التشيع والرفض وقد بثت هذه الدعاية أولا في جزائر الهند الشرقية الهولندية والبريطانية ثم في العراق وايران ، ثم في مصر والهند - أما بين الشيعة فلجعل الحجاز تحت سيادة امام شيعي من آل البيت - وما ثم الا الامام يحيى - وأما بين أهل السنة فلا خراج الوهابية من الحجاز . وهؤلاء الدعاة هم الذين أكثروا اللهج في هذا العام بقوة الامام يحيى وكثرة جيوشه وبذم الوهابيين والطعن فيهم . وكانت خطتهم تحويل الامام يحيى عما يعهدون فيه من حب السلم والاقتصاد بحمل مسلمي مصر والهند وجاوه مع أهل العراق وايران على مطالبته بقتال ابن السعود وإخراجه من الحجاز واعانته على ذلك بالمال ، وقد سمعت بأذني رجلا من أشهر هؤلاء الدعاة الذين يراسلهم الامام ويراسلونه يصرح في مجلس فيه بعض الوجهاء هنا بأن الامام قد استكمل أهبته الحربية لذلك وانما ينتظر مطالبة العالم الاسلامي له باخراج ابن السعود وقومه من الحجاز ، وان ذلك لينتظر في أقرب وقت ! !

وأما الذي أعلمه انا فهو أن المراسلات الودية بين الامامين متصلة وقد لقيت وفد اليمن للمؤتمر الاسلامي في مكة وغيرها من أماكن الحجاز وتعاونا على توثيق عرى الصداقة بين الامامين ، وصرح لي الملك عبد العزيز بأنه بلغ السيد حسين عبد القادر رئيس هذا الوفد بأنه مستعد للاتفاق مع الامام يحيى على كل ما يصون بلادهما ويرفع شأنها حتى اذا أحب عقد معاهدة عسكريه هجومية دفاعية فانه لا يأبى ذلك . ولكن هذا السيد لم يكن مفوضا اليه مثل هذا ، وقد كاشفني بأن أهم ما يهم الامام مسألة الادريسي لا طمعا في إمارته بل لئلا يعقد مع الاجانب ما يفضي الى تدخلهم في شؤون البلاد - والحق معه في هذا كما صرحت بهذا للملك عبد العزيز . وهذه المعاهدة الاخيرة سلبت من السيد الادريسي هذا الحق وحق التعدي على حدود اليمن ولكن بعد ان أمضى لشركة بريطانية امتيازا عظيما في استخراج زيت البترول

من جزائر فرسان التي تعد بالعشرات ، وهي جناية يجب السعي لابطالها اذا أمكن. وأرى انه يحسن السعي الآن لعقد محالفة بين الامامين ينص فيها على حفظ الحال الحاضرة وبقاء منطقة الادريسي شقة حياد لا يعتدي عليها أحدهما بشروط مرضية لهما. ومن يأبى ذلك منهما أو يبدأ الآخر بالعدوان ، فهو الجاني على العرب والاسلام .

﴿ نص المعاهدة الايطالية اليمانية ﴾

مادة (١) تعترف حكومة جلالة ملك ايطاليا باستقلال حكومة اليمن وملكها جلالة الامام يحيى الاستقلال المطلق الكامل ومع هذا فلا تتداخل حكومة ايطاليا المشار اليها في مملكة جلالة ملك اليمن الامام بأي أمر من الأمور التي تناقض مافي الفقرة الأولى من هذه المادة

مادة (٢) تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل في التجارة بين بلاديهما

مادة (٣) حكومة جلالة ملك اليمن تصرح بأنها ترغب أن تجلب طلباتها من ايطاليا وذلك في الاشياء والآلات الفنية التي تساعد بجلب الفائدة في نمو اقتصاد اليمن ونفعه وكذلك في الاشخاص الفنيين ، والحكومة الايطالية تصرح بأنها تبذل جهدها حتى يصير ارسال الاشخاص والآلات الفنية بأنسب وجه في الانواع والأثمان والرواتب

مادة (٤) ماذكر في المادة الثانية والثالثة لا يمنع حرية الطرفين في التجارة والمطلوبات

مادة (٥) ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب ويتجر فيما تمنعه إحدى الدولتين في بلادها ولكل من الدولتين أن تصادر ماجلب الى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الاشعار

مادة (٦) هذه المعاهدة لاتكون معمولا بها إلا من حين تصل الى جلالة ملك اليمن الامام يحيى مصدقة من جلالة ملك ايطاليا

مادة (٧) تكون هذه المعاهدة جارية ومعمولا بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها كما في المادة السادسة وقبل انقضاء مدة هذه المعاهدة بستة أشهر اذا أراد الطرفان تبديلها بغيرها أو تمديدها كانت المذاكرة في ذلك

مادة (٨) ولما حرر في هذه المواد فجلالة ملك اليمن الامام يحيى وسعادة كفاليري غاسباريني بالوكالة عن ملك ايطاليا قد أمضيا هذه المعاهدة المحررة في نسختين متطابقتين باللغة العربية والايطالية ولعدم وجود من يعرف الترجمة عن اللغة الايطالية معرفة تامة لدن جلالة ملك اليمن ولان المفاوضة التي تمت بين الطرفين بعقد المعاهدة الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية ولأن سعادة كفاليري غاسباريني قد تأكد أن النص العربي هو مطابق للنص الايطالي تماما.

لذلك اتفقا بأنه اذا نشأت شكوك أو اختلاف في تفسير النصين العربي والايطالي فالطرفان يعتمدان النص العربي وتفسيره بأصول اللغة العربية واعتبار هذا شرطا

اتفاقية مكة المكرمة

(بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين السيد الحسن بن علي الادريسي)

رغبة في توحيد الكلمة وحفظا لكيان البلاد العربية، وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، وصاحب السيادة امام عسير السيد الحسن بن علي الادريسي على عقد الاتفاقية الآتية.

(المادة الأولى) يعترف سيادة الامام السيد الحسن بن علي الادريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الامام السيد محمد بن علي الادريسي والتي كانت خاضعة للأدارسة في ذلك التاريخ تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

(المادة الثانية) لايجوز لامام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة، وكذلك لايجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

(المادة الثالثة) لايجوز لامام عسير اشهار الحرب أو ابرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

(المادة الرابعة) لايجوز لامام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الاولى

(المادة الخامسة) يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية امام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الاولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لامامته

(المادة السادسة) يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن ادارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق امام عسير على أن تكون الاحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين

(المادة السابعة) يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الاولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الاحوال ودواعي المصلحة

(المادة ٨) يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

(المادة ٩) تكون هذه المعاهدة معمولا بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين

(المادة ١٠) دونت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين .

(المادة ١١) تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦

(الختم الملكي) ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

(الختم الرسمي) امام عسير : الحسن بن علي الادريسي

تم ذلك بحضور راقم هذه الاحرف خادم الاسلام، أحمد الشريف السنوسي (الختم)

خاتمة المجلد السابع والعشرين

باسم الله وبحمده نختتم المجلد السابع والعشرين من المنار كما افتتحناه بهما ، ونقفي عليهما هنا بما قفينا به هناك من الصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين، محمد النبي الأمي الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وآله وصحبه الهادين المهديين . وقد تم لنا في أثناء نشر هذا المجلد ماوعدنا به القراء من تجديد

المطبعة وادارتها بقوة الكهرباء ، وإصدار أجزاء المنار في كل شهر على ماعرض لنا من السفر إلى الحجاز وانحراف الصحة فيه والاشتغال بالمؤتمر الاسلامي العام بمكة المكرمة واقتضاء ذلك غيبة زهاء أربعة أشهر عن مصر ، وقد وفينا ولله الحمد بما وعدنا به من خدمة الملة والأمة ، ومجاهدة الملاحدة والزنادقة والمبتدعة ، والقيام بدعاية الاصلاح والتجديد الاسلامي على قواعد الكتاب والسنة . وأما مسألة الاعتماد في عزة الأمة على فنون العصر العملية فقد مهدنا السبيل لها بالسعي المرجو فيها ، والتأليف والتعاون بين شعوبها ، وما نحن من الذين يعملون لاجل الفخر والمباهاة فيعلنون ما لاحاجة الى اعلانه ، وبيان ما لاتتوقف المصلحة على بيانه

وقد بينا ما انتقد به على المنار في هذه المدة وما قبلها حتى انتقد علينا بعض القراء ما لافائدة في نشره منه . وإننا على ثباتنا على دعوة أهل العلم والرأي الى انتقاد ما يرونه منتقداً في المنار ، نذكرهم بما يجب فيه من الايجاز والاختصار ، وأن يتحروا فيه الفائدة لا الافتخار والاشتهار ، الذي قد يؤدي الى ضد ما يتمنون ، إذا كان كلامهم على غير مايهوون ، ولعل من الصواب أن نكتم أسماء المنتقدين ، وأن نحذف من كلامهم ما لا يتعلق بجوهر النقد من القيل والقال أو اعادة نشر ما ينتقدونه من كلامنا بحروفه ، اكتفاء بالاشارة الى مراجعته في موضعه ، وفي هذه الحالة تكون حريتنا أوسع في بيان مايظهر لنا من خطإ المنتقد فنسمي الكذب كذبا والجهل جهلا ان اقتضت الحال ذلك. وسيكون من مواد المجلد الثامن والعشرين رحلة الحجاز والكلام فيها على المؤتمر الاسلامي العام، والادارة السعودية في الحجاز ، ومسلك أمير الحج المصري معها وفي ذلك من الحقائق مايهم العالم الاسلامي كله مما لم ينشر في الجرائد العربية ولا غيرها

وسيكون منها تأثير دعوة الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى ومسألة ترجل النساء وتهتكهن واشتغالهن بالسياسة والامور العامة — ومسألة الازهر والبرلمان في مصر ، وانشاء باب لمختارات الصحف النافعة من اجتماعية وسياسية وأدبية وعلمية، وغير ذلك من المباحث الاصلاحية المقصودة بالذات وعسى أن يساعدنا القراء على ذلك بدفع قيمة الاشتراك سنة بسنة. والله الموفق وله الحمد في البدء والختام